الجزء الاول من

كتاب تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب

لابن خلدون



طبع فى ثغر جزائر المغرب المحمية فى دار الطباعة السلطانية
سنة ١٢٦٣ هجرية وهى موافقة للسنة ١٨٤٧ المسيحية

كتاب الدول الاسلامية بالمغرب

لابن خلـــدون

Kitāb Tārīkh Al-Dūl Al-Islāmiat Bi-l-Magrib

الجزء الاول من

كتاب تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب

وهو

القسم الاخر من التاريخ الكبير

المسمى

كتاب العبر وديوان المبتداء والخبر
في ايام العرب والعجم والبربر

لابى زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد

ابن خلدون

وقد اعتنى بازالة الغلطات عن نصّه وبتصحيحه والنظر فى طبعه
العبد الفقير الى رحمة ربه

البارون دسلان

طبع فى ثغر جزائر المغرب المحمية فى دار الطباعة السلطانية
سنة ١٢٦٣ هجرية وهى موافقة للسنة ١٨٤٧ المسيحية

1848

بسم الله الرحمن الرحيم

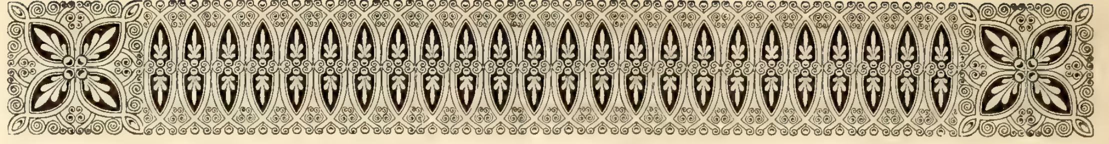
بسمه عزوجل وبه يستعان

الحمد لله الذى بقدرته يجرى تصاريف الامور ۞ الحاكم الذى بحكمته يدور دواير الدهور ۞ العالم الذى بعلمه يهدو الفتن وتفور ۞ القادر الذى بتقديره ينبع الدول وتغور ۞ حمد معترف التقصير فى ادراك ادنى مرتبة ثنائه لا فى الاجهار بتمجيده ۞ المقر ببعد القرار عن قضاء موجبات حقه لا عن الاقرار بتوحيده ۞ المتضرّع الى رحمته بقلب مشفق من خشيته ۞ المتشوق الى وجهه بصدر يضيق من غيبته ۞ حمدا يتبين دائما على السن الجوارح ولسان الحال ۞ ويفوح نشره ابدا ما دام العبد ذا فهم وبال ۞ امـــا بعد فان تاريخ ابى زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون من نفائس الكتب وهو معتبر الان كما فى عنفوانه ۞ اورد فيه المصنّف اخبار الامم كلها من ابتداء الدنيا الى اوانه ۞ ومن فصوله المرغوبة فيها الفصل الذى يشتمل على اخبار برابر المغرب وقبائلهم ۞ وسير الملوك والرؤساء وشمائلهم ۞ ولما بفتح مملكة الجزائر على يد جيوشنا المنصورة صار تحت حكمنا هذه البلاد ۞ فيقيل من دولتنا فى ظل ظليل ما لا يحصى من عباد ۞ خاطر فى بال سعادة وزير الحرب انـه من لوازم الامور ۞ ان يتعرف احوال هذه الاقاليم فى ما مرّ من العصور ۞ وكان لا يخفى عنه فضيلة كتاب ابن خلدون وارتفاع مثابته ۞ وانه المطلب الذى يستخرج المطلوب من قعر غيابته ۞ فامرنى اسعده الله ان انسخ هذا الكتاب واصحح نصه وازيل عنه الغلطات ۞ وبعد النظر فى طبعه بدار الطباعة ان انقله الى اللغة الفرانصوية فى اقرب الاوقات ۞ فشمّرت ذيلى فى طـاعته ۞ امتثالا لاشارته ۞ وجمعت من اماكن شتى ست نسخات من هذا الكتاب ۞ ونقحت النص واخترت من الروايات ما ظهر لى ادنى الى الصواب ۞ ثم بعد طبعه

سمّيته الكتاب المغرب فى تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب ۞ ليكون العنوان دالّا على مضمونه واليه انسب ۞ فاما هذا الجزء وهو الاول ففيه ذكر المغرب والبربر والعبيديين ۞ وبنى زيرى بن مناد والمرابطين والموحّدين ۞ وبنى ابى حفص وملوك طوائف ۞ وقبائل عديدة ما بين محض ولفائف ۞ واما الجزء الثانى وهو الاخر فيشتمل على اخبار زناتة وبنى ابى العافية بين اخرين ۞ ثم ذكر ملوك بنى عبد الواد وسلاطين بنى مـــرين ۞ وليتناول ما لمزت اليه متصلا ۞ نشرح هاهنا فهرست الابـــــــــواب منفصلا ۞ وهى ''

مهلك الوزير ابى العباس بن تافراكين ٥٤٣ ، مهلك الامير ابى زكرياء صاحب بجاية ٥٤٣ ، مهلك السلطان ابى بكر وولاية ابنه الامير ابى حفص ٥٤٦ ، زحف الامير ابى العباس الى الحضرة ومقتل اخويه ابى فارس عزوز وابى البقا ٥٤٧ ، استيلاء السلطان ابى الحسن على افريقية ومهلك ابى حفص ٥٤٩ ، ولاية ابى العباس الفاضل على بونة ٥٥١ ، بيعة العرب لابن ابى دبوس وواقعتهم مع السلطان بالقيروان ٥٥٢ ، حصارا لمصبة بتونس والافراج عنها وعن القيروان ٥٥٤ ، استيلاء الامير الفضل على قسنطينة وبجاية ثم استيلاء امرائهما عليهما ٥٥٥ ، حركة الفضل الى تونس ٥٥٩ ، مهلك الفضل وبيعة اخيه المولى ابى اسحاق ٥٦٠ ، حركة صاحب قسنطينة الى تونس وحجابة ابى العباس بن مكى ٥٦٢ ، وفادة صاحب بجاية على ابى عنان ٥٦٤ استيلاء النصارى على طرابلس ٥٦٧ ، بيعة السلطان ابى العباس ٥٦٩ ، واقعة موسى بن ابراهيم واستيلاء ابى عنان على قسنطينة ٥٧١ ، انتقاض الامير ابى يحيى زكرياء ٥٧٤ ، استيلا السلطان ابى اسحاق على بجاية ٥٧٥ ، ذكر فتح جربة ٥٧٦ ، عودة امراء المغرب واستيلاء ابى العباس على قسنطينة ٥٧٩ ، افتتاح ابى يحيى زكرياء لبونة ٥٨٠ ، استيلاء الامير ابى عبد الله على بجاية ٥٨١ ، مهلك الحاجب ابى محمد بن تافراكين ٥٨٣ ، استيلاء السلطان ابى العباس على بجاية ٥٨٤ ، زحف ابى حمو وبنى عبد الواد الى بجاية وفتح تدلس ٥٨٦ ، زحف العساكر الى تونس ٥٨٨ ، مهلك السلطان ابى اسحاق ٥٨٨ ، فتح تونس ٥٩٠ ، انتقاض منصور بن حمزة ٥٩٢ ، فتح سوسة والمهدية ٥٩٤ ، فتح جربة ٥٩٦ ، استقلال الامراء من الابناء ٥٩٧ ، فتح قفصة وتوزر وانتظام قسنطينة فى اعمال السلطان ٥٩٩ ، ثورة اهل قفصة ومهلك ابن الخلف ٦٠٢ ، فتح قابس ٦٠٣ ، ذكر استقامة ابن مزنى ٦٠٦ ، انتقاض اولاد ابى الليل ٦١٠ تغلب ابن يملول على توزر ٦١١ ، ولاية الامير زكرياء على توزر ٦١٢ ، وفاة الامير ابى عبد الله صاحب بجاية ٦١٣ ، حركة السلطان الى الزاب ٦١٣ ،

حركة السلطان الى قابس ٧١٥ ، رجوع المنتصر الى ولاية توزر وولاية اخيه زكرياء على نفطة ونفزاوة ٧١٦ ، فتنة الامير ابراهيم صاحب قسنطينة مع الدواودة ووفاة يعقوب بن على ثم وفاة الامير ابراهيم ٧١٧ ، منازلة نصارى الفرنج للمهدية ٧١٨ ، انتقاض قفصة وحصارها ٧٢٠ ، ولاية عمر ابن السلطان على صفاقس واستيلاؤه على قابس وجربة ٧٢٢ ، وفاة السلطان ابى العباس ٧٢٣ ، ولاية ابى فارس عزوز ٧٢٣ ، الخبر عن بنى مزنى امراء بسكرة والزاب ٧٢٥ ، رياسة بنى يملول بتوزر وبنى الخلف بنفطة وبنى ابى منيع بالحامة ٧٣٦ ، الخبر عن بنى مكى روساء قابس ٧٤٧ ، الخبر عن بنى ثابت روساء طرابلس ٧٥٦ ۞ هـــــذا وقبل الاختتام ۞ للكلام ۞ لا بد من ذكر سبب الاسقاط لاشجار الانساب ۞ الموجودة فى نسخات هذا الكتاب ۞ مصورة للعيان ۞ ما فى النص على الكمال قد استبان ۞ وهو ان فيها معيبات قبيحة ۞ وفايدة قليلة وروايات غير صحيحة ۞ ولان تصويرها بحروف الطباعة ۞ فوق طاقة اهل الصناعة ۞ ثم اننى لما فرغت من شغلى تنبهت على بعض ما فاتنى من الغلطات ۞ ما بين غليظة هى تصحيفات وخفيفة هى سقوط نقطات ۞ فاسال من يعثر عليها ان يحسن الظن بى ويسامح فى ذم هذه الذموم ۞ وان لا ينسبنى الى الجهل او الكسل مع التحدى فى ان اكون غير ملوم ۞ اللهم انى عند البروز الى هذا الميدان والخبيب فى هذا المجال ۞ تحققت قصورى عن الاصابة ونقص قوتى عن تحصيل الكمال ۞ وقد كنت وردت الى حوض العلم نشيطا بحسن الاعتماد ۞ لكن صدرت منه مخيّبا بعيدا من المراد ۞ وكنت اظنّ ان فى العناية الكفاية ۞ وان بالجد والجهد يدرك غاية النهاية ۞ لكن ما ابين الامال من الاجال ۞ وبئس حديث النفس الخادع للرجال ۞ ومع ذلك فحسبى صدق النية ثوابا ۞ وهيهات ان اسعى فى المحاميد والقى عتابا ۞ والله اسال ان يوفقنى ذهابا ومابا ۞ امين ۞ ثم بعد كلامنا هذا يتلو كلام ابن خلدون وهـــو



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

الطبقة الرابعة من العرب وهم العرب المستعجمة اهل الجيل الناشى لهـذا العهد من بقية اهل الدولة الاسلامية من العـرب

لما استقلت مضر وقريشها وانصارها من اليمن بالدولة الاسلامية فيمن تبع دينهم من اخوانهم ربيعة ومن لف لفهم من احياء اليمنية وغلبوا الامم والملل على امرهم وانتزعوا الامصار من ايديهم وانقلبت احوالهم من خشونة البداوة وسداجة الخلافة الى عز الملك وترف الحضارة ففارقوا الحلل وافترقوا على الثغور البعيدة والاقطار النائية من ممالك الاسلام فنزلوا بها حامية ومرابطيـن عصبا وفرادى وتناقل الملك من عنصر الى عنصر(1) ومن بيت الى بيـت واستفحل ملكهم فى دولة بنى امية وبنى العباس من بعد بالعراق ثم دولة بنى امية الاخرى بالاندلس وبلغ من الترف والبذخ ما لم تبلغه دولة من دول العرب والعجم من قبلهم فانغمسوا فى الدنيا ونبتت اجيالهم فى ماء النعيم واستوثروا مهاد الدعة واستطابوا خفض العيش وطال نومهم فى ظل العز والسلم حتى الفوا الحضارة ونسوا عهد البادية وانفلتت من ايديهم الملكـة التى نالوا بها الملك وغلبوا الامم من خشونة الدين وبداوة الاخلاق ومضـاء المضرب فاستوت الحامية والرعية لولا الثقافة وتشابه الجيل والحضر الا فى

(1) Le ms. B porte : عيص الى عيص.

الشارة وانف السلطان من المساهمة فى المجد والمشاركة فى النسب فجزعوا انوف المتطاولين اليه من اعياصهم وعشائرهم ووجوه قبائلهم وغضوا من عنان طموحهم واتخذوا البطانة لقهرهم من موالى الاعاجم وصنائع الدولة حتى كثروا بهم قبيلهم من العرب الذين اقاموا الدولة ونصروا الملة ودعموا الخلافة واذاقوهم وبال القهر وساموهم خطة الخسف والذل فانسوهم ذكر المجد وحلاوة العز واسلبوهم نصرة العصبية حتى صاروا اجزاء عن الحماية (١) وخولا لمن يستعبدهم من الخاصة واوزاعا متفرقين بين الامة وصيروا لغيرهم الحل والعقد والابرام والنقض من الموالى والصنائع فدخلتهم اريحية العز وحدثوا انفسهم بالملك فحجروا الخلفاء وقعدوا بدست الامر والنهى واندرج العرب اهل الحامية فى الغمار واختلطوا بالهمج ولم يراجعوا احوال البداوة لبعدها ولا تذاكروا عهد الانساب لدروسها فدثروا وتلاشوا شان من قبلهم وبعدهم من الامم سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ۞ وكان المتولون لتمهيد قواعد الامر وبناء اساسه من اول الاسلام والدين والخلافة من بعده والملك قبائل من العرب موفورة العدد عزيزة الاحياء اظهروا الايمان والملة ووطدوا اكناف الخلافة وفتحوا الامصار والاقاليم وغلبوا عليها الامم والدول اما من مضر فقريش وكنانة وخزاعة وبنو اسد وهذيل وتميم وغطفان وسليم وهوازن وبطونها من ثقيف وسعد بن بكر وعامر بن صعصعة ومن اليهم من الشعوب والبطون والافخاذ والعشائر والحلفاء والموالى واما من ربيعة فبنو تغلب بن وائل وبنو بكر بن وائل وكافة شعوبهم من بنى يشكر وبنى حنيفة وعجل وبنى ذهل وبنى شيبان وتيم الله ثم بنو النمر بن قاسط ثم عبد القيس ومن اليهم واما من اليمنية ثم من كهلان بن سبا منهم فانصار الله الاوس والخزرج ابنا قيلة من شعوب غسان وسائر قبائل الازد ثم همدان وخثعم وبجيلة ثم مذحج

(1) Le ms. B porte على الحامية.

وكافة بطونها من عنس ومراد وزبيد والنخع والاشعريين وبنى الحرث بن كعب ثم من طيى وبطونها ولخم وبطونها ثم كندة وملوكها واما من حمير ابن سبا فقضاعة وجميع بطونها ومن الى هذه القبائل من الافخاذ والعشائر والاحلاف هولاء كلهم انفقتهم الدولة الاسلامية العربية فابتلعتهم الثغور القصية واكلتهم الاقطار المتباعدة واستلحمتهم الوقائع المذكورة فلم يبق منهم حى يطرق ولا حلة تنجع ولا عشير يعرف ولا قبيل يذكر ولا عاقلة تحمل جناية ولا عصابة لصريخ الا ما يسمع من ذكر اسمائهم فى انساب اعقاب متفرقين فى الامصار الوى الخمول بجملتهم فتقطعوا فى البلاد واندخلوا بين الناس فامتهنوا واستهينوا واصبحوا خولا للامراء وبهما للذائد وعالة على الحرف قام بالاسلام والملة غيرهم وصار الملك والامر فى ايدى سواهم وجلبت بضائع العلوم والصنائع الى عير سوقهم فغلب اعاجم المشرق من الديالم والسلجوقية والاكراد والغز والترك على ملكه ودولته فلم تزل متناقلة فيهم الى هذا العهد وغلب اعاجم المغرب من زناتة والبربر على امره ايضا فلم تزل الدول تتناقل فيهم على ما نذكره بعد الى هذا العهد وانقرض اكثر الشعوب الذين كان لهم الملك من هولاء فلم يبق لهم ذكر وانتبذ بقية شعوب هذه الطبقة بالقفار واقاموا احياء بادين لم يفارقوا الحلل ولا تركوا البداوة والخشونة فلم يتورطوا فى مهلكة الترف ولا غرقوا فى بحر النعيم ولا قعدوا فى غيابات الامصار والحضارة حتى لقد انشد شاعرهم

فمن تكن الحضارة اعجبته　　　فاى رجال بادية ترانا

وقال المتنبى يمدح سيف الدولة ويعرض بذكر العرب الذين اوقع بهم لما كثر عيثهم وفسادهم

وكانوا يروعون الملوك بان بـــدوا   وان نبتت فى الماء نبت الغلافـــق
فهاجوك اهدى فى الفلاة من القطا   وابدى بيوتا من بيوت النقانـــق

واقامت هذه الاحياء فى صحارى الجنوب من المغرب والمشرق بافريقيــة والشام والحجاز والعراق وكرمان كما كان سلفهم من ربيعة ومضر وكهلان فى الجاهلية وعفوا وكثروا وانقرض الملك العربى الاسلامى وطرق الدول الهرم الذى هو شانها واعتز بعض هذا الجيل غربا وشرقا فاستعملتهم الدول وولوهم الامارة على احيائهم واقطعوهم فى الضاحيــة والامصار والتلول واصبحوا جيلا فى العالم ناشئا كثروا سائر اهله من العجم ولهم بتلك الامارة دول فاستحقوا ان تذكــر اخبــارهم وتلحق بالاجيال من العـرب سلفهم ثم ان اللسان المضرى الــذى وقع بــه الاعجاز ونزل به القرءان فسد فيهم و تبدل اعرابه فمالوا الى العجمــة وان كانت الاوضاع فى اصلها صحيحة فاستحقوا ان يوصفوا بالعجمة من اجل الاعراب فلذلك قلنا فيهم العرب المستعجمة فلنذكر الان بقية هولاء الشعوب فى هذه الطبقة فى المغرب والمشرق ونخص منهم بالذكر اهل الاحياء الناجعـــة والاقدار النابهة ونلغى المندرجيـن فى غيـرهم ثم نرجع الى ذكـر المنتقلين من هذه الطبقة الى افريقية والمغرب فنستوعب اخبارهم لان العـرب لم يكـن لهم بالمغرب فى الايام السـالفة موطن وانما انتقل اليه فى اواسط المائة الخامسة افاريق من بنى هلال وسليم اختلطوا بالدول هنالك فكانـت اخبـارهم من اخبارها فلذلك استوعبناها ۞ واما اخر مواطن العرب فكانت برقة وكان فيها بنو قرة من هلال بن عامر وكانـت لهم فى دولة العبيديـيـن اخبـار وحكايتهم فى الثورة ايام الحاكم والبيعة لابى ركوة من بنى امية الاندلسى معروفة وقد اشرنا اليها فى دولة العبيديين ولما اجاز بنو هـلال وسلـيم الى المغرب خالطوهم فى تلك المواطن ثم ارتحلوا معهم الى المغـرب كما نذكر فى دخول العرب الى افريقية والمغرب وبقى فى مواطنهم ببرقــة لهذا العهــد

احياء بنى جعفر وكان شيخهم اواسط هذه المائة الثامنة ابو ذيب واخوه حامد بن كميل وهم ينتسبون فى العرب فتارة فى العزة ويزعمون انهم من بنى كعب بن سليم وتارة فى هيب كذلك وتارة فى فزارة والصحيح فى نسبهم انهم من مسراتة احدى بطون هوارة سمعته من كثير من نسابتهم وبعدهم فيما بين برقة والعقبة الكبيرة اولاد سلام وما بين العقبة الكبيرة والاسكندرية اولاد مقدم وهم بطنان اولاد التركية واولاد فايد ومقدم وسلام معا ينتسبون الى لبيد فبعضهم يقول لبيد بن هينة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر وبعضهم يقول فى مقدم مقدم بن عزاز بن كعب بن سليم وذكر لى سلام شيخ اولاد التركية ان اولاد مقدم من ربيعة بن نزار ومع هولاء الاحياء حى محارب ينتهون بال جعفر ويقال انهم من جعفر بن كلاب وحى رواحة ينتهون بال زبيد ويقال من جعفر ايضا والناجعة من هولاء الاحياء كلهم ينتهون فى مشاتيهم الى الواحات من بلاد القبلة وقال ابن سعيد ومن غطفان فى برقة هيب ورواحة وفزارة فجعل هولاء من غطفان فالله اعلم بصحة ذلك وفيما بين الاسكندرية ومصر قبائل رحالة ينتقلون فى نواحى البحيرة هنالك ويعمرون ارضها بالسكنى والفلح ويخرجون فى المشاتى الى نواحى العقبة وبرقة من مزاتة وهوارة وزنارة احدى بطون لواتة وعليهم مغارم الفلح ويندرج فيهم اخلاط من العرب والبربر لا يحصون كثرة وبنواحى الصعيد قبائل من العرب من بنى هلال وبنى كلاب بن ربيعة [هنا فى النسخ كلها بياض طوله سطر واحد] احياء كثيرة يركبون الخيل ويحملون السلاح ويعمرون الارض بالفلاحة ويقومون بالخراج للسلطان وبينهم مع ذلك من الفتن والحروب ما ليس يكون بين احياء القفر وبالصعيد الاعلى من اسوان وما ورائها الى ارض النوبة ثم الى بلاد الحبشة قبائل متعددة واحياء مفترقة كلهم من جهينة احدى بطون قضاعة ملئوا تلك القفار وغلبوا النوبة على مواطنهم

وملكهم وزاحموا الحبشة فى بلادهم وشاركوهم فى اطرافها والذين يلون اسوان منهم يعرفون باولاد الكنزكان جدهم كنز الدولة وله مقامات مع الدول مذكورة ونزل معهم فى تلك المواطن من اسوان الى قوص بنو جعفر بن ابى طالب حين غلبهم بنو الحسين على نواحى المدينة واخرجوهم منها فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافرة ويحترفون فى غالب احوالهم بالتجارة وبنواحى مصر من جهة القبلة الى عقبة ايلا احياء من جذام جمهورهم من العائد (1) وعليهم درك السابلة بتلك الناحية ولهم على ذلك الاقطاع من السلطان يمترونها ويليهم الى جهة الشرق بالكرك ونواحيها احياء بنى عقبة من جذام ايضا رحالة ناجعة تنتهى رحلتهم الى المدينة النبوية وعليهم درك السابلة فيما بينهم وفيما وراء عقبة ايلا الى الازلم قبائل بلى من قضاعة ومن الازلم الى الينبع قبائل من جهينة ومن الينبع الى بدر ونواحيه قبائل من زبيد احدى بطون مذحج ولهم مع الامراء بمكة من بنى حسن حلف ومواخاة وفيما بين مكة والمهجم مما يلى اليمن قبائل بنى شعبة من كنانة وفيما بين الكرك وغزة شرقا قبائل جرم من قضاعة فى جموع وافرة ولهم امراء اعزة يقطعهم السلطان على العسكر وحفظ السابلة وينتجعون فى المشاتى الى معان وما يليها من اسافل نجد مما يلى تيماء وبعدهم فى ارض الشام بنو حارثة من سنبس وال مرا من ربيعة اخوة ال فضل الملوك على العرب فى برية الشام والعراق ونجد واخبرنى بعض امراء حارثة ان سنبس من بطون طئى فلنذكر الان خبر اولاد فضل امراء الشام والعراق من طئى فبهم يتبين حال اعراب الشام جميعا

(1) Le ms. B porte العابد

خبر ال فضل وبنى مهنّا منهم ودولتهم بالشام والعراق

هذا الحى من العرب يعرفون بال فضل وهم رحالة ما بين الشام والجزيرة وبرية نجد من ارض الحجاز يتقلبون هكذا بينها فى الرحلتين وينتسبون فى طئ ومعهم احياء من زبيد وكلب وهذيم ومذحج احلاف لهم ويناهضهم فى الغلب والعدد ال مِرا ويزعمون ان فضلا ومرا ال ربيعة ويزعمون ايضا ان فضلا ينقسم ولده بين ال مهنا وال على وان ال فضل كلهم كانوا بارض حوران فغلبهم عليها ال مرا واخرجوهم منها فنزلوا حمص ونواحيها واقامت زبيد من احلافهم بحوران فهم بها حتى الان لا يفارقونها قالوا ثم اتصل ال فضل بالدول السلطانية وولوهم على احياء العرب واقطعهم على اصلاح السابلة ما بين الشام والعراق فاستظهروا على ال مرا وغلبوهم على المشاتى فصار عامة رحلتهم فى حدود الشام قريبا من التلول والقرى لا ينتجعون الى البرية الا فى الاقل وكانت معهم احياء من افاريق الاعراب مندرجون فى لفيفهم وحلفهم من مذحج وعامر وزبيد كما كان لال فضل الا ان اكثر من كان من ال مرا اولائك الاحياء واوفرهم عددا بنو حارثة بن سنبس احدى شعوب طئ هكذا ذكر الثقات عندى من رجالاتهم وحارثة هولاء متقلبون لهذا العهد فى تلول الشام لا يجاوزونها الى القفار ومواطن طئ بنجد قد اتسعت وكانوا اول خروجهم من اليمن نزلوا جبلى اجاء وسلمى وغلبوا عليها بنى اسد وجاوروهم وكان لهم من المواطن سميرا وفيد من منازل الحاج ثم انقرض بنواسد وورثت طئ بلادهم فيما يلى الكرخ من ارض نجد وكذلك ورثوا منازل تميم بارض نجد فيما بين البصرة والكوفة واليمامة وكذلك ورثوا منازل غطفان بنجد مما يلى وادى القرى هكذا قال ابن سعيد وقال اشهر الحجازيين منهم الان بنو

لام وبنو نبهان والصولة بالحجاز لبنى لام بين المدينة والعراق ولهم حلف مع بنى الحسين امراء المدينة قال وبنو صخر منهم فى جهة تيماء بين خيبر والشام قال وعزية من طئ بنو عزية بن افلت بن معبد بن معن بن عمرو بن عنبس بن سلامان بن نعل (1) بلادهم عين التمر والانبار ورثوها من عنزة ومنازلهم لهذا العهد فى مصائفهم بالكبيسات وفى مشاتيهم مع بنى لام من طئ وهم اهل غارة وصولة بين الشام والعراق ومن بطونهم الاجود والبطنين واخوتهم زبيد نازلون بالموصل فقد جعل ابن سعيد زبيد هولاء من بطون طئ ولم يجعلهم من مذحج ورياسة ال فضل لهذا العهد فى بنى مهنا وينسبونه هكذا مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل بن بدر بن على بن مفرج بن بدر بن سالم بن قصية بن بدر بن سميع ويقفون عند سميع ويقول زعماؤهم ان سميعا هذا هو الذى ولدته العباسة اخت الرشيد من جعفر بن يحيى البرمكى وحاش لله من هذه المقالة فى الرشيد واخته ومن انتساب كبراء العرب من طئ الى موالى العجم من بنى برمك وامثالهم ثم ان الوجود يحيل رياسة مثل هولاء على هذا الحى اذ لم يكونوا من نسبهم وقد تقدم مثل ذلك فى مقدمة الكتاب وكان مبدا رياستهم من اول دولة بنى ايوب قال العماد الاصبهانى فى كتاب البرق الشامى نزل العادل بمرج دمشق ومعه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الاعراب فى جموع كثيرة وكانت الرياسة قبلهم لعهد الفاطميين لبنى جراح من طئ وكان كبيرهم مفرج بن دغفل بن جراح وكان من اقطاعه الرملة وهو الذى قبض على افتكين مولى بنى بويه لما انهزم مع مولاه بختيار بالعراق وجاء الى الشام سنة اربع وستين وثلاثماية وملك دمشق وزحف مع القرامطة لقتال العزيز بن المعز لدين الله صاحب مصر فهزمهم العزيز وهرب افتكين فلقيه مفرج بن دغفل

(1) Dans le ms. D ce nom est écrit بعل

وجاء به الى العزيز فاكرمه ورقاه فى دولته ولم يزل شان مفرج هذا وتوفى سنة اربع واربعماية وكان من ولده حسان ومحمود وعلى وجرار وولى حسان بعده وعظم صيته وكان بينه وبين الخلفاء الفاطميين نصرة واستقامة وهو الذى هدم الرملة وهزم قائدهم باروق التركى وقتله وسبا نساءه وهو الذى مدحه التهامى ويذكر المسبحى وغيره من مورخى دولة العبيديين فى قرابة حسان بن مفرج هذا فضل بن ربيعة بن حازم بن جراح واخاه بدر بن ربيعة وابنى بدر ولعل فضلا هذا هو جد ال فضل وقال ابن الاثير ان فضل بن ربيعة بن حازم كان اباوه اصحاب البلقاء والبيت المقدس وكان فضل تارة مع الفرنج وتارة مع خلفاء مصر ونكره لذلك طغدكين اتابك دمشق وكافل بنى تتش وطرده من الشام فنزل على صدقة بن مزيد بالحلة وحالفه ووصله صدقة بسبعة الاف دينار فلما خالف صدقة بن مزيد على السلطان محمد بن ملكشاه سنة خمسماية وما بعدها ووقعت بينهما الفتنة اجتمع له فضل هذا وقرواش بن شرف الدولة ومسلم بن قريش صاحب الموصل وبعض امراء التركمان كانوا كلهم اولياء صدقة فساروا فى الطلائع بين يدى الحرب وهربوا الى السلطان فاكرمهم وخلع عليهم وانزل فضل بن ربيعة بدار صدقة بن مزيد ببغداد حتى اذا سار السلطان لقتال صدقة استاذنه فضل فى الخروج الى البرية لياخذ بحجرة صدقة فاذن له فعبر الى الانبار ولم يراجع السلطان بعدها انتهى كلام ابن الاثير ويظهر من كلامه وكلام المسبحى ان فضلا هذا وبدرا من ال جراح بلا شك ويظهر من سياقة هولاء نسبهم ان فضلا هذا هو جدهم لانهم ينسبونه فضل بن ربيعة بن على بن مفرج وهو عند الاخرين فضل بن ربيعة بن الجراح فلعل هولاء نسبوا ربيعة الى مفرج الذى هو كبير بنى الجراح لطول العهد وقلة المحافظة على مثل هذا من البادية الغفل واما نسبة هذا الحى من

ال فضل بن ربيعة بن فلاح بن مفرج فى طئ فبعضهم يقول ان الرياسة فى طئ كانت لاياس بن قبيصة من بنى هُنا بن عمرو بن الغوث بن طئ واياس هو الذى ملكه كسرى على الحيرة بعد ال المنذر عند ما قتل النعمان ابن المنذر وهو الذى صالح خالد بن الوليد عن الحيرة على الجزية ولم تزل الرياسة على طئ فى بنى قبيصة هولاء صدرا من دولة الاسلام فلعل بنى الجراح وال فضل هولاء من اعقابهم وان كان انقرض اعقابهم فهم من اقرب الحى اليهم لان الرياسة على الاحياء والشعوب انما يتصل فى اهل العصبية والنسب كما مر اول الكتاب وقال ابن حزم عند ما ذكر انساب طئ انهم لما خرجوا من اليمن مع بنى اسد نزلوا جبلى اجاء وسلمى واوطنوهما وما بينهما ونزل بنو اسد ما بينهم وبين العراق وفصل كثير منهم وهم بنو خارجة بن سعد بن قطرم (1) ويقال لهم جديلة نسبة الى امهم وتيم الله وحبيش والاسعد اخوتهم رحلوا عن الجبلين فى حرب الفساد فلحقوا بحلب وحاضر طئ واوطنوا تلك البلاد الا بنى رومان بن جندب بن خارجة بن سعد فانهم اقاموا بالجبلين فكان يقال لاهل الجبلين الجبليون ولاهل حلب وحاضر طئ من بنى خارجة السهليون انتهى فلعل هذه الاحياء الذين بالشام من بنى الجراح وال فضل من بنى خارجة هولاء الذين ذكر ابن حزم انهم انتقلوا الى حلب وحاضر طئ لان هذا الموطن اقرب الى مواطنهم لهذا العهد والى مواطن بنى الجراح بفلسطين من جبلى اجاء وسلمى الذى هو موضع الاخرين فالله اعلم اى ذلك يصح من انسابهم وتحت خفارتهم بنو حى الفرات من كلاب بن ربيعة بن عامر دخلوا مع قبائل عامر بن صعصعة من نجد الى الجزيرة ولما افترق بنو عامر على الممالك الاسلامية اختص هولاء بنواحى حلب وملكها منهم بنو صالح بن مرداس من بنى عمرو بن كلاب ثم تلاشى ملكهم ورجعوا عنها الى الاحياء

(1) Le ms. B porte : قطرة

واقاموا بالفرات تحت خفارة هولاء الامراء من طئ واما ترتيب رياستهم على
العرب بالشام والعراق منذ دولة بنى ايوب ايام العادل والى هذا العهد وهو
اخر ست وتسعين وسبعماية فقد ذكرنا ذلك فى دولة الترك ملوك مصر
والشام وذكرناهم واحدا بعد واحد على ترتيبهم ولنعد ذكرهم هاهنا على ذلك
الترتيب فنقول كان الامير لعهد بنى ايوب عيسى بن محمد بن ربيعة ايام
العادل كما كان بعده حسام الدين مانع بن حديثة بن غضية بن فضل
وفى سنة ثلاثين وستماية وولى عليهم بعده ابنه مهنا ولما ارتجع قطز ثالث
ملوك الترك بمصر الشام من ايدى الططر وهزم عساكرهم بعين جالوت
اقطع سلمية لمهنا بن مانع وانتزعها من عمل المنصور بن مظفر بن شاهنشاه
صاحب حماة ولم اقف على تاريخ وفاة مهنا ثم ولى الظاهر على احياء العرب
بالشام عند ما استفحل ملك الترك وسار الى دمشق لتشييع الخليفة الحاكم
عم المستعصم الى بغداد فولى على العرب عيسى بن مهنا بن مانع ووفر له
الاقطاعات على حفظ السابلة وحبس ابن عمه زامل بن على بن ربيعة من ال
على بسعايته واغرائه ولم يزل اميرا على احياء العرب وصلحوا فى ايامه لانه
خالف اباه فى الشدة عليهم وهرب اليه سنقر الاشقر سنة تسع وسبعين
وكاتبوا ابغا واستحثوه لملك الشام وتوفى عيسى بن مهنا سنة اربع وثمانين
فولى المنصور قلاوون بعده ابنه مهنا ثم سار الاشرف بن قلاوون الى الشام ونزل
حمص ووفد عليه مهنا بن عيسى فى جماعة من قومه فقبض عليه وعلى
ابنه موسى واخويه محمد وفضل ابنى عيسى بن مهنا وبعث بهم الى مصر
فحبسوا بها حتى افرج عنهم العادل كتبغا عند ما جلس على التخت سنة
اربع وتسعين ورجع الى امارته ثم كان له فى ايام الناصر نفرة واستقامة
وميل الى ملوك الططر بالعراق ولم يحضر شيئا من وقائع غازان ولما انتقض قرا
سنقر واقوش الافرم واصحابهما سنى عشر وسبعماية لحقوا به وساروا من عنده

الى خربندا واستوحش هو من السلطان واقام فى احيائه منقبضا عن الوفادة ووفد اخوه فضل سنة ثنتى عشرة فرعى له حق وفادته وولاه على العرب مكان اخيه مهنا وبقى مهنا مشردا ثم لحق سنة ست عشرة بخربندا ملك الططر فاكرمه واقطعه بالعراق وهلك خربندا فى تلك السنة فرجع مهنا الى احيائه واوفد ابنه احمد وموسى واخاه محمد بن عيسى مستعتبين للناصر ومتطارحين عليه فكرم وفادتهم وانزلهم بالقصر الابلق وشملهم بالاحسان واعتب مهنا ورده على امارته واقطاعه وذلك سنة سبع عشرة وحج هذه السنة ابنه عيسى واخوه محمد وجماعة من ال فضل فى اثنى عشر الف راحلة ثم رجع مهنا الى دينه فى ممالاة الططر والاجلاب على الشام واتصل ذلك منه فنقم السلطان عليه وسخط قومه اجمع وتقدم الى نواب الشام سنة عشرين بعد مرجعه من الحج بطرد ال فضل عن البلاد وادال منهم بال على عديلة نسبهم وولى منهم على احياء العرب محمد بن ابى بكر وصرف اقطاع مهنا وولده الى محمد وولده فاقام مهنا على ذلك مدة ثم وفد سنة احدى وثلاثين مع الافضل بن المويد صاحب حماة متوسلا به ومتطارحا على السلطان فاقبل عليه ورد عليه اقطاعه وامارته وذكر لى بعض كبار الامراء بمصر ممن ادرك وفادته او حُدث بها انه تجافى فى هذه الوفادة عن قبول شىء من السلطان حتى انه ساق عدة من النياق المحلوبة والغذاء بها وانه لم يغش باب احد من ارباب الدولة ولا سال منهم شيئا من حاجاته ثم رجع الى احيائه وتوفى سنة اربع وثلاثين فولى ابنه مظفر الدين موسى وتوفى سنة ثنتين واربعين عقب مهلك الناصر وولى مكانه اخوه سليمان ثم هلك سليمان سنة ثلاث واربعين فولى مكانه شرف الدين عيسى ابن عمه فضل بن عيسى ثم توفى سنة اربع واربعين بالقريتين ودفن عند قبر خالد بن الوليد وولى مكانه اخوه سيف بن فضل ثم عزله السلطان بمصر الكامل بن الناصر

سنة ست واربعين وولى مكانه احمد بن مهنا بن عيسى ثم جمع سيف بن
فضل ولقيه فياض بن مهنا وانهزم سيف ثم ولى السلطان حسن الناصر فى
دولته الاولى وهو فى كفالة بيبغاروس احمد بن مهنا فسكنت الفتنة بينهم ثم
توفى سنة تسع واربعين فولى مكانه اخوه فياض وهلك سنة ثنتين وستين
فولى مكانه اخوه خيار بن مهنا ولاه حسن الناصر فى دولته الثانية ثم انتقض
سنة خمس وستين واقام سنتين بالقفر عاصيا الى ان شفع فيه نائب حماة فاعيد
الى امارته ثم انتقض سنة سبعين فولى السلطان الاشرف مكانه ابن عمه
زامل بن موسى بن عيسى وجاء الى نواحى حلب واجتمع اليه بنو كلاب
وغيرهم وعاثوا فى البلاد وعلى حلب يومئذ قشتمر المنصورى فبرز اليهم وانتهى
الى مخيمهم واستاق نعمهم وتخطى الى الخيام فاستماتوا دونها وهزموا عساكره
وقتل قشتمر وابنه فى المعركة تولى نعير قتله بيده وذهب الى القفر
منتقضا فولى الاشرف مكانه ابن عمه معيقل بن فضل بن عيسى ثم بعث
معيقل حاجبه سنة احدى وسبعين يستامن لخيار فامنه ثم وفد خيار
ابن مهنا سنة خمس وسبعين فرضى عنه السلطان واعاده الى امارته ثم
توفى سنة سبع وسبعين فولى اخوه قارة الى ان هلك سنة احدى وثمانين
فولى بعده معيقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن عيسى بن
مهنا شريكين فى امارتهما ثم عزلا لسنتهما وولى نعير بن خيار بن مهنا
واسمه محمد وهو لهذا العهد امير على ال فضل وجميع احياء طئ بالشام
والسلطان الظاهر لعهده يزاحمه متى سخطه بمحمد ابن عمه قارا ثم اتصل
انتقاضه على السلطان وخلافه وظهر السلطان على موالاة محمد بن قارا
فسخطه وولى مكانه ابن عمهما موسى بن عساف بن مهنا فقام بامر
العرب وبقى نعير منتبذا بالقفر وعجز عن الميرة فقل تابعه واختلت احواله
وهو على ذلك لهذا العهد والله ولى الامور

ولنرجع الى من بقى من شعوب هذه الطبقة فنقول كان بنو عامر بن صعصعة كلهم بنجد فبنو كلاب فى حماصرية والربدة من جهات المدينة وكعب بن ربيعة فيما بين تهامة المدينة وارض الشام وبنو هلال بن عامر فى بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان ونمير بن عامر معهم وجشم محسوبون منهم من نجد وانتقلوا كلهم فى الاسلام الى الجزيرة الفراتية فملك نمير حران ونواحيها واقام بنو هلال بالشام الى ان ظعنوا الى المغرب كما نذكره فى خبرهم وبقى منهم بقية بجبل بنى هلال المشهور بهم الذى فيه قلعة صرخد واكثرهم اليوم يعنون بالفلح وبنو كلاب بن ربيعة ملكوا ارض حلب ومدينتها كما ذكرناه وبنو كعب بن ربيعة دخلت الى الشام منهم قبائل عقيل وقشير والحريش وجعدة فانقرض الثلاثة فى دولة الاسلام ولم يبق الا عقيل وذكر ابن حزم ان عددهم يفى عدد جميع مضر فملك منهم الموصل بنو المقلد بعد بنى حمدان وتغلب واستولوا عليها وعلى نواحيها وعلى حلب معها ثم انقرض ملكهم ورجعوا الى البادية وورثوا مواطن العرب فى كل جهة فمنهم بنو المنتفق بن عامر بن عقيل وكان بنو عامر بن عقيل فى ارض تيماء من نجد وهم الان بجهات البصرة فى الآجام التى بينها وبين الكوفة المعروفة بالبطائح والامارة منهم فى بنى معروف وبالمغرب من بنى المنتفق احياء دخلوا مع هلال بن عامر يعرفون بالخلط ومواطنهم بالمغرب الاقصى ما بين فاس ومراكش وقال الجرجانى ان بنى المنتفق كلهم يعرفون بالخلط ويليهم فى جنوب البصرة اخوتهم بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر وعوف اخو المنتفق قد غلبوا على البحرين وعمان وملكوها من يد ابى الحسين الاصغر من تغلب وكانت هذه المواطن للازد وبنى تميم وعبد قيس فورث هولاء ارضهم فيها وديارهم قال ابن سعيد ملكوا ايضا ارض اليمامة من بنى كلاب وكان ملوكهم فيها لعهد الخمسين والستماية بنو عصفور وكان من بنى عقيل

خفاجة بن عمرو بن عقيل كان انتقالهم الى العراق فاقاموا به وملكوا ضواحيه وكانت لهم مقامات وذكر وهم اصحاب صولة وكثرة وهم الان ما بين دجلة والفرات ومن عقيل هولاء بنو عبادة بن عقيل وهم الاخائل لان عبادة كان يعرف بالاخيل وهم لهذا العهد بالعراق مع بنى المنتفق وفى البطائح التى بين البصرة والكوفة وواسط والامارة فيهم على ما يبلغنا لرجل اسمه قيان ابن صالح وهو فى عدد ومنعة وما ادرى هو من بنى معروف امراء البطائح بنى المنتفق او من عبادة الاخائل هذه احوال بنى عامر بن صعصعة واستيلائهم على مواطن العرب من كهلان وربيعة ومضر فاما بنو كهلان فلم يبق لهم احياء فيما نسمع واما ربيعة فاجازوا بلاد فارس وكرمان فهم ينجعون هنالك ما بين كرمان وخراسان وبقيت بالعراق منهم بقية ينزلون البطائح وانتسب الى الكوفة منهم بنو مياح ومعهم لفائف من الاوس والخزرج فامير ربيعة اسمه الشيخ ولى وعلى الاوس والخزرج طاهر بن خضر منهم هذه شعوب الطبقة الثالثة من العرب لهذا العهد فى ديار المشرق بما ادى اليه الامكان والاجتهاد ونحن الان نذكر شعوبهم الذين انتقلوا الى المغرب فان امة العرب لم يكن لهم قط المام بالمغرب لا فى جاهلية ولا فى اسلام لان امة البربر الذين كانوا به كانوا يمانعون عنه الامم وقد غزاه افريقس بن صيفى الذى سميت به الافريقية من ملوك التبابعة وملكها ثم رجع عنها وترك بها كتامة وصنهاجة من قبائل حمير فاستحالت صبغتهم الى البربر واندرجوا فى عدادهم وذهب ملك العرب منها ثم جاءت الملة الاسلامية وظهر العرب على سائر الامم بظهور الدين فسارت عساكرهم فى المغرب وافتتحوا سائر امصاره ومدنه وعانوا من حروب البربر شدة وقد تقدم لنا ما ذكره ابن ابى زيد (1) من انهم ارتدوا اثنتى عشرة مرة ثم رسخ فيهم الاسلام ولم يسكنوا فى جهاته بالخيام ولا نزلوه احياء لان

(1) Les mss. portent زيد, mais la vraie leçon paraît être يزيد

الملك الذى حصل لهم يمنعهم من سكنى الضاحية ويعدل بهم الى المدن والامصار فلهذا قلنا ان العرب لم يوطنوا بلاد المغرب ثم انهم دخلوا اليه فى منتصف الماية الخامسة واوطنوه وافترقوا باحيائهم وحللهم فى جهاته كما نذكر الان ونستوعب اسبابه ان شاء الله

الخبر عن دخول العرب من بنى هلال وسُليم المغرب من الطبقة الرابعة واخبارهم هنالك

كانت بطون هلال وسليم من مضر لم يزالوا بادين منذ الدولة العباسية وكانوا احياء ناجعة بمجالاتهم من قفل الحجاز بنجد فبنو سليم مما يلى المدينة وبنو هلال فى جبل غزوان عند الطائف وربما كانوا يطرقون رحلة الشتاء والصيف اطراف العراق والشام فيغيرون على الضواحى ويفسدون السابلة ويقطعون على الرفاق وربما اغار بنو سليم على الحاج ايام الموسم بمكة وايام الزيارة بالمدينة وما زالت البعوث تجهز والكتائب تكتب من باب الخلافة ببغداد للايقاع بهم وصون الحاج عن معرات هجومهم ثم تحيز بنو سليم والكثير من ربيعة بن عامر الى القرامطة عند ظهورهم وصاروا جندا لهم بالبحرين وعمان ولما تغلب الشيعة بنو عبيد الله المهدى على مصر والشام وكان القرامطة قد تغلبوا على امصار الشام فانتزعها العزيز منهم وغلبهم عليها وردهم على اعقابهم الى قرارهم بالبحرين ونقل اشياعهم من العرب من بنى هلال وسليم فانزلهم بالصيعد وفى العدوة الشرقية من بحر النيل فاقاموا هنالك وكان لهم اضرار بالبلاد ولما انساق ملك صنهاجة بالقيروان الى المعز بن باديس بن المنصور سنة ثمان واربعماية وقلده الظاهر لدين الله على بن الحاكم بامر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد امير افريقية

على عادة ابائه كما نذكر ذلك بعد وكان لعهد ولايته غلاما يفعة ابن ثمانى سنين فلم يكن مجربا للامور ولا بصيرا بالسياسة وكانت فيه عزة وانفة ثم هلك الظافر سنة سبع وعشرين وولى ابنه المستنصر بالله معد الطويل امد الخلافة بما لم ينله احد من خلفاء الاسلام يقال ولى خمسا وسبعين وقيل خمسا وستين والصحيح ثلاث وسبعون لان مهلكه كان على راس المائة الخامسة وكان فى المعز بن باديس صاغية الى مذاهب اهل السنة وربما كانت شواهدها تظهر عليه وكبا به فرسه لاول ولايته فى بعض مذاهبه فنادى مستغيثا بالشيخين ابى بكر وعمر وسمعته العامة فثاروا بالرافضة وقتلوهم واعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الايمان وقطعوا من الاذان حى على خير العمل واغضى له الظاهر عن ذلك وابنه معد المستنصر من بعده واعتذر بالعامة فقبل واستمر على اقامة الدعوة والمهاداة وهو فى اثناء ذلك يكاتب وزيرهما وصاحب دولتهما المضطلع بامورهما ابا القاسم احمد بن على الجرجرائى ويستميله ويعرض ببنى عبيد وشيعتهم وكان الجرجرائى يلقب بالاقطع بما كان قطعه الحاكم لجناية ظهرت عليه فى الاعمال وانهضته السيدة ست الملك عمة المستنصر فلما ماتت استبد بالدولة سنة اربع عشرة واربعماية الى ان هلك سنة ست وثلاثين وولى الوزارة بعده ابو محمد الحسن بن على اليازورى (1) اصله من قرى فلسطين وكان ابوه ملاحا بها فلما ولى الوزارة خاطبه اهل الجهات ولم يمولوه فانف من ذلك وعظم عليه وعتب ثمال بن صالح صاحب حلب والمعز بن باديس صاحب افريقية فانحرفوا عنه وحلف المعز لينقضن طاعتهم وليحولن الدعوة الى بنى العباس وليمحون اسم بنى عبيد من منابره ولج فى ذلك وقطع اسماءهم من الطرز والرايات وبايع للقائم ابى جعفر بن القادر من خلفاء بنى العباس وخاطبه ودعا له على منابره سنة سبع وثلاثين

(1) Les quatre manuscrits portent partout اليارورى

وبعث بالبيعة الى بغداد ووصله ابو الفضل البغدادى رسولا من الخليفة بالتقليد والخلع وقرئ كتابه بجامع القيروان ونشرت الرايات السود وهدمت دار الاسماعيلية وبلغ الخبر الى المستنصر معد الخليفة بالقاهرة والى الشيعة الرافضة من كتامة وصنائع الدولة فوجموا وطلع عليهم المقيم المقعد من ذلك وارتبكوا فى امرهم وكان احياء هلال هولاء الاحياء من جشم والاثبج وزغبة ورياح وربيعة وعدى فى مجالاتهم بالصعيد كما قدمناه وقد عم ضررهم واحرق البلاد والدولة شررهم فاشار الوزير ابو محمد الحسن بن على اليازورى باصطناعهم واستقدام مشايخهم وتوليتهم اعمال افريقية وتقليدهم امرها ودفعهم الى حرب صنهاجة ليكونوا عينة نصر للشيعة وسيف دفاع عن الدولة فان صدقت المخيلة فى ظفرهم بالمعز وصنهاجة كانوا اولياء للدعوة وعمالا بتلك القاصية وارتفع عدوانهم من ساحة الخلافة وان كانت الاخرى فلها ما بعدها وامر العرب البادية اسهل من امر صنهاجة الملوك فتقبلوا رايه وشكروا هدايته وقيل ان الذى اشار بذلك وفعله وادخل العرب الى افريقية انما هو ابو القاسم الجرجرائى وليس ذلك بصحيح فبعث المستنصر وزيره عن هولاء الاحياء سنة احدى واربعين وارضخ لامرائهم فى العطا ووصل عامتهم بفرو ودينار لكل واحد واباح لهم اجازة النيل وقال لهم قد اعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجى العبد الابق لا تفتقرون ابدا وكتب اليازورى الى المغرب اما بعد فقد انفذنا اليكم خيولا فحولا وارسلنا عليها رجالا كهولا ليقضى الله امرا كان مفعولا فطمعت العرب اذذاك واجازوا النيل الى برقة ونزلوا بها وافتتحوا امصارها واستباحوها وكتبوا لاخوانهم بشرقى النيل يرغبونهم فى البلاد فاجازوا اليهم بعد ان اعطوا دينارا عن كل راس فاخذ منهم اضعاف ما اخذوه وتقارعوا على البلاد فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب وخربوا المدينة الحمراء واجدابية واسمو وسرت واقامت هيب من سليم واحلافها

رواحة وناصرة وعميرة بارض برقة وسارت قبائل دباب وعوف وزغب وجميع بطون هلال الى افريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشىء الا اتوا عليه حتى وصلوا الى افريقية سنة ثلاث واربعين وكان اول من وصل منهم امير رياح مونس بن يحيى الصنبرى فاستماله المعز واستدعاه واستخلصه لنفسه واصهر اليه وفاوضه فى استدعاء العرب من قاصية وطنه للاستغلاظ على خوارج بنى عمه بالثغر الغربى وابى عليه فاستدعاهم فعاثوا فى البلاد واظهروا الفساد فى الارض ونادوا بشعار الخليفة المستنصر وسرح اليهم العساكر من صنهاجة والاولياء فاوقعوا بها فتخمط المعز لكبره واستشاط لغضبه وتقبض على اخى مونس وعسكر بظاهر القيروان وبعث بالصريخ الى ابن عمه صاحب القلعة القائد بن حماد بن بلكين فكتب اليه كتيبة من الف فارس سرحهم اليه واستنفر ظواعن زناتة فوصل اليه المنتصر بن خزرون المغراوى فى الف فارس من قومه وكان بالبدو من افريقية مع الناجعة من زناتة وهو من اعظم ساداتهم وارتحل المعز فى اولائك النفر ومن لق لفهم من الاتباع والحشم والاولياء ومن فى ايالتهم من بقايا عرب الفتح وحشد زناتة والبربر وصمد نحوهم فى امم لا تحصى يناهز عددهم فيما يذكر ثلاثين الفا وكانت رياح وزغبة وعدى بقبلى حيدران من جهة قابس ولما تزاحف الفريقان انخزل بقية عرب الفتح وتحيزوا الى الهلاليين للعصبية القديمة وخانته زناتة وصنهاجة وكانت الهزيمة على المعز وفر بنفسه وخاصته الى القيروان وانتهب العرب جميع مخلفه من المال والمتاع والذخيرة والفساطيط والفازات وقتلوا فيها من البشر ما لا يحصى يقال ان القتلى من صنهاجة بلغوا ثلاثة الاف وثلاثماية وفى ذلك يقول على بن رزق الرياحى كلمته ويقال انها لابن شداد واولها

لقد زار وهنا من اميم خيال وايدى المطايا بالذميل عجال

ويقول فيها

وان ابن باديس لافضل مالك لعمرى ولاكن لا لديه رجال
ثلاثون الفا منهم هزمتهم ثلاثة الاف وذاك ضلال

ثم نازلوه بالقيروان وطال عليه امد الحصار وهلكت الضواحى والقرى بافساد العرب وعيثهم وانتقام السلطان منهم باتهامهم فى ولاية العرب ولجا الناس الى القيروان وكثر النهب واشتد الحصار وفر اهل القيروان الى تونس وسوسة وعم النهب والعيث بلاد افريقية ودخلت بلد الاربص وابّة سنة خمس واربعين واحاطت زغبة ورياح بالقيروان ونزل مونس قريبا من ساحة البلد وفر القرابة والاعياص من ال زيرى فولاهم مونس قابس وغيرها ثم ملكوا بلاد قسطيلية كلها وغزا عابد بن ابى الغيث منهم زناتة ومغراوة فاستباحهم ورجع واقتسمت العرب بلاد افريقية سنة ست واربعين فكان لزغبة طرابلس وما يليها ولمرداس من رياح باجة وما يليها ثم اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من قابس الى الغرب وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والاثبج وشداد والخلط وسفيان وتصرم الملك من يد المعز وتغلب عابد بن ابى الغيث على مدينة تونس وسباها وملك ابو مسعود من شيوخهم بونة صلحا وعامل المعز على خلاص نفسه وصاهر ببناته ثلاثة من امراء العرب فارس بن ابى الغيث واخاه عابد والفضل بن بوعلى المرداسى وقدم ابنه تميما الى المهدية سنة ثمان واربعين ولسنة تسع بعدها بعث الى اصهاره من العرب وتذمم بهم ولحق بالقيروان واتبعوه فركب البحر من الساحل واصبح اهل القيروان فاخبرهم ابنه المنصور بخبر ابيه فساروا بالسودان والمنصور وجاء العرب فدخلوا البلد واستباحوه واكتسحوا المكاسب وخربوا المبانى وعاثوا فى مساكنها وطمسوا من الحسن والرونق معالمها واستصفوا ما كان لال بلكين

فى قصورها وشملوا بالعيث والنهب سائر من فيها وتفرق اهلها فى الاقطار فعظمت الرزية واستشرى الداء واعضل الخطب ثم ارتحلوا الى المهدية فنازلوها وضيقوا عليها بمنع المرافق وافساد السابلة ثم حاربوا زناتة من بعد صنهاجة وغلبوهم على الضواحى واتصلت الفتنة بينهم واغزام صاحب تلمسان من اعقاب محمد بن خزر جيوشه مع وزيره ابى سعدى خليفة اليفرنى فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة واضطرب امر افريقية وخرب عمرانها وفسدت سابلتها وكانت رياسة الظواعن من زناتة والبربر لبنى يفرن ومغراوة وبنى ومانوا وبنى يلومان ولم يزل هذا داب العرب وزناتة حتى غلبوا صنهاجة وزناتة على ضواحى افريقية والزاب وغلبوا عليها صنهاجة وقهروا من بها من البربر واصاروهم عبيدا وخولا للجباية وكان فى هولاء العرب لعهد دخولهم افريقية رجالات مذكورون وكان من اشهرهم حسن بن سرحان واخوه بدر ابن سرحان وفضل بن ناهض وينسبون هولاء فى دريد من الاثبج وماضى بن مقرب وينسبونه فى قرة وسلامة بن رزق فى بنى كثير من بطون كرفة من الاثبج وشبانة بن الاحيمر واخوه صليصل وينسبونهم فى بنى عطية من كرفة وذياب بن غانم وينسبونه فى بنى ثور ومونس بن يحيى وينسبونه فى مرداس ويعنون مرداس رياح لا مرداس سليم فاحذر من الغلط فى هذا وهو من بنى صنبر بطن من بطون مرداس رياح وزيد بن زيدان وينسبونه فى الضحاك وثليجان بن عابس وينسبونه فى حمير وزيد العجاج بن فاضل ويزعمون انه مات بالحجاز قبيل دخولهم الى افريقية وفارس بن ابى الغيث وعابد (1) اخوه والفضل بن ابى على وينسبهم اهل الاخبار منهم فى مرداس والمعنى بالمرداس مرداس رياح كل هولاء مذكورون فى اشعارهم وكان ذياب بن غانم رائدهم فى دخولهم افريقية ويسمونه لذلك ابا مخيبر وشعوبهم لذلك العهد كما قلناه زغبة

(1) Le ms. B porte عايد

ورياح والاثبج وقرة وكلهم من هلال بن عامر وربما ذكر فيهم بنو عدى ولم نقف على اخبارهم وليس لهم لهذا العهد حى معروف فلعلهم دثروا وتلاشوا وافترقوا فى القبائل وكذلك ذكر فيهم ربيعة ولم نعرفهم لهذا العهد الا ان يكونوا هم المعقل كما تراه فى نسبهم وكان فيهم من غير هلال لفائف كثيرة من فزارة واشجع من بطون غطفان وجشم بن معوية بن بكر بن هوازن وسلول ابن مرة بن صعصعة بن معوية والمعقل من بطون اليمنية وعترة بن اسد ابن ربيعة بن نزار وبنى ثور بن معوية بن عبادة بن ربيعة البكا بن عامر ابن صعصعة وعدوان بن عمر بن قيس بن غيلان وطرود بطن من فهم بن قيس الا انهم كلهم مندرجون فى هلال وفى الاثبج منهم خصوصا لان الرياسة كانت عند دخولهم للاثبج من هلال فاندخلوا فيهم وصاروا مندرجين فى جملتهم وقرة من هولاء الهلاليين لم يكونوا من الذين اجازوا النيل لعهد اليازورى او الجرجرائى وانما كانوا من قبل ذلك ببرقة ايام الحاكم العبيدى ولهم فيها اخبار ومع الصنهاجيين ببرقة والشيعة بمصر خطوب ونسبهم الى عبد مناف بن هلال كما ذكره شاعرهم فى قوله

طلبنا الغفرْ منهم وجدناه عندهم فلا عيب من عرب سجاح جهودها
وبت عنِ ذا قرةْ مناف ونسبها طراد كدانا نحن ما لا يكودها
ماتت ثلاثة آلاف قرّةْ ومن بقى مجرّحة منا تداوى كبودها

وقال اخرهم

ايا رب جِير الخلق من نابح البلا الا القبيل الحارسا لا تجيرها
وخص بها قرّةْ مناف ونسبها ديما لارياء البوادى تشيرها

فذكر نسبهم فى مناف وليس فى هلال مناف هكذا منفردا انما هو عبد مناف

والله اعلم وكان شيخهم ايام الحاكم مختار بن القاسم ولما بعث الحاكم يحيى بن على الاندلسى لصريخ فلفول بن سعيد بن خزرون بطرابلس على صنهاجة كما نذكره فى اخبار بنى خزرون اوعز اليهم بالسير معه فوصلوا الى طرابلس وجروا الهزيمة على يحيى بن على ورجعوا الى برقة وبعث عنهم فامتنعوا ثم بعث لهم بالامان ووصل وفدهم الى الاسكندرية فقتلوا عن اخرهم سنة اربع وتسعين وثلاثماية وكان عندهم معلم للقران اسمه الوليد بن هشام ينسب الى المغيرة بن عبد الرحمن من بنى امية وكان يزعم ان لديه اثارة من علم فى احتياز ملك ابائه وقبل ذلك منه البرابرة من مزاتة وزناتة ولواتة وتحدثوا بشانه فنصبه بنو قرة وبايعوه بالخلافة سنة خمس وتسعين وتغلبوا على مدينة برقة وزحف اليهم جيوش الحاكم فهزموها وقتل الوليد بن هشام قائدها من الترك ثم زحفوا به الى مصر فانهزموا ولحق الوليد بارض البجا (1) من بلاد السودان ثم اخفرت ذمته وسيق الى مصر وقتل وهدرت لبنى قرة جنايتهم هذه وعفا عنهم ولما كان سنة ثنتين واربعماية اعترضوا هدية باديس بن المنصور ملك صنهاجة من افريقية الى مصر فاخذوها وزحفوا الى برقة فغلبوا العامل عليها وفر فى البحر واستولوا على برقة ولم يزل هذا شانهم ببرقة فلما زحف اخوانهم الهلاليون من زغبة ورياح والاثبج واتباعهم الى افريقية كانوا فيمن زحف معهم وكان من شيوخهم ماضى بن مقرب المذكور فى اخبار هلال ولهولاء الهلاليين فى الحكاية عن دخولهم الى افريقية طرق فى الخبر غريبة يزعمون ان الشريف ابن هاشم كان صاحب الحجاز ويسمونه شكر بن ابى الفتوح وانه اصهر الى حسن بن سرحان فى اخته الجازية فانكحه اياها وولدت منه ولدا اسمه محمد وانه حدث بينهم وبين الشريف مغاضبة وفتنة واجمعوا على الرحلة عن نجد الى افريقية

(1) Les manuscrits B, C et D portent النجاء

وتحيلوا عليه فى استرجاع هذه الجارية فطلبته فى زيارة قومها فازارها ايام وخرج بها الى حللهم فارتحلوا به وبها وكتموا رحلتهم عنه وموهوا عليه بانهم يباكرون به للصيد والقنص ويرجعون به الى بيوتهم بعد بنائها فلا يشعر بالرحلة الى ان فارق موضع ملكه وصار الى حيث لا يملك امرها عليهم ففارقوه فرجعوه الى مكانه من مكة وبين جوانحه من حبها داء دخيل وانها من بعد ذلك كلفت به بمثل كلفه الى ان ماتت من حبه ويتناقلون من اخبارها فى ذلك ما يعفى عن خبر قيس وكثير ويردون كثيرا من اشعارهما محكمة المبانى متقفة الاطراف وفيها المطبوع والمنتحل والمصنوع لم يفقد فيها من البلاغة شىء وانما اخلوا فيها بالاعراب فقط ولا مدخل له فى البلاغة كما قررنا ذلك فى الكتاب الاول من كتابنا هذا الا ان الخاصة من اهل العلم بالمدن يزهدون فى روايتها ويستنكفون عنها لما فيها من خلل الاعراب ويحسبون ان الاعراب هو اصل البلاغة وليس كذلك وفى هذه الاشعار كثير دخلته الصنعة وفقدت فيه صحة الرواية فلذلك لا يوثق به ولو صحت روايته لكانت فيه شواهد بايامهم ووقائعهم مع زناتة وحروبهم وضبط لاسماء رجالاتهم وكثير من احوالهم لكنا لا نثق بروايتها وربما يشعر البصير بالبلاغة بالمصنوع منها ويتهمه وهذا قصارى الامر فيه وهم متفقون على الخبر عن حال هذه الجارية والشريف خلفا عن سلف وجيل عن جيل ويكاد القادح فيها والمستريب فى امرها ان يرمى عندهم بالجنون والجهل المفرط لتواترها بينهم وهذا الشريف الذى يشيرون اليه هو من الهواشم وهو شكر بن ابى الفتوح الحسن بن جعفر بن ابى هاشم محمد بن موسى بن عبد الله ابى الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن ادريس وابوه ابو الفتوح هو الذى خطب لنفسه بمكة ايام الحاكم العبيدى وبايع له بنو الجراح امراء طئ بالشام وبعثوا له فوصل الى احيائهم وبايع له كافة العرب ثم غلبتهم

عساكر الحاكم ورجع الى مكة وهلك سنة ثلاثين واربعماية وولى بعده ابنه شكر هذا وهلك سنة ثلاث وخمسين وولى ابنه محمد الذى يزعم هولاء الهلاليون انه من الجازية هذه وقد مر ذلك كله فى اخبار العلوية هكذا نسبه ابن حزم وقال ابن سعيد هو من السليمانيين من ولد محمد ابن سليمان بن داوود بن حسن بن الحسين السبط الذى بايع له ابو السرايا الشيبانى بعد ابن طباطبا وتسمى الناهض ولحق بالمدينة فاستولى على الحجاز واستقرت امارة مكة فى بيته الى ان غلبهم عليها هولاء الهواشم وما ذكره ابن حزم اصح لانهم جميعا يقولون فيه الشريف بن هاشم يميزونه بذلك عن سائر الشرفاء ولا يصح ذلك الا ان يكون هاشم او ابو هاشم جدا قرب من الحسن والحسين واما هاشم الاعلى فمشترك بين سائر الشرفاء فلا يكون مميزا لبعضهم عن بعض واخبرنى من اثق به من الهلاليين لهذا العهد انه وقف على بلاد الشريف شكر وانها بقعاء من ارض نجد مما يلى الفرات وان ولده بها لهذا العهد والله اعلم ومن مزاعمهم ان الجازية لما صاروا الى افريقية وفارقت الشريف خلفه عليها منهم ماضى بن مقرب (1) من رجالات دريد وكان المستنصر لما بعثهم الى افريقية عقد لرجالاتهم على امصارها وثغورها وقلدهم اعمالها فعقد لمونس بن يحيى المرداسى على القيروان وباجة وعقد لزغبة على طرابلس وقابس وعقد لحسن بن سرحان على قسنطينة فلما غلبوا صنهاجة على الامصار وملك كل ما عقد له سيمت الرعايا بالامصار عسفهم وعيثهم باختلاف الايدى اذ الوازع مفقود بين اهل هذا الجيل العربى مذ كانوا فثاروا بهم واخرجوهم من الامصار وصاروا الى ملك الضواحى والتغلب عليها وسوم الرعايا بالخسف فى النهب والعيث وافساد السابلة هكذا الى هلم ولما تغلبوا على صنهاجة اجمعت زناتة مدافعتهم بما كانوا املك للباس

(1) Dans les manuscrits ce nom est quelquefois écrit مغرب

والنجدة بالبداوة فحاربوهم وزحفوا اليهم من افريقية والمغرب الاوسط وجهز صاحب تلمسان من بنى خزر قائده ابا سعدى اليفرنى فكانت بينه وبينهم حروب الى ان قتلوه بنواحى الزاب وتغلبوا على الضواحى فى كل جهة وعجزت زناتة عن مدافعتهم بافريقية والزاب وصار التخم بينهم فى الضواحى جبل راشد ومصاب من بلاد المغرب الاوسط فلما استقر لهم الغلب وضعت الحرب اوزارها وصالحهم الصنهاجيون على خطة خسف فى انفرادهم بملك الضواحى دونهم وصاروا الى التضريب بينهم وظاهروا الاثبج على رياح وزغبة وحشد الناصر بن علناس صاحب القلعة لمظاهرتهم وجمع زناتة وكان فيهم المعز بن زيرى صاحب فاس من مغراوة ونزلوا الاربس جميعا ولقيتهم رياح وزغبة بسبيبة ومكر المعز بن زيرى المغراوى بالناصر وصنهاجة بدسيسة زعموا من تميم بن المعز بن باديس صاحب القيروان فجر عليهم الهزيمة واستباحت العرب وزناتة خزائن الناصر ومضاربه وقتل اخوه القاسم ونجا الى قسنطينة ورياح فى اتباعه ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخربوا جناتها واحتطبوا عروشها وعاجوا على ما هنالك من الامصار مثل طبنة والمسيلة فخربوها وانزعجوا ساكنها وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا اقفر من بلاد الجن واوحش من جوف العير وغوروا المياه واحتطبوا الشجر واظهروا فى الارض الفساد واجحروا ملوك افريقية والمغرب من صنهاجة وولاة اعمالهم فى الامصار وملكوا عليهم الضواحى يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمراصد وياخذون منهم الاتاوة على التصرف فى اوطانهم ولم يزل هذا دابهم حتى لقد هجر الناصر ابن علناس سكنى القلعة واختط بالساحل مدينة بجاية ونقل اليها ذخيرته واعدها لنزله ونزلها المنصور ابنه من بعده فرارا من ضيم هذا الجيل وفسادهم بالضواحى الى منعة الجبال وتوعر مسالكها على رواحلها واستقروا بها بعد وتركوا القلعة وكانوا يختصون الاثبج من هولاء الاحياء بالرياسة

سائر ايامهم ثم افترق جمع الاثبج وذهبت بذهاب صنهاجة دولتهم ولما غلب الموحدون سائر الدول بالمغرب فى سنى احدى واربعين وخمسماية وزحف شيخ الموحدين عبد المومن الى افريقية وفد عليه بالجزائر اميران منهم لذلك العهد ابو الخليل (1) بن كسلان امير الاثبج وحبّاس بن مشيفر من رجالات جشم فتلقاهما بالمبرة وعقد لهما على قومهما ومضى لوجه وفتح بجاية سنة تسع وخمسين ثم انتقض العرب الهلاليون واعصوصبوا على دعوة صنهاجة وكان امير رياح فيهم محرز بن زياد بن فادغ احدى بطون بنى على من رياح فلقيتهم جيوش الموحدين بسطيف وعليهم عبد الله بن عبد المومن فتواقفوا ثلاثا عقلوا فيها رواحلهم واثبتوا فى مستنقع الموت اقدامهم ثم انفض فى الرابعة جمعهم واستلحمهم الموحدون وغنموا اموالهم واسروا رجالهم وسبوا نساءهم واتبعوا ادبارهم الى تخص تبسّة ثم راجعوا من بعد ذلك بصائرهم واستكانوا لعز الموحدين وغلبهم فدخلوا فى دعوتهم وتمسكوا بطاعتهم واطلق عبد المومن اسراهم ولم يزالوا على استقامتهم وكان الموحدون يستنفرونهم فى جهادهم بالاندلس وربما بعثوا اليهم فى ذلك المخاطبات الشعرية فاجازوا مع عبد المومن ويوسف ابنه كما هو فى اخبار دولتهم ولم يزالوا على استقامتهم الى ان خرج على الدولة بنو غانية المسّوفيون امراء ميورقة اجازوا البحر فى اساطيلهم الى بجاية فكبسوها سنة احدى وثمانين وخمسماية لاول دولة المنصور وكشفوا القناع فى نقض طاعة الموحدين ودعوا العرب لها فعادت هيف الى اديانها وكانت قبائل جشم ورياح وجمهور الاثبج من هولاء الهلاليين اسرع اجابة اليها ولما تحركت جيوش الموحدين الى افريقية لكف عدوانهم تحيزت قبائل زغبة اليهم وكانوا فى جملتهم ولحق بنو غانية بقابس ومعهم كافة جشم ورياح ولحق بهم فل قومهم من مسّوفة واخوانهم لمتونة من اطراف البقاع واستمسكوا بالدعوة

(1) Le ms. D porte partout الجليل

العباسية التى كان امراؤهم بنو تاشفين بالمغرب يتمسكون بها فاقاموها فيمن اليهم من القبائل والممالك ونزلوا بقابس وطلبوا من الخليفة ببغداد المستنصر تجديد العهد لهم بذلك واوفدوا عليه كاتبهم عبد البر بن فرسان فعقد لابن غانية واذن له فى حرب الموحدين واجتمعت اليه قبائل بنى سليم بن منصور وكانوا جاءوا على اثر الهلاليين عند اجازتهم الى افريقية وظاهره على امره ذلك قراقش الارمنى ونذكر اخباره فى اخبار الميورقى واجتمع لعلى بن غانية من الملثمين والعرب والغز عساكر جمة وغلب الضواحى وافتتح بلاد الجريد وملك قفصة وتوزر ونفطة ونهض اليه المنصور من مراكش يجر امم المغرب من زناتة والمصامدة وزغبة من الهلاليين وجمهور الاثبج فاوقعوا بمقدمته بفحص عمرة من جهات قفصة ثم زحف اليهم من تونس فكانت له الكرة وفل جموعهم واتبع اثارهم الى ان شردهم الى صحارى برقة وانتزع بلاد قسطيلية وقابس وقفصة من ايديهم وراجعت قبائل جشم ورياح من الهلاليين طاعته ولاذوا بدعوته فنقلهم الى المغرب الاقصى وانزل جشم ببلاد تامسنا ورياحا ببلاد الهبط وازغار مما يلى سواحل طنجة الى سلا وكانت تخوم بلاد زناتة مذ غلبهم الهلاليون على افريقية وضواحيها ارض مصاب ما بين صحراء افريقية وصحراء المغرب الاوسط وبها قصور اتخذوها فسميت باسم من ولى خطها من شعوبهم وكان بنو بادين من زناتة وهم بنو عبد الواد وتوجين ومصاب وبنو زردال وبنو راشد اشد شيعة للموحدين منذ اول دولتهم فكانوا اقرب اليهم من اقتالهم بنى مرين وانظارهم كما ياتى بعد وكانوا يتولون من ارياف المغرب الاوسط وتلوله ما ليس يليه احد من زناتة ويجوسون خلاله فى رحلة الصيف بما لم يوذن لاحد ممن سواهم فى مثله حتى كانهم من جملة عساكر الموحدين وحاميتهم وامرهم اذ ذاك راجع الى صاحب تلمسان من سادة القرابة ونزل هذا الحى من زغبة مع بنى بادين هولاء ولما اعتزلوا اخوانهم

الهلاليين وتحيزوا الى فئتهم وصاروا جميعا قبلة المغرب الاوسط من مصاب الى جبل راشد بعد ان كانت قسمتهم الاولى بقابس وطرابلس وكانت لهم حروب مع اولاد خزرون اصحاب طرابلس وقتلوا سعيد بن خزرون فصاروا الى هذا الوطن الاخر لفتنة ابن غانية وانحرافهم عنه الى الموحدين وانعقد ما بينهم وبين بنى بادين حلف على الجوار والذب عن الاوطان وحمايتها من معرة العدو فى اهتبال غرتها وانتحاز الفرصة فيها فتعاقدوا على ذلك واجتوروا واقامت زغبة فى القفار وبنو بادين بالتلول والضواحى ثم فر مسعود ابن سلطان بن زمام امير الرياحين من بلاد الهبط ولحق ببلاد طرابلس ونزل على زغبة ودباب من قبائل بنى سليم ووصل الى قراقش برياح وحصر معه طرابلس حين افتتحها وهلك هنالك وقام بامره فى قومه ابنه محمد ولما استبد ابو محمد عبد الواحد بن ابى حفص بولاية افريقية زحف الى الميورقى ولقيه بالحمة فهزمه وقتل الكثير من قومه واسرت طائفة من قوم محمد بن مسعود منهم ابنه عبد الله وابن عمه حركات بن ابى الشيخ بن عساكر بن سلطان وشيخ من شيوخ قرة فضرب اعناقهم وفر يحيى بن غانية الى مسقطه من الصحراء واستمرت على ذلك احوال هذه القبائل من هلال وسليم واتباعها ونحن الان نذكر اخبارهم ومصائر امورهم ونعددهم فرقة فرقة ونخص منهم بالذكر من كان لهذا العهد بحيه وناجعته ونطوى ذكر من انقرض منهم ونبدا بذكر الاثبج لتقدم رياستهم ايام صنهاجة كما ذكرناه ثم نقفى بذكر جشم لانهم معدودون فيهم ثم نذكر رياحا وزغبة ثم المعقل لانهم من عداد هلال ثم ناتى بعدهم بذكر سليم لانهم جاءوا من بعدهم والله الخلاق العليم

الخبر عن الاثبج وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة

كان هولاء الاثبج من الهلاليين اوفر عددا واكثر بطونا وكان التقدم لهم في جملتهم وكان منهم الضحاك وعياض ومقدم والعاصم ولطيف ودريد وكرفة وغيرهم حسبما يظهر في نسبهم وفي دريد بطنان توبة وبختر ويقولون بزعمهم ان اثبج هو ابن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال فكرفة هو ابن اثبج وكان لهم جمع وقوة وكانوا احياء عزيزة من جملة الهلاليين الداخلين لافريقية وكانت مواطنهم جبال جبل اوراس من شرقيه ولما استقر امر الاثبج بافريقية على غلب صنهاجة على الضواحي وقعت الفتنة بينهم وذلك ان حسن بن سرحان وهو من دريد قتل شبانة بن الاحيمر من كرفة غيلة فطوت كرفة له على النت ثم ان اخته الجازية غاضبت زوجها ماضى بن مقرب من قرة ولحقت باخيها فمنعها منه فاجتمعت قرة وكرفة على فتنة حسن وقومه وظاهرتهم عياض ولم تزل الفتنة الى ان قتل حسن بن سرحان قتله اولاد شبانة وثاروا منه بابيهم ثم كان الغلب بعده لدريد على كرفة وعياض وقرة واستمرت الفتنة بين هولاء الاثابج وافترق امرهم وجاءت دولة الموحدين وهم على ذلك الشتات والفتنة وكانت لبطونهم ولاية لصنهاجة فلما ملك الموحدون افريقية نقلوا منهم الى المغرب العاصم ومقدم وقرة وتوابع لهم من جشم وانزلوا جميعهم بالمغرب كما نذكره واعتزت رياح بعدهم بافريقية وملكوا ضواحي قسنطينة ورجع اليهم شيخهم مسعود بن زمام من المغرب واعتز الدواودة على الامراء والدول وساء اثرهم فيها وغلبوا بقايا الاثبج فنزلوا قرى الزاب وقعدوا عن الظعن واوطنوا بالقرى والاطام ولما نبذ بنو ابي حفص العهد للدواودة كما ياتى في اخبارهم واستجاشوا عليهم بنى سليم وانزلوهم القيروان اصطنعوا كرفة من بطون هولاء الاثابج فكانوا حربا لرياح وشيعة للسلطان

واقطعتهم الدولة جباية الجانب الشرقى من جبل اوراس وكثير من بلاد الزاب الشرقية حيث كانت مجالاتهم الشتوية حتى اذا فشل ريح الدولة واخلفت جدتها واعتزت رياح عليها وملكوا المجالات على من يظعن فيها نزل كرفة هولاء بجبل اوراس حيث اقطاعاتهم وسكنوه حللا متفرقة واتخذوه وطنا وربما يظعن بعضهم الى تخوم الزاب كما نذكر عن بطونهم وهم بطون كثيرة فاولهم بنو محمد بن كرفة والمراونة بنوكثير بن مروان بن قطن بن كرفة وهولاء ظواعن بادية فى القفار ثم الحدلجات وهم اولاد كليب بن عطية بن قطن بن كرفة ويعرفون بالكلبة واولاد شبيب بن محمد بن كليب ويعرفون بالشببة واولاد صبح بن فاضل بن محمد بن كليب ويعرفون بالصبحة واولاد سرحان ابن فاضل ايضا ويعرفون بالسراحنة هولاء هم الحدلجة وهم موطنون بجبل اوراس مما يلى زاب تهوذا ثم اولاد نابت بن فاضل وهم اهل الرياسة فى كرفة ولهم اقطاعات السلطان التى ذكرناها وهم ثلاثة افخاذ اولاد مساعد واولاد ظافر واولاد قطيفة والرياسة اخص باولاد مساعد فى اولاد على بن جابر بن مفتاح بن مساعد بن نابت واما بنو محمد والمراونة فهم ظواعن جائلة فى القفار تلقاء مواطن اولاد نابت ويكتالون الحبوب لاقواتهم من زروع اهل الجبل واولاد نابت وربما يستعملهم صاحب الزاب فى تصاريف امره من عسكرة او اخفار عير او غير ذلك من اغراضه واما دريد فكانوا اعز الاثبج واعلاهم كعبا بما كانت الرياسة على الاثبج كلهم عند دخولهم الى افريقية لحسن بن سرحان من وبرة احدى بطونهم وكانت مواطنهم ما بين بلد العناب الى قسنطينة الى طارف مصقلة وما يحاذيها من القفر وكانت بينهم وبين كرفة الفتنة التى هلك فيها حسن بن سرحان كما ذكرناه وقبره هنالك وكانوا بطونا كثيرة منهم اولاد عطية بن دريد واولاد سرور بن دريد واولاد جار الله من ولد عبد الله بن دريد وتوبة من ولد عبد الله ايضا

وهو توبة بن عطاف بن جبر بن عطاف بن عبد الله وكانت لهم بين هلال رياسة كبيرة ومدحهم شعراؤهم بشعر كثير فمن ذلك قول بعض شعرائهم

تحنّ الى اوطان صبرة ناقتى   لكن معا جملةٌ دريد حُوارها
دريد سراة البدو للجود منقع   كما كل ارض منقع الما خيارها
وهم عربوا الاعراب حتى تعرفت   بطرق المعالى ما ينو فى قصارها
وتْركوا طريق البارمين ثنية   وقد كان ما يقوى المطايا مجارها

فاما اولاد عطية فكانت رياستهم فى بنى مبارك بن حباس وكانت لهم تلة ابن حلوف من اراضى قسنطينة ثم دثروا وتلاشوا وغلبهم توبة على تلة بن حلوف زحفوا اليها من مواطنهم بطارف مصقلة فملكوها وما اليها ثم عجزوا عن رحلة القفر وتركوا الابل واتخذوا الشاء والبقر وصاروا فى عداد القبائل الغارمة وربما طالبهم السلطان بالعسكرة معه فيعينون له جندا منهم ورياستهم فى اولاد وشاح بن عطوة بن عطية بن كمون بن فرج بن توبة وفى اولاد مبارك بن عابد بن عطية بن عطوة وهم على ذلك لهذا العهد ويجاورهم اولاد سرور واولاد جار الله على سننهم فى ذلك فاما اولاد وشاح فرياستهم لهذا العهد منقسمة بين سحيم بن كثير بن جماعة بن وشاح وبين احمد بن خليفة بن رشاش بن وشاح واما اولاد مبارك بن عابد فرياستهم ايضا منقسمة بين نجاح بن محمد بن منصور بن عبيد بن مبارك وعبد الله بن احمد بن عنان بن منصور ورثها عن عمه راجح بن عثمان بن منصور واما اولاد جار الله فرياستهم فى ولد عنان بن سلام منهم واما العاصم ومقدم والضحاك وعياض فهم اولاد مشرق بن اثبج ولطيف هو ابن حندج بن مشرق وكان لهم عدة وقوة بين الاثابج وكان العاصم ومقدم انحرفوا عن طاعة الموحدين الى ابن غانية فاشخصهم يعقوب المنصور الى المغرب

وانزلهم بتامسنا مع جشم وباتى خبرهم وبقيت عياض والضحاك بمواطنهم من افريقية فعياض نزلوا بجبل القلعة قلعة بنى حماد وملكوا قبائله وغلبوهم على امرهم وصاروا يتولون جبايتهم ولما غلبت عليهم الدولة بمظاهرة رياح صاروا الى المدافعة عن تلك الرعايا وجبايتهم للسلطان وسكنوا ذلك الجبل بطوله من المشرق الى المغرب ما بين ثنية غنية والقصاب الى وطن بنى يزيد من زغبة فاولهم مما يلى غنية المهاية ورياستهم فى اولاد ديفل ومعهم بطن منهم يقال لهم الزبير وبعدهم المرتفع والخراج من بطونهم فاما المرتفع فثلاثة بطون اولاد تبان ورياستهم فى بنى محمد بن موسى واولاد حناش ورياستهم فى بنى عبد السلام واولاد غندوس ورياستهم فى بنى صالح وتدعى اولاد حناش واولاد تبان جميعا اولاد حناش واما الخراج فرياستهم فى اولاد زائدة لبنى عباس بن حصير ويجاور الخراج من جانب المغرب اولاد صخر واولاد رحمة من بطون عياض وهم مجاورون لبنى يزيد بن زغبة فى اخر وطن الاثبج من الهلاليين واما الضحاك فكانوا بطونا كثيرة وكانت رياستهم مفترقة بين اميرين منهم وهما ابو عطية وكلب بن منيع وغلب كلب ابا عطية على رياسة قبيلهما لاول دولة الموحدين فارتحل فيما يزعمون الى المغرب وسكن صحراء سجلماسة وكانت له فيها اثار حتى قتله الموحدون او غربوه الى الاندلس هكذا ينقل اصحاب اخبارهم وبقى نجعهم بالزاب حتى غلب مسعود ابن زمام والدواودة عليهم واصاروهم فى جملتهم ثم عجزوا عن الظعن ونزلوا بلاد الزاب واتخذوا بها المدن فهم على ذلك لهذا العهد واما لطيف فهم بطون كثيرة منهم اليتامى وهم ولد كسلان بن خليفة بن لطيف بين دوى مطرف وذوى بو الخليل ودوى جلال بن معافا ومنهم اللقامنة اولاد لقمان بن خليفة بن لطيف ومنهم اولاد جرير بن علوان بن محمد بن لقمان وبراز بن معن بن محيا بن جرى بن علوان وجبر يزعمون انهم من محيا

ابن جرى ومزنة من ديفل بن محيا واليه يرجع نسب بنى مــزنى الولاة
بالزاب لهذا العهد وكانت للطيف هولاء كثرة ونجعة ثم عجزوا عن الظعن
وغلبهم على الضواحى الدواودة من بعدهم لما قل جمعهم وافتــرق ملوكهم
وصار الى المغرب من صار منهم من جمهور الاثبج فاهتضموا وغلبـــهم رياح
والدواودة فنزلوا بلاد الزاب واتخذوا بها الاطام والمدن مثل الدوسن وغريبوا
وتهودة وتنومة وبادس وهم لهذا العهد من جملة الرعايا الغارمة لامير الزاب
ولهم عنجهية منذ رياستهم القديمة لم يفارقوها وهم على ذلك لهــذا العهد
وبينهم فى قصورهم بالزاب فتن متصلة بين المتجاورين منهم وحروب وقتل
وعامل الزاب يدراء بعضا ببعض ويستوفى جبايته منهم جميعا والله خير
الوارثين ويلحق بهولاء الاثبج العمور ويغلب على الظن انــهم من عمرو بن
عبد مناف بن هلال اخوة قرة بن عبد مناف وليسوا من عــمرو بن ابى
ربيعة بن نهيك بن هلال لان رياحا وزغبة والاثبج من ابى ربيعة ولا نجد
بينهم انتماء بالجملة ونجد بينهم وبين قرة وغيرهم من بطون هلال الانتمـاء
فدل على انهم لعمرو بن عبد مناف او يكونون من عمرو بن رويبـــه بن
عبد الله بن هلال وكلهم معروف ذكره ابن الكلبى والله اعــلم بذلك وهم
بطنان مرة وعبد الله وليس لهم رياسة على احد من هلال ولا ناجعة تظعن
لقلتهم وافتراق ملائهم انما هم ساكنون بالضواحى والجبال وفيهم الفرســان
واكثرهم رجل وموطنهم ما بين جبل اوراس شرقا الى جبل راشد وكسال كل
ذلك من ناحية الحضنة والصحراء واما التلول فهم مدفوعون عنهــا بقلتهم
وخوفهم من حامية الدول فتجدهم اقرب الى مواطن القفر والجدب فاما بنو قرة
منهم فبطن متسع الا انهم مفترقون فى القبائل والمدن وحدانا وبنــو عبد
الله منهم محل رياسة فيهم وهم عبد الله بن على وبنوه محمد وماضى بطنان
وولد محمد عنان وعزيز بطنان وولد عنان شكر وفارس بطنان ومن ولد شكر

اولاد محيا بن سعيد بن سبيط بن شكر بطن واولاد زكرير بن صبيح بن شكر بطن ايضا فاما اولاد فارس واولاد عزيز واولاد ماضى فموطنهم بسفح جبل اوراس المطل على بسكرة قاعدة الزاب متصلين كذلك غربا الى مواطن غمرة وهم فى جوار رياح وتحت ايديهم وخول لاولاد محمد خصوصا من الدواودة المتولين موطنهم بالمجال ولصاحب الزاب عليهم طاعة لقرب جواره وحاجتهم الى سلطانه فيصرفهم لذلك فى حاجاته متى عنت من اخفار العير ومنازلة مدن الزاب مع رجلة وغير ذلك واما اولاد شكر وهم اكبر رياسة فيهم فنزلوا جبل راشد وكانوا فريقين وافتتنوا واحتربوا وغلب اولاد محيا بن سعيد منهم اولاد زكرير ودفعوهم عن جبل راشد فصاروا الى جبل كسال محاذيه من ناحية الغرب واوطنوه واتصلت فتنتهم معهم على الايام واقتسمتهم رجال زغبة باقتسام المواطن فصار اولاد محيا اهل جبل راشد فى ايالة سويد من زغبة واحلافا لهم واولاد زكرير اهل جبل كسال فى ايالة بنى عامر واحلافا لهم وربما يقتسمون بادية زغبة من النضر احلافا لهم فى فتنهم كما نذكر فى اخبار زغبة وكان شيخ اولاد محيا فيما قرب من عهدنا عامر بن بو يحيى بن محيا وكان له فيهم ذكر وشهرة وكان ينتحل العبادة وحج ولقى بمصر شيخ الصوفية لعصره يوسف الكورانى واخذ عنه ولقن طرق هدايته ورجع الى قومه وحملهم على طريقه ونحلته فاتبعه الكثير منهم وغزا المفسدين من بادية النضر فى جواره وجاهدهم الى ان اغتالوه بعض الاثام فى الصيد فقتلوه وكان شيخ اولاد زكرير يغمور بن موسى بن بو زيد بن زكرير وكان يسامى عامرا ويناهضه فى شرفه الا ان عامرا كان اسود منه لنحله العبادة والله مصرف الخلق والامر

الخبر عن جشم الموطنين بسائط المغرب وبطونهم من هذه الطبقة

هولاء الاحياء بالمغرب الهذا العهد فيهم بطون من قرة والعاصم ومقدم والاثبج وجشم والخلط وغلب عليهم جميعا اسم جشم فعرفوا به وهم جشم بن معوية بن بكر بن هوازن وكان اصل دخولهم الى المغرب ان الموحدين لما غلبوا على افريقية اذعنت لهم هولاء القبائل من العرب طوعا وكراهية ثم كانت فتنة ابن غانية فاجلبوا فيها وانحرفوا عن الموحدين ثم راجعوا الطاعة لعهد المنصور فنقل جمهور هولاء القبائل الى المغرب ممن له كثرة وشوكة وظواعن ناجعة فنقل العاصم ومقدم من بطون الاثبج ومعهم بطون ونقل جشم هولاء الذين غلب اسمهم على من معهم من الاحياء وانزلهم تامسنا ونقل رياحا وانزلهم الهبط فنزل جشم بتامسنا البسيط الافيح ما بين سلا ومراكش اوسط بلاد المغرب الاقصى وابعدها عن الثنايا المفضية الى القفار لاحاطة جبل درن بها وشموخه بانفه حذاءها ووشوج اعراقه حجرا عليها فلم ينتجعوا عدها قفرا ولا ابعدوا رحلة واقاموا بها حيا حلولا وافترقت شعوبهم بالمغرب الى الخلط وسفيان وبنى جابر وكانت الرياسة لسفيان من بينهم فى اولاد جرمون سائر ايام الموحدين ولما وهن امر بنى عبد المومن وفشل ريحهم استكثروا بجموعهم فكانت لهم سورة غلب واعتزاز على الدولة بكثرتهم وقرب عهدهم بالبداوة وضربوا بين الاعياص وظاهروا الخلافة بمراكش وظاهروا عليها وساءت اثارهم فى البغى ولما اقتحم بنو مرين بلاد المغرب على الموحدين وملكوا فاس وقريتيها لم تكن به حامية اشد باسا منهم ومن رياح لقرب العهد بالبداوة كما قلناه فكانت لهم معهم وقائع وحروب استلحمهم فيها بنو مرين الى ان حق الغلب واستكانوا لعز بنى مرين وصولتهم واعطوهم صفقة الطاعة واصهر بنو مرين الى الخلط منهم فى بيت

بنى مهلهل بعد ان كانت على عهد الموحدين فى سفيان ثم ضربت الايام ضرباتها واخلفت جدتهم وفشل ريحهم ونسوا عهد البداوة والناجعة وصاروا فى عداد القبائل الغارمة للجباية والعسكرة مع السلطان ولنذكر الآن فرقهم الاربع واخبار كل واحدة منها ونحقق الكلام فى انسابهم فليست راجعة الى جشم على ما يتبين ولكن الشهرة بهذا النسب متصلة والله اعلم بحقائق الامور ۞ سفيان من جشم هذه القبائل معدودة فى جشم وجشم المعهود هو جشم ابن معوية بن بكر بن هوازن او لعله جشم اخر من غيرها وكان شيخهم المشهور لعهد المامون وبنيه جرمون بن عيسى ونسبه فيما يزعم بعض المورخين لايام الموحدين فى بنى قرة وكان بينهم وبين الخلط فتن طويلة وكان الخلط شيعة للمامون وبنيه فصار سفيان لذلك شيعة ليحيى بن الناصر منازعه فى الخلافة بمراكش ثم قتل الرشيد مسعود بن حميدان شيخ الخلط كما نذكر بعد فصاروا الى يحيى بن الناصر وصارت سفيان الى الرشيد ثم ظهر بنو مرين بالمغرب واتصلت حروبهم مع الموحدين ونزع جرمون سنة ثمان وثلاثين عن الرشيد ولحق بمحمد بن عبد الحق امير بنى مرين حياء مما وقع له معه وذلك انه ذات ليلة نادمه حتى سكر وحمل عليه وهو سكران ان يرقص فرقص طربا ثم افاق فندم وفر الى محمد بن عبد الحق وكان ذلك سنة ثمان وثلاثين وستماية وهلك سنة تسع وثلاثين بعدها وعلا كعب كانون ابنه من بعده عند السعيد وخالف عليه عند نهوضه الى بنى مرين سنة ثلاث واربعين ورجع الى ازمّور فملكها وفت ذلك فى عضد السعيد فرجع عن حركته وقصد كانون بن جرمون ففر امامه وحضر حركته الى تامَزْدَكْت وقتل قبل مهلكه بيوم قتله الخلط فى فتنة وقعت بينهم بمحلة السعيد وهى التى جرت عليه تلك الواقعة وقام بامر سفيان من بعده اخوه يعقوب بن جرمون وقتل محمد ابن اخيه كانون وقام بامر

سفيان وحضر مع المرتضى حركة أمان ايملولين سنة تسع واربعين فرحل
عن السلطان واختل عسكره ورجع فاتبعه بنو مرين وكانت الهزيمة ثم
راجع المرتضى وعفا له عنها ثم قتله سنة تسع وخمسين مسعود وعلى ابنا
اخيه كانون بثار ابيهما ولحقا بيعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين وقدم
المرتضى ابنه عبد الرحمن فعجز عن القيام بامره فقدم عمه عبيد الله بن
جرمون فعجز فقدم مسعود بن كانون ولحق عبد الرحمن ببنى مرين ثم
تقبض المرتضى على يعقوب بن قيطون شيخ جابر وقدم عوضا منه يعقوب
ابن كانون السفيانى ثم راجع عبد الرحمن بن يعقوب سنة اربع وخمسين
فتقبض عليه واعتقل واقام مسعود بن كانون شيخا على سفيان وكان
لابنى عمه معه ظهور وهما حطوش وعيسى ابنا يعقوب بن جرمون ونزع
مسعود عن يعقوب بن عبد الحق ولحق بهسكورة وشب نار الفتنة والحرب
واقيم حطوش بن يعقوب مقامه الى ان هلك سنة تسع وستين فولى مكانه
اخوه عيسى وهلك مسعود بهسكورة سنة ثمانين ولحق ابنه منصور بن
مسعود بالسكسيوى الى ان راجع الخدمة ايام يوسف بن يعقوب ووفد عليه
بمعسكره من حصار تلمسان سنة ست وسبعماية فتقبله واتصلت الرياسة
على سفيان فى بنى جرمون هولاء الى عهدنا وادركت شيخا عليهم لعهد
السلطان ابى عنان يعقوب بن على بن منصور بن عيسى بن يعقوب بن
جرمون بن عيسى وكان سفيان هولاء حيا حلولا باطراف تامسنا مما يلى
انفى وملك بسائطها الفسيحة عليهم الخلط وبقى من احيائهم الحرث والكلابية
ينتجعون ارض السوس وقفاره ويطئون ضواحى بلاد حاحة من المصامدة
فبقيت فيهم لذلك باس وشدة ورياستهم فى اولاد مطاع من الحارث وطال
عيثهم فى ضواحى مراكش وافسادهم فلما استبد سلطان مراكش الامير عبد
الرحمن بن بو يَفلّوسَنْ على ابن السلطان ابى على سنة ست وسبعين

وسبعماية كما نذكر استخلصهم ورفع منزلتهم واستقدمهم بعض ايامه للعرض بفرسانهم ورجلهم على العادة وشيخهم منصور بن يعيش من اولاد مطاع فتقبض عليهم اجمعين وقتل من قتل منهم واودع الاخرين سجونه فذهبت مثلا فى الايام وخضدت شوكتهم والله قادر على ما يشاء

الخلط من جشم هذا القبيل يعرفون بالخلط وهم فى عداد جشم هولاء لكن المعروف ان الخلط بنو المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر وكان بنو عُقيل بن كعب كلهم شيعة للقرامطة بالبحرين ولما ضعف امر القرامطة إستولى بنو سُليم على البحرين بدعوة الشيعة ثم غلبهم عليها بنو ابى الحسين من بطون تغلب بالدعوة العباسية فارتحل بنو سليم وبنو المنتفق هولاء المسمون بالخلط الى افريقية وبقى سائر بنى عقيل بنواحى البحرين الى ان غلب منهم على التغلبيين بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر بن عقيل اخوة الخلط هولاء لكنهم بالمغرب منسوبون الى جشم تخليطا فى النسب فمن يحققه من العوام ولما ادخلهم المنصور الى المغرب كما قلناه استقروا ببسائط تامسنا وكانوا اولى عدد وقوة وكان شيخهم هلال بن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج لا نعرف من نسبه اكثر من هذا فلما ولى العادل بن المنصور خالفوا عليه وهزموا عساكره وبعث هلال ببيعته الى المامون سنة خمس وعشرين واتبعه الموحدون فى ذلك وجاء المامون وظاهروه على امره وتحيز اعداؤهم سفيان إلى يحيى بن الناصر منازعه ولم يزل هلال مع المامون الى ان هلك فى حركة سبتة وبايع بعده لابنه الرشيد وجاء به الى مراكش وهزم سفيان واستباحهم ثم هلك هلال وولى اخوه مسعود وخالف على الرشيد عمر بن اوقاريط شيخ الهساكرة من الموحدين وكان صديقا لمسعود بن حميدان فاغراه بالخلاف على السلطان فخالف وحاول عليه الرشيد حتى قدم عليه بمراكش وقتله فى طائفة من

قومه سنة ثنتين وثلاثين وولى امر الخلط بعده يحيى ابن اخيه هلال وتحيز بقومه الى يحيى بن الناصر وحاصروا مراكش ومعهم ابن اوقاريط وخرج الرشيد الى سجلماسة واستولوا على مراكش وعاثوا فيها ثم جاء الرشيد سنة ثلاث وثلاثين وغلبهم عليها ولحق ابن اوقاريط بالاندلس وافدا على ابن هود ببيعة الخلط وعلموا انها حيلة من ابن اوقاريط وانه تخلص من الورطة فطردوا عنهم يحيى بن الناصر الى المعقل وراجعوا الرشيد فتقبض على على ووشاح ابنى هلال وسجنهم بازمّور سنة خمس وثلاثين ثم اطلقهم ثم غدر بعد ذلك بمشيختهم بعد الاستدعاء والتانيس وقتلهم جميعا مع عمر ابن اوقاريط كان اهل اشبيلية بعثوا به اليه ثم حضروا مع السعيد فى حركته الى بنى عبد الواد وجروا عليه الواقعة التى قتل فيها بفتنتهم مع سفيان يومئذ فلم يزل المرتضى يعمل الحيلة فيهم الى ان تقبض على اشياخهم سنة ثنتين وخمسين وقتلهم ولحق عواج بن هلال ببنى مرين وقدم المرتضى عليهم على بن بو على بن بيت الرياسة فيهم ثم رجع عواج سنة اربع وخمسين واغزاه على بن بوعلى فقتل فى غزواته ثم كانت واقعة ام الرجلين على المرتضى سنة ستين فرجع على بن بو على الى بنى مرين ثم صار الخلط كلهم الى بنى مرين وكانت الرياسة فيهم لاول سلطان بنى مرين لمهلهل بن يحيى بن مقدم واصهر اليه يعقوب بن عبد الحق فانكحه ابنته التى كان منها ابنه السلطان ابو سعيد ولم يزل مهلهل عليهم الى ان هلك سنة خمس وتسعين ثم ابنه عطية وكان لعهد السلطان ابى سعيد وابنه ابى الحسن وبعثه سفيرا الى سلطان مصر الملك الناصر ولما هلك قام بامره اخوه عيسى ابن عطية ثم اخوه على بن عطية ثم ابن اخيهما زمام بن ابراهيم بن عطية وبلغ المبالغ من العز والترف والدالة على السلطان والقرب من مجلسه الى ان هلك فولى امره ابنه حمو بن ابراهيم ثم اخوه سليمان بن ابراهيم

ثم اخوهما مبارك على مثل حالهم ايام السلطان ابى عنان ومن بعده الى ان كانت الفتنة بالمغرب بعد مهلك السلطان ابى سالم واستولى على المغرب اخوه عبد العزيز واقتطع ابنه ابو الفضل ناحية مراكش فكان مبارك هذا معه ولما تقبض على ابى الفضل تقبض على مبارك واودع السجن الى ان غلب السلطان عبد العزيز على عامر بن محمد وقتله فقتل معه مبارك هذا لما كان يعرف به من صحابته ومداخلته فى الفتن كما نذكره فى اخبار بنى مرين وولى ابنه محمد على قبيل الخلط الا ان الخلط اليوم دثرت كان لم تكن بما اصابهم من الخصب والترف منذ مايتين من السنين بذلك البسيط الافيح زيادة للعز والدعة فاكلتهم السنون وذهب بهم الترف والله غالب على امره

بنو جابر بن جشم بنو جابر هولاء من عداد جشم بالمغرب وربما يقال انهم من سدراتة احدى فرق زناتة او لواتة والله اعلم بذلك وكان لهم اثر فى فتنة يحيى بن الناصر بما كانوا معه ومن احزابه ولما هلك يحيى بن ناصر سنة ثلاث وثلاثين وستماية بعث الرشيد بقتل شيخهم قائد بن عامر واخيه قائد وولى بعده يعقوب بن محمد بن قيطون ثم اعتقله يعلو قائد الموحدين بعثه المرتضى لذلك وقدم يعقوب بن جرمون السفيانى على بنى جابر واقاموا كذلك مرة ثم انتقض امر يعقوب بن جرمون وولى مشيخة بنى جابر اسماعيل بن يعقوب بن قيطون ثم تحيز بنو جابر هولاء من احياء جشم الى سفح الجبل بتادلا وما اليها يجاورون هنالك صناكة الساكنين بقنتة وهضابة من البربر فيسهلون الى البسيط تارة وياوون الى الجبل فى حلف البربر وجوارهم اخرى اذا دهمتهم مخافة من السلطان او ذى غلبة والرياسة فيهم لهذا العصور فى ورديغة من بطونهم ادركت شيخا عليهم لعهد السلطان ابى عنان حسين بن على الورديغى ثم هلك واقيم مقامه

الناصر ابنه ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوعه عن السلطان ابى سالم سنة ستين وسبعماية ونهضت اليهم عساكر السلطان فامكنوا منه ثم لحق بهم ابو الفضل بن السلطان ابى سالم عند فراره من مراكش سنة ثمان وستين ونازله السلطان عبد العزيز واحيط به فلحق ببرابرة صناكة من فوقهم ثم امكنوا منه على مال حمل اليهم ولحق بهم اثناء هذه الفتن الامير عبد الرحمن بن بويَفَلّوسن على عهد الوزير عمر بن عبد الله المتغلب على المغرب وطلبه عمر فاخرجوه عنهم وطال بذلك مراس الناصر هذا للفتنة فنكرته الدولة وتقبض عليه واودع السجن فمكث فيه سنين وتجافت الدولة عنه من بعد ذلك واطلق عقاله ثم حج ورجع من المشرق فتقبض عليه الوزير ابو بكر بن غازى المستبد بالمغرب على ابن السلطان عبد العزيز واودعه السجن ونقلوا الرياسة عن بنى على هولاء والله يقلب الليل والنهار وقد يزعم كثير من الناس ان ورديغة من بنى جابر ليسوا من جشم وانهم بطن من بطون سدراتة احدى شعوب لواتة من البربر ويستدلون على ذلك بمواطنهم وجوارهم للبربر والله اعلم بحقيقة ذلك

العاصم ومقدّم من الاثبج هولاء الاحياء من الاثبج كما ذكرنا فى انسابهم ونزلوا تامسنا معهم وكانت لهم عزة وغلب الا ان جشم اعز منهم لمكان الكثرة وكان موطنهم ببسيط تامسنا وكانت للسلطان عليهم عسكرة وجباية شان اخوانهم من جشم وكان شيخ العاصم لعهد الموحدين ثم عهد المامون منهم حسن بن زيد وكان له اثر فى فتنة يحيى بن الناصر ولما هلك سنة ثلاث وثلاثين امر الرشيد بقتل حسن بن زيد مع قائد وفائد ابنى عامر شيوخ بنى جابر فقتلوا جميعا ثم صارت الرياسة لابى عياد وبنيه وكان منهم لعهد بنى مرين عيّاد بن ابى عياد وكان له تقلب فى النفرة والاستقامة فر الى تلمسان ورجع منها اعوام تسعين وستماية وفر الى السوس ورجع

سنة سبع وسبعماية ولم يزل دابه هذا وكانت له ولابيه مع يعقوب بن عبد الحق قبل ذلك مقامات فى الجهاد مذكورة وبقيت رياسته فى بنيه الى ان انقرض امرهم وامر مقدم ودثروا وتلاشوا والله خير الوارثين

الخبر عن رياح وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة

كان هذا القبيل من اعز قبائل هلال واكثرهم جمعا عند دخولهم افريقيـــة وهم فيما ذكره ابن الكلبى بنو رياح بن ابى ربيعة بن نهيك بن هـلال بن عامر وكانت رياستهم حينئـــذ لمونس بن يحيى الصنبرى من بطون مرداس ابن رياح وكان من رجالاتهم لذلك العهد الفضـل بن بوعلى مذكـــور فى حروبهم مع صنهاجة وكانت بطونهم عمرو ومرداس وعلى كلهم بنو رياح وسعيد ابن رياح وخضر بن عامر بن رياح وهم الاخضر ولمرداس بطون كثيرة دوّاد (1) ابن مرداس وصنبر بن حواز بن عقيل بن مرداس واخوتهم مسلم بن عقيل ومن اولاد عامر بن يزيد بن مرداس بطون اخرى منهم بنو موسى بن عامر وجبر بن عامر وقد يقال انهم من لطيف كما قدمنا وسودان ومشهور ومعاو بنو محمد بن عامر بطون ثلاثة واسم سودان على بن محمد وقد يقال ايضا ان المشاهرة وهم بنو مشهور من هلال بن عامر من غير رياح والله اعلم والرياسة على رياح فى هذه البطون كلها لمرداس وكانت عند دخولهم افريقية فى صنبر منهم ثم صارت للدواودة ابناء دواد بن مرداس بن رياح ويزعم بنو عمرو بن رياح ان اباهم كفله ورباه وكان رئيسهم لعهد الموحدين مسعود بن سلطان ابن زمام بن ردينى بن دواد وكان يلقب البلط لشدته وصلابته ولما نقل

(1) Le nom propre دواد et son pluriel دواودة s'écrivent quelquefois avec un point sur le premier *dal*. Cette dernière orthographe est probablement la bonne.

المنصور رياحا الى المغرب تخلف عساكر اخو مسعود فى جماعات منهم لما بلاه السلطان من طاعته وانحياشه وانزل مسعودا وقومه ببلاد الهبط ما بين قصور كتامة المعروف بالقصر الكبير الى ازغار البسيط الفسيح هنالك الى ساحل البحر الاخضر واستقروا هنالك وفر مسعود بن زمام من بينهم فى لمة من قومه سنى تسعين وخمساية ولحق بافريقية واجتمع اليه بنو عساكر اخيه ولحقوا بطرابلس ونزلوا على زغب ودباب يتقلبون بينهم ثم نزع الى خدمة قراقس وحضر معه بقومه فتح طرابلس كما نذكره فى اخبار قراقش ثم رجع الى ابن غانية الميورقى ولم يزل فى خلافه ذلك الى ان هلك وقام بامره من بعده ابنه محمد وكانت له رياسة وعنا فى فتنة الميورقى مع الموحدين ولما غلب ابو محمد بن ابى حفص يحيى الميورقى فى سنة ثمانى عشرة على الحمة من بلاد الجريد وقتل من العرب من قتل كان فيمن قتله ذلك يوم عبد الله بن محمد هذا وابن عمه ابو الشيخ بن حركات بن عساكر ولما هلك الشيخ ابو محمد رجع محمد بن مسعود الى افريقية وغلب عليها واجتمع اليه مخلف الاثبج طواعن من الضحاك ولطيف فكاثروه واعتزوا به على اقتالهم من دريد وكرفة الى ان عجزت طواعن الضحاك ولطيف عن الرحلة وافترقوا فى قرى الزاب ومدره وبقى محمد بن مسعود متقلبا فى رحلته وصارت رياسة البدو بضواحى افريقية ما بين قسطيلية والزاب والقيروان والمسيلة له ولقومه ولما هلك يحيى بن غانية سنة احدى وثلاثين كما نذكره انقطع ملكهم واستغلظ سلطان ال ابى حفص واستقل منهم الامير يحيى بن عبد الواحد بخطة الخلافة عندما فسد كرسيها بمراكس وافترق اتباع يحيى ابن غانية من العرب من بنى سليم ورياح فنكر ال ابى حفص هولاء الدواودة ومكانهم من الوطن لما سلف من عنادهم ومشايعتهم لابن غانية عدوهم فجاجا الامير ابو زكرياء بنى سليم من مواطنهم

لذلك العهد بقابس وطرابلس وما اليها والتقدم فيهم يومئذ لمرداس والكعوب كما نذكره فى اخبارهم واصطنعوهم لمشايعة الدولة وضربوا بينهم وبين قبائل رياح وانزلوهم بالقيروان وبلاد قسطيلية وكانت أُبّة لمحمد بن مسعود ووفد عليه فى بعض السنين وفد مرداس يطلبون المكيل ونزلوا عليهم فشرهوا الى نعمتهم وقاتلوهم عليها وقتلوا رزق بن سلطان عم محمد بن مسعود فكانت بينهم وبين رياح ايام وحروب حتى رحلوهم عن جانب الشرق من افريقية واصاروهم الى جانبها الغربى وملك الكعوب ومرداس من بنى سليم ضواحى الجانب الشرقى كلها من قابس الى بونة ونفطة وامتاز الدواودة بملك ضواحى قسنطينة وبجاية والتلول ومجالات الزاب وريغ وواركلا وما وراءها من القفار فى بلاد القبلة وهلك محمد بن مسعود فولى رياسته موسى بن محمد وكان له صيت وغناء فى قومه واعتزاز على الدولة ولما هلك يحيى بن عبد الواحد وبويع ابنه محمد المستنصر الطائر الذكر المصنوع له فى الشهرة وخرج عليه اخوه ابراهيم ولحق بالدواودة هولاء فبايعوه بجهات قسنطينة واتفقوا على تقديمه ونهض اليهم المستنصر سنة ست وستين وستماية ففروا امامه وافترق جمعهم وتحيز اليه بنو عساكر بن سلطان منهم ورياستهم يومئذ لولد مهدى بن عساكر ونبذوا العهد الى ابراهيم بن يحيى ولحق بتلمسان واجاز البحر الى الاندلس واقام بها فى جوار الشيخ ابن الاحمر ثم هلك موسى بن محمد وولى رياسته ابنه شبل بن موسى واستطال على الدولة وكثر عيثهم فنبذ المستنصر عهدهم ونهض اليهم بعساكره وجموعه من الموحدين والعرب من بنى سليم واولاد عساكر اخوانهم وعلى مقدمته الشيخ ابو هلال عياد بن محمد الهنتاتى وكان يومئذ اميرا بجاية وحاول عليهم فاستقدم رؤساءهم شبل بن موسى بن محمد بن مسعود واخاه يحيى وسباع بن يحيى ابن دريد بن مسعود وحداد بن مولاهم بن خنفر بن مسعود وفضل بن

ميمون بن دريد بن مسعود ومعهم دريد بن تازير شيخ اولاد نابت من كرفة فتقبض عليهم لحين قدومهم وضرب اعناقهم فى مصرع واحد بزراية حيث بايعوا ابا اسحاق اخاه والقاسم بن بو زيد بن ابى حفص النازع اليهم لطلب الخروج على الدولة وافترقت ظواعنهم وفروا امامه واتبعهم الى اخر الزاب وترك شبل بن موسى سباعا ابنه طفلا صغيرا فكفله عمه مولاهم بن موسى ولم تزل الرياسة لهم وترك سباع بن يحيى ايضا ابنه طفلا فكفله عمه طلحة بن يحيى ولحق فلهم بملوك زناتة بالمغرب فاولاد محمد لحقوا بيعقوب بن عبد الحق بفاس واولاد سباع بن يحيى لحقوا بيغمراسن بن زيان بتلمسان فكسوهم وحملوهم حتى ارتاشوا وتابلوا واحتالوا ورجعوا الى اوطانهم فتغلبوا على اطراف الزاب واقتسموا بلد واركلان وقصور ريغ وصيروها اسهاما بينهم وانتزعوها للموحدين فكان اخر عهدهم بملكها ثم تقدموا الى بلاد الزاب وجمع لهم عاملها ابو سعيد عثمان بن محمد بن عثمان ويعرف بابن عتّو من روساء الموحدين وكان منزله بمقرة فزحف اليهم بمكانهم من الزاب واوقعوا به وقتلوه بقطاوة وغلبوا على الزاب ونواحيه لهذا العهد ثم تقدموا الى جبل اوراس فغلبوا على من به من القبائل ثم تقدموا الى التل وجمع لهم من كان به من اولاد عساكر وعليهم موسى بن ماضى بن مهدى بن عساكر فجمع قومه ومن فى حلفهم من عياض وغيرهم وتزاحفوا فغلبهم اولاد مسعود وقتلوا شيخهم موسى بن ماضى وتولوا الوطن بما فيه ثم تلافت الدولة امرهم بالاصطناع والاستمالة واقطعوهم ما غلبوا عليه من البلاد بجبل اوراس والزاب ثم الامصار التى بالبسيط الغربى من جبل اوراس المسمى عندهم بالحضنة وهى نقاوس ومقرة والمسيلة واختص اقطاع المسيلة بسباع بن شبل ثم صارت لعلى ابن سباع بن يحيى من بعد ذلك فهى فى قسم بنيه وسهمانهم واختص اقطاع مقرة باحمد بن عمر بن محمد وهو عم شبل بن موسى ابى سباع ونقاوس

باولاد عساكر ثم هلك سباع بن شبل وقام بامرهم ابنه عثمان ويعرف بالعاكر فنازعه الرياسة بنو عمه على بن احمد بن عمر بن محمد بن مسعود وسليمان ابن على بن سباع بن يحيى بن دريد بن مسعود وفرقوا جماعة بنى مسعود هولاء بعد ان كانوا جميعا وصاروا فريقين اولاد محمد بن مسعود واولاد سباع ابن يحيى ولم يزالوا كذلك لهذا العهد ولهم تغلب على ضواحى بجاية وقسنطينة ومن بها من سدويكش وعياض وامثالهم ورياسة اولاد محمد الان ليعقوب بن على بن احمد وهو كبير الدواودة بمكانه وسنهِ وله شهرة وذكر ومحل من السلطان متوارث ورياسة اولاد سباع فى اولاد على بن سباع واولاد عثمان ابن سباع واولاد على اشف منهم واعز بالكثرة والعدد ورياستهم فى ولد يوسف بن سليمان بن على بن سباع ويرادفهم اولاد يحيى بن على بن سباع واختص اولاد محمد بنواحى قسنطينة واقطعتهم الدول كثيرا من اريافها واختص اولاد سباع بنواحى بجاية واقطاعهم فيها قليل لمنعة بجاية وضواحيها عن ضيم العرب وتغلبهم بالجبال المطيفة بها وتوعر مسالكها على رواحل الناجعة واما ريغ وواركلى فقسمة بينهم منذ عهد سلفهم كما قلناه واما الزاب فالجانب الغربى منه وقاعدته طولقة لاولاد محمد واولاد سباع بن يحيى وكانت لابى بكر بن مسعود فلما ضعف بنوه ودثروا اشتراها منهم على بن احمد شيخ اولاد محمد وسليمان بن على شيخ اولاد سباع واتصلت بينهم بسببها الفتنة وصارت فى مجالات اولاد سباع بن يحيى فصار غلب سليمان وبنيه عليها اكثر والجانب الوسط وقاعدته بسكرة لاولاد محمد وفى مجالاتهم وليعقوب بن على على عامله بسبب ذلك سلطان وعزة وله به تمسك واليه انحياش فى منعته من الدولة واستبداده بوطنه وحماية ضواحيه من عيث الاعراب وفسادهم غالب الاوقات واما الجانب الشرقى من الزاب وقاعدته بادس وتنومة فهو لاولاد نابت روساء كرفة بما هو من مجالاتهم وليس من مجالات رياح الا ان

عامل الزاب ياخذ منه فى الاكثر جباية غير مستوفاة يعسكر لها ببادية رياح باذن من كبيرهم يعقوب واشراكه فى الامر وبطون رياح كلها تبع لهولاء الدواودة ومقتسمون عليهم وملتمسون مما فى ايديهم وليس لهم فى البلاد ملك يستولون عليه واشدهم قوة واكثرهم جمعا بطون سعيد ومسلم والاخضر يبعدون النجعة فى القفار والرمال ويظاهرون الدواودة فى فتنة بعضهم مع بعض ويختصون فى الحلف فريقا دون اخر فسعيد احلاف لاولاد محمد سائر ايامهم الا قليلا من الاحيان ينابذونهم ثم يراجعونهم ومسلم والاخضر احلاف لاولاد سباع كذلك الا فى الاحايين فاما سعيد فرياستهم لاولاد يوسف بن زيد منهم فى ولد ميمون بن يعقوب بن عريف بن يعقوب بن يوسف واردافهم اولاد عيسى بن رحاب بن يوسف وهم ينتسبون بزعمهم الى بنى سليم فى اولاد القوس من حليم والصحيح من نسبهم انهم من رياح بالحلف والموطن ومع اولاد يوسف هولاء لفائف من العرب يعرفون بالمخادمة والغيوث والجور فاما المخادمة والغيوث من ابناء مخدم فمن ولد مشرق بن الاثبج واما الجور ففيهم من البرابر من لواتة وزنارة احدى بطونهم وفيهم من نفات فاما نفات فمن بطون جذام وسياتى ذكرهم واما زنارة فهم من بطون لواتة كما ذكرناه وفى بنى جابر بتادلا كثير منهم واجاز منهم الى العدوة لعهد بنى الاحمر سلطان الزنارى وكانت له فى الجهاد اثار وذكر ومنهم بارض مصر والصعيد كثير ومن احلاف اولاد محمد من الدواودة بطن رياب بن سوءات بن عامر بن صعصعة اندرجوا فى عداد رياح ولهم معهم ظعن ونجعة ولهم مكان من حلفهم ومظاهرتهم واما احلاف اولاد سباع من مسلم والاخضر فقد قدمنا ان مسلم من ولد عقيل بن مرداس بن رياح ومرداس بن رياح اخو حوّاز بن رياح وبعضهم ينتسب الى الزبير بن العوام وهو غلط ويقول بعض ينكره عليهم انما هو نسب الى الزبير من المهاية الذين هم من بطون عياض كما ذكرناه

ورياستهم فى اولاد جماعة بن سالم بن حماد بن مسلم بين اولاد شكر بن حامد
ابن كسلان بن غيث بن رحّال بن جماعة وبين اولاد زرارة بن موسى بن
قطران بن جماعة واما الاخضر فيقولون انهم من ولد خضر بن عامر وليس
عامر بن صعصعة فان ابناء عامر بن صعصعة معروفون كلهم عند النسابين
وانما هو والله اعلم عامر اخر من ابناء رياح ولعله عامر بن يزيد بن مرداس
المذكور فى بطونهم او لعلهم من الخضر الذين هم ولد ملك بن طريف بن ملك
ابن حفصة بن قيس بن غيلان ذكرهم صاحب الاغانى وقال انما سموا الخضر
لسوادهم والعرب تسمى الاسود اخضر قال وكان ملك شديد السمرة فاشبهه
ولده ورياستهم فى اولاد ثامر بن على بن تمام بن عمار بن خضر بن عامر بن
رياح واختصت من بين اولاد ثامر فى ولد عامر بن صالح بن عامر بن عطية
ابن ثامر وفيهم بطن اخر لزائدة بن تمام بن عمار وفى رياح ايضا بطن من عنزة
ابن اسد بن ربيعة بن نزار يظعنون مع باديتهم واما من نزل من رياح ببلاد
الهبط حيث انزلهم المنصور فاقاموا هنالك بعد رحلة رئيسهم مسعود بن زمام
بتلك المواطن الى ان انقرضت دولة الموحدين وكان عثمان بن نصر رئيسهم
ايام المامون وقتله سنة ثلاثين وستماية ولما تغلب بنو مرين على ضواحى
المغرب ضرب الموحدون على رياح هولاء البعث مع عساكرهم فقاموا بحماية
ضواحيهم وتحيز اليهم بنو عسكر بن محمد من بنى مرين حين كانوا حربا لاخوانهم
بنى حمامة بن محمد سلف الملوك منهم لهذا العهد فكانت بين الفريقين
جولة قتل فيها عبد الحق بن محيو بن ابى بكر بن حمامة ابو الملوك وابنه
ادريس فاوجدوا السبيل لبنى مرين على انفسهم فى طلب الترة والدماء فاثخنوا
فيهم واستلحموهم قتلا وسبيا مرة بعد اخرى وكان من اخر من اوقع بهم
السلطان ابو ثابت حافد يوسف بن يعقوب سنة سبع وسبعماية تتبعهم
بالقتل الى ان لحقوا برؤوس الهضاب واسنمة الربى المتوسطة فى المرج

المستجر بازغار فصاروا الى عدد قليل ولحقوا بالقبائل الغارمة ثم دثروا وتلاشوا شان كل امة والله خير الوارثين

الخبر عن سعادة القائم بالسنة فى رياح ومال امره وتصاريف احواله

كان هذا الرجل من مسلم احدى شعوب رياح ثم من رحمان منهم وكانت امه تدعى حضيبة وكانت فى اعلى مقامات العبادة والورع ونشا هو منتحلا للعبادة والزهد فارتحل الى المغرب ولقى شيخ الصالحين والفقهاء لذلك العهد بنواحى تازى ابا اسحاق التسولى واخذ عنه ولزمه وتفقه عليه ورجع الى وطن رياح بفقه صحيح وورع واقد ونزل طولقة من بلاد الزاب واخذ نفسه بتغيير المنكر على اقاربه وعشيره ومن صحبه او عرفه فاشتهر بذلك وكثرت غاشيته من قومه وغيرهم ولزم صحابته منهم اعلام عاهدوه على التزام طريقه كان من اشهرهم ابو يحيى بن احمد بن عمر شيخ بنى محمد بن مسعود من الدواودة وعطية بن سليمان بن سباع شيخ اولاد سباع بن يحيى منهم وعيسى بن يحيى بن ادريس شيخ اولاد ادريس من اولاد عساكر منهم وحسن بن سلامة شيخ اولاد طلحة بن يحيى بن دريد بن مسعود منهم ومجرس بن على من اولاد يزيد بن زغبة ورجالات من العطّاف من زغبة فى كثير من اتباعهم والمستضعفين من قومهم فكثر بذلك تابعه واستظهر بهم على شانه فى اقامة السنة وتغيير المنكر على من جاء به واشتد على قاطع الطريق من شرار البوادى ثم تخطى فى ذلك الى العمال فطلب عامل الزاب يومئذ منصور بن فضل بن مزنى باعفاء الرعايا من المكوس والظلامات فامتنع من ذلك واعتزم على الايقاع به فحال دونه عشائر اصحابه وبايعوه على اقامة السنة والموت دونه فى ذلك واذنهم ابن مزنى بالحرب ودعا لذلك اقتالهم ونظراءهم من

قومهم وكان لذلك العهد على بن احمد بن عمر بن محمد قد قام برياسة اولاد محمد وسليمان بن على بن سباع قد قام برياسة اولاد يحيى واقتسموا رياسة الدواودة فظاهروا ابن مزنى على مدافعة سعادة واصحابه المرابطين من اخوانهم وكان امر ابن مزنى والزاب يومئذ راجعا الى صاحب بجاية من بنى ابى حفص وهو الامير خالد بن الامير ابى زكرياء والقائم بدولته ابو عبد الرحمن بن عمر وبعث اليه ابن مزنى فى المدد فامده بالعساكر والجيوش واوعز الى اهل طولقة بالقبض على سعادة فخرج منها وابتنى بجانبها زاوية ونزل بها هو واصحابه ثم جمع اصحابه المرابطين وكان يسميهم السنية وزحفوا الى بسكرة وحاصروا ابن مزنى سنة [هنا بياض فى النسخ] وقطعوا نخيلها وامتنعت عليهم فرحلوا عنها ثم عادوا حصارها سنة [هنا بياض اخر] وامتنعت ثم انحدر اصحاب سعادة من الدواودة الى مشاتيهم سنة خمس وسبعماية واقام المرابط سعادة بزاويته من زاب طولقة وجمع من كان اليه من المرابطين المتخلفين عن الناجعة وغزا مليلى وحاصرها اياما وبعثوا بالصريخ الى ابن مزنى والعسكر السلطانى مقيم عنده ببسكرة فاركبهم ليلا مع اولاد حربى من الدواودة وصبحوا سعادة واصحابه على مليلى فكانت بينهم جولة قتل فيها سعادة واستلحم الكثير من اصحابه وحمل راسه الى ابن مزنى وبلغ الخبر الى اصحابه بمشاتيهم فظهروا الى الزاب وروساؤهم ابو يحيى بن احمد بن عمر شيخ اولاد محرز وعطية بن سليمان شيخ اولاد سباع وعيسى بن يحيى شيخ اولاد عساكر ومحمد بن حسن شيخ اولاد عطية ورياستهم جميعا راجعة لابى يحيى بن احمد ونازلوا بسكرة وقطعوا نخيلها وتقبضوا على عمال ابن مزنى فاحرقوهم بالنار واتسع الخرق بينهم وبينه ونادى ابن مزنى فى اوليائه من الدواودة فاجتمع اليه على بن احمد شيخ اولاد محمد وسليمان بن على شيخ اولاد سباع وهما يومئذ خلاء الدواودة

وخرج ابنه على بينهم بعساكر السلطان وتزاحفوا بالصحراء سنة ثلاث عشرة فغلبهم المرابطون وقتل على بن مزنى وتقبض على على بن احمد فقادوه اسيرا ثم اطلقه عيسى بن يحيى رعيا لاخيه ابى يحيى بن احمد واستفحل امر هولاء السنية ما شاء الله ان يستفحل ثم هلك ابو يحيى بن احمد وعيسى ابن يحيى وخلت احياء اولاد محرز من هولاء السنية وتفاوض السنية فيمن يقيمونه بينهم للفتيا فى الاحكام والعبادات فوقع نظرهم على الفقيه ابى عبد الله محمد بن الازرق من فقهاء مقرة وكان اخذ العلم ببجاية على ابى محمد الزواوى من كبار مشيختها فقصدوه فى ذلك واجابهم وارتحل معهم ونزل على حسن بن سلامة شيخ اولاد طلحة واجتمع اليه السنية واستفحل بهم جانب اولاد سباع واجلبوا على الزاب وحاربوا على بن احمد طويلا وكان السلطان ابو تاشفين حين كان يجلب على اوطان الموحدين ويخيب عليهم اولياؤهم من العرب يبعث الى هولاء السنية بالجوائز يستدعى بذلك ولايتهم ويبعث معهم للفقيه ابن الازرق بجائزة معلومة فى كل سنة ولم يزل ابن الازرق مقيما لرسمهم الى ان غلبهم على امرهم ذلك على بن احمد شيخ اولاد محمد وهلك حسن بن سلامة وانقرض امر السنية من رياح ونزل ابن الازرق بسكرة استدعاه يوسف بن مزنى لقضائها تفريقا لامر السنية فاجابه ونزل عنده فولاه القضاء ببسكرة الى ان هلك سنة [بياض فى النسخ] ثم قام على بن احمد بهذه السنة بعد حين ودعا اليها وجمع لابن مزنى سنة اربعين وسبعماية ونازل بسكرة وجاءه مدد اهل ريغ واقام محاصرا لها اشهرا وامتنعت عليه فاقلع عنها وراجع يوسف بن مزنى وصاروا الى الولاية الى ان هلك على بن احمد وبقى من عقب سعادة فى زاويته بنون وحفدة يوجب لهم ابن مزنى رعاية وتعرف لهم اعراب الفلاة من رياح حقا فى اجارة من يجيرونه من اهل السابلة وبقى هولاء الدواودة ينزع بعضهم احيانا الى اقامة هذه الدعوة فياخذون بها انفسهم

غير متصفين من الدين والتعمق فى الورع بما يناسبها ويقضى حقها بل يجعلونها ذريعة لاخذ الزكاة من الرعايا ويتظاهرون بتغيير المنكر يسرون بذلك حسوا فى ارتغاء فيخجل امرهم لذلك وتخفق مساعيهم ويتنازعون على ما يحصل بايديهم ويفترقون على غير شىء والله متولى الامور لا اله الا هو سبحانه

الخبر عن زُغْبة وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة

هذا القبيل اخوة رياح ذكر ابن الكلبى ان زغبة ورياحا ابنا ابى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر هكذا نسبهم وهم لهذا العهد معا يزعمون ان عبد الله يجمعهم بكسر دال عبد ولم يذكر ابن الكلبى ذلك وذكر عبد الله فى ولد هلال فلعل انتسابهم اليه بما كفلهم او اشتهر دونهم وكثيرا ما يقع مثل هذا فى انساب العرب اعنى انتساب الابناء لعمهم او كافلهم والله اعلم وكانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم افريقية وتغلبوا على نواحى طرابلس وقابس وقتلوا سعيد بن خزرون من ملوك مغراوة بطرابلس ولم يزالوا بتلك الحال الى ان غلب الموحدون على افريقية وثار بها ابن غانية وتحيزت اليه افاريق هلال من رياح وجشم فنزعت زغبة الى الموحدين وانحرفوا عن ابن غانية فرعوا لهم حق نزوعهم وصاروا يدا واحدة مع بنى بادين من زناتة فى حماية المغرب الاوسط من ابن غانية واتباعه واتصلت مجالاتهم ما بين المسيله وقبلة تلمسان فى القفار وملك بنو بادين من زناتة عليهم التلول ولما ملكت زناتة بلاد المغرب الاوسط ونزلوا بامصاره دخل زغبة هولاء الى التلول وتغلبوا فيها ووضعوا الاتاوة على الكثير من اهلها بما جمعهم وزناتة من البداوة وعصبية الحلف وخلا قفرهم من ظعونهم وحاميتهم فطرقته عرب المعقل المجاورون لهم من جانب الغرب وغلبوا

على من وجدوا من مخلف زغبة هولاء بتلك القفار وجعلوا عليهم خفارة ياخذونها من ابلهم ويختارون عليهم البكرات منها وانفوا لذلك وتدامروا وتعاقدوا على دفع هذه الهضمة وتولى كبرها من بطونهم ثوابة بن جوثة من سويد كما نذكر بعد فدفعوهم عن اوطانهم من ذلك القفر ثم استفحلت دولة زناتة وكفحوا العرب عن وطىء تلولهم لما تنشا عنهم من العيث والفساد فرجعوا الى صحرائهم وملكت الدولة عليهم التلول والحبوب واستصعب المير وهزل الكراع وتلاشت احوالهم وضربت عليهم البعوث واعطوا الاتاوة والصدقة حتى اذا فشل ريح زناتة وداخل الهرم دولتهم وانتزى الخوارج من قرابة الملك بالقاصية وجدوا السبيل بالفتن الى طروق التلول ثم الى التغلب فيها ثم غالبوا زناتة عليها فغلبوهم فى اكثر الاحايين واقطعتهم الدولة الكثير من نواحى المغرب الاوسط وامصاره فى سبيل الاستظهار بهم فتمشت ظعونهم فيه وملكوه من كل جانب كما نذكره وبطون زغبة هولاء متعددون من يزيد وحصين ومالك وعامر وعروة وقد اقتسموا بلاد المغرب الاوسط كما تراه فى اخبارهم

بنو يزيد بن زغبة كان لبنى يزيد هولاء محل من زغبة بالكثرة والشرف وكان للدول بهم عناية فكانوا لذلك اول من اقطعته الدول من العرب بالتلول والضواحى اقطعهم الموحدون فى ارض حمزة من اوطان بجاية مما يلى بلاد رياح والاثابج فنزلوا هنالك وولجوا تلك الثنايا المفضية الى تلول حمزة والدهوس وارض بنى حسن ونزلوها ريفا وصحراء وصار للدولة استظهار بهم على جباية تلك الرعايا من صنهاجة وزواوة فلما عجزت عساكر بجاية عن جبايتهم دفعوهم لها فاحسنوا فى اقتضائها وزادت الدولة بهم تكرمة وعناية لذلك واقطعتهم الكثير من تلك الاوطان ثم غلبت زناتة الموحدين على تلك الاوطان واقتطعوها عن اوطان بجاية واصاروها من ممالكهم فلما فشل ريح زناتة وجاش بحر فتنتهم مع العرب استبد بنو يزيد هولاء بملكة تلك الاوطان وغلبوا عليها من جميع جوانبها وفرغوا لجبايتها

واقتضاء مغارمها وهم على ذلك لهذا العهد وهم بطون كثيرة فمنهم حميان بن
عقبة بن يزيد وجوّاب وبنو كرز وبنو موسى والمرابعة والخشنة وهم جميعا بنو
يزيد بن عبس بن زغبة واخوانهم عكرمة بن عبس من ظعونهم وكانت
الرياسة فى بنى يزيد لاولاد لاحق ثم لاولاد معافا ثم صارت فى بيت سعد بن
مالك بن عبد القوى بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن مهدى
ابن يزيد بن عبس بن زغبة وهم يزعمون انه مهدى بن عبد الرحمن بن
ابى بكر الصديق نسب تاباه رياستهم على غير عصبتهم وقد مر ذلك قبل
وربما نسبهم اخرون الى سلول وهم بنو مرة بن صعصعة اخى عامر بن
صعصعة وليس بصحيح لما قلناه وقد يقال ان سلول وبنى يزيد اخوة ويقال
لهم جميعا اولاد فاطمة وبنو سعد هولاء ثلاثة بطون بنو ماضى بن رزق بن
سعد وبنو منصور بن سعد وبنو زغلى بن رزق بن سعد واختصت الرياسة
على الظعون والحلول ببنى زغلى وكانت لزيان بن زغلى فيما علمناه ثم من بعده
لاخيه ديفل ثم لاخيهما ابى بكر ثم لابنه ساسى بن ابى بكر ثم لاخيه
معتوق بن ابى بكر ثم لموسى ابن عمهم ابى الفضل بن زغلى ثم لاخيه
احمد بن ابى الفضل ثم لاخيهما على بن ابى الفضل ثم لابى الليل بن
موسى بن ابى الفضل وهو رئيسهم لهذا العهد وتوفى سنة احدى وتسعين
وخلفه فى قومه ابنه وكان من احلافهم فيما تقدم بنو عامر بن زغبة
يظعنون معهم فى مجالاتهم ويظاهرونهم فى حروبهم وكانت بين رياح وزغبة
فتنة طويلة لعهد موسى بن محمد بن مسعود وابنه شبل ايام المستنصر
ابن ابى حفص فكان بنو يزيد هولاء يتولون كبرها لمكان الجوار وكان بنو
عامر احلافهم فيها وظهراءهم وكان لهم على مظاهرتهم وضيعة من الزرع تسمى
الغرارة وهى الف غرارة من الزرع وكان سببها فيما يزعمون ان بو بكر بن
زغلى غلبته رياح على الدهوس من وطن حمزة ازمان فتنته معهم فاستصرخ

ببنى عامر فجاء اولاد شافع وعليهم صالح بن بالغ وبنو يعقوب وعليهم داوود ابن عطاف وحَميد وعليهم يعقوب بن معرف واسترجع وطنه وفرض لهم على وطنه غرارة الزرع واستمرت لبنى عامر فلما ملك يغمراسن بن زيان تلمسان ونواحيها ودخلت زناتة الى التلول والارياف كثر عيث المعقل وفسادهم فى وطنها فجاجا يغمراسن ببنى عامر هولاء من مجالاتهم بصحراء بنى يزيد وانزلهم فى جواره بصحراء تلمسان كيادا للمعقل ومزاحمة لهم باقتالهم فنزلوا هنالك وتبعتهم حُمَيّان من بطون بنى يزيد وهم لعقبة بن يزيد بما كانوا بطونا وناجعة ولم يكونوا حلولا فصاروا فى عداد بنى عامر لهذا العهد وتولت بنو يزيد بلاد الريف وخصبه فاوطن اكثرهم وقل اهل الناجعة منهم الا افاريق من عكرمة وبعض بطون عبس يظعنون مع اولاد زغلى فى قفرهم واقصروا عن الظعن فى القفر الا فى القليل ومع احلافهم من ظعون رياح او زغبة وهم على ذلك لهذا العهد ومن بطون بنى يزيد بن عبس بن زغبة هولاء بنو خشين وبنو موسى وبنو معافا وبنو لاحق وكانت الرياسة لهم ولبنى معافا قبل بنى سعد بن مالك وبنو جواب وبنو كرز وبنو مربع وهم المرابعة وهولاء كلهم بوطن حمزة لهذا العهد ومن المرابعة حى ينتجعون بضواحى تونس لهذا العهد وغلب عليهم نسب زغبة والله الخلاق العليم

حصين بن زغبة واما بنو حصين بن زغبة فكانت مواطنهم فى جوار بنى يزيد الى الغرب عنهم كانوا حيا حلولا هنالك وكان الريف المحاذى لهم من تيطرى ونواحى المدية مواطن للثعالبة من بطون المعقل ثم من بنى توجين من بطون بادين لما غلبوا عليها الثعالبة وكان حصين هولا ظعونا لهم يضربون عليهم البعوث وياخذون منهم الاتاوات والصدقات حتى اذا ذهب سلطان بنى توجين من ارض المدية وغلبهم عليها بنو عبد الواد ساموا حصينا هولاء خطة الخسف والذل والزموهم الوضائع والمغارم واستلحموهم

بالقتل وبهضوهم بالتكاليف وصيروهم فى عداد القبائل الغارمة وباثر ذلك
كان تغلب بنى مرين على جميع زناتة كما نذكره فكانوا لهم الطوع ولدولتهم اذل
فلما اعاد بنو عبد الواد الى ملكهم لعهد ابى حمّو موسى بن يوسف بعد مهلك
السلطان ابى عنان وهبت ريح العز للعرب وفشل ريح زناتة ولحق دولتهم ما
يلحق الدول من الهرم نزل حصين هولاء بتيطرى وهو جبل اشير وملكوه
وتحصنوا به وكان ابو زيان ابن عم السلطان ابى حمو المالك من قبله لحق
بتونس مفلتا من حبالة بنى مرين وخرج طالبا لملك ابيه ومنازعا لابن عمه
هذا ونزل فى خبر طويل نذكره بقبائل حصين هولاء احوج ما كانوا لمثلها لما
راموه من خلع ما كان باعناقهم من الذل وطوق الاهتضام والعسف فتلقوه بما
يجب له ونزل منهم باكرم نزل واحسن مثوى وبايعوه وراسلوا اخوانهم وكبراءهم
من روساء زغبة بنى سويد وبنى عامر فاصفقوا عليه وترددت عساكر
السلطان ابى حمو وبنى عبد الواد اليهم فتحصنوا بجبل تيطرى واوقعوا بهم
ونهض اليهم السلطان ابو حمو بعساكره ففلوه ونالوا منه ونالت زغبة بذلك
ما ارادوه من الاعتزاز على الدولة اخر الايام وتملكوا البلاد اقطاعات وسهمانا ورجع
ابو زيان الى رياح فنزل بهم على سلم عقده مع ابن عمه وبقى لحصين اثر
الاعتزاز من جراه واقطعتهم الدولة ما ولوه من نواحى المديّة وبلاد صنهاجة
ولحصين هولاء بطنان عظيمان جندل وخراش فمن جندل اولاد سعد بن
خنفر بن مبارك بن فضيل بن سنان بن سباع بن موسى بن كمام بن على
ابن جندل ورياستهم فى بنى خليفة بن سعد لعلى وسيدهم واولاد خشعة
ابن جندل وكانت رياستهم على جندل قبل اولاد خليفة ورئيسهم الان على
ابن صالح بن ذباب بن مبارك بن محيا بن مهلهل بن شكر بن عامر بن
محمد بن خشعة ومن خراش اولاد مسعود بن مظفر بن محمد الكامل بن
خراش ورياستهم لهذا العهد فى ولد رحاب بن عيسى بن بوبكر بن زمام

ابن مسعود واولاد فرج بن مظفر ورياستهم فى بنى خليفة بن عثمان بن موسى بن فرج واولاد طريف بن معبد بن خراش ويعرفون بالمعابدة ورياستهم فى اولاد عريف بن طريف لزيان بن بدر بن مسعود بن معرف بن عريف ولمصباح بن عبد الله بن كثير بن عريف وربما انتسب اولاد مظفر من خراش الى بنى سليم ويزعمون ان مظفر بن محمد الكامل جاء من بنى سليم ونزل بهم والله اعلم بحقيقة ذلك

بنو مالك بن زغبة واما بنو مالك بن زغبة فهم بطون ثلاثة سويد بن عامر ابن مالك والحرث بن مالك وهم بطنان للعطاف من ولد عطاف بن رومى بن حارث والديالم من ولد ديلم بن حسن بن ابراهيم بن رومى فاما سويد فكانوا احلافا لبنى بادين من قبل الدولة وكان لهم اختصاص ببنى عبد الواد وكانت لهم لذلك العهد اتاوات على بلد سيرات والبطحاء وهوارة ولما ملك بنو بادين تلول المغرب الاوسط وامصاره كان قسم بنى توجين منه سياح التلول القبلى ما بين قلعة سعيدة فى الغرب الى المدية فى الشرق فكان لهم قلعة ابن سلامة ومنداس وانشريش وورينة (1) وما بينهما فاتصل جوارهم لبنى مالك هولاء فى القفر والتل ولما ملك بنو عبد الواد تلمسان ونزلوا فى ساحتها وضواحيها كان سويد هولاء اخص بحلفهم وولايتهم من سائر زغبة وكان لسويد هولاء بطون مذكورون من فليتة وشبابة (2) ومجاهر وجوثة كلهم بنو سويد والحساسنة بطن من شبابة نسبة الى حسان بن شبابة وغفير وشافع ومالف كلهم بنو سليمة بن مجاهر وبورحمة وبوكامل وحمدان كلهم بنو مقدر بن مجاهر ويزعم بعض نسابتهم ان مقدر ليس بجد لهم وانما وضع ذلك اولا بوكامل وكانت رياستهم لعهدهم يغمراسن وما قبله فى اولاد عيسى ابن عبد القوى بن حمدان وكانوا ثلاثة مهدى وعطية وطراد واختص مهدى

(1) Le ms. A porte وورثته ; le ms. B ووزلنه ; et le ms. E ووريته. — (2) On lit شبانة dans les ms. A et D.

بالرياسة عليهم ثم ابنه يوسف بن مهدى ثم اخوه عمر بن مهدى واقطع يغمراسن يوسف بن مهدى ببلاد البطحاء وسيرات واقطع عنتر بن طراد ابن عيسى قرارة البطحاء وكانوا يقتضون اتاوتهم على الرعايا ولا يناكرهم فيها وربما خرج فى بعض حروبه واستخلف عمر بن مهدى على تلمسان وما اليها من ناحية الشرق وفى خلال ذلك خلت مجالاتهم بالقفر من ظعونهم وناجعتهم الا احياء من بطونهم قليلى العدد من الجوثة وفليتة ومالف غُفير وشافع وامثالهم فغلب عليهم هنالك المعقل وفرضوا عليهم اتاوة من الابل يعطونها ويختارونها عليهم من البكرات وكان المتولى لاخذها منهم من شيوخ المعقل ابو الريش بن نهار بن عثمان بن عبيد الله وقيل على بن عثمان اخو نهار وقيل ان البكرات انما فرضها للمعقل على قومه عامر بن حميد لاجل مظاهرة له على عدوه وبقيت للمعقل عادة الى ان تمشت رجالات من زغبة فى بعض ذلك وغدروا برجال المعقل ومنعوا تلك البكرات اخبرنى يوسف بن على بن غانم عن شيوخ من قومه من المعقل ان سبب البكرات وفرضها على زغبة كما ذكرناه واما سبب رفعها فهو ان المعقل كانوا يقولون غرامتها اداله بينهم فلما دالت لعبيد الله الدولة فى غرامتها جمع ثوابة بن جوثة قومه وحرضهم على منعها فاختلفوا واحتربوا مع عبيد الله ودفعوهم الى جانب الشرق وحالوا بينهم وبين احيائهم وبلادهم وطالت الحرب ومات فيها ابن جُوثة وابن مرمح من رجالاتهم وكتب بنو عبيد الله الى قومهم من قصيدة

بنى معقل ان لم تصرخونا على العدا فلا بدّكم تذكّروا ما طرا لنا
قتلنا ابن جوثه والهمام بن مرمح على الوجه مكبوب وذا من فعالنا

فاجتمعوا وجاءوا الى قومهم وفرت احياء زغبة واجتمع بنو عبيد الله واخوانهم

من ذوى منصور وذوى حسان وارتفع امر البكرات عن زغبة لهذا العهد ثم حدث بين يغمراسن وبينهم فتنة هلك فيها عمر بن مهدى وارتحلوا عن التلول والارياف من بلاد عبد الواد الى القفر المحاذى لاوطان بنى توجين فنزلوه وحالفوا توجين على المهادنة والمظاهرة فصاروا لهم حلفا على بنى عبد الواد ومن عجز منهم عن الظعن نزل ببسائط البطحاء وسيرات من بطونهم كلها من شبابة ومجاهر وفليتة وغفير وشافع ومالف وبو رحمة وبو كامل ونزل بخيس بن عمار اخوة سويد بضواحى وهران فوضعت عليهم الاتاوات والمغارم وصاروا من عداد الرعايا اهل الجباية وولى عثمان بن عمر امر الظعون من سويد ثم هلك وقام بامره ابنه ميمون وغلب عليه اخوه سعيد واستبد وكان بين سويد وبين بنى عامر بن زغبة فتنة اتصلت على الايام وثقلت وطاة الدولة الزيّانية عليهم وزحف يوسف بن يعقوب الى منازلة تلمسان وطال مقامه عليها فوفد عليه سعيد بن عثمان بن عمر بن مهدى شيخهم لعهده فادنى مجلسه وكرم وفادته ثم اجمع قتله ففر ولحق بقومه واجلب على اطراف التلول وملك السَّرسّو قبلة بلاد توجين ونزعت اليه طائفة من عكرمة بنى يزيد وعجزوا عن الظعن فانزلهم بجبل كركرة (1) قبلة السرسو ووضع عليهم الاتاوة ولم يزل كذلك الى ان هلك يوسف بن يعقوب واتصل سلطان ال يغمراسن ولما ولى ابو تاشفين بن موسى بن عثمان بن يغمراسن استخلص عريف بن يحيى لذمة صحابة كانت له معه قبل الملك ثم اسفه ببعض النزعات الملوكية وكان هلال مولاه المستولى عليه يغص بمكان عريف منه فنزع عريف بن يحيى الى بنى مرين ملوك المغرب الاقصى ونزل على السلطان ابى سعيد منهم سنة عشرين وسبعماية واعتقل ابو تاشفين عمه سعيد بن عثمان الى ان هلك فى محبسه قبيل فتح تلمسان

(1) Les mss. A , D et E portent كريكره

ولحق اخوه ميمون بن عثمان وولده بملك المغرب ونزل عريف بن يحيى من سلطان بنى مرين اكرم نزل وادنى مجلسه واكرم مثواه ثم اتخذه ابنه السلطان ابو الحسن من بعده بطانة لشوراه ونجيا لخلواته ولم يزل يحرضهم على ال زيان بتلمسان ونفس ميمون بن عثمان وولده على عريف رتبته عند السلطان ابى الحسن فنزعوا الى اخيه ابى على بتافيلالت ولم يزالوا بها الى ان هلك ميمون ثم تغلب السلطان ابو الحسن على اخيه ابى على وصار اولاد ميمون فى جملته وزحف السلطان ابو الحسن الى تلمسان بجرام المغرب واجحر ال زيان بتلمسان عامين ثم افتتحها عليهم عنوة وابتزهم ملكهم وقتل السلطان ابا تاشفين عند سدته وبعث كلمته فى اقطار المغرب الاقصى والادنى الى تخوم الموحدين من الاندلس وجمع كلمة زياتة واستتبعهم تحت لوائه وفر بنو عامر من زغبة اولياء بنى عبد الواد الى القفر كما نذكره ورفع السلطان ابو الحسن قدم عريف بن يحيى بمجلسه على كل عربى فى ايالته من زغبة والمعقل وكان عقد لسمعون بن سعيد على الناجعة من سويد وهلك ايام نزول السلطان بتاسالة سنة ثنتين وثلاثين قبل فتح تلمسان وولى من بعده اخوه عطية وهلك لاشهر من ولايته بعد فتح تلمسان فعقد السلطان لونزمار بن عريف على سويد وسائر بنى مالك وجعل له رياسة البدو حيث كانوا من اعماله واخذ الصدقات منهم والاتاوات فعكفت على بيته امم البدو واقتدى بشوراه روساؤهم وفر ابن عمه المسعود بن سعيد ولحق ببنى عامر واجلبوا على السلطان بدعى جزار شبه بابنه ابى عبد الرحمن فجمع لهم ونزمار وهزمهم كما نذكره وسفر عريف بين السلطان ابى الحسن وبين الملوك لعهده من الموحدين بافريقية وبنى الاحمر بالاندلس والترك بالقاهرة ولم يزل على ذلك الى ان هلك السلطان ابو الحسن ولما تغلب السلطان ابو عنان على تلمسان كما نذكره رعى لسويد ذمة الانقطاع اليه

فرفع ونزمار بن عريف على سائر رؤساء البدو من زغبة واقطعه السرسو وقلعة ابن سلامة وكثيرا من بلاد توجين وهلك ابوه عريف بن يحيى فاستقدمه من البدو واجلسه بمكان ابيه من مجلسه جوار اريكته ولم يزل على ذلك وعقد لاخيه عيسى على البدو من قومه ثم ان بنى عبد الواد بعد مهلك السلطان ابى عنان عادت لهم الدولة بابى حمو موسى بن يوسف ابن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن من اعياص ملوكهم وتولى كبر ذلك صغير بن عامر وقومه لما لهم مع ال زيان من الولاية وما كان لبنى مرين فيهم من النقمات فملكوا تلمسان ونواحيها وعقدوا على سويد لميمون بن سعيد بن عثمان وثاب لونزمار بن عريف راى فى الترهب والخروج عن الرياسة فبنا حصنا بوادى ملوية من تخوم بنى مرين ونزل به واقام هنالك لهذا العهد وملوك بنى مرين يرعون له ذمة اختصاصه بسلفهم فيوثرونه بالشورى والمداخلة فى الاحوال الخاصة مع الملوك والروساء من سائر النواحى فتوجهت اليه بسبب ذلك وجوه اهل الجهات من الملوك وشيوخ العرب وروساء الاقطار ولحق اخواه ابو بكر ومحمد بقومهم فمكروا بالميمون ودسوا عليه من قتله غيلة ببيته من ذويهم وحاشيتهم واستبدوا برياسة البدو ثم لما نصب بنو حَصِين ابا زيان ابن عم السلطان ابى حمو للملك كما نذكره ورشحوه للمنازعة سنة سبع وستين وسبعماية هبت من يومئذ ريح العرب وجاش مرجلهم على زناتة ووطئوا من تلول بلادهم بالمغرب الاوسط ما عجزوا عن حمايته وولجوا من فروجها ما قصروا عن سده ودبوا فيها دبيب الظلال فى الفيوء فتملكت زغبة سائر البلاد بالاقطاع من السلطان طوعا وكرها وليّه رعيا لخدمته وترغيبا فيها وعدوه تسكينا لغربه حتى افرجت لهم زناتة عن كثيرها ولجوا الى سيف البحر وحصل كل منهم فى التلول على ما يلى موطنه من بلاد القفر فاستولى بنو يزيد على بلاد حمزة وبنى حسن كما كانوا

من قبل ومنعوا المغارم واستولى بنو حصين على ضواحى المدينة اقطاعا والعطاف على نواحى مليانة والديالم على وزينة وسويد على بلاد بنى توجين كلها ما عدى جبل وانشريش لتوعره بقيت فيه لمة من توجين رياستهم لاولاد عمر بن عثمان من الجشم بنى تيغرين كما نذكره وبنو عامر على تاسالة وملاتة الى صيدور (1) الى كيدزة الجبل المشرف على وهران وتماسك السلطان بالامصار واقطع منها كلميتو لابى بكر بن عريف ومازونة لمحمد بن عريف ونزلوا لهم عن سائر الضواحى فاستولوا عليها كافة واوشك بهم ان يستولوا على الامصار وكل اول فالى اخر. ولكل اجل كتاب وهم على ذلك لهذا العهد ومن بطون سويد هولاء بطن بنواحى البطحاء يعرفون ببهبرة ينسبهم الناس الى مجاهر بن سويد وهم يزعمون انهم من قوم مقداد بن الاسود وهم بهراء من قضاعة ومنهم من يزعم انهم من تجيب احدى بطون كندة والله اعلم ومن ظواعن سويد هولاء ناجعة يعرفون بصُبيح ونسبهم الى صبيح بن علاج بن مالك ولهم عدة وقوة وهم يظعنون بظعن سويد ومقيمون بمقامهم واما الحارث ابن مالك وهم العطّاف والديالم فموطن العطاف قبلة مليانة ورياسة ظعونهم لولد يعقوب بن موسى بن يعقوب بن نصر بن عروة بن منصور بن ابى الذيب بن حسن بن عياض بن عطاف من زيان بن يعقوب وابن اخيه على بن احمد وبنيهم ومعهم طائفة من براز احدى بطون الاثبج واقطعهم السلطان مغارم جبل درّاك وما اليه الى وادى شلف وحال بينهم وبين موطن سويد جبل وانشريش الجاثم هنالك وموطن الديالم قبلة وانشريش ولهم بلاد وزينة فى قبلة الجبل ورياستهم فى ولد ابراهيم بن رزق بن رعاية ابن منزروع بن صالح بن ديلم ولسعد بن العباس بن ابراهيم منهم لهذا العهد وكانت من قبل لعمه ابى يحيى بن ابراهيم وتقيض عليه السلطان

(1) Le ms. B porte هيدور

ابو عنان باشارة عريف بن يحيى واغرائه وهلك فى محبسه وفيهم بطون كثيرة منهم بنو بو زياد بن ابراهيم بن رومى والدهاقنة اولاد دهقان بن حسن وبنو نوال من حسن ايضا وكلهم اخوة ديلم بن حسن وبنو عكرمة بن مزروع بن صالح ويعرفون بالعكارمة وهولاء العطاف والديالم اقل عددا من سويد واوليائهم فى فتنتهم مع بنى عامر لمكان العصبية من نسب مالك ولسويد عليهم اعتزاز بالكثرة والديالم ابعد مجالا منهم فى القفر ويحاذيهم فى مواطنهم من جانب التلول بطن من بطون الحارث يعرفون بغريب نسبهم الى غريب بن الحارث حى حلول بتلك المواطن يطلبهم السلطان فى العسكرة وياخذ منهم المغارم وهم اهل شاء وبقر ورياستهم فى ابناء مزروع بن خليفة ابن خلوف بن يوسف بن بركة بن مناهف بن مكتوب بن منيع (1) بن مغيث بن محمد الغريب وهو جدهم بن الحارث ويرادفهم فى رياستهم على غريب اولاد يوسف وهم جميعا اولاد بو منيع وسائر غريب من الاحلاف شيوخهم اولاد كامل والله مالك الخلق والامر

بنو عامر بن زغبة واما بنو عامر بن زغبة فمواطنهم فى اخر مواطن زغبة من المغرب الاوسط قبلة تلمسان مما يلى المعقل وكانت مواطنهم من قبل ذلك فى اخرها مما يلى المشرق وكانوا مع بنى يزيد حيا جميعا وكانوا يقبلون غيرهم فى مواطن حمزة والدهوس وبنى حسن لميرة اقواتهم فى المصيف ولهم على وطن بنى يزيد ضريبة من الزرع متعارفة بين اهله لهذا العهد يقال انها كانت لهم ازمان تقلبهم فى ذلك الوطن وقيل ان ابا بكر بن زغلى فى فتنته مع رياح غلبوه على الدهوس من وطنه فاستصرخ ببنى عامر فجاءوا لصريخه وعلى بنى يعقوب داوود بن عطاف وعلى بنى حميد يعقوب ابن معرف وعلى شافع صالح بن بالغ وغلبوا رياحا بعزلان وفرض لهم على وطن

(1) Le ms. A porte صنيع

بنى يزيد الف غرارة واستمرت لهم عادة عليهم ولما نقلهم يغمراسن الى مواطنهم هذه بمحاذاة تلمسان ليكونوا حجرا بين المعقل وبين وطنها فاستقروا هنالك يتقلبون فى قفارها فى المشاتى ويظهرون الى التلول فى المرابع والمصايف وكان فيهم ثلاثة بطون بنو يعقوب بن عامر وبنو حميد بن عامر وبنو شافع بن عامر وهم بنو شقارة وبنو مطرف ولكل واحد من البطنين الاخرين افخاذ وعمائر ولبنى حميد فصائل اخرى فمنهم بنو عبيد ومن عبيد الحجز وهم بنو حجاز بن عبيد وكان له من الولد حجوش وحجيش ابنى حجاز ولحجوش حامد ومحمد ورباب ومن محمد الولالدة بنو ولاد بن محمد ومن رباب بنو رباب وهم معرفون لهذا العهد ومن عبيد ايضا العقلة بنو عقيل بن عبيد والمحارزة بنو محرز بن حمزة بن عبيد وكانت الرياسة على حميد لعلان من هولاء المحارزة وهو الذى قتل حجوش جد بنى رباب وكانت الرياسة على بنى عامر كافة لبنى يعقوب على عهد يغمراسن وابنه لداوود بن هلال بن عطاف بن رداد بن كريش بن عياد بن منيع بن يعقوب منهم وكان بنو حميد ايضا برئيسهم وشيخهم الا انه رديف لشيخ بنى يعقوب وكانت رياسة حميد لاولاد رباب بن حامد بن حجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد ويسمون الحجز وعلى عهد يغمراسن لمعرف بن سعيد بن رباب منهم وهو رديف لداوود كما قلناه ووقعت بين عثمان بن يغمراسن وبين داوود بن عطاف مغاضبة وسخطه عثمان لما اجار الامير ابا زكرياء بن السلطان ابى اسحق من ال ابى حفص حين فر من تلمسان طالبا الخروج على الخليفة بتونس وكان عثمان بن يغمراسن فى بيعته فاعتزم على رجعه فابى داوود من اخفار ذمته فى ذلك ورحل معه حتى لحق بعطية بن سليمان من شيوخ الدواودة وتغلب على بجاية وقسنطينة كما نذكر فى اخباره واقطع داوود بن هلال رعيا لفعلته وطنا من بلاد حمزة تسمى كدارة واقام داوود هنالك فى مجالاتهم الاولى الى ان نازل يوسف

ابن يعقوب تلمسان وطال حصاره لها فوفد عليه داوود مؤملا صلاح حاله لديه وحمله صاحب بجاية رسالة الى يوسف بن يعقوب فاستراب بـه من اجلها فلما قفل من وفادته بعث فى اثره خيالة من زناتة بيتوه ببنى يبقى (1) فى سيك وقتلوه وقام بامره فى قومه ابنه سعيد ونفس مخنق الحصار عن تلمسان وكان قبل بنى مرين لابيه وسيلة رعاها لهم بنو عثمان بن يغمراسن فرجعوهم الى مواطنهم ومع قومهم وقد اعتز اولاد معرف بن سعيد فى غيبتهم تلك فساجلوهم فى رياسة بنى عامر وغص كل واحد بمكان صاحبه واختص بنو معرف بقبول الدولة عليهم لسلامتهم من الجرائر والخلاف ونزع سعيد بن داوود لاجل هذه الغيرة الى بنى مرين ووفد على السلطان ابى ثابت من ملوكهم يومل به الكرة فلم يصادف لها محلا ورجع الى قومه وكانوا مع ذلك حيا جميعا ولم تزل السعايات تدب بينهم حتى عدا ابرهيم بن يعقوب بن معرف على سعيد بن داوود فقتله وتناول قتله ماضى بن روّان من اولاد معرف من بنى عامر بممالاته وتعصب عليه اولاد رباب كافة فافترق امر بنى عامر وصاروا حيين بنو يعقوب وبنو حميد وذلك لعهد ابى حمو موسى بن عثمان من ال زيان وقام بامر بنى يعقوب بعد سعيد ابنه عثمان ثم هلك بعد حين ابرهيم بن يعقوب شيخ بنى حميد وقام مكانه من قومه ابنه عامر بن ابراهيم وكان شهما حازما وله ذكر ونزع الى المغرب قبل عريف بن يحيى ونزل على السلطان ابى سعيد واصهر اليه فى ابنته فانكحه عامر اياها وزفها اليه ووصله بمال له خطر فلم يزل عثمان يحاول ان يثار منه بابيه بالفتنة تارة والصلح والاجتماع اخرى حتى غدره فى بيته وقتله وارتكب فيه الشنعاء التى تنكرها العرب فتقاطع الفريقان لذلك اخر الدهر وصار بنو يعقوب هولاء احلافا لسويد فى فتنتهم مع بنى حميد

(1) Le ms. D porte ليقى

هولاء ثم تلاحقت ظواعن سويد بعريف بن يحيى فى مكانه عند بنى مرين واستطال ولد عامر بن ابراهيم بقومهم على بنى يعقوب فلحقوا بالمغـــرب ولم يزالوا به الى ان جاءوا فى عساكر السلطان ابى الحسن وهلك شيخهم عثمان قتله اولاد عريف بن سعيد بثار عامر بن ابراهيم وولى بعده ابن عمه مجرس ابن غانم بن هلال وكان رديفا له فى حياته ثم هلك وقام بامرهم بعده عمــه سليم بن داوود ولما تغلب السلطان ابو الحسن على تلمسان فر بنو عامر بن ابراهيم الى الصحراء وكان شيخهم لذلك العهد صغير ابنه واستالف السلطان على يد عريف بن يحيى سائر بطون حميد واولاد رباب فخالفوا صغيرا واخوانــه الى السلطان وولى عليهم شيخا من بنى عمهم عريف بن سعيد وهو يعقــوب ابن العباس بن ميمون بن عريف ووفد بعد ذلك عمر بن ابراهيم عم صغَيــر وولاه عليهم واستخدمهم ولحق بنو عامر بن ابراهيم بالـــدواودة ونزلـــوا على يعقوب بن على ولم يزالوا هنالك حتى شبوا نار الفتنة بالدعى بن هيـــدور الملبس بشبه ابى عبد الرحمن بن السلطان ابى الحسن واعانه على ذلك اهل الحقود على الدولة والاضطغان من الديالم واولاد ميمون بن عثمـــان من سويد نقموا على الدولة مكان عريف وابنه ونزمار منها فاجتمعوا وبايعوا لهذا الدعى واوعز السلطان الى ونزمار بحربهم فنهض اليهم بالعرب كافة واوقـع بهم وفضهم ومزق جموعهم وطال مفر صغير بن عامر واخوتـه فى القفـــار وابعدوا فى الهرب حتى قطعوا العرق الرمل الذى هو سياج على مجالات العرب ونزل قليعة والّرّ (1) واوطنها ووفد من بعد ذلك على السلطان ابى الحسن متذمما به فقبل وفادته واسترهن اخاه ابا بكر وصحب السلطان الى افريقية وحضر معه واقعة القيروان ثم رجع الى قومه وعادوا جميعا لولايـــــة بنـى يغمراسن واستخدموا قبائلهم لابى سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى

(1) L'ortographe de ce nom est incertaine ; on le trouve écrit والد ,والر et والن

ابن يغمراسن الدائل بتلمسان بعد واقعة القيروان اعوام خمسين وسبعماية فكان له ولقومه فيها مكان ولحق سويد وبنو يعقوب بالمغرب حتى جاءوا فى مقدمة السلطان ابى عنان ولما هلك بنو عبد الواد وافترق جمعهم فر صغير الى الصحراء على عادته واقام بالقفر يترقب الخوارج ولحق به اكثر قومه من بنى معرف بن سعيد فاجلب بهم على كل ناحية وخالف اولاد حسين من المعقل على السلطان ابى عنان اعوام خمس وخمسين وما بعدها ونازلوا سجلماسة فكاثرهم وكان معهم واوقعت بهم عساكر بنى مرين فى بعض سنى خلافهم وهم بنكور يمتارون فاكتسحوا عامة اموالهم واثخنوا فيهم قتلا واسرا ولم يزالوا كذلك شريدا فى الصحراء وسويد وبنو يعقوب بمكانهم من المجالات وفى حظهم عند السلطان حتى هلك السلطان ابو عنان وجاء ابو حمو موسى ابن يوسف اخ السلطان ابى سعيد عثمان بن عبد الرحمن لطلب ملك قومه بتلمسان وكان مستقرا بتونس منذ غلبهم ابو عنان على امرهم فرحل صغير الى وطن الدواودة ونزل على يعقوب بن على ازمان خلافه على السلطان ابى عنان وداخله فى استخلاص ابى حمو هذا من ايالة الموحدين للاجلاب على وطن تلمسان وبنى مرين الذين به فارسلوه معه واعطوه الالة ومضى به صغير وصولة بن يعقوب بن على وزيان بن عثمان بن سباع وشبل ابن اخيه ملوك بن عثمان ومن بادية رياح دَغار بن عيسى بن رحاب بقومه من سعيد وبلغوا معهم الى تخوم بلادهم فرجع عنهم رياح الادغار بن عيسى وشبل بن ملوك ومضوا لوجههم ولقيتهم جموع سويد وكان الغلب لبنى عامر وقتل يومئذ شيخ سويد عيسى بن عريف واسر اخوه ابو بكر ثم منّ عليه على بن عمر بن ابراهيم واطلقه ولم يتصل الخبر بفاس الا والناس منصرفون من جنازة السلطان ابى عنان ثم اجلب ابو حمو بالعرب على تلمسان فاخذها وغلب عساكر بنى مرين عليها واستوسق ملكه

بها ثم هلك صغير لسنتين او نحوها حمل نفسه فى جولة فتنة فى الحى يروم تسكينها على بعض الفرسان فاعترضه سنان رمح عن غير قصد فانفذه وهلك لوقته وولى رياستهم من بعده اخوه خالد بن عامر يرادفه عبد الله ابن اخيه صغير وخلصت زغبة كلها للسلطان ابى حمو ياسًا من بنى مرين لما كان بينهم من الفتنة فاستخدمهم جميعا على مضاربهم وعوائدهم من سويد وبنى يعقوب والديالم والعطاف حتى اذا كانت فتنة ابى زيان ابن السلطان ابى سعيد عم ابى حمو كما نذكره فى خبرهم جاش مرجل الفتنة من زغبة واختلوا على ابى حمو وتقبض على محمد بن عريف امير سويد لاتهامه اياه بالادهان فى امره فنزع اخوه ابو بكر وقومه الى صاحب المغرب عبد العزيز ابن السلطان ابى الحسن سنة سبعين وسبعماية وجاء فى مقدمته واستولوا على مواطنهم ولحق بنو عامر وابو حمو بالصحراء وطال ترددهم فيها وسعى عند ابى حمو فى خالد من عمومته واقاربه عبد الله بن عسكر بن معرف ابن يعقوب ومعرف هو اخو ابراهيم بن يعقوب وكان عبد الله هذا بطانة للسلطان وعينا فاستفسد بذلك قلب خالد وتغير ونبذ اليه عهده ونزع عنه الى السلطان عبد العزيز وجاءته عساكر بنى مرين فاوقع بالسلطان ابى حمو ومن معه من العرب وهلك عبد العزيز سنة اربع وسبعين فارتحل الى المغرب هو وعبد الله بن اخيه صغير ولحقهم ساسى بن سليم بن داوود شيخ بنى يعقوب كان قومه بنو يعقوب قتلوا ابنا لمحمد بن عريف فحدثت بينهم الفتنة ولحق ساسى هذا وقومه بالمغرب وصحب خالدا يومل به الكرة ويئسوا من صريخ بنى مرين لما بينهم من الفتنة فرجعوا الى اوطانهم سنة سبع وسبعين واضرموا نار الفتنة وخرجت اليهم عساكر السلطان ابى حمو مع ابنه ابى تاشفين وزحفت معه سويد والديالم والعطاف فاوقعوا بهم على وادى مينا قبلة القلعة وقتل عبد الله بن صغير واخوه ملوك فى

قرابة لهم اخرين وصار فلهم شريدا الى الصحراء ولحقوا بالديالم والعطاف واجتمعوا جميعا الى سالم بن ابراهيم كبير الثعالبة وصاحب وطن متيجة وكان يتوجس من ابى حمو الخيفة فاتفقوا على الخلاف وبعثوا عن الامير ابى زيان بمكانه من وطن رياح فجاءهم وبايعوه وامكنه سالم من الجزائر ثم هلك خالد فى بعد تلك الايام فافترق امرهم وولى على بنى عامر المسعود بن صغير وزحف اليهم ابو حمو فى سويد واوليائه من بنى عامر واستخدم سالم بن ابراهيم وخرج ابو زيان الى مكانه من وطن رياح ولحق المسعود بن عامر وقومه بالقفر ولحق ساسى بن سليم بيعقوب بن على وقومه من الدواودة ثم راجعوا جميعا خدمة السلطان واوفدوا عليه فامنهم وقدموا عليه واظهر البر والرحب بالمسعود وساسى وطوى لهم على النث ثم داخل بطانته من بنى عامر وسويد فى نكبتهم فاجابوه ومكر بهم وبعث ابنه ابا تاشفين لقبض الصدقات من قومهم حتى اذا اجتمع له ما اراد من الجموع تقبض على المسعود وعشرة من اخوانه بنى عامر بن ابراهيم ونهض ابو تاشفين والعرب جميعا الى احياء بنى يعقوب وكانوا بسيرات وقد ارصد لهم سويد بوادى مينا فصبحتهم بنو عامر بمكانهم واكتسحوهم وصار فلهم الى الصحراء فاعترضهم ابو تاشفين ببنى راشد فلم يبق لهم باقية ونجا ساسى بن سليم الى الصحراء فى فل قليل من قومه ونزل على النضر بن عروة واستبد برياسة بنى عامر سليمان بن ابراهيم بن يعقوب عم صغير ورديفه عبد الله بن عسكر بن معرف بن يعقوب وهو اقرب مكانا من السلطان وخلة ثم بعث صاحب المغرب السلطان ابو العباس احمد ابن المولى ابى سالم بالشفاعة فى المسعود واخوانه بوسيلة من ونزمار بن عريف بعد ان كان مداخلا لابى حمو ولاخوانه فى نكبتهم فاطلقهم ابو حمو بتلك الشفاعة فعادوا الى الخلاف وخرجوا الى الصحراء واجتمع اليهم الكثير من اولاد ابراهيم بن يعقوب واجتمع ايضا فل بنى يعقوب من

مطارحهم الى شيخهم ساسى بن سليم ونزلوا جميعا مع عروة واوفد اخوانه على السلطان ابى العباس صاحب افريقية لهذا العهد متذمما به وصريخا على عدوه فتلقاه من البر والاحسان بما يناسبه وافاض فى وفده العطاء وصرفه بالوعد الجميل وشعر بذلك ابو حمو فبعث من عيونه من اغتاله فى بيته ووفد بعدها على السلطان ابى العباس صاحب افريقية على بن عمر بن ابراهيم وهو ابن عم خالد بن عامر وكبير النفر المخالفين من بنى عامر على ابى حمو ووفد معه سليمان بن شعيب بن عامر فوفدوا عليه بتونس يطلبون صريخه فاجابهم ووعدهم واحسب بالاحسان والمبرة امالهم ورجعوا الى قومهم ثم راجع على ابن عمر خدمة ابى حمو وقدمه على بنى عامر وادال به من سليمان بن ابراهيم بن عامر فخرج سليمان الى اهل بيته من ولد عامر بن ابراهيم الذين بالصحراء ونزلوا مع بنى يعقوب باحياء ابى بكر بن عريف وهم على ذلك لهذا العهد والله مقدر الليل والنهار

عروة بن زغبة واما عروة بن زغبة فهم بطنان النضر بن عروة وخُميس بن عروة وبطون خميس ثلاثة عبيد الله وفرغ ويقظان ومن بطون فرغ بنو نايل احلاف لاولاد يحيا من العمور القاطنين بجبل راشد وبنو يقظان وعبيد الله احلاف لسويد يظعنون لظعنهم ويقيمون لمقاماتهم ورياستهم لاولاد عايد من بطن يقظان واما النضر بن عروة فمنتبذون بالقفر ينتجعون فى رماله ويصعدون الى اطراف التلول فى ايالة الديالم والعطاف وحصين وتخوم اوطانهم وليس لهم ملك ولا اقطاع لعجزهم عن دخول التلول بقلتهم وممانعة بطون زغبة الاخرين عنها الا ما تغلبوا عليه فى اذناب الوطن بجبل المَشَنْتَل (1) مما يلى وطن رياح يسكنه قوم من غمرة وزناتة استمر عليهم غلب العرب منذ سنين فوضع النضر هولاء عليهم الاتاوة واصاروهم خولا ورعيا وربما نزل منهم مع هولاء

(1) Le ms. D porte المنشتل

البرابر من عجز عن الظعن من بيوتهم ولهم بطون مذكورة اولاد خليفة والحماقنة وشريفة والسحارى وذوى زيان واولاد سليمان ورياستهم جميعا فى اولاد خليفة بن النضر بن عروة وهى لهذا العهد لمحمد بن زيان بن عسكر ابن خليفة ورديفه سمعون بن بو يحيى بن خليفة بن عسكر واكثر السحارى موطنون بجبل المشنتل الذى ذكرناه ورياستهم فى اولاد [بياض فى النسخ] وناجعة هولاء النضر احلاف لزغبة دائما فتارة للحرب وحصين جيرانهم فى المواطن وتارة لبنى عامر فى فتنتهم مع سويد ونديتهم مع بنى عامر فيما يزعمون بال تحافة وسمعت من مشايخهم انه ليس باب لهم وانما هو اسم واد كان به حلفهم قديما وربما يظاهرون سويدا على بنى عامر الا انه فى الاقل والندرة وهم الى حلف بنى عامر اقرب واسرع لما ذكرناه وربما ظاهروا رياحا بعض المرات فى فتنتهم لجوار الوطن الا انه قليل ايضا وفى النادر ويتناولون فى الاكثر مع البادية من رياح مثل مسلم وسعيد وربما وقعت بينهم حروب فى القفر يصيبون فيها بعض من دماء بعض هذه بطون زغبة وما تادى الينا من اخبارها ولله الخلق والامر وهو رب العالمين

الخبر عن المَعْقل من بطون هذه الطقبة الرابعة وانسابهم وتصاريف احوالهم

هذا القبيل لهذا العهد من اوفر قبائل العرب بالمغرب ومواطنهم بقفار المغرب الاقصى مجاورين لبنى عامر من زغبة فى مواطنهم بقبلة تلمسان وينتهون الى البحر المحيط من جانب الغرب وهم ثلاثة بطون ذوى عبيد الله وذوى منصور وذوى حسان فذوى عبيد الله منهم هم المجاورون لبنى عامر ومواطنهم ما بين تلمسان وتاوريرت فى التل وما يواجهها من القبلة فى مواطن ذوى

منصور من تاوريرت الى بلاد درعة فيستولون على ملوية كلها الى سجلماسة وعلى درعة وعلى ما يحاذيها من التل مثل تازى وغساسة ومكناسة وفاس وبلاد تادلا والمعدن ومواطن ذوى حسان من درعة الى البحر المحيط وينزل شيوخهم فى بلد نول قاعدة السوس فيستولون على السوس الاقصى وما اليها وينتجعون كلهم فى الرمال الى مواطن الملثمين من كدالة ومسّوفة ولمتونة وكان دخولهم الى المغرب مع الهلاليين فى عدد قليل يقال انهم لم يبلغوا المايتين واعترضهم بنو سليم فاعجزوهم وتحيزوا الى الهلاليين منذ عهد قديم ونزلوا باخر مواطنهم مما يلى ملوية ورمال تافيلالت وجاوروا زناتة فى القفار الغربية فعفوا وكثروا وانبتوا فى صحارى المغرب الاقصى فعمروا رماله وتغلبوا فى فيافيه وكانوا هنالك احلافا لزناتة سائر ايامهم وبقى منهم بافريقية جمع قليل اندرجوا فى جملة بنى كعب بن سليم وداخلوهم حتى كانوا وزراء لهم فى الاستخدام للسلطان واستملاف العرب فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا الى الامصار والمدن اقام هولاء المعقل فى القفار وتفردوا فى البيداء فنموا نموا لا كفاء له وملكوا قصور الصحراء التى اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا ثم توات ثم بودة ثم تمنطيت ثم ركان ثم تسابيت ثم تِيكورارين شرقا وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخل وانهار واكثر ساكنها من زناتة وبينهم فتن وحروب على رياستها فحاز عرب المعقل هذه الاوطان فى مجالاتهم ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكا وكانوا منذ المدد السالفة يعطون الصدقات لملوك زناتة وياخذونهم بالدماء والطوائل ويسمونها حمل الرحيل وكان لهم الخيار فى تعيينها ولم يكن هولاء العرب يستبيحون من اطراف المغرب وتلوله حمى ولا يعرضون لسابلة سجلماسة ولا غيرها الى بلاد السودان باذاية ولا مكروه لما كان بالمغرب من اعتزاز الدول وسد الثغور وكثرة الحاميه ايام الموحدين وزناتة بعدهم وكان لهم بازاء ذلك

اقطاع من الدول يمدون الى اخذه اليد السفلى وفيهم من سليم وسعيد من رياح والعمور من الاثبج وعددهم كما قلناه قليل وانما اجتمع اليهم من القبائل من غير نسبهم فان فيهم من فزارة ومن اشجع احياء كثيرة وفيهم الشظة من كرفة والمهاية من عياض والشعراء من حصين والصبّاح من الاخضر ومن بنى سليم وغيرهم واما انسابهم عند الجمهور مخفية ومجهولة ونسابة العرب من هلال يعدونهم من بطون هلال وهو غير صحيح وهم يزعمون ان نسبهم فى اهل البيت الى جعفر بن ابى طالب وليس ذلك ايضا بصحيح لان الطالبيين والهاشميين لم يكونوا اهل بادية ونجعة والله اعلم من امرهم انهم من عرب اليمن فان فيهم بطنين يسمى كل واحد منهما بالمعقل ذكرهما ابن الكلبى وغيره فاحدهما من قضاعة بن مالك بن حمير وهو معقل بن كعب بن عُليم بن جناب بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة والاخر من بنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة ابن جلد بن مذحج واسمه مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان وهو معقل واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحارث والانسب ان يكونوا من هذا البطن الاخير الذى من مذحج لان اسمه ربيعة وقد عد الاخباريون فى بطون هلال الداخلين الى افريقية ربيعة هولاء مع ان مواطن بنى الحارث بن كعب قريب من البحرين حيث كان هولاء العرب مع القرامطة قبل دخولهم الى افريقية ويويده ان ابن سعيد لما ذكر مذحج وانهم بجهات الجبال من اليمن وذكر من بطونهم عنس وزبيد ومراد ثم قال وبافريقية منهم فرقة وبرية ترحل وتنزل وهولاء الذين ذكر انما هم المعقل الذين بافريقية وهى فرقة من هولاء الذين بالمغرب الاقصى ومن املاء نسابتهم ان معقل جدهم كان له من الولد صقيل ومحمد وولد صقيل

عبيد الله وثعلب فمن عبيد الله ذوى عبيد الله البطن الكبير فيهم ومن ثعلب الثعالبة الذين ببسيط متيجة من ضواحى الجزائر وولد محمد مختار ومنصور وجلال وسالم وعثمان فولد مختار بن محمد حسان وشبانة فمن حسان ذوى حسان البطن المذكور اهل السوس الاقصى ومن شبانة الشبانات جيرانهم هنالك ومنهم بطنان بنو ثابت وموطنهم تحت جبل السكسيوى من جبال ادرن وشيخهم لهذا العهد او ما قبله يعيش بن طلحة والبطن الاخر ال على وموطنهم فى برية هنكيسة تحت جبل كزولة وشيخهم لهذا العهد او ما قرب منه حريز بن على ومن جلال وسالم وعثمان الرقيطات بادية لذوى حسان ينتجعون معهم وولد منصور بن محمد حسين وابو الحسين وعمران ومنبا ويقال لهم جميعا ذوى منصور وهو احد بطونهم الثلاثة المذكورة ذوى عبيد الله فاما ذوى عبيد الله وهم المجاورون لبنى عامر من زغبة وفى سلطان بنى عبد الواد من زناتة فمواطنهم ما بين تلمسان الى وجدة الى مصب وادى ملوية فى البحر ومنبعث وادى صا من القبلة وتنتهى رحلتهم فى القفر الى قصور توات وتمنطيت وربما عاجوا ذات الشمال الى تسابيت وتيكورارين وهذه كلها ركاب السفر الى بلاد السودان وبينهم وبين بنى عامر فتن وحروب موصولة وكان لهم مع بنى عبد الواد مثلها قبل السلطان والدولة بما كانوا احلافا لبنى مرين وكان المنبات من ذوى منصور احلافا لبنى عبد الواد فكان يغمراسن يوقع بهم فى اكثر اوقاته وينال منهم الى ان اصحبوا بسبب الجوار واعتزت عليهم الدولة فاعطوا الصدقة والطوائل وعسكروا مع السلطان فى حروبه ولم يزل ذلك الى ان لحق الدولة الهرم الذى يلحق مثلها فوطوا التلول وتملكوا وجدة وندرومة وبنى يزناسن (1) ومديونة وبنى سنوس اقطاعا من السلطان الى ما كان لهم عليها قبل من الاتاوات

(1) On lit aussi dans les mss. يرناسن

والوضائع فصار معظم جبايتها لهم وضربوا على بلاد هنين بالساحل ضربة الاجازة منها الى تلمسان فلا يسير ما بينهما مسافر ايام حلولهم بساحتها الا باجازتهم وعلى ضريبة يودونها اليهم وهم بطنان الهداج والخراج فالخراج من ولد خراج بن مطرف بن عبيد الله ورياستهم فى اولاد عبد الملك بن فرج بن على ابن بو الريش بن نهار بن عثمان بن خراج لاولاد عيسى بن عبد الملك ويعقوب ابن عبد الملك ويغمور بن عبد الملك وكان يعقوب بن يغمور شيخهم لعهد السلطان ابى الحسن ولما تغلب على تلمسان استخدم له عبيد الله هولاء وكان يحيى بن العز من رجالات بنى يزناسن اهل الجبل المطل على وجدة وكان له قدم فى خدمة الدول فاتصل بالسلطان ابى الحسن ورغبه فى ملك قصور هذه الصحراء فبعثه مع هولاء العرب فى عسكر ودخل معهم الى الصحراء وملك تلك القصور واستولى عليها واسف عبيد الله بانتزاع املاكهم وسوء المعاملة لهم فوثبوا به وقتلوه فى خبائه وانتهبوا معسكر السلطان الذى معه ونقض الطاعة وفر يعقوب بن يغمور فلم يزل شريدا بالصحراء سائر ايامه وراجع بعد ذلك ثم عادت دولة بنى عبد الواد فصدق فى ولايتها ولم يزل على ذلك الى ان هلك وخلفه ابنه طلحة وكان ايام خلافى يعقوب وانتقاضه راس على الخراج من اهل بيته منصور بن يعقوب بن عبد الملك وابنه رحو من بعده وجاء ابو حمو فكان له فى خدمته ومخالصته قدم فقدمه شيخا عليهم فرياستهم لهذا العهد منقسمة بين رحو بن منصور بن يعقوب بن عبد الملك ويرادفه طلحة بن يعقوب المذكور انفا وربما نازعه ولهم بطون كثيرة منهم الجعاونة من جعوان بن خراج والغُسل من غاسل بن خراج والمطارفة من مطرف بن خراج والعثامنة من عثمان بن خراج وفيهم رياستهم كما قلناه ومعهم ناجعة يسمون بالمهاية ينتسبون تارة الى المهاية من عياض وقد قدمنا ذكرهم وتارة الى مهيا ابن مطرف بن خراج واما الهداج فمن ولد هداج بن مهدى بن محمد بن

عبيد الله ومواطنهم فى ناحية الغرب عن الخراج فيجاورون ذوى منصور ولهم تَاوْرِيرْتْ وما اليها وخدمتهم فى الغالب لبنى مرين واقطاعاتهم من ايديهم ومواطنهم تحتهم ورجوعهم الى عبد الواد فى الاقل وفى بعض الاحيائين ورياستهم فى ولد يعقوب بن هبا بن هداج لاولاد حريز بن يعقوب واولاد مناد بن رزق الله بن يعقوب واولاد فكرون بن محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب فمن ولد حريز يحيى الصغير بن موسى بن يوسف بن حريز كان شيخا عليهم ايام السلطان عبد العزيز وهلك عقب مهلكه وراس عليهم ابنه ومن ولد مناد ابو يحيى الكبير ابن مناد وكان شيخا قبل ابى يحيى الصغير وبالاضافة اليه وصف بالصغير ومنهم ابو حميدة محمد بن عيسى بن مناد وهو لهذا العهد رديف لشيخهم من ولد ابى يحيى الصغير وهو كثير التقلب فى القفر والغزو للقاصية ولاهل الرمال من الملثمين والله مالك الامور لا رب غيره

الثعالبة واما الثعالبة اخوتهم من ولد ثعلب بن على بن مكن بن صَقيل اخى عبيد الله ابن صقيل فمواطنهم لهذا العهد بمتيجة من بسيط الجزائر وكانوا قبلها بتيطرى وطن حصين لهذا العهد نزلوها منذ عصور قديمة واقاموا بها حيا حلولا ويظهر ان نزولهم بها حين كان ذوى عبيد الله فى مواطن بنى عامر لهذا العهد وكان بنو عامر فى مواطن بنى سويد فكانت مواطنهم لذلك العهد متصلة بالتلول الشرقية فدخلوا من ناحية كزول وتدرجوا فى المواطن الى ضواحى المدية ونزلوا جبل تيطرى وهو جبل اشير الذى كانت فيه المدينة الكبيرة فلما تغلب بنو توجين على التلول وملكوا وانشريش زحف محمد بن عبد القوى الى المدينة فملكها وكانت بينه وبينهم حروب وسلم الى ان وفدت عليه مشيختهم فتقبض عليهم واغزا من وراءهم من بقية الثعالبة فاستلحمهم واكتسح اموالهم وغلبهم بعدها على تيطرى وازاحهم عنها الى متيجة وانزل قبائل حصين بتيطرى وكانوا معه فى عداد الرعايا يؤدون اليه

المغارم والوظائف وياخذهم بالعسكرة معه ودخل الثعالبة فى ايالة مليكش
من صنهاجة ببسيط متيجة واوطنوا تحت ملكتهم وكان لهم عليهم سلطان
كما نذكره حتى اذا غلب بنو مرين على المغرب الاوسط واذهبوا ملك مليكش
منها استبد الثعالبة هولاء بذلك البسيط وملكوه وكانت رياستهم فى ولد
سباع بن ثعلب بن على بن مكن بن صقيل ويزعمون ان سباعا هذا كان
اذا وفد على الموحدين يجعلون من فوق عمامته دينارا يزن عددا من الدنانير
مبالغة فى تكرمته وترفيعه وسمعت من بعض مشيختنا ان ذلك لما كان من
كرامته للامام المهدى حين اجاز بهم فانه مر بهم ساعيا فحملوه واستقرت
الرياسة فى ولد سباع هذا فى بنى يعقوب بن سباع اولا فكانت لهم مددا
ثم فى عقب حنيش منهم ثم غلب السلطان ابو الحسن على ممالك بنى عبد
الواد ونقلهم الى المغرب وصارت الولاية عليهم لابى الحملات بن عايد بن ثابت
وهو ابن عم حنيش وهلك فى الطاعون الجارف اواسط هذه الماية الثامنة لعهد
نزول السلطان ابى الحسن بالجزائر من تونس فولى عليهم ابراهيم بن نصر ولم
تزل رياستهم اليه الى ان هلك بعد استيلاء السلطان ابى عنان على المغربين
كما نذكره فى اخباره وقام برياستهم ابنه سالم وكانوا اهل مغارم ووضيعة لمليكش
ومن بعدهم من ولاة الجزائر حتى اذا هبت ريح العرب ايام خروج ابى زيان
وحصين على ابى حمو اعوام ستين وسبعماية كما ذكرناه وكان شيخهم لذلك
العهد سالم بن ابراهيم بن نصر بن حنيش بن بو حميد بن ثابت بن محمد
ابن سباع فاخب فى تلك الفتنة واوضع وعاقد ابو حمو وانتقض عليه مرارا
وغلب بنو مرين على تلمسان فتحيز اليهم وكانت رسله ووفده تقدموا اليهم
بالمغرب ثم هلك السلطان عبد العزيز ورجع ابو حمو الى ملكه وترصد له
الغوائل فخشيه سالم واستدعى ابا زيان ونصبه بالجزائر وزحف اليه ابو حمو
سنة تسع وسبعين ففض جمعه وراجع سالم خدمته وفارق ابا زيان كما نذكره

فى اخباره ثم زحف اليه ابو حمو وحاصره بجبال متيجة اياما قلائل واستنزله على عهد ثم اخفره وتقبض عليه وقاده الى تلمسان اسيرا وقتله قعصا بالرماح وذهب اثره وما كان له من الرياسة التى لم تكن الثعالبة لها باهل ثم تتبع اخوانه وعشيره وقبيله بالقتل والسبى والنهب الى ان دثروا والله يخلق ما يشاء

ذوى منصور واما بنو منصور بن محمد فهم معظم هولاء المعقل وجمهورهم وموطنهم تخوم المغرب الاقصى من قبلته ما بين ملوية ودرعة وبطونهم اربعة اولاد حسين واولاد بو الحسين وهما سقيقان والعمارنة اولاد عمران والمغبات اولاد منبا وهما شقيقان ايضا ويقال لهذين البطنين جميعا الاحلاف فاما اولاد بو الحسين فعجزوا عن الظعن ونزلوا قصورا اتخذوها بالقفر ما بين تافيلالت وتيكورارين واما اولاد حسين فهم جمهور ذوى منصور ولهم العزة عليهم ورياستهم ايام بنى مرين فى اولاد غانم بن جرمون بن جرار بن عرفة ابن فارس بن على بن فارس بن حسين بن منصور كانت ايام السلطان ابى الحسن لعلى بن غانم وهلك اثر كائنة طريف وصارت لاخيه يحيى ثم لابنه عبد الواحد بن يحيى ثم لاخيه زكرياء ثم لابن عمه احمد بن رحو بن غانم ثم لاخيه يعيش ثم لابن عمه يوسف بن على بن غانم لهذا العهد وكانت لبنى مرين فيهم وقائع ايام يعقوب بن عبد الحق وابنه يوسف وسياتى فى اخبار بنى مرين غزوة يوسف بن يعقوب من مراكش اليهم وكيف اوقع بهم بصحراء درعة ولما اقام بالشرق على تلمسان محاصرا لها اجلب هولاء العرب من المعقل على اطراف المغرب ما بين درعة وملوية الى تاوريرت وكان العامل يومئذ بدرعة عبد الوهاب بن صاعد من صنائع الدولة وكبار ولاتها فكانت بينه وبينهم حروب قتل فى بعضها ثم هلك يوسف بن يعقوب ورجع بنو مرين الى المغرب فاخذوا منهم بالثار حتى استقاموا على الطاعة وكانوا يعطون

الصدقات اطوع ما يكون الى ان فشل ريح الدولة واعتزت العرب فصاروا يمنعون الصدقة الا فى الاقل يغلبهم السلطان على اعطائها ولما استولى السلطان ابو عنان على تلمسان اعوام خمسين وسبعماية وفر صغير بن عامر الى الصحراء نزل عليهم واستجار بهم فاجاروه ونكر السلطان عليهم ذلك فاجمعوا نقض طاعته واقاموا مع صغير بالصحراء متولين كبر ذلك الخلاف حتى اذا هلك ابو عنان وكان من سلطان ابى حمو بتلمسان ما نحن ذاكروه وزحف بنو مرين الى تلمسان ففر منها ابو حمو وصغير ونزلوا عليهم فاوقعوا بعسكر بنى مرين بنواحى تلمسان واتسع الخرق بينهم وبين بنى مرين فانحازوا الى ابى حمو وسلطانه واقطعهم بضواحيه ثم رجعوا الى اوطانهم بعد مهلك السلطان ابى سالم اعوام ثلاث وستين على حين اضطراب المغرب بفتنة اولاد السلطان ابى على ونزولهم بسجلماسة فكان لهم فى تلك الفتنة اثار الى ان انقشعت ثم كان لاحمد بن رحو مع ابى حمو جولة واجلب عليه بابى زيان حافد ابى تاشفين فقتل فى تلك الفتنة كما نذكره ثم اعتزوا على الدولة بعد ذلك واكثر مغارم درعة لهذا العهد اقطاع لهم ببلاد تادلا والمعدن من تلك الثنايا التى منها دخولهم الى المغرب للمربع والمصيف ولميرة الاقوات وسجلماسة من مواطن اخوانهم الاحلاف كما نذكر وليست من مواطنهم فاما درعة فهى من بلاد القبلة موضوعة حفافى الواد الاعظم المنحدر من جبل درن من فوهة يخرج منها وادى ام ربيع ويتساهل الى البسائط والتلول ووادى درعة ينحدر الى القبلة مغربا الى ان يصب فى الرمل ببلاد السوس وعليه قصور درعة وواد اخر كبير ايضا ينحدر الى القبلة مشرقا بعض الشىء الى ان يصب فى الرمل دون تيكورارين وفى قبلتها وعليه من جهة الغرب قصور توات ثم بعدها تمنطيت ثم بعدها ركان وعندها يصب فى الرمل وفى الشمال عن ركان قصور تسابيت وفى الشمال عنها الى الشرق قصور تيكورارين والكل وراء عرق الرمل

وجبال درن هى الجبال العظيمة الجاثمة سياجا على المغرب الاقصى من اسفى الى تازى وفى قبليها جبل نكيسة لصنهاجة واخره جبل ابن حُميدى من طرف هسكورة ثم تنعطف من هنالك جبال اخرى متوازية حتى تنتهى الى ساحل بادس من البحر الرومى وصار المغرب لذلك كالجزيرة احاطت الجبال بـه من القبلة والشرق والبحر من الغرب والجوف واعتمر هذه الجبال والبسائط التى بينها امم من البربر لا يحصيهم الا خالقهم والمسالك بين هذه الجبال الى المغرب محصورة معدودة وبزحام القبائل المعتمرين لها كاظّة ومصب وادى درعة هذا الى الصحراء والرمال ما بين سجلماسة وبلاد السوس ويمتد الى ان يصب فى البحر ما بين نون ووادان وحفافيه قصور لا تحصى شجرتها النخل وقاعدتها بلد تادَنَسْت (1) بلد كبير يقصده التجر للسلم فى النيلج وانتظار خروجه بالصناعة ولاولاد حسين هولاء استيلاء على هذا الوطن ومن بازائه وفى سفح جبله من قبائل البربر صناكة وغيرهم ولهم عليهم ضرائب وخفارات ووضائع ولهم فى مجابى السلطان اقطاعات ويجاورهم الشبانات من اولاد حسان من ناحية الغرب فلهم بسبب ذلك على درعة بعض الاتاوات واما الاحلاف من ذوى منصور وهم العمارنة والمنبّات فمواطنهم مجاورة لمواطن اولاد حسين من ناحية الشرق وفى مجالاتهم بالقفر تافيلالت وصحراؤها وبالتل ملوية وقصور وطاط وتازى وبطوية وغساسة لهم على ذلك كله الاتاوات والوضائع وفيها الاقطاعات السلطانية وبينهم وبين اولاد حسين فتنة وتجمعهم العصبية فى فتنة من سواهم ورياسة العمارنة فى اولاد مظفر بن ثابت بن مخلف بن عمران وكان شيخهم لعهد السلطان ابى عنان طلحة بن مظفر وابنه الزبير ولهذا العهد محمد بن الزبير واخوه موسى ويرادفهم فى رياستهم اولاد عمارة بن فلان بن مخلف فكان منهم محمد

(1) Je suis la leçon des mss. E et B; mais on lit en marge de ce dernier la note suivante : صوابه تبدسى وفى صوابه نظر. Le ms. A porte تيديسى

العابد ومنهم لهذا العهد سليمان بن ناجى بن عمارة ينجع فى القفر ويكثر الغزو الى اعتراض العير من تجار السودان وقصور الصحراء ورياسة المنبّات لهذا العهد لمحمد بن عبو بن حسين بن يوسف بن فرج بن منبا وكانت ايام السلطان ابى عنان لاخيه على من قبله ويرادفهم فى رياستهم ابن عمهم عبد الله بن الحاج عامر ابن بو البركات بن منبا والمنبات والعمارنة اليوم اذا اجتمعوا جميعا يكثرهم اولاد حسين وكان للمنبات كثرة لاول دولة بنى مرين وكان حلفهم مع بنى عبد الواد وكانوا مقدمة يغمراسن بن زيان فى افتتاح سجلماسة وتملكها من ايدى الموحدين ثم تغلب بنو مرين عليها وقتلوا من كان بها من مشيختهم مع بنى عبد الواد ثم اوقعوا بالمنبات من بعد ذلك فى مجالاتهم بالقفر واستلحموهم فنقص عددهم لذلك اخر الايام والله مالك الامور [مواطن العثامنة تلى مواطن بنى منصور من جانب الغرب ويليهم اولاد سالم وفى حيز مواطنهم درعة ولهم عليها القفر ويليهم اولاد جلال عند منتهى عمارة درعة مما يلى المغرب والقبلة ويليهم غربا الى البحر الشبانات وهم اولاد على واولاد بو ثابت واولاد حسان وراءهم من ناحية القبلة والغرب وينزلون مواطنهم بالغلب الذى لهم عليهم]

ذوى حسان عرب السوس واما بنو مختار بن محمد فهم كما قدمناه ذوى حسان والشبانات والرقيطات ومنهم ايضا الجياهنة واولاد برية وكانت مواطنهم بنواحى ملوية الى مصبه فى البحر مع اخوانهم ذوى منصور وعبيد الله الى ان استصرخهم على بن يدر الزكندرى صاحب السوس من بعد الموحدين ونسبه بزعمه فى عرب الفتح وكانت بينه وبين كزولة الظواعن ببسائط السوس وجباله فتنة طويلة استصرخ لها بنى مختار هولاء فصارخوه وارتحلوا اليه بظعونهم وحمدوا مواطن السوس لعدم المزاحم من الظعائن فيها فاوطنوها وصارت مجالاتهم بقفرها وغلبوا كزولة واصاروهم فى جملتهم ومن ظعونهم وغلبوا القصور التى بتلك

المواطن فى سوس ونول ووضعوا عليها الاتاوات مثل تارودنت من سوس وهى على ضفة وادى سوس حيث يهبط من الجبل وبين مصبه ومصب وادى ماسة حيث الرباط المشهور مرحلة الى القبلة ومن هنالك الى زوايا اولاد بو نعمان مرحلة اخرى فى القبلة على ساحل البحر وتاكاوصت على وادى نول حيث يدفع من جبل نكيسة غربا وبينها وبين ايفرى مرحلة والعرب لا يغلبونها وانما يغلبوا على البسائط فى نواحيها وكانت هذه المواطن لعهد الموحدين من جملة ممالكهم واوسع عمالاتهم فلما انقرض امر الموحدين فحت من ظل الدولة وخرجت عن ايالة السلطان الا ما كان بها لبنى يدر هولاء الذين قدمنا ذكرهم فكان على بن يدر مالكا لقصورها وكان له من الجند نحو الف فارس وولى من بعده عبد الرحمن بن الحسن بن يدر وبعده اخوه على بن الحسن وكان لعبد الرحمن معهم حروب وفتن بعد استظهاره بهم وهزموه مرات متتابعة اعوام خمسة وسبعماية وما بعده وغدر هو بمشيختهم وقتلهم بتارودنت سنة ثمان بعد ذلك وكان لبنى مرين على هولاء المعقل بالسوس وقائع وايام وظاهر يعقوب بن عبد الحق ببنى مرين فى بعضها الشبانات على بنى حسان واستلحم منهم عددا وحاصرهم يوسف بن يعقوب بعدها بامسكروط (1) واغرمهم ثمانية عشر الفا من الابل واثخن فيهم يوسف بن يعقوب ثانية سنة ست وثمانين وحاربتهم جيوشه ايضا ايام لحق بهم بنو كمى من بنى عبد الواد وخالفوا على السلطان فترددت اليهم العساكر واتصلت الحروب كما نذكر فى اخباره ولما استفحل امر زناتة بالمغرب وملك ابو على ابن السلطان ابى سعيد سجلماسة واقطعها عن ملك ابيه بصلح وقع على ذلك انضوى اليه هولاء الاعراب اهل السوس من الشبانات وبنى حسان ورغبوه فى ملك هذه القصور فاغزاها من تخوم وطنه بدرعة ودخل ايفرى عنوة وفر

(1) Le ms. D porte بامسكروطا

على بن الحسن امامه الى جبال نكيسة عند صنهاجة ثم رجع ثم غلب السلطان ابو الحسن على اخيه واستولى على المغرب كله ورغبه العرب فى مثلها من قصور السوس فبعث معهم عساكره وقائده حسون بن ابراهيم ابن عيسى من بنى يرنيان فملكها وجبا بلاد السوس واقطع فيه للعرب وساهمهم فى الجباية فاستقامت حاله مدة ثم انقرض امر السلطان ابى الحسن فانقرض ذلك ورجع السوس الى حاله وهو اليوم ضاح من ظل الدولة والعرب يقتسمون جبايته ورعاياه من قبائل المصامدة وصنهاجة قبائل الجباية والظواعن منهم يقتسمونهم خولا للعسكرة مثل كزولة مع بنى حسان وزكن ولخس من لمطة مع الشبانات هذه حالهم لهذا العهد ورياسة ذوى حسان فى اولاد ابى الخليل بن عمرو بن غفير بن حسن بن موسى ابن حامد بن سعيد بن حسان بن مختار لمخلوف بن ابى بكر بن سليمان ابن حسن بن زيان بن ابى الخليل ولاخوانه ولا ادرى رياسة الشبانات لمن هى منهم الا انهم حرب لبنى حسان اخر الايام والرقيطات فى غالب احوالهم احلاف للشبانات وهم اقرب الى بلاد المصامدة وجبال درن وذوى حسان ابعد فى القفر والله يخلق ما يشاء لا اله الا هو ۞ حريز (1) بن على بن عامر بن على ابن شبانة شيخ الشبانات لعهد على بن يدّر سلطان السوس والذى استصرخ الشبانات انما هم شيوخ كزولة للفتنة التى بينهم وبين اهل السوس وغلبوا بهم اعداءهم فاستوطن الشبانات من يومئذ وملكوا السوس ثم لحقهم ذوى حسان وملكوا نول وكانوا براس العين وكارت الى صيدور ثم اقتتلوا مع على ابن يدر وقتلوه فى حرب وقعت بينهم وبينه وبنو وراء مساكنهم بكارت ومعنى وراء الجوار (2) باللسان البربرى

(1) Le man. B porte جرير — (2) Les mss. A et B portent الحوار

الخبر عن بنى سُليم بن منصور من هذه الطبقة الرابعة وتعديد بطونهم وذكر انسابهم واولية امرهم وتصاريف احوالهم ونبدا اولا بذكر بنى كعب واخبارهم

واما بنو سليم هولاء فبطن متسع من اوسع بطون مضر واكثرهم جموعا وكانت منازلهم بنجد وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس وفيهم شعوب كثيرة ورياستهم فى الجاهلية لبنى الشريد بن رياح بن ثعلبة بن عصية بن خفاف بن امرء القيس بن بهثة بن سليم وعمرو بن الشريد عظيم مضر لعصره وابناه صخر ومعوية فصخر اخو الخنساء وزوجها العباس بن مرداس صحابى حضرت معه القادسية ومن بطون سليم عُصيّة ورِعل وذكوان الذين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتكوا باصحابه فخمل ذكرهم وكانوا بنو سليم لعهد الخلافة العباسية شوكة بغى وفتنة حتى لقد اوصى بعض خلفائهم ابنه ان لا يتزوج فيهم وكانوا يغيرون على المدينة وتخرج الكتائب من بغداد اليهم وتوقع بهم وهم منتبذون بالقفر ولما كانت فتنة القرامطة صاروا حلفاء لابى الطاهر الجنابى وبنيه امراء البحرين من القرامطة مع بنى عقيل ابن كعب ثم لما انقرض امر القرامطة غلب بنو سليم على البحرين بدعوة الشيعة لما ان القرامطة كانوا على دعوتهم ثم غلب بنو الاصفر بن تغلب على البحرين بدعوة العباسية ايام بنى بويه وطردوا عنها بنى سليم فلحقوا بصعيد مصر واجازهم المستنصر على يد اليازورى وزيره الى افريقية لحرب المعز بن باديس عند خلافه عليهم كما ذكرنا ذلك اولا فاجازوا مع الهلاليين واقاموا ببرقة وجهات طرابلس زمانا ثم صاروا الى افريقية كما نذكره فى الخبر عنهم وبافريقية وما اليها لهذا العهد من بطونهم اربعة بطون زغب ودباب

وهيّب وعوف فاما زغب فقال ابن الكلبى فى نسبه زغب بن ناصرة بن خفاف ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم وقال ابو محمد التجانى من مشيخة التونسيين فى رحلته انه زغب بن جرو بن مالك بن خفاف وزعم انه ابو دباب وزغب الاصغر الذين هم الان من احياء بنى سليم بافريقية وقال ابو الحسن بن سعيد هو زغب بن مالك بن بهثة بن سليم كانوا بين الحرمين وهم الان بافريقية مع اخوانهم ونسب دباب بن مالك بن بهثة فالله اعلم بالصحيح من ذلك ونسب ابن سعيد والتجانى لهولاء قريب بعضه من بعض ولعله واحد وسقط لابن سعيد جرو واما هيب فهو ابن بهثة بن سليم ومواطنهم من اول ارض برقة مما يلى افريقية الى العقبة الصغيرة من جهة الاسكندرية اقاموا هنالك بعد دخول اخوانهم الى افريقية واول ما يلى الغرب منهم بنواحمد لهم اجدابية وجهاتها وهم عدد يرهبهم الحاج ويرجعون الى شماخ وقبائل شماخ لها عدد ولهم العز فى هيب بكونها حازت خصب برقة الذى منه المرج وفى شرقيهم الى العقبة الكبيرة من قبائل هيب بنو لبيد وهم بطون عديدة وبين شماخ ولبيد فتن وحروب وفى شرقيهم الى العقبة الصغيرة شمال ومحارب والرياسة فى هاتين القبيلتين لبنى عزاز وهم المعروفون بالعزة وجميع بطون هيب هذه استولت على اقليم طويل خربوا مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية الا لاشياخهم وفى خدمتهم بربر ويهود يحترفون بالفلاحة والتجر ومعهم من رواحة وفزارة امم واشتهر لهذا العهد ببرقة من شيوخ اعرابها ابو ذيب ولا ادرى نسبه فيمن هو وهم يقولون من العزة وقوم يقولون من بنى احمد وقوم يجعلونه من فزارة وهو بعيد لان فزارة هنالك قليل عددهم والغلب لهيب فكيف تكون الرياسة لغيرهم واما عوف فهو ابن بهثة بن سليم ومواطنهم من وادى قابس الى ارض بونة ولهم جذمان عظيمان مرداس وعلاق ولعلاق بطنان بنو يحيى وحصن وفى اشعار

هولاء المتاخرين منهم مثل حمزة بن عمر شيخ الكعوب وغيره ان يحيى وعلاق اخوان ولبنى يحيى ثلاثة بطون حمير ودلاج ورياح ولحمير بطنان ترجم وكردم ومن ترجم الكعوب بنو كعب بن احمد بن ترجم ولحصن بطنان بنو على وحكيم ونحن ناتى على الحكاية عن جميعهم بطنا بطنا وكانوا عند اجازتهم على اثر الهلاليين مقيمين ببرقة كما ذكرناه وهنالك نزل عليهم القاضى ابو بكر ابن العربى وابوه حين غرقت سفينتهم ونجوا الى الساحل فوجدوا هنالك بنى كعب ونزل عليهم واكرمه شيخهم كما ذكر فى رحلته ولما كانت فتنة ابن غانية وقراقش الغزى بجهات طرابلس وقابس وضواحيها كما نذكر فى اخبارهم كان بنو سليم هولاء فيمن يجمع اليهم من ذوبان العرب واوشاب القبائل واعصوصبوا عليهم وكان لهم معهم خطوب وقتل قراقش ثمانين من الكعوب وهربوا الى برقة واستصرخوا برياح من بطون سليم ودبكل بن حمير فصارخوهم الى ان تجلت غمامة تلك الفتنة بمهلك قراقش وابن غانية من بعده وكان رسوخ الدولة الحفصية بافريقية ولما هلك قراقش واتصلت فتنة ابن غانية مع ابى محمد بن ابى حفص ورجع بنو سليم الى ابى محمد صاحب افريقية وكان مع ابن غانية الدواودة من رياح وشيخهم مسعود البلط فر من المغرب ولحق به فكان معه هو وبنوه وبنو عوف هولاء من سليم مع الشيخ ابى محمد فلما استبد ابنه الامير ابو زكرياء بملك افريقية رجعوا جميعا اليه والشفوف للدواودة فلما انقطع دابر ابن غانية صرف عزمه الى اخراج رياح من افريقية لما كانوا عليه من العيث بها والفساد فجاجا بمرداس وعلاق وهما بنو عوف بن سليم هولاء من مواطنهم بنواحى الساحل وقابس واصطنعهم ورياسة مرداس يومئذ فى اولاد جامع منهم لعون بن جامع وبعده لابنه يوسف وبعده لعنان بن جابر بن جامع ورياسة علاق فى الكعوب لاولاد شيحة بن يعقوب بن كعب وكانت رياسة علاق عند دخولهم افريقية

لعهد المعز وبنيه لرافع بن حماد وعنده راية جده التى حضر بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جد بنى كعب فيما يزعمون فاستظهر بهم السلطان على شانه وانزلهم بساح القيروان واجزل لهم السلطان الصلات والعوائد وزاحموا الدواودة من رياح بمنكب بعد ان كانت لهم استطالة على جميع بلاد افريقية وكانت أُبّة اقطاعا لمحمد بن مسعود بن سلطان ايام الشيخ ابى محمد بن ابى حفص فاقبل اليه مرداس فى بعض السنين عيرهم للمكيل ونزلوا به فراوا نعمة الدواودة فى تلولهم تلك فشرهوا اليها واجمعوا طلبها فحاربوهم فغلبوهم وقتلوا رزق بن سلطان واتصلت الفتنة فلما حرضهم الامير ابو زكرياء صادف عندهم القبول لتحريضه فاعصوصبوا جميعا على فتنة الدواودة وتاهبوا لها وتكررت بينهم وبين رياح الحروب والوقائع حتى ازاحوهم عن افريقية الى مواطنهم لهذا العهد بتلول قسنطينة وبجاية الى الزاب وما اليه ثم وضعوا اوزار الحرب واوطن كل بحيث قسمت له قدمه وملك بنو عوف سائر ضواحى افريقية وتغلبوا عليها واصطنعهم السلطان واثبتهم فى ديوان العطاء ولم يقطعهم شيًا من البلاد واختص بالولاية منهم اولاد جامع وقومه فكانوا له خالصة وتم تدبيره فى غلب الدواودة والرياح على ضواحى افريقية وانزعاجهم عنها الى ضواحى الزاب وبجاية وقسنطينة وطال تمرس مرداس بالدولة واختلفت حالهم فى الاستقامة معها والنفرة وضرب السلطان بينهم وبين علاق فنشات الفتنة وسخط عنان بن جابر شيخ مرداس من اولاد جامع مكانه من الدولة فذهب مغاضبا عنها واقام بناجعته من مرداس ومن اليهم بنواحى المغرب فى بلاد رياح من زاغر الى ما يقاربها وخاطبه ابو عبد الله بن ابى الحسين خالصة السلطان ابى زكرياء صاحب افريقية يومئذ بشعر كثير يونبه على فعلته ويرغبه فى مراجعة السلطان منها قوله وهى طويلة

قد المهامة بالمهرية القود   واطوِ الفلاة بتصويب وتصعيد

ومنها قوله

سلوا دمنة بين الغضا والسواجر هل استنّ فيها واكفات المواطر

فاجاب عن هذه عنان بقوله

خليلى عوجا بين سلع وحاجر بعوج عناجيج نواج ضوامر

يقيم عذره فى النزوع عنهم ويستعطف السلطان بعض الشىء كما نذكره فى اخبار الدولة الحفصية ثم لحق بمراكش بالخليفة السعيد من بنى عبد المومن محرضا له على افريقية وال ابى حفص وهلك فى سبيله تلك وقبر بسلا ولم يزل حال مرداس بين النفرة والاصحاب الى ان هلك الامير ابو زكرياء واستفحل ملك ابنه المستنصر من بعده وعلق الكعوب بذمة قوية من السلطان وكان شيخهم لعهده عبد الله بن شيخة فسعى عند السلطان فى مرداس وكان ابن جامع مبلغا سعايته واعصوصبت عليه سائر علاق فحاربوا المرداسيين هولاء وغلبوهم على الاوطان والحظ من السلطان واخرجوهم عن افريقية وصاروا الى القفر وهم اليوم به من جملة بادية الاعراب اهل الفلاة ينجعون الى الرمل ويمتارون من اطراف التلول تحت احكام سليم او رياح ويختصون بالتغلب على ضواحى قسطيلية ايام مرابع الكعوب ومصائفهم بالتلول فاذا انحدروا الى مشاتيهم بالقفر اجفلت احياء مرداس هذه الى القفر البعيد او يخالطونهم على حلف ولهم على توزر ونفطة وبلاد قسطيلية اتاوة يودونها اليهم بما هى مواطنهم ومجالاتهم ويصرفهم ولاتها فى الكثير من اغراضهم وصاروا لهذا العهد الى تملك القفار بها فاصطفوا منه كثيرا واصبح عمران قسطيلية لهم مرتافا واستقام امر بنى كعب من علاق فى رياسة عوف وسائر بطونهم من مرداس وحصن ورياح ودلاج ومن بطون رياح حبيب وعلا شانهم عند الدولة واعتزوا على سائر بنى سليم بن منصور واستقرت رياستهم فى ولد يعقوب بن كعب وهم بنو شيخة وبنو طاعن وبنو على وكان التقدم

لبنى شيحة بن يعقوب لعبد الله اولا ثم لابراهيم اخيه ثم لعبد الرحمن ثالثهما على ما ياتى وكان بنو على يرادفونهم فى الرياسة وكان منهم بنو كثير بن يزيد بن على وبنو كعب بن على وكان كعب هذا يعرف بينهم بالحاج لما كان قضى فرضه وكانت له صحابة مع ابى سعيد العود الرطب شيخ الموحدين لعهد السلطان المستنصر افادته جاها وثروة واقطع له السلطان اربعا من القرى اصارها لولده كان منها بناحية صفاقس وبافريقية وبناحية الجريد وكان له من الولد سبعة اربعة لام وهم احمد وماضى وعلى ومحمد وثلاثة لام وهم بريك وبركات وعبد العلى فنازع احمد اولاد شيحة فى رياستهم على الكعوب واتصل بالسلطان ابى اسحق واحفظهم ذلك فلحقوا بالدعى عند ظهوره وكان من شانه ما قدمناه وهلك احمد واستقرت الرياسة فى ولده وكان له من الولد جماعة فمن غزية احدى نساء بنى يزيد من صنهاجة قاسم ومرا وابو الليل وابو الفضل ومن الحكمية فائد وعبيد ومنديل وعبد الكريم ومن السرية كليب وعساكر وعبد الملك وعبد العزيز ولما هلك احمد قام بامرهم بعده ابنه ابو الفضل ثم من بعده اخوه ابو الليل بن احمد وعلت رياسة بنى احمد هولاء على قومهم وتالفوا ولد اخوتهم جميعا وعرفوا بين احيائهم بالاعشاش الى هذا العهد ولما كان شان الدعى ابن ابى عمارة ولبس بانه الفضل بن يحيى المخلوع واوقع بالسلطان ابى اسحق وقتله واكثر بنيه كما نذكر فى موضعه لحق ابو حفص اخوه الاصغر بقلعة سنان من حصون افريقية وكان لابى الليل ابن احمد فى نجاته ثم فى القيام بامره اثر وقع منه احسن المواقع فاصطنعه به وشيد من رياسته على قومه عند ما ادال الله به من الدعى فاضطلع ابو الليل هذا بامرهم وزاحم اولاد شيحة بمنكب قوى ولحق اخرهم عبد الرحمن بن شيحة ببجاية عند ما اقتطعها الامير ابو زكرياء ابن السلطان ابى اسحق عن ملك عمه السلطان ابى حفص فوفد عليه مستجيشا به ومرغبا له فى ملك

تونس يرجو بذلك كثرة رياسته فهلك دون مرامه وقبر بجاية وانقرضت رياسة اولاد شيخة بمهلكه واستبد ابو الليل بالرياسة فى الكعوب ووقع بينه وبين السلطان ابى حفص وحشة فقدم على الكعوب مكانه محمد بن عبد الرحمن بن شيخة وزاحمه به اياما حتى استقام على الطاعة ولما هلك قام بامرهم ابنه احمد واتصل امر رياسته ونكبه السلطان ابو عصيدة فهلك فى سجنه وولى بعده اخوه عمر بن ابى الليل وزاحمه هداج بن عبيد بن احمد ابن كعب الى ان هلك هداج كما نذكره ولما هلك عمر قام بامره فى قومه اخوه محمد بن ابى الليل وكفل مولاهم وحمزة ابنى اخيه عمر وكان عمر مضعفا عاجزا فنازعه اولاد مهلهل ابن عمه قاسم وهم محمد ومسكيانة ومرغم وطالب وعون فى اخرين لم يحضرنى اسماؤهم فترشحوا للاستبداد على قومهم ومجاذبة محمد ابن عمهم ابى الليل حبل الرياسة فيهم ولم يزالوا على ذلك سائر ايامهم ولما ظهر هداج بن عبيد بن احمد بن كعب وعظم طغيانه وعتوه وافساد الاعراب من احيائه السابلة وساء اثره فى ذلك اسف السلطان بالاعتزاز عليه والاشتراط فى ماله وتوغلت له صدور الغوغاء والعامة فوفد على تونس عام خمسة وسبعماية ودخل المسجد يوم الجمعة لابسا خفيه ونكر الناس عليه وطئه بيت الله بخف لم ينزعه وربما قال له فى ذلك بعض المصلين الى جنبه فقال انى ادخل بهما بساط السلطان فكيف الجامع فاستعظم الناس كلمته وثاروا به لحينه فقتلوه بالمسجد وارضوا الدولة بفعلهم وكان امره مذكورا وقتل السلطان بعد ذلك اخاه كسابا وابن عمه شبل بن منديل بن احمد وقام بامر الكعوب من بعد محمد بن ابى الليل وهداج بن عبيد مولاهم وحمزة ابنا عمر واستبدا برياسة البدو من سليم بافريقية على مزاحمة من بنى عمهم مهلهل ابن قاسم واقتالهم وفحول شولهم وانتقض احمد بن ابى الليل وابن اخيه مولاهم ابن عمر على السلطان سنة سبع وسبعماية واستدعيا عثمان بن ابى دبوس

من مكانه بوطن دباب نجاءها واجلبا به على تونس ونزل كدية الزعتر بظاهرها وبرز اليهم الوزير ابو عبد الله بن يرزيكن (1) فهزمهم واستخدم احمد بن ابى الليل ثم تقبض عليه واعتقل بتونس الى ان هلك ووفد بعد ذلك مولاهم ابن عمر سنة ثمان فاعتقل معه ولحق اخوه حمزة بالامير ابى البقاء خالد ابن الامير ابى زكرياء صاحب الثغر الغربى من افريقية بين يدى مهلك السلطان ابى عصيدة ومعه ابو على بن كثير ويعقوب بن القوس من شيوخ بنى سليم هولاء ورغبوا الامير ابا البقاء فى ملك الحضرة وجاءوا فى صحبته واطلق اخاه مولاهم من الاعتقال عند دخول السلطان تونس سنة عشر وسبعماية كما نذكر فى خبره ثم لحق حمزة بالسلطان ابى يحيى زكرياء ابن اللحيانى واتصلت به يده فرفعه على سائر العرب حتى لقد نفس ذلك عليه اخوه مولاهم ونزع الى السلطان ابى يحيى الطويل امد الخلافة ولى سبعا ببجاية وثلاثين بعد استيلائه على الحضرة وسائر بلاد افريقية فاستخلصه السلطان لدولته ونابذه حمزة فاجلب عليه بالقرابة واحد بعض واحد كما نذكره وداهن اخوه مولاهم فى مناصحة السلطان ومالا حمزة على شانه وربما نمى عنه الغدر فتقبض السلطان عليه وعلى ابنه منصور وعلى ربيبيه زغدان ومعزان ابنى محمد بن ابى الليل وكان الساعى بهم الى السلطان ابن عمهم عون بن عبد الله بن احمد واحمد ابن عبد الواحد بن عبيد وابو هلال بن محمود بن فائد وناجى بن بو على بن كثير ومحمد بن مسكين وبو زيد بن عمر بن يعقوب ومن هوارة فيصل بن زعازع فقتلوا لحينهم سنة ثنتين وعشرين وبعث اشلاءهم الى حمزة فاشتد حنقه ولحق صريخا بابى تاشفين صاحب تلمسان لعهده من ال يغمراسن ومعه محمد ابن السلطان اللحيانى المعروف بابى ضربة قد نصبه للملك وامدهم ابو تاشفين بعساكر زناتة

(1) On trouve quelquefois ce nom écrit برزيكن

وزحفوا الى افريقية فخرج اليهم السلطان وهزمهم برغيس ولم يزل حمزة من بعدها مجلبا على السلطان ابى يحيى بالمرشحين من اعياص البيت الحفصى وابو تاشفين صاحب تلمسان يمدهم بعساكره وتكررت بينهم الوقائع والايام سجالا كما نذكره فى مواضعه حتى اذا استولى السلطان ابو الحسن وقومه من بنى مرين على تلمسان والمغرب الاوسط سنة سبع وثلاثين وسبعماية واستتبعوا بنى عبد الواد وسائر زناتة اقصر حمزة عن فتنته وانقطع حبلها فى يده ولحق بالسلطان ابى الحسن مستشفعا به فتقبل السلطان ابو يحيى شفاعته وعفا له عن جرائره واحله محل الاصفياء والخلوص فشمر عن نصحه واجتهاده وظاهر قائده محمد بن الحكيم على تدويخ افريقية وقهر البدو من الاعراب فاستقام امر الدولة وتوثر مهادها وهلك حمزة سنة اربعين وسبعماية بيد ابى عون نصر بن ابى على عبد السلام من ولد كثير بن زيد المتقدم الذكر فى بنى على من بطون بنى كعب طعنه فى بعض الحروب فاشواه وكان فيها مهلكه وقام بامرهم من بعده ابنه عمر بمظاهرة شقيقه فتيتة ويكنى ابا الليل فغلب سائر الاخوة والقرابة واستبد برياسة بنى كعب وسائر بنى يحيى واقتاله بنو مهلهل ينافسونه ويترقبون الادالة منه وكان مساهمه فى امره معز بن مطاعن من فزارة وزير ابيه وخرجوا على السلطان بعد مهلك حمزة ابيهم واتهموا ان قتل ابى عون اباهم انما كان بممالاة الدولة فنازلوا تونس وجمعوا لمحاصرتها اولاد مهلهل اقتالهم ثم اختلفوا ورحلوا عن البلد وانخزل طالب بن مهلهل وقومه الى السلطان ونهض فى اثرهم فاوقع بهم فى القيروان ووفدت مشيختهم على ابنه الامير ابى العباس بقفصة يداخلونه فى الخروج على ابيه وكان فيهم معز بن مطاعن وزيرهم فتقبض عليه وقتله وافلت الباقون وراجعوا الطاعة واعطوا الرهن ولما هلك السلطان ابو يحيى وقام بالامر ابنه عمر انحرفوا عنه وظاهروا اخاه ابا العباس صاحب الجريد وولى العهد وزحفوا معه بظواعنهم الى تونس

فدخلها وقتله اخوه عمر كما نذكره فى موضعه وقتل معه اخاهم ابا الهول بن حمزة فاسفهم بذلك ووفد خالد على صاحب المغرب السلطان ابى الحسن فيمن وقد عليه من وجوه الدولة وكافة المشيخة من افريقية وجاء فى جملته حتى اذا استولى على البلاد قبض ايديهم عما كانت تمتد اليه من افساد السابلة واخذ الاتاوة وانتزع الامصار التى كانت مقطعة بايديهم والحقهم بامثالهم من اعراب بلاده بالمغرب الاقصى من المعقل وزغبة فثقلت وطاته عليهم وتنكروا له وساء ظنه بهم وفشت غارات المفسدين من بواديهم بالاطراف فنسب ذلك اليهم ووفد عليه بتونس من رجالاتهم خالد بن حمزة واخوه احمد وخليفة ابن عبد الله بن مسكين وخليفة بن بو زيد من شيوخ حكيم فسعى بهم عنده انهم داخلوا بعض الاعياص من اولاد اللحيانى من بنى ابى حفص كان فى جملته كما نذكره فى موضعه فتقبض عليهم وبلغ خبرهم الى الحى فتاشبوا بقسطيلية والجريد فظفروا بذنابى من بقية ال عبد المومن من عقب ابى العلاء ادريس الملقب بابى دبّوس اخر خلفائهم بمراكش وقتيل يعقوب بن عبد الحق عند غلبه على الموحدين بمراكش واستيلائه على المغرب وهو احمد بن عثمان ابن ادريس فنصبوه وبايعوه واجتمعوا عليه وتاشب معهم بنو عمهم مهلهل اقتالهم وكان طالب هلك وقام مكانه فيهم ابنه محمد فصرخهم بقومه واصفقوا جميعا على حرب زناتة ونهض اليهم السلطان ابو الحسن من تونس فاتح تسعة واربعين فاجفلوا امامه حتى نزل القيروان ثم ناجزوه ففضوا جموعه وملئوا حقائبهم باسلابه واسلابهم وخضدوا من شوكة السلطان والانوا من حد الملك وخفضوا من امر زناتة وغلبهم الامم وكان يوم له ما بعده فى اعتزاز العرب على الدول اخر الايام وهلك ابو الليل بن حمزة فعجز عمر عن مقاومة اخوته واستبد بالرياسة عليه اخوه خالد ثم من بعده اخوهما منصور واعتز على السلطان ابى اسحق بن السلطان ابى يحيى صاحب تونس لعهده

اعتزازا لا كفاء له وانبسطت ايدى العرب على الضاحية واقطعتهم الدولة
حتى الامصار والقاب (1) الجباية ومختص الملك وانتقضت الارض من اطرافهـا
ووسطها وما زالوا يغالبون الدولة حتى غلبوا على الضاحية وقاسموهم فى جباية
الامصار بالاقطاع ريفا وصحراء وتلولا وجريدا ويحرضون بين اعياص الدولة
ويجلبون بهم على الحضرة لما يوملونه طمعة (2) من الدولة ويرميهم السلطان
باقتالهم اولاد مهلهل بن قاسم بن احمد يديل بهم منهم حتى احفظوها
ويحرش بينهم لقضاء اوطارها حتى اذا اراد الله انقاذ الامة من هوة الخسف
وتخليصهم من مكاره الجوع والخوف وادالتهم من ظلمات العيث بنور الاستقامة
بعث همة السلطان امير المومنين ابى العباس احمد ايده الله لطلب ارثه من
الخلافة بالحضرة فانبعث اليها من مكان امارته بالثغر الغربى ونزع اليه امير
البدو منصور بن حمزة هذا وذلك سنة احدى وسبعين وسبعماية على حين
مهلك عمه السلطان ابى اسحق مقتعد كرسى الحضرة وصاحب عصى الخلافة
والجماعة وقيام ابنه خالد بالامر من بعده فنهض الى افريقية ودخل تونس
عنوة واستولى على الحضرة سنة ثنتين بعدها وارهف حده للعرب فى الاعتزاز
عليهم وقبض ايديهم عن المفاسد وذويهم فحدثت لمنصور نفرة عن الدولة
ونصب الامير ابا يحيى زكرياء ابن السلطان ابى يحيى جدهم الاكبر كان فى
احياء العرب منذ سنين كما نذكر ذلك كله فى اخبار الدولة واجلب به على
تونس لسنة ثلاث وسبعين فامتنعت عليهم ولم يظفروا بشىء وراجع
منصور حاله عند السلطان وكشف عن وجه المناصحة وكان عشيرته قد
ملئوا منه حسدا ومنافسة بسوء ملكته عليهم فعدا عليه محمد ابن
اخيه ابى الليل وطعنه فاشواه وهلك ليومه سنة خمس وسبعين وافترق جمعهم
وقام بامرهم من بعده صولة ابن اخيه خالد بن حمزة ويرادفه اولاد مولاهم بن

(1) On lit dans le ms. D الغاب — (2) Le ms. B porte طعنه

عمر فجهد بعض الشىء فى خدمة السلطان ومناصحته ثم رجع الى العصيان وكشف القناع فى الخلاف واتصلت حاله على ذلك ثلاثا وادال السلطان منه ومن قومه باقتالهم اولاد مهلهل ورياستهم لمحمد بن طالب فرجع اليهم رياسة البدو وجعل لهم المنع والاعطاء فيهم ورفع رتبتهم على العرب وتحيز اليه معهم اولاد مولاهم بن عمر ابن ابى الليل وتقلب اولاد حمزة سائر هذه الايام فى الخلاف ونهض السلطان سنة ثمانين الى بلاد الجريد لتقويم روسائها عن المراوغة وحملهم على جادة الطاعة فتعرضوا لمدافعته عنها باملاء هولاء الروساء ومشارطتهم لهم على ذلك وبعد ان جمعوا له الجموع من ذوبان الاعراب وذياب البدو فغلبهم عليها جميعا وازاحهم عن ضواحيها وظفر بفرائسه من اولائك الروساء واصبحوا بين معتقل ومشرد واستولى على قصورهم وذخائرهم وابعد اولاد حمزة واحلافهم من حكيم المفر وجاوزوا تخوم بلادهم من جهة المغرب واعتزت عليهم الدولة اعتزازا لاكفاء له فنامت الرعايا فى ظل الامن وانطلقت منهم ايدى الاعتمار والمعاش وصلحت السابلة بعد الفساد وانفتحت ابواب الرحمة على العباد وقد كان اعتزاز هولاء العرب على السلطان والدولة لا ينتهى اليه اعتزاز ولهم عنجهية وابابة وخلق فى الكبر والزهو غريبة لما انهم لم يعرفوا عهدا للذل ولا سيموا باعطاء الصدقات منذ العهد الاول اما فى دولة بنى امية فللعصبية التى كانت للعرب بعضها مع بعض تشهد بذلك اخبار الردة والخلفاء معهم ومع امثالهم مع ان الصدقة كانت لذلك العهد بتحرى الحق وبجانب عن الاعتزاز والغلظة فليس فى اعطائها كبر غمط ولا مذلة واما ايام بنى العباس حين استفحال الملك وحدوث الغلظة على اهل العصابة فلانتباذهم بالقفر من بلاد نجد وتهامة وما وراءها واما ايام العبيديين فكانت الحاجة تدعو الدولة الى استمالتهم للفتنة التى كانت بينهم وبين بنى العباس واما حين خرجوا بعد ذلك الى فضاء برقة وافريقية فكانوا

ضاحين من ظل الملك ولما اصطنعهم بنو ابى حفص كانوا معهم بمنجاة من الذل وسوم الخسف حتى كانت واقعتهم بالسلطان ابى الحسن وقومه من زناتة بالقيروان فنهجوا سبيل الاعتزاز لغيرهم من العرب على الدول بالمغرب فتحامل المعقل وزغبة على ملوك زناتة واشتطوا فى طلابهم بعد ان كانوا مكبوحين بحكمة الغلب عن التطاول الى مثلها والله مالك الامور

الخبر عن قاسم بن مرا من الكعوب القائم بالسنة فى سليم ومآل امره وتصاريف احواله

كان هذا الرجل من الكعوب ثم من اولاد احمد بن كعب منهم وهو قاسم بن مرا ابن احمد نشا بينهم ناسكا منتحلا للعبادة ولقى بالقيروان شيخ الصلحاء لعصره ابا يوسف الدهمانى واخذ عنه ولزمه ثم خرج الى قومه مقتفيا طريقة شيخه فى التزام الورع والاخذ بالسنة ما استطاع ورای ما هم العرب عليه من افساد السابلة والخروج عن الجادة فاخذ نفسه بتغيير المنكر فيهم واقامة السنة لهم ودعى الى ذلك عشيره من اولاد احمد وان يقاتلوا معه على ذلك فاشار عليه اولاد ابى الليل منهم وكانوا عيبة نصحه له ان ينكب عن طلب ذلك من قومه مخافة ان يلجوا فى عداوته فيفسد امره ودفعوه الى مطالبة غيرهم من سليم وسائر الناس بذلك وانهم منعة له ممن يرومه خاصة فجمع اليه اوشابا من البادية تبعوه على شانه والتزموا طريقه والمرابطة معه وكانوا يسمون بالجنادة وبدا بالدعاء الى اصلاح السابلة بالقيروان وما اليها من بلاد الساحل وتتبع المحاربين بقتل من يعثر عليه منهم بالطرق وغزو المشاهير منهم فى بيوتهم

واستباحة اموالهم ودمائهم حتى شردهم كل مشرد وعلت بذلك كلمتـــه على ال حصن وصلحت السابلة بافريقية ما بين تونس والقيروان وبلاد الجريد وطار له ذكر نفسه عليه قومه واجمع عداوته واغتياله بنو مهلهل بن قاسم بن احمد وتنصحوا ببعض ذلك للسلطان بتونس الامير ابى حفص وان دعـوة هذا الرجل قادحة فى امر الجماعة والدولة فاغضى لهم عن ذلك وتركهم وشانهم فخرجوا من عنده مجمعين قتله ودعوه فى بعض ايامهم الى المشاورة فى شؤنـهم معه على عادة العرب ووقفوا معه بساحة حيهم ثم خلصوا معه نجيا وطعنه من خلفه محمد بن مهلهل الملقب بابى عذبتين فخر صريعا لليدين والفم وامتعض له اولاد ابى الليل وطلبوا بدمه فافترقت احياء بنى كعب من يومئذ بعد ان كانت جميعا وقام بامره بعده ابنه رافع على مثل طريقته الى ان هلك فى طلب ذلك الامر على يد بعض رجالات ال حصن سنة ســت وسبعماية ولم يزل بنو ابى الليل على الطلب بثار قاسم بن مرا الى ان ظهر فيهم حمزه ومولاهم ابنا عمر بن ابى الليل وصارت اليهم الرياسة على احيائهم واتفق فى بعض الايام اجتماع اولاد مهلهل بن قاسم فى منتدى حمزة ومولاهم فى مشاتيهم بالقفر فاجمعوا اغتيالهم وقتلوهم عن اخرهم بثار ابن عمهم قاسم بن مرا ولم يفلت منهم الا طالب بن مهلهل لم يحضر معهم وعظمت الفتـنـة من يومئذ بين هذين الحيين وانقسمت عليهم احياء بنى سليم وصــاروا يتعاقبون فى الخلاف والطاعة على الدولة وهم على ذلك لهذا العهد والرياسـة فى بنى مهلهل اليوم لمحمد بن طالب بن مهلهل واخيه يحـيى والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

بنو حصن من علاق واما حصن هولاء من بطون علاق وحصن اخو يحيى بن علاق كما مر وهم بطنان ايضا بنو على وحكيم وقد يقال ان حكيما ليس بحصن وانما ربى فى حجره فانتسب اليه فاما حكيم فلهم بطون منهم بنو طريـف وهم

اولاد جابر والشراعبة ونعير وجُوين لمقدام بن طريف وزياد بن طريف ومنهم بنو وائِل بن حكيم وهم بنو طرود بن حكيم وقد يقال ان طريد ليس لسليم وانهم من سنبس احدى بطون هلال بن عامر ويقال ان منهم زيد العجاج ابن فاضل المذكور فى رجالات هلال والصحيح فى طريد انهم من بنى فهم بن عمرو بن قيس بن غيلان مثل عدوان او فى تعددهم وكانت طرود احلاف الدلّاج ثم قاطعوهم وحالفوا ال ملاعب ومن بطون حكيم ال حسين ونوال ومقعد والجميعات ولا ادرى كيف يتصل نسبهم ومنهم بنو نمير بن حكيم ولنمير بطنان ملاعب واحمد فمن احمد بنو محمد والبطين ومن ملاعب بنو هيكل بن ملاعب وهم اولاد زمام والفُريات (1) واولاد ميّاس واولاد قائد ومن اولاد قائد الصرح والمدافعة واولاد يعقوب بن عبد الله بن شكر بن حرقوص بن قائد واليهم رياسة حكيم وسائر بطونهم ومواطن حكيم هولاء لهذا العهد ما بين سوسة والاجم والناجعة منهم احلاف لبنى كعب تارة لاولاد ابى الليل وتارة لاقتالهم اولاد مهلهل ورياستهم فى بنى يعقوب بن القوس كان منهم يعقوب بن عبد السلام بن يعقوب شيخا عليهم وانتقض ايام اللحيانى ووفد على السلطان ابى يحيى بالثغر الغربى من افريقية فى بجاية وقسنطينة (2) وجاء فى جملته فلما ملك تونس عقد له على قومه ورفعه على انظاره وغص به بنو كعب فحرض عليه حمزة من الاعشاش محمد بن حامد بن يزيد فقتله فى موقف شوراهم وولى الرياسة فيهم من بعده ابن عمه محمد بن مسكين بن عامر بن يعقوب بن القوس وانتهت اليه رياستهم وكان يرادفه او ينازعه جماعة من بنى عمه فمنهم سحيم بن سليمان بن يعقوب وحضر واقعة طريف مع السلطان ابى الحسن وكان له فيها ذكر ومنهم ابو الهول وابو القاسم ابنا يعقوب بن عبد السلام وكان لابى الهول مناصحة للسلطان

(1) On trouve aussi الفرنات dans quelques mss. — (2) Ce nom est estropié dans presque tous les mss.

ابى الحسن حين اجلب عليه بنو سليم بالقيروان وداخله مع اولاد مهلهل فى الخروج عن القيروان فخرج معهم جميعا الى سوسة ومنهم بو زيد بن عمر بن يعقوب وابنه خليفة ولم يزل محمد بن مسكين على رياسته ايام السلطان ابى يحيى وكان مخالصا له ومتهالكا فى نصيحته والانحياش اليه ولما هلك خلفه فى رياسته ابن اخيه خليفة بن عبد الله بن مسكين وهو احد الاشياخ الذين تقبض عليهم السلطان ابو الحسن بتونس بين يدى واقعة القيروان ثم اطلقه وهو محصور بالقيروان فكان له به اختصاص من بعد ذلك ولما تغلب العرب على النواحى بعد واقعة القيروان تغلب بنو مسكين هولاء على سوسة فاقطعها السلطان خليفة هذا وبقيت فى ملكته وهلك خليفة فقام برياستهم فى حكيم ابن عمه عامر بن محمد بن مسكين ثم قتله (1) محمد بن تبينة بن حامد من بنى كعب قتله يعقوب بن عبد السلام ثم قتله محمد هذا غدرا بجهات الجريد سنة خمس وخمسين وسبعماية ثم افترق امرهم واستقرت رياستهم لهذا العهد بين احمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين ويلقب ابو صعنونة وهو ابن اخى خليفة المذكور وعبد الله بن محمد بن يعقوب بن عبد السلام بن يعقوب وهو ابن اخى ابى الهول المذكور ولما غلب السلطان ابو العباس على تونس وملكها انتزع سوسة من ايديهم فامتعض احمد لذلك وصار الى ولاية صولة بن خالد بن حمزة من اولاد ابى الليل وسلكوا سبيل الخلاف والفتنة وابعدوا فى شاوهم وهم لهذا العهد مشردون عن الضواحى والارياف منزاحون الى القفر واما عبد الله بن محمد ويلقب الروّاى فتحيز الى السلطان واكد حلفه مع اولاد مهلهل على ولايته ومظاهرته فعظمت رياسته فى قومه وهو على ذلك لهذا العهد ثم راجع ابو صعنونة خدمة السلطان وانقسمت رياسة حكيم بينهما وهم على ذلك لهذا العهد واما بنو على اخوة حكيم فلهم

(1) Le ms. B porte قبله

بطون اولاد مرعى واولاد صورة ويجمعهما معا عون بن احمد بن على بن حصن ثم اولاد نمى والبدرانة واولاد ام احمد والحضرا والرجلان وهم مقعد والجميعات والحمر والمسانية وال حسين وحجرى وقد يقال ان حجرى ليسوا لسليم وانهم من بطون كندة صاروا معهم بالحلف فانتسبوا بنسبهم ورياسة بنى على فى اولاد صورة وشيخهم لهذا العهد ابو الليل بن احمد بن سالم بن عقبة بن شبل بن صورة بن مرعى بن حسن بن عون ويرادفهم المراعنة (1) من اهل نسبهم اولاد مرعى بن حسن بن عون ومواطنهم ما بين الاجم والمباركة من نواحى قابس وناجعتهم احلاف الكعوب اما لاولاد ابى الليل او اولاد مهلهل وغالب احوالهم لاولاد مهلهل والله مقدر الامور لا رب غيره

دبّاب من سليم قد ذكرنا الخلاف فى نسبهم وانهم من دباب بن ربيعة بن زغب الاكبر وان ربيعة اخو زغب الاصغر وضبط هذه اللفظة لهذا العهد بضم الزاى وقد ضبطها الاجدانى (2) والرشاطى بكسر الزاى كذا نقل ابو محمد التجانى فى رحلته ومواطنهم ما بين قابس وطرابلس الى برقة ولهم بطون فمنهم اولاد احمد بن دباب ومواطنهم غربى قابس وطرابلس الى برقة عيون رحال مجاورون لحصن ومن عيون رحال بلاد زغب ومن بطون دباب بنو يزيد مشاركون لاولاد احمد فى هذه المواطن وليس هذا بابهم ولا هو اسم رجل وانما هو اسم لحلفهم انتسبوا به الى مدلول الزيادة كذا قال التجانى وهم بطون اربعة الصهبة بسكون الهاء بنو صهب بن جابر بن فائد (3) بن رافع بن دباب واخوتهم الحمارنة بنو حمران بن جابر والخرجة بسكون الراء بطن من ال سليمان منهم اخرجهم ال سليمان من مواطنهم بمسلاتة فخالفوا هولاء ونزلوا معهم والاصابعة نسبه الى رجل ذى اصبع زائدة ولم يذكر التجانى

(1) Il faut probablement lire المراعية — (2) Les mss. D et E portent الاجدابى — (3) Les mss. A et D portent قايد

فى اى بطن من دباب ينتسبون ومنهم النوائل بنو نائل بن عامر بن جابر واخوتهم اولاد سنان بن عامر واخوتهم اولاد وشاح بن عامر وفيهم رياسة هذا القبيل من دباب كلهم وهم بطنان عظيمان المحاميد بنو محمود بن طوق بن بقية ابن وشاح ومواطنهم ما بين قابس ونفوسة وما الى ذلك من الضواحى والجبال ورياستهم لهذا العهد فى بنى رحاب بن محمود لاولاد سباع بن يعقوب بن عطية بن رحاب والبطن الاخر الجوارى بنو حميد بن جارية بن وشاح ومواطنهم طرابلس وما اليها مثل تاجورا (1) وهراغة (2) وزنزور وما الى ذلك ورياستهم لهذا العهد فى بنى مرغم بن صابر بن عسكر بن حميد لصابر بن عسكر بن على بن مرغم ومن اولاد وشاح بطنان اخران صغيران مندرجان مع الجوارى والمحاميد وهما الجواوبة بنو جوّاب بن وشاح والعمور بنو عمرو بن وشاح هكذا زعم التجانى فى العمور هولاء وفى هلال بن عامر بطن العمور كما ذكرناه وهم يزعمون ان عمور دباب هولاء منهم وانهم انما جمعهم مع دباب الموطن خاصة وليسوا من سليم والله اعلم بحقيقة ذلك وكان من اولاد وشاح بنو حريز بن تميم بن عمرو بن وشاح كان منهم فائد بن حريز من فرسان العرب المشاهير وله شعر متداول بينهم لهذا العهد سمر الحى وفكاهة المجالس ويقال انه من المحاميد فائد بن حريز بن حربى بن محمود بن طوق وكان بنو دباب هولاء شيعة لقراقش الغزى وابن غانية ولهما فيهم اثار وقتل قراقش مشيخة الجوارى فى بعض ايامه ثم صاروا بعد مهلك ابن غانية الى خدمة الامير ابى زكرياء واهل بيته من بعده وهم الذين اقاموا امر الداعى ابن ابى عمارة وعليهم كان تلبيسه لان نصيرا مولى المخلوع كان فر اليهم بعد مهلك مولاه وبنيه ونزل عليهم حتى اذا مر بهم ابن ابى عمارة راى فيه شبها بينا بالفضل ابن مولاه يحيى المخلوع فحن وجزع وفزع الى البكاء والصريخ فسائله ابن ابى

(1) On lit باجوره dans le ms. B. — (2) Les mss. A et B portent هزاعه

عمارة فعرفه الخبر فاتفقوا على التلبيس وزينوا ذلك لهولاء العرب فقبلوه وتولى كبر ذلك مرغم بن صابر وتبعه قومه وداخلهم فى الامر ابو مروان عبد الملك بن مكى رئيس قابس فكان من قدر الله ما كان فى تمام امره وتلويث كرسى الخلافة بجسده حسبما نذكره فى اخبار الدولة الحفصية وكان السلطان ابو حفص يعتمد عليهم فغلبهم فى دعوة عمارة فخالفوا عليه وسرح لحربهم قائده ابا عبد الله الفازازى واستصرخوا بالامير ابى زكرياء ابن اخيه وهو يومئذ صاحب بجاية والثغر الغربى من افريقية ووفد عليه منهم عبد الملك بن رحاب بن محمود فنهض لصريخه سنة سبع وثمانين وستماية وحاربوا اهل قابس وهزموهم واثخنوا فيهم ثم غلبهم الفازازى ومانعهم عن وطن افريقية ورجع الامير ابو زكرياء الى ثغره وكان مرغم بن صابر بن عسكر شيخ الجوارى قد اسره اهل صقلية من سواحل طرابلس سنة ثنتين وثمانين وباعوه لاهل برشلونة فاشتراه ملكهم وبقى اسيرا عنده الى ان نزع اليه عثمان ابن ادريس الملقب بابى دبّوس بقية الخلفاء (1) من بنى عبد المومن واراد الاجازة الى افريقية لطلب حقه فى الدعوة الموحدية فعقد ملك برشلونة بينه وبين مرغم حلفا وبعثهما ونزلا بساحل طرابلس واقام مرغم الدعوة لابن ابى دبوس وحمل عليها قومه وحاصر طرابلس سنة ثمان وثمانين اياما ثم تركوا عسكرا لحصارها وارتحلوا لجباية الوطن فاستفرغوه وكان ذلك غاية امرهم[وبقى ابن (2) دبوس يتقلب فى اوطانهم مدة واستدعاه الكعوب لاول الماية الثامنة واجلبوا به على تونس ايام السلطان ابى عصيدة من الحفصيين وحاصروها اياما فلم يظفروا ورجع الى نواحى طرابلس واقام بها مدة ثم ارتحل الى مصر واقام بها الى ان هلك كما ياتى ذكره فى خبر ابنه مع السلطان ابى الحسن بالقيروان ولم يزل هذا شان الجوارى والمحاميد الى ان تقلص ظل

(1) Le ms. A porte الخفاء — (2) Je lis ابو

الدولة عن اوطان قابس وطرابلس فاستبد برياسة ضواحيها واستعبدوا سائر الرعاية المعتمرة فى جبالها وبسائطها واستبد اهل الامصار برياسة امصارهم بنو مكى بقابس وبنو ثابت بطرابلس وضواحيها على ما نذكر فى اخبارهم وانقسمت رياسة اولاد وشاح بانقسام المصرين فتولى الجوارى طرابلس وضواحيها وزنزور وغريان ومغرو وتولى المحاميد بلد قابس وبلاد نفوسة وجربة

وفى دباب هولاء بطون اخرى ناجعة فى القفر ومواطنهم منزاحة الى جانب الشرق عن مواطن هولاء الوشاحين فمنهم ال سليمان بن هيب بن رافع بن دباب ومواطنهم قبلة مغرو وغريان ورياستهم فى ولد نصر بن زائد بن [بياض] سليمان وهى لهذا العهد لهامل بن حماد بن نصر وبنيه والبطن الاخر ال سالم بن هيب اخى سليمان ومواطنهم بلد مسراتة الى لبدة ومسلاتة وشعوب ال سالم هولاء الاحامد والعمائم والعلاونة واولاد مرزوق ورياستهم فى ولد مرزوق وهو ابن معلّى ابن معدان بن فليتة بن قماص بن سالم وكانت فى اول هذه المائة الثامنة لغلبون بن مرزوق واستقرت فى بنيه وهى اليوم لحميد بن سنان ابن عثمان بن غلبون والعلاونة منهم مجاورون للعزة من عرب برقة والمثائنة (1) من هوارة المقيمين ويجاور دباب هولاء فى مواطنهم من جهة القبلة ناصرة وهم بطون ناصرة بن خفاف بن امرء القيس بن بهثة بن سليم فان كان زغب ابو دباب لملك بن خفاف كما زعم التجانى فهم اخوة ناصرة ويبعد ان يسمى قوم باسم اخوانهم وان كانوا لناصرة كما زعم ابن الكلبى فهو اقرب ويكون هولاء اختصوا باسم ناصرة دون دباب وغيرهم من بنيه هكذا كثير من بطون القبائل والله اعلم ومواطنهم بلاد فزان وودان هذه اخبار دباب هولاء واما العزة جيرانهم فى الشرق الذين قدمنا ذكرهم فهم موطنون من ارض برقة خلاء لاستيلاء

(1) La ponctuation de ce nom propre varie dans les mss.

الخراب على امصارها وقراها من دولة صنهاجة، تمرست بعمرانها بادية العرب وناجعتهم فتحيفوها غارة ونهبا الى ان فسدت فيها مذاهب المعاش وانتقض العمران فخربت وصار معاش الاكثر من هولاء العرب الموطنين بها لهذا العهد من الفلح يثيرون له الارض بالعوامل من الجمال والحمير وبالنساء اذا ضاق كسبهم عن العوامل وارتكبوا ضرورة المعاش وينجعون الى بلاد النخل فى جهة القبلة منهم من اوجلة وسنترية والواحات وما وراء ذلك من الرمال والقفر الى بلاد السودان المجاورين لهم وهم كانم وتسمى بلدهم برنيق وشيخ هولاء العرب ببرقة يعرف لهذا العهد بابى ذيب من بنى جعفر وركاب الحج من المغرب يحمدون مسالمتهم فى ممرهم وحسن نيتهم فى التجافى عن حاج بيت الله وارفادهم بجلب الاقوات لسوقهم وحسن الظن بهم ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره واما نسبهم فما ادرى فيمن هو من العرب وحدثنى الثقة من دباب عن خريص ابن شيخهم ابى ذيب انهم من بقايا الكعوب ببرقة وتزعم نسابة الهلاليين انهم لربيعة بن عامر اخوة هلال بن عامر وقد مر الكلام فى ذلك فى اول ذكر بنى سليم ويزعم بعض النسابة انهم والكعوب من العزة وان العزة من هيب وان رياسة العزة لاولاد احمد وشيخهم ابو ذيب وان المثاينة (1) جيرانهم من هوارة وذكر لى سلام ابن التركية شيخ اولاد مقدم جيرانهم بالعقبة انهم من بطون مسراتة من بقية هوارة وهو الذى رايت النسابة المحققين عليه بعد ان دخلت مصر ولقيت كثيرا من المترددين اليها من اهل برقة وهذا اخر الطبقة الرابعة من العرب وبانقضائه انقضى الكتاب الثانى فى العرب واجيالهم منذ مبدا الخليقة فلنرجع الى اخبار البربر فى الكتاب الثالث والله ولى العون

(1) Le man. B porte المثانية

بســـم الله الرحمن الرحيم اللهم صلى على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليمـا

الكتاب الثالث فى اخبار البربر الامة الثانية اهل المغرب وذكر اوليتهم واجيالهم ودولهم منذ مبدا الخليقة ولهذا العهد ونقل الخلاف الواقع بين الناس فى انسابـــــــــــهم

هذا الجيل من الادميين هم سكان المغرب على القدم ملـئوا البسائط والجبال من تلوله واريافه وضواحيه وامصاره يتخذون البيوت من الحجارة والطيـــن ومن الخصاص والشجر ومن الاشعار والاوبار ويظعن اهل العز منهم والغلب لانتجـــاع المراعى فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها الريف الى الصحراء والقفر الاملس ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل فى الغالب للركوب والنتاج وربما كانت الابل من مكاسب اهل النجعة منهم شان العرب ومعاش المستضعفين منـــهم فى الفلح ودواجن السائمة ومعاش المعتزين من اهل الانتجاع والاظعان فى نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة ولباسهم واكثر اثاثهم من الصـــوف ويشتملون الصماء بالاكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل ورءوسهم فى الغالب حاسرة وربما يتعاهدونها بالحلق ولغتهم من الرطانة الاعجمية متميزة بنوعها وهى التى اختصوا لاجلها بهذا الاسم يقال ان افريقس ابن قيس بن صيفى من ملوك التبابعة لما اغزا المغرب وافريقية وقتل الملك الجرجيس وبنى المدن والامصار وباسمه زعموا سميت افريقية وانه لما راى هذا الجيل من الاعاجم وسمع رطانتهم وزعا اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال ما اكثر بربرتكم فسموا بالبربر والبربر فى لسان العرب هى اختلاط

الاصوات غير المفهومة ومنه يقال بربر الاسد اذا زار باصواته غير المفهومة واما شعوب هذا الجيل وبطونهم فان علماء النسب متفقون على انهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس ومادغس ويلقب مادغس الابتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنا بر وبين النسابين خلاف هل هما لاب واحد فذكر ابن حزم عن ايوب بن ابى يزيد (1) صاحب الحمار انهما لاب واحد على ما حدثه عنه يوسف الوراق وقال سابق بن سليمان المطماطى وهانى بن مصدور (2) الكومى وكهلان بن ابى لوا وهم نسابة البربر ان البرانس بنو بر وهو من نسل مازيغ بن كنعان والبتر بنو بر وهو ابن قيس بن غيلان وربما نقل ذلك عن ايوب بن ابى يزيد الا ان رواية ابن حزم اصح لانه اوثق واما شعوب البرانس فعند اكثر النسابين انهم يجمعهم سبعة اجذام وهى ازداجة ومصمودة واوربة وعجيسه وكتامة وصنهاجة واوريغة وزاد سابق بن سليمان واصحابه لمطة وهسكورة وكزولة وقال ابو محمد بن حزم ويقال انّ صنهاج ولمط انما هما ابنا امراة يقال لها تصكى ولا يعرف لهما اب تزوجها اوريغ فولدت له هوّار فلا يعرف لهما اكثر من انهما اخوان لهوار من امه قال وزعم قوم فى اوريغ انه ابن خبوز (3) بن المثنى بن السكاسك بن كندة وذلك انه باطل وقال الكلبى ان كتامة وصنهاجة ليسا من قبائل البربر وانما هما من شعوب اليمنية تركهما افريقس بن صيفى بافريقية مع من انزل بها من الحامية هذه جماع مذاهب اهل التحقيق فى شانهم فمن ازداجة مسطاسة ومن مصمودة غمارة بنو غمار بن مسطاف بن فليل بن مصمود ومن اوريغة هوارة ومَلّد ومغر وقلدن فمن هوّارة بن اوريغ مليلة وبنو كهلان ومن ملد بن اوريغ سطط وورفل واسيل ومسراتة ويقال لهم جميعا لهانة

(1) Telle est la leçon du ms. E. Les autres portent زيد — (2) Ce nom est écrit ailleurs يصدور — (3) Le ms. B porte خيّور Dans chaque ms. ce mot est ponctué d'une manière différente.

بنو لهان بن ملد ويقال ان مليلة منهم ومن مغر بن اوريغ ماوس وزمور وكبا ومسراى ومن قلدن بن اوريغ قمصانة وورصطيف وبياتة وبل واما شعوب البتر وهم بنو مادغس الابتر فيجمعهم اربعة اجذام اداسة ونفوسة وضريسة وبنو لوا الاكبر وكلهم بنو زحيك (1) بن مادغس فاما اداسة بنو اداس بن زحيك فبطونهم كلها فى هوارة لان ام اداس تزوجها بعد زحيك اوريغ ابن عمه برنس والد هوارة فكان اداس اخا لهوارة ودخل بنسب بنيه كلهم فى هوارة وهم سفارة واندارة وهنزونة وصنبرة وهراغة واوطيطة وترهنة هولاء كلهم بنو اداس بن زحيك بن مادغس وهم اليوم فى هوارة واما لوا الاكبر فمنه بطنان عظيمان وهما نفزاوة بالشين بين الزاى والشين بنو نفزاو بن لوا الاكبر ولواتة بنو لوا الاصغر بن لوا الاكبر خلفه ابوه حملا فسمى به فمن لواتة اكورة وعترززة وبنو ماصلة بن لوا الاصغر ومنهم مزاتة بنو زاير بن لوا الاصغر ومغاغة وجدانة بنو كطوف بن لوا الاصغر وعند ابن سابق واصحابه ان مغاغة وجدانة واكورة وعترززة كلهم من ماصل بن لوا الاصغر ومن لواتة سدراتة بنو نيطط (2) بن لوا الاصغر ودخل نسب سدراتة فى مغراوة قال ابو محمد ابن حزم لان مغراو تزوج ام سدراتة فصار سدراتة اخا بنى مغراوة لامهم واختلط نسبه بهم ومن نفزاوة ايضا بطون كثيرة وهم ولهاصة وغساسة وزهيلة وسوماتة وورسيف ومرنيزة وزاتيمة وورطول ومرنيسة وورد غروس ووردين كلهم بنو يطوفت بن نفزاو وزاد ابن سابق واصحابه مجر ومكلاتة وقال ويقال ان مكلاتة ليس من البربر وانه من حمير وقع الى يطوفت صغيرا فتبناه وهو مكلا بن ريمان بن كلاع حاتم بن سعد بن حمير ولولهاصة من نفزاوة بطون كثيرة من تيدغاس (3) ودحية ابنى ولهاص فمن تيدغاس

(1) Le man. B porte partout زجيك — (2) On lit aussi dans les mss. قبطط, قطيط, قيطط, نبطط et سطط — (3) Les mss. A et E portent ici نبدغاش

بطون ورنجومة وهم زجّال (1) وطو (2) وبورغش ووانجز وكرطيط ومانجدل (3) وسينت (4) بنو ورنجوم بن تيدغاس بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو وقال ابن سابق واصحابه وبنو تيدغاس من لواتة كلهم بجبل اوراس ومن دحية ورتدين وترير ووَرْلَتونت (5) ومكرا ويفوين (6) بنو دحية بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو واما ضريسة وهم بنو ضرى بن زحيك بن مادغس الابتر فيجمعهم جذمان عظيمان بنو تمصيت بن ضرى وبنو يحيى بن ضرى وقال سابق واصحابه ان بطون تمصيت كلها من فاتن (7) بن تمصيت وانهم اختصوا بنسب ضريسة دون بطون يحيى فمن بطون تمصيت مطماطة وصطفورة وهم كومية ولماية ومطغرة وصدينة ومغيلة ومكزوزة (8) وكشانة ودونة ومديونة كلهم بنو فاتن ابن تمصيت بن ضرى ومن بطون يحيى زناتة كلهم وسمكان وورصطف فمن ورصطف مكناسة واوكنة وورتناج [ومكن] بنو ورصطف بن يحيى فمن مكناس ورتيفة وورتدوس (9) وتفليت (10) وفنصارة وموالات وحرات وورفلاس ومن مكن بولالين وترين ويصلتن وجرين (11) وفوغال ومن ورتناج مكنسة (12) وبطالسة وكرنيطة وسدرجة وهناطة وفولال (13) بنو ورتناج بن ورصطف ومن سمكان زواغة وزواوة بنو سمكان بن يحيى وابن حزم يعد زواوة التى بالواو فى بطون كتامة وهو اظهر ويشهد له الوطن فالغالب ان زواوة التى تعد فى سكمان هى التى بالراء وهى قبيلة معروفة ومن زواغة بنو ماجر وبنو

(1) On trouve ailleurs ce nom écrit رجال — (2) On lit وانمو et ونمو dans les tables. — (3) Les tables portent مايتجدل — (4) Les tables portent سبيب, et le texte du ms. D سيتت — (5) Le ms. D porte ورسوتنى, le ms. C ورتيونت, et les tables ورتيوبت — (6) Les tables portent يفوتن — (7) Dans les mss. D et E, ce nom est écrit فاين — (8) Ce nom est écrit ailleurs ملزوزة et ملزوره — (9) Les tables portent وريدوس — (10) Dans le ms. D ce nom est écrit ورفليت, et dans les tables de deux mss. on lit ورتفليت — (11) Les tables portent جرتن — (12) Le ms. D porte مكيسة — (13) On lit بولال dans le ms. D.

واطيل وسمكين وسياتى الكلام فيهم مستوفى عند ذكرهم ان شاء الله هذا اخر الكلام فى شعوب هذا الجيل مجملا ولا بد من تفصيل فيه عند تفصيل اخبـــــارهم

واما الى من يرجع نسبهم من الامم الماضية فقد اختلف النسابون فى ذلك اختلافا كثيرا وبحثوا فيه طويلا فقال بعضهم انهم من ولد ابراهيم عليه السلام من نقشان (1) ابنه وقد تقدم ذكره عند ذكر ابراهيم عليه السلام وقال اخرون ان البربر يمنيون فقيل اوزاع من اليمن وقال المسعودى من غسان وغيرهم تفرقوا عند ما كان من سيل العرم وقيل تخلفهم ابرهة ذو المنار بالمغرب وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم فلسطين واخرجهم منها بعض ملوك فارس فلما وصلوا الى مصر منعهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل وانتشروا فى البلاد وقال ابو عمر بن عبد البر ادعت طوائف البربر انهم من ولد النعمان بن حمير بن سبا قال ورايت فى كتاب الاسفنداد لحكيم ان النعمان ابن حمير بن سبا كان ملك زمانه فى الفترة وانه استدعى ابناءه وقال لهم اريد ان ابعث منكم الى المغرب من يعمره فراجعوه فى ذلك وعزم عليهم وانه بعث منهم لمت ابو لمتونة ومسفو ابو مسوفة ومرطا ابو هسكورة واصناك ابو صنهاجة ولمط ابو لمطة وايلان ابو هيلانة فنزل بعضهم بجبل درن وبعضهم بالسوس وبعضهم بدرعة ونزل لمط عند كزول وتزوج ابنته ونزل اجانا وهو ابو زناتة بوادى شلف ونزل بنو ورتجين ومغراو باطراف افريقية من جهة المغرب ونزل مصمود بمقربة من طنجة والحكاية طويلة وانكرها ابو عمر بن عبد البر وابو محمد بن حزم وقال اخرون انهم كلهم من قوم جالوت وقال على بن عبد العزيز الجرجانى النسابة فى كتاب الانساب له لا اعلم قولا يودى الى الصحة الا قول من قال انهم من ولد جالوت ولم ينسب جالوت ممن هو وعند ابن

(1) Il faut lire يقشان; voyez la Bible, *Gen.* xxv, 2.

قتيبة انه ونور بن هرمل (1) بن جديلان (2) بن جالود بن رديلان (3) بن حطى بن زياد بن زجيك بن مادغس الابتر ونقل عنه ايضا انه جالوت بن هريال (4) بن جالود بن ديال (5) بن قحطان بن فارس قال وفارس مشهور وسفك ابو البربر كلهم قالوا والبربر قبائل كثيرة وشعوب جمة وهى هوارة وزناتة وضريسة ومغيلة وورفجومة ونفزة وكتامة ولواتة وغمارة ومصمودة وصديفة ويزدران ودرنجين وصنهاجة ومجكسة ووارگلان وغيرهم وذكر اخرون منهم الطبرى وغيره ان البربر اخلاط من كنعان والعماليق فلما قتل جالوت تفرقوا فى البلاد وغزا افريقس المغرب ونقلهم من سواحل الشام واسكنهم افريقية وسماهم بربر وقيل ان البربر من ولد حام بن نوح من بربر بن تملا ابن مازيغ بن كنعان بن حام وقال الصولى هم من ولد بربر بن كسلوجيم ابن مصرائيم بن حام وقيل من العمالقة من بربر بن تملا بن مارب بن قاران ابن عمرو بن عملاق بن لاود بن ارم بن سام وعلى هذا القول فهم عمالقة وقال مالك بن الموحل (6) البربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش تالفوا بالشام ولغطوا فسماهم افريقس البربر لكثرة كلامهم وسبب خروجهم عند المسعودى والطبرى والسهيلى ان افريقس استجاشهم لفتح افريقية وسماهم البربر وينشدون من شعره

بربَرَتْ كنعان لما سقتُها ‏ ‏ ‏ ‏ من اراضى الضنك للعيش الخصب

وقال ابن الكلبى اختلف الناس فيمن اخرج البربر من الشام فقيل داوود بالوحى قيل يا داوود اخرج البربر من الشام فانهم جدام الارض وقيل يوشع

(1) Le ms. D porte وثور بن هربيل ; on lit dans le ms. C ونور بن هربيل — (2) C يلاد ; D et E حديلان — (3) On lit ردينال dans le ms. B. — (4) A et E هربال ; C هريان — (5) E دبال ; C ذبال — (6) Le ms. B porte الموصل

ابن نون وقيل افريقس وقيل بعض ملوك التبابعة وعند البكرى ان بنى اسرائيل اخرجوهم عند قتل جالوت وللمسعودى والبكرى انهم فروا بعد موت جالوت الى المغرب وارادوا مصر فاجلتهم القبط فسكنوا برقة وافريقية والمغرب على حرب الافرنج والافارقة واجازوهم الى صقلية وسردانية وميورقة والاندلس ثم اصطلحوا على ان المدن للفرنجة وسكنوا القفار عصورا فى الخيام وانتجاع الامصار من اسكندرية الى البحر والى طنجة والسوس حتى جاء الاسلام وكان منهم من تهوّد ومن تنصر واخرون مجوسا يعبدون الشمس والقمر والاصنام ولهم ملوك ورؤساء وكان بينهم وبين المسلمين حروب مذكورة وقال الصولى البكرى ان الشيطان نزغ بين بنى حام وسام فانجلى بنو حام الى المغرب ونسلوا به وقال ايضا ان حام لما اسود بدعوة ابيه فر الى المغرب حيا واتبعه بنوه وهلك عن اربعماية سنة وكان من ولده بربر بن كسلوجيم فنسل بنوه بالمغرب قال وانضاف الى البربر حيان من العرب يمنيان عند خروجهم من مارب كتامة وصنهاجة قال وهوارة ولمطة ولواتة بنو حمير بن سبا وقال هانى بن بكور الضريسى وسابق بن سليمان المطماطى وكهلان بن ابى لوا وايوب بن ابى يزيد وغيرهم من نسابة البربر ان البربر فرقتان كما قدمناه وهم البرانس والبتر فالبتر من بر(1) بن قيس بن غيلان والبرانس بنو بر بن سخجو بن ابذج بن حناح (2) بن وليل بن شراط بن نام (3) بن دويم بن دام بن مازيغ بن كنعان (4) بن حام وهذا هو الذى يعتمده نسابة البربر قال الطبرى خرج بر (5) بن قيس ينشد ضالة باحياء البربر فهوى جارية وتزوجها فولدت وعند غيره من نسابة البربر انه خرج

(1) Le manuscrit B porte بربر, et le manuscrit A يزيد — (2) Les manuscrits C et E portent حنذح — (3) Dans les manuscrits B et E, ce nom est écrit مام — (4) Le manuscrit D porte كعنان — (5) A et C يزيد ; E بربر

فارا من اخيه عمرو بن قيس وفى ذلك يقول تماضر

يبكى كل باكية اخاها ... كما ابكى على برّ ابن قيس
تحمّل عن عشيرته فاضحى ... ودون لقائه انضاء عيس

ومما ينسب الى تماضر ايضا

وشطت ببر داره عن بلادنا ... وطوح بر نفسه حيث يمما
وازرت ببر لكنة اعجمية ... وما كان بر فى الحجازين اعجما
كانّا وبرًّا لم نغر بجيادنا ... بنجد ولم نقسم نهابا ومغنما

وانشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلى

الا ايها الساعى لفرقة بيننا ... توقف هداك الله سبل الاطائب
فاقسم انا والبرابر اخوة ... نمانا وهم جد كريم المناصب
ابونا ابوهم قيس غيلان فى الذرى ... وفى حومة يشفى غليل المحارب
فنحن وهم ركن منيع واخوة ... على رغم اعداء لئام المناقب
فانا لبر ما بقى الناس ناصرا ... وبر لنا ركن منيع المناكب
نعدّ لمن عادى شوازب ضمّرا ... وبيضا تقط الهام يوم التضارب
وبر بن قيس عصبة مضرية ... وفى الفرع من احسابها والذوائب
وقيس قوام الدين فى كل بلدة ... وخير معدّ عند حفظ المناسب
وقيس لها المجد الذى يقتدى به ... وقيس لها سيف حديد المضارب

وينشدون ايضا ابياتا من شعر يزيد بن خالد يمدح البربر

ايها السائل عن اصولنا ... قيس غيلان بنو العز الاول
نحن ما نحن بنى بر الندى ... عرق المجد وفى المجد وحل
وابتنا المجدَ فاورى زنده ... وكفانا كل خطب ذى جلل
ان قيس يعتزى بر لها ... ولبر يعتزى قيس اجل

ولنا الفخر بقيس انه　　جدّنا الاكبر فكّاك الكبل
ان قيسا قيس غيلان هم　　معدن الحق على الخير دلل
حسبك البرّ بر قومى انهم　　ملكوا الارض باطراف الاسل
وببيض يضرب الهامّ بها　　هام من كان عن الحق نكل
ابلغوا البربر عنى مدحا　　حيك من جوهر شعر منتخل

وعند نسابة البربر وحكاه البكرى وغيره انه كان لمضر ولدان الياس وغيلان (1) امهما الرباب بنت حيدة بن عمرو بن معد بن عدنان فولد غيلان ابن مضر قيسا ودهمان اما دهمان فولده قليل وهم اهل بيت من قيس يقال لهم بنو امامة وكانت لهم بنت تسمى البها بنت دهمان واما قيس بن غيلان فولد له اربعة بنين وهم سعد وعمرو امهما مزنة بنت اسد بن ربيعة بن نزار وبر وتماضر امهما تمزيغ بنت مجدل بن مجدل بن غمار بن مصمود وكانت قبائل البربر يومئذ يسكنون الشام ويجاورون العرب فى المساكن ويشاركونهم فى المياه والمراعى والمسارح ويصهرون اليهم فتزوج بر بن قيس بنت عمه وهى البها بنت دهمان وحسده اخوته فى ذلك وكانت امه تمزيغ من دهاة النساء فخشيت منهم عليه ان يقتلوه وبعثت لذلك الى اخوالها سرا ورحلت معهم بولدها وزوجته الى ارض البربر وهم اذذاك ساكنون بفلسطين واكناف الشام فولدت البها لبر بن قيس ولدين علوان ومادغس فمات علوان صغيرا وبقى مادغس فكان يلقب الابتر وهو ابو البتر من البربر ومن ولده جميع زناتة قالوا وتزوج مادغس بن بر وهو الابتر بامل بنت واطاس بن مجدل بن مجدل بن غمار (2) فولدت له زحيك (3) بن مادغس قال ابو عمر بن عبد البر فى كتاب التمهيد فى الانساب اختلف الناس فى

(1) Les mss. B et D portent عيلان — (2) Les mss. A et E portent عمار — (3) On lit رجيك dans le ms. B.

انساب البربر اختلافا كثيرا وانسب ما قيل فيهم انهم من ولد قبط بن حام لما نزل مصر خرج ابنه يريد المغرب فسكنوا من اخر عمالة مصر وذلك ما وراء برقة الى البحر الاخضر مع بحر الاندلس الى منقطع الرمل متصلين بالسودان فمنهم لواتة بارض طرابلس ونزل قوم بقربها وهم نفرة ثم امتدت بهم الطرق الى القيروان وما وراءها الى تاهرت الى طنجة وسجلماسة الى سوس الاقصى وهم طوائف صنهاجة وكتامة ودكالة (1) من وركلاوة (2) وفطواكة (3) من هسكورة ومزطاوة وذكر بعض اهل الاثر ان الشيطان نزغ بين بنى حام وبنى سام فوقعت بينهما مناوشات كانت الدبرة فيها لسام وبنيه وخرج حام الى المغرب وقدم مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى بلغ السوس الاقصى وخرج بنوه فى اثره يطلبونه فكل طائفة من ولده بلغت موضعا وانقطع عنهم خبره فاقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه ووصلت اليهم طائفة فاقاموا معهم وتناسلوا هنالك وكان عمر حام اربعماية وثلاث واربعين سنة فيما ذكره البكرى وقال اخرون كان عمره خمس ماية واحدى وثلاثين سنة وقال السهيلى يمن هو يعرب بن قحطان قال وهو الذى اجلى بنى حام الى المغرب بعد ان كانوا الجزى من ولد قوط بن يافت هذا اخر الخلاف فى انساب البربر واعلم ان هذه المذاهب كلها مرجوحة وبعيدة من الصواب فاما القول انهم من ولد ابراهيم فبعيد لان داوود الذى قتل جالوت وكان البربر معاصرين له ليس بينه وبين اسحاق بن ابراهيم اخى نقشان الذى زعموا انه ابو البربر الا نحو عشرة اباء ذكرناهم اول الكتاب ويبعد ان يتشعب النسل فيهم مثل هذا التشعب واما القول بانهم من ولد جالوت او العماليق وانهم نقلوا من ديار الشام اوانتقلوا فقول ساقط يكاد يكون من احاديث خرافة اذ مثل هذه الامة المشتملة على امم وعوالم ملات جانبا من الارض لا تكون منتقلة

(1) Ms. C زكالة ; mss. A et E ركالة — (2) Ms. C زكلاوه — (3) Ms. C قطواكه ; ms. E قطوالة

من جانب اخر وقطر محصور والبربر معروفون فى بلادهم واقاليمهم متميزون بشعارهم (1) من الامم منذ الاحقاب المتطاولة قبل الاسلام فما الذى يحوجنا الى التعلق بهذه الترهات فى شان اوليتهم ويحتاج الى مثله فى كل جيل وامة من العجم والعرب وافريقس الذى يزعمون انه نقلهم قد ذكروا انه وجدهم بها وانه تعجب من كثرتهم وعجمتهم وقال ما اكثر بربرتكم فكيف يكون هو الذى نقلهم وليس بينه وبين ابرهة ذى المنار من يتشعبون فيه الى مثل ذلك ان قالوا انه الذى نقلهم واما القول ايضا بانهم من حمير من ولد النعمان او من مضر من ولد قيس بن غيلان (2) فمنكر من القول وقد ابطله امام النسابين والعلماء ابو محمد بن حزم وقال فى كتاب الجمهرة ادعت طوائف من البربر انهم من اليمن ومن حمير وبعضهم ينتسب الى بر بن (3) قيس وهذا كله باطل لا شك فيه وما علم النسابون لقيس بن غيلان ابنا اسمه بر اصلا ولا كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا فى تكاذيب مورخى اليمن واما ما ذهب اليه ابن قتيبة انهم من ولد جالوت وان جالوت من ولد قيس بن غيلان فابعد من الصواب فان قيس غيلان من ولد معد وقد قدمنا ان معد كان معاصرا لبخت نصر وان ارميا النبى خلص به الى الشام بالوحى حذرا عليه من بخت نصر حين سلط على العرب وبخت نصر هو الذى خرب بيت المقدس بعد بناء داوود وسليمان اياها باربعماية وخمسين سنة ونحوها فيكون معد بعد داوود بمثل هذا الامد فكيف يكون ابنه قيس ابا الجالوت المعاصر لداوود هذا فى غاية البعد واظنها غفلة من ابن قتيبة ووهما والحق الذى لا ينبغى التعويل على غيره فى شانهم انهم من ولد كنعان بن حام بن نوح كما تقدم فى انساب الخليقة وان اسم جدهم مازيغ واخوتهم اكريكش وفلسطين اخوانهم

(1) Tous les mss. portent بشعائرهم — (2) Le ms. A porte عيلان — (3) Les manuscrits portent بربرين

بنوكسلوجيم بن مصرايم بن حام وملكهم جالوت سمة معروفة له وكانت بين فلسطين هولاء وبين بنى اسرائيل بالشام حروب مذكورة وكان بنو كنعان واكريكش شيعا لفلسطين على بنى اسرائيل ومن هنا والله اعلم التبس على القائل بان جالوت من البربر وانما هو من اخوانهم فلسطين فلا يقعن فى وهمك غير هذا فهو الصحيح الذى لا معدل عنه ولا خلاف بين نسابة العرب ان شعوب البربر الذى (1) قدمنا ذكرهم كلهم من البربر الا صنهاجة وكتامة فان بين نسابة العرب فيهم خلافا والمشهور انهم من اليمنية وان افريقس لما اغزا افريقية انزلهم بها واما نسابة البربر فيزعمون فى بعض شعوبهم انهم من العرب مثل لواتة يزعمون انهم من حمير ومثل هوارة يزعمون انهم من كندة من السكاسك ومثل زناتة تزعم نسابتهم انهم من العمالقة فروا امام بنى اسرائيل وربما يزعمون فيهم انهم من بقايا التبابعة ومثل غمارة ايضا وزواوة ومكلاتة يزعمون فى هولاء كلهم نسابتهم انهم من حمير حسبما نذكره عند تفصيل شعوبهم فى كل فرقة منهم وهذه كلها مزاعم والحق الذى تشهد به المواطن والعجمة انهم بمعزل عن العرب الا ما تزعمه نسابة العرب فى صنهاجة وكتامة وعندى انهم من اخوانهم والله اعلم وقد انتهى بنا الكلام فى انسابهم واوليتهم فلنرجع الى تفصيل شعوبهم وذكرهم امة امة ونقتصر منهم على ذكر من كانت له منهم دولة ملك او شالف شهرة او تشعب نسل فى العالم وعدد لهذا العهد وما قبله من صنفى البرانس والبتر منهم وترتيبهم شعبا حسبما تادى الينا من ذلك واشتمل عليه محفوظنا والله المستعان

(1) Telle est la leçon de tous les manuscrits, mais الذين serait préférable.

الفصل الثانى فى ذكر مواطن هؤلاء البربر بافريقية والمغرب

اعلم ان لفظ المغرب فى اصل وضعه اسم اضافى يدل على مكان من الامكنة باضافته الى جهة الشرق ولفظ الشرق كذلك باضافته الى جهة المغرب فكل مكان من الارض مغرب بالاضافة الى جهة الشرق ومشرق بالاضافة الى جهة الغرب الا ان العرب قد يخصص هذه الاسماء بجهات معينة واقطار مخصوصة وعرف اهل الجغرافيا المعتنين بمعرفة هيئة الارض وقسمتها باقاليمها ومعمورها وخرابها وجبالها وبحارها ومساكن اهلها مثل بطليموس ورجار صاحب صقلية المنسوب له الكتاب المشهور بين الناس لهذا العهد فى هيئة الارض والبلدان وامثالهم ان المغرب قطر واحد متميز الاقطار يحده من جهة الغرب البحر المحيط وهو عنصر الماء وسمى محيطا لاحاطته بما انكشف من الارض كما قدمناه اول الكتاب ويسمى ايضا البحر الاخضر لتلونه غالبا بالخضرة ويسمى بحر الظلمات لما انه تقل فيه الاضواء من الاشعة المنعكسة على سطح الارض من الشمس لبعده عن الارض فيكون مظلما ولفقدان الاضواء تقل الحرارة المحللة للابخرة فلا تزال السحب والغيوم متكاثفة على سطحه منعقدة هنالك متراكمة وتسميه الاعاجم بحر اقنابس (1) يعنون به والله اعلم ما نعنى نحن بالعنصر ويسمونه ايضا بحر لبلاية (2) بتفخيم اللام الثانية وهو بحر كبير غير منحصر لا تبعد فيه السفن عن مراء العين من السواحل للجهل بسموت الرياح هنالك ونهايتها اذ لا غاية من العمران وراءه والبحار المنحصرة انما جرت فيه السفن بالرياح لمعرفة النواتية بكثرة تجاربهم بمنبعث الريح من الاماكن وغاية مهبها

(1) Ce nom devrait s'écrire اقيانس *oceanus*. — (2) Le ms. B porte لبلايه

فى سمتها فكل ريح عندهم معروفة الغاية فاذا علم ان جريته بالريح المنبعثة من مكان
كذا وربما خرج من ريح الى ريح بحسب مقصده ووجهته وهذا مفقود فى البحر
الكبير لانه غير منحصر ومنبعث الريح وان كان معروفا فيه فغايته غير
معروفة لفقدان العمران وراءه فتضل السفن اذا جرت بها وتذهب فتهلك
وايضا فاذا اوغل فيه فربما وقع فى المتكاثف من الغيوم والابخرة كما قلناه فهلك
فلهذا كان راكبه على غرر وخطر فحد المغرب من جهة الغرب البحر المحيط
كما قلناه وعليه كثير من مدنه مثل طنجة وسلا وازمور وانفى واسفى وهى كلها
من مدن المغرب وحواضره وعليه ايضا مسجد ماسة وبلد تاكاوصت ونول
من بلاد السوس وهى كلها من مساكن البربر وحواضرهم وينتهى فى المراكب
الى وراء سواحل نول ولا تجاوزه الا على خطر وغرر كما قلناه واما حده من جهة
الشمال فالبحر الرومى المتفرع من هذا البحر المحيط يخرج فى خليج متضايق ما
بين طنجة من بلاد المغرب وطريف من بلاد الاندلس ويسمى هذا الخليج
الزقاق وعرضه ثمانية اميال فما فوقها وكانت عليه قنطرة ركبها ماء البحر
ثم يذهب هذا البحر الرومى فى سمت الشرق الى ان ينتهى الى سواحل الشام
وثغوره وما اليها مثل انطالية والعلايا وطرسوس والمصيصة وانطاكية وطرابلس
وصور والاسكندرية ولذلك يسمى البحر الشامى وهو اذا خرج من الخليج ينفسح فى
ذهابه عرضا واكثر انفساحه الى جهة الشمال ولا يزال فى انفساحه ذلك
متصاعدا الى الشمال الى ان ينتهى الى غايته وطوله فيما يقال خمسة الاف
ميل او ستة وفيه جزائر ميورقة ومنرقة ويابسة وصقلية واقريطش وسردانية
وقبرس واما عرضه من جهة الجنوب فانه يخرج على سمت واحد ثم يختلف
فى ذهابه فتارة يبعد فى الجنوب وتارة يرجع الى الشمال واعتبر ذلك بعروض
البلدان التى بساحله وذلك ان عرض البلد هو ارتفاع قطبه الشمالى على
افقه وهو ايضا بعد ما بين سمت رؤس اهله ودايرة معدل النهار والسبب

فى ذلك ان الارض كرية الشكل والسماء من فوقها مثلها وافق البلد هو فرق
بين ما يرى وما لا يرى من السماء ومن الارض والفلك ذو قطبين اذا ارتفع احدهما
على روس معمور انخفض الاخر بقدره عنهم والعمارة فى الارض كلها هى الى
الجانب الشمالى اكثر وليس فى الجنوب عمران لما تقرر فى موضعه فلهذا ارتفع
القطب الشمالى على اهل العمران دون الجنوبى والمار على سطح الكرة كلما ابعد
فى جهة ظهر له من سطح الكرة ومن السماء المقابل لها ما لم يكن يظهر
فيزيد بعد القطب عن الافق كلما ابعد فى الشمال وينقص كلما رجع الى
الجنوب فعرض سبتة وطنجة التى هى على زقاق هذا البحر وخليجه لَه ودقائق
ثم يتصاعد البحر الى الجنوب فيكون عرض تلمسان لَد ونصف فيزيد فى
الجنوب فيكون عرض وهران لَب ابعد من فاس بيسير لان عرض فاس لَجَ ودقائق
ولهذا كان العمران فى المغرب الاقصى اعرق فى الشمال من عمران المغرب الاوسط
بقدر ما بين فاس وسبتة وصار ذلك القطر كالجزيرة بين البحار لانعطاف
البحر الرومى الى الجنوب ثم يرجع البحر بعد وهران عن سمته ذلك فيكون
عرض تنس لَد والجزائر لَه على مثل سمته الاول عند منبعثه من الزقاق ثم
يزيد فى الشمال فيكون عرض بجاية وتونس لَوَم على مثل سمت غرناطة
والمرية ومالقة ثم يرجع الى الجنوب فيكون عرض قابس وطرابلس لَد (1) على
مثل السمت الاول بطنجة وسبتة ثم يزيد فى الجنوب فيكون عرض برقة لَجَ
على مثل سمت فاس وتوزر وقفصة ويزيد فيكون عرض الاسكندرية لَا على
مثل مراكش واغمات ثم يذهب فى الشمال عند انعطافه الى منتهى سمته
بسواحل الشام وهكذا اختلافه فى هذه العدوة الجنوبية ولسنا على علم من
حاله فى العدوة الشمالية وينتهى عرض هذا البحر فى انفساحه الى تسع ماية
ميل او نحوها ما بين سواحل افريقية وجنوة من العدوة الشمالية والبلاد

(1) Il faut lire لَه

الساحلية من المغرب الاقصى والاوسط وافريقية من لدن الخليج حيث منبعثه كلها عليه مثل طنجة وسبتة وبادس وغساسة وهنين ووهران والجزائر وبجاية وبونة وتونس وسوسة والمهدية وصفاقس وقابس وطرابلس وسواحل برقة والاسكندرية هذا وصفى هذا البحر الرومى الذى هو حد المغرب من جهة الشمال واما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال المتهيلة الماثلة حجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر ويعرف عند العرب الرحالة البادية بالعرق وهذا العرق سياج على المغرب من جهة الجنوب مبتدى من البحر المحيط وذاهب فى جهة الشرق على سمت واحد الى ان يعترضه النيل الهابط من الجنوب الى مصر فهنالك ينقطع وعرضه ثلاث مراحل وازيد ويعترضه فى قبلة المغرب الاوسط ارض محجرة تسمى عند العرب الحمادة من دوين مصاب الى بلاد ريغ ووراءه فى جهة الجنوب بعض بلاد الجريدية ذات نخل وانهار معدودة فى جملة بلاد المغرب مثل بلاد بودة وتمنطيت فى قبلة المغرب الاقصى تسابيت وتيكورارين فى قبلة المغرب الاوسط وغدامس وفزان وودان فى قبلة طرابلس كل واحد من هذه اقليم يشتمل على بلدان عامرة ذات قرى ونخل وانهار وينتهى عدد كل واحد منها الى المائة فاكثر والى هذه العدوة الجنوبية من هذا العرق تنتهى فى بعض السنين مجالات اهل اللثام من صنهاجة ومنقلبهم الجائلون هنالك الى بلاد السودان وفى العدوة الشمالية منه مجالات البادية من الاعراب الظواعن بالمغرب وكانت قبلهم مجالات للبربر كما نذكره بعد هذا حد المغرب من جهة الجنوب ومن دون هذا العرق سياج اخر على المغرب مما يلى التلول منه وهو الجبال التى هى تخوم لتلك التلول ممتدة من لدن البحر المحيط فى الغرب الى برنيق من بلاد برقة وهنالك ينقطع هذه الجبال ويسمى مبدؤها من الغرب جبال درن وما بين هذه الجبال المحيطة بالتلول وبين العرق الذى وصفناه انفا فبسائط وقفار اكثر نباتها الشجر ومما يلى التلول منها ويقاربها بلاد

الجريد ذات نخل وانهار ففى ارض السوس قبلة مراكش تارودانت وايفرى
فويان (1) وغيرهما بلاد ذات نخل وانهار ومزارع متعددة عامرة وفى قبلة
فاس سجلماسة وقراها بلد معروف ودرعة ايضا وهى معروفة وفى قبلة تلمسان
بلد فيكيك قصور متعددة ذات نخل وانهار وفى قبلة تاهرت القصور ايضا
بلاد متتالية على سطر من الشرق الى الغرب اقرب ما اليها جبل راشد وهى
ذات نخل ومزارع وانهار ثم قصور مصاب تناهز المائة واكثر قبلة الجزائر
ذات نخل وانهار ثم بلد واركلى قبلة بجاية بلد واحد مستبحر العمران كثير
النخل وفى سمته الى جهة التلول بلاد ريغ تناهز الثلاثمائة منتظمة على
حفافى واد ينحدر من الغرب الى الشرق ذات نخل وانهار واقرب منها الى
التلول بلاد الزاب منتظمة من الغرب الى الشرق تناهز مائة من البلد
فاكثر قاعدتها بسكرة من كبار الامصار بالمغرب ويشتمل كلها على النخل
والانهار والمدن والقرى والمزارع ثم بلاد الجريد قبلة تونس وهى نفطة وتوزر
وقفصة وبلاد نفزاوة وتسمى كلها بلد قسطيلية مستبحرة العمران مستحكمة
الحضارة مشتملة على النخل والانهار ثم قابس قبلة سوسة وهى حاضرة البحر
من اعظم امصار افريقية وكانت دار ملك لابن غانية كما نذكره بعد وتشتمل
على النخل والانهار والمزارع ثم فزان وودان قبلة طرابلس قصور متعددة
ذات نخل وانهار وهى اول ما افتتح المسلمون من ارض افريقية لما اغزاها
عمر بن الخطاب عمرو بن العاصى ثم الواحات قبلة برقة ذكرها المسعودى فى
كتابه وما وراء هذه كلها فى جهة الجنوب فقفار ورمال لا تنبت زرعا ولا
مرعى الى ان ينتهى الى العرق الذى ذكرناه ومن ورائه مجالات الملثمين كما
قلناه ومفاوز معطشة الى بلاد السودان وما بين بلاد النخل هذه والجبال
التى هى سياج التلول بسائط متلون مزاجها تارة بمزاج التلول وتارة بمزاج

(1) On lit dans le ms. A قوبان ; le ms. E porte مويان

الصحراء فى هوائها ومياهها ومنابتها وفيها القيروان وجبل اوراس معترض وسطها وبلاد الحضنة حيث كانت طبنة ما بين الزاب والتل وفيها مقرة والمسيلة وفيها السرسو قبلة تلمسان حيث تاهرت وفيها جبل ديدو (1) قبلة فاس معترض فى تلك البسائط هذا حد المغرب من جهة الجنوب والقبلة واما حده من جهة الشرق فيختلف باختلاف الاصطلاحات فعرف اهل الجغرافيا انه بحر القلزم المنفجر من بحر اليمن هابطا على سمت الشمال وبانحراف يسير الى المغرب حتى ينتهى الى القلزم والسويس ويبقى بينه من هنالك وبين سمته من البحر الرومى مسيرة يومين وينقطع عند السويس والقلزم وبعده عن مصر فى جهة الشرق ثلاثة ايام هذا اخر المغرب عندهم ويدخل فيه اقليم مصر وبرقة وكان المغرب عندهم جزيرة احاطت بها البحار من ثلاث جهاتها كما تراه واما العرف الجارى لهذا العهد بين سكان هذه الاقاليم فلا يدخل فيه اقليم مصر ولا برقة وانما يختص بطرابلس وما وراءها الى جهة المغرب مثل افريقية والزاب والمغرب الاوسط والمغرب الاقصى والسوس الادنى والاقصى هذا هو المغرب فى العرف لهذا العهد وهو الذى كان فى القديم ديار البربر ومواطنهم فاما المغرب الاقصى منه وهو ما بين وادى ملوية من جهة الشرق الى اسفى حاضرة البحر المحيط وجبال درن من جهة الغرب فهو فى الاغلب ديار المصامدة من اهل درن وبرغواطة وغمارة واخر غمارة بطوية مما يلى غساسة ومعهم عوالم من صنهاجة ومطغرة واوربة وغيرهم يحيط به البحر الكبير من غربيه والرومى شماليه والجبال المتصاعدة المتكاثفة مثل درن من جانب القبلة وجبال تازى من جهة الشرق لان الجبال اكثر ما هى واكثف قرب البحار لما اقتضاه التكوين من ممانعة البحار بها فكانت جبال المغرب لذلك اكثر وساكنها من المصامدة فى الاغلب وقليل من صنهاجة

(1) Les mss. D et E portent دبرو et le ms. A ديرو

وبقيت البسائط من المغرب مثل ازغار وتامسنا وتادلا ودكالة اعتمرها الظواعن من البربر والعرب الطارين عليه من جشم ورياح فغص المغرب بساكنه من امم لا يحصيهم الا خالقهم وصار كانه جزيرة وبلد واحد احاطت به الجبال والبحار قاعدته لهذا العهد فاس وهى دار ملكه ويمر فيه النهر العظيم المعروف بوادى ام ربيع وهو نهر عظيم يمتنع عبوره ايام الامطار لاتساعه ويعظم مده من البحر فينتهى الى سبعين ميلا او ما يقاربها ومصبه فى البحر الكبير عند ازمور ومنبعه من جبال درن من فوهة كبيرة ينبع منها هذا النهر ويتساهل الى بسيط المغرب وينبع منها ايضا نهر اخر وينحدر الى القبلة ويمر ببلاد درعة ذات النخل المخصوصة بنبات النيلج وصناعة استخراجه من شجره وهى قصور ذات نخل موضوعة فى سفح جبل درن من اخره وبها يسمى هذ النهر ويجاوزها الى ان يغوص فى الرمل قبلة بلاد السوس واما نهر ملوية اخر المغرب الاقصى فهو نهر عظيم منبعه من فوهة فى جبال قبلة تازى ويصب فى البحر الرومى عند غساسة وعليه كانت ديار مكناسة المعروفة بهم فى القديم ويسكنها لهذا العهد امم اخرى من زناتة فى قصور منتظمة الى اعلى النهر يعرفون بوطاط (١) ويجاورهم هنالك وفى سائر نواحيه امم من البربر اشهر من فيهم بطالسة اخوة مكناسة وينبع مع هذا النهر من فوهته نهر كبير ينحدر ذاهبا فى القبلة مشرقا بعض الشىء ويقطع العرق على سمته الى ان ينتهى الى بودة ثم بعدها الى تمنطيت ويسمى لهذا العهد كير وعليه قصورها ثم يمر الى ان يصب فى القفار ويغوص فى رمالها وعلى موضع مغاصه قصور ذات نخل تسمى ركان وفى شرق بودة مما وراء الغرق قصور تسابيت من قصور الصحراء وفى شرقى تسابيت الى ما يلى الجوف قصور تيكورارين تنتهى الى ثلاث ماية او اكثر فى واد واحد فينحدر من المغرب الى الشرق

(1) Le ms. B porte بوطاطا

وفيها امم من قبائل زناتة واما المغرب الاوسط فهو فى الاغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبنى يفرن وكان معهم مديونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة ثم صار من بعدهم لبنى ومانوا وبنى يلومى ثم صار لبنى عبد الواد وتوجين من بنى بادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان وهى دار ملكه ويجاوره من جهة الشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة والمدية وما يليها الى بجاية وقبائله كلهم لهذا العهد مغلبون للعرب من زغبة ويمر فيه وادى شلف بنى واطيل النهر الاعظم منبعه من جبل راشد فى بلاد الصحراء ويدخل الى التل من بلاد حصين لهذا العهد ثم يمر مغربا ويجتمع فيه سائر اودية المغرب الاوسط مثل مينا وغيره الى ان يصب فى البحر الرومى ما بين كلميتوا ومستغانم وينبع من فوهته نهر اخر يذهب مشرقا من جبل راشد ويمر بالزاب الى ان يصب فى سبخة ما بين توزر ونفزاوة معروفة هنالك ويسمى هذا النهر وادى شدى واما بلاد بجاية وقسنطينة فهى ديار زواوة وكتامة وعجيسة وهوارة وهى اليوم ديار للعرب الا ممتنع الجبال وفيها بقاياهم واما افريقية كلها الى طرابلس فبسائط فيح كانت ديارا لنفزاوة وبنى يفرن ونفوسة وهوارة ومن لا يحصر من قبائل البربر وكانت قاعدتها القيروان وهى لهذا العهد مجالات للعرب من سليم وبنو يفرن وهوارة مغلبون تحت ايديهم قد تبدوا معهم ونسوا رطانة الاعاجم وتكلموا بلغة العرب وتحلوا بشعارهم فى جميع احوالهم وقاعدتها لهذا العهد تونس وهى دار ملكها ويمر فيها النهر الاعظم المعروف بوادى مجردة يجتمع فيه سائر الاودية بها ويصب فى البحر الرومى على مرحلة من غربى تونس بموضع يعرف ببنزرت واما برقة فدرست معالمها وخربت امصارها وانقرض امرها وعادت مجالات للعرب بعد ان كانت ديارا للواتة وهوارة وغيرهم من البربر وكانت بها الامصار المستبحرة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان وامثالها فعادت يبابا ومفاوز كان لم تكن

الفصل الثالث فى ذكر ما كان لهذا الجيل قديما وحديثا من الفضائل الانسانية والخصائص الشريفة الراقية بهم الى مراقى العز ومعارج السلطان والملك

قد ذكرنا ما كان من امر هذا الجيل من البربر ووفور عدده وكثرة قبائلهم واجيالهم وما مارسوه من مغالبة الملوك ومزاحمة الدول منذ الآلاف من السنين من لدن حروبهم مع بنى اسرائيل بالشام وخروجهم عنه الى افريقية والمغرب وما كان منهم لاول الفتح فى محاربة الطوالع من المسلمين اولا ثم فى مشايعتهم ومظاهرتهم على عدوهم ثانيا من المقامات الحميدة والآثار الجميلة وما كان لدهيا الكاهنة وقومها بجبل اوراس من الملك والعز والكثرة قبيل الاسلام وبعده حتى تغلب عليهم العرب وما كان لمكناسة من مشايعة المسلمين اولا ثم ردتهم ثانيا وتحيزهم الى المغرب الاقصى وفرارهم امام عقبة بن نافع (1) ثم غلبهم بعد ذلك طوالع هشام بارض المغرب قال ابن ابى زيد (2) ان البربر ارتدوا بافريقية والمغرب اثنتى عشرة مرة وزحفوا فى كلها للمسلمين ولم يثبت اسلامهم الا فى ايام موسى بن نصير وقيل بعدها وتقدم ذكر ما كان لهم بالصحراء والقفر من البلاد وما شيدوا من الحصون والآطام والامصار من سجلماسة وقصور توات وتيكورارين وفيكيك ومصاب وواركلى وبلاد ريغة والزاب ونفزاوة والحمة وغدامس ثم ما كان لهم من الايام والوقائع والدول والممالك ثم ما كان بينهم وبين طوالع العرب من بنى هلال فى المائة الخامسة بافريقية وما كان لهم مع دولة آل حماد بالقلعة ومع لمتونة بتلمسان وتاهرت من الموالاة والانحراف

(1) Le man. B porte عامر — (2) Il faut probablement lire partout يزيد

وما استولى عليه بنو باديس اخرا باسهام الموحدين واقطاعهم من بلاد المغرب وما كان لبنى مرين فى الاجلاب على غير عبد المومن من الاثار ما يشهد اخباره كلها بانه جيل عزيز على الايام وانهم قوم مرهوب جانبهم شديد باسهم كثير جمعهم مضاهون لامم العالم واجياله من العرب والفرس ويونان والروم لكنهم لما اصابهم الفنا وتلاشت عصابتهم بما حصل لهم من ترف الملك والدول التى تكررت فيهم قلت جموعهم وفنيت عصابتهم وعشائرهم واصبحوا خولا للدول وعبيدا للجبابة واستنكف كثير من الناس عن النسب فيهم لاجل ذلك والا فقد كانت اوربة واميرهم كسيلة عند الفتح كما سمعت وزناتة ايضا حتى اسر اميرهم وزمار بن صولات وحمل الى المدينة الى عثمان بن عفان ومن بعد ذلك هوارة وصنهاجة وبعدهم كتامة وما اقاموا من الدولة التى ملكوا بها المغرب والمشرق وزاحموا بنى العباس فى ديارهم وغير ذلك منهم كثير واما تخلقهم بالفضائل الانسانية وتنافسهم فى الخلال الحميدة وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الامم ومدعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل ورعى الاذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكاره والثبات فى الشدائد وحسن الملكة والاغضاء عن العيوب والتجافى عن الانتقام ورحمة المسكين وبر الكبير وتوقير اهل الدين وحمل الكل وكسب المعدوم وقرى الضيف والاعانة على النوائب وعلو الهمة واباية الضيم ومشاقة الدول ومقارعة الخطوب وغلاب الملوك وبيع النفوس من الله فى نصر دينه فلهم فى ذلك اثار ينقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون اسوة لمتبعيه من الامم وحسبك ما اكتسبوه من حميدها واتصفوا به من شريفها ان قادتهم الى مراقى العز واوفت بهم على ثنايا الملك حتى علت على الايدى ايديهم ومضت فى الخلق بالبسط والقبض احكامهم وكان مشاهيرهم بذلك من اهل الطبقة الاولى بلكين بن زيرى الصنهاجى عامل افريقية

للعبيديين ومحمد بن خزر والخير ابنه وعروبة بن يوسف الكتامى القائم
بدعوة عبيد الله الشيعى ويوسف بن تاشفين ملك لمتونة بالمغرب وعبد
المومن بن على شيخ الموحدين وصاحب الامام المهدى وكان عظماؤهم من
اهل الطبقة الثانية السابقون الى الراية بين يدى دولتهم والماهدون لملكهم
بالمغرب الاقصى والاوسط كبيرهم يعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين
ويغمراسن بن زيان سلطان بنى عبد الواد ومحمد بن عبد القوى بن وزمار
كبير بنى توجين وثابت بن منديل امير مغراوة اهل شلف ووزمار بن
ابراهيم زعيم بنى راشد المتعاصرون فى زمانهم المتناغون فى تاثيل عزهم والتمهيد
لقومهم كل على شاكلته وقوة جمعه فكانوا من ارسخهم فى تلك الخلال قدما
واطولهم فيها يدا واكثرهم لها جمعا طارت عنهم فى ذلك قبل الملك وبعده
اخبار عنى بنقلها الاثبات من البربر وغيرهم وبلغت فى الصحة والشهرة
مبلغ التواتر واما اقامتهم لمراسم الشريعة واخذهم باحكام الملة ونصرهم لدين
الله فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم والاستفتاء فى
فروض اعيانهم وابتغاء الائمة للصلوات فى بواديهم وتدارس القرءان بين احيائهم
وتحكيم حملة الفقه فى نوازلهم وقضاياهم وصاغيتهم الى اهل الخير والدين من
اهل عصرهم التماسا للبركة فى اثارهم وسوالا للدعاء من صالحيهم واعتيانهم
البحر لفضل المرابطة والجهاد وبيعهم النفوس من الله فى سبيله وجهاد عدوه
ما يدل على رسوخ ايمانهم وصحة معتقداتهم ومتين ديانتهم التى كانت ملاكا
لعزهم ومقادا الى سلطانهم وملكهم وكان المبرز منهم فى هذا المنتحل يوسف
ابن تاشفين وعبد المومن بن على وبنوهم ثم يعقوب بن عبد الحق من بعدهم
وبنوه فقد كان لهم فى الاهتمام بالعلم والجهاد وتشييد المدارس واختطاط
الزوايا والربط وسد الثغور وبذل النفوس فى ذات الله وانفاق الاموال فى سبل
الخيرات ثم مخالطة اهل العلم وترفيع مكانهم فى مجالسهم ومفاوضتهم فى

الاقتداء بالشريعة والانقياد لاشاراتهم فى الوقائع والاحكام ومطالعة سير الانبياء واخبار الاولياء وقراءتهم بين يديهم فى اواوين سلكهم ومجالس احكامهم وقصور عزمهم والتعرض بالمقاعد الخاصة لسماع شكوى المتظلمين وانصاف الرعايا من العمال والضرب على ايدى اهل الجور واتخاذ المساجد بصحن دورهم وسدة خلافتهم وملكهم يعمرونها بالصلوات والسبحات والقراء المرتبين لتلاوة كتاب الله احزابا بالعشى والاشراق على الايام وتحصين ثغور المسلمين بالبنيان المشيد والكتائب المجمرة وانفاق الاموال العريضة شهدت لهم بذلك اثار تخلفوها بعدهم واما وقوع الخوارق فيهم وظهور الكاملين فى النوع الانسانى من اشخاصهم فقد كان فيهم من الاولياء المحدثين اهل النفوس القدسية والعلوم الموهوبة ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الائمة ومن الكهان المفطورين على المطلع للاسرار المغيبة ومن الغرائب التى خرقت العادة واوضحت ادلة القدرة ما يدل على عظيم عناية الله بذلك الجيل وكرامته لهم بما اتاهم من جماع الخير واثرهم به من مذاهب الكمال وجمع لهم من مفترق خواص الاناسى (1) ينقل فى ذلك اخباريوهم عجائب فكان من مشاهير حملة العلم فيهم سعفو ابن واسول جدبنى مدرار ملوك سجلماسة ادرك التابعين واخذ عن عكرمة مولى ابن عباس ذكره عريب بن حميد فى تاريخه ومنهم ابو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى صاحب الحمار الخارج على الشيعة سنة ثنتين وثلاثين وثلاثماية الدائن بدين الخارجية اخذ العلم بتوزر عن مشيختها وراس فى الفتيا وقرا مذاهب الاباضية من الخوارج وحذق فيه ثم لقى عمارا الاعمى الصفرى النكار فلقن عنه من مذاهبهم ما انسلخ من اية السعادة بانتحاله وهو ما ذلك من الشهرة فى هذا الجيل بحيث لا يغفل ومنهم منذر بن سعيد قاضى الجماعة بقرطبة من ظواعن ولهاصة ثم من سوماتة منهم مولده عام عشرة ووفاته

(1) Le ms. B porte الانسانى

عام ثلاثة وثمانين وثلاث مائة وكان من البتر من ولد مادغس هلك على
عهد عبد الرحمن الناصر ومنهم ايضا محمد بن ابى زيد (1) علم الملة وهو من
نفزة ايضا ومنهم علماء بالنسب والتاريخ وغير ذلك من فنون العلوم ومن
مشاهير زناتة ايضا موسى بن صالح الغمرى معروف عند كافتهم بمعرفة
وضوح وشهرة وقد ذكرناه عند ذكر غمرة من شعوب زناتة وهو وان لم تقفنا
الاخبار الصحيحة على الجلى من امره فى دينه فهو من محاسن هذا الجيل
الشاهدة بوجود انحاء الخواص الانسانية فيهم من ولاية وكهانة وعلم وسحر وكل نوع
من اثار الخليقة ولقد تحدث اهل هذا الجيل فيما يحدثون به ان اخت يعلى
ابن محمد اليفرنى جاءت بولد من غير اب ويسمونه كلمام ويذكرون له اثارا
فى الشجاعة خرقت العوائد ودلت على انها موهبة من الله تعالى استاثره بها
لم يشركه فيها غيره من اهل جلدته وربما ضاقت حواصل الخواص منهم عن
ملتقط هذه الكائنة ويجهلون ما يتسع لها ولامثالها من نطاق القدرة
فينقلون ان حملها كان اثر استحمامها فى عين حامية هنالك غب ما صدر
بعض السباع كانت ترد فيها على الناس ويردون عليها ويرون انها علقت
من فضل ولوغه ويسمون ذلك المولود ابن الاسد لظهور خاصة الشجاعة فيه
وكثير من امثال هذه الاخبار لو انصرفت اليها عناية الناقلين لملات الدواوين
ولم يزل هذا دابهم وحالهم الى ان مهدوا من الدول واثلوا من الملك ما نحن
فى سبيل ذكره

(1) Je suis porté à croire qu'il faut lire محمد بن أبي يزيد partout où ce nom se rencontre.

الفصل الرابع فى ذكر اخبارهم على الجملة من قبل الفتح الاسلامى ومن بعده الى ولاية بنى الاغلب

هولاء البربر جيل ذو شعوب وقبائل اكثر من ان تحصى حسبما هو معروف فى تواريخ الفتح بافريقية والمغرب وفى اخبار ردتهم وحروبهم فيها نقل ابن الرقيق ان موسى بن نصير لما فتح سقيوما كتب الى الوليد بن عبد الملك انه صار لك من سبى سَقّيوما ماية الف راس فكتب اليه الوليد بن عبد الملك ويحك انى اظنها من بعض كذباتك فان كنت صادقا فهذا محشر الامة ولم تزل بلاد المغرب الى طرابلس بل والى الاسكندرية عامرة بهذا الجيل ما بين البحر الرومى وبلاد السودان منذ ازمنة لايعرف اولها ولا ما قبلها وكان دينهم دين المجوسية شان الاعاجم كلهم بالمشرق والمغرب الا فى بعض الاحائين يدينون بدين من غلب عليهم من الامم فان الامم اهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم فقد غزتهم ملوك اليمن من قرارهم مرارا على ما ذكر مورخوهم فاستكانوا لغلبهم ودانوا بدينهم نقل ابن الكلبى ان حمير ابا القبائل اليمنية ملك المغرب ماية سنة وانه الذى ابتنى مدائنه مثل افريقية وصقلية واتفق المورخون على غزو افريقس بن صيفى من التبابعة الى المغرب كما ذكرناه وكذلك اغزتهم ملوك الروم من قرارهم برومة والقسطنطينية وهم الذين خربوا مدينة قرطاجنة ثم جددوا بناءها كما ذكرناه فى اخبار الروم واختطوا بسيف البحر وما يليه من الارياف مدنا عظيمة الخطة وثيقة المبانى شهيرة الذكر باقية المعالم والاثار لهذا العهد مثل سبيطلة وجلولا ومرناق ووطاقة وزانة وغيرها من المدن التى خربها المسلمون من العرب لاول الفتح عند استيلائهم عليها وقد كانوا دانوا لعهدهم ذلك بما تعبدوهم به من دين النصرانية واعطوهم المقادة وادوا

اليهم الجباية طواعية وكان للبربر بالضواحى وراء ملك الامصار المرهوبة الحامية ما تشاءوه من قوة وعدة وعديد وملوك ورؤساء واقيال وامراء لا يرامون بذل ولا ينالهم الروم والفرنج فى ضواحيهم تلك بمخطة ولا مساءة ولقد صبحهم الاسلام وهم فى ملكه قد استولوا على رومة وكانوا يودون الجباية لهرقل ملك القسطنطينية كما كان المقوقس صاحب الاسكندرية وبرقة ومصر يودى الجباية له وكما كان صاحب طرابلس ولبدة وصبرة وصاحب صقلية وصاحب الاندلس من القوط لما كان الروم اغلب على هولاء الامم اجمع وعنهم اخذوا كلهم دين النصرانية فكان الفرنجة هم الذين ولوا امر افريقية ولم يكن للروم فيها ولاية وانما كان من كان منهم بها جندا للافرنج ومن حشودهم وما يسمع فى كتب الفتح من ذكر الروم فى فتوح افريقية فمن باب التغليب لان العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج وما قاتلوا فى الشام الا الروم فظنوا انهم الغالبون على امم النصرانية وان هرقل هو ملك النصرانية كلها فغلّبوا اسم الروم على جميع امم النصرانية ونقلت الاخبار عن العرب كما هى والا فجرجير(1) المقتول عند الفتح من الفرنج وليس من الروم وكذا الامة الذين كانوا بافريقية غالبين على البربر ونازلين بمدنهم وحصونهم انما كانوا من الفرنجة وكذلك ربما كان بعض هولاء البربر دانوا بدين اليهودية اخذوه عن بنى اسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشام وسلطانه يومئذ منهم كما كان جراوة اهل جبل اوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لاول الفتح وكما كان نفوسة من برابر افريقية وفندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو فازاز من برابرة المغرب الاقصى حتى محى ادريس الاكبر الناجم بالمغرب من بنى حسن ابن الحسن جميع ما كان فى نواحيه من بقايا الاديان والملك فكان البربر بافريقية والمغرب قبل الاسلام تحت ملكة الفرنج وعلى دين النصرانية

(1) Telle est l'orthographe des mss. A, B et D.

الذى اجتمعوا عليه مع الروم كما ذكرناه حتى اذا كان الفتح وزحف المسلمون
الى افريقية زمان عثمان رضى الله عنه لسنة تسع وعشرين وعليهم عبد الله
ابن سعد بن ابى سرح من بنى عامر بن لوى فجمع لهم جرجير ملك الفرنجة
يومئذ بافريقية من كان بامصارها من الفرنج والروم ومن بضواحيها من جموع
البربر وملوكهم وكان ملك ما بين طرابلس وطنجة وكانت دار ملكه
سبيطلة فلقى المسلمين فى زهاء ماية وعشرين الفا والمسلمون يومئذ فى
عشرين الفا فكان من هزيمة العرب لهم وفتحهم لسبيطلة وتخريبهم اياها
وقتلهم جرجيرا ملكهم وما نفلهم الله من اموالهم وبناتهم التى اختصت منهن
ابنته بقاتله عبد الله بن الزبير لعهد المسلمين له بذلك بعد الهزيمة
وخلوصه بخبر الفتح الى الخليفة والملاء من المسلمين بالمدينة ما هو كله مذكور
مشهور ثم ازر الفرنجة ومن معهم من الروم بعد الهزيمة الى حصون افريقية
وانساح المسلمون فى البسائط بالغارات ووقع بينهم وبين البربر اهل الضواحى
زحوف وقتال ونالوا منهم بالقتل والسبى حتى لقد حصل فى اسرهم يومئذ
من ملوكهم وزمار بن صقلاب (1) جد بنى خزر وهو يومئذ امير مغراوة وسائر
زناتة ورفعوه الى عثمان بن عفان فاسلم على يديه فمن عليه واطلقه وعقد
له على قومه ويقال انما وصله وافدا وخص المسلمون رجالات البربر من الكرامة
بما لم يبذلوه لاحد من الامم ولا من الفرنجة واستمر الغلب للمسلمين عليهم
ولاذ الفرنج بالسلم وشرطوا لابن ابى سرح ثلاثماية قنطار من الذهب على ان
يرحل عنهم بالعرب ويخرجهم من بلادهم ففعل ورجع المسلمون الى المشرق
وشغلوا بما كان من الفتن الاسلامية ثم كان الاجتماع والاتفاق على معاوية
ابن ابى سفيان وبعث معاوية بن خديج السكونى من مصر لافتتاح افريقية
سنة خمس واربعين وبعث ملك الروم من القسطنطينية عساكره

(1) Dans la seconde partie, l'auteur écrit ce nom صولات بن وزمار

لمدافعتهم فى البحر فلم يغن شيًا وهزمهم العرب بساحل اجم وحاصروا جلولا وفتحوها وقفل معاوية بن خديج الى مصر فولى معاوية بن ابى سفيان على افريقية بعده عقبة بن نافع فاختط القيروان وافترق امر الفرنجة وصاروا الى الحصون وبقى البربر بضواحيهم الى ان ولى يزيد بن معاوية وولى على افريقية ابا المهاجر مولى [فلان] وكانت رياسة البربر يومئذ فى اوربة لكسيلة بن لمزم وهو راس البرانس ويرادفه سكرديد بن رومى بن مارزت من اوربة وكانا على دين النصرانية فاسلما لاول الفتح ثم ارتدا عند ولاية ابى المهاجر واجتمع اليهما البرانس وزحف اليهم ابو المهاجر حتى نزل عيون تلمسان فهزمهم وظفر بكسيلة فاسلم فاستبقاه ثم جاء عقبة بعد ابى المهاجر فنكبه غيظا على صحابته لابى المهاجر ثم استفتح حصون افريقية مثل باغاية ولميس ولقيه ملوك البربر بالزاب وتاهرت ففضهم جمعا بعد جمع ودخل المغرب الاقصى واطاعه غمارة واميرهم يومئذ يليان ثم اجاز الى وليلى ثم الى جبال درن وقاتل المصامدة وكانت بينه وبينهم حروب وحاصروه بجبال درن ونهضت اليهم جموع زناتة وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مغراوة فافرجت المصامدة عن عقبة واثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الاسلام ودوخ بلادهم ثم اجاز الى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة اهل اللثام وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية فاثخن فيهم وانتهى الى تارودانت وهزم جموع البربر وقاتل مسّوفة من وراء السوس وسبا منهم وقفل راجعا وكسيلة اثناء هذا كله فى اعتقاله يحمله معه فى معسكره سائر غزواته فلما قفل من السوس سرح العساكر الى القيروان حتى بقى فى خف من الجنود وتراسل كسيلة وقومه فارصدوا له شهودا وانتهزوا فيه الفرصة وقتلوه ومن معه وملك كسيلة افريقية خمس سنين ونزل القيروان واعطى الامان لمن بقى بها من مخلف العرب اهل الذرارى والاثقال وعظم سلطانه

على البربر وزحف قيس بن زهير البلوى فى ولاية عبد الملك للثار بدم عقبة سنة سبع وستين وجمع له كسيلة سائر البربر ولقيه بممس من نواحى القيروان فاشتد القتال بين الفريقين ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومن لا يحصى منهم واتبعهم العرب الى مرمجنة (1) ثم الى ملوية وفى هذه الواقعة ذل البربر وفنى فرسانهم ورجالهم وخضدت شوكتهم واضمحل امر الفرنجة فلم يعد وخاف البربر من زهير ومن العرب خوفا شديدا فلجأوا الى القلاع والحصون ثم ترهب زهير بعدها وقفل الى المشرق فاستشهد ببرقة كما ذكرناه واضطرمت افريقية نارا وافترق امر البربر وتعدد سلطانهم فى روسائهم وكان من اعظمهم شانا يومئذ الكاهنة دهيا بنت تابتة بن تيفان (2) ملكة جبل اوراس وقومها من هوارة ملوك البتر وزعماؤهم فبعث عبد الملك الى حسان بن النعمان الغسانى عامله على مصر ان يخرج الى جهاد افريقية وبعث اليه بالمدد فزحف اليها سنة تسع وستين ودخل القيروان وغزا قرطاجنة وافتتحها عنوة وهرب من كان بقى بها من الافرنجة الى صقلية والى الاندلس ثم سال عن اعظم ملوك البربر فدلوه على الكاهنة وقومها جراوة فمضى اليها حتى اذا نزل وادى مسكيانة زحفت اليه فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير واسر خالد بن يزيد القيسى ولم تزل الكاهنة والبربر فى اتباع حسان والعرب حتى اخرجوهم من عمل قابس ولحق حسان بعمل طرابلس ولقيه كتاب عبد الملك بالمقام فاقام وبنى قصوره وتعرف لهذا العهد به ثم رجعت الكاهنة الى مكانها واتخذت عهدا عند اسيرها خالد بالرضاع مع ابنيها واقامت فى سلطان افريقية والبربر خمس سنين ثم بعث عبد الملك الى حسان بالمدد فرجع الى افريقية سنة اربع وسبعين وخربت الكاهنة جميع المدن والضياع وكانت من طرابلس الى طنجة ظلا

(1) Les mss. A, B et D portent مرمجنة — (2) La ponctuation de ces deux noms varie dans les mss.

واحدا فى قرى متصلة وشق ذلك على البربر فاستامنوا لحسان فامنهم ووجد
السبيل الى تفريق امرها وزحف اليها وهى فى جموعها من البربر فانهزموا
وقتلت الكاهنة بمكان البير المعروف بها لهذا العهد بجبل اوراس واستامن اليه
البربر على الاسلام والطاعة وعلى ان يكون منهم اثنا عشر الفا مجاهدين معه
فاجابوا واسلموا وحسن اسلامهم وعقد للاكبر من ولد الكاهنة على قومهم من
جراوة وعلى جبل اوراس لطاعة سبقا بها اليه بايعاز امهما واشارتها عليهما
بذلك لاثارة علم كان لديها بذلك من شياطينها وانصرف حسان الى
القيروان فدون الدواوين وصالح من القى بيده من البربر على الخراج وكتب
الخراج على عجم افريقية ومن اقام معهم على النصرانية من البربر والبرانس
واختلفت ايدى البربر فيما بينهم على افريقية والمغرب فخلت اكثر البلاد
وقدم موسى بن نصير الى القيروان واليا على افريقية وراى ما فيها من الخلاء
فكان ينقل العجم من الاقاصى الى الادانى واثخن فى البربر ودوخ المغرب وادى
اليه البربر الطاعة وولى على طنجة طارق بن زياد وانزل معه سبعة وعشرين
من العرب واثنى عشر الفا من البربر وامرهم ان يعلموا البربر القرءان والفقه
وقفل ثم اسلم بقية البربر على يد اسماعيل بن عبد الله بن ابى المهاجر
سنة احدى ومائة وذكر ابو محمد بن ابى زيد ان البربر ارتدوا اثنتى عشرة
مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر اسلامهم حتى اجاز طارق وموسى بن
نصير الى الاندلس بعد ان دوخ المغرب واجاز معه كثير من رجالات البربر
وامرائهم برسم الجهاد فاستقروا هنالك من لدن الفتح فحينئذ استقر الاسلام
بالمغرب واذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة ثم
نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقليها من
منبعها بالعراق وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقهم من الاباضية والصفرية
كما ذكرناه فى اخبار الخوارج وفشت هذه البدعة واعتقدها رؤس النفاق من

العرب وجراثيم الفتنة من البربر ذريعة الى الانتزاء على الامر فاجلبوا فى كل جهة ودعوا الى عقائدهم طغام البربر يتلون عليهم مذاهب كفرها ويلبسون الحق بالباطل فيها الى ان رسخت فيهم كلمات منها ووشجت بينهم عروق من غرائسها ثم تطاول البربر الى الفتك بامراء العرب فقتلوا يزيد بن ابى مسلم سنة ثنتين ومائة لما نقموا عليه فى بعض الفعلات ثم انتقض البربر بعد ذلك سنة ثنتين وعشرين ومائة فى ولاية عبد الله بن الحجاب ايام هشام ابن عبد الملك لما اوطا عساكره بلاد السوس واثخن فى البربر وسبى وغنم وانتهى الى مسوفة فقتل وسبا وداخل البربر منه رعب وبلغهم انه يخمس البربر بانهم فىء للمسلمين فانتقضوا عليه وثار ميسرة المطغرى بطنجة على عمرو بن عبد الله فقتله وبايع لعبد الاعلى بن خديج الافريقى رومى الاصل ومولى العرب كان مقدم الصفرية من الخوارج فى انتحال مذهبهم فقام بامرهم مدة ثم بايع ميسرة لنفسه بالخلافة داعيا الى نحلته من الخارجية على مذهب الصفرية ثم ساءت سيرته فنقم عليه البربر ما جاء به فقتلوه وقدموا على انفسهم خالد بن حميد الزناتى قال ابن عبد الحكم هو من هتورة احدى بطون زناتة فقام بامرهم وزحف الى العرب وسرح اليهم عبد الله بن الحجاب العساكر فى مقدمته وعليهم خالد بن ابى حبيب فالتقوا بوادى شلف وانهزم العرب وقتل خالد بن ابى حبيب ومن معه وسميت وقعة الاشراف وانتقضت البلاد ومرج امر الناس وبلغ الخبر هشام بن عبد الملك ثم عزل ابن الحجاب وولى كلثوم بن عياض القشيرى سنة ثلث وعشرين وسرحه فى اثنى عشر الفا من اهل الشام وكتب الى ثغور مصر وبرقة وطرابلس ان يمدود فخرج الى افريقية والمغرب حتى بلغ وادى طنجة وهو وادى سبس فزحف اليه خالد بن حميد الزناتى فيمن معه من البربر وكانوا خلقا لا يحصى ولقوا كلثوم بن عياض بعد ان هزموا مقدمته فاشتد القتال

بينهم وقتل كلثوم وانهزمت العساكر فمضى اهل الشام الى الاندلس مع
بلج بن بشر القشيرى ومضى اهل مصر وافريقية الى القيروان وبلغ الخبر
الى هشام بن عبد الملك فبعث حنظلة بن صفوان الكلبى فقدم القيروان
سنة اربع وعشرين ومائة (1) وهوارة يومئذ خوارج على الدولة اليه منهم
عكاشة بن ايوب وعبد الواحد بن يزيد فى قومهما من هوارة ومن تبعهم من
البربر فهزمهم حنظلة بالقرن ظاهر القيروان بعد قتال شديد وقتل عبد
الواحد الهوارى واخذ عكاشة اسيرا واحصى القتلى فى هذه الوقيعة فكانوا
مائة وثمانين الفا وكتب بذلك حنظلة الى هشام وسمعها الليث بن سعد
فقال ما غزوة كنت احب ان اشهدها بعد غزوة بدر احب الى من غزوة
القرن والاصنام ثم خفت صوت الخلافة بالمشرق والتاث امرها لما كان بين
بنى امية من الفتنة وما كان من امر الشيعة والخوارج مع مروان وافضى
الامر الى الاداله ببنى العباس من بنى امية واجاز البحر عبد الرحمن بن حبيب
من الاندلس الى افريقية فملكها وغلب حنظلة عليها سنة ست وعشرين
ومائة فعادت هيف الى اديانها واستشرى داء البربر واعضل امر الخارجية
ورؤسها فانتقضوا وتعاووا من اطراف البقاع وتواثبوا على الامر بكل مكان
داعين الى بدعتهم وتولى كبر ذلك يومئذ صنهاجة وتغلب اميرهم ثابت بن
وزيدون وقومه على باجة وثار معه عبد الله بن سكرديد من امرائهم فيمن
تبعه وثار بطرابلس عبد الجبار والحارث من هوارة وكانا يدينان براى الاباضية
فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عبس القيسى لما خرج اليهم يدعوهم الى
الصلح وبقى الامر على ذلك مدة وثار اسماعيل بن زياد فيمن معه من نفوسة
وتغلب على قابس ثم زحف اليهم عبد الرحمن بن حبيب سنة احدى
وثلاثين فقتل عبد الجبار والحارث واوعب فى قتل البربر واثخن فيهم وزحف

(1) Les mss. portent tous اربعماية

الى تلمسان سنة خمس وثلاثين فظفر بها ودوخ المغرب واذل من كان فيها من البربر ثم كانت بعد ذلك فتنة ورنجومة وسائر قبائل نفزاوة سنة اربعين ومائة وذلك لما انحرف عبد الرحمن بن حبيب عن طاعة ابى جعفر وقتله اخواه الياس وعبد الوارث فولى مكانه ابنه حبيب وطالبهما بثار ابيه فقتل الياس ولحق عبد الوارث بورنجومة فاجاره اميرهم عاصم بن جميل وتبعه على شانه يزيد بن سكوم امير ولهاصة واجتمعت لهم كلمة نفزاوة ودعوا لابى جعفر المنصور وزحفوا الى القيروان ودخلوها عنوة وفر حبيب الى قابس فاتبعه عاصم فى نفزاوة وقبائلهم وولى على القيروان عبد الملك بن ابى الجعد النفزى ثم انهزم حبيب الى اوراس واتبعه عاصم فاعترضه عبد الملك بن ابى الجعد وجموع نفزاوة الذين كانوا بالقيروان وقتلوه واستولت ورنجومة على القيروان وسائر افريقية وقتلوا من كان بها من قريش وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع واشتد البلاء على اهل القيروان وانكرت ذلك من فعل ورنجومة ومن اليهم من نفزاوة برابرة طرابلس الاباضية من هوارة وزناتة فخرجوا واجتمعوا الى ابى الخطاب عبد الاعلى بن الشيخ المعافرى وقصدوا طرابلس واخرجوا عمر بن عثمان القرشى واستولى ابو الخطاب عليها واجتمع اليه سائر البربر الذين هنالك من زناتة وهوارة وزحف بهم الى القيروان فقتل عبد الملك بن ابى الجعد وسائر ورنجومة ونفزاوة واستولى على القيروان سنة احدى واربعين ثم ولى على القيروان عبد الرحمن بن رستم وهو من ابناء رستم امير فارس بالقادسية كان من موالى العرب ومن رءوس هذه البدعة ورجع ابو الخطاب الى طرابلس واضطرم المغرب نارا وانتزى خوارج البربر على الجهات فملكوها واجتمعت الصفرية من مكناسة بناحية المغرب الاقصى سنة اربعين ومائة وقدموا عليهم عيسى بن يزيد الاسود واسسوا مدينة سجلماسة ونزلوها وقدم محمد بن الاشعث واليا على افريقية من قبل ابى جعفر المنصور فزحف اليه ابو الخطاب ولقيه بسرت

فهزمه ابن الاشعث وقتل البربر قتلا ذريعا وفر عبد الرحمن بن رستم من
القيروان الى تاهرت بالمغرب الاوسط واجتمعت اليه طوائف البربر الاباضية من
لماية ولواتة ورجالة من نفزاوة فنزل بها واختط مدينتها سنة اربع واربعين
وضبط ابن الاشعث افريقية وخافه البربر ثم انتقض بنو يفرن من زناتة
ومغيلة من البربر بنواحى تلمسان وقدموا على انفسهم ابا قرة من بنى يفرن
ويقال انه من مغيلة وهو الاصح فى شانه وبويع له بالخلافة سنة ثمان واربعين
ومائة وزحف اليه الاغلب بن سودة التميمى عامل طبنة فلما قرب منه هرب
ابو قرة فنزل الاغلب الزاب ثم اعتزم على تلمسان ثم طنجة ورجع عنه الجند
فرجع ثم انتقض البربر من بعد ذلك ايام عمر بن حفص من ولد قبيصة
ابن ابى صفرة اخى المهلب وكان يلقب هزارمرد سنة احدى وخمسين
واجتمعوا بطرابلس وقدموا عليهم ابا حاتم يعقوب بن حبيب بن مدين بن
يطوفت من امراء مغيلة ويسمى ابا قادم وزحفت اليهم جنود عمر بن حفص
فهزموها وملكوا طرابلس وزحفوا الى القيروان فحاصروها ثم زحف البرابرة من
الجانب الاخر الى عمر بطبنة فحاصروه فى اثنى عشر عسكرا وكان منهم ابو قرة
فى اربعين الفا من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم فى ستة الاف من الاباضية
والمسور بن هانى فى عشرة الاف كذلك وجرير بن مسعود فيمن تبعه من
مديونة وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجى فى الفين منهم من الصفرية
واشتد الحصار على عمر بن حفص فاعمل الحيلة فى الخلاف بين جماعتهم وكان
بنو يفرن من زناتة اكثر البرابرة يومئذ جمعا واشدهم قوة فصالح ابا قرة
زعيمهم على اربعين الفا واعطى ابنه فى اتمام ذلك اربعة الاف وافترقوا وارتحلوا
عن طبنة ثم بعث بعثا الى ابن رستم فهزمه ودخل تاهرت مفلولا وزحف
عمر بن حفص الى ابى حاتم والبربر الاباضية الذين معه ونهضوا اليه فخالفهم
الى القيروان وشحنها بالاقوات والرجال ثم لقى ابا حاتم والبربر وهزموه ورجع

الى القيروان فحاصروه وكانوا فى ثلاث ماية وخمسين الفا الخيل منها خمسة وثلاثون الفا وكانوا كلهم اباضية وطال الحصار وقتل عمر بن حفص فى بعض ايامه سنة اربع وخمسين ومائة وصالح اهل القيروان ابا حاتم على ما احب وارتحل وقدم يزيد بن قبيصة بن المهلب سنة اربع وخمسين ومايـة واليا على افريقية فزحف اليه ابو حاتم بعد ان خالف عليه عمر بن عثمان الفهرى وافترق امرهم فلقيه يزيد بن حاتم بطرابلس فقتل ابو حاتم وانهزم البربر ولحق عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن من اصحاب ابى حاتم بكتامة وبعث اليه المخارق بن غفار الطائى فحاصره ثمانية اشهر ثم غلـب عليـه فقتله ومن كان معه من البربر وهربوا الى كل ناحية وكانت حروبهم مع الجند من لدن قتل عمر بن حفص بطبنة الى انقضاء ثلاثماية وخمسة وسبعين حربا وقدم يزيد افريقية فازال فسادها ورتب القيروان ولم تزل البلاد هادنة وانتقض ورفجومة سنة سبع وخمسين وولوا عليهم رجلا منهم اسمه ابو زرحونة (1) فسرح اليهم يزيد من عشيره ابن محراة المهلبى فهزموه واستاذنه ابنه المهلب وكان على الزاب وطبنة وكتامة فى الزحف الى ورفجومة فاذن له وامده بالعلاء ابن سعيد بن مروان المهلبى من عشيرهم ايضا فاوقع بهم وقتلهم ابرح قتل وانتقض نفزاوة من بعد ذلك فى سلطان ابنه داوود من بعد مهلكه سنـة احدى وستين ومابة وولوا عليهم صالح بن نصير النفزى ودعوا الى رايهم راى الاباضية فسرح اليهم ابن عمه سليمان بن الصمة فى عشرة الاف فهزمهم وقتل البربر ابرح قتل ثم تحيز الى صالح بن نصير من لم يشهد الاولى من البربر الاباضية واجتمعوا بشقبنارية فهزمهم سليمان ثانية وانصرف الى القيروان وركدت ريح الخوارج من البربر بافريقية وتداعت بدعتهم الى الاضمحلال ورغب عبد الوهاب بن رستم صاحب تاهرت سنة احدى وسبعين

(1) Ce nom est écrit ailleurs زرجونة et رزحومه

فى موادعة صاحب القيروان روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب فوادعه وانخضدت شوكة البربر واستكانوا للغلب واطاعوا للدين فضرب الاسلام بجرانه والقت الدولة المضرية على البربرة بكلكلها وتقلد ابراهيم بن الاغلب التميمى امر افريقية والمغرب من قبل الرشيد هارون سنة خمس وثمانين ومائة فاضطلع بامر هذه الولاية واحسن السيرة وقوم المنآد وراب الصدع وجمع الكلمة ورضيت الكافة واستقل بولايتها غير منازع ولا مشنوء وتوارثها بنوه خالفا عن سالف فكانت لهم بافريقية والمغرب الدولة التى ذكرناها من قبل الى ان انقرض امر العرب بافريقية على زيادة الله عاقبتهم الفار الى المشرق امام كتامة سنة ست وتسعين ومايتين كما نذكره وخرج كتامة على بنى الاغلب بدعوة الرافضية قام بها فيهم ابو عبد الله المحتسب الشيعى داعية عبيد الله المهدى فكان ذلك اخر عهد العرب بالملك والدولة بافريقية واستقل كتامة بالامر يومئذ ثم بعدهم من برابرة المغرب وذهبت ريح العرب ودولتهم من المغرب وافريقية فلم يكن لهم به من بعد دولة الى هذا العهد وصار الملك للبربر وقبائلهم يتداولونه طائفة بعد اخرى وجيلا بعد اخر تارة يدعون الى الامويين الخلفاء بالاندلس وتارة الى الهاشميين من بنى العباس وبنى الحسن وبنى الحسين ثم استقلوا بالدعوة لانفسهم اخرا حسبما نذكر ذلك كله مفصلا عند ما يعرض لنا من ذكر دولة زناتة والبربر الذين نحن فى سياقة اخبارهم

الخبر عن البرابرة البتر وشعوبهم ونبدا منهم اولا بذكر نفوسة وبطونهم وتصاريف احوالهم

كان مادغيس (1) الابتر جد البرابرة البتر وكان ابنه زحيك ومنه تشعبت بطونهم فكان له من الولد فيما يذكر نسابة البربر اربعة نفوس واداس وضرى ولوى فاما اداس فصار فى هوارة لما يقال من ان هوارة خلف اباه زحيكا على امه قبل فصاله فانتسب اليه واختلط بولده واندرجت بطون اداس فى هوارة كما ذكرناه واما ضرى ولوى فسناتى بذكر بطونهم واحدا واحدا واما نفوس فهو بطن واحد ينتسب اليه نفوسة كلها وكانوا من اوسع قبائل البرابرة وفيهم شعوب كثيرة مثل بنى زمور وبنى مسكور(2) وماطوسة وكانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس وما اليها وهنالك الجبل المعروف بهم لهذا العهد وهو على ثلاثة مراحل من قبلة طرابلس تسكنه اليوم بقاياهم وكانت مدينة صبرة قبل الفتح فى مواطنهم وتعزى اليهم وهى كانت باكورة الفتح لاول الاسلام وخربها العرب بعد استيلائهم عليها فلم يبق منها الا طلال ورسوم خافية وكان من رجالاتهم اسماعيل بن زياد المتغلب على قابس سنة تنتين وثلاثين وماية لاول الدولة العباسية ومنهم لهذا العهد اوزاع متفرقون فى الاقطار بعمالات مصر والمغرب والله وارث الارض ومن عليها واما لوى فمن ولده نفزاوة ولواتة كما نذكر

(1) Le ms. A porte مادغس — (2) Les mss. B et C portent مسكور

الخبر عن نفزاوة وبطونهم وتصاريف احوالهم

وهم بنو يطوفت بن نفزاو بن لوى الاكبر بن زحيك وبطونهم كثيرة مثل غساسة ومرنيسة وزهيلة وسوماتة وزاتيمة وولهاصة ومجرة وورسيف ومن بطونهم مكلاتة ويقال ان مكلا من عرب اليمن وقع الى يطوفت صغيرا فتبناه وليس من البربر ولمكلاتة بطون متعددة مثل بنى ورياغل وكزناية وبنى يصلتن وبنى ديماروريحون وبنى سراين ويقال ان غساسة منهم هكذا عند نسابة البربر مثل سابق المطماطى وغيره ومن بطون ولهاصة ورتدين من دحية بن ولهاصة وورنجومة من تيدغاس بن ولهاص ومن بطون ورنجومة زكولة رحالة لزكال بن اورنجوم الى بطون اخرى كثيرة وكان ورنجومة هولاء اوسع بطون نفزاوة واشدهم باسا وقوة ولما انحرف عبد الرحمن بن حبيب عن طاعة ابى جعفر المنصور وقتله اخواه عبد الوارث والياس وطالبهما ابنه حبيب بالثار فلحق عبد الوارث بورنجومة ونزل على اميرهم عاصم بن جميل باوراس وكان كاهنا فاجاره وقام بدعوة ابى جعفر المنصور واجتمعت اليه نفزاوة وكان من رجالاتهم عبد الملك بن ابى الجعد ويزيد بن سكوم وكانوا يدينون بدين الاباضية من الخوارج وزحفوا الى القيروان سنة اربعين ومائة وفر عنها حبيب بن عبد الرحمن ودخلها عبد الملك بن ابى الجعد وقتل حبيبا واستولت نفزاوة على القيروان وقتلوا من كان بها من قريش وسائر العرب وربطوا دوابهم بالمسجد وعظمت حوادثهم ونكر ذلك عليهم الاباضية من برابرة طرابلس وتولى كبرها زناتة وهوارة فاجتمعوا الى ابى الخطاب ابن السمح من رجالات العرب واستولوا على طرابلس ثم على القيروان سنة احدى واربعين وقتلوا عبد الملك بن ابى الجعد واثخنوا فى قومه من نفزاوة وورنجومة وزحفوا الى

طرابلس بعد ان استعمل ابو الخطاب على القيروان عبد الرحمن بن رستم واضطرم المغرب نارا وعظمت فتنة ورفجومة هولاء الى ان قدم محمد بن الاشعث سنة ست واربعين من قبل المنصور فاثخن فى البربر واطفا نار هذه الفتنة كما قدمناه ولما اختط عمر بن حفص مدينة طبنة سنة احدى وخمسين انزل ورفجومة هولاء بها بما كانوا شيعا له وعظم عناؤهم فيها عند ما حاصره بها ابن رستم وبنو يفرن ثم انتقضوا بعد مهلك عمر على يزيد بن حاتم عند قدومه على افريقية سنة سبع وخمسين وولوا عليهم ابا زرجونة منهم وسرح اليهم يزيد العساكر مع ابنه وقومه فاثخنوا فيهم ثم انتقضت نفزاوة على ابنه داوود ودعوا الى دين الاباضية وولوا عليهم صالح بن نصير منهم فزحفت العساكر اليهم بشقبنارية (1) وقتلوهم ابرح قتل وعليهم كان ركود ريح الخوارج بافريقية واذعان البربر وافترق بنو ورفجوم بعد ذلك وانقرض امرهم وصاروا اوزاعا فى القبائل وكان زجالة منهم بطنا متسعا وكان منهم رجالات مذكورون فى اول العبيديين وبنى امية بالاندلس منهم بنو الزجالى الكتاب بقرطبة وبقى منهم لهذا العهد فرق بمرماجنة وهنالك قرية ببسيطها تنسب اليهم واما سائر ولهاصة من ورفجومة وغيرهم فهم لهذا العهد اوزاع لذلك اشهرهم قبيلة بساحل تلمسان واندرجوا فى كومية وعدوا منهم بالنسب والحلف وكان منهم فى اواسط هذه المائة الثامنة ابراهيم بن عبد الملك استقل برياستهم وتمسك بدعوة السلطان ابى الحسن بعد نكبته على القيروان واستيلاء بنى عبد الواد على تلمسان ونواحيها وتغلب عليه سلطانهم لذلك العهد كما نذكره عثمان بن عبد الرحمن وسجنه بالمطبق بتلمسان ثم قتله ومن اشهر قبائل ولهاصة ايضا قبيلة اخرى ببسيط بونة يركبون الخيل وياخذون بمذاهب العرب فى زيهم ولغتهم وسائر شعارهم كما هو شان هوارة وهم فى عداد

(1) Ce nom est altéré dans tous les mss.

القبائل الغارمة ورياستهم فى بيت بنى عريض منهم وهى لهذا العهد فى ولد حازم بن شداد بن حزام بن نصر بن مالك بن عريض وكانت قبلهم لعسكر ابن بطان منهم هذه اخبار ولهاصة فيما علمناه واما بقايا بطون نفزاوة فمنهم زاتيمة وبقية منهم لهذا العهد بساحل برشك ومنهم غساسة وبقية منهم لهذا العهد بساحل بطوية حيث القرية التى هنالك حاضرة البحر ومرسى لاساطيل المغرب وهى مشهورة باسمهم واما زهيلة فبقيتهم لهذا العهد بنواحى بادس مندرجون فى غمارة وكان منهم لعهد مشيختنا ابو يعقوب البادسى اكبر الاولياء واخرهم بالمغرب واما مرنيسة فلا نعلم لهم موطنا ومن اعقابهم اوزاع بين احياء العرب بافريقية واما سوماتة فمنهم بقية بضواحى القيروان وكان منهم منذر بن سعيد القاضى بقرطبة لعهد الناصر والله اعلم واما بقايا بطون نفزاوة فلا نعرف لهم لهذا العهد حيا ولا موطنا الا القرى الظاهرة المقدرة السير المنسوبة اليهم ببلاد قسطيلية وبها معاهدون من الفرنجة اوطنوها على الجزى واعتقاد الذمة منذ عهد الفتح واعقابهم بها لهذا العهد وقد نزلها معهم كثير من بنى سليم من الشريد وزغب واوطنوها وتملكوا بها العقار والضياع وكان امر هذه القرى راجعا الى عامل توزر ايام استبداد الخلافة فلما تقلص ظل الدولة عنهم وحدثت العصبية فى الامصار استبدت كل قرية بامرها وصار مقدم توزر يحاول دخولهم فى ايالته فمنهم من يعطيه ذلك ومنهم من ياباه حتى اظلتهم دولة مولانا السلطان ابى العباس فاندرجوا كلهم فى طاعته واعتصموا بحبله والله ولى الامور لا رب غيره

الخبر عن لواتة من البرابرة البتر وتصاريف احوالهم

هو بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر ينتسبون الى لوى الاصغر بن لوى الاكبر بن زحيك ولوى الاصغر هو اخو نفزاو كما قلناه ولوى اسم ابيهم والبربر اذا ارادوا العموم فى الجمع زادوا الالف والتاء فصار لوات فلما عربته العرب حملوه على الافراد والحقوا به هاء الجمع وذكر ابن حزم ان نسابة البربر يزعمون ان سدراتة ولواتة ومزاتة من القبط وليس ذلك بصحيح وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر فى ذلك وفى لواتة بطون كثيرة وفيهم قبائل كثيرة مثل سدراتة بن نيطط بن لوى ومثل عتروزة من ماصلت بن لوى وعد سابق واصحابه فى بنى ماصلت بطونا اخرى غير عتروزة وهم اكورة وجرمانة ومغاغة ومثل بنى زاير بن لوى واكثر بطونهم مزاتة ونسابة البربر يعدون فى مزاتة بطونا كثيرة مثل بلايان وقرنه ومجيجة (1) ودكمة وحمرة (2) ومدونة وكان لواتة هولاء ظواعن فى مواطنهم بنواحى برقة كما ذكره المسعودى وكان لهم فى فتنة ابى يزيد اثار وكان منهم بجبل اوراس امة عظيمة ظاهروا ابا يزيد مع بنى كملان على امره ولم يزالوا باوراس لهذا العهد مع من به من قبائل هوارة وكتامة ويدهم العالية عليهم تناهز خيالتهم الفا وتجاوز رجالتهم العدة وتستكفى بهم الدولة فى جباية من تحت ايديهم بجبل اوراس من القبائل الغارمة فيحسنون الغناء والكفاية وكانت البعوث مضروبة عليهم ينفرون بها فى معسكر السلطان فلما تقلص ظل الدولة عنهم صار بنو سعادة منهم فى اقطاع اولاد محمد من الدواودة فاستعملوهم فى مثل ما كانت الدولة تستعملهم فيه

(1) L'orthographe de ces deux noms est incertaine. — (2) Le ms. A porte جمود

فاصاروهم خولا للجباية وعسكرا للاستنفار واصبحوا من جملة رعاياهم وقد كان بقى جانب منهم لم تستوفه الاقطاعات وهم بنو ريحان وبنو باديس فاستضافهم منصور ابن مزنى الى عمله فلما استبد بنو مزنى على الدولة واستقلوا بالزاب صاروا يتعهدونهم بالجباية بعض السنين ويعسكرون عليهم لذلك بافاريق الاعراب وهم لهذا العهد معتصمون بجبلهم لا يجاوزونه الى البسيط خوفا من عادية الاعراب ولبنى باديس منهم اتاوات على بلد نقاوس المختطة فى سفح الجبل بما تغلبوا على ضواحيها فاذا انحدر الاعراب الى مشاتيهم اقتضوا منها اتاواتهم وخفارتهم واذا اقبلوا الى مصايفهم رجع لواتة الى معاقلهم الممتنعة على الاعراب وكان من لواتة هولاء امة عظيمة بنواحى تاهرت الى ناحية القبلة وكانوا ظواعن هنالك على وادى ميناس ما بين جبل يعود من جهة الشرق الى وارصلف من جهة الغرب يقال ان بعض امراء القيروان نقلهم معه فى غزوة وانزلهم هنالك وكان كبيرهم اورع بن على بن هشام قائدا لعبيد الله (1) الشيعى ولما انتقض حميد ابن يصل (2) صاحب تاهرت على المنصور ثالث خلفاء الشيعة ظاهروه على خلافه وجاوروه فى مذاهب ضلاله الى ان غلبه المنصور واجاز حميد الى الاندلس سنة ست وثلاثين وزحف المنصور يريد لواتة فهربوا امامه الى الرمال ورجع عنهم ونزل على وادى ميناس ثم انصرف الى القيروان وذكر ابن الرقيق ان المنصور وقف هنالك على اثر من اثار الاقدمين بالقصور التى على الجبال الثلاثة مبنية بالحجر المنحوت تبدو للناظر على البعد كانها اسنمة قبور وانه راى كتابا فى حجر منها فسر له انا سليمان السردغوس خالف اهل هذا البلد على الملك فاخرجنى اليهم ففتح الله لى عليهم وبنيت هذا البناء لاذكر به هكذا ذكر ابن الرقيق وكان بنو وجديجن من قبائل زناتة بمواطنهم من منداس جيرانا للواتة هولاء والتخم بينهما وادى ميناس وتاهرت وحدثت بينهما

(1) Les mss. portent عبد الله — (2) Le ms C porte نصل et le ms. B بصل

فتنة بسبب امراة انكحها بنو وجديجن فى لواتة فعيروها بالفقر فكتبت بذلك الى قومها ورئيسهم يومئذ عنان فتدامروا واستمدوا وراءهم من زناتة فامدهم يعلى بن محمد اليفرنى وزحفت مطماطة من الجانب الاخر فى مظاهرتهم وعليهم غرانة اميرهم وزحفوا جميعا الى لواتة فكانت بينهم وقائع وحروب هلك فى بعضها علان (1) وازاحوهم عن الجانب الغربى السرسو والجوهم الى الجبل الذى (2) فى قبلة تاهرت المسمى لهذا العهد كريكره وكان به قوم من مغراوة فغدروا بهم وتظاهروا جميعا عليهم الى ان اخرجوهم عن اخر مواطنهم فى جهة الشرق بجبل يعود فنزلوا من ورائه الجبل المسمى لهذا العهد دراك وانتشرت عمائرهم بتلوله وما وراءه الى الجبال المطلة على متيجة وهم لهذا العهد فى عدد القبائل الغارمة وجبل دراك فى اقطاع ولد يعقوب بن موسى مشيخة العطاف من زغبة ومن لواتة ايضا بطون بالجبل المعروف بهم قبلة قابس وصفاقس ومنهم بنو مكى روساء قابس لهذا العهد ومنهم ايضا بواحات مصر فيما ذكره المسعودى امة عظيمة كانوا ملكوها لعهده والله اعلم بما صاروا اليه ومنهم زنارة شعب من شعوبهم يعمرون ضواحى اسكندرية بالبحيرة التى بينها وبين مصر وكان لما قرب من هذه العصور شيخهم هنالك بدر (3) بن سلام وانتقض على الترك وسرحوا اليه العساكر فاستلحموا كثيرا من قومه وفر الى ناحية برقة وهو الان فى جوار العرب بها ومن زنارة هولاء بنواحى تادلا قرب من مراكش من المغرب الاقصى ولهم هنالك كثرة ويزعم كثير من الناس ان بنى جابر من عرب جشم اختلطوا بهم وصاروا فى عدادهم ومنهم ايضا اوزاع متفرقون بمصر وقرى الصعيد شاوية وفلاحين ومنهم ايضا بضواحى بجاية قبيلة يعرفون بلواتة ينزلون بسيط تاكرارت من اعمالها ويعتمرونها فدنا لمزارعهم ومسارح لانعامهم ومشيختهم لهذا العهد فى ولد راجح بن صواب منهم وعليهم

(1) Le ms. A porte علاق — (2) Trois mss. portent التى — (3) Le ms. B porte يدر

للسلطان جباية مفروضة وبعث مضروب هولاء هم المعروفون من بطون لواتة ولهم شعوب اخرى كثيرة اندرجوا فى البطون وتوزعوا بين القبائل والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن بنى فاتن من ضريسة احدى بطون البرابرة البتر وتصاريف احوالهم

وهم بطون مطغرة ولماية وصدينة وكومية ومديونة ومغيلة ومطماطة وملزوزة وكشانة ودونة وكلهم من ولد فاتن (1) بن تمصيت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الابتر ولهم ظهور بين البرابر واخبار نسردها بطنا وبطنا الى اخرهم مطغرة وهم من اوفر هذه الشعوب وكانوا خصاصين اهلين وكان جمهورهم بالمغرب منذ عهد الاسلام ونوبة الفتح وشؤون الردة وحروبها وكان لهم فيها مقامات ولما استوسق الاسلام فى البربر واجازوا الى فتح الاندلس فاجازت منهم امم واستقروا هنالك ولما فشا دين الخارجية فى البربر اخذ مطغرة هولاء براى الصفرية فيه وكان شيخهم ميسرة ويعرف بالحفير مقدما فيه ولما ولى عبيد الله بن الحجاب على افريقية من قبل هشام بن عبد الملك وامره ان يمضى اليها من مصر فقدمها سنة اربع عشرة واستعمل عمرو بن عبد الله المرادى على طنجة والمغرب الاقصى وابنه اسماعيل على السوس وما وراءه واتصل امد ولايتهم وساءت سيرتهم فى البربر فنقموا عليهم احوالهم وما كانوا يطالبونهم به من الوصائف البربريات والافرية العسلية الالوان وانواع طرف المغرب وكانوا يتغالون فى جمع ذلك وانتحاله حتى لكانت الصرمة من الغنم تستهلك

(1) Dans le ms. D ce nom est écrit فاين

بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد او ما قرب منه فكثر عيثهم بذلك فى اموال البربر وجورهم عليهم وامتعض لذلك ميسرة الحفير زعيم مطغرة وحمل البرابرة على الفتك بعمرو بن عبد الله عامل طنجة فقتلوه سنة ثنتين وعشرين وولى ميسرة مكانه عبد الاعلى بن خديج الافريقى الرومى الاصل كان من موالى العرب واهل خارجيتهم وكان يرى راى الصفرية فولاه ميسرة على طنجة وتقدم الى السوس فقتل عامله اسماعيل ابن عبيد الله واضطرم المغرب نارا وانتقض امره على خلفاء المشرق فلم يراجع طاعتهم بعد وزحف ابن الحجاب اليه من القيروان فى العساكر وعلى مقدمته خالد بن ابى حبيب الفهرى فلقيهم ميسرة فى جموع البرابرة فهزم المقدمة واستلحمهم وقتل خالدا وتسامع البربر بالاندلس بهذا الخبر فثاروا بعاملهم عقبة بن الحجاج السلولى وعزلوه وولوا عليهم عبد الملك بن قطن الفهرى وبلغ الخبر بذلك الى هشام بن عبد الملك فسرح كلثوم بن عياض القشيرى فى اثنى عشر الفا من جنود الشام وولاه على افريقية وادال به من عبيد الله بن الحجاب وزحف كلثوم الى البرابرة سنة ثلاث وعشرين حتى انتهت مقدمته الى وادى سبو من اعمال طنجة فلقيه البرابرة هنالك مع ميسرة وقد فحصوا عن اوساط رؤسهم ونادوا بشعار الخارجية فهزموا مقدمته ثم هزموه وقتلوه وكان كيدهم فى لقائهم اياه ان ملئوا الشنان بالحجارة وربطوها باذناب الخيل تعادى بها فتقعقع الحجارة فى شنها ومرت بمصاف العساكر من العرب فنفرت خيولهم واختل مصافهم وانجرت عليهم الهزيمة وافترقوا وذهب بلج مع الطلائع من اهل الشام الى سبتة كما ذكرناه فى اخبارهم ورجع الى القيروان اهل مصر وافريقية وظهرت الخوارج فى كل جهة وانقطع المغرب عن طاعة الخلفاء الى ان هلك ميسرة وقام برياسة مطغرة من بعده يحيى بن حارث منهم وكان حليفا لمحمد بن خزر ومغراوة ثم كان من بعد ذلك ظهور ادريس

بالمغرب فقام بها البرابرة وتولى كبرها اوربة منهم كما ذكرناه وكان على مطغرة يومئذ شيخهم بهلول بن عبد الواحد فانحرف لذلك عن ادريس الى طاعة هارون الرشيد بمداخلة ابراهيم بن الاغلب عامل القيروان فصالحه ادريس وابقاه بالسلم ثم ركد ريح مطغرة من بعد ذلك وافترق جميعهم وجرت الدول عليهم اذيالها وانحدرجوا فى غمار البربر الغارمين لهذا العهد بتلول المغرب وصحرائه فمنهم ما بين فاس وتلمسان امم يتصلون بكومية ويدخلون فى حلفهم واندرجوا من لدن الدعوة الموحدية فيهم ورياستهم لولد خليفة كان شيخهم على عهد الموحدين وبنى لهم حصنا بمواطنهم على ساحل البحر يسمى تاونت ولما انقرضت دولة بنى عبد المومن واستولى بنو مرين على المغرب قام هارون بن موسى بن خليفة بدعوة يعقوب بن عبد الحق سلطانهم وتغلب على ندرومة وزحف اليه يغمراسن بن زيان فاسترجع ندرومة من يده وغلبه على تاونت ثم زحف يعقوب بن عبد الحق اليهم واخذها من ايديهم وشحنها بالاقوات واستعمل هارون ورجع الى المغرب فحدثت هارون نفسه بالاستبداد فدعا لنفسه معتصما بذلك الحصن خمس سنين ثم حاصره يغمراسن واستنزله على صلح سنة ثنتين وسبعين وستماية ولحق هارون بيعقوب بن عبد الحق ثم اجاز الى الجهاد باذنه واستشهد هنالك وقام بامر مطغرة من بعده اخوه تاشفين الى ان هلك سنة ثلاث وسبعماية واتصلت رياستهم فى عقبه لهذا العهد ومن قبائل مطغرة ايضا امة بجبل قبلة فاس معروف بهم ومنهم ايضا قبائل كثيرون بنواحى سجلماسة واكثر اهلها منهم وربما حدثت بها عصبية من جرائهم ومن قبائل مطغرة ايضا بصحراء المغرب امم كثيرون نزلوا بقصورها واغترسوا شجرة النخل على طريقة العرب فمنهم بتوات قبلة سجلماسة الى تمنطيت اخر عملها قوم كثيرون موطنون مع غيرهم من اصناف البربر ومنهم فى فيكيك قبلة تلمسان على ست مراحل منها وهى قصور

متقاربة بعضها من بعض ائتلف منها مصر كبير مستبحر بالعمران البدوى معدود فى احاد الامصار بالصحراء ضاح من ظل الملك والدول لبعضه فى القفر ورياسته فى بيت بنى سيد الملوك منهم وفى شرقيها وعلى مراحل منها قرى اخرى متناسقة على سمتها متصاعدة قليلا الى الجوف اخرها على مرحلة من قبلة جبل راشد وهى فى مجالات بنى عامر بن زغبة واوطانهم من القفر وقد تملكوها لحط اثقالهم وقضاء حاجاتهم حتى نسبت اليهم فى الشهرة وفى جهة الشرق عن هذه القصور وعلى خمس مراحل منها قليعة متوغلة فى القفر تعرف بقليعة والن يعتمرها رهيط من مطغرة هولاء وتنتهى اليها ظواعن الملثمين من اهل الصحراء بعض السنين اذا لفحهم الهجير ويستبردون فى تلولها لتوغلها فى ناحيتهم ومن مطغرة هولاء اوزاع فى اعمال المغرب الاوسط وفى افريقية والله الخلق جميعا ۞ لماية وهم من بطون فاتن بن تمزيت (1) كما ذكرناه اخوة مطغرة ولهم بطون كثيرة عد منها سابق واصحابه بنو زكوفا ومزيزة ومليزة بنو مدنين (2) كلهم من لماية وكانوا ظواعن بافريقية والمغرب وكان جمهورهم بالمغرب الاوسط موطنين بتخومه مما يلى الصحراء ولما فشا دين الخارجية فى البربر اخذوا براى الاباضية فيه ودانوا به وانتحلوه وانتحله جيرانهم فى مواطنهم تلك من لواته وهوارة وكانوا بارض السرسو قبلة منداس وزواغة وكانوا فى ناحية الغرب عنهم وكانت مطماطة ومكناسة وزناتة جميعا فى ناحية الجوف والشرق فكانوا جميعا على دين الخارجية وعلى راى الاباضية منهم وكان عبد الرحمن بن رستم من مسلمة الفتح وهو من ولد رستم امير الفرس بالقادسية وقدم الى افريقية مع طوالع الفتح فكان بها واخذ بدين الخارجية والاباضية منهم وكان شيعة لليمنية وحليفا لهم ولما خرجت الاباضية بناحية طرابلس

(1) Ce nom est écrit ailleurs تمصيت — (2) Les mss. B et D portent مدىس, sans points; on lit مدين dans le ms. A.

منكرين على ورفجومة فغلبتهم فى القيروان كما مر واجتمعوا الى ابى الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى امام الاباضية فملكوا طرابلس ثم ملكوا القيروان وقتلوا واليها من ورفجومة عبد الملك بن ابى الجعد واثخنوا فى ورفجومة وسائر نفزاوة سنة احدى واربعين ورجع ابو الخطاب والاباضية الذين معه من زناتة وهوارة وغيرهم بعد ان استخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم وبلغ الخبر بفتنة ورفجومة هذه واضطراب الخوارج من البربر بافريقية والمغرب وانتزائهم على كرسى الامارة بالقيروان الى المنصور أبى جعفر فسرح محمد بن الاشعث الخزاعى فى العساكر الى افريقية وقلده حرب الخوارج بها فقدمها سنة اربع واربعين ولقيهم ابو الخطاب فى جموعه قريبا من طرابلس فاوقع به ابن الاشعث وبقومه وقتل ابو الخطاب وطار الخبر بذلك الى عبد الرحمن بن رستم بمكان امارته فى القيروان فاحتمل اهله وولده ولحق باباضية المغرب الاوسط من البرابرة الذين ذكرناهم ونزل على لماية لقديم حلف بينه وبينهم فاجتمعوا اليه وبايعوا له بالخلافة وايتمروا فى بنيان مدينة ينصبون بها كرسى امارتهم فشارعوا فى بناء مدينة تاهرت فى سفح جبل كزول السياج على تلول منداس واختطوها على وادى ميناس (1) المنبعث من عيون بالقبلة ويمر بها وبالبطحاء الى ان يصب فى وادى شلف فاسسها عبد الرحمن بن رستم واختطها سنة اربع واربعين ومائة فتمدنت واتسعت خطتها الى ان هلك عبد الرحمن وولى ابنه عبد الوهاب من بعده وكان راس الاباضية وزحف سنة ست وتسعين مع هوارة الى طرابلس وبها عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب من قبل ابيه فحاصره فى جموع الاباضية من البربر الى ان هلك ابراهيم بن الاغلب واستقدم ابنه عبد الله لامارته بالقيروان فصالح عبد الوهاب على ان تكون الضاحية لهم وانصرف الى نفوسة ولحق عبد الله بالقيروان وولى بعد عبد الوهاب ابنه ميمون وكان

(1) Telle est la leçon de tous les manuscrits.

راس الاباضية والصفرية الواصلية وكان يسلم عليه بالخلافة وكان اتباعه من الواصلية وحدهم ثلاثين الفا ظواعن ساكنين فى الخيام ولم يزل الملك فى بنى رستم هولاء بتاهرت وحاربهم جيرانهم من مغراوة وبنى يفرن على الدخول فى طاعة الادارسة لما ملكوا تلمسان واخذت بها زناتة من لدن ثلاث وسبعين ومائة فامتنعوا عليهم سائر ايامهم الى ان كان استيلاء ابى عبد الله الشيعى على افريقية والمغرب سنة ست وتسعين فغلبهم على مدينة تاهرت وابتزهم ملكهم بها وبث دعوة عبيد الله فى اقطار المغربين فانقرض امرهم بظهور هذه الدولة وعقد عروبة بن يوسف الكتامى فاتح المغرب للشيعة على تاهرت لابى حميد دواس بن صولات اللهيصى فى غزاته الى المغرب سنة ثمان وتسعين فاثخن فى برابرتها الاباضية من لماية وازداجة ولواتة ومكناسة ومطماطة وحملهم على دين الرافضية ونسخ بها دين الخارجية حتى استحكمت عقائدهم ثم وليها ايام اسماعيل المنصور بصلاصن بن حبوس ثم نزع الى دعوة الاموية وراء البحر ولحق بالخير بن محمد بن خزر صاحب دعوتهم فى زناتة واستعمل المنصور بعده على تاهرت ميسور الخصى مولاه واحمد بن الزجالى من صنائعه فزحف اليها حميد والخير وانهزم ميسور واقتحموا تاهرت عنوة وتقبضوا على احمد الزجالى وميسور الى ان طلقوهما بعد حين ولم تزل تاهرت هذه ثغرا لاعمال الشيعة وصنهاجة سائر ايامهم وتغلبت عليها زناتة مرارا ونازلتها عساكر بنى امية زاحفة فى اثر زيرى بن عطية امير المغرب من مغراوة ايام اجاز المظفر بن ابى عامر من العدوة الى حربه ولم يزل الشان هذا الى ان انقرض امر تلك الدول وصار امر المغرب الى لمتونة ثم جاءت دولة الموحدين من بعدهم وملكوا المغربين وخرج عليهم بنو غانية بناحية قابس ولم يزل يحيى منهم يجلب على ثغور الموحدين ويشن الغارات على بسائط افريقية والمغرب الاوسط ويكرر دخوله اليها عنوة مرة بعد اخرى الى ان احتمل

ساكنها وخلا جوها وعفا رسمها لما يناهز عشرين من المائة السابعة والارض لله واما قبائل لماية فانقرضوا وهلكوا بهلك مصرهم الذى اختطوه وجاوروه وملكوه سنة الله فى عباده وبقيت فرق منهم اوزاعا فى القبائل ومنهم جربة الذين سميت بهم الجزيرة البحرية تجاه ساحل قابس وهم بها لهذا العهد وقد كان النصرانية من اهل صقلية ملكوها على من بها من المسلمين من قبائل لماية وكتامة مثل جربة وسدويكس (1) ووضعوا عليهم الجزية وشيدوا على ساحل البحر بها معقلا لامارتهم سموه القشتيل وطال تمرس العساكر به من حضرة الدولة الحفصية بتونس حتى كان افتتاحها اعوام ثمان وثلاثين من المائة الثامنة فى دولة مولانا السلطان ابى بكر وعلى يد مخلوف بن الكماد من صنائعه واستقرت بها الدعوة الاسلامية الى هذا العهد الا ان القبائل الذين بها من البربر لم يزالوا يدينون بدين الخارجية ويتدارسون مذاهبهم وبينهم مجلدات تشتمل على تواليف لايمتهم فى قواعد دينهم واصول عقائدهم وفروع مذاهبهم يتناقلونها ويعكفون على دراستها وقراءتها والله خلقكم وما تعملون ۞ مطماطة وهم اخوة مطغرة ولماية من ولد فاتن بن تمصيت الذين مر ذكرهم انفا وهم شعوب كثيرة وعند سابق المطماطى واصحابه من النسابة ان اسم مطماط مصكاب (2) ومطماط لقب له وان شعوبهم كلها من لوا بن مطماط وانه كان له ولد اخر اسمه ورنشيط ولم يذكروا له عقبا قالوا وكان للوا اربعة من الولد ورماكسن وبلاغغ (3) ووريكول ويليصن ولم يعقب يليصن واعقب الثلاثة الباقون ومنهم افترقت شعوب مطماطة كلها فاما ورماكسن فمنه مصمود ويونس ويفرين واما وريكول فكان له من الولد كلثام ومسيدة وفيدن ولم يعقب مسيدة ولا فيدن وكان لكلثام عصفراصن

(1) On lit dans le ms. A وسدوتكس. Le ms. B porte وسدونكس — (2) Le ms. A porte مصكاف — (3) Le ms. A porte تلاغغ et le ms. C يلاغغ

وسلیایان فمن سلیایان سابحان ووریغنی ووصدی ونطسایان وعمرو ویقال لهولاء الخمسة بنو مصطكودة سموا بامهم وكان لعصفراصن یرهاض ویصراصن فمن یصراصن ورتجین (1) ووریكول وجلیدا وسكوم ویقال لهم بنی تلیكفتان سموا بامهم وكان لیرهاض یلیت ویصلاسن فمن یلیت ورسفلاسن وسكن ومحمد ومكدیل (2) ودكوال ومن یصلاسن فاویولن ویتماسن ومارکسن ومسافر وفلوسن ووریجید ونافع وعبد الله وغرذای واما یلاغف بن لوا بن مطماط فكان له من الولد دهیا وتابتة فمن تابتة ماجرسن وریغ وعجلان ویفام وقرة وكان لدهیا ورتجی ومجلین فمن ورتجی مقرین وتور وسكم وعجمیسن ومن مجلین ماكور ولشكول وكیلان ومزكون وقطار وایورة هذه شعوب مطماطة كما ذكر نسابة البربر سابق واصحابه وهم مفترقون فی المواطن فمنهم فی نواحی فاس من قبلتها فی جبل هنالك معروف بهم ما بین فاس وصفروی ومنهم بجهات قابس والبلد المختط علی العین الحامیة من جهة غربیها منسوب الیهم لهذا العهد یقال حمة مطماطة ویاتی ذكرها فی الدولة الحفصیة وممالك افریقیة وبقایاهم اوزاع فی القبائل وكانت مواطن جمهورهم بتلول منداس عند وانشریس وجبل كزول من نواحی تاهرت وكان لهم بتلك المواطن اخریات دولة صنهاجة استفحال وصولة وفی فتنة حماد بن بلكین مع بادیس بن المنصور مقامات واثار وكان كبیرهم یومئذ عزانة وكانت له مع البرابرة المجاورین له من وجدیجن ولواتة وغیرهم حروب وایام ولما هلك عزانة قام بامره فی مطماطة ابنه زیری فمكث فیهم ایاما ثم غلبه صنهاجة علی امره فاجاز البحر الی العدوة ونزل علی المنصور بن ابی عامر فاصطنعه ونظمه فی طبقة الامراء من البربر الذین كانوا فی جملته واستظهر بهم علی امره فكان من اوجه رجالتهم عنده

(1) Ce nom s'écrit aussi de cette manière ورتكین — (2) Ailleurs on trouve ce nom écrit ainsi مجدیل

واعظمهم قدرا لديه الى ان هلك واجراه ابنه المظفر من بعده واخوه عبد الرحمن الناصر على سنن ابيهما فى ترفيع مكانه واخلاص ولايته وكان عند ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار غائبا مع ابى عامر فى غزاة النعمان مع من كان معه من امراء البرابر وعرفائهم فلما راوا انتقاض امره وسوء تدبيره لحقوا بمحمد بن هشام المهدى فكانوا معه الى ان كانت الفتنة البربرية بالاندلس وهلك زيرى هنالك لا ادرى اى السنين كان مهلكه واجاز الى الاندلس ايضا من رجالتهم كهلان بن ابى لوا بن يصلاصن ونزل على الناصر وهو من اهل العلم بانساب البربر وكان من مشاهيرهم ايضا الغسابه سابق ابن سليمان بن حرات بن مولات بن دوناس وهو كبير نسابة البربر فيما علمناه وكان منهم ايضا عبد الله بن ادريس كاتب الخراج لعبيد الله المهدى فى اخرين يطول ذكرهم هذا ما تلقيناه من اخبار مطماطة واما موطن منداس فزعم بعض الاخباريين من البربر ووقفت على كتابه فى ذلك انه سمى بمنداس بن مفر بن اوريغ بن كبورى بن المثنى وهو هوار وكانه يشير والله اعلم الى اداس بن زحيك الذى يقال انه ربيب هوار كما ياتى فى ذكرهم الا انه خلط عليه الامر قالوا وكان لمنداس ثلاثة من الولد شراوه وكلثوم وتكم قال ولما استفحل امر مطماطة وكان شيخهم لذلك العهد ارهاصن بن عصفراصن فاخرج منداس من الوطن وغلبه على امره واعتمر بنوه موطن منداس ولم يزالوا به انتهى كلامه وبقية هولاء القوم لهذا العهد بجبل وارشنيس (1) لحقوا به لما غلبهم بنو توجين من زناتة على منداس وصاروا فى عداد قبائله الغارمة والله وارث الارض ومن عليها

مغيلة وهم اخوة مطماطة ولماية كما قلناه واخوتهم ملزوزة معدودون منهم وكذلك دونة وكشاتة ولهم افتراق فى المواطن وكان منهم جمهوران احدهما بالمغرب

(1) Le ms. A porte وارشتيسن

الاوسط عند مصب شلف فى البحر من ضواحى مازونة المصر لهذا العهد ومن ساحلهم اجاز عبد الرحمن الداخل الى الاندلس ونزل بالمنكب فكان منهم ابو قرة المغيلى الدائن بدين الصفرية من الخوارج ملك اربعين سنة وكانت بينه وبين امراء العرب بالقيروان لاول دولة بنى العباس حروب ونازل طبنة وقد قيل ان ابا قرة هذا من بنى يفرن وهو عندى اصح فلذلك اخرت ذكر اخباره الى اخبار بنى يفرن من زناتة وكان منهم ايضا ابو حسان ثار بافريقية لاول الاسلام وابو حاتم يعقوب بن لبيب بن مدين بن يطوفت بن ملزوز الثائر مع ابى قرة سنة خمسين ومابة وتغلب على القيروان فيما ذكر خالد ابن خداش وخليفة بن خياط من علمائهم وذكروا من روسائهم ايضا موسى ابن خليد ومليح بن علوان وحسان بن زروال الداخل مع عبد الرحمن وكان منهم ايضا دلول بن حماد اميرا عليهم فى سلطان يعلى بن محمد اليفرنى وهو الذى اختط بلد ايكرى (1) على اثنى عشر ميلا من البحر وهى لهذا العهد خراب لم يبق منها الا الاطلال ماثلة ولم يبق من مغيلة بذلك الموطن جمع ولا حى وكان جمهورهم الاخر بالمغرب الاقصى وهم الذين تولوا مع اوربة وصدينة القيام بدعوة ادريس بن عبد الله لما لحق بالمغرب فاجاروه وحملوا قبائل البربر على طاعته والدخول فى امره ولم يزالوا على ذلك الى ان اضمحلت دولة الادارسة وبقاياهم لهذا العهد بمواطنهم ما بين فاس وصفروى ومكناسة والله وارث الارض ومن عليها

مديونة وهم اخوة مغيلة ومطماطة من ولد فاتن كما قلناه وكانت مواطن جمهورهم بنواحى تلمسان ما بين جبل بنى راشد لهذا العهد الى الجبل المعروف بهم قبلة وجدة يتقلبون بظواعنهم فى ضواحيه وجهاته وكان بنو يلومى وبنو يفرن من

(1) L'orthographe de ce nom varie dans tous les mss. Le ms. A porte أيكونى ; les mss. B et C أيكرى ; le ms. D أيكدى. Ailleurs on lit ايفكان

قبلهم يجاورونهم من ناحية الشرق ومكناسة من ناحية الغرب وكومية وولهاصة من جهة الساحل وكان من رجالتهم المذكورين جرير بن مسعود كان اميرا عليهم وكان مع ابى حاتم وابى قرة فى فتنتهم واجاز الى الاندلس فى طوالع الفتح كثير منهم فكان لهم هنالك استفحال وخرج هلال بن ابزيا منهم بشنترية على عبد الرحمن الداخل متبعا شقيا المكناسى فى خروجه ثم راجع الطاعة فتقبله وكتب له على قومه فكان راس البربر بشرق الاندلس وشنترية ثم خلفه بها من قومه نابتة بن عامر ولما تغلب بنوتوجين وبنو راشد من زناتة على ضواحى المغرب الاوسط وكان مديونة هولاء قد قل عددهم وفل حدهم فرحلتهم زناتة عن الضواحى من مواطنهم وتملكوها وصارت مديونة الى الحصون من بلادهم بجبل تاسالة وجبل وجدة المعروف بهم وضربت عليهم المغارم وتمرست بهم الايام فلم يبق منهم هنالك الا صبابة محترفون بالفلح ومنهم ايضا اوزاع فى القبائل مندرجون فيهم وبنواحى فاس ما بينها وبين صفروى قبيلة منهم مجاورة لمغيلة والله وارث الارض ومن عليها

كومية وهم المعروفون قديما بصطفورة اخوة لماية ومطغرة وهم من ولد فاتن كما قدمناه ولهم ثلاث بطون منها تفرعت شعوبهم وقبائلهم وهى ندرومة وصغارة وبنو يلول فمن ندرومة نفوطة وحرسة وفردة وهفانة وفرانة ومن بنى يلول مسيفة ووتيوة وهبيشة وهيوارة ووالغة ومن صغارة ماتيلة وبنو حباسة (1) وكان من نفوطة منهم النسابة المشهور هانى بن مصدور بن مريس بن نفوط هذا هو المعروف فى كتبهم وكانت مواطن كومية بالمغرب الاوسط بسيف البحر من ناحية ارشكول وتلمسان وكان لهم كثرة موفورة وشوكة مرهوبة وصاروا اخرا من اعظم قبائل الموحدين بما ظاهروا المصامدة على امر المهدى وكلمة توحيده وبما كانوا رهط عبد المومن صاحبه وخليفته

(1) Dans les mss., l'orthographe des noms qui précèdent varie beaucoup.

من بعده فانه كان من بنى عابد احد بيوتاتهم وهو عبد المومن بن على بن مخلوف بن يعلى بن مروان بن نصر بن على بن عامر بن الامير بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن ورزايغ بن صطفور هكذا نسبه مورخوا دولة الموحدين الى صطفور ثم يقولون صطفور بن نفور بن مطماط بن هودج بن قيس بن غيلان بن مضر ويذكر بعضهم انه منقول من خط ابى محمد عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المومن فاما انتسابهم فى قيس غيلان فقد ذكرنا انه غير صحيح وفى اسماء هذا العمود من نسب عبد المومن ما يدل على انه مصنوع اذ هذه الاسماء ليست من اسماء البربر انما هى كما تراه كلها عربية والقوم كانوا من البرابرة معروفون بينهم وانتساب صطضور الى مطماط تخليط ايضا فانهما اخوان عند نسابة البربر اجمع وعبد المومن بلا شك منهم والله اعلم بما سوى ذلك وكان عبد المومن هذا من بيوتاتهم واشرافهم وموطنهم بتاكرارت وهو حصن فى الجبل المطل على هنين من ناحية الشرق ولما نجم عبد المومن فيهم وشب ارتحل فى طلب العلم فنزل بتلمسان واخذ عن مشيختها مثل ابن صاحب الصلاة وعبد السلام التونسى وكان فقيها صالحا وهو ضجيع الشيخ ابى مدين فى تربته ولما هلك عبد السلام هذا ولم يحذق تلميذه بعد فى فنونه وكان شيخ عصره فى الفقه والكلام تعطش التلميذ بعده الى القراءة وبلغهم خبر الفقيه محمد بن تومرت المهدى ووصوله الى بجاية وكان يعرف اذذاك بالفقيه السوسى نسبة الى السوس ولم يكن لقب المهدى وضع عليه بعد وكان فى ارتحاله من المشرق الى المغرب قد اخذ نفسه مع تغيير المنكر الذى كان شانه وطريقته بنشر العلم وبث الفتيا وتدريس الفقه والكلام وكان له فى طريقة الاشعرية امامة وقدم راسخة وهو الذى ادخلها الى المغرب كما ذكرناه فتشوق طلبة العلم بتلمسان الى الاخذ عنه وتفاوضوا فى ذلك وندب بعضهم بعضا الى الرحلة اليه لاستجلابه

وان تكون له المنة فى اتحاق القطر بعلومه فانتدب لها عبد المومن على مكانه من صغر السن بنشاطه للسفر لبداوته فارتحل الى بجاية للقائه وترغيبه فى نزوله تلمسان فلقيه بملالة وقد استحكمت بينه وبين العزيز صاحبها النفرة وبنو ورياكل متعصبون على اجارته منه ومنعه من اذايته والوصول اليه فالقى اليه عبد المومن ما عنده من الترغيب وادى اليه رسالة طلبة العلم بتلمسان فوعاها وشانه غير شانهم وعكف عبد المومن على التعليم والاخذ عنه فى ظعنه ومقامه وارتحل الى المغرب فى صحابته وحذق فى العلم واثره الامام بمزيد الخصوصية والقرب لما خصه الله به من الفهم والوعى للتعليم حتى كان خلاصة الامام وكبير صحابته وكان يومله لخلافته لما ظهر عليه من الشواهد الموذنة بذلك ولما اجتازوا فى طريقهم الى المغرب بالثعالبة من بطون العرب الذين ذكرناهم قبل فى نواحى المدية قربوا اليه حمارا فارها يتخذه مطية لركوبه فكان يوثر به عبد المومن ويقول لاصحابه اركبوه الحمار يركبكم الخيول المسومة ولما بويع له بهرغة سنة خمس عشرة وخمس مائة واتفقت على دعوته كلمة المصامدة وحاربوا لمتونة نازلوا مراكش وكانت بينهم فى بعض ايام منازلتها حرب شديدة هلك فيها من الموحدين الاف فقيل للامام ان الموحدين قد هلكوا سائر اليوم فقال لهم ما فعل عبد المومن قالوا هو على جواده الادهم قد احسن البلاء فقال ما بقى عبد المومن فلم يهلك احد ولما احتضر الامام سنة ثنتين وعشرين عهد بخلافته فى امره لعبد المومن واستراب لخلوه من العصبية بين المصامدة فكتم موت المهدى وارجى امره حتى صدع الشيخ ابو حفص امير هنتاتة وكبير المصامدة بمصاهرته وامضى عهد الامام فيه فقام بالامر واستبد بشياخة الموحدين وخلافة المسلمين ونهض سنة سبع وثلاثين الى فتح المغرب فدانت له غمارة ثم ارتحل منها الى الريف ثم الى بطوية ثم الى بطالسة ثم الى بنى يزناسن ثم الى مديونة ثم الى كومية

وجيرانهم ولهاصة وكانوا يلوهم فى الكثرة فاشتد عضده بقومه ودخلوا فى امره
وشايعوه على تمكين سلطانه بين الموحدين وخلافته ولما رجع الى المغرب
وافتتح امصاره واستولى على مراكش استدعى قومه للرحلة اليها والعسكرة
عليه فخف جمورهم الى المغرب واستوطنوا مراكش لحمل سرير الخلافة والقيام
بامر الدعوة والذب عن يعسوبهم والمدافعة فاعتضد بهم عبد المومن وبنوه
سائر الدولة وكانوا لمكانتهم فاتحة الكتاب وفذلكة الجماعة وانفقهم الملك فى
الفتوح والعساكر واكلتهم الاقطار فى تجهيز الكتائب وتدويخ الممالك فانقرضوا
وبقى بمواطنهم الاولى بقاياهم وبيت بنى عابد منهم وهم فى عداد القبائل الغارمة
قد اثقلت زناتة كاهلهم بحمل المغرم والعسف ونهضوهم بالتكاليف ونظموهم
مع جيرانهم ولهاصة فى سوم الخسف والذل واقتضاء الخراج بالنكال والعذاب
والله مبدل الامر ومالك الملك سبحانه

الخبر عن زواوة (1) وزواغة من بطون ضريسة من البرابر البتر والالمام ببعض احوالهم

هولاء البطون من بطون البرابرة البتر من ولد سمكان بن يحيى بن ضرى بن
زجيك بن ماغيس الابتر واقرب ما يليهم من البرابر زنانة لان اباهم جانا هو
اخو سمكان ابن ابيه فلذلك كانوا ذوى قربى لهم ۞ زواوة فاما زواوة فهم من
بطونهم وقد يقال ان زواوة من قبائل كتامة ذكر ذلك ابن حزم ونسابة البربر

(1) Ibn Khaldoun fait observer, dans différentes parties de cet ouvrage, que le nom de *Zewawa* زواوة, donné à la tribu qui descend de Dari, doit s'écrire *Zewaza* زوازة. Il paraît, cependant, avoir quelques fois confondu ces deux noms.

انما يعد ونهم من ولد سمكان كما قلناه والصحيح عندى ما ذكره ابن حزم ويشهد له الموطن ونحلة التشيع مع كتامه لعبيد (1) الله ويعد نسابة البربر لهم بطونا كثيرة بنى مَجَسْطة وبنى مليكش وبنى كوفى ومشدّالة وبنى زريقف وبنى كوزيت وكرسفينة ووزلجة وموجة وزكلاوة وبنى مرانة ويقال ان بنى مليكش من صنهاجة والله اعلم ومن قبائلهم المشهورة لهذا العهد بنو يجر وبنو مانكلات وبنو يترون (2) وبنو مانى (3) وبنو بوغردان وبنو يتورغ وبنو بو يوسف وبنو شعيب وبنو عيسى وبنو صدقة وبنو غبرين وبنو كشطولة ومواطن زواوة بنواحى بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة اوطنوا منها جبالا شاهقة متوعرة ترتد عنها الابصار وتضل فى غمرها المسالك مثل بنى غبرين بجبل زيرى وفيه شعراء من شجر الزان يشهر بها لهذا العهد ومثل بنى فراوسن وبنو يراتن (4) وجبلهم ما بين بجاية وتدلس وهو اعصم معاقلهم وامنع حصونهم فلهم به الاعتزاز على الدول والخيار عليها فى اعطاء المغرم مع ان كلهم لهذا العهد قد امتنع بشاهقه واعتز على السلطان فى اثناء طاعته وقانون خراجه وكانت لهم فى دولة صنهاجة مقامات مذكورة فى السلم والحرب بما كانوا اولياء لكتامة وظهراء لهم على امرهم مذ اول الدولة وقتل باديس بن المنصور فى احدى وقائعه بهم شيخهم زيرى بن اجانا لاتهامه اياه فى امر حماد ثم اختط بنو حماد بعد ذلك بجاية بساحتهم وتمرسوا بهم فانقادوا واذعنوا لهم الى اخر الدولة واتصل اذعانهم الى هذا العهد الا تمريضا فى المغرم يحملهم عليه الموثوق بمنعة جبالهم وكانت رياسة بنى يراتن منهم فى بنى عبد الصمد من بيوتاتهم وكانت عند تغلب السلطان ابى الحسن على المغرب الاوسط شيخة عليهم من بنى عبد الصمد هولاء اسمها

(1) On lit dans tous les mss. لعبد — (2) Le ms. B porte لترّوز — (3) Le ms. C porte بابى — (4) Ce nom est écrit et ponctué d'une manière différente dans chaque ms.

شمسى وكان لها عشرة من الولد فاستفحل شانها بهم وملكت عليهم امرهم ولما تقبض السلطان ابو الحسن على ابنه يعقوب المكنى بابى عبد الرحمن عند ما فر من معسكره بمتيجة سنة ثمان او تسع وثلاثين وسرح فى اثره الخيالة فرجعوه واعتقله ثم قتله من بعد ذلك حسبما نذكر فى اخبارهم لحق حينئذ ببنى يراتن هولاء جازر من مطبخه فموه عليهم باسمه وشبه بتمثاله ودعا الى الخروج على ابيه بزعمه فشمرت شمسى هذه عزائمها فى اجارته وحملت قومها على طاعته وسرب السلطان ابو الحسن امواله فى قومها وبنيها على اسلامه فابته ثم نمى اليها الخبر بكذبه وتمويهه فنبذت اليه عهده وخرج عنها الى بلاد العرب كما نذكر بعد فى اخبارهم وقدمت على السلطان ابى الحسن فى وفد من قومها وبعض بنيها فاستبلغ السلطان فى تكريمها واحسن صلتها واجاز الوفد ورجعت بهم الى موطنها ولم تزل الرياسة فى هذا البيت ۞ زواغة واما زواغة فلم يتاد الينا من اخبارهم وتصاريف احوالهم ما نحمل فيها الاقلام ولهم ثلاثة بطون وهى دمر بن زواغ وبنو واطيل بن زجيك (1) بن زواغ وبنو ماخر (2) بن تيقون بن زواغ ومن دمر بنو سمكان وهم اوزاع فى القبائل ومنهم بنواحى طرابلس مفترقون فى براريها ولهم هنالك الجبل المعروف بدمر وفى جهات قسنطينة ايضا رهط من زواغة وكذلك بجبال شلف بنو واطيل منهم وبنواحى فاس اخرون ولله الخلق والامر

(1) Le ms. C porte زحيك — (2) Le ms. D porte ماحن

الخبر عن مكناسة وسائر بطون بنى ورصطف وهم بقية ضريسة من البرابرة البتر وماكان لمكناسة من الدول بالمغرب واولية ذلك وتصاريفه

كان لورصطف بن يحيى وهو اخو جانا بن يحيى وسمكان بن يحيى ثلاثة بطون وهم مكناسة وورتناجة واوكتة ويقال مكنة وبنو ورتناجة اربعة بطون سدْرَجة ومَكسَتة وبطالسة وكرنيطة (1) وزاد سابق واصحابه فى بطونهم هناطة وفولالة وكذلك عدوا فى بطون مكنة بنى يصلتن وبنى تولالين وبنى ترين (2) وبنى جرتن (3) وبنى فوغال ولمكناسة عندهم ايضا بطون كثيرة منها صولات وبنو حوّات وبنو ورفلاس (4) وبنو وريدوس وقنصارة ونيفة ووريفلتة وبطون ورصطف كلهم مندرجون فى بطون مكناسة وكانت مواطنهم على وادى ملوية من لدن اعلاه بسجلماسة الى مصبه فى البحر وما بين ذلك من نواحى تازى وتسول وكانت رياستهم جميعا فى بنى ابى يزّول واسمه مجدول بن تافريس ابن فراديس بن ونيف بن مكناس واجاز منهم الى العدوة عند الفتح امم وكانت لهم بالاندلس رياسة وكثرة وخرج منهم على عبد الرحمن الداخل شقيا بن عبد الواحد سنة احدى وخمسين واعتصم بشنتمرية ودعا لنفسه منتسبا الى الحسن بن على وتسمى عبد الله بن محمد وتلقب بالفاطمى وكانت بينه وبين عبد الرحمن حروب الى ان غلبه ومحا اثر ضلالته وكان من رجالتهم لعهد دولة الشيعة مصالة بن حبّوس بن منازل اتصل بعبيد الله الشيعى

(1) La ponctuation de presque tous ces noms varie dans les mss. — (2) Le ms. B porte يزين — (3) Le ms. C porte جوتق — (4) Les mss. A et C portent ورقلاس

وكان من اعظم قواده واوليائه وولاه تاهرت وافتتح له المغرب وفاس وسجلماسة ولما هلك اقام اخاه يصلتن بن حبوس مقامه فى ولاية تاهرت والمغرب ثم هلك فاقام ابنه حميدا مقامه فانحرف عن الشيعة ودعا لعبد الرحمن الناصر واجتمع مع بنى خزر امراء جراوة على ولاية المروانية ثم اجاز الى الاندلس وولى الولايات ايام الناصر وابنه الحكم وولى فى بعضها تلمسان بدعوتهم ثم هلك واقام ابنه يصل (1) بن حميد واخوه فياطن بن يصلتن وعلى بن عمه مصالة فى ظل الدولة الاموية الى ان اجاز المظفر بن ابى عامر الى المغرب فولى يصل بن حميد على سجلماسة كما نذكره ثم ان رياسة مكناسة بالعدوة انقسمت فى بنى ابى يزول وانقسمت قبائل مكناسة بانقسامها وصارت رياسة مكناسة فى مواطن سجلماسة وما اليها لبنى واسول بن مصلان بن ابى يزول ورياسة مكناسة بجهات تازى وتسول وملوية ومليلة لبنى ابى العافية بن ابى تاسل بن ابى الضحاك بن ابى يزّول ولكل واحد من هذين الفريقين فى الاسلام دولة وسلطان صاروا به فى عداد الملوك على ما نذكره

الخبر عن دولة بنى واسول ملوك سجلماسة واعمالها من مكناسة

كان اهل مواطن سجلماسة من مكناسة يدينون لاول الاسلام بدين الصفرية من الخوارج لقنوه عن ايمتهم وروسهم من العرب لما لحقوا بالمغرب وانتزوا على الاصقاع وماجت اقطار المغرب بفتنة ميسرة فلما اجتمع على هذا المذهب زهى اربعين من رجالتهم نقضوا طاعة الخلفاء وولوا عليهم عيسى بن يزيد الاسود من موالى العرب وروس الخوارج واختطوا مدينة سجلماسة لاربعين ومائة من

(1) Dans quelques mss. ce nom est écrit فضل et نصل

الهجرة ودخل سائر مكناسة من اهل تلك الناحية فى دينهم ثم سخطوا اميرهم عيسى ونقموا عليه كثيرا من احواله فشدوه كتافا ووضعوه على قنة جبل الى ان هلك سنة خمس وخمسين واجتمعوا بعده على كبيرهم ابى القاسم سمكو ابن واسول بن مصلان (1) بن ابى يزول كان ابوه سحقو (2) من حملة العلم ارتحل الى المدينة فادرك التابعين واخذ عن عكرمة مولى ابن عباس ذكره عريب بن حميد فى تاريخه وكان صاحب ماشية وهو الذى بايع لعيسى بن يزيد وحمل قومه على طاعته فبايعوه من بعده واقاموا بامره الى ان هلك فجاءة سنة سبع وستين ومائة لثنتى عشرة سنة من ولايته وكان اباضيا صفريا وخطب فى عمله للمنصور والمهدى من بنى العباس ولما هلك ولوا عليهم ابنه الياس وكان يدعى بالوزير ثم انتقضوا عليه سنة اربع وسبعين فخلعوه وولوا مكانه اخاه اليسع بن ابى القاسم وكنيته ابو منصور فلم يزل اميرا عليهم وبنى سور سجلماسة لاربع وثلاثين سنة من ولايته وكان اباضيا صفريا وعلى عهده استفحل ملكهم بسجلماسة وهو الذى اتم بناءها وشيدها واختط بها المصانع والقصور وانتقل اليها اخر الماية الثانية ودوخ بلاد الصحراء واخذ الخمس من معادن درعة واصهر لعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت بابنه مدرار فى ابنته اروى فانكحه اياها ولما هلك سنة ثمان ومايتين ولى بعده ابنه مدرار ولقبه المنتصر وطال امد ولايته وكان له ولدان اسم كل واحد منهما ميمون احدهما لاروى بنت عبد الرحمن بن رستم وقيل ان اسمه ايضا عبد الرحمن والاخر لتقى وتنازعا فى الاستبداد على ابيهما ودامت الحرب بينهما ثلاث سنين وكانت لابيهما مدرار صاغية الى ابن اروى فمال معه حتى غلب اخاه واخرجه عن سجلماسة ولم يلبث ان خلع اباه واستبد بامره ثم ساءت

(1) Dans les mss. A et B ce nom est écrit مصلات — (2) Le texte paraît altéré ; je lis ابو سمقو ou ابو سمكو

سيرته فى قومه ومدينته فخلعوه وصار الى درعة واعادوا مدرارا الى امره، ثم
حدث نفسه باعادة ابنه ميمون ابن الرستمية الى امارته لصاغيته اليه
فخلعوه ورجعوا ابنه ميمون بن التقى (1) وكان يعرف بالامير ومات مدرار اثر
ذلك سنة ثلاث وخمسين لخمس واربعين من ملكه واقام ابنه ميمون فى
استبداده الى ان هلك سنة ثلاث وستين وولى ابنه محمد وكان اباضيا وتوفى
سنة سبعين فولى اليسع بن المنتصر وقام بامره ولحق عبيد الله الشيعى
وابنه ابو القاسم بسجلماسة لعهده واوعز المعتضد اليه فى شانهما وكان على
طاعته واستراب بهما وحبسهما الى ان غلب الشيعى بنى الاغلب وملك رقادة
فزحف اليه لاستخراج عبيد الله وابنه من محبسه وخرج اليه اليسع فى
قومه مكناسة فهزمه ابو عبد الله الشيعى واقتحم عليه سجلماسة وقتله
سنه ست وتسعين واستخرج عبيد الله وابنه من محبسهما وبايع لهما وولى
عبيد الله المهدى على سجلماسة ابراهيم بن غالب المزاتى من رجالات كتامة
وانصرف الى افريقية ثم انتقض اهل سجلماسة على واليهم ابراهيم فقتلوه ومن
دان معه من كتامة سنة ثمان وتسعين وبايعوا للفتح بن ميمون الامير بن
مدرار ولقبه واسول وميمون ابوه هو ابن التقى (2) الذى تقدم ذكره وكان
اباضيا وهلك قريبا من ولايته لراس الماية الثالثة فولى اخوه احمد واستقام
امره الى ان زحف مصالة بن حبوس فى جموع كتامة ومكناسة الى المغرب
سنة تسع وثلاثماية فدوخ المغرب واخذهم بدعوة صاحبه عبيد الله المهدى
وافتتح سجلماسة وتقبض على صاحبها احمد بن ميمون بن مدرار وولى عليها
ابن عمه المعتز بن محمد بن بسادر بن مدرار فلم يلبث ان استبد وتلقب
بالمعتز وهلك سنة احدى وعشرين قبيل مهلك المهدى وتولى من بعده ابنه
ابو المنتصر محمد بن المعتز فمكث عشرا ثم هلك وولى من بعده ابنه

(1) Les mss. B et C portent البغى — (2) Ici les mss. portent المقى ,المغى ou البعى

المنتصر سمكو شهرين وكانت جدته تدبر امره لصغره ثم ثار عليه ابن عمه محمد بن الفتح بن ميمون الامير وتغلب عليه وشغل عنه بنو عبيد الله بفتنة ابن ابى العافية وتاهرت ثم بفتنة ابى يزيد بعدهما فدعا محمد بن الفتح لنفسه مموها بالدعاء لبنى العباس واخذ بمذاهب اهل السنة ورفض الخارجية وتلقب الشاكر لله واتخذ السكة باسمه ولقبه وكانت تسمى الدراهم الشاكرية كذا ذكر ابن حزم وقال فيه كان فى غاية العدل حتى اذا فرغ له بنو عبيد من الفتن زحف جوهر الكاتب ايام المعز لدين الله معد فى جموع كتامة وصنهاجة واوليائهم الى المغرب سنة سبع واربعين فغلب على سجلماسة وملكها وفر محمد بن الفتح الى حصن تاسكدات على اميال من سجلماسة واقام به ثم دخل سجلماسة متنكرا فعرفه رجل من مطغرة وانذر به فتقبض عليه جوهر وقاده اسيرا الى القيروان مع احمد بن بكر صاحب فاس كما نذكره وقفل الى القيروان فلما انتقض المغرب على الشيعة وفشت به دعوة الاموية واخذ زناتة بطاعة الحكم المستنصر ثار بسجلماسة قائم من ولد الشاكر وتلقب المنتصر بالله ثم وثب به اخوه ابو محمد سنة ثنتين وخمسين فقتله وقام بالامر مكانه وتلقب المعتز بالله واقام على ذلك مدة وامر مكناسة يومئذ قد تداعا الى الانحلال وامر زناتة قد استفحل بالمغرب عليهم الى ان زحف خزرون بن فلفول من ملوك مغراوة الى سجلماسة سنة ست وستين وبرز اليه ابو محمد المعتز فهزمه خزرون وقتله واستولى على بلده وذخيرته وبعث براسه الى قرطبة مع كتاب الفتح وكان ذلك لاول حجابة المنصور بن ابى عامر فنسب اليه واحتسب له جدا ويمن نقيبه وعقد لخزرون على سجلماسة فاقام دعوة هشام بانحائها فكانت اول دعوة اقيمت لهم بالامصار فى المغرب الاقصى وانقرض امر بنى مدرار ومكناسة من المغرب اجمع واديل منهم بمغراوة وبنى يفرن حسبما ياتى ذكره فى دولهم والامر لله وحده وله البقاء سبحانه

الخبر عن دولة بنى ابى العافية ملوك تسول من مكناسة واولية امرهم وتصاريف احوالهم

كان مكناسة الظواعن اهل مواطن ملوية وكرسيف ومليلة وما اليها من التلول بنواحى تازى وتسول ولكائى يرجعون فى رياستهم الى ابى باسل بن ابى الضحاك بن ابى يزول وهم الذين اختطوا بلد كرسيف ورباط تازى ولم يزالوا على ذلك مذ اول الفتح وكانت رياستهم فى المائة الثالثة لمصالة بن حبوس وموسى بن ابى العافية بن ابى باسل واستفحل امرهم فى ايامه وعظم سلطانهم وتغلبوا على قبائل البربر بانحاء تازى الى لكائى وكانت بينهم وبين الادارسة ملوك المغرب لذلك العهد فتن وحروب وكانوا يغلبونهم على كثير من ضواحيها لما كان نزل بدولتهم من الهرم ولما استولى عبيد الله على المغرب واستفحل امره كانوا من اعظم اوليائه وشيعه وكان مصالة بن حبوس من اكبر قواده لانحياشه اليه وولاه مدينة تاهرت والمغرب الاوسط ولما زحف مصالة الى المغرب الاقصى سنة خمس وثلاثمائة واستولى على فاس ثم على سجلماسة وفرغ من شان المغرب واستنزل يحيى بن ادريس من امارته بفاس الى طاعة عبيد الله المهدى وابقاه اميرا على فاس عقد حينئذ لابن عمه موسى بن ابى العافية امير مكناسة على سائر ضواحى المغرب وامصاره مضافة الى عمله من قبل بتسول وتازى وكرسيف وقفل مصالة الى القيروان وقام موسى بن ابى العافية بامر المغرب وناقضه يحيى بن ادريس صاحب فاس بما كان يضطغن له من المظاهرة عليه فلما عاود مصالة غزو المغرب سنة تسع اغراه ابن ابى العافية بيحيى بن ادريس فتقبض عليه

واستصفاه وطرده عن عمله فلحق ببنى عمه بالبصرة والريف وولى مصالة على فاس ريحانا الكتامى وقفل الى القيروان فهلك وعظم ملك ابن ابى العافية بالمغرب ثم ثار بفاس سنة ثلاث عشرة الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس وكان قدما شجاعا ويلقب الحجام لطعنه فى المحاجم دخل فاس على حين غفلة اهلها وقتل ريحانا واليها واجتمع الناس على بيعته ثم خرج لقتاله ابن ابى العافية فتزاحفوا بفحص ادّاذ ما بين تازى وفاس ويعرف لهذا العهد بوادى المطاحن واشتدت الحرب بينهم وهلك منهال بن موسى بن ابى العافية فى الفين من مكناسة ثم كانت العاقبة لهم وانتقض عسكر الحسن ورجع مفلولا الى فاس فغدر به عامله على عدوة القرويين حامد بن حمدان الهمدانى واستمكن من عقاله واستحث ابن ابى العافية للقدوم وامكنه من البلد وزحف الى عدوة الاندلس فملكها وقتل عاملها عبد الله بن ثعلبة (1) بن محارب بن عبود وولى مكانه اخاه محمدا وطالب حامدا بصاحبه الحسن فدس اليه حامد بالفرار تجافيا عن دماء اهل البيت وتدلى الحسن من السور فسقط وانكسرت ساقه ومات مستخفيا بعدوة الاندلس لثلاث ليال منها وحذر حامد من سطوة ابن ابى العافية فلحق بالمهدية واستولى ابن ابى العافية على فاس والمغرب اجمع واجلى الادارسة عنه والجام الى حصنهم بقلعة حجر النسر مما يلى البصرة وحاصرهم بها مرارا ثم جمر عليهم العساكر وخلف فيهم قائده ابا الفتح لحصارهم ونهض الى تلمسان سنة تسع عشرة بعد ان استخلف على المغرب الاقصى ابنه مدين وانزله بعدوة القرويين واستعمل على عدوة الاندلس طوال بن ابى يزيد وعزل به محمد بن ثعلبة وزحف الى تلمسان فملكها وغلب عليها صاحبها الحسن بن ابى العيش بن عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان من عقب سليمان بن عبد الله اخى ادريس

(1) Les mss. B, C et D portent ici ثعلة

الاكبر الداخل الى المغرب بعده فغلب موسى بن ابى العافية الحسن هذا
على تلمسان وازعجه عنها الى مليلة من جزائر ملوية ورجع الى فاس وقد
كان الخليفة الناصر عند ما فشت دعوته فى المغرب خاطبه بالمقاربة والوعد
فسارع الى اجابته ونقض طاعة الشيعة وخطب للناصر على منابر عمله
فسرح اليه عبيد الله المهدى قائده ابن اخى مصالة وهو حميد بن يصلتن
المكناسى قائد تاهرت فزحف فى العساكر الى حربه سنة احدى وعشرين
ولقيه موسى بن ابى العافية بفحص مسون فتزاحفوا اياما ثم بيته حميد
فهزمه ولحق ابن ابى العافية بتسول فامتنع بها وافرج قائده ابن ابى فتح
عن حصن الادارسة فاتبعوه وهزموه ونهبوا معسكره ثم نهض حميد الى فاس
ففر عنها مدين بن موسى الى ابيه واستعمل عليها حامد بن حمدان كان
فى جملته وقفل حميد الى افريقية وقد دوخ المغرب ثم انتقض اهل المغرب
على الشيعة بعد مهلك عبيد الله وثار احمد بن بكر بن عبد الرحمن بن
سهل الجذامى على حامد بن حمدان فقتله وبعث براسه الى ابن ابى العافية
فارسله الى الناصر بقرطبة واستولى على المغرب وزحف ميسور الخصى قائد
ابى القاسم الشيعى الى المغرب سنة ثلاث وعشرين وخام ابن ابى العافية
عن لقائه واعتصم بحصن لكائى ونهض ميسور الى فاس فحاصرها واستنزل
احمد بن بكر عاملها ثم تقبض عليه واشخصه الى المهدية ونذر اهل فاس
بغدره فامتنعوا وقدموا على انفسهم حسن بن قاسم اللواتى وحاصرهم ميسور
مدة حتى رغبوا فى السلم واشترطوا على انفسهم الطاعة والاتاوة فتقبل ميسور
ورضى واقر حسن بن قاسم على ولايته بفاس وارتحل الى حرب ابن ابى
العافية فكانت بينهما حروب الى ان غلبه ميسور وتقبض على ابنه البورى
وطير به الى المهدية واجلى موسى بن ابى العافية عن اعمال المغرب الى
نواحى ملوية ووطاط وما وراءها من بلاد الصحراء وقفل الى القيروان ولما مر

بارشكول خرج اليه صاحبها ملاطفا له بالتحف وهو ادريس بن ابراهيم من ولد سليمان بن عبد الله اخى ادريس الاكبر فتقبض عليه واصطلم نعمته وولى مكانه ابا العيش بن عيسى منهم واغذ السير الى القيروان سنة اربع وعشرين ورجع موسى بن ابى العافية من الصحراء الى اعماله بالمغرب فملكها وولى على الاندلس ابا يوسف بن محارب الازدى وهو الذى مدن عدوة الاندلس وكانت حصونا واحتل موسى بن ابى العافية قلعة كوماط وخاطب الناصر فبعث اليه مددا من اسطوله وزحف الى تلمسان ففرعنها ابو العيش واعتصم بارشكول فنازله وغلبه عليها سنة خمس وعشرين ولحق ابو العيش بنكور واعتصم بالقلعة التى بنى هنالك لنفسه ثم زحف ابن ابى العافية الى مدينة نكور فحاصرها مدة ثم تغلب عليها وقتل صاحبها عبد البديع بن صالح وخرب مدينتهم ثم سرح ابنه مدين فى العساكر فحاصر ابا العباس بقلعته حتى عقد له السلم عليها واستفحل امر ابن ابى العافية بالمغرب الاقصى واتصل عمله بعمل محمد بن خزر ملك مغراوة وصاحب المغرب الاوسط وبثوا دعوة الاموية فى اعمالها وبعث ابنه مدين الى منازلة فاس فحاصرها وهلك موسى خلال ذلك سنة سبع وعشرين وقام ابنه مدين بامره فى قومه وعقد له الناصر على اعمال ابيه بالمغرب واتصلت يده بيد الخير بن محمد كما كان بين ابائهما ثم فسد ما بينهما وتراجعا للحرب وبعث الناصر قاضيه منذر بن سعيد لمشارفة احوالهما والاصلاح بينهما فتم ذلك كما اراده ولحق به سنة خمس وثلاثين اخوه البورى فارا من عسكر المنصور مع احمد بن بكر الجذامى عامل فاس بعد ان لحقا بابى يزيد فصار احمد بن بكر الى فاس واقام بها متنكرا الى ان وثب بعاملها حسن بن قاسم اللواتى وتخلى له عن العمل وصار البورى الى اخيه مدين واقتسم اعمال ابيه معه ومع ابيهما (1) الاخر ابى

(1) Telle est la leçon des quatre mss., mais il faut certainement lire اخيهما

منقد فكانوا ثلاث الاثافى واجاز البورى الى الناصر سنة خمس وثلاثين فعقد له واكرم وفادته ومنقلبه وهلك سنة خمس واربعين فعقد الناصر لابنه منصور على عمله وكانت وفاته وهو محاصر لاخيه مدين بفاس واجاز ابناه ابو العيش ومنصور الى الناصر فاجراهما الكرامة على سنن ابيهما ثم هلك مدين فعقد الناصر لاخيه ابى منقد على عمله سنة [بياض] ثم غلب مغراوة على فاس (1) واعمالها واستفحل امرهم بالمغرب وازاحوا مكناسة عن ضواحيه واعماله وصاروا الى مواطنهم واجاز اسماعيل بن البورى ومحمد بن عبد الله بن مدين الى الاندلس فنزلوا بها الى ان اجازوا مع واضح ايام المنصور بن ابى عامر عند ما نقض زيرى بن عطية طاعتهم سنة ست وثمانين فملك واضح المغرب ورجعهم الى عملها وتغلب بلكين بن زيرى على المغرب الاوسط وغلب عليه ملوكه بنى خزر من مغراوة فاتصلت يد مكناسة به ولم يزالوا فى طاعة بنى زيرى ومظاهرتهم وهلك اسماعيل بن البورى فى حروب حماد مع باديس بشلف سنة خمس واربعماية وتوارث ملكهم فى اعقاب موسى ابيهم الى ان ظهرت دولة المرابطين وغلب يوسف بن تاشفين على اعمال المغرب فزحف اليهم القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى بن ابى العافية فاستدعى اهل فاس وصريخ زناتة بعد مهلك معنصر (2) المغراوى فلقى عسكر المرابطين بوادى صفير فهزمهم وزحف اليه يوسف بن تاشفين من مكانه بحصار قلعة فازاز فهزم القاسم بن محمد وجموع مكناسة وزناتة ودخل فاس عنوة كما ذكرناه فى اخباره ثم زحف الى اعمال مكناسة فاقتحم حصن تسول وقتل القاسم وفى بعض تواريخ المغرب ان مهلك ابراهيم بن موسى كان سنة خمس واربع ماية وولى ابنه عبد الله او عبد الرحمن وهلك سنة ثلاثين وولى ابنه محمد وهلك سنة [بياض] وولى ابنه القاسم وهلك بتسول عند

(1) Les mss. B et D portent قابس — (2) Les mss. A', B et D portent ici معنصره

اقتحام لمتونة عليه سنة ثلاث وستين وانقرض ملك مكناسة من المغرب بانقراض ملك مغراوة والامر لله وحده وبقى من قبائل مكناسة لهذا العهد بهذه المواطن افاريق فى جبال تازى بعد ما تمرست بهم الدول واناخت بساحتهم الامم وهم موصوفون بوفور الجباية وقوة الشكيمة ولهم عناء فى مظاهرة الدولة وحقوق عند الحشد والعسكرة وفيهم ممون من الخيالة ومن مكناسة غير هولاء اوزاع فى القبائل لهذا العهد مفترقون فى نواحى افريقية والمغرب الاوسط ان يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز هذا اخر الكلام فى بنى ورصطف فلنرجع الى من بقى علينا من البربر وهم زناتة والله ولى العون

اخبار البرانس من البربر ونبدا اولا بالخبر عن هوارة من شعوبهم وذكر بطونهم وتصاريف احوالهم وافتراق شعوبهم فى عمالات افريقية والمغرب

وهوارة هولاء من بطون البرانس باتفاق من نسابة العرب والبربر من ولد هوار ابن اوريغ بن برنس الا ما يزعم بعضهم انهم من عرب اليمن تارة يقولون من عاملة احدى بطون قضاعة وتارة يقولون من ولد المسْوَر بن السكاسك بن واثل بن حمير واذا تحروا الصواب يقولون المسور بن السكاسك بن اشرس بن كندة وينسبونه هكذا هوار بن اوريغ بن خبّوز بن المثنى بن المسور وعند هولاء ان هوارة وصنهاجة ولمطة وكزولة وهسكورة يعرف جميعهم ببنى تيصكى وان المسور جدهم جميعا وانه وقع الى البربر ونزل على بنى زجيك بن مادغس الابتر وكانوا اربعة اخوة لوى وضريس وادّاس ونفوس وانهم زوجوه اختهم تيصكى العرجاء بنت زجيك فولدت منه المثنى ابا (1) هوارة وتزوجها بعد المسور عاصيل بن زعزاع ابو صنهاجة ولمطة وكزولة وهسكورة كما ياتى بعد فهم

(1) Le ms. B porte بن et les trois autres ابو

اخوة المثنى لامه وبها عرف جميعهم قالوا وولد المثنى بن المسور خبوزا وولد
خبوز بن المثنى ريغ الذى يقال فيه اوريغ بن برنس ومنه تفرقت قبائل
هوارة قالوا وانما سميت هوارة لان المسور لما جال البلاد ووقع بالمغرب قال لقد
تهورنا هكذا عند بعض نسابة البربر وعندى والله اعلم ان هذا الخبر مصنوع
وان اثر الصنعة باد عليه ويعضد ذلك ان المحققين من نسابتهم مثل سابق
واصحابه قالوا ان بطون ادّاس بن زحيك (1) دخلت كلها فى هوارة من اجل ان
هوار خلف زحيك على ام اداس فربى اداس فى حجره وزحيك على ما فى الخبر
الاول هو جد هوار لان المثنى جده الاعلى هو ابن تيصكى وهى بنت زحيك فهو
الخامس من زحيك فكيف يخلفه على امراته هذا بعيد والخبر الثانى اصح عند
نسابتهم من الاول واما بطون هوارة فكثيرة واكثر بنى ابيه اوريغ اشتهروا
بنسبته لشهرته وكبر سنه من بينهم فانتسبوا جميعا اليه وكان لاوريغ
اربعة من الولد هوار وهو اكبرهم ومغر وقلّدن وملد ولكل واحد منهم
بطون كثيرة وكلهم ينتسبون الى هوار فمن بطون مغر ماوَسْ وزَمّور وكبا
ومسْرَاى ذكر هذه البطون الاربعة ابن حزم وزاد سابق المطماطى واصحابه
وريجن ومَنْداسه وكَركودة ومن بطون قلدن قُمْصانة وورصطيف وبياتة (2) وبل
ذكر هذه الاربعة ابن حزم وسابق ومن بطون ملد مليلة وسَطَطْ ووَرْفل
واسيل ومسراتة ذكرها ابن حزم وقال جميعهم بنو لهان من مَلْد وكذا عند
سابق ويقال ان ونيفن ايضا من لهانة ومن بطون هوارة بنو كهلان ويقال
ان مليلة من بطونهم وعند نسابة البربر من بطونهم غريان وورغة وزكّاوة
ومسَلّاتة ومجريس ويقال ان ونيفن منهم ومجريس لهذا العهد ينتسبون الى
ونيفن وعند سابق واصحابه ان بنى كهلان من وريجن احدى بطون مغر وان
من بطون بنى كهلان بنى كيسى (3) وورتاكط وتيسوة (4) وهَيْوارة واما بطون

(1) Dans ce chapitre les mss. B et C portent partout زجيك — (2) Ici les mss. B et C portent بيانه — (3) L'orthographe de ce nom varie dans les mss. — (4) Variantes : لشود, شود, مشود

اداس بن زحيك بن مادغس الابتر الذين دخلوا فى هوارة فكثير فمنهم هراغة وترهونة ووشتاتة واندارة وهنزونة واوطيطة وصنبرة هولاء باتفاق من ابن حزم وسابق واصحابه وكانت مواطن الجمهور من هوارة هولاء ومن دخل فى نسبهم من اخوانهم البرانس والبتر لاول الفتح بنواحى طرابلس وما يليها من برقة كما ذكره المسعودى والبكرى وكانوا ظواعن واهلين ومنهم من قطع الرمل الى بلاد القفر وجاوروا لمطة من قبائل الملثمين فيما يلى بلاد كوكو من السودان تجاه افريقية ويعرفون بنسبهم هكارة قلبت العجمة واوه كافا اعجمية تخرج بين الكاف العربية والقاف وكان لهم فى الردة وحروبها اثار ومقامات ثم كان لهم فى الخارجية والقيام بها ذكر وخصوصا بالاباضية منها وخرج على حنظلة منهم عبد الواحد بن يزيد مع عكاشة الفزارى فكانت بينهم وبين حنظلة حروب شديدة ثم هزمهما وقتلهما وذلك سنة اربع وعشرين وماية ايام هشام بن عبد الملك وخرج على يزيد بن حاتم سنة ست وخمسين وماية يحيى بن فوناس منهم واجتمع اليه كثير من قومه وغيرهم وزحف اليه قائد طرابلس عبد الله بن السمط الكندى على شاطى البحر بسوارية من سواحلهم فانهزم وقتل عامة هوارة وكان منهم مع عبد الرحمن ابن حبيب مجاهد بن مسلم من قواده ثم اجاز منهم الى الاندلس مع طارق رجالات مذكورون واستقروا هنالك وكان من حلفهم بنو عامر بن وهب امير رندة ايام لمتونة وبنو ذى النون الذين ملكوها من ايديهم واستضافوا معها طليطلة وبنو رزين اصحاب السهلة ثم ثارت هوارة من بعد ذلك على ابراهيم ابن الاغلب سنة ست وتسعين وماية وحاصروا طرابلس وافتتحوها فخربوها وتولى كبر ذلك منهم عياض بن وهب وسرح ابراهيم اليهم ابنه ابا العباس فهزمهم وقتلهم وبنى طرابلس وجاءا هوارة بعبد الوهاب بن رستم من مكان امارتهم بتاهرت فجاءهم واجتمعوا اليه ومعهم قبائل نفوسة وحاصروا ابا العباس

ابن الاغلب بطرابلس الى ان هلك ابوه ابراهيم بالقيروان وقد عهد اليه فصالحهم على ان تكون الضاحية لهم وانصرف عبد الوهاب الى نفوسة ثم اصحبوا بعد ذلك وغزوا مع الجيوش صقلية وشهد فتحها منهم زواوة بن نعم الحلف ثم كان لهم مع ابى يزيد النكارى فى حروبه مقامات مذكورة اجتمعوا اليه من مواطنهم بجبل اوراس ومرماجنة لما غلب عليها واخذ اهلها بدعوته فانحاشوا الى ولايته وفعلوا الافاعيل وكان من اظهرهم فى تلك الفتنة بنو كملان ولما هلك ابو يزيد كما نذكره سطا اسماعيل المنصور بهم واثخن فيهم وانقطع ذكر بنى كملان ثم جرت الدول عليهم اذيالها واناخت بكلاكلها واصبحوا فى عداد القبائل الغارمة من كل ناحية فمنهم لهذا العهد بمصر اوزاع متفرقون اوطنوها اكرة وعبارة وشاوية واخرون موطنون ما بين برقة والاسكندرية يعرفون بالمثاينة ويظعنون مع العزة من بطون هيب من سليم ومنهم بارض التلول من افريقية ما بين تبسة الى مرماجنة الى باجة ظواعن صاروا فى عداد الناجعة من عرب بنى سليم فى اللغة والزى وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الابل وممارسة الحروب وايلاف الرحلتين فى الشتاء والصيف فى تلولهم قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يعرف بينهم فاولهم مما يلى تبسة قبيلة ونيفن ورياستهم لهذا العهد فى ولد بعرة بن حناش لاولاد سليم بن عبد الواحد بن عسكر بن محمد بن بعرة ثم لاولاد زيتون بن محمد بن بعرة ولاولاد دحمان بن فلان بن بعرة وكانت الرياسة قبلهم لساية من بطون ونيفن ومواطنهم ببسائط مرماجنة وتبسة وما اليها وتليهم قبيلة اخرى فى الجانب الشرقى منهم يعرفون بقيصر ورياستهم فى بيت بنى مومن ما بين ولد زعزاع وولد حركات ومواطنهم بفحص ابّة وما اليها من نواحى الاربس ويليهم الى جانب الشرق قبيلة اخرى منهم يعرفون ببصوة ورياستهم فى بيت الرمامنة لولد سليمان بن جامع منهم ويرادفهم فى

رياسة بصوة قبيلة ورمانة ومواطنهم ما بين تبرسق الى حامة الى جبل الزنجار الاطار على ساحل تونس وبسائطها ويجاورهم متساحلين الى ضواحى باجة قبيلة اخرى من هوارة يعرفون ببنى سليم ومعهم بطن من عرب مضر من هذيل بن مدركة بن الياس جاءوا من مواطنهم بالحجاز مع العرب الهلاليين عند دخولهم الى المغرب واوطنوا بهذه الناحية من افريقية واختلطوا بهوارة وحملوا فى عدادهم ومعهم ايضا بطن اخر من بطون رياح بن هلال ينتمون الى عتبة بن مالك بن رياح صاروا فى عدادهم وجروا على مجرامم من الظعن والمغرم ومعهم ايضا بطن من مرداس بنى سليم يعرفون ببنى حبيب ويقولون هو حبيب بن مالك وهم غرامة مثل سائر هوارة وضواحى افريقية لهذا العهد معمورة بهولاء الظواعن ومعظمهم من هوارة وهم اهل بقر وشاء وركوب للخيل وللسلطان بافريقية عليهم وظائف من الجباية وضعها عليهم دهاقين العمال بديوان الخراج قوانين مقدرة ويضرب عليهم مع ذلك البعث فى غزوات السلطان بعسكر مفروض يحضر بمعسكر السلطان متى استنفروا لذلك ولروسائهم ازاء ذلك اقطاعات ومكان فى الدول بين رجالات البدو ومن بطون هوارة بمواطنهم الاولى من نواحى طرابلس ظواعن واهلون توزعتهم العرب من دباب فيما توزعوه من الرعايا وغلبوهم على امرهم منذ محا عملهم من ظل الدولة فتملكوهم تملك العبدىّ للجباية منهم والاستكثار بهم فى الانتجاع والحرب مثل ترهونة وورْفَلة الظواعن ومجريس الموطنين بزنزور من ونيفن وهى قرية من قرى طرابلس ومن هوارة هولاء باخر عمل طرابلس مما يلى بلد سرت وبرقة قبيلة يعرفون بمسراتة لهم كثرة واعتزاز ووضائع العرب عليهم قليلة ويعطونها عن عزة وكثيرا ما يتقلبون فى سبيل التجارة ببلاد مصر والاسكندرية وببلاد الجريد من افريقية وبارض السودان الى هذا العهد واعلم ان فى قبلة قابس وطرابلس جبال متصل بعضها ببعض من الغرب الى

الشرق فاولها من جانب الغرب جبل دمَّر يسكنه امم من لواتة ويتصلون فى بسيطه الى قابس وصفاقس من جانب الغرب وامم اخرى من نفوسة من جانب الشرق وفى طوله سبع مراحل ويتصل به شرقا جبل نفوسة تسكنه امم كثيرة من نفوسة ومغراوة وسدراتة وهو قبلة طرابلس على ثلاث مراحل منها وفى طوله سبع مراحل ويتصل به من جانب الشرق جبل مسلاتة ويعتمره قبائل هوارة الى بلد مسراتة ويفضى الى بلد سرت وبرقة وهو اخر جبال طرابلس وكانت هذه الجبال من مواطن هوارة ونفوسة ولواتة وهنالك كانت مدينة صبرة بلد نفوسة قبل الفتح وكانت برقة من مواطن هوارة هولاء ومنهم كان بنو خطاب ملوك زويلة احدى امصار برقة كانت قاعدة ملكهم حتى عرفت بهم فكان يقال زويلة ابن خطاب ولما خربت انتقلوا منها الى فزان من بلاد الصحراء واوطنوها وكان لهم بها ملك ودولة حتى اذا جاء قراقوش الغزى الناصرى مملوك تقى الدين ابن اخى صلاح الدين من مصر فى المائة السادسة كما نذكر فى مكانه عند ذكر الميورقى من مسوفة واخباره وافتتح زَلّة واوجلة وافتتح فزان بعدها وتقبض على ملكها محمد بن خطاب بن يصلتن بن عبد الله بن صنفل بن خطاب اخر ملوكهم وامتحنه وطالبه بالاموال وبسط عليه العذاب الى ان هلك وانقرض امر بنى خطاب هولاء المهواريين ومن قبائل هوارة هولاء بالمغرب امم كثيرة فى مواطن من اعماله تعرف بهم وظوائف شاوية تنتجع لسرحها فى نواحيه وقد صاروا عبيدا للمغارم فى كل ناحية وذهب ما كان لهم من الاعتزاز والمنعة ايام الفتوحات بسبب الكثرة وصاروا الى الافتراق والذلة بسبب القلة والله مالك الامور ومن اشهرهم بالمغرب الاوسط اهل الجبل المطل على البطحاء وهو مشهور باسم هوارة وفيه من مسراتة وغيرهم من بطونهم ويعرف رؤساؤهم بنى اسحاق وكان الجبل من قبلهم فيما زعموا لبنى يلومى فلما انقرضوا صار اليه هوارة واوطنوه وكانت رياستهم فى

بنى عبد العزيز منهم ثم ظهر من بنى عمهم رجل اسمه اسحاق واستعمله ملوك القلعة وصارت رياستهم فى عقبه بنى اسحاق واختط كبيرهم محمد بن اسحاق القلعة المنسوبة اليهم وورث رياسته فيهم اخوه حيّون وصارت فى عقبه واتصلوا بالسلطان ايام ملك بنى عبد الواد على المغرب الاوسط وانتظموا فى صنائعهم واستعمل ابو تاشفين من ملوكهم يعقوب بن يوسف بن حيون منهم قائدا على بنى توجين عند ما غلبهم على امرهم وفرض المغارم عليهم فقام بها احسن قيام ودوخ بلادهم واذل من عزهم وبعد ان غلب بنو مرين بنى عبد الواد على المغرب الاوسط استعمل السلطان ابو الحسن عبد الرحمن بن يعقوب على قبيلة هولاء ثم استعمل بعده عمه عبد الرحمن ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن ابن يوسف ثم تلاشى حال هذا القبيل وخف ساكن الجبل بما اضطهدتهم دولة بنى عبد الواد واجحفت بهم فى المغارم بالظلامات وانقرض بيت بنى اسحاق والامر على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن ازداجة ومسطاسة وعجيسة من بطون البرانس ووصف احوالهم

اما ازداجة ويعرفون ايضا وزداجة فمن بطون البرانس وكثير من نسابة البربر يعدونهم فى بطون زناتة وقد يقال ان ازداجة من زناتة ووزداجة من هوارة وانهما بطنان مفترقان وكان لهم وفور وكثرة وكان موطنهم بالمغرب الاوسط بناحية وهران وكان لهم اعتزاز واثار فى الفتن والحروب ومسطاسة مندرجون معهم فيقال انهم من عداد بطونهم ويقال انهم اخوة وان مسطاس اخو وزداج والله اعلم وكان من رجالاتهم المذكورين شجرة بن عبد الكريم المسطاسى وابو دُليم بن خطاب واجاز ابو دُليم الى الاندلس من ساحل تلمسان وكان لبنيه بها ذكر وفى

فقهاء قرطبة مكان وكان من بطون ازداجة بنو مسقن وكانوا يجاورون وهران ونزل مرسى وهران من رجال الدولة الاموية محمد بن ابى عون ومحمد ابن عبدون فداخلوا بنى مسكن وملكوا وهران سبع سنين مقيمين فيها للدعوة الاموية فلما ظهرت دعوة الشيعة وملك عبيد الله المهدى تاهرت وولى عليها دواس بن صولات اللهيصى من كتامة واخذت البرابرة بدعوتهم اوعز اليهم دواس بحصار وهران فزحفوا اليها سنة سبع وتسعين وداخلوا بنى مسكن فى ذلك فاجابوهم وفر محمد بن ابى عون فلحق بدواس بن صولات واستبيحت وهران واضرمت نارا ثم جدد بناها دواس واعاد محمد بن ابى عون الى ولايتها فعادت احسن ما كانت وامراء تلمسان لذلك العهد من الادارسة بنو احمد بن محمد بن سليمان وسليمان هو اخو ادريس الاكبر كما ذكرناه وكانوا يقيمون دعوة الاموية لذلك العهد ثم ولى على تاهرت ايام ابى القاسم ابن عبيد الله ابا مالك يغمراسن بن ابى شحمة وانتقض عليه البربر وحاصروه عند زحف ابن ابى العافية الى المغرب الاوسط بدعوة المروانية وكان ممن اخذها محمد بن ابى عون صاحب وهران وسرح ابو القاسم ميسورا مولاه الى المغرب واتاه محمد بن عون (1) طاعته فقبلها واقره على عمله ثم نكث محمد ابن عون عند منصرف ميسور من المغرب وراجع طاعة المروانية ثم كان شان ابى يزيد وانتقض سائر البرابرة على العبيديين واستفحل امر زناتة واخذوا بدعوة المروانيين وكان الناصر قد عقد ليعلى بن محمد اليفرنى على المغرب مخاطبه بمراوغة محمد بن عون وقبائل ازداجة فى الطاعة للعداوة بين القبيلتين بالمجاورة وزحف الى ازداجة فحاصرهم بجبل كيدزة ثم تغلب عليهم واستاصلهم وفرق جماعتهم وذلك لسنة ثلاث واربعين وثلاثماية ثم زحف الى وهران ونازلها ثم افتتحها عنوة واضرمها نارا واستلحم ازداجة ولحق

(1) Ici et un peu plus loin, les mss. portent tous محمد بن عون

رجالهم بالاندلس فكانوا بها وكان منهم خزرون بن محمد من كبار اصحاب المنصور بن ابى عامر وابنه المظفر واجاز الى المغرب فى حروبهم مع زيرى بن عطية فى جملة واضح واقامت وهران خرابا اياما ثم شيدها وانتقل اليها باهله وولده من ايفكان وبقى ازداجة بعد ذلك على حال من الهضيمة والمذلة وانتظموا فى عداد المغارم من القبائل واما عجيسة وهم من بطون البرانس من ولد عجيسة بن برنس ومدلول هذا الاسم البطن فان البربر يسمون البطن بلغتهم عدّس بالدال المشددة فلما عربته العرب قلبت دالها جيما مخففة وكان لهم بين البربر كثرة وظهور وكانوا مجاورين فى مواطنهم لصنهاجة وبقاياهم لهذا العهد فى ضواحى تدلس والجبال المطلة على المسيلة وكانت امة منهم يسكنون جبل القلعة وكان لهم فى فتنة ابى يزيد اثر ولما هزمه المنصور لجا اليهم واعتصم بقلعة كتامة من حصونهم حتى اقتحم عليه ثم بادر حماد بن بلكين من بعد ذلك مكانا لبناء مدينة فاختطها بينهم ونزلها ووسع خطتها واستبحر عمرانها وكانت حاضرة ملك ال حماد فاخلفت هذه المدينة من جدة عجيسة لما تمرست بهم وخضدت من شوكتهم وراموا كيد القلعة مرارا واجلبوا على ملوكها بالاعياص منهم فاستلحمهم السيف ثم هلكوا وهلكت القلعة من بعدهم وورث مواطنهم بذلك الجبل عياض من افاريق العرب الهلاليين وسمى الجبل بهم وفى القبائل بالمغرب كثير من عجيسة هولاء متفرقون فيهم

الخبر عن اوْرَبة من بطون البرانس وما كان لهم من الردة والثورة وما صاروا اليه اخرا من الدعاء لادريس الاكبر

كانت البطون التى فيها الكثرة والغلب من هولاء البربر كلهم لعهد الفتح اوربة وهوارة وصنهاجة وكتامة من البرانس ونفوسة وزناتة ومطغرة ونفزاوة من البتر وكان التقدم لعهد الفتح لاوربة هولاء بما كانوا اكثر عددا واشد باسا وقوة وهم من ولد اوْرَب بن برنس وهم بطون كثيرة فمنهم لجاية وانفاسة ونيجة وزهكوجه ومزياتة ورغيوة وديقوسة وكان اميرهم بين يدى الفتح سكرديد بن زوفى بن بارزت بن بزريات ولى عليهم ثلاثا وسبعين سنة وادرك الفتح الاسلامى ومات سنة احدى وسبعين وولى عليهم من بعده كسيلة بن لمزم (1) الاوربى فكان اميرا على البرانس كلهم ولما نزل ابو المهاجر تلمسان سنة خمس وخمسين كان كسيلة بن لمزم مرتدا بالمغرب الاقصى فى جموعه من اوربة وغيرهم فظفر به ابو المهاجر واراده على الاسلام فاسلم واستبقاه واحسن اليه وصحبه وقدم عقبة فى الولاية الثانية ايام يزيد سنة ثنتين وستين فاضطغن عليه صحابته لابى المهاجر وتقدم ابو المهاجر فى اصطناعه فلم يقبل وزحف الى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوى فدوخه ولقيه ملوك البربر ومن انضم اليهم من الفرنجة بالزاب وتاهرت فهزمهم واستباحهم واذعن له يُليان امير غمارة ولاطفه وهاداه ودله على عورات البرابرة وراءه بوليلة والسوس وما وراءها من مجالات الملثمين فغنم وسبا وانتهى الى ساحل البحر وقفل ظافرا وكان فى غزاته تلك يستهين كسيلة ويستخف به وهو فى اعتقاله وامره يوما

(1) Ici le ms. B porte لمرم

بسلخ شاة بين يديه فدفعها الى غلمانه واراده عقبة ان يتولاها بنفسه وانتهره فقام كسيلة اليها مغضبا وجعل كلما دحس يده فى الشاة مسح بلحيته والعرب يقولون ما هذا يا بربرى فيقول هذا جيد للشعر فقال لهم شيخ منهم ان البربرى يتوعدكم وبلغ ذلك ابا المهاجر فنهى عقبة عنه وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستالف جبابرة العرب وانت تعمد الى رجل جبار فى قومه بدار عزه قريب عهد بالشرك فتفسد قلبه واشار عليه بان يتوثق منه وخوفه فتكه فتهاون عقبة بقوله فلما قفل من غزاته وانتهى الى طبنة صرف العساكر الى القيروان افواجا ثقة بما دوخ من البلاد واذل من البربر حتى بقى فى قليل من الناس وسار الى تهودة او بادس لينزل بها الحامية فلما نظر اليه الفرنج طمعوا فيه وراسلوا كسيلة بن لمزم ودلوه على الفرصة فيه فانتهزها وراسل بنى عمه ومن تبعهم من البربر واتبعوا عقبة حتى اذا غشوه بتهودة ترجل القوم وكسروا اخفان سيوفهم ونزل الصبر واستلحم عقبة واصحابه رضى الله عنهم ولم يفلت منهم احد وكانوا زهى وثلاثماية من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا فى مصرع واحد وفيهم ابو المهاجر كان اصحبه فى اعتقاله فابلى رضى الله عنه فى ذلك اليوم البلاء الحسن واجدات اولائك الشهداء عقبة واصحابه بمكانهم ذلك من ارض الزاب لهذا العهد وقد جعل على قبر عقبة اسنمة ثم جصص واتخذ عليه مسجد يعرف باسمه وهو فى عداد المزارات ومظان البركة بل هو اشرف مزور من الاجدات فى بقاع الارض لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه واسر من الصحابة يومئذ محمد بن اويس الانصارى ويزيد بن خلف القيسى ونفر معهما ففداهم ابن مصاد صاحب قفصة وكان زهير بن قيس البلوى بالقيروان وبلغه الخبر فخرج هاربا ونـل المسلمين فنزل برقة واقام بها ينتظر المدد من الخلفاء

واجتمع الى كسيلة جميع اهل المغرب من البربر والفرنجة وزحف الى القيروان فخرج العرب منها ولحقوا بزهير بن قيس وبقى بها اصحاب الذرارى والاثقال فامنهم ودخل القيروان واقام اميرا على افريقية ومن بقى بها من العرب خمس سنين وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية وفتنة الضحاك بن قيس مع المروانية بمرج راهط وحروب ال الزبير فاضطرب امر الخلافة بعض الشىء واضطرم المغرب نارا وفشت الردة فى زناتة والبرانس ثم استقل عبد الملك ابن مروان من بعد ذلك بالخلافة واذهب بالمشرق اثار الفتنة وكان زهير بن قيس مقيما ببرقة منذ مهلك عقبة فبعث اليه بالمدد وولاه حرب البرابرة والثار بدم عقبة فزحف اليها فى الاف من العرب سنة سبع وستين وجمع كسيلة البرانس وسائر البربر ولقيه بممس من نواحى القيروان واشتد القتال بين الفريقين ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومن لا يحصى منهم واتبعهم العرب الى مرمجنة ثم الى ملوية وذل البربر ولجوا الى القلاع والحصون وخضدت شوكة اوربة من بينهم واستقر جمهورهم بديار المغرب الاقصى فلم يكن لهم بعدها ذكر واستولوا على مدينة وليلى بالمغرب كانت ما بين فاس ومكناسة بجانب جبل زرهون واقاموا على ذلك والجيوش من القيروان تدوخ المغرب مرة بعد اخرى الى ان خرج محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن على ايام المنصور وقتل بالمدينة سنة خمس واربعين ثم خرج بعده ابن عمه حسين بن على بن حسن المثلث بن حسن المثنى بن الحسن السبط ايام الهادى وقتل بفخ على ثلاث اميال من مكة سنة تسع وستين ومائة واستلحم كثير من اهل بيته وفر ادريس بن عبد الله الى المغرب ونزل على اوربة سنة ثنتين وسبعين واميرهم يومئذ ابو ليلى اسحاق بن محمد بن عبد الحميد منهم فاجاره وجمع البرابر على دعوته واجتمعت اليه زواغة ولواتة وسدراتة وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة وكافة برابرة المغرب فبايعوه واقاموا

بامره وتم له الملك والسلطان بالمغرب وكانت له الدولة التى ورثها اعقابه الى حين انقراضها كما ذكرناه فى دول الفاطميين

الخبر عن كتامة وبطون البرانس وما كان لهم من العز والظهور على القبائل وكيف تناولوا الملك من ايدى الاغالبة بدعوة الشيعة

هذا القبيل من قبائل البربر بالمغرب واشدهم باسا وقوة واطولهم باعا فى الملك وهم عند نسابة البربر من ولد كتام بن برنس ويقال كتم ونسابة العرب يقولون انهم من حمير ذكر ذلك ابن الكلبى والطبرى وان افريقس بن قيس ابن صيفى من ملوك التبابعة وهو الذى افتتح افريقية وبه سميت وقتل ملكها جرجير وسمى البربر بهذا الاسم كما ذكرناه فقال واقام فى البربر من حمير صنهاجة وكتامة فهم فيهم الى اليوم انتهى وتشعبوا فى المغرب وانبثوا فى نواحيه الا ان جمهورهم كانوا لاول الملة بعد هيج الردة وطخية تلك الفتن موطنين بارياف قسنطينة الى تخوم بجاية غربا الى جبل اوراس من ناحية القبلة وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة اكثرها لهم وبين ديارهم ومجالات تقلبهم مثل ايكجان وسطيف وباغاية ونقاوس وبلزمة وتيكست وميلة وقسنطينة والسيكدة والقل وجيجل من حدود جبل اوراس الى سيف البحر ما بين بجاية وبونة وكانت بطونهم كثيرة يجمعهم كلها غرسن ويسّودة ابنا كتم بن برنس فمن يسودة فلاسة ودنهاجة ومتوسة ووريسن كلهم بنو يسودة بن كتم والى دنهاجة ينسب قصر كتامة بالمغرب لهذا العهد ومن غرسن مصالة وقلدن وماوطن ومعاذ بنو غرسن بن كتم ولهيصة وجيملة ومسّالتة بنو

يناوة بن غرسن ولطّاية وإجّانة وغسمان واوفاس بنو ينطاسن بن غرسن وملوسة من ايان بن غرسن ومن ملوسة هولاء بنو زَلْدوى اهل الجبل المطل على قسنطينة لهذا العهد ويعد البرابرة من كتامة بنى يَسْتِيتَنْ وهشْتَيوة ومسّالتة وبنى قَنْسِيلة وعد ابن حزم منهم زواوه بجميع بطونهم وهو الحق على ما تقدم وكان من هذه البطون بالمغرب الاقصى كثير منتبذون عن مواطنهم وهم بها الى اليوم ولم يزالوا بهذه المواطن وعلى هذه الحالة من لدن ظهور الملة وملك المغرب الى دولة الاغالبة ولم تكن الدولة تسومهم بهضيمة ولا تنالهم بعسف لاعتزازهم عليها بكثرة جموعهم كما ذكره ابن الرقيق فى تاريخه الى ان كان من قيامهم بدعوة الشيعة ما ذكرناه فى دولتهم عند ذكر دول الفاطميين اثر دولة بنى العباس فانظره هنالك وتصفحه تجد تفصيله ولما صار لهم الملك بالمغرب زحفوا الى المشرق فملكوا الاسكندرية ومصر والشام واختطوا القاهرة اعظم الامصار بمصر وارتحل المعز رابع خلفائهم فنزلها وارتحل معه كتامة على قبائلهم واستفحلت الدولة هنالك وهلكوا فى ترفها وبذخها وبقى فى مواطنهم الاولى بجبل اوراس وما حواليه من البسائط بقايا من قبائلهم على اسمائها والقابها واخرون تغير لقبهم وكلهم رعايا معبدون للمغارم الا من اعتصم بقنة الجبل مثل بنى زلدوى بجبلها واهل جبال جيجل وزواوة ايضا فى جبالهم واما البسائط فاشهر من فيها منهم قبائل سدويكش ورياستهم فى اولاد سواق ولا ادرى الى من يرجعون من قبائل كتامة المسمين فى هذا الكتاب الا انهم منهم باتفاق من اهل الاخبار ونحن الان ذاكرون ما عرفناه من اخبارهم المتاخرة بعد دولة كتامة والله ولى العون

الخبر عن سدويكش ومن اليهم من بقايا كتامة فى مواطنهم

هذا الحى لهذا العهد وما قبله من العصور يعرفون بسدويكش وديارهم فى مواطن كتامة ما بين قسنطينة وبجاية فى البسائط منها ولهم بطون كثيرة مثل سيلين وطرسون وطرغيان وموليت وبنى قشة (1) وبنى لمائى وكايازة وبنى زعلان والبويرة وبنى مروان ووارمكسن وسكدال وبنى عياد وفيهم من لماية ومكلاتة وريغة والرياسة على جميعهم فى بطن منهم يعرفون اولاد سواق لهم جمع وقوة وعديد وعدة وكان جميع هذه البطون رعايا لهم غارمة فيمتطون الخيل ويسكنون الخيام ويظعنون على الابل والبقر ولهم مع الدول فى ذلك الوطن استقامة ونفرة شان القبائل الاعزة من العرب لهذا العهد وهم ينتفون من نسب كتامة ويفتدون منه لما وقع منذ اربع مائة سنة من النكير على كتامة بانتحال الرافضية وعداوة الدول بعدهم فيتفادون من الانتساب اليهم وربما انتسبوا فى سليم من قبائل مضر وليس ذلك بصحيح وانما هم من بطون كتامة وقد ذكرهم مورخوا صنهاجة بهذا النسب ويشهد لذلك الموطن الذى استوطنوه من افريقية ويذكر نسابتهم ومورخوهم ان موطن اولاد سواق منهم كان فى قلاع بنى بو خضرة من نواحى قسنطينة ومنه انتقلوا وانتشروا فى سائر تلك الجهات واولاد سواق بطنان وهم اولاد علاوة ابن سواق واولاد يوسف بن حمّو بن سواق فاما اولاد علاوة فكانت الرياسة على قبائل سدويكش لهم فيما سمعناه من مشيختنا وان ذلك كان لعهد دولة الموحدين وكان منهم على بن علاوة وبعده ابنه طلحة بن على وبعده اخوه

(1) Le man. B porte فشة

يحيى بن على وبعده اخوهما منديل بن على وعزل بتازير (1) ابن اخيه طلحة ولما بويع السلطان ابو يحيى بقسنطينة سنة عشر من هذه المائة وقع من تازير انحراف عن طاعته واعتلق بطاعة ابن الخلوف بجاية فقدم عوضا منه عمه منديل ثم استبدل منهم اجمعين باولاد يوسف فشمروا فى طاعته وابلوا وغلب السلطان على بجاية وقتل ابن الخلوف فظهر اولاد يوسف وزحموا اولاد علاوة واخرجوهم من الوطن فصاروا الى عياض من افاريق هلال وسكنوا فى جوارهم بجبلهم الذى اوطنوه المطل على المسيلة واتصلت الرياسة على سدويكش فى اولاد يوسف وهم لهذا العهد اربع قبائل بنو محمد بن يوسف وبنو المهدى بن يوسف وبنو ابراهيم بن يوسف والعزيزيون وهم بنو منديل وظافر وجرى وسيد الملوك والعباس وعيسى والستة اولاد يوسف وهم اشقاء وامهم تاعزيزت فنسبوا اليها واولاد محمد والعزيزيون يوطنون بنواحى بجاية واولاد المهدى وابراهيم بنواحى قسنطينة وما زالت الرياسة فى هذه القبائل الاربع تجتمع تارة فى بعضهم وتفترق اخرى الى هذا العهد وكانت لاخر دولة مولانا السلطان ابى يحيى اجتمعت رياستهم لعبد الكريم بن منديل بن عيسى من العزيزيين ثم افترقت واستقل كل بطن من هولاء الاربعة برياسة واولاد علاوة فى خلال هذا كله بجبل عياض ولما تغلب بنو مرين على افريقية نكر السلطان ابو عنان اولاد يوسف ورماهم بالميل الى الموحدين وصرف الرياسة على سدويكش الى مهنا بن تازير بن طلحة من اولاد علاوة فلم يتم له ذلك وقتله اولاد يوسف ورجع اولاد علاوة الى مكانهم من جبل عياض وكان رئيسهم لهذه العصور عدوان بن عبد العزيز بن ززوق بن على بن علاوة وهلك ولم تجتمع رياستهم بعده لاحد وفى بطون سدويكش هولاء بطن يرادف اولاد سواق فى الرياسة على بعض احيائهم وهم بنو سكين

(1) Dans le ms. A ce nom est écrit تازين

ومواطنهم فى جوار لواتة بجبل تابور(1) وما اليه من نواحى بجاية ورياستهم فى بنى موسى بن تابر(2) منهم ادركنا ابنه صخر بن موسى واختصه السلطان ابو يحيى بالرياسة على قومه وكان له مقامات فى خدمته ثم غرب بعده فى الوفاء ابنه الامير ابو حفص فلم يزل معه الى ان اوقع به بنو مرين بناحية قابس وجىء به مع اسرى الوقيعة فقطعه السلطان ابو الحسن من خلاف وهلك بعد ذلك وقام برياسته ابنه عبد الله وكان له فيها وفى خدمة السلطان ببجاية شان الى ان هلك لاعوام الثمانين وولى ابنه محمد من بعده .هو لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن بنى ثابت اهل الجبل المطل على قسنطينة من بقايا كتامة

ومن بطون كتامة وقبائلها اهل الجبل المطل على القل ما بينه وبين قسنطينة المعروف برياسة اولاد ثابت ويقال انه ثابت بن [بياض] بن ابى بكر بن تليلان ويقال ان ابا بكر هذا الجد هو الذى فرض المغرم على هذا الجبل لايام الموحدين ولم يكن قبل ذلك عليه مغرم فلما انقرض ملك صنهاجة وغلب الموحدون على افريقية وفد ابو بكر هذا على الخليفة بمراكش وبخع بالطاعة والانقياد وتقرب اليه بفرض المغرم على قبيله بالجبل وكان لثابت هذا من الولد على وحسن وسلطان وابراهيم كلهم راسوا بالجبل واما حسن منهم فحجب السلطان ابا يحيى لاول دولته وفى غيبة ابن غمر بجهة طرابلس اعوام احد عشر وسبعماية كما نذكره فلما تملك السلطان بجاية وقتل ابن خلوف ورجع ابن غمر من تونس الى حجابته وجد حسن بن ثابت معسكرا بفرجيوة لاقتضاء مغارم الوطن فبعث اليه من قتله وكان اخرم

(1) Je pense qu'il faut lire بابور — (2) Le man. A porte ثابر

رياسة بالجبل على ادرك دولة بنى مرين بافريقية وولى بعده ابنه عبد الرحمن ووفد على السلطان ابى عنان بفاس ولما استجد مولانا السلطان ابو العباس دولته بافريقية استولى عليهم ومحى اثر مشيختهم ورياستهم وصيرهم من عداد جنده وحاشيته واستعمل فى الجبل عماله وهو جبل مطواع (1) وجبايته مؤداة لسهولته وجواره للمعسكر بقسنطينة ومن بقايا كتامة ايضا قبائل اخرى بناحية تدلس فى هضابة مكتنفة بها وهم فى عداد القبائل الغارمة وبالمغرب الاقصى منهم قبيلة من بنى يستيتن بجبل قبلة جبل بنى يرناسن وقبيلة اخرى بناحية الهبط مجاورون لقصر ابن عبد الكريم وقبائل اخرى بناحية مراكش نزلوا مع صنهاجة هنالك ونسب كتامة لهذا العهد بين القبائل المثل السائر فى الذلة (2) بما نكرتهم الدول من بعدهم اربعماية سنة بانتحالهم الرافضة ومذاهبها الكفرية حتى صار كثير من اهل نسبهم يفرون منه وينتسبون فيمن سواهم من القبائل فرارا من هجنته والعزة لله وحده

الالمام بذكر زواوة من بطون كتامة

هذا البطن من اكبر بطون البربر ومواطنهم كما تراه محتفة ببجاية الى تدلس فى جبال شاهقة واوعار متسنمة ولهم بطون وشعوب كثيرة ومواطنهم متصلة بمواطن كتامة هولاء واكثر الناس جاهلون بنسبهم وعامة نسابة البربر على انهم من بنى سمكان بن يحيى بن ضريس وانهم اخوة زواغة والمحققون من النسابة مثل ابن حزم وانظاره انما يعدونهم فى بطون كتامة وهو الاصوب والمواطن اوضح دليل عليه والا فاين مواطن زواغة وهى طرابلس وبالمغرب الاقصى

(1) Le ms. B porte يطواع — (2) Les mss. A, B et D portent الدولة

من مواطن كتامة وانما حمل على الغلط فى نسبهم الى كتامة تصحيف اسم زوازة بالزاء بعد الواو وهم اخوة زواغة بلا شك فصحف على القارى الزاء بالواو فعد زواوة اخوة زواغة ثم استمر التصحيف وجمعا فى نسب سمكان والله اعلم وقد مر ذكرهم هنالك مع ذكر زواغة وتعديد بطونهم

الخبر عن صنهاجة من بطون البرانس وما كان لهم من الظهور والدول فى بلاد المغرب والاندلس

هذا القبيل من اوفر قبائل البربر وهم اكثر المغرب لهذا العهد وما قبله لا يكاد قطر من اقطاره يخلو من بطن من بطونهم فى جبل او بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس انهم الثلث من امم البربر وكان لهم فى الردة ذكر وفى الخروج على الامراء بافريقية شان تقدم منه فى صدر ذكر البرابر ونذكر منه هنا ما تيسر واما ذكر نسبهم فانهم من ولد صنهاج وهو صرهاك (1) بالصاد المشمة بالزاء والكاف القريبة من الجيم الا ان العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والالف فصار صنهاج وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس من ولد برنس بن بر وذكر ابن الكلبى والطبرى انهم وكتامة جميعا من حمير كما تقدم فى كتامة وفيما نقل الطبرى فى تاريخه انه صنهاج ابن يصوكان (2) بن ميسور بن الفند بن افريقس بن قيس وبعض النسابة يزعم انه صنهاج بن المثنى بن المنصور بن الصباح بن يحصب بن مالك ابن عامر بن حمير الاصغر بن سبا كذا نقل ابن النحوى من مورخى دولتهم وجعله من يحصب وقد مر ذكره فى انساب حمير وليس كما ذكر والله اعلم واما

(1) On voit par ce qui suit qu'il faut lire ici صناك — (2) Les mss. A et D portent نصركان

المحققون من نسابة البربر فيقولون هو صنهاج بن عاصيل (1) بن زعزاع ابن تيمتا بن سدر بن مولان بن مصلتن (2) بن سر (3) بن مكسيلة (4) بن ديقوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم بن حام ويزعمون ان كزول ولمط وهسكور اخوة صنهاج وان امهم الاربعة تصكى (5) وبها يعرفون وهى بنت زحيك بن مادغس ويقال لها العرجاء فهذه القبائل الاربعة من البربر اخوة لام والله اعلم واما بطون صنهاجة فكثيرة فمنهم تلكاتة وانجفة وشرطة ولمتونة ومسوفة وكدالة ومنداسة وبنو وارث وبنو يتيسن ومن بطون انجفة بنو مزوارت وبنو سلسن (6) وفشتالة وملوانة فكذا نقل بعض نسابة البربر فى كتبهم وذكر اخرون من مورخى البربر ان بطونهم تنتهى الى سبعين بطنا وذكر الطبرى وابن الكلبى ان بلادهم فى الصحراء مسيرة ستة اشهر وكان اعظم قبائل صنهاجة تلكاتة وفيهم كان الملك الاول وكانت مواطنهم ما بين المغرب الاوسط وافريقية وهم اهل مدر ومواطن مسوفة ولمتونة وكدالة وشرطة بالصحراء وهم اهل وبر واما انجفة فبطونهم مفترقة وهم اكثر بطون صنهاجة ولصنهاجة ولاية لعلى بن ابى طالب كما ان لمغراوة ولاية لعثمان بن عفان رضى الله عنهما الا انا لا نعرف سبب هذه الولاية ولا اصلها وكان من مشاهيرهم فى الدولة الاسلامية ثابت بن وزريدن ثار بافريقية ايام السفاح عند انقراض الاموية وعبد الله بن سكرديدلك (7) وعباد بن صادق من قواد حماد بن بلكين وسليمان بن بطعنان بن عليان امام باديس بن بلكين وبنو حمدون وزراء بنى حماد وهو حمدون بن سليمان بن محمد بن على بن علیم منهم ميمون بن جميل ابن اخت [بياض] صاحب قمح الاندلس فى اخرين يطول ذكرهم وكان

(1) Ce nom est écrit ailleurs عاميل — (2) Les mss. B et D portent يصلين — (3) Les mss. A et C portent تمن et le ms. D شر — (4) Le ms. B porte مكسلة — (5) Ce nom est écrit ailleurs تيصكى — (6) L'orthographe de ce nom est incertaine. — (7) Telle est la leçon du ms. B. Le ms. A porte سكرديدالك, et le ms. E سكرديدلك

الملك فى صنهاجة فى طبقتين الطبقة الاولى تلكاتة ملوك افريقية والاندلس والثانية مسوفة ولمتونة من الملثمين ملوك المغرب المسمون بالمرابطين وياتى ذكرهم كلهم

الطبقة الاولى من صنهاجة وما كان لهم من الملك

كان اصل هذه الطبقة بنو تلكات (١) بن كرت بن صنهاج وكانت مواطنهم بالمسيلة الى حمزة الى الجزائر ولمدية ومليانة حيث مواطن بنى يزيد وحصين والعطاف من زغبة ومواطن الثعالبة لهذا العهد وكان معهم بطون كثيرة من صنهاجة بقيت اعقابهم هنالك من متنان ووانوغة وبنو عثمان وبنو مزغنة وبنو جعد وتلكاتة وبطوية وبنو ايفاون وبنو خليل ومن اعقاب تلكاتة بجهات بجاية ومنهم بنواحى تونس وكان التقدم منهم جميعا لتلكاتة وكان كبيرهم لعهد الاغالبة مناد بن منقوس بن صنهاج الاصغر وهو صناك ابن واسفان بن جبريل بن زيد بن واسلى بن سمليل بن جعفر بن الياس بن عثمان بن سكاد بن تلكات بن كرت بن صنهاج الاكبر هكذا نسبه ابن النحوى من مورخى الاندلس وذكر بعض مورخى المغرب ان مناد بن منقوس ملك جانبا من افريقية والمغرب الاوسط مقيما لدعوة بنى العباس وراجعا الى امر الاغالبة وقام بامره من بعده ابنه زيرى بن مناد وكان من اعظم ملوك البربر وكانت بينه وبين مغراوة من زناتة المجاورين له من جهة المغرب الاوسط كما نذكر حروب وفتن طويلة ولما استوسق الملك للشيعة بافريقية تحيز اليهم للولاية التى لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه فيهم

(1) Dans les manuscrits, ce nom est ponctué de plusieurs manières.

وكان من اعظم اوليائهم واستطال بهم على عدوه من مغراوة فكانوا ظهراء له عليهم وانحرفت لذلك مغراوة وسائر زناتة عن الشيعة سائر ايامهم وتحيزوا الى المروانيين ملوك العدوة بالاندلس فاقاموا دعوتهم بالمغرب الاوسط والاقصى كما نذكره بعد ولما كانت فتنة ابى يزيد والتاث امر العبيديين بالقيروان والمهدية كان لزيرى بن مناد من منابذة الخوارج اصحاب ابى يزيد والاخذ باعقابهم وتسريب الحشود الى مناصرة العبيديين بالقيروان عناء مشهور واختط مدينة اشير للتحصين بها سفح الجبل المسمى بتطرى لهذا العهد حيث مواطن حصين وحصنها بامر المنصور وكانت من اعظم مدن المغرب واتسعت بعد ذلك خطتها واستبحر عمرانها ورحل اليها العلماء والتجر من القاصية وحين نازل اسماعيل المنصور ابا يزيد بقلعة كتامة جاء زيرى فى قومه ومن انضم اليه من حشود البربر وعظمت نكايته فى العدو وكان الفتح وصحبه المنصور الى ان انصرف الى المغرب ووصله بصلات سنية وعقد له على قومه واذن له فى اتخاذ القصور والمنازل والحمامات بمدينة اشير وعقد له على تاهرت واعمالها ثم اختط ابنه بلكين بامره وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبنى مزغنة بساحل البحر ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من شلف ومدينة لمدية (1) وهم بطن من بطون صنهاجة وهذه المدن لهذا العهد من اعظم مدن المغرب الاوسط ولم يزل زيرى على ذلك قائما بدعوة العبيديين منابذا لمغراوة واتصلت الفتنة فيهم ولما نهض جوهر الكاتب الى المغرب الاقصى ايام معد المعز لدين الله امره ان يستصحب زيرى بن مناد فصحبه الى المغرب وظاهره على امره ولما قتل يعلى بن محمد اليفرنى اتهمه زناتة بالممالاة عليه ولما نزل جوهر فاس وبها احمد بن بكر الجذامى وطال حصاره اياها كان لزيرى فى حصارها معه اعظم العناء وكان فتحها على يده

(1) Les mss. B C et D portent لمدرية

بيتها ذات ليلة وصعد سورها فكان الفتح ولما اشتدت الفتنة بين زيرى
ابن مناد ومغراوة ووصلوا يدهم بالحكم المستنصر واقاموا دعوة المروانية
بالمغرب الاوسط وشمر محمد بن الخير بن محمد بن خزر لذلك رماه معد
بقريعه زيرى وقومه من صنهاجة وعقد له على المغرب واقطع له ما افتتح من
اقطاره فنهض زيرى فى قومه واحتشد اهل وطنه وقد جمع له محمد بن الخير
وزناتة فسرح اليهم ولده بلكين فى مقدمته وفارضهم قبل استكمالهم التعبية
فدارت بينهم حرب شديدة بعد العهد بمثلها يومئذ واختل مصاف
مغراوة وزناتة ولما ايقن محمد بن الخير بالمهلكة وعلم انه احيط به مال الى
ناحية من العسكر وتحامل على سيفه فذبح نفسه وانفض جموع زناتة
واستمرت الهزيمة عليهم سائر يومهم فاستلحموا ومكثت عظامهم ماثلة
بمصارعهم عصورا وهلك فيما زعموا بضعة عشر اميرا منهم وبعث زيرى برؤسهم
الى المعز بالقيروان فعظم سروره وغم لها الحكم المستنصر صاحب الدعوة
بما اوهنوا من امره واستطال زيرى وصنهاجة على بوادى المغرب وعلت يده
على جعفر بن على صاحب المسيلة والزاب ومساميه فى الرتب عند الخلافة
ومتاخمه فى العماله واستدعى معد جعفر بن على من المسيلة ليوليه افريقية
حين اعتزم على الرحيل الى القاهرة فاستراب بما كانت السعاية كثرت فيه
وبعث عنه المعز بعض مواليه فخافه جعفر على نفسه وهرب من المسيلة
ولحق بمغراوة فاشتملوا عليه والقوا بيده زمام امرهم وقام فيهم بدعوة الحكم
المستنصر وكانوا اقدم لها اجابة وفارضهم زيرى الحرب قبل استفحالهم
فزحف اليهم واقتتلوا قتالا شديدا وكانت على زيرى الدائرة وكبا به فرسه
واجلت الهزيمة عن مصرعه ومصارع حاميته من قومه فاحتزوا راسه
وبعثوا به الى الحكم المستنصر بقرطبة فى وفد اوفدوه عليه من امرائهم
يودون الطاعة ويوكدون البيعة ويخطبون لقومهم النصرة وكان مقدم وفدهم

يحيى بن على اخو جعفر هذا كما نذكره وهلك زيرى هذا سنة ستين وثلاثماية لست وعشرين من ولايته ولما وصل خبره الى ابنه بلكين وهو باشير نهض الى زناتة ودارت بينهم حرب شديدة فانهزمت زناتة وثار بلكين منهم بابيه وقومه واتصل ذلك بالسلطان فحمد اثره وعقد له على عمل ابيه باشير وتيهرت وسائر اعمال المغرب وضم اليه المسيلة والزاب وسائر عمل جعفر فاستفحل امره واتسعت ولايته واثخن فى البربر اهل الخصوص من مزاتة وهوارة ونفزة وتوغل فى المغرب فى طلب زناتة فاثخن فيهم ثم رجع واستقدمه السلطان لولاية افريقية فقدم سنة احدى وستين واستبلغ السلطان فى تكريمه ونفس ذلك عليه كتامة ثم نهض السلطان الى القاهرة واستخلفه كما نذكره وكان ذلك اول دولة ال زيرى بافريقية

الخبر عن دولة ال زيرى بن مناد ولاة العبيديين من هذه الطبقة بافريقية واولية امرهم وتصاريف احوالهم

لما اخذ المعز فى الرحلة الى المشرق وصرف اهتمامه الى ما يتخلف وراء ظهره من المماليك والعمالات ونظر فيمن يوليه امر افريقية والمغرب ممن له الغناء والاضطلاع وبه الوثوق من صدق التشييع ورسوخ القدم فى ولاية الدولة فعثر اختياره على بلكين بن زيرى بن مناد ولى الدولة منذ عهد سلفه والموتور بابيه من ايدى زناتة اعدائها فى سبيل الذب عن الدعوة والمظاهرة للدولة

دولة بلكين بن بن زيرى فبعث عن بلكين بن زيرى وكان متوغلا فى المغرب فى حروب زناتة وولاه امر افريقية والمغرب ما عدا صقلية كانت

لبنى ابى الحسن الكلبى وطرابلس لعبد الله بن يخلف الكتامى وسماه يوسف بدلا من بلكين وكناه ابا الفتوح ولقبه سيف الدولة ووصله بالخلع الخلافية والكساء الفاخرة وحمله على مقرباته بالمراكب الثقيلة وانفذ امره فى الجيش والمال واطلق يده فى الاعمال واوصاه بثلاث الا يرفع السيف عن البربر ولا يرفع الجباية عن اهل البادية ولا يولى احدا من اهل بيته وعهد اليه ان يفتتح امره بغزو المغرب لحسم دايه وقطع علائق الاموية منه وارتحل يريد القاهرة سنة ثنتين وستين ورجع عنه بلكين من نواحى صفاقس فنزل قصر معد بالقيروان واضطلع بالولاية واجمع غزو المغرب فغزاه فى جموع صنهاجة وخلق كتامة وارتحل الى المغرب وفر امامه ابن خزر صاحب المغرب الاوسط الى سجلماسة وبلغه خلاف اهل تاهرت واخراج عامله فرحل اليها وخربها ثم بلغه ان زناتة اجتمعوا على تلمسان فرحل اليهم فهربوا امامه ونزل على تلمسان فحاصرها حتى نزل اهلها على حكمه ونقلهم الى اشير وبلغه كتاب معد ينهاه عن التوغل فى المغرب فرجع ولما كان سنة سبع وستين رغب بلكين من الخليفة نزار بن المعز يضيف اليه عمل طرابلس وسرت واجدابية فاجابه الى ذلك وعقد له عليها ورحل عنها عبد الله بن يخلف الكتامى وولى بلكين عليها من قبله ثم ارتحل بلكين الى المغرب وفرت امامه زناتة فملك فاس وسجلماسة وارض الهبط وطرد منها عمال بنى امية ثم غزا جموع زناتة بسجلماسة واوقع بهم وتقبض على ابن خزر امير مغراوة فقتله واجفل ملوكهم امامه مثل بنى يعلى بن محمد اليفرنى وبنى عطية ابن عبد الله بن خزر وبنى فلفول بن خزر ويحيى بن على بن حمدون صاحب البصرة وازروا جميعا بقياطينهم الى سبتة وبعثوا الصريخ الى المنصور بن ابى عامر فخرج بعساكره الى الجزيرة الخضراء وامدهم بما كان فى حضرته من ملوك زناتة وروسائهم النازعين الى خلفاء الاموية بالاندلس بقرطبة فى

سبيل الطاعة واغتنام فضل الرباط بثغور المسلمين فى ايالة الخلفاء اجتمعت منهم وراء البحر امم مع ما انضم اليهم من العساكر والحشود واجازهم البحر لنظر جعفر بن على بن حمدون صاحب المسيلة وعقد له على حرب بلكين وامده بماية حمل من المال فنقلته ملوك زناتة واجتمعوا اليه وضربوا مصاف القتال بظاهر سبتة وهرع اليهم المدد من الجزيرة من عساكر المنصور وكادوا يخوضون البحر من فراض الزقاق الى مظاهرة اوليائهم من زناتة ووصل بلكين الى تيطاوين وتسنم هضابها وقطع شعراءها لنهج المسالك والطرق لعسكره حتى اطل على معسكرهم بظاهر سبتة فراى ما هاله واستيقن امتناعهم ويقال انه لما عاين سبتة من مستشرفه وراى اتصال المدد من العدوة الى معسكرهم بها قال هذه افعى فغرت الينا فاها وكر راجعا على عقبه وكان موقفه ذلك اقصى اثره ورجع الى البصرة فهدمها وكانت دار ملك ابن الاندلسى وبها عمارة عظيمة ثم انفتح له باب فى جهاد برغواطة فارتحل اليهم وشغل بجهادهم وقتل ملكهم عيسى بن ابى الانصار كما نذكره وارسل بالسبى الى القيروان واذهب دعوة بنى امية من نواحى المغرب كافة ولم يزل بالمغرب وزناتة مشردون بالصحراء الى ان هلك سنة ثلاث وسبعين بواركسن ما بين سجلماسة وتلمسان منصرفا من هذه الغزاة الطويلة ۞

دولة المنصور بن بلكين ولما توفى بلكين بعث مولاه ابو زغبل بالخبر الى ابنه المنصور وكان واليا باشير وصاحب عهد ابيه فقام بامر صنهاجة من بعده ونزل صبرة وقلده العزيز نزار بن معد امر افريقية والمغرب على سنن ابيه وعقد لاخيه ابى البهار (1) على تاهرت ولاخيه يطوفت على اشير وسرحه بالعساكر الى المغرب الاقصى سنة اربع وسبعين ليسترجعه من ايدى زناتة وقد بلغه انهم ملكوا سجلماسة وفاس فلقيه زيرى بن عطية المغراوى

(1) Les mss. A et C écrivent ce nom ainsi النهار

الملقب بالفرطاس (1) امير فاس فهزمه ورجع الى اشير واقصر المنصور بعدها عن غزو المغرب وزناتة واستقل به ابن عطية وابن خزرون ويدو بن يعلى كما نذكر بعد ثم رحل بلكين الى رقادة وفتك بعبد الله بن الكاتب عامله وعامل ابيه على القيروان لهنات كانت منه وسعايات انجحت فيه فهلك سنة تسع (2) وسبعين وولى مكانه يوسف بن ابى محمد وكثر الثوار بكتامة فقتلهم واثخن فيهم حتى اذعنوا واخرج اليهم العمال وعقد لاخيه حماد على اشير وطالت الفتنة مع زناتة ونزع اليه منهم سعيد بن خزرون سنة تسع وسبعين فتقبله واكرمه ووصله وولاه طبنة واصهر اليه بابنته وتتابعت اليه وفود زناتة لفعلته مع سعيد بن خزرون ولم يزل سعيد بطبنة الى ان هلك سنة احدى وثمانين وولى ابنه فلفول بن سعيد وخالف ابو البهار ابن زيرى سنة تسع وسبعين فزحف اليه المنصور وفر بين يديه الى المغرب وامن المنصور اهل تاهرت ومضى فى اتباع ابى البهار حتى فقد عسكره المرافق واشير عليه بالرجوع فرجع وبعث ابو البهار الى ابن ابى عامر صاحب الاندلس فى المظاهرة والمدد واسترهن ابنه فى ذلك فكتب الى زيرى بن عطية صاحب دعوة الاموية من زناتة بفاس ان يكون معه يدا واحدة فظاهره زيرى واتفق رايهما مدة وحاربهما يدو بن يعلى فهزماه وملكا فاس وما حولها ثم اختلفت ذات بينهما سنة ثنتين وثمانين ورجع ابو البهار الى قومه ووفد على المنصور سنة ثنتين وثمانين بالقيروان فاكرمه ووصله وانزله احسن نزل وعقد له على تاهرت ثم هلك المنصور سنة خمس وثمانين ۞ دولة باديس بن المنصور ولما هلك المنصور قام بامره ابنه باديس وعقد لعمه يطوّفت على تاهرت وسرح عساكره لحرب زناتة مع عميه يطوفت وحماد فولوا منهزمين امام زناتة الى اشير ونهض بنفسه سنة تسع وثمانين لحرب

(1) Les mss. A et E portent بالقرطاس — (2) Telle est la leçon des 4 mss. ; mais il faut lire سبع

زيرى بن عطية راجعا الى المغرب فولى باديس اخاه يطوفت على تاهرت واشير وخالف عليه عمومته ماكسن وزاوى وحلال ومعنين وعرم واستباحوا عسكر يطوفت وافلت منهم ووصل ابو البهار متبريا من شانهم وشغل السلطان باديس بحرب فلفول بن سعيد كما نذكره فى اخبار بنى خزرون وسرح عمه حمادا لحرب بنى زيرى اخويه ووصل بنو زيرى ايديهم بفلفول ثم رجعوا الى حماد فهزمهم وتقبض على ماكسن منهم فاطعمه الكلاب وقتل اولاده محسن وباديس كذا ذكر ابن حزم ونجا فلهم الى جبل سنوة (1) فنازلهم حماد اياما وعقد لهم السلم على الاجازة الى الاندلس فلحقوا بابن ابى عامر سنة احدى وتسعين وثلاثماية وهلك زيرى بن عطية المغراوى لتسعة ايام من مهلك ماكسن واقفل باديس عمه حمادا الى حضرته ليستعين به فى حروب فلفول فاضطرب المغرب لقفوله واظهرت زناتة الفساد واضروا بالسابلة وحاصروا المسيلة واشير فسرح اليهم باديس عمه حمادا وخرج على اثره سنة خمس وتسعين فنزل تيجست ودوخ حماد المغرب واثخن فى زناتة واختط مدينة القلعة ثم طلب منه باديس ان ينزل عن عمل تيجس وقسنطينة اختبارا لطاعته (2) فابى واظهر الخلاف وبعث اليه اخاه ابراهيم فاقام معه وزحف اليهم باديس ثم رحل فى طلبه الى شلف ونزع اليه بعض العساكر ودخل فى طاعته بنو توجين وجاروا فى مدده ووصل اميراهم عطية بن دافلين ويدر ابن لقمان بن المعتز فوصلهما وكان حماد قتل دافلين ثم نزل باديس نهر واصل والسرسو وكزول ففر حماد راجعا الى القلعة واتبعه باديس ونازله بها وهلك بمعسكره عليها سنة ست واربعماية فجاءه وهو نائم بين اصحابه بمضربه فارتحلوا راجعين واحتملوا باديس على اعواده ۞

دولة المعز بن باديس ولما بلغ الخبر الى القيروان بمهلك باديس بويع ابنه المعز

(1) Le ms. A porte سبود, et le ms. E شنوه — (2) Les mss. portent اختيارا للطاغية

بن ثمانى سنين ووصل العسكر فبايعوه البيعة العامة ودخل حماد المسيلة
واشير واستعد للحرب وحاصر باغاية وبلغ الخبر بذلك فزحف المعز اليه وافرج
عن باغاية ولقيه فانهزم حماد واسلم معسكره وتقبض على اخيه ابراهيم ونجا
الى القلعة ورغب فى الصلح فاسعف على ان يبعث ولده وانتهى المعز الى سطيف
وقصر الطين قفل الى حضرته ووصل اليه القائد بن حماد سنة ثمان
واربعماية راغبا فى الصلح فعقده واستقل حماد بعمل المسيلة وطبنة والزاب
واشير وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب وعقد للقائد بن حماد على طبنة
والمسيلة ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة وانقلب بهدية ضخمة كفاء
هديته ووضعت الحرب اوزارها من يومئذ واقتسموا الخطة والتحموا بالاصهار
وافترق ملك صنهاجة الى دولتين دولة ال المنصور بن بلكين اصحاب القيروان
ودولة ال حماد بن بلكين اصحاب القلعة ونهض المعز الى حماد سنة اثنتين
وثلاثين فحاصره بالقلعة مدة سنين ثم اقلع عنها وانكفا راجعا ولم يعاود
فتنته بعد ووصل زاوى بن زيرى من الاندلس سنة عشر واربعماية كما
ذكرناه فى خبره فتلقاه المعز اعظم لقاء وسلم عليه راجلا وفرشت القصور
لنزله ووصله باعظم الصلات وارفعها واستمر ملك المعز بافريقية والقيروان
وكان اضخم ملك عرف للبربر بافريقية واترفه وابذخه نقل ابن الرقيق من
احوالهم فى الولائم والهدايا والجنائز والاعطيات ما يشهد بذلك مثل ما ذكر ان
هدية صندل عامل باغاية ماية حمل من المال وان بعض توابيت الكبراء
منهم كان من العود الهندى بمسامير الذهب وان باديس اعطى لفلفول بن
سعيد الزناتى ثلاثين حملا من المال وثمانين تختا من الثياب وان اعشار بعض
اعمال الساحل بناحية صفاقس كان ثمانين الف قفيز وغير ذلك من
اخبارهم وكانت بينه وبين زناتة حروب ووقائع كان له الغلب فى جميعها
كما هو مذكور وكان المعز منحرفا عن مذاهب الرافضة منتحلا للسنة فاعلن

بمذهبه لاول ولايته ولعن الرافضة ثم صار الى قتل من وجد منهم وكبا به فرسه ذات يوم فنادى مستغيثا باسم ابى بكر وعمر فسمعته العامة فثاروا لحينهم بالشيعة وقتلوهم ابرح قتل وقتل دعاة الرافضة يومئذ وامتعض لذلك خلفاء الشيعة بالقاهرة وخاطبه وزيرهم ابو القاسم الجرجرائى محذرا ومخوفا ومستميلا وهو يراجعه بالتعريض بخلفائه والقدح فيهم حتى اظلم الجو بينه وبينهم الى ان قطع الدعاء لهم سنة اربعين واربعماية على عهد معد المستنصر من خلفائهم واحرق بنوده ومحا اسمه من الطرز والسكة ودعا للقائم ابن القادر من خلفاء بغداد وجاءه خطاب القائم وكتاب عهده صحبة داعيته ابى الفضل بن عبد الواحد التميمى فرماه معد المستنصر خليفة العبيديين بالعرب من هلال الذين كانوا مع القرامطة وهم رياح وزغبة والاثبج وذلك بمشاركة من وزيره ابى محمد الحسن بن على اليازورى كما ذكرنا فى اخبار العرب ودخولهم الى افريقية وتقدموا الى البلاد وافسدوا السابلة والقرى وسرح اليهم المعز جيوشه فهزموها فنهض اليهم ولقيهم بجبل حيدران فهزموه واعتصم بالقيروان فحاصروه وتمرسوا به وطال عيثهم فى البلاد واضرارهم بالرعايا الى ان خربت افريقية وخرج المعز من القيروان سنة تسع واربعين مع خفيره منهم وهو مونس بن يحيى الصنبرى امير رياح فلحق فى خفارته بالمهدية بعد ان اصهر اليه فى ابنته فانكحه اياها ونزل بالمهدية وقد كان قدم اليها ابنه تميما فنزل عليه ودخل العرب القيروان وانتهبوها واقام المعز بالمهدية وانتزى الثوّار بالبلاد فغلب حمّو بن مليل البرغواطى على مدينة صفاقس وملكها سنة احدى وخمسين وخالفت سوسة وصار اهلها الى الشورى فى امرهم وصارت تونس اخرا الى ولاية الناصر بن علناس بن حماد صاحب القلعة وولى عليهم عبد الحق بن خراسان فاستبد بها واستقرت فى ملكه وملك بنيه وتغلب مونس بن يحيى على قابس وصار عاملها المعز بن محمد الصنهاجى الى ولايته

واخوه ابراهيم من بعده كما ياتى ذكره والثالث ملك ال باديس وانقسم فى الثوار كما نذكره فى اخبارهم بعد وهلك المعز سنة اربع وخمسين ۞

دولة تميم بن المعز ولما هلك المعز قام بامره ابنه تميم وغلبه العرب على افريقية فلم يكن له الا ما ضمه السور خلا انه يخالف بينهم ويسلط بعضهم على بعض وزحف اليه حمّو بن مليل البرغواطى صاحب صفاقس فخرج تميم للقائه وانقسمت العرب عليهما فانهزم حمو واصحابه وذلك سنة خمس وخمسين وسار منها الى سوسة فافتتحها ثم بعث عساكره الى تونس فحاصروا ابن خراسان حتى استقام على الطاعة لتميم ثم بعث عساكره ايضا الى القيروان وكان بها قائد بن ميمون الصنهاجى من قبل المعز فاقام بها ثلاثا ثم غلبته عليها هوارة وخرج الى المهدية ثم رده تميم الى ولايته بها فخالف بعد ست من ولايته وكاتب الناصر بن علنّاس صاحب القلعة فبعث تميم اليه العساكر فلحق بالناصر واسلم القيروان ثم رجع بعد ست الى حمو بن مليل البرغواطى بصفاقس وابتاع له القيروان من يبقى بن على امير زغبة فولاه عليها وحصنها سنة سبعين وكانت بين تميم والناصر صاحب القلعة اثناء ذلك فتنة كان سماسرتها العرب يجاجئون بالناصر من قلعته ويوطئون عساكره بلاد افريقية وربما ملك بعض امصارها ثم يردونه على عقبه الى داره الى ان اصطلحا سنة سبعين واصهر اليه تميم بابنته ونهض تميم سنة اربع وسبعين الى قابس وبها قاضى بن محمد الصنهاجى وليها بعد اخيه ابراهيم فحاصرها ثم افرج عنها ونازلته العرب سنة ست وسبعين بالمهدية ثم افرجوا عنه وهزمهم فقصدوا القيروان ودخلوها فاخرجهم عنها وفى ايامه كان تغلب نصارى جنوة على المهدية سنة ثمانين نزلوها فى ثلاثماية مركب وثلاثين الف مقاتل واستولوا عليها وعلى زويلة فبذل لهم تميم فى النزول عنها ماية الف دينار بعد ان انتهبوا جميع ما كان بها فاستخلصها من ايديهم ورجع

اليها ثم استولى على قابس سنة تسع وثمانين من يد اخيه عمر بن المعز بايع له اهلها بعد موت قاضى بن ابراهيم ثم استولى بعدها على صفاقس سنة ثلاث وتسعين وخرج منها حمو بن مليل الى قابس فاجاره مكن بن كامل الدهمانى الى ان مات بها وكانت رياح قد غلبت زغبة على افريقية من لدن سبع وستين واخرجوهم منها وفى اخر هذه المائة الخامسة غلب الاخضر من بطون رياح على مدينة باجة وملكوها وهلك تميم اثر ذلك سنة احدى وخمسماية ۞

دولة يحيى بن تميم ولما هلك تميم بن المعز ولى ابنه يحيى وافتتح امره بافتتاح اقليبية وغلب عليها ابن محفوظ الثائر بها وثار اهل صفاقس على ابنه ابى الفتوح فالطف الحيلة فى تفريق كلمتهم وراجع طاعة العبيديين ووصلته المخاطبات والهدايا وكان قد صرف همه الى غزو النصارى فى الاساطيل البحرية فاستكثر منها واستبلغ فى اقتنائها وردد الغزو الى دار الحرب فيها حتى اتقته امم النصرانية بالجزى من وراء البحر من بلاد الفرنجة وجنوة وسردانية وكان له فى ذلك اثار ظاهرة عزيزة وهلك فجاءة فى قصره سنة تسع وخمسماية ۞

دولة على بن يحيى ولما هلك يحيى بن تميم ولى علىّ ابنُه استقدم لها من صفاقس فقدم فى خفارة ابى بكر بن جابر بن عسكر ونظرائه من امراء العرب وكان معظم عساكر صنهاجة محاصرين لقصر الاجم فاجتمعوا اليه وتمت بيعته ونهض الى حصار تونس حتى استقام احمد بن خراسان على الطاعة وفتح جبل وسلات وكان ممتنعا على من سلف من قومه فجرد اليه عسكرا مع ميمون بن زياد الصخرى المعادى من امراء العرب فافتتحوه وقتلوا من كان به ووصل رسول الخليفة من مصر بالمخاطبات والهدايا على العادة ثم نهض الى حصار رافع بن مكن بقابس سنة احدى عشرة وخمسماية ودوّن لها قبائل فادغ من بنى على احدى بطون رياح كما نذكره فى اخبار رافع ثم حدثت

الفتنة بينه وبين رجار صاحب صقلية بممالاة رجار لرافع بن كامل عليه وامداده اياه باسطوله يغير على ساحل على بن يحيى ويرصد لاساطيله فاستخدم على بن يحيى الاساطيل واخذ فى الاهبة للحرب وهلك سنة خمس عشرة وخمساية ۞

دولة الحسن بن على ولما هلك على بن يحيى بن تميم ولى بعده ابنه الحسن بن على غلاما يفعة ابن ثنتى عشرة سنة وقام بامره مولاه صندل ثم مات صندل وقام بامره مولاه موفق وكان ابوه اصدر المكاتبة الى رجار عند الوحشة يهدده بالمرابطين ملوك المغرب لما كان بينه وبينهم من المكاتبة واتفق ان غزا محمد بن ميمون قائد اسطول المرابطين صقلية وافتتح قرية منها فسباها وقتل اهلها سنة ست عشرة فلم يشك رجار ان ذلك باملاء الحسن فزحفت اساطيله الى المهدية وعليهم عبد الرحمن بن عبد العزيز وجرجى ابن ميخائيل الانطاكى وكان جرجى هذا نصرانيا هاجر من المشرق وقد تعلم اللسان وبرع فى الحساب وتهذب فى الشام بانطاكية وغيرها فاصطنعه تميم واستولى عليه وكان يحيى يشناه فلما هلك تميم اعمل جرجى الحيلة فى اللحاق برجار فلحق به وحظى عنده واستعمله على اسطوله فلما اعتزم على حصار المهدية بعثه لذلك فزحف فى ثلاثماية مركب وبها عدد كثير من النصرانية فيهم الف فارس وكان الحسن قد استعد لحربهم فافتتح جزيرة قوصرة وقصدوا الى المهدية ونزلوا الى الساحل وضربوا الابنية وملكوا قصر الديماس (1) وجزيرة الاحاس (2) وتكرر القتال بينهم الى ان غلبهم المسلمون واقلعوا راجعين الى صقلية بعد ان استحر القتل فيهم ووصل باثر ذلك محمد بن ميمون قائد المرابطين باسطوله فعاث فى نواحى صقلية واعتزم رجار على اعادة الغزو الى المهدية ثم وصل اسطول يحيى بن العزيز صاحب بجاية لحصار المهدية

(1) Les mss A, B et D portent الدهاس — (2) Le ms. C porte الحمامات

ووصلت عساكره فى البر مع قائده مطرف بن على بن حمدون الفقيه فصالح
الحسن صاحب صقلية ووصل يده به واستمد منه اسطوله واستمد الحسن
باسطول رجار فامده وارتحل مطرف الى بلده واقام الحسن مملكا بالمهدية
وانتقض عليه رجار وعاد الى الفتنة معه ولم يزل يتردد اليه الغزو الى ان
استولى على المهدية قائد استوله جرجى بن ميخائل سنة ثلاث واربعين
وخمسماية وصلها باسطوله فى ثلاثماية مركب وخادعهم بانه انما جاء مددا له
وكان عسكر الحسن قد توجه صريخا لمحرز بن زياد الفادغى صاحب المعلقة
على ابن خراسان صاحب تونس فلم يجد صريخا فتخلى عن المهدية ورحل
واتبعه الناس ودخل العدو الى المهدية وتملكوها دون دفاع ووجد جرجى
القصر كما هو لم يرفع منه الحسن الا ما خف وترك الذخائر الملوكية فامن الناس
وابقاهم تحت ايالته ورد الفارين منهم الى اماكنهم وبعث اسطولا الى صفاقس
فملكها واخذ الى سوسة فملكها أيضا واخذ الى طرابلس كذلك واستولى رجار
صاحب صقلية على بلاد الساحل كلها ووضع على اهلها الجزى وولى عليهم كما نذكره
الى ان استنقذهم من ملكة الكفر عبد المومن شيخ الموحدين وخليفة امامهم
المهدى ولحق الحسن بن يحيى بعد استيلاء النصارى على المهدية بالعرب
من رياح وكبيرهم محرز بن زياد الفادغى صاحب المعلقة فلم يجد لديهم
مصرخا واراد الرحيل الى مصر للحافظ عبد الحميد فارصد له جرجى فارتحل الى
المغرب واجاز الى بونة وبها الحرث بن المنصور اخو العزيز ثم توجه الى
قسنطينة وبها سبع بن العزيز اخو يحيى صاحب بجاية فبعث اليه يحيى
من اجازه الى الجزائر ونزل على ابن العزيز فاحسن نزله وجواره الى ان فتح
الموحدون الجزائر سنة سبع واربعين بعد ملكهم المغرب والاندلس فخرج الى
عبد المومن فلقاه تكرمة وقبولا وصحبه الى افريقية فى غزاته الاولى ثم
الثانية سنة اربع وخمسين فنازل المهدية وحاصرها اشهرا ثم افتتحها

سنة [خمس وخمسين] واسكن بها الحسن واقطعه رحيش فاقام هنالك ثمانى سنين ثم استدعاه يوسف بن عبد المومن فارتحل باهله يريد مراكش وهلك بتامسنا من طريقه باباز زُلّو (1) سنة ست وثلاثين (2) والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الخبر عن بنى خراسان من صنهاجة الثوار بتونس على ال باديس عند اضطراب افريقية بالعرب ومبدا امرهم ومصائر احوالهم

لما تغلب العرب على القيروان واسلمها المعز وتحول الى المهدية اضطرمت افريقية نارا واقتسمت العرب البلاد عمالات ومجالات وامتنعت كثير من البلاد على ملوك ال باديس مثل اهل سوسة وصفاقس وقابس وصارت صاغية اهل افريقية الى بنى حماد ملوك القلعة وملكوا القيروان وانقطعت تونس عن ملك المعز ووفد مشيختها على الناصر بن علناس فولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان يقال انه من اهل تونس والاظهر انه من قبائل صنهاجة فقام بامرهم وشاركهم فى امره وتودد اليهم واحسن السيرة فيهم وصالح العرب اهل الضاحية على اتاوة معلومة لكف عاديتهم وزحف تميم ابن المعز من المهدية اليه سنة ثمان وخمسين فى جموعه ومعه يبقى بن على امير زغبة فحاصر تونس اربعة اشهر الى ان صالحه ابن خراسان واستقام على طاعته فافرج عنه ولم يزل قائما بامره الى ان هلك سنة ثمان وثمانين فولى ابنه عبد العزيز وكان مضعفا وهلك على راس

(1) Les mss. A et B portent باربار ولو — (2) Telle est la leçon de tous les manuscrits; mais elle est évidemment fausse.

هذه المائة الخامسة وقام بامره ابنه احمد بن عبد العزيز بن عبد الحق فقتل عمه اسماعيل بن عبد الحق لمكان ترشحه وفر ابنه ابو بكر الى بنزرت فاقام بها خوفا على نفسه ونزع احمد الى التخلق بسير الملوك والخروج عن سيرة المشيخة واشتدت وطاته وكان من مشاهير روساء بنى خراسان هولاء فاستبد بتونس لاول المائة السادسة وضبطها وبنى اسوارها وعامل العرب على اصلاح سابلتها فصلحت حاله وبنى قصور بنى خراسان وكان مجالسا للعلماء محبا فيهم ونازله على بن يحيى بن تميم سنة عشر وخمسماية وضيق عليه ودافعه (1) باسعاف غرضه فافرج عنه ثم نازلته عساكر العزيز بن المنصور صاحب بجاية فعاد الى طاعته سنة اربع عشرة ولم يزل واليا على تونس الى ان نهض سنة ثنتين وعشرين مطرف بن على بن حمدون قائد يحيى بن العزيز من بجاية فى العساكر الى افريقية وملك عامة امصارها فتغلب على تونس واخرج احمد بن عبد العزيز صاحبها ونقله الى بجاية باهله وولده وولى على تونس كرامت بن المنصور عم يحيى بن العزيز فبقى واليا عليها الى ان مات وولى عليها بعده اخوه ابو الفتوح بن المنصور الى ان مات وولى مكانه ابنه محمد وساءت سيرته فعزل وولى مكانه عمه معد بن المنصور الى ان استولى النصارى على المهدية وسواحلها ما بين سوسة وصفاقس وطرابلس سنة ثلاث واربعين وصارت لصاحب صقلية واخرج الحسن بن على كما هو مذكور فاخذ اهل تونس فى الاستعداد والحذر واستاسدوا لذلك على واليهم واستنسر بغاثهم وربما ثاروا بعض الايام عليه فقتلوا عبيده بمراء منه وابقوا عليه فى خاصته فبعث عنه اخوه يحيى من بجاية فركب البحر فى الاسطول وترك بتونس نائبه العزيز بن دافال من وجوه صنهاجة فاقام بينهم وهم مستبدون عليه وكان بالمعلقة جوارهم محرز بن زياد امير بنى على من بطون رياح قد تغلب

(1) Un des manuscrits porte ووافقه

عليها وكانت الحرب بينه وبين اهل تونس سجالا والتحم بينهما المصاف وكان محرز يستمد عساكر صاحب المهدية على اهل تونس فتاتيه الى ان غلب النصارى على المهدية وحدثت الفتنة بينهم بالبلد فكان المصاف بين اهل باب السويقة واهل باب الجزيرة وكانوا يرجعون فى امورهم الى القاضى عبد المنعم ابن الامام ابى الحسن ولما غلب عبد المومن على بجاية وقسنطينة وهزم العرب بسطيف ورجع الى مراكش انتهت اليه شكوى الرعايا بافريقية مما نزل بهم من العرب بعث (1) ابنه عبد الله من بجاية الى افريقية فى عساكر الموحدين فنزل تونس سنة ثنتين وخمسين وامتنعت عليه ودخل معهم محرز بن زياد وقومه من العرب واجتمع جندهم وبرزوا للموحدين فاوقعوا بهم وافرجوا عن تونس وهلك اميرها عبد الله بن خراسان خلال ذلك وولى مكانه على بن احمد بن عبد العزيز خمسة اشهر وزحف عبد المومن الى تونس وهو اميرها فانقادوا لطاعته كما نذكره فى اخبار الموحدين ورحل على بن احمد بن خراسان الى مراكش باهله وولده وهلك فى طريقه سنة اربع وخمسين وافرج محرز بن زياد عن المعلقة واجتمعت اليه قومه وتدامرت العرب على مدافعة الموحدين واجتمعوا بالقيروان وبلغ الخبر الى عبد المومن وهو منصرف من غزاته الى المغرب فبعث اليهم العساكر وادركوهم بالقيروان فاوقعوا بهم واستلحموهم قتلا وسبيا وتقبض على محرز بن زياد اميرهم فقتل وصلب شلوه بالقيروان والله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه

(1) Il serait plus correct de lire فبعث

الخبر عن بنى الرند ملوك قفصة الثائرين بها عند التيات ملك ال باديس بالقيروان واضطرابه بفتنة العرب ومبدا دولتهم ومصائر امورهم

لما تغلب العرب على افريقية وانحل نظام الدولة الصنهاجية وارتحل المعز من القيروان الى المهدية وكان بقفصة عاملا لصنهاجة عبد الله بن محمد بن الرند واصله من جربة من بنى صدغيان قال ابن نخيل (1) هو من بنى مرين (2) من مغراوة وكان مسكنهم بالجوسين من نفزاوة فضبط قفصة وقطع عنها عادية الفساد وصالح العرب على الاتاوة فصلحت السابلة واستقامت الحال ثم استبد بامره وخلع الامتثال من عنقه سنة خمس واربعين واستمر على ذلك وبايعته توزر ونفطة وتقيوس والحامة وسائر اعمال قسطيلية فاستفحل امره وعظم سلطانه ووفد عليه الشعراء والقصاد وكان معظما لاهل الدين الى ان هلك سنة خمس وستين وولى من بعده ابنه المعتز وكنيته ابو عمر وانقاد اليه الناس فضبط الامور وجبى الاموال واصطنع الرجال وتغلب على قمودة وجبل هوارة وسائر بلاد قسطيلية وما اليها وحسنت سيرته وطالت ايامه الى ان عمى وهلك فى حياته ابنه تميم فعهد لابنه يحيى بن تميم وقام بالامر واستبد على جده ولم يزالوا بخير حال الى ان نازلهم عبد المومن سنة اربع وخمسين فخلعهم من الامر ونقلهم الى بجاية فمات المعتز بها سنة سبع وخمسين لماية واربع عشرة من عمره وقيل لتسعين ومات بعده بيسير حافده يحيى بن تميم وولى عبد المومن على قفصة نعمان بن عبد الحق الهنتاتى ثم عزله بعد ثلاث بميمون بن اجّانا الكنفيسى ثم عزله بعمران بن موسى

(1) Les mss. A et D portent ici محيل — (2) Le ms. E porte يزمرتن

الصنهاجى واساء الى الرعية فبعثوا عن على بن العز بن المعتز من بجاية وكان بها فى مضيعة يحترف بالخياطة فقدم عليهم وثاروا بعمران بن موسى عامل الموحدين فقتلوه وقدموا على بن العز فساس ملكه وحاط رعيته واغزاه يوسف بن عبد المومن سنة ثلاث وستين اخاه السيد ابا زكريا فحاصره وضيق عليه وقطع نخل البلاد وافرج عنه ثم نازله ثانية يوسف بن عبد المومن بنفسه سنة ست وسبعين فتغلب عليه واخذه واشخصه الى مراكش باهله وماله واستعمله على الاشغال بمدينة سلا الى ان هلك وفنيت دولة بنى الرند والبقاء لله وحده

الخبر عن بنى جامع الهلاليين امراء قابس لعهد الصنهاجيين وما كان لهم بها من الملك والدولة وذلك عند فتنة العرب بافريقية

لما دخلت العرب الى افريقية وغلبوا المعز على الضواحى ونازلوه بالقيروان وكان الوالى بقابس المعز بن محمد بن ولمية الصنهاجى وكان اخواه ابراهيم وقاضى بالقيروان قائدين للمعز على جيوشه فعزلهما ولحقا مغاضبين بمونس ابن يحيى الصنبرى امير رياح فاكرمهما وبعثهما الى اخيهما بقابس واتفقوا على صرف الطاعة لمونس بن يحيى فكان ذلك اول تملك العرب ثم اقام ابراهيم منهم واليا بقابس ولحق المعز بن محمد بمونس فكان معه الى ان هلك ابراهيم وولى مكانه اخوه قاضى وكان سيئ السيرة فقتله اهل قابس وذلك لعهد تميم بن المعز بن باديس وبعثوا الى عمر اخى السلطان تميم وكان مخالفا عليه فامروه عليهم سنة تسع وثمانين واربعماية وزحف اليه تميم فغلبه عليها ثم خالفوا ورجعوا الى طاعة العرب فوليها مكن بن

كامل بن جامع امير المناقشة من دهمان من بنى على احدى بطون رياح فقام بامرها واستبد على صنهاجة ولحق به مثنى بن تميم بن المعز نازعا عن ابيه فاجابه ونازل معه المهدية حتى امتنعت عليه واطلع على قبايح مثنى فافرج عنها ولم يزل مكن على حاله فى ولاية قابس وامارة قومه دهمان الى ان هلك وقام بامره بعده ابنه رافع واستفحل بها ملكه وهو الذى اختط قصر العروسيين من مصانع الملك بها واسمه مكتوب لهذا العهد فى جدرانها ولما ولى على بن يحيى بن تميم فسد ما بينه وبين رافع واعان عليه رافع صاحب صقلية فغلب اسطول على بن يحيى على اسطول النصارى ثم دون قبائل العرب والاساطيل وزحف الى قابس سنة احدى عشرة واربعماية قال ابن ابى الصلت دون الثلاثة الاخماس من قبائل العرب الذين هم سعيد ومحمد ونخبة واضاف اليهم من الخمس الرابع اكابر بنى مقدم فوافى من كان منهم بفحص القيروان وفر رافع الى القيروان وامتنع عليه اهلها ثم اجتمع شيوخ دهمان واقتسموا البلاد وعينوا القيروان لرافع وامكنوه منها وبعث على بن يحيى عساكره والعرب المدونة الى منازلة رافع بالقيروان وخرج الى ممارستهم فهلك بالطريق فى بعض حروبه مع اشياع رافع ثم ان ميمون بن زياد الصخرى حمل رافع بن مكن على مسالمة السلطان وسعى فى اصلاح ذات بينهما فعقد بينهما الصلح وارتفعت الفتنة وقام بقابس من بعد ذلك رشيد بن كامل قال ابن نخيل وهو الذى اختط قصر العروسيين وضرب السكة الرشيدية وولى بعده ابنه محمد بن رشيد وغلب عليه مولاه يوسف ثم خرج محمد فى بعض وجوهه وترك ابنه مع يوسف فطرده يوسف واستبد وانتسب الى طاعة رجار فثار به اهل قابس ودفعوه عنهم فخرج الى حيه ولحق اخوه عيسى برجار واخبره الخبر فحاصرهم رجار بسبب ذلك مدة من الايام وكان اخر من ملكها من بنى جامع اخوه مدافع بن رشيد بن

كامل ولما استولى عبد المومن على المهدية وصفاقس وطرابلس بعث ابنه عبد الله بعسكر الى قابس ففر مدافع بن رشيد من قابس واسلمها للموحدين ولحق بعرب طرابلس من عوف فاجاروه سنين ثم لحق بعبد المومن بفاس فاكرمه ورضى عنه وانقرض امر بنى جامع من قابس والبقاء لله وحده

الخبر عن ثورة ابن مطروح بطرابلس والفريانى بصفاقس على النصارى واخراجهم استبدادهما بامر بلاديهما فى اخر دولة بنى باديس

اما طرابلس فكان رجار صاحب صقلية لعنه الله قد استولى عليها سنة اربعين وخمسماية على يد قائده جرجى بن ميخائل الانطاكى وابقى المسلمين بها واستعمل عليهم واقاموا فى ملكة النصارى اياما ثم ان ابا يحيى بن مطروح من اعيان البلد مشى فى وجوه الناس واعيانهم وداخلهم فى الفتك بالنصارى فاجتمعوا لذلك وثاروا وحرقوهم بالنار ولما وصل عبد المومن الى المهدية وافتتحها سنة خمس وخمسين وفد عليه ابو يحيى بن مطروح ووجوه اهل طرابلس فاوسعهم برا وتكرمة وقدم ابن مطروح المذكور عليهم وردهم الى بلدهم فلم يزل عليهم الى ان هرم وعجز لعهد يوسف بن عبد المومن وطلب الحج فسرحه السيد ابو زيد بن ابى حفص عمر بن عبد المومن عامل تونس فارتحل فى البحر سنة ست وثمانين واستقر بالاسكندرية واما صفاقس فكانت ولاتها ايام بنى باديس من صنهاجة قبيلهم الى ان ولى المعز بن باديس عليها منصور البرغواطى من صنائعه وكان فارسا مقداما فحدثت نفسه بالثورة ايام تغلب العرب على افريقية وخروج المعز الى المهدية ففتك به ابن عمه حمو بن مليل البرغواطى وقتله فى الحمام غدرا وامتعض

له حلفاؤه من العرب وحاصروا حموحتى بذل لهم من المال ما رضوا به واستبد حمو بن مليل بامر صفاقس حتى اذا هلك المعز حدثته نفسه بالتغلب على المهدية فزحف اليها فى جموعه من العرب ولقيه تميم فانهزم حمو واصحابه سنة خمس وخمسين ثم بعث ابنه يحيى مع العرب لحصار صفاقس فحاصرها مدة واقلع عنها وزحف اليه تميم بن المعز سنة ثلاث وتسعين فغلبه عليها ولحق حمو بمكن بن كامل امير قابس فاجاره وصارت صفاقس الى ملكة تميم ووليها ابناؤهم ولما تغلب النصارى على المهدية وملكها جرجى ابن ميخائيل قائد رجار سنة ثلاث واربعين تغلبوا بعدها على صفاقس وابقوا اهلها واستعملوا عمر بن ابى الحسن الفريانى لمكانه فيهم وحملوا اباه ابا الحسن معهم الى صقلية رهنا وكان ذلك مذهب رجار وديدنه فيما ملك من سواحل افريقية يبقيهم ويستعمل عليهم منهم ويذهب الى العدل فيهم فبقى عمر بن ابى الحسن عاملا لهم فى اهل بلده وابوه عندهم ثم ان النصارى الساكنين بصفاقس امتدت ايديهم الى المسلمين ولحقوهم بالضرر وبلغ الخبر ابا الحسن وهو بمكانه من صقلية فكتب الى ابنه عمر يامره بانتهاز الفرصة فيهم والاستسلام الى الله فى حق المسلمين فثار بهم عمر لوقته سنة احدى وخمسين وقتلهم وقتل النصارى اباه ابا الحسن وانتقضت عليهم بسبب ذلك سائر السواحل ولما افتتح عبد المومن المهدية من يد رجار وصل اليه عمر وادى طاعته فولاه صفاقس ولم يزل واليا عليها وابنه عبد الرحمن من بعده الى ان تغلب يحيى بن غانية فرغبه فى الحج فسرحه ولم يعد

الخبر عما كان بافريقية من الثوار على صنهاجة عند اضطرابها بفتنة العرب الى ان محا اثرهم الموحدون

كان الورد اللخمى عند اضطرام نار الفتنة بالعرب وتقويض المعز عن القيروان الى المهدية وتغلبهم عليها قد ضم اليها جماعة من الدعار وكان ساكنا بقلعة قريشة من جبل شعيب فكان يضرب على النواحى بجهة بنزرت ويفرض على اهل القرى الاتاوات بسبب ذلك فطال عليهم امره ويئسوا من حسم دائه وكان ببلد بنزرت فريقتان احداهما من لخم وهم قوم الورد وبقوا فوضى واختلف امرهم فبعثوا الى الورد فى ان يقوم بامرهم فوصل الى بلدهم فاجتمعوا عليه وادخلوه حصن بنزرت وقدموه على انفسهم فخاطبهم من العرب ودافع عن نواحيهم وكان بنو مقدم من الاثبج ودهمان من بنى على احدى بطون رياح هم المتغلبون على ضاحيتهم فهادنهم على الاتاوة وكف بها عاديتهم واستفحل امره وتسمى بالامير وشيد المصانع والمبانى وكثر عمران بنزرت الى ان هلك فقام بامره ابنه طراد وكان شهما وكانت العرب تهابه وهلك فولى من بعده ابنه محمد بن طراد وقتله اخوه مقرب لشهر من ولايته فى مشاجرة وقام بامر بنزرت وسمى بالامير وحمى حوزته من العرب واصطنع الرجال وعظم سلطانه وقصده الشعراء وامتدحوه فوصلهم وهلك فولى من بعده ابنه عبد العزيز عشر سنين وجرى فيها على سنن ابيه وجده ثم ولى من بعده اخوه موسى على سننهم اربع سنين ثم ولى من بعده اخوهما عيسى واقتفى اثرهم ولما نازل عبد الله بن عبد المومن تونس وافرج عنها مر

به فى طريقه فاستفرغ جهده فى قراه وبخع له بالطاعة وطلب منه الحافظ (1) على بلده فاسعفه وولى عليهم ابا الحسن الهرغى فلما قدم عبد المومن على افريقية سنة اربع وخمسين رعى له ذلك واقطعه واندرج فى جملة الناس وكان بقلعة زرعة (2) بروكسن بن بو على الصنهاجى من اولياء العزيز بن المنصور صاحب بجاية والقلعة قد ثار بها وحصنها وكان مبدا امره ان العزيز تغير عليه فى حرب وقعت بينه وبين العرب نسب فيها الى نفسه الاقدام والى السلطان العجز نخافه على نفسه ولحق بباجة فاكرمه شيخها محمود ابن يزال الربعى (3) واواه وترافع الى محمود اهل زرعة من عمله وكانوا فيئتين مختلفتين من زاتيمة احدى قبائل البربر وهما اولاد مدينى واولاد لاحق فبعث عليهم بروكسن بن بو على لينظر فى احوالهم واقام معهم بالقلعة ثم استجلب بعض الدعار كانوا بناحيتها وانزلهم بالقلعة معه واصطنعهم وصاهر اولاد مدينى وظاهرهم على اولاد لاحق واخرجهم من القلعة واستبد بها وقصدته الرجال من كل جانب الى ان اجتمعت اليه نحو خمساية فارس واثخن فى نواحيه وحارب بنى الورد ببنزرت وابن علال بطبربة وقتل محمد بن سباع امير بنى سعيد من رياح وغصت القلعة بالساكن فاتخذ لها ربضا وجهز اليه العزيز عسكره من بجاية فبارز قائد العسكر وفتك به واسمه غيلاس وهلك بعد مدة طويلة وقام بامره ابنه منيع ونازله بنو سباع وسعيد طالبين بثار اخيهم محمد وتمادى به الحصار وضاقت احواله فاقتحموا عليه القلعة واستلحم هو واهل بيته قتلا وسبيا والله مالك الامور وكان ايضا بطبربة مدافع بن علال القيسى شيخ من شيوخها فلما اضطربت افريقية عند دخول العرب اليها امتنع بطبربة وحصن قلعتها واستبد بها فى جملة من ولده وبنى عمه

(1) Dans le ms. A, on lit المحافظة — (2) Dans chaque ms., ce nom est ponctué d'une manière différente. — (3) Le ms. D porte نزال الريغى. On lit dans le ms. E نزال الزيقى

وجماعته الى ان ثار عليه ابن بيزون اللخمى فى البحرين على وادى مجردة بازاء الرياحين وطالت بينهما الفتنة والحرب وكان قهرون بن غنوش بمنزل دحمون قد بنى حصنه وشيده وجمع اليه جيشا من اوباش القبائل وذلك لما اخرجه اهل تونس بعد ان ولاه العامة عليهم ثم صرفوه عن ولايتهم لسوء سيرته فخرج من البلد ونزل دحمون وبنى حصنا لنفسه مع الحنايا وردد الغارة على تونس وعاث فى جهاتها فرغبوا من محرز بن زياد ان يظاهرهم عليه ففعل وبلغ خبره ابن علال صاحب طبربة فوصل ابن علال يده بصهر منه ونقله الى بعض الحصون ببلده وهى قلعة غنوش وتظافروا على الافساد وخلفهما بنوهما من بعدهما الى ان وصل عبد المومن الى افريقية سنة اربع وخمسين فمحا اثر الفساد من جوانب افريقية وكان ايضا حماد بن خليفة اللخمى بمنزل رقطون من اقليم زغوان على مثل حال ابن علان وابن غنوش وابن بيزون وخلفه ولد فى مثل ذلك الى ان انقطع ذلك على يد عبد المومن وكان عياد بن نصر الله الكلاعى بقلعة شقبنارية قد صار اليه جند من اهل الدعار واوباش القبائل فحماها من العرب واستغاث به ابن فتاتة شيخ الاربس من العرب وسوء ملكتهم فزحف اليهم واخرجهم من الاربس وفرض عليهم مالا يودونه اليه الى ان مات وولى ابنه من بعده فجرى على سننه الى ان دخل فى طاعة عبد المومن سنة اربع وخمسين وخمساية والله مالك الملك

الخبر عن دولة ال حماد بالقلعة من ملوك صنهاجة الداعين لخلفاء العبيديين وما كان لهم من الملك والسلطان بافريقية والمغرب الاوسط الى حين انقراضه بالموحـــــدين

هذه الدولة شعبة من دولة ال زيرى وكان المنصور بن بلكين قد عقد لاخيه حماد على اشير والمسيلة وكان يتداولها مع اخيه يطوفت وعمه ابى البهار ثم استقل بها سنة سبع وثمانين ايام باديس ابن اخيه المنصور ودفعه لحرب زناتة سنة خمس وتسعين بالمغرب الاوسط من مغراوة وبنى يفرن وشـــرط له ولاية اشير والمغرب الاوسط وكل بلد يفتحه وان لا يستقدمــه فعظم عنـــاؤه فيها واثخن فى زناتة وكان مظفرا عليهم واختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان وتسعين وهو جبل عجيسة وبه لهذا العهد قبائل عياض من عرب هلال ونقل اليها اهل المسيلة واهل حمزة وخربهما ونقـل جـراوة من المغرب وانزلهم بها وتم بناؤها وتمصيرها على راس المائة الرابعة وشيد من بنيانها واسوارها واستكثر فيها من المساجد والفنادق فاستبحرت فى العمارة واتسعت فى التمدن ورحل اليها من الثغور القاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وارباب الصنائع لنفاق اسواق المعارف والتجر والصنائع بها ولم يزل حماد ايام باديس هذا اميرا على الزاب والمغرب الاوسط متوليا حروب زناتـــة وكان نزله ببلد اشير والقلعة متاخما لملوك زناتة واحيائهم الباديـــــة بضواحى تلمسان وتاهرت وحاربه بنو زيرى عند خروجهم على باديس ســنى تسعين وثلاثماية وهم زاوى وماكسن واخوتهما فقتل ماكسن وابناه والجا

زاوى واخوته الى جبل شنون واجازهم البحر الى الاندلس ثم ان بطانة باديس ومن اليه من الاعمام والقرابة نفسوا على حماد رتبته وسعوا فى مكانه من باديس الى ان فسد ذات بينهما وطالب باديس ان يسلم عمل تجيست وقسنطينة لولده المعز لما قلده الحاكم ولاية عهد ابيه فابى حماد وخالف دعوة باديس وقتل الرافضة واظهر السنة ورضى عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديين جملة وراجع دعوة ال العباس وذلك سنة خمس واربعماية وزحف الى باجة فدخلها بالسيف ودس الى اهل تونس الثورة على المشارقة والرافضة فثاروا بهم فناصبه باديس الحرب وعبا عساكره من القيروان وخرج اليه فنزع عن حماد اكثر اصحابه مثل بنى ابى واليل (1) اصحاب مقرة من زناتة وبنى حسن كبار صنهاجة وبنى يطوفت من زناتة وبنى غمرة ايضا منهم وفر حماد وملك باديس اشير ولحق حماد بشلف بنى واطيل وباديس فى اتباعه حتى نزل بوالطين (2) وخص السرسو من بلاد زناتة ونزع اليه عطية ابن دافلين (3) فى قومه من بنى توجين لما كان حماد قتل اباه وجاء على اثره ابن عمه يدر بن لقمان بن المعتز فوصلهما باديس واستظهر بهما على حماد ثم اجاز اليه باديس وادى شلف وناجزه الحرب ونزع اليه عامة اهل معسكره فانهزم واغذ السير الى القلعة وباديس فى اثره حتى نزل فحص المسيلة وانجحر حماد فى القلعة وحاصره ثم هلك بمعسكره من ذلك الحصار فجاءه بمضربه وهو نائم بين اصحابه اخر سنة ست واربعماية فبايعت صنهاجة لابنه المعز صبيا ابن ثمانى سنين وتلاقوا امر اشير وبعثوا كرامة بن المنصور لسدها فلم يقدر واقتحمها عليه حماد واحتملوا باديس على اعواده الى مدفنهم بالقيروان وبايعوا المعز البيعة العامة وزحف الى حماد ففضه بناحية باغية (4)

(1) On lit وهيل dans le ms. A ; le ms. B porte اليل — (2) Les manuscrits A et C portent بواد الطين — (3) Peut-être دافلتن — (4) Le ms. D porte باغاية

واشفق حماد فبعث ابنه القائد لاحكام الصلح بينه وبين المعز فوصل الى القيروان سنة ثمان واربعماية بهدية جليلة وامضى له المعز ما ساله من الصلح ورجع الى ابيه وهلك حماد سنة تسع عشرة واربعماية فقام بامره ابنه القائد وكان جبارا فاستعمل اخاه يوسف على المغرب وويغلان على حمزة بلد اختطه حمزة بن ادريس وزحف اليه حمامة بن زيرى بن عطية ملك فاس من مغراوة سنة ثلاثين فخرج اليه القائد وسرب الاموال فى زناتة واحس بذلك حمامة فصالحه ودخل فى طاعته ورجع الى فاس وزحف اليه المعز من القيروان سنة اربع وثلاثين وحاصره مدة طويلة ثم صالحه القائد وانصرف الى اشير فحاصرها ثم اقلع عنها وانكفا راجعا وراجع القائد طاعة العبيديين لما نقض عليهم المعز ولقبوه شرف الدولة وهلك سنة ست واربعين وولى ابنه محسن وكان جبارا وخرج عليه عمه يوسف ولحق بالمغرب فقتل سائر اولاد حماد وبعث محسن فى طلبه بلكين ابن عمه محمد بن حماد واصحبه من العرب خليفة بن مكن وعطية الشريف وامرهما بقتل بلكين فى طريقهما فاخبرا بلكين بذلك وتعاهدوا جميعا على قتل محسن ونذر بهم ففر الى القلعة وادركوه فقتله بلكين لتسعة اشهر من ولايته وولى الامر سنة سبع وثلاثين (1) وكان شهما قدما حازما سفاكا للدماء وقتل وزير محسن الذى تولى قبله وفى ايامه قتل جعفر بن ابى رمان مقدم بسكرة لما احس بنكثه فخالف اهل بسكرة باثر ذلك حسبما نذكره ثم مات اخوه مقاتل بن محمد فاتهم به زوجته تانميرت بنت عمه علناس بن حماد فقتلها واحفظ ذلك اخاها الناصر وطوى على النث وكان بلكين كثيرا ما يردد الغزو الى المغرب وبلغه استيلاء يوسف بن تاشفين والمرابطين على المصامدة فنهض نحوهم سنة اربع وخمسين وفر المرابطون الى الصحراء وتوغل بلكين فى ديار المغرب ونزل بفاس واحتمل

(1) Il faut sans doute lire واربعين

من اكابر اهلها واشرافها رهنا على الطاعة وانكفا راجعا الى القلعة فانتهز منه الناصر ابن عمه الفرصة فى الثار باخيه ومالاه قومه من صنهاجة لما لحقهم من تكلف المشقة بابعاد الغزو والتوغل فى ارض العدو فقتله بتسالة سنة اربع وخمسين وقام بالامر من بعده واستوزر ابا بكر بن الفتوح وعقد على المغرب لاخيه كباب وانزله مليانة وعلى حمزة لاخيه رومان وعلى نقاوس لاخيه خزر وكان المعز قد هدم سورها فاصلحه الناصر وعقد على قسنطينة لاخيه بلبار وعلى الجزائر ومرسى الدجاج لابنه عبد الله وعلى اشير لابنه يوسف وكتب اليه حمّو بن مليل البرغواطى من صفاقس بالطاعة وبعث اليه بالهدية ووفد عليه اهل قسطيلية (1) ومقدمهم يحيى بن واطاس فاعلنوا بطاعته واجزل صلتهم وردهم الى اماكنهم وعقد عليها ليوسف بن خلوف من صنهاجة ودخل اهل القيروان ايضا فى طاعته وكذلك اهل تونس وكان اهل بسكرة لما قتل بلكين مقدمهم جعفر بن ابى رمان خلعوا طاعة ال حماد واستبدوا بامر بلدهم وعليهم بنو جعفر فسرح الناصر اليهم خلف ابن ابى حيدرة وزيره ووزير بلكين قبله فنازلها وافتتحها عنوة واحتمل بنى جعفر فى جماعة من روسائها الى القلعة فقتلهم الناصر وصلبهم ثم قتل خلف بن ابى حيدرة بسعاية رجالات صنهاجة فيه انه لما بلغه خبر بلكين اراد تولية اخيه معمر وشاورهم فى ذلك فقتله الناصر وولى مكانه احمد بن جعفر بن افلح ثم خرج الناصر ليتفقد المغرب فوثب على بن ركان على تافربوست (2) دار ملكهم وكان لما قتل بلكين هرب الى اخواله من عجيسة واهتبلوا الغرة فى تافربوست لغيبة الناصر فطرقوها ليلا وملكها على فرجع الناصر من المسيلة وعاجلهم فسقط فى ايديهم وافتتحها عليهم عنوة

(1) Le ms. B porte قسنطينة — (2) Dans le ms. E, ce nom est écrit تاقريوست. Le ms. A porte تامدفوست

وذبح على بن ركان نفسه بيده ثم وقعت بين العرب الهلاليين فتن
وحروب ووفد عليه رجالات الاثبج صريخا به على رياح فاجابهم ونهض الى
مظاهرتهم فى جموعه من صنهاجة وزناتة حتى نزل الاربس وتواقعوا بسبيبة
فغدرت به زناتة وجروا عليه وعلى قومه الهزيمة بدسيسة من المعز بن زيرى
ابن عطية واغراء تميم بن المعز فانهزم الناصر واستباحوا خزائنه ومضاربه
وقتل اخوه القاسم وكاتبه ونجا الى قسنطينة فى اتباعه ثم لحق بالقلعة فى
فل من عسكره لم يبلغوا مايتين وبعث وزيره ابن ابى الفتوح للاصلاح فعقد
بينه وبينهم صلحا وتممه الناصر ثم وفد عليه رسول تميم وسعى عنده
بالوزير ابن ابى الفتوح وانه مايل الى تميم فنكبه وقتله وكان المنتصر بن خزرون
الزناتى خرج فى ايام الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر ووصل الى طرابلس
فوجد بنى عدى بها قد اخرجهم الاثبج وزغبة من افريقية كما ذكرناه فرغبهم فى
بلاد المغرب وسار بهم حتى نزل المسيلة ودخلوا اشير وخرج اليه الناصر
ففر الى الصحراء ورجع الى مكانه من الافساد فراسله الناصر فى الصلح
فاسعفه واقطعه ضواحى الزاب وريغة واوعز الى عروس بن سندى رئيس
بسكرة لعهده وولى دولته ان يمكر به فوصل المنتصر الى بسكرة وخرج
اليه عروس بن سندى واحمد نزله واشار على حشمه عند اكباب المنتصر
وذويه على الطعام فبادروا مكبين لطعنه وفر اتباعه واحتزوا راسه وبعثوا به
الى الناصر فنصبه ببجاية وصلب شلوه بالقلعة وجعلوه عظة لغيره وقتل
كثير من روساء زناتة فمن مغراوة ابو الفتوح بن حبوس امير بنى سنجاس
وكانت له بلد لمدية ولمدية قبيل من بطون صنهاجة سميت البلد بهم وقتل
معتصر بن حماد منهم ايضا وكان بناحية شلف فاجلب على عامل مليانة
وقتل شيوخ بنى ورسيفان من مغراوة مكاتبهم السلطان لما كان مشتغلا
عنهم بشان العرب فزحفوا الى معتصر وقتلوه وبعثوا براسه الى الناصر فنصبه

مع راس المنتصر وبعث اليه اهل الزاب ان غمرت (1) ومغراوة ظاهروا الاثبج من العرب على بلادهم فبعث ابنه المنصور فى العساكر ونزل وغلان (2) بلد المنتصر بن خزرون وهدمها وبعث سراياه وجيوشه الى بلد وركلا وولى عليها وقفل بالغنائم والسبى وبلغه عن بنى توجين من زناتة انهم ظاهروا بنى عدى من العرب على الفساد وقطع السبيل واميرهم اذذاك مناد بن عبد الله فبعث ابنه المنصور اليهم فى العساكر وتقبض على امراء بنى عدى ساكن بن عبد الله وحميد بن حرعل (3) ولاحق بن جهان وتقبض ايضا على مناد بن عبد الله (4) امير بنى توجين واخيه زيرى وعميهما الاغلب وحمامة واحضرهم فوبخهم وقرر عليهم فعلته فى اجارتهم من اولاد القاسم روساء بنى عبد الواد وقتلهم جميعا على الخلاف وفى سنة ستين افتتح جبل بجاية وكان له (5) قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم الا ان الكاف فيه بلغتهم ليست كافا بل هى بين الجيم والكاف وهذا القبيل من صنهاجة باقون لهذا العهد اوزاعا فى البربر فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة وسماها الناصرية وتسمى عند الناس باسم القبيلة (6) وهى بجاية وبنى بها قصر اللولوة وكان من اعجب قصور الدنيا ونقل اليها الناس واسقط الخراج عن ساكنيها وانتقل اليها سنة احدى وستين وفى ايام الناصر هذا كان استفحال ملكهم وشفوفه على ملك بنى باديس اخوانهم بالمهدية لما اضرع منهم الدهر بفتنة العرب الهلاليين حتى اضطرب عليهم مرهم وكثر الثوار عليهم والمنازعون من اهل دولتهم فاعتز ال حماد هولاء ايام الناصر هذا وعظم شان ايامهم فبنى المبانى العجيبة المونقة وشيد المدائن العظيمة وردد الغزو الى الغرب

(1) Les mss. A, B et D portent عمرت — (2) On lit وعلان dans les mss. A et E. — (3) Le ms. C porte خزعل et le ms. A جرعل — (4) Le ms. C porte مناد بن عباس بن دافلتن — (5) Je lis به — (6) Ce mot est omis dans les mss. A, B, C et E.

وتوغل فيه ثم هلك سنة احدى وثمانين وقام بالامر من بعده ابنه المنصور ابن الناصر ونزل بجاية سنة ثلاث وثمانين واوطنها بعساكره وخاصته بعدا عن منازل العرب وما كانوا يسومونهم بالقلعة من خطة الخسف وسوء العذاب بوطىء ساحتها والعيث فى نواحيها وتخطف الناس من حولها لسهولة طرقها على رواحلهم وصعوبة المسالك عليها فى الطريق الى بجاية لمكان الاوعار فاتخذ من بجاية هذه معقلا وصيرها دارا لملكه وجدد قصورها وشيد جامعها وكان المنصور هذا جمّاعة مولعا بالبناء وهو الذى حضر ملك بنى حماد وتانق فى اختطاط المبانى وتشييد المصانع واتخاذ القصور واجراء المياه فى الرياض والبساتين فبنا فى القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام وفى بجاية قصر اللولوة وقصر اميميون وكان اخوه بلباز (1) على قسنطينة منذ عهد الناصر ابيهما وهو بالاستبداد لاول دولة المنصور فسرح اليه ابا يكنى (2) ابن محسن بن القائد فى العساكر وعقد له على قسنطينة وبونة فتقبض على بلباز واشخصه الى القلعة واقام واليا على قسنطينة مكانه وولى اخاه ويغلان على بونة ثم بدا له فى الخلاف على المنصور وثار بقسنطينة سنة سبع وثمانين وبعث اخاه من بونة الى تميم بن المعز بالمهدية واستدعاه لولاية بونة فبعث معه ابنه ابا الفتوح بن تميم ونزل بونة مع ويغلان وكاتبوا المرابطين بالمغرب الاقصى وجمعوا العرب على امرهم وسرح المنصور عساكره فحاصروا بونة سبعة اشهر ثم اقتحموها غلابا وتقبضوا على ابى الفتوح بن تميم وبعثوا به الى المنصور فاعتقله بالقلعة ثم نازلت عساكره قسنطينة واضطربت احوال ابى يكنى (3) فخرج الى قلعة بجبل اوراس وتحصن بها وترك

(1) On lit بلبار dans les mss. C et D. — (2) L'orthographe de ce nom diffère dans les mss. On y lit بكر , بكنى , بكن , يكى et يكن. — (3) Le ms. B porte بنى ابى بكنى Dans le ms. A on lit ابن ابى يكى.

بقسنطينة صُلَيْصل بن الاحمر من رجالات الاثبج وداخل صليصل المنصور فى ان يمكنه من قسنطينة على مال يبذله ففعل واستولى عليها المنصور واقام ابويكنى بحصنه من اوراس وردد الغارة على قسنطينة فتوجهت اليه العساكر وحاصروه بقلعته ثم اقتحموها عليه وقتلوه وكان بنو وماتوا من زناتة حيا جميعا وقوما اعزة وكانت اليهم رياسة زناتة وكان رئيسهم لعهده ماخوخ وكان بينهم وبين ال حماد صهر فكانت احدى بناتهم زوجة للناصر وكانت اخرى عند المنصور ولما تجددت الفتنة بينه وبين قومها اغزاهم المنصور بنفسه فى جموع صنهاجة وحشوده وجمع له ماخوخ ولقيه فى زناتة فانهزم المنصور ورجع الى بجاية فقتل اخت ماخوخ التى كانت تحته واستحكمت النفرة بين ماخوخ وبينه وسار الى ولاية امراء تلمسان من لمتونة وحرضهم على بلاد صنهاجة فكان ذلك مما دعا المنصور الى النهوض الى تلمسان وذلك ان يوسف ابن تاشفين لما ملك المغرب واستفحل به امره سما الى ملك تلمسان فغلب عليها اولاد يعلى سنة اربع وسبعين على ما ياتى ذكره وانزلها محمد بن تينَعْمَر المسوفى وصيرها ثغرا لملكه فاضطلع بامرها ونازل بلاد صنهاجة وثغورهم فزحف اليه المنصور واخرب ثغوره وحصون ماخوخ وضيق عليه فبعث اليه يوسف بن تاشفين وصالحه وقبض ايدى المرابطين عن بلاد صنهاجة ثم عاود المرابطون الى شانهم فى بلاده فبعث ابنه الامير عبد الله وسمع به المرابطون فانقبضوا عن بلاده ورجعوا الى مراكش واحتل هو بالمغرب الاوسط فشن الغارة فى بلاد بنى ومانوا وحاصر الجعبات وفتحها ثم مرات كذلك وعفا عن اهلها ورجع الى ابيه ثم وقعت الفتنة بينه وبين ماخوخ وقتل اخته ولحق ابن ماخوخ بتلمسان فظاهره ابن تينعمر صاحب تلمسان على امره واجلبوا على الجزائر فنازلوها يومين مات عقيبها محمد بن تينعمر وولى يوسف بن تاشفين مكانه اخاه تاشفين بن تينعمر فنهض

الى اشير وافتتحها فقام المنصور فى ركائبه وقعد واستنفر كافة صنهاجة ومن العرب احياء الاثبج وزغبة وربيعة وهم المعقل ومن زناتة امم كثيرة ونهض الى غزو تلمسان سنة ست وتسعين فى نحو عشرين الفا ونزل وادى اسطفسيف وبعث العساكر فى مقدمته وجاء على اثرهم وكان تاشفين قد افرج عن تلمسان وخرج الى تسالة ولقيه عساكر المنصور فهزموه ونجا الى جبل الصخرة وعاثت عساكر المنصور فى تلمسان فخرجت اليه حوا زوجة تاشفين اميرهم متذممة راغبة فى الابقاء متوسلة بوشائج الصنهاجية فاكبر قصدها اليه واكرم موصلها وافرج عنهم صبيحة يومه وانكفا راجعا الى حضرته بالقلعة واثخن بعدها فى زناتة وشردهم بنواحى الزاب والمغرب الاوسط ورجع الى بجاية فاثخن فى نواحيها ودوخت عساكره قبائلها فساروا فى جبالها المنيعة مثل بنى عمران وبنى تازروت (1) والمنصورية والصهريج (2) والباطور (3) وحجر المعز وقد كان اسلافه يرومون كثيرا منها فتمتنع عليهم فاستقام امره واستفحل ملكه وقدم عليه معز الدولة بن صمادح من المرية فارا امام المرابطين لما ملكوا الاندلس فنزل على المنصور واقطعه تدلس وانزله بها وهلك سنة ثمان وتسعين فولى من بعده ابنه باديس فكان شديد الباس عظيم السطو فنكب عبد الكريم بن سليمان وزير ابيه لاول ولايته وخرج من القلعة الى بجاية فنكب سهاما عامل بجاية وهلك قبل ان يستكمل سنته وولى من بعده اخوه العزيز وقد كان عزله عن الجزائر وغربه الى جيجل فبعث عنه القائد على بن حمدون فوصل وبايعوه وصالح زناتة واصهر الى ماخوخ فانكحه ابنته وطال امد ملكه وكانت ايامه هدنة وامنا وكان العلماء يتناظرون فى مجلسه ونازلت اساطيله جربة ونزلوا على حكمه

(1) Le ms. A porte يازروت et le ms. B بازروت — (2) Le ms. B porte الهريج — (3) Telle est la leçon des mss. A et D ; les mss. E et C portent الناطور

واخذوا بطاعته ونزل تونس وصالحه صاحبها احمد بن عبد العزيز واخذ بطاعته وكبس العرب فى ايامه بالقلعة وهم غارون واكتسحوا جميع ما وجدوه بظواهرها وعظم عيثهم وقاتلهم الحامية فغلبوهم واجحروهم بالبلد ثم ارتحل العرب وبلغ الخبر الى العزيز فبعث ابنه يحيى وقائده على بن حمدون من بجاية فى عسكر وتعبية فوصل الى القلعة وسكن الاحوال ووفد امراء العرب واستعتبوا فاعتبوا وانكفا يحيى راجعا الى بجاية فى عسكره وعلى عهد العزيز هذا كان وصول مهدى الموحدين الى بجاية قافلا من المشرق سنة ثنتى عشرة وغير بها المنكر فسعى به عند العزيز وائتمر به فخرج الى بنى ورياكل من صنهاجة كانوا ساكنين بوادى بجاية فاجاروه ونزل عليهم بملالة واقام بها يدرس العلم وطلبه العزيز فمنعوه وقاتلوا دونه الى ان رحل عنهم الى المغرب وهلك العزيز سنة خمس عشرة وخمسماية (1) وولى من بعده ابنه يحيى وطالت ايامه مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد على حين انقراض الدولة وذهاب الايام بقبائل صنهاجة واستحدث السكة ولم يحدثها احد من قومه ادبا مع خلفائهم العبيديين ونقل ابن حماد وان سكته فى الدينار كانت ثلاث سطور ودائرة فى كل وجه فدائرة الوجه الواحد واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون والسطور لا اله الا الله محمد رسول الله يعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله الامير المنصور ودائرة الوجه الاخر بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث واربعين وخمساية وفى سطوره الامام ابو عبد الله المقتفى لامر الله امير المومنين العباسى ووصل سنة ثلاث واربعين الى القلعة لافتقادها ونقل ما بقى بها وانتقض عليه بتوزر ابن فرقان فجهز اليه الفقيه مطرف بن على بن حمدون فى العساكر فافتتحها عنوة وتقبض على ابن فرقان فاوصله اليه فحبسه

(1) Tous les manuscrits portent اربعماية

بالجزائر الى ان هلك فى معتقله وقيل قتله وبعث مطرفا ثانية الى تونس فافتتحها ونازل فى وجهته هذه المهدية فامتنعت عليه ورجع الى بجاية وتغلب النصارى على المهدية وقصده الحسن صاحبها فاجازه الى الجزائر وانزله بها مع اخيه القائد حتى اذا زحف الموحدون الى بجاية وفر القائد من الجزائر واسلمها قدموا الحسن على انفسهم ولقى عبد المومن فامنهم واخرج يحيى بن العزيز اخاه سبع للقاء الموحدين فانهزم وملك الموحدون بجاية وركب يحيى البحر الى صقلية يروم الاجازة منها الى بغداد ثم عدل الى بونة فنزل على اخيه الحارث ونكر عليه سوء صنيعه وافراجه عن البلاد فارتحل عنه الى قسنطينة فنزل على اخيه الحسن فتخلى له عن الامر وفى خلال ذلك دخل الموحدون القلعة عنوة وقتل جوشن بن العزيز وابن الدحاس من الاثبج معه وخربت القلعة ثم بايع يحيى لعبد المومن سنة سبع واربعين ونزل عن قسنطينة واشترط لنفسه فوفى له ونقله الى مراكش فسكنها ثم انتقل الى سلا سنة ثمان وخمسين فسكن قصر بنى عشرة الى ان هلك فى سنته واما الحارث بن العزيز صاحب بونة ففر الى صقلية واستصرخ صاحبها فصارخه على امره ورجع الى بونة وملكها ثم غلبه عليها الموحدون وقتلوه صبرا وانقرض ملك بنى حماد والبقاء لله وحده ولم يبق من قبائل تكلاتة الا اوزاع بوادى بجاية ينتسبون اليهم وهم لهذا العهد فى عداد الجند ولهم اقطاع بنواحى البلد على العسكرة فى جملة السلطان ومع قواده والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن ملوك بنى حبّوس بن ماكسن بن زيرى من صنهاجة بغرناطة من عدوة الاندلس واولية ذلك ومصائره

لما استبد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيرى بن مناد بولاية افريقية سنة خمس وثمانين ولى عمومته وقرابته ثغور عمله فانزل حمادا باشير واخاه يطوفت بتاهرت وزحف زيرى بن عطية صاحب فاس من مغراوة بدعوة المؤيد هشام خليفة قرطبة الى عمل صنهاجة فى جموع زناتة ونازل تاهرت وسرح باديس عساكره لنظر محمد بن ابى العرب فالتقوا على تاهرت وانهزم صنهاجة فزحف باديس بنفسه للقائهم وخالف عليه فلفول بن سعيد بن خزرون صاحب طبنة ثم اجفل زيرى بن عطية امامه ورجع الى المغرب فرجع باديس الى القيروان وترك عمومته اولاد زيرى باشير مع حماد واخيه يطوفت وهم زاوى وجلال وعرم ومعنين (1) فاجمعوا على الخلاف والخروج على باديس سنة ست وثمانين فاسلموا حمادا برمته واستولوا على جميع ما معه واتصل الخبر بابى البهار بن زيرى وهو مع باديس فخشيه على نفسه ولحق بهم واجتمعوا فى الخلاف وشغل باديس عنهم بحرب فلفول بن سعيد ويانس مولى الحاكم القادم على طرابلس من قبله وانفسح مجالهم فى الفساد والعيث ووصلوا ايديهم بفلفول وعاقدوه ثم رجع ابو البهار عنهم الى باديس فتقبله وصفح له ثم رجعوا الى حماد سنة احدى وتسعين ولقيهم فهزمهم وقتل ماكسن وابنه ولحق زاوى بجبل شنّون من ساحل مليانة واجاز البحر الى الاندلس فى بنيه وبنى اخيه وحاشيته ونزل على المنصور بن ابى عامر صاحب الدولة وكافل الخلافة

(1) Le ms. B porte مغنين

الاموية فاحسن نزلهم واكرم وفادتهم واصطنعهم لنفسه واتخذهم بطانة لدولته واولياء على ما يرومه من قهر الدولة والتغلب على الخلافة ونظمهم فى طبقات زناتة وسائر رجالات البربر الذين ادال بجموعهم من جنود السلطان وعساكر الاموية وقبائل العرب فاستغلظ امر صنهاجة بالاندلس واستفحلت امارتهم وحملوا دولة المنصور بن ابى عامر وولديه المظفر والناصر من بعده على كاهلهم ولما انقرض امرهم واضمحلت دولتهم ونشات الفتنة بالاندلس بين البرابرة واهلها فكان زاوى كبش تلك الوقائع ومحش حروبها وتمرس بقرطبة هو وقومه صنهاجة وكافة زناتة والبربر حتى اثبتوا قدم خليفتهم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر الذى اتوه بيعتهم واعطوه على الطاعة صفقتهم كما ذكرناه فى اخباره ثم اقتحموا به قرطبة عنوة واصطلموا نعمة اهلها وانزلوا المعرات بذوى الصون منها وبيوتات الستر من خواصها تحدث الناس فى ذلك باخبار وتوصل زاوى عند استباحة قرطبة الى راس ابيه زيرى بن مناد المنصوب بجدران قصر قرطبة فازاله واصاره الى قومه ليدفن فى جدثه ثم كان شان بنى حمود من العلوية فافترق امر البرابرة واضطرمت الاندلس نارا وامتلات جوانبها فتنة وانتزى الرؤساء من البرابرة ورجالات الدولة على النواحى والامصار فملكوها وتحيزت صنهاجة الى ناحية البيرة فكانت ضواحيها لهم وحصل عليها استيلاؤهم وزاوى يومئذ عميد البرابرة فنزل غرناطة واتخذها دارا لملكه ومعتصما لقومه ثم وقع فى نفسه سوء اثار البربر بالاندلس ايام الفتنة وحذر مغبة الفعلة واستفاضة (1) الدولة فاعتزم على الرحلة واوى الى سلطان قومه بالقيروان سنة عشر واربعماية بعد مغيبة عشرين ستة ونزل على المعز بن باديس حافد اخيه بلكين انحل ما كانت دولتهم بافريقية واترف واوسع ملكا واوفر عددا فلقيه المعز باحسن احوال البرور والتجلة

(1) On lit dans les mss. B et E واستفاضت ; le ms. A porte واستعاصة

وانزله ارفع المنازل من الدولة وقدمه على الاعمام والقرابة واسكنه بقصره وابرز الحرم للقائه فيقال انه لقيه من ذوات محارمه الف امراة لا تحل له واحدة منهن وورى راس ابيهم مع شلوه بجدثه وكان استخلف على عمله ابنه وكان يضطغن لاهل غرناتة فانتقضوا عليه وبعثوا عن حبوس ابن عمه ماكسن بن زيرى مكانه ببعض حصون عمله فبادر اليهم نزل بغرناطة وبايعوه واستجد بها ملكا وكان من اعظم ملوك الطوائف بالاندلس الى ان هلك سنة تسع وعشرين وولى من بعده ابنه باديس بن حبوس وتلقب بالمظفر ولم يزل مقيما لدعوة الحموديين امراء مالقة بعد تخلفهم عن قرطبة سائر ايامه وزحف اليه العامرى صاحب المرية سنة تسع وعشرين فلقيه باديس بظاهر غرناطة فهزمه وقتله وطالت ايامه ومد ملوك الطوائف ايديهم جميعا الى مدده وفكان ممن استمده محمد بن عبد الله البرزالى لما حاصره اسماعيل بن القاضى بن عباد بعساكر ابيه فامده باديس بنفسه وقومه وسار الى صريخه مع ابن بقنّة قائد ادريس بن حمود صاحب مالقة سنة احدى وثلاثين ورجعوا من طريقهم وطمع اسماعيل فيهم فاتبعهم ولحق بباديس فى قومه فاقتتلوا وفر عسكر اسماعيل واسلموه فقتله صنهاجة وحمل راسه الى ابن حمود وكان القادر بن ذى النون صاحب طليطلة ايضا يستدفع به وبقومه استطالة ابن عباد وعدوانه وباديس هذا هو الذى مصر غرناطة واختط قصبتها وشيد قصورها وحصن اسوارها واثاره فى مبانيها ومصانعها باقية لهذا العهد واستولى على مالقة عند انقراض بنى حمود سنة تسع واربعين واضافها الى عمله وهلك سنة سبع وستين وقد ظهر امر المرابطين بالمغرب واستفحل ملك يوسف بن تاشفين فولى من بعده حافده عبد الله بن بلكين بن باديس وتلقب المظفر وعقد لاخيه تميم على مالقة فاستقام امرهما الى ان اجاز يوسف بن تاشفين الى العدوة اجازته المعروفة كما نذكره فى اخباره

ونزل بغرناطة سنة ثلاث وثمانين فتقبض على عبد الله بن بلكين واستصفى اموالَه وذخيرته ولحق به اخاه تميما من مالقة واشخصهما الى العدوة فانزل عبد الله باغمات وتميما بالسوس الاقصى واقطع لهما الى ان هلكوا فى ايالته ويزعم بنو النامسى من بيوتات طنجة لهذا العهد انهم من اعقابهم فاضمحل ملك تلكاتة من صنهاجة من افريقية والاندلس اجمع والبقاء لله وحده

الطبقة الثانية من صنهاجة وهم الملثمون وما كان لهم بالمغرب من الملك والدول

هذا الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ابعدوا فى المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف اولها فاصحروا عن الارياف وجدوا بها المراد وهجروا التلول وحبوبها واعتاضوا منها بالبان الانعام ولحومها انتباذا عن العمران واستئناسا بالانفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر فتولوا من ريف الحبسة جوارا وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الامم وعفوا فى تلك البلاد وكثروا وتعددت قبائلهم من كدالة فلمتونة فمسّوفة فوتزيلة (1) فتاركا فزغاوة ثم لمطة اخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب الى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة وللمتونة فيهم بطون كثيرة منهم بنو ورتنطق (2) وبنو نيال وبنو مولان وبنو ناسجة وكان موطنهم من بلاد الصحراء يعرف كاكدم وكان دينهم جميعا المجوسية شان من برابرة المغرب ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات حتى كان اسلامهم بعد فتح الاندلس وكانت

(1) La ponctuation de ce nom est incertaine. — (2) Le ms. B porte ورتنطن

الرياسة فيهم للمتونة واستوسق لهم ملك ضخم مذ دولة عبد الرحمن بن معاوية الداخل توارثه ملوك منهم مذكورون كان منهم تلاكاكين بن وَرَكُوت او اراكن بن ورتنطق جد ابى بكر بن عمر امير لمتونة فى مبتدا دولتهم وطالت اعمارهم فيه الى الثمانين ونحوها ودوخوا تلك البلاد الصحراوية وجاهدوا من بها من امم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به كثيرهم واتقاهم اخرون بالجزى فقبلوها منهم وملك عليهم بعد تلاكاكين المذكور تيلوتان قال ابن ابى زرع اول من ملك الصحراء من لمتونة تيلوتان فدوخ بلاد الصحراء واقتضى مغارم السودان وكان يركب فى ماية الف نجيب وتوفى سنة ثنتين وعشرين ومايتين وملك بعده يلتّان (1) وقام بامرهم وتوفى سنة سبع وثمانين ومايتين وقام بامرهم بعده ابنه تميم الى سنة ست وثلاثماية وقتله صنهاجة وافترق امرهم انتهى كلام ابن ابى زرع وقال غيره كان من اشهرهم تينَزْوَا بن واشنيق بن بزار وقيل برويان ابن واشنق بن يزار ملك الصحراء باسرها على عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر فى الماية الرابعة وفى عصر عبيد الله وابنه ابى القاسم من خلفاء الشيعة كان يركب فى ماية الف نجيب وعمله مسيرة شهرين فى مثلها ودان له عشرون ملكا من ملوك السودان يعطونه الجزى وملك بعده بنوه ثم افترق امرهم من بعد ذلك وصار ملكهم طوائف ورياستهم شعبا قال ابن ابى زرع افترق امرهم بعد تميم بن يلتان ماية وعشرين سنة الى ان قام فيهم ابو عبد الله بن تيفاوت المعروف بنارشت اللمتونى فاجتمعوا عليه وقدموه (2) وكان من اهل الدين والصلاح وحج وهلك لثلاثة اعوام من رياسته فى بعض غزواته وقام بامرهم صهره يحيى بن ابراهيم الكدالى وبعده يحيى بن عمر بن تلاكاكين انتهى كلامه وكان لهذه الطبقة ملك ضخم بالمغرب والاندلس اولا وبافريقية بعده نذكره الان على نسقه

(1) Le ms. A porte بليان — (2) Les mss. portent tous وكذبوه. Je suis la leçon du *Cartas*.

الخبر عن دولة المرابطين من لمتونة وما كان لهم بالعدوتين من الملك واولية ذلك ومصائـــــره

كان هولاء الملثمون فى صحاريهم كما قلناه وكانوا على دين المجوسيـة الى ان ظهر فيهم الاسلام لعهد المائة الثالثة كما ذكرناه وجاهدوا جيرانهم من السودان عليه فدانوا لهم واستوسق لهم الملك ثم افترقوا وكان رياسة كل بطن منهم فى بيت مخصوص فكانت رياسة لمتونة فى بنى ورتانطق بن منصور بن مصـالة بن منصور بن مصالة (1) بن اميت بن واتمال بن تلميت وهو لمتونة ولما افضت الرياسة الى يحيى بن ابراهيم الكدالى (2) وكان له صهر فى بنى ورتانطق هولاء وتظاهروا على امرهم وخرج يحيى بن ابراهيم لقضاء فرضه فى رؤساء من قومه فى سنى اربعين واربعماية فلقوا فى منصرفهم بالقيروان شيخ المذهب المالكى ابا عمران الفاسى واغتنموا ما متعوا به من هدية وما شافههم به فى فروض اعيانهم من فتاويه وساله الامير يحيى ان يصحبهم من تلميذه من يرجعون اليـه فى نوازلهم وقضايا دينهم فندب تلميذه الى ذلك حرصا على ايصال الخير اليهم لما راى من رغبتهم فيه فاستوعروا مسغبة بلادهم وكتب لهم الفقيه ابو عمران الى الفقيه محمد واكاك بن زلوا اللمطى بسجلماسة من الاخذين عنه وعهد اليه ان يلتمس لهم من يثق بدينه وفقهه ويروض نفسه على مسغبة ارضهم فى معاشه فبعث معهم عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولى ورحل معهم يعلمهم القران ويقيم لهم الدين ثم هلك يحيى بن ابراهيم وافترق امرهم وطرحوا عبد الله بن ياسين واستصعبوا عليه وتركوا الاخذ عنه لما تجشموا

(1) Dans les tables généalogiques, ces deux noms ne sont pas répétés. — (2) Ms. E الكدالى

فيه من مشاق التكليف فاعرض عنهم وترهب ونسك معه يحيى بن عمر بن
تلاكاكين من رؤساء لمتونة واخوه ابو بكر وانتبذوا عن الناس فى ربى
يحيط بها بحر النيل من جهاتها ضحضاحا فى الصيف وغمرا فى الشتاء
فتعود جزرا منقطعة فدخلوا فى غياضها منفردين للعبادة وتسامع بهم من
فى قلبه مثقال حبة من خير فتسايلوا اليهم ودخلوا فى دينهم وتخنثهم ولما
كمل معهم الف من رجالات لمتونة قال لهم شيخهم عبد الله بن ياسين أن الفا
لن تغلب من قلة وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه وحمل الكافة
عليه فاخرجوا بنا لذلك فخرجوا وقاتلوا من استعصى عليهم من قبائل لمتونة
وكدالة ومسوفة حتى انابوا الى الحق واستقاموا على الطريقة واذن لهم فى اخذ
الصدقات من اموال المسلمين وسماهم بالمرابطين وجعل امرهم فى الحرب الى
لامير يحيى بن عمر فتخطوا الرمال الصحراوية الى بلاد درعة وسجلماسة
فاعطوهم صدقاتهم وانقلبوا ثم كتب اليهم واكاك اللمطى بما نال
المسلمين فيما اليه من العسف والجور من بنى وانودين امراء سجلماسة من
مغراوة وحرصهم على تغيير امرهم فخرجوا من الصحراء سنة خمس واربعين
واربعماية فى عدد ضخم ركبانا على المهارى اكثرهم وعمدوا الى درعة لابل كانت
بالحما هنالك وكانت تناهز خمسين الفا او نحوها ونهض اليهم مسعود بن
وانودين امير مغراوة وصاحب سجلماسة ودرعة لمدافعتهم عنها وعن بلاده
فتواقعوا وانهزم ابن وانودين وقتل واستلحم عسكره ونفلهم الله اموالهم
واسلحتهم ودوابهم وابل الحما التى كانت ببلاد درعة وقصدوا سجلماسة ودخلوها
غلابا وقتلوا من كان بها من فل مغراوة واصلحوا من احوالها وغيروا المنكرات
واسقطوا المغارم والمكوس واقتضوا الصدقات واستعملوا عليها منهم وعادوا الى
صحرائهم فهلك يحيى بن عمر سنة سبع واربعين وقدم مكانه اخاه ابا بكر
وندب المرابطين الى فتح المغرب فغزا بلاد السوس سنة ثمان واربعين

وافتتح ماسة وتارودنت وجميع معاقله ثم افتتح مدينة اغمات سنة تسع واربعين وفر اميرها لقوط بن يوسف بن على المغراوى الى تادلا واستضاف الى بنى يفرن بها ثم افتتح المرابطون بلاد المصامدة بجبال دون وجاسوا خلالها سنة خمسين ثم اغزوا تادلا فاستباحوها واستلحموا بنى يفرن ملوكها وقتل معهم لقوط بن يوسف المغراوى صاحب اغمات وتزوج امراته زينب بنت اسحق النفزاوية وكانت مشهورة بالجمال والرياسة وكانت قبل لقوط عند يوسف ابن على بن عبد الرحمن بن واطاس وكان شيخا على وريكة وهزرجة وهيلانة فى دولة ايمغارن فى بلاد المصامدة وهم الشيوخ وتغلب بنو يفرن على وريكة وملكوا اغمات فتزوج لقوط زينب هذه ثم تزوجها بعده ابو بكر بن عمر كما ذكرنا ثم دعا المرابطين الى جهاد برغواطة الذين كانوا بتامسنا وانفا وجهات الريف الغربى فكانت لهم فيهم وقائع وايام استشهد عبد الله بن ياسين فى بعضها سنة خمسين وقدم المرابطون بعده سليمان بن عدوّ ليرجعوا اليه فى قضايا دينهم واستمر ابو بكر بن عمر فى امارة قومه على جهادهم حتى استاصل شافتهم ومحا اثر دعوتهم من المغرب وهلك فى جهادهم سليمان بن عدو سنة احدى وخمسين لسنة من وفاة عبد الله بن ياسين ثم نازل ابو بكر مدينة لواتة واقتحمها عنوة وقتل من كان بها من زناتة سنة ثنتين وخمسين وبلغه وهو لم يستتم فتح المغرب بعد ما وقع من الخلاف بين لمتونة ومسوفة ببلاد الصحراء حيث اصل اعياصهم ووشائج اعراقهم ومنبع مددهم فخشى افترق الكلمة وانقطاع الوصيلة وتلافا امره بالرحلة واكد ذلك زحف بلكين بن محمد بن حماد صاحب القلعة الى المغرب سنة ثلاث وخمسين لقتالهم فارتحل ابو بكر الى الصحراء واستعمل على المغوب ابن عمه يوسف بن تاشفين ونزل له عن زوجه زينب بنت اسحاق ولحق بقومه ورفع ما كان بينهم من خرق الفتنة وفتح بابا من جهاد السودان حتى استولى على

نحو تسعين مرحلة من بلادهم واقام يوسف بن تاشفين باطراف المغرب ونزل بلكين صاحب القلعة فاس واخذ رهنها على الطاعة وانكفا راجعا فحينئذ صار يوسف بن تاشفين فى عسكره من المرابطين ودوخ اقطار المغرب ثم رجع ابو بكر الى المغرب فوجد يوسف بن تاشفين قد استبد عليه واشارت عليه زينب ان يريه الاستبداد فى احواله وان يعد له متاع الصحراء وماعونها ففطن لذلك الامير ابو بكر وتجافى عن المنازعة وسلم له الامر ورجع الى ارضه فهلك لمرجعه سنة ثمانين واربعماية واختط يوسف مدينة مراكش سنة اربع وخمسين ونزلها بالخيام وادار سورها على مسجد الصلاة وقصبة صغيرة لاحتراز امواله وسلاحه كمل تشييدها واسوارها على ابنه من بعده سنة ست وعشرين وخمسماية وجعل يوسف مدينة مراكش لنزله بالمعسكر وليتمرس بقبائل المصامدة المطيقة بمواطنهم بها فى جبال درن فلم يكن فى قبائل المغرب اذ ذاك اشد منهم قوة ولا اكثر جمعا ثم صرف عزمه الى مطالبة مغراوة وبنى يفرن وقبائل زناتة بالمغرب وجذب الحبل من ايديهم وكشف ما نزل بالرعايا من جورهم وعسفهم فقد كانوا من ذلك على قبح حدث المورخون فى اخبار مدينة فاس ودولتهم فيها بكثير منه فنزل اولا قلعة فازاز وبها مهدى ابن توالا من بنى يجفش قال صاحب نظم الجوهر وهم بطن من زناتة وكان ابوه توالا صاحب تلك القلعة ووليها هو من بعده فنازله يوسف بن تاشفين ثم استجاش به على فاس مهدى بن يوسف الكزنابى صاحب مكناسة بما كان عدوا لمعنصر المغراوى صاحب فاس فزحف فى عساكر المرابطين الى فاس وجمع اليه معنصر ففض جموعه وارتحل يوسف الى فاس وتقرى منازلها وافتتح جميع الحصون المحيطة بها واقام عليها اياما قلائل وظفر بعاملها بكار بن ابراهيم فقتله ثم نهض الى صفروى فافتتحها وقتل من كان بها من اولاد وانودين المغراوى ورجع الى فاس فافتتحها صلحا سنة خمس وخمسين ثم

خرج الى غمارة ونازلهم وفتح كثيرا من بلادهم واشرف على طنجة وبها سكوت البرغواطى الحاجب صاحب سبتة وبقية الامراء من موالى الحمودية واهل دعوتهم ثم رجع الى منازلة قلعة فازاز وخالفه معنصر الى فاس فاستولى عليها وقتل عامله بها واستدعى يوسف بن تاشفين مهدى بن يوسف صاحب مكناسة ليستجيش به على فاس فاستعرضه معنصر فى طريقه قبل ان تتصل ايديهما وناجزه الحرب ففض جموعه وقتله وبعث براسه الى وليه ومساهمه فى شدته الحاجب سكوت البرغواطى واستصرخ اهل مكناسة بالامير يوسف بن تاشفين فسرح عساكر لمتونة الى حصار فاس فاخذوا بمخنقها وقطعوا المرافق عنها والحوا بالقتال عليها فمسهم الجهد وبرز معنصر الى مناجزة عدوه لاحدى الراحتين فكانت الدائرة عليه وهلك واجتمع زناتة من بعده على القاسم بن محمد بن عبد الرحمن من ولد موسى بن ابى العافية كانوا ملوكا بتازى وتسول فزحفوا الى عساكر المرابطين والتقوا بوادى صفير فكان الظهور لزناتة واستلحم كثير من المرابطين واتصل خبرهم بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقلعة مهدى من بلاد فازاز فارتحل سنة ست وخمسين وترك عليها عسكرا من المرابطين وسار ينتقل فى بلاد المغرب فافتتح بنى مراسن ثم فندلاوة ثم بلاد ورغة سنة ثمان وخمسين ثم افتتح بلاد غمارة سنة ستين وفى سنة اثنتين وستين نازل فاس فحاصرها مدة ثم افتتحها عنوة وقتل بها زها ثلاثة الاف من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة وقبائل زناتة حتى اعوزت مواراتهم فرادى فاتخذ لهم الاخاديد وقبروا جماعات وخلص من نجا منهم من القتل الى بلاد تلمسان وامر بهدم الاسوار التى كانت فاصلة بين القرويين والاندلسيين من عدوتيها وصيرهما مصرا واحدا وادار عليهما الاسوار وحمل اهلها على الاستكثار من المساجد ورتب بناءها وارتحل سنة ثلاث وستين الى وادى ملوية فافتتح بلادها وحصون وطاط من نواحيها ثم نهض سنة خمس

وستين الى مدينة الدمنة فافتتحها عنوة ثم افتتح حصن علودان من حصون غمارة ثم نهض سنة سبع وستين الى جبال غياثة وبنى مكود من احواز تازى فافتتحها ودوخها ثم قسم المغرب عمالات على بنيه وامراء قومه وذويه ثم استدعاه المعتمد بن عباد الى الجهاد فاعتذر له بمكان الحاجب سكوت البرغواطى وقومه من اولياء الدولة الحمودية بسبتة فاعاد اليه ابن عباد الرسل بالمشايعة عليهم فجهز اليهم قائده صالح بن عمران فى عساكر لمتونة فلقيه سكوت الحاجب بظاهر طنجة فى قومه ومعه ابنه ضياء الدولة فانكشف وقتل الحاجب سكوت ولحق ابنه العزيز ضياء الدولة بسبتة وكتب صالح بن عمران بالفتح الى يوسف بن تاشفين ثم اغزا الامير يوسف بن تاشفين الى المغرب الاوسط سنة ثنتين وسبعين قائده مَزْدَلى بن تيلنكان (1) ابن محمد بن وركوت من عشيره فى عساكر لمتونة لمحاربة مغراوة ملوك تلمسان وبها يومئذ الامير العباس بن يحيى من ولد يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر فدوخوا المغرب الاوسط وساروا فى بلاد زناتة وظفروا بيعلى ابن الامير العباس فقتلوه وانكفوا راجعين من غزاتهم ثم نهض يوسف بن تاشفين سنة ثلاث بعدها الى الريف وافتتح كرسيف ومليلة وسائر بلاد الريف وخرب مدينة نكور فلم تعمر بعد ثم نهض فى عساكر المرابطين الى بلاد المغرب الاوسط فافتتح مدينة وجدة وبلاد بنى يزناسن ثم افتتح مدينة تلمسان واستلحم من كان بها من مغراوة وقتل العباس بن يحيى امير تلمسان وانزل محمد بن تينعمر المسوفى بها فى عسكر من المرابطين فصارت ثغرا لملكه ونزلا لعساكره واختط بها مدينة تاكرارت بمكان محلته وهو اسم المحلة بلسان للبربر ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل وانشريس الى الجزائر وانكفا راجعا الى المغرب فاحتل مراكش سنة خمس وسبعين ولم يزل

(1) Le ms. A porte ملنكان ; on lit dans le ms. B تملنكان

محمد بن تينعمر واليا بتلمسان الى ان هلك وولى بعده اخوه تاشفين ثم ان
الطاغية تكالب على بلاد المسلمين وراء البحر وانتهز الفرصة فيها بما كان
من الفرقة بين ملوك الطوائف فحاصر طليطلة وبها القادر يحيى بن ذى النون
حتى نالهم الجهد وتسلمها منه صلحا سنة ثمان وسبعين على ان يملكه
بلنسية فبعث معه عسكرا من النصرانية فدخل بلنسية وتملكها على حين
مهلك صاحبها ابى بكر بن عبد العزيز بين يدى حصار طليطلة وسار
الطاغية فى بلاد الاندلس حتى وقف بفرضة المجاز من طريف واعيا امره اهل
الاندلس واقتضى منهم الجزى فاعطوها ثم نازل سرقسطة وضيق على ابن
هود بها وطال مقامه عليها وامتد امله الى تملكها فخاطب المعتمد بن
عباد امير المسلمين يوسف بن تاشفين منتجزا وعده فى صريخ الاسلام بالعدوة
وجهاد الطاغية وكاتبه اهل الاندلس كافة من العلماء والخاصة فاهتز الى
الجهاد وبعث ابنه المعز فى عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز فنازلها
برا واحاطت بها اساطيل ابن عباد بحرا فاقتحموها عنوة فى ربيع الاخر سنة
ست وسبعين وتقبض على ضياء الدولة وقيد الى المعز فقتله صبرا وكتب الى
ابيه بالفتح ثم اجاز ابن عباد البحر صريخا به وبالمرابطين ولقيه بفاس
مستنفرا للجهاد وانزل له ابنه الراضى عن الجزيرة الخضراء لتكون ركابا
لجهاده فاجاز البحر فى عساكر المرابطين وقبائل المغرب ونزل الجزيرة سنة
تسع وسبعين (1) واربعماية ولقيه المعتمد بن عباد وابن الافطس صاحب
بطليوس وجمع ابن اذفونش ملك الجلالقة امم النصرانية بقشتالة ولقى
المرابطين بالزلاقة من نواحى بطليوس فكان للمسلمين عليه اليوم المشهور
سنة احدى وثمانين ثم رجع الى مراكش وخلف عسكرا باشبيلية لنظر
محمد ومجون بن سموين بن محمد بن وركوت من عشيره ويعرف ابوه بالحاج

(1) Les mss. A, B et C portent ثمانين

وكان محمد من بطانته واعاظم قواده ثم تكالب الطاغية على شرق الاندلس ولم يغن فيه امراء الطوائف شيئا فزحف اليه فى سنته ابن الحاج قائد يوسف ابن تاشفين فى عساكر المرابطين فهزموا جموع النصارى هزيمة شنيعة وخلع ابن رشيق صاحب مرسية وتمادى الى دانية ففر على بن مجاهد امامه الى بجاية ونزل على الناصر بن علناس فاكرمه ووصل ابن جحاف قاضى بلنسية الى محمد بن الحاج مغريا بالقادر بن ذى النون فانفذ معه عسكرا وملك بلنسية وقتل ابن ذى النون وذلك سنة خمس وثمانين وانتهى الخبر الى الطاغية فنازل بلنسية واتصل حصاره اياها الى ان ملكها سنة سبع وثمانين ثم استخلصها عساكر المرابطين وولى عليها يوسف بن تاشفين الامير مزدلى واجاز يوسف ابن تاشفين ثانية سنة ست وثمانين وتثاقل امراء الطوائف عن لقائه بما احسوا من نكيره عليهم لما يسومون به رعيتهم من الظلامات والمكوس وتلاحق المغارم فوجد عليهم وعهد برفع المكوس وبجرى المعدلة فلما اجاز انقبضوا عنه الا ابن عباد فانه بادر الى لقائه واغراه بالكثير منهم فتقبض على ابن رشيق وامكن ابن عباد منه للعداوة التى بينهما وبعث جيشا الى مرية ففر عنها ابن صمادح ونزل على المنصور بن الناصر بجاية وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكره ومحلاته فساء نظره فيهم وافتاه الفقهاء واهل الشورى من المغرب والاندلس بخلعهم وانتزاع الامر من ايديهم وصارت اليه بذلك فتاوى اهل العراق الاعلام كالغزالى والطرطوشى فعمد الى غرناطة واستنزل صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس واخاه تميما من مالقة بعد ان كان منهما مداخلة للطاغية فى عداوة يوسف بن تاشفين وبعث بهما الى المغرب فخاف ابن عباد عند ذلك منه وانقبض عن لقائه وفشت السعايات بينهما ونهض يوسف بن تاشفين الى سبتة فاستقر بها وعقد للامير سير بن ابى بكر بن محمد بن وركوت على الاندلس واجازه

فقدم عليهم وقعد ابن عباد عن تلقيه ومرثه فاحفظه ذلك وطالبه بالطاعة للامير يوسف والنزول عن الامر ففسد ذات بينهما وغلبه على جميع عمله واستنزل اولاده المامون من قرطبة ويزيد الراضى من رندة وقرمونة واستولى على جميعها وقتلهم ثم صمد الى اشبيلية فحاصر المعتمد بها وضيق عليه واستنجد الطاغية فعمد الى استنقاذه من هوة الحصار فلم يغن عنه شيئا وكان دفاع لمتونة مما فت فى عضده واقتحم المرابطون اشبيلية عليه عنوة سنة اربع وثمانين وتقبض على المعتمد وقادوه اسيرا الى مراكش فلم يزل فى اعتقال يوسف بن تاشفين الى ان هلك فى محبسه باغمات سنة تسعين واربعماية ثم عمد الى بطليوس وتقبض على صاحبها عمر بن الافطس فقتله وابنيه يوم الاضحى سنة تسع وثمانين بما صح عنده من مداخلتهم الطاغية وان يملكوه مدينة بطليوس ثم اجاز يوسف بن تاشفين الجواز الثالث سنة تسعين وزحف اليه الطاغية فبعث عساكر المرابطين لنظر محمد بن الحاج فانهزم النصارى امامه وكان الظهور للمسلمين ثم اجاز الامير يحيى بن ابى بكر بن يوسف بن تاشفين سنة ثلاث وتسعين وانضم اليه محمد بن الحاج وسير بن ابى بكر واقتحموا عامة حصون الاندلس من ايدى ملوك الطوائف ولم يبق منها الا سرقسطة فى يد المستعين بن هود معتصما بالنصارى وغزا الامير مزدلى صاحب بلنسية الى بلد برشلونة فاثخن فيها وبلغ الى حيث لم يبلغ احد قبله ورجع وانتظمت بلاد الاندلس فى ملكة يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوائف منها اجمع كان لم يكن واستولى على العدوتين واتصلت هزائم النصارى على يد المرابطين مرارا وتسمى بامير المسلمين وخاطب المستظهر العباسى الخليفة لعهده ببغداد وبعث اليه عبد الله بن محمد بن العربى المعافرى الاشبيلى وولده القاضى ابا بكر فتلطفوا فى القول واحسنوا فى الابلاغ وطلبوا من الخليفة ان يعقد له على المغرب والاندلس فعقد

له وتضمن ذلك مكتوب الخليفة بذلك منقولا بين ايدى الناس وانقلبوا اليه
بتقليد الخليفة وعهده على ما لنظره من الاقطار والاقاليم وخاطبه الامام الغزالى
والقاضى ابو بكر الطرطوشى يحضانه على العدل والتمسك بالخير ويفتيانه
فى شان ملوك الطوائف بحكم الله ثم اجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع
الى الاندلس سنة سبع وتسعين وقد كان ما قدمناه فى اخبار بنى حماد من
زحف المنصور بن الناصر الى تلمسان سنة سبع وتسعين للفتنة التى وقعت
بينه وبين تاشفين بن تينعمر وافتتاحه اشير من بلادهم فصالحه يوسف
ابن تاشفين واسترضاه بعزله تاشفين عن تلمسان سنة سبع وتسعين وبعث
اليها مزدلى من بلنسية وولى بلنسية عوضا منه ابا محمد بن فاطمة
وكثرت غزواته فى بلاد النصرانية وهلك يوسف على راس المائة الخامسة وقام
بالامر من بعده ابنه على بن يوسف فكان خير ملك وكانت ايامه صدرا منها
وادعة ولدولته على الكفر واهله ظهور وعزة فاجاز الى العدوة فاثخن فى بلاد
العدو قتلا وسبيا وولى على الاندلس الامير تميم بن [بياض] وجمع الطاغية
للامير تميم فهزمه تميم ثم اجاز على بن يوسف سنة ثلاث ونازل طليطلة واثخن
فى بلاد النصارى ورجع وعلى اثر ذلك قصد ابن ردمير سرقسطة وخرج ابن
هود للقائه فانهزم المسلمون ومات ابن هود شهيدا وحاصر ابن ردمير البلد
حتى نزلوا على حكمه ثم كان سنة تسع شان ميورقة وتغلب اهل جنوة
عليها وخلاؤها ثم رجوع العمران اليها على يد ابن تافرطست من قواد
المرابطين كما مر فى ذكرها عند ذكر الطوائف ثم استمرت حال على بن
يوسف فى ملكه وعظم شانه وعقد لولده تاشفين على غرب الاندلس سنة
ست وعشرين وانزله قرطبة واشبيلية واجاز معه الزبير بن عمر من وجوه
قومه وعقد لابى بكر بن ابراهيم المسوفى على شرق الاندلس وانزله بلنسية
وهو ممدوح ابن خفاجة ومخدوم ابى بكر بن باجة الحكيم المعروف بابن الصائغ

وعقد لابن غانية المسوفى على الجزائر الشرقية دانية وميورقة واستقامت ايامه ولاربع عشرة سنة من دولته كان ظهور الامام المهدى صاحب دعوة الموحدين فقيها منتحلا للعلم والفتيا والتدريس امرا بالمعروف وناهيا عن المنكر متعرضا بذلك للمكروه فى نفسه نالته بجاية وتلمسان ومكناسة اذايات من الفسقة والظالمين واحضره الامير على بن يوسف للمناظرة ففلج على خصومه من الفقهاء بمجلسه ولحق بقومه هَرْغَة من المصامدة واستدرك على بن يوسف رايه فيه فتفقده وطالب هرغة باحضاره فابوا عليه فسرح اليهم البعث فاوقعوا به وتقاسم معهم هنتاتة وتينملل على اجارته والوفاء بما عاهدوه عليه من القيام بالحق والدعاء اليه حسبما نذكر ذلك كله بعد فى دولتهم وهلك المهدى سنة اربع وعشرين وقام بامرهم عبد المومن بن على الكومى كبير اصحابه بعهده اليه وانتظمت كلمة المصامدة واغزوا مراكش مرارا وفشل ريح لمتونة بالعدوة الاندلسية وظهر امر الموحدين وفشت كلمتهم فى برابرة المغرب وهلك على بن يوسف سنة سبع وثلاثين وقام بالامر من بعده ولده تاشفين ولى عهده واخذ بطاعته وبيعته اهل العدوتين كما كانوا على حين استغلظ امر الموحدين واستفحل شانهم والحوا فى طلبه وغزا عبد المومن غزوته الكبرى الى جبال المغرب ونهض تاشفين يسايره بالبسائط الى ان نزل تلمسان ونازله عبد المومن والموحدون بالكهف الضحاك بين الصخرتين من جبل تيرنى المطل عليها ووصله هنالك مدد صنهاجة من قبل يحيى ابن العزيز صاحب بجاية مع قائده طاهر بن كباب وشرهوا الى مدافعة الموحدين ففلوهم وهلك طاهر واستلحم الصنهاجيون وفر تاشفين الى وهران فى مواعدة لب بن ميمون قائد البحر باساطيله واتبعه الموحدون واقتحموا عليه البلد فهلك ويقال فقد سنة احدى واربعين واستولى الموحدون على المغرب الاوسط واستلحموا لمتونة ثم بويع بمراكش ابنه ابراهيم والفود

مضعفا عاجزا فخلع وبويع عمه اسحاق بن على بن يوسف بن تاشفين وعلى تفيئه ذلك وصل الموحدون اليها وقد ملكوا جميع بلاد المغرب واستولوا عليها فخرج اليهم فى خاصته وبطانته من قومه فقتلهم الموحدون بمجلس عبد المومن ثم اجاز عبد المومن والموحدون الى الاندلس سنة احدى وخمسين وملكوها واستلحموا امراء لمتونة وكافتهم وفروا فى كل وجه ولحق فلهم بالجزائر الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسة الى ان جددوا من بعد ذلك رسما للملك بناحية افريقية والله غالب على امره

الخبر عن دولة ابن غانية من بقية المرابطين وما كان له من الملك والسلطان بناحية قابس وطرابلس واجلابه على الموحدين ومظاهرة قراقش الغزى له على امره واولية ذلك ومصائره

كان امر المرابطين من اوله فى كدالة من قبائل الملثمين حتى هلك يحيى بن ابراهيم فاختلفوا على عبد الله بن ياسين امامهم وتحول عنهم الى لمتونة واقصر عن دعوته ونسك وترهب كما قلناه حتى اذا اجاب داعيه يحيى بن عمر وابو بكر بن عمر من بنى وَرْتانْطق بيت الرياسة فى لمتونة واتبعهم الكثير من قومهم وجاهدوا معه سائر قبائل الملثمين وكان مسّوفة قد دخل فى دعوة المرابطين كثير منهم فكان لهم بذلك فى تلك الدولة حظ من الرياسة والظهور وكان على بن يحيى المسوفى من رجالاتهم وشجعانهم وكان مقدما عند يوسف بن تاشفين لمكانه فى قومه واتفق ان قتل بعض رجالات لمتونة فى ملاحاة وقعت بينهما فتثاور الحيان وفر هو الى الصحراء فعقل يوسف بن

تاشفين القتيل ووداه واسترجع عليا من مفره لسنين من مغيبه وانكحه امراة من اهل بيته تسمى غانية بعهد ابيها اليه فى ذلك فولدت منه محمدا ويحيى ونشا فى ظل يوسف بن تاشفين وحجر كفالته ورعا لهما على بن يوسف ذمام هذه الاواصر وعقد ليحيى على غرب الاندلس وانزله قرطبة وعقد لمحمد على الجزائر الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسة سنة عشرين وخمسماية وانقرض بعد ذلك امر المرابطين وتقدم وفد الاندلس الى عبد المومن وبعث معهم ابا اسحاق برّان بن محمد المصمودى من رجالات الموحدين وعقد له على حرب لمتونة كما نذكر فى اخبارهم فملك اشبيلية واقتضى طاعة يحيى بن على بن غانية واستنزله عن قرطبة الى جيان والقلعة فسار منها الى غرناطة ليستنزل من بها من لمتونة ويحملهم على طاعة الموحدين فهلك هنالك سنة ثلاث واربعين ودفن بقصر باديس واما محمد بن على فلم يزل واليا الى ان هلك وقام بامره بعده ابنه عبد الله ثم هلك وقام بامره اخوه اسحاق بن محمد بن على وقيل ان اسحاق ولى بعد ابيه محمد وانه قتله غيرة من اخيه عبد الله لما كان احب اليه منه فقتلهما معا واستبد بامره الى ان هلك سنة ثمانين وخمسماية وخلف ثمانية من الولد وهم محمد وعلى ويحيى وعبد الله والغازى وسير والمنصور وجُبارة فقام بالامر ابنه محمد ولما اجاز يوسف بن عبد المومن الى الاندلس سنة ثمانين حدث نفسه بطاعته واوفد لذلك خطابه فبعث يوسف بن عبد المومن على بن الرُبُرْتَيْر لاختبار طاعتهم ولحين وصوله نكر ذلك اخوته وتقبضوا عليه واعتقلوه وقام بالامر اخوه على بن محمد بن على وتلوموا فى رد ابن الزبرتير الى مرسله وحالوا بينه وبين الاسطول حتى بلغهم ان الخليفة يوسف العسرى (1) استشهد فى الجهاد باركش من العدوة وقام بالامر ابنه يعقوب فاعتقلوا ابن الزبرتير وركبوا البحر فى ثنتين وثلاثين قطعة من اساطيلهم

(1) Il faut peut-être lire العشرى

واسطوله وركب معه اخوته يحيى وعبد الله والغازى وولى على ميورقة عمه ابا الزبير واقلعوا الى بجاية فطرقوها على حين غفلة وعليها السيد ابو الربيع بن عبد الله بن عبد المومن وكان بايميلول من خارجها فى بعض مذاهبه فلم يمانعه اهل البلد واستولوا عليها فى صفر سنة احدى وثمانين واعتقلوا بها السيد ابا موسى بن عبد المومن كان قافلا من افريقية يؤم المغرب واكتسحوا ما كان بدار السادة والموحدين وكان والى القلعة قاصدا مراكش فبلغه وهو بمتيجة خبر بجاية فرجع وظاهر السيد ابا الربيع وزحف اليهما على بن غانية فهزمهما واستولى على اموالهما وابنيتهما ولحقا بتلمسان فنزلا بها على السيد ابى الحسن بن ابى حفص بن عبد المومن واخذ فى تحصين تلمسان ورم اسوارها واقام السيدان يرومان الكرة من صاحب تلمسان وعاث على بن محمد ابن غانية فى الاموال وفرقها فى ذوبان العرب ومن انضاف اليهم ورحل الى الجزائر فافتتحها وولى عليها يحيى ابن اخى طلحة ثم افتتح مازونة وانتهى الى مليانة فافتتحها وولى عليها يدر بن عائشة ثم نهض الى القلعة فحاصرها ثلاثا ودخلها عنوة وكانت له فى العرب حطمة مشهورة ثم قصد قسنطينة فامتنعت عليه واجتمعت اليه وفود العرب فاستخدمهم وجاءوا باحيائهم ولما اتصل الخبر بالمنصور وهو بسبتة مرجعه من الغزو سرح العساكر فى البر لنظر السيد ابى زيد بن ابى حفص بن عبد المومن وعقد له على المغرب الاوسط وبعث الاساطيل فى البحر وقائدها احمد الصقلى وعقد عليها لابى محمد بن ابراهيم بن جامع وزحفت العساكر من كل جهة فثار اهل الجزائر على يحيى ابن اخى طلحة ومن معه وامكنوا منهم السيد ابا زيد فقتلهم على شلف وعفا عن يحيى لهجرة عمه طلحة وكان يدر بن عائشة اسرى من مليانة واتبعه الجيش فلحقوه بام العلو فتقبضوا عليه بعد قتال مع البرابرة حين ارادوا اجازته وقادوه الى السيد ابى زيد فقتله وسيق

الاسطول الى بجاية فثاروا بيحيى بن غانية وفر الى اخيه على بمكانه من حصار قسنطينة بعد ان كان اخذ بمخنقها ونزل السيد ابو زيد بعساكره بتكلات من ظاهر بجاية واطلق السيد ابا موسى من معتقله ثم رحل فى طلب العدو فافرج عن قسنطينة ومضى شريدا فى الصحراء والموحدون فى اتباعه حتى انتهوا الى مقرة ونقاوس ثم قفلوا الى بجاية واستقر السيد ابو زيد بها وقصد على بن غانية قفصة فملكها ونازل توزر وقسطيلية فامتنعت وارتحل الى طرابلس وبها قراقش الغزى المظفرى وكان من خبره ما نقل ابو محمد التجانى فى كتاب رحلته ان صلاح الدين صاحب مصر بعث تقى الدين ابن اخيه شاهنشاه الى المغرب لافتتاح ما امكنه من المدن تكون له معقلا يتحصن فيه من مطالبة نور الدين محمود بن صنكى صاحب الشام الذى كان صلاح الدين عمه من وزرائه واستخلوا بمصر فخشوا عاديته ثم رجع تقى الدين من طريقه لامر عرض له ففر قراقش الارمنى بطائفة من جنوده وفر ابراهيم بن قراتكين سلاح دار المعظمى نسبة الملك المعظم شمس الدولة بن ايوب اخى صلاح الدين فاما قراقش فلحق بسنترية وافتتحها وذلك سنة ست وثمانين وخطب فيها لصلاح الدين ولاستاذه تقى الدين وكتب لهما بالفتح وافتتح زلة واوجلة وغلب بنى خطاب الهواريين على ملك فزان وكان ملكها لعهده محمد بن خطاب بن يصلتن بن عبد الله بن صنفل بن خطاب وهو اخر ملوكهم وكانت قاعدة ملكه زويلة وتعرف زويلة بن خطاب فتقبض عليه وعذبه على المال حتى هلك ولم يزل يفتح البلاد الى ان وصل طرابلس واجتمع اليه عرب دباب من سليم ونهض بهم الى جبل نفوسة فملكه واستخلص امواله للعرب واتصل به مسعود بن زمام شيخ الدواودة من رياح عند مفره من المغرب كما ذكرناه واجتمعت ايديهم على طرابلس وافتتحها واجتمع اليه ذوبان العرب من هلال وسليم وفرض لهم العطا واستبد بملك طرابلس وما وراءها وكان

قراقش من الارمن وكان يقال له المظفرى لانه مملوك المظفر والناصرى لانه كان يخطب للناصر صلاح الدين وكان يكتب فى ظهائره ولى امر المومنين بسكون الميم ويكتب علامة الظهير بخطه وثقت بالله وحده اسفل الكتاب واما ابراهيم بن قراتكين صاحبه فانه سار مع العرب الى قفصة فملك جميع منازلها وراسل بنى الزند روساء قفصة فامكنوه من البلد لانحرافهم عن بنى عبد المومن فدخلها وخطب للعباسى ولصلاح الدين الى ان قتله المنصور عند فتح قفصة كما نذكره فى اخبار الموحدين رجع الخبر الى ابن غانية ولما وصل على بن غانية الى طرابلس ولقى قراقش اتفقا على المظاهرة على الموحدين واستمال ابن غانية كافة بنى سليم من العرب وجاجا بهم من مجالاتهم ببرقة وخالصوه فى ولايتهم واجتمع اليه من كان منحرفا عن طاعة الموحدين من قبائل هلال مثل جشم ورياح والاثبج وخالفهم زغبة الى الموحدين فاعتقلوا بطاعتهم سائر ايامهم ولحق بابن غانية فل قومه من لمتونة ومسوفة من اطراف البقاع فانعقد امره وتجدد بذلك القطر سلطان قومه وجدد رسوم الملك واتخذ الالة وافتتح كثيرا من بلاد الجريد واقام فيها الدعوة العباسية ثم بعث ولده وكاتبه عبد البر بن فرسان الاندلسى الى الخليفة الناصر بن المستضىء ببغداد مجددا ما سلف لقومه من المرابطين بالمغرب من البيعة والطاعة وطالبا المدد والاعانة فعقد له كما كان لقومه وصدر الكتاب من ديوان الخلافة ببغداد الى ملك مصر والشام النائب عن الخليفة بها صلاح الدين يوسف بن ايوب الغزى بان يمده فكتب له صلاح الدين الى قراقش واتصلت ايديهما فى اقامة الدعوة العباسية وظاهره ابن غانية على حصار قابس فافتتحها قراقش من يد سعيد بن ابى الحسن وولى عليها مولاه وجعل فيها ذخائره ثم اتصل بهما ان اهل قفصة خلعوا طاعة ابن غانية فظاهره قراقش عليها فافتتحها عنوة ثم رحل الى توزر وقراقش فى مظاهرته فافتتحها ايضا ولما اتصل بالمنصور ما نزل بافريقية من اجلاب

ابن غانية وقراقش على بلاد الجريد نهض من مراكش سنة ثلاث وثمانين لحسم هذا الداء واستنقاذ ما غلبوا عليها ووصل الى تونس فاراح بها وسرح فى مقدمته السيد ابا يوسف يعقوب بن ابى حفص عمر بن عبد المومن ومعه عمر بن ابى زيد من اعيان الموحدين فلقيهم ابن غانية فى جموعه بغمرة فانهزم الموحدون وقتل ابن ابى زيد وجماعة منهم واسر على بن الزبرتير فى اخرين وامتلات ايدى العدو من اسلابهم ومتاعهم ووصل سرعان الناس الى تونس وصمد المنصور اليهم فاوقع بهم بظاهر الحامة فى شعبان من سنته وافلت ابن غانية وقراقش بجريعة الذقن وبادر اهل قابس وكانت خالصة لقراقش دون ابن غانية فاتوا طاعتهم واسلموا من كان عندهم من اصحابه وذويه فاحتملوا الى مراكش وقصد المنصور توزر ففر من كان بها من اصحاب ابن غانية وبادر اهلها بالطاعة ثم رجع الى قفصة فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل من كان بها من الحشود وقتل ابراهيم بن قراتكين وامتن على سائر الاغزاز وخلى سبيلهم وامر اهل البلد فى انفسهم وجعل املاكهم بايديهم على حكم المساقاة ثم غزا العرب واستباح حللهم واحياءهم حتى استقاموا على طاعته فنقل المتولين كبر الخلاف والفتنة منهم الى المغرب مثل جشم ورياح والعاصم كما قدمناه وقفل الى المغرب سنة اربع وثمانين ورجع ابن غانية وقراقش الى حالهما من الاجلاب على بلاد الجريد الى ان هلك على بعض حروبهما مع اهل نفزاوة سنة اربع وثمانين اصابه سهم غرب كان فيه هلاكه فدفن هنالك وعفى على قبره ويقال بل حمل شلوه الى ميورقة فدفن بها وقام بالامر اخوه يحيى بن اسحاق بن محمد بن غانية وجرى فى مظاهرة قراقش وموالاته على سنن اخيه على ثم نزع قراقش الى طاعة الموحدين سنة ست وثمانين فهاجر اليهم بتونس وتقبله السيد ابو زيد ابن ابى حفص بن عبد المومن واقام معه اياما ثم فر ووصل الى قابس فدخلها

مخادعة وقتل جماعة منهم واستدعى اشياخ دباب والكعوب من بنى سليم فقتل سبعين منهم بقصر العروسيين كان منهم محمود بن طوق ابو المحاميد وحميد بن جارية ابو الجوارى ونهض الى طرابلس فافتتحها ورجع الى بلاد الجريد فاستولى على اكثرها ثم فسد ما بينه وبين يحيى بن غانية وسار اليه يحيى فانهزم قراقش ولحق بالجبال وتوغل فيها ثم فر الى الصحراء ونزل ودان ولم يزل بها الى ان حاصره ابن غانية من بعد ذلك بمدة وجمع عليه اهل الثار من دباب واقتحمها عليه عنوة وقتله ولحق ابنه بالموحدين ولم يزل بالحضرة الى ايام المستنصر ثم فر الى ودان واجلب فى الفتنة فبعث اليه ملك كانم من قتله لسنة ست وخمسين وستماية رجع الخبر واستولى ابن غانية على الجريد واستنزل ياقوت مولى قراقش من طرة كذا ذكر التجانى فى رحلته ولحق ياقوت بطرابلس ونازله ابن غانية بها وطال امد حصاره وبالغ ياقوت فى المدافعة وبعث يحيى عن اسطول ميورقة فامده اخوه عبد الله بقطعتين منه فاستولى على طرابلس واشخص ياقوتا الى ميورقة فاعتقل بها الى ان اخذها الموحدون وكان من خبر ميورقة ان على بن غانية لما نهض الى فتح بجاية ترك اخاه محمدا وعلى بن الزبرتير فى معتقلها فلما خلا الجو من اولاد غانية وكثير من الحامية داخل ابن الزبرتير من معتقله اهل الجزيرة وثاروا بدعوة محمد وحاصروا القصبة الى ان صالحهم اهلها على اطلاق محمد بن اسحاق فاطلق من معتقله وصار الامر له فدخل فى دعوة الموحدين ووفد مع على ابن الزبرتير على يعقوب المنصور وخالفهم الى ميورقة عبد الله بن اسحاق ركب البحر من افريقية الى صقلية وامدوه باسطول ووصل الى ميورقة عند وفادة اخيه المنصور فملكها فلم يزل بها واليا وبعث الى اخيه على بالمدد على طرابلس كما ذكرناه وبعثوا اليه ياقوتا فاعتقله عنده الى ان غلب عليه الموحدون سنة تسع وتسعين فقتل ومضى ياقوت الى مراكش وبها مات

رجع الخبر ولما فرغ ابن غانية من امر طرابلس ولى عليها تاشفين ابن عمه الغازى وقصد قابس فوجد بها عامل الموحدين عمر بن تافراكين بعثه اليهم صاحب تونس الشيخ ابو سعيد بن ابى حفص باستدعاء اهلها لما فر عنهم نائب قراقش عند اخذ ابن غانية لطرابلس فنازل قابس وضيق عليها حتى سالوه الامان على ان يخلى سبيل ابن تافراكين فعقد لهم ذلك وامكنوه من البلد فملكها سنة احدى وتسعين واغرمهم ستين الف دينار وقصد المهدية سنة سبع وتسعين فاستولى عليها وقتل الثائر بها محمد بن عبد الكريم الركراكى وكان من خبره انه نشا بالمهدية وصار من جندها المرتزقين وهو كومى الاصل وكانت له شجاعة معروفة فجمع لنفسه خيلا ورجلا وصار يغير على المفسدين من الاعراب بالاطراف فداخلتهم هيبته وبعد فى ذلك صيته وامده الناس بالدعاء وقدم ابو سعيد بن ابى حفص على افريقية من قبل المنصور لاول ولايته وولى على المهدية اخاه يونس وطالب محمد بن عبد الكريم بالسهمان فى لغنائم وامتنع فانزل به النكال وعاقبه بالسجن فدبر ابن عبد الكريم الثورة وداخل فيها بطانته وتقبض على ابى على يونس سنة خمس وتسعين واعتقله الى ان فداه اخوه ابو سعيد بخمس ماية دينار من الذهب العين واستبد ابن عبد الكريم بالمهدية ودعا لنفسه وتلقب المتوكل على الله ثم وصل السيد ابو زيد بن ابى حفص عمر بن عبد المومن واليا على افريقية فنازله عبد الكريم بتونس سنة ست وتسعين واضطرب عسكره بحلق الوادى وبرزت اليه جيوش الموحدين فهزمهم وطال حصاره لهم ثم سالوه الافراج عنهم فاجاب لذلك وارتحل عنهم الى حصار يحيى بن غانية بقابس فنازله مدة ثم ارتحل الى قفصة وخرج ابن غانية فى اتباعه فانهزم ابن عبد الكريم امامه ولحق بالمهدية وحاصره ابن غانية بها سنة سبع وتسعين وامده السيد ابو زيد

بقطعتين من الغزاة حين سال ابن عبد الكريم النزول على حكمه وخرج
اليه فتقبض عليه ابن غانية وهلك فى اعتقاله واستولى على المهدية واستضافها
الى ما كان بيده من طرابلس وقابس وصفاقس والجريد ثم نهض الى الجانب
الغربى من افريقية فنازل باجة ونصب عليها المجانيق وافتتحها عنوة وخربها
وقتل عاملها عمر بن غالب ولحق شريدها بالاربس وشقبنارية وتركها
خاوية على عروشها وبعد مدة تراجع اليها ساكنها بامر السيد ابى زيد
فزحف اليها ابن غانية ثانية ونازلها وزحف اليه السيد ابو الحسن اخو
السيد ابى زيد فلقيه بقسنطينة وانهزم الموحدون واستولى على معسكرهم
ثم نهض الى بسكرة واستولى عليها وقطع ايدى اهلها وتقبض على حافظها
ابى الحسن بن ابى يعلى وتملك بعدها تبسّة والقيروان وبايعه اهل بونة
ورجع الى المهدية وقد استفحل ملكه فاعتزم على حصار تونس وارتحل
اليها سنة تسع وتسعين واستعمل على المهدية ابن عمه على بن الغازى
ويعرف بالكافى بن عبد الله بن محمد بن على بن غانية فنزل بالجبل
الاحمر من ظاهر تونس ونزل اخوه بحلق الوادى ثم ضايقوها بمعسكرهم وردموا
خندقها ونصبوا المجانيق والالات واقتحموها لاربعة اشهر من حصارها فى
خاتم المائة السادسة وتقبض على السيد ابى زيد وابنيه ومن كان معه
من الموحدين واخذ اهل تونس بغرم مائة الف دينار ولى قبضها منهم
كاتبه ابن عصفور وابو بكر بن عبد العزيز بن السكاك فارهقوا الناس فى
الطلب حتى لاذ معظمهم بالموت واستعجل القتل وفيما نقل ان اسماعيل بن عبد
الرفيع من بيوتاتها القى نفسه فى بير فهلك فرفع الطلب ببقيتها عنهم
وارتحل الى نفوسة والسيد ابو زيد معتقل فى معسكره ففعل بهم مثل ذلك
واغرمهم الف الف مرتين من الدنانير وكثر عيثه واضراره بالرعية وعظم
طغيانه وعتوه واتصل بالناصر بمراكش ما دهم اهل افريقية منه ومن

ابن عبد الكريم قبله فامتعض لذلك ورحل اليها سنة احدى وستماية وبلغ يحيى
بن غانية خبر زحفه اليه فخرج من تونس الى القيروان ثم الى قفصة واجتمع
اليه العرب واعطوه الرهن على المظاهرة والدفاع ونازل طرّة من حصون نفزاوة
فاستباحها ثم انتقل الى حامة مطماطة ونزل الناصر تونس ثم قفصة ثم
قابس وتحصن منه ابن غانية فى جبل دمر فرجع عنه الى المهدية وعسكر
عليها واتخذ الالة لحصارها وسرح الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابى حفص
لقتال ابن غانية فى اربعة الاف من الموحدين سنة ثنتين وستماية فلقيه
بجبل تاجرا من نواحى قابس واوقع به وقتل اخاه جبارة بن اسحاق واستنقذ
السيد ابا زيد من معتقله ثم افتتح الناصر المهدية ودخل واليها على بن
الغازى فى دعوته فتقبله ورفع مكانه ووصله بهدية وافق وصولها من سبتة
اليه على يد ناصح مولاه وكان بها ثوبان منسوجان بالجواهر فوصله بذلك كله
ولم يزل معه الى ان استشهد مجاهدا وولى الناصر على المهدية محمد بن يغمور
من الموحدين رجع الى تونس ثم نظر فيمن يوليه امر افريقية لسد فرجها
والذب عنها ومدافعة ابن غانية وجموعه دونها فوقع اختياره على الشيخ ابى
محمد بن ابى حفص فعقد له على ذلك سنة ثلاث كما نذكره فى اخباره
ورجع الناصر الى المغرب واجمع ابن غانية النهوض لقتال الموحدين بتونس
وجمع ذوبان العرب من الدواودة وغيرهم وامير الدواودة يومئذ محمد بن مسعود
ابن سلطان وتحيز بنو عوف بن سليم الى الموحدين والتقوا بشبرو من نواحى تبسة
فانهزمت جموع ابن غانية ولجا الى جهة طرابلس ثم نهض الى المغرب فى
جموعه من العرب والملثمين فانتهى الى سجلماسة وامتلات ايدى اتباعه من
النهاب وخرقوا الارض بالعيث والفساد وانكفا الى المغرب الاوسط وداخله المفسدون
من زناتة واغزوا به صاحب تلمسان السيد ابا عمران موسى بن يوسف بن
عبد المومن فلقيه بتاهرت فهزمه ابن غانية وقتله واسر ولده وكر راجعا الى

افريقية فاعترضه الشيخ ابو محمد صاحب افريقية فى جموع الموحدين
واستنقذ الغنائم من ايديهم ونجا ابن غانية الى جبال طرابلس وهاجر اخوه
سير بن اسحاق الى مراكش فتقبله الناصر واكرمه ثم اجتمع الى ابن غانية
طوائف العرب من رياح وعوف ونفات ومن معهم من قبائل البربر واعتزم على
دخول افريقية فنهض اليهم الشيخ ابو محمد سنة ست ولقيهم بجفل نفوسة
ففل عسكرهم واستلحم امراءهم وغنم ما كان معهم من الظهر والكراع والاسلحة
وقتل يومئذ محمد بن الغازى وجرار بن ويغرن المغراوى وعبد الله بن محمد
ابن مسعود بن سلطان الدواودى وكان ابوه يومئذ امير رياح وقتل معه ابن
عمه حركات بن ابى الشيخ بن عساكر بن سلطان وهلك يومئذ من العرب
الهلاليين امير قرة سماه ابن نخيل وحكى ابن نخيل ان مغانم الموحدين
يومئذ من عساكر الملثمين كانت ثمانية عشر الفا من الظهر فكان ذلك
مما اوهن من شدته ووطا من باسه وثارت قبائل نفوسة بكاتبه ابن عصفور
فقتلوا ولديه وكان ابن غانية بعثه عليهم للمغرم وسار ابو محمد فى نواحى
افريقية واوقع بسليم واستاسر اشياخهم باهليهم واسكنهم بتونس حسما لفسادهم
وصلحت احوال افريقية الى ان هلك الشيخ ابو محمد سنة ثمان عشرة وولى
افريقية السيد ابو العلى ادريس بن يوسف بن عبد المومن ويقال بل
وليها قبيل مهلك الشيخ ابى محمد فاستطار بعد مهلكه شرر ابن غانية ونجم
نفاقة وعيثه ونهض اليه السيد ابو العلى ونزل قابس واقام بقصر العروسيين
وسرح ولده السيد ابا زيد بعسكر من الموحدين الى درج وغدامس
وسرح عسكرا اخر الى ودان لحصار ابن غانية فارجف بهم العرب وانفضوا وهم
بهم السيد ابو العلى وفر ابن غانية من ودان الى الزاب واتبعه السيد ابو زيد
فنازله ببسكرة واقتحمها عليه ونجا ابن غانية وجمع اوشابا من العرب والبربر
واتبعه السيد ابو زيد فى الموحدين وقبائل هوارة وتزاحفوا بظاهر تونس

سنة احدى وعشرين فانهزم ابن غانية وجموعه وقتل كثير من الملثمين
وامتلات ايدى الموحدين من الغنائم وكان لهوارة يومئذ واميرهم حناش بن
بعرة بن ونيفن فى هذا الزحف اثر مذكور وبلاء حسن وبلغ السيد ابا
زيد اثر هذه الوقيعة خبر مهلك ابيه بتونس فانكفا راجعا واعيد بنو ابى
حفص الى مكان ابيهم الشيخ ابى محمد من امارة افريقية واستقل الامير ابو
زكرياء منهم بامرها واقتطعها عن ملكة ال عبد المومن وتناولها من يد اخيه
ابى محمد عبد الله وهذا الامير ابو زكرياء هو جد الخلفاء الحفصيين وماهد
امرهم بافريقية فاحسن دفاع ابن غانية عنها وشرده فى اقطارها ورفع يده
شيئا فشيئا عن النيل من اهلها ورعاياها ولم يزل شريدا مع العرب
بالقفار يبلغ سجلماسة من اقصى المغرب والعقبة الكبرى من تخوم الديار المصرية
واستولى على ابن مذكور صاحب السويقة من تخوم برقة واوقع بمغراوة بواجَر ما
بين متيجة ومليانة وقتل اميرهم منديل بن عبد الرحمن وصلب شلوه بسور
الجزائر وكان يستخدم الجند فاذا سيموا الخدمة تركهم لسبيلهم الى ان هلك
لخمسين سنة من امارته سنة احدى وثلاثين وقيل ثلاث وثلاثين وستماية
ودفن وعفى اثر مدفنه يقال بوادى الرجوان قبلة الاربس ويقال بجهة
مليانة من وادى شلف ويقال بصحراء باديس وبنومة (1) من بلاد الزاب
فانقرض امر الملثمين من مسوفة ولمتونة من جميع بلاد افريقية والمغرب
والاندلس بمهلكه وذهب ملك صنهاجة من الارض بذهاب ملكه وانقطاع
اثره وتخلف بنات بعثهن زعموا الى الامير ابى زكرياء بعهده بذلك الى علجه
صابر فوضعهن فى يده وبلغه وصاة ابيهن اياه بهن وحسن ظنه فى كفالته
اياهن فاحسن الامير ابو زكرياء كفالتهن وبنى لهن بحضرتة دارا لصونهن
معروفة لهذا العهد بقصر البنات واقمن تحت جرايته وفى سعة من رزقه

(1) Le ms. D. porte تنومه

معضولات لوصاة ابين بذلك منهن وحفظهن لوصاته ولقد يقال ان ابن عم لهن خطب احديهن فبعث اليها الامير ابو زكرياء وقال لها هذا ابن عمك واحق بك فقالت لوكان ابن عمنا ما كفلنا الاجانب الى ان هلكن عوانس بعد ان متعن من العمر بحظ اخبرني والدي رحمه الله انه ادرك واحدة منهن ايام صباه في سنى العشر والسبعماية تناهز لتسعين من السنين قال ولقيتها وكانت من اشرف النساء نفسا واسراهن خلقا وازكاهن خلالا والله وارث الارض ومن عليها وبقى هولاء الملثمون وقبائلهم لهذا العهد بمجالاتهم من جوار السودان حجزا بينهم وبين الرمال التى هى تخوم بلاد البربر من المغربين وافريقية وهم لهذا العهد متصلون من ساحل البحر المحيط فى المغرب الى ساحل النيل بالمشرق وهلك من قام بالملك منهم بالعدوتين وهم قليل من مسوفة ولمتونة كما ذكرناه اكلتهم الدولة وابتلعتهم الافاق والاقطار وافناهم الترف واستلحمهم اخرا الموحدون وبقى من اقام بالصحراء منهم على حالهم الاول من افتراق الكلمة واختلاف السير وهم الان يعطون الطاعة لملك السودان يجبون اليهم خراجهم وينفرون فى معسكرهم واتصل سياجهم على بلاد السودان الى المشرق مناظرا لسياج العرب على بلاد المغربين وافريقية فكدالة منهم فى مقابلة ذوى حسان من المعقل عرب السوس الاقصى ولمتونة وتريكة فى مقابلة ذوى منصور وذوى عبيد الله من المعقل ايضا عرب المغرب الاقصى ومسوفة فى مقابلة زغبة عرب المغرب الاوسط ولمطة فى مقابلة رياح عرب الزاب وبجاية وقسنطينة وتاركا فى مقابلة سليم عرب افريقية واكثر مكاسبهم الابل لمعاشهم وحمل اثقالهم وركوبهم والخيل قليلة لديهم او معدومة ويركبون من الابل الفاره يسمونها النجب ويقتتلون عليها اذا كانت بينهم حرب وسيرها هملجة وتكاد تلحق بالركض وربما يغزوهم اهل القفر من العرب خصوصا بنو سعيد من بادية رياح فهم اكثر العرب غزاء الى بلادهم فيستبيحون من صحبود منهم

وينكفون مغذين فاذا اتصل الصائح باحيائهم وركبوا فى اتباعهم اعترضوهم على المياه قبل وصولهم من تلك البلاد فلا يكادون يخلصون وتشتد الحرب بينهم فلا تخلص العرب بغنائمهم الا بعد جهد وقد يهلك بعضهم ولله الخلق والامر واذ عرض لنا ملوك السودان فلنذكر ملوكهم لهذا العهد المجاورين لملوك المغرب

الخبر عن ملوك السودان المجاورين للمغرب من وراء هولاء الملثمين
ووصف احوالهم والالمام بما اتصل بنا من دولهم

هذه الامم السودان من الادميين هم اهل الاقليم الثانى وما وراءه الى اخر الاول بل والى اخر المعمور متصلون ما بين المغرب والمشرق يجاورون بلاد البربر بالمغرب وافريقية وبلاد اليمن والحجاز بالوسط والبصرة وما وراءها من بلاد الهند بالمشرق وهم اصناف وشعوب وقبائل اشهرهم بالمشرق الزنج والحبشه والنوبة واما اهل المغرب منهم فنحن ذاكروهم بعد واما نسبهم فالى حام بن نوح فالحبشة من ولد حبش بن كوش بن حام والنوبة من ولد نوبة بن كوش بن كنعان بن حام فيما قاله المسعودى وقال ابن عبد البر انهم من ولد نوبا بن قوط بن ينصر بن حام والزنج من ولد زنجى بن كوش واما سائر الاساود فمن ولد قوط بن حام فيما قاله ابن عبد البر ويقال هو قُفط بن حام وعد ابن سعيد من قبائلهم وامهم تسع عشرة امة فمنهم بالمشرق الزنج على بحر الهند لهم مدينة منبسة وهم مجوس وهم الذين غلب رقيقهم بالبصرة على ساداتهم مع دعى الزنج فى خلافة المعتمد قال ويليهم بربرا وهم الذين ذكرهم امرُؤ القيس فى شعره والاسلام لهذا العهد فاش فيهم ولهم مدينة مقدشوا على البحر الهندى يعمرها تجار المسلمين ومن غربيهم وجنوبهم الدمادم وهم حفاة عراة

قال وخرجوا الى بلاد الحبشة والنوبة عند خروج الططر الى العراق فعاثوا فيها ثم رجعوا قال ويليهم الحبشة وهم اعظم امم السودان وهم مجاورون لليمن على شاطى البحر الغربى ومنه عبروا لملك اليمن ايام ذى نواس وكانت دار ملكهم كعبر وكانوا على دين النصرانية واخذ بالاسلام واحد منهم زمن الهجرة على ما ثبت فى الصحيح ثم عادوا الى دينهم وهم ينتظرون ملك اليمن فى اخر الزمن والذى اسلم منهم لعهد النبى صلى الله عليه وسلم وهاجر اليه الصحابة قبل الهجرة الى المدينة فاواهم ومنعهم وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم عند ما نعى اليه كان اسمه النجاشى وهو بلسانهم انكاش بالكاف المشمة بالجيم عربتها العرب جيما محضة والحقتها ياء النسب شانها فى الاسماء الاعجمية اذا تصرفت فيها وليس هذا الاسم سمة لكل من يملك منهم كما يزعم كثير من الناس ممن لا علم له بهذا ولو كان كذلك لثبتت هذه الاسماء الى اليوم لان ملكهم لم يتحول عنهم وملكهم لهذا العهد اسمه الحطى ما ادرى اسم السلطان نفسه او اسم لعشيره الذين فيهم الملك وفى غربيه مدينة داموت وكان بها ملك من اعاظمهم وله ملك ضخم وفى شماليه ملك اخر منهم اسمه حق الدين بن محمد بن على بن ولَصْمع فى مدينة وفات اسلم اولوه فى تواريخ مجهولة وكان جده ولصمع مطيعا لملك داموت وادركت الحطى الغيرة من ذلك فغزاه واستولى على بلاده ثم اتصلت الفتنة وضعف امر الحطى فاسترجع بنو ولصمع بلادهم من الحطى وبنيه واستولوا على وفات وخربوها وبلغنا ان حق الدين هلك وملك بعده اخوه سعد الدين وهم مسلمون ويعطون الطاعة للحطى احيانا وينابذونه اخرى والله مالك الملك قال ابن سعيد ويليهم البجا وهم نصارى ومسلمون ولهم جزيرة سواكن فى بحر السويس ويليهم النوبة اخوة الزنج والحبشة ولهم مدينة دنقلة غرب النيل واكثرهم نصارى ومجاورون للديار المصرية ومنهم رقيقها ويليهم زغاوة وهم مسلمون

ومن شعوبهم تاجرة ويليهم الكانم وهم خلق عظيم والاسلام غالب عليهم ومدينتهم حيمى (1) ولهم التغلب على بلاد الصحراء الى فزان وكانت لهم مهاداة مع الدولة الحفصية مذ اولها ويليهم عن غربيهم كَوْكَوْ وبعدهم نقارد والتكرور ولمى ونمنم وجابى وكورى وانكرار (2) ويتصلون بالبحر المحيط الى غانة فى الغرب انتهى كلام ابن سعيد ولما فتحت افريقية المغرب دخل التجار بلاد المغرب منهم فلم يجدوا فيهم اعظم من ملك غانة كانوا مجاورين للبحر المحيط من جانب الغرب وكانوا اعظم امة ولهم اضخم ملك وحاضرة ملكهم غانة مدينتان على ضفتى النيل من اعظم مدائن العالم واكثرها معتمرا ذكرها مولف كتاب رجار وصاحب المسالك والممالك وكانت تجاورهم من جانب الشرق امة اخرى فيما زعم الناقلون تعرف صوصو بصادين مضمومين او سينين مهملتين ثم بعدها امة اخرى تعرف مالّى ثم بعدها امة اخرى تعرف كوكو ويقال كاغو ثم بعدها امة اخرى تعرف بالتكرور واخبرنى الشيخ عثمان فقيه اهل غانة وكبيرهم علما ودينا وشهرة قدم مصر سنة ست وتسعين حاجا باهله وولده ولقيته بها فقال انهم يسمون التكرور زغاى ومالّى انكارية انتهى ثم ان اهل غانة ضعف ملكهم وتلاشى امرهم واستفحل امر الملثمين المجاورين لهم من جانب الشمال مما يلى بلاد البربر كما ذكرناه واعتزوا على السودان واستباحوا حماهم وبلادهم واقتضوا منهم الاتاوات والجزى وحملوا كثيرا منهم على الاسلام فدانوا به ثم اضمحل ملك اصحاب غانة وتغلب عليهم اهل صوصو المجاورون لهم من امم السودان واستعبدوهم واصاروهم فى جملتهم ثم ان اهل مالى كثروا امم السودان فى نواحيهم تلك واستطالوا على الاقليم فتغلبوا على صوصو وملكوا جميع ما بايديهم من ملكهم القديم وملك اهل غانة الى البحر المحيط

(1) Dans la géographie d'Ibn-Saïd, ce nom est écrit خبمى — (2) L'orthographe de ces derniers noms est celle du ms. d'Ibn-Saïd.

من ناحية الغرب وكانوا مسلمين يذكرون ان اول من اسلم منهم ملك اسمه برمندانة هكذا ضبطه الشيخ عثمان وحج هذا الملك واقتفى سننه فى الحج ملوكهم من بعده وكان ملكهم الاعظم الذى تغلب على صوصو وافتتح بلادهم وانتزع الملك من ايديهم اسمه مارى جاطة ومعنى مارى عندهم الامير الذى يكون من نسل السلطان وجاطة الاسد واسم الحافد عندهم تكن ولم يتصل بنا نسب هذا الملك وملك عليهم خمسا وعشرين سنة فيما ذكروه ولما هلك ولى عليهم من بعده ابنه منسا ولى ومعنى منسا السلطان ومعنى ولى بلسانهم على وكان منسا ولى هذا من اعاظم ملوكهم وحج ايام الظاهر بيبرس وولى عليهم من بعده اخوه واتى ثم بعده اخوهم خليفة وكان محمقا راميا فكان يرسل السهام على الناس فيقتلهم مجانا فوثبوا عليه فقتلوه وولى عليهم من بعده سبط من اسباط مارى جاطة يسمى بابى بكر وكان ابن بنته فملكوه على سنن الاعاجم فى تمليك الاخت وابن الاخت ولم يقع الينا نسبه ونسب ابيه ثم ولى عليهم من بعده مولى من مواليهم تغلب على ملكهم اسمه ساكوره وقال الشيخ عثمان ضبطه بلسانهم اهل غانة سبكرة وحج ايام الملك الناصر وقتل عند مرجعه بتاجورا وكانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الامم المجاورة لهم وافتتح بلاد كوكو واصارها فى ملكة اهل مالى فاتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالمغرب الى بلاد التكرور فى المشرق واعتز سلطانهم وهابتهم امم السودان وارتحل الى بلادهم التجار من بلاد المغرب وافريقية وقال الحاج يونس ترجمان التكرور ان الذى فتح كوكو هو سغمنجه من قواد منسا موسى وولى من بعد ساكوره هذا قو ابن السلطان مارى جاطة ثم من بعده ابنه محمد بن قو ثم انتقل ملكهم من ولد السلطان مارى جاطة الى ولد اخيه ابى بكر فولى عليهم منسا موسى بن ابى بكر وكان رجلا صالحا وملكا عظيما له فى العدل اخبار

توثّر عنه وحجّ سنة اربع وعشرين وسبعماية لقيه فى الموسم شاعر الاندلس ابو اسحاق ابراهيم الساحلى المعروف بالطويجن وصحبه الى بلاده وكان له اختصاص وعناية ورثها ولده من بعده الى الان واوطنوا والاتر (1) من تخوم بلادهم من ناحية المغرب ولقيه فى منصرفه صاحبنا المعمر ابو عبد الله بن خديجة الكومى من ولد عبد المومن كان داعية بالزاب للفاطمى المنتظر واجلب عليهم بعصائب من العرب فمكر به صاحب واركلى واعتقله ثم خلى سبيله بعد حين فخاض القفر الى السلطان منسا موسى مستجيشا به عليهم وقد كان بلغه فى حج فاقام فى انتظاره ببلد غدامس يرجو منه نصرا على عدوه ومعونة على امره لما كان عليه منسا موسى من استفحال ملكه بالصحراء الموالية لبلاد واركلى وقوة سلطانه فلقى منه مبرة وترحيبا ووعده بالمظاهرة والقيام بثاره واستصحبه الى بلاده واخبرنى وهو الثقة قال كنا نواكبه انا وابو اسحاق الطويجن دون وزرائه ووجوه قومه فناخذ باطراف الاحاديث فيمتنع (2) وكان يتحفنا فى كل منزل بطرف الماكل والحلاوات قال والذى يحمل التّه وخرثيه من الوصائف خاصة اثنا عشر الفا لابسات اقبيات الديباج والحرير اليمانى قال الحاج يونس ترجمان هذه الامة بمصر جاء هذا الملك منسا موسى من بلده بثمانين حملا من التبر فى كل حمل ثلاث قناطير قال وانما يحملون على الوصائف والرجال فى اوطانهم فقط واما السفر البعيد كالحج فعلى المطايا قال ابن خديجة ورجعنا معه الى حضرة ملكه فاراد ان يتخذ بيتا لمقعد سلطانه محكم البناء مجللا بالكلس لغرابته بارضهم فاطرفه ابو اسحاق الطويجن ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته وكان صناع اليدين واضفى عليها من الكلس وعالى عليها بالاصباغ المنمقة فجاءت من ءانق المبانى ووقعت من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صناعة البناء بارضهم ووصله باثنى عشر الفا مثاقيل

(1) Il faut peut-être lire والاتن — (2) Le ms. A porte فيمتع

التبر مثوبة عليها الى ما كان له من الاثرة والمحل النقيه والصلات السنية وكان بين هذا السلطان منسا موسى وبين ملك المغرب العهده من بنى مرين السلطان ابى الحسن مواصلة ومهادات سفرت بينهما فيها الاعلام من رجال الدولتين واستجاد صاحب المغرب من متاع وطنه وتحف ممالكه ما تحدث عنه الناس زمانا على ما نذكره عند موضعه بعث بها مع على بن غانم امير المعقل واعيان من رجالات دولته وتوارث تلك الوصلة اعقابهما كما سياتى واتصلت ايام منسا موسى هذا خمسا وعشرين سنة ولما هلك ولى امر مالى من بعده ابنه منسا مغا ومعنى مغا عندهم محمد وهلك لاربع سنين من ولايته وولى امرهم من بعده منسا سليمان بن ابى بكر وهو اخو موسى واتصلت ايامه اربعا وعشرين سنة ثم هلك فولى من بعده ابنه قسا (1) بن سليمان وهلك لتسعة اشهر من ولايته فولى عليهم من بعده مارى جاطة ابن منسا مغا بن منسا موسى واتصلت ايامه اربعة عشر عاما وكان شر وال عليهم بما سامهم من النكال والعسف وافساد الحرم واتحف ملك المغرب لعهده السلطان ابا سالم بن السلطان ابى الحسن بالهدية المذكورة سنة ثنتين وستين وكان فيها الحيوان العظيم الهيكل المستغرب بارض المغرب المعروف بالزرافة تحدث الناس بما اجتمع فيه من مفترق الحلى والشياة فى جثمانه ونعوته دهرا واخبرنى القاضى الثقة ابو عبد الله محمد بن واسول من اهل سجلماسة وكان اوطن بارض كوكو من بلادهم واستعملوه فى خطة القضاء بها لقيته بهنين سنة ست وسبعين وسبعماية فاخبرنى عن ملوكهم بالكثير مما كتبته وذكر لى عن هذا السلطان جاطة انه افسد ملكهم واتلف ذخيرتهم وكاد ان ينقض مبانى سلطانهم قال ولقد انتهى الحال به فى سرفه وتبذيره ان باع حجر الذهب الذى كان فى جملة الذخيرة بخزائنهم وهو حجر يزن

(1) Le ms. C porte فنبا et le ms. D قنبا

عشرين قنطارا منقولا من المعدن من غير علاج بالصناعة ولا تصفية بالنار كانوا يرونه من انفس الذخائر والغرائب لندور مثله فى المعدن فعرضه جاطة هذا الملك المسرف على تجار مصر المترددين الى بلده وابتاعوه منه بابخس ثمن الى ما استهلك من ذخائر ملوكهم سرفا وتبذيرا فى سبيل الفسوق والتجلى قال واصابته علة النوم وهو مرض كثيرا ما يطرق اهل ذلك الاقليم وخصوصا الروساء منهم يعتاده غشى النوم عادة ازمانه حتى يكاد ان لا يفيق ولا يستيقظ الا فى القليل من اوقاته ويزمن بصاحبه ويتصل سقمه الى ان يهلك قال فازمنت هذه العلة بجاطة هذا مدة عامين اثنين وهلك سنة خمس وسبعين وولوا من بعده ابنه موسى فاقبل على مذاهب العدل والنظر لهم ونكب عن طريق ابيه جملة وهو الان مرجو للهداية وتغلب على دولته وزيره مارى جاطة ومعنى مارى عندهم الوزير وجاطة تقدم وهو الان قد حجر السلطان موسى واستبد بالامر عليه ونظر فى تجهيز العساكر وتجمير الكتائب ودوخ اقطار الشرق من بلادهم وتجاوز تخوم كوكو وجهز الى منازلة بلد تكدة مما وراءها من بلاد الملثمين كتائب نازلتها لاول الدولة واخذت بمخنقها ثم افرجت عنها وحالهم الان هذه وتكدة هذه على سبعين مرحلة من بلد واركلى فى الجانب القبلى الغربى ورئيسها من الملثمين يعرف بالسلطان وعليه طريق الحاج من السودان وبينه وبين امير الزاب وواركلى مهادات ومراسلة قال وحاضرة الملك لاهل مالى هو بلد بنى [بياض] بلد متسع الخطة معين على الزرع مستبحر العمارة نافق الاسواق وهو الان محط لركاب التجر من المغرب وافريقية ومصر والبضائع مجلوبة اليها من كل قطر ثم بلغنا لهذا العهد ان منسا موسى توفى سنة تسع وثمانين وولى بعده اخوه منسا مغا ثم قتل لسنة او نحوها وولى بعده صندكى (1) زوج ام

(1) Les mss. A et B portent ضندكى

موسى ومعنى صندكى الوزير ووثب عليه بعد اشهر رجل من بيت مارى جاطة ثم خرج من بلاد الكفرة وراءهم رجل اسمه محمود ينسب الى منسا قو بن منسا ولى بن مارى جاطة الاكبر فتغلب على الدولة وملك امرهم سنة ثنتين وتسعين ولقبه منسا مغا والخلق والامر لله

الخبر عن لمطة وكزولة وهسكورة بنى تصكى وهم اخوة هوارة وصنهاجة

هولاء القبائل الثلاثة قد تقدم لنا انهم اخوة لصنهاجة وان امهم الخمسة تصكى العرجاء بنت زحيك بن مادغس فاما صنهاجة فمن ولد عاميل (1) ابن زعزاع واما هوارة فمن ولد اوريغ وهو ابنها بن برنس واما الاخرون فلا تحقيق فى نسبهم قال ابن حزم ان صنهاجة ولمطة لا يعرف لهما اب وهذه الامم الثلاثة موطنون بالسوس وما يليها من بلاد الصحراء وجبال درن ملؤا بسائطه وجباله فاما لمطة فاكثرهم مجاورون الملثمين من صنهاجة ولهم شعوب كثيرة واكثرهم ظواعن اهل وبر ومنهم بالسوس قبيلتا (2) زُكّن ولَخَس صاروا فى عداد ذوى حسان من معقل وبقايا لمطة بالصحراء مع الملثمين ومعظمهم فى قبلة بلاد تلمسان وافريقية وكان منهم الفقيه واكاك ابن زيرى صاحب ابى عمران الفاسى وكان نزل بجلماسة ومن تلميذه كان عبد الله بن ياسين صاحب الدولة اللمتونية على ما مر واما كزولة فبطونهم كثيرة ومعظمهم بالسوس ويجاورون لمطة ويحاربونهم ومنهم الان ظواعن بارض السوس وكانت لهم مع المعقل حروب قبل ان يدخلوا السوس

(1) Voyez ci-devant pag. ١٩٥ — (2) Les mss. A, C et D portent فسلتا

فلما دخلوه تغلبوا عليهم وهم الان من خولهم واحلافهم ورعاياهم واما هسكورة وهم لهذا العهد فى عداد المصامدة وينتسبون الى دعوة الموحدين وهم امم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن الى تادلا من جانب الشرق والى درعة من جانب القبلة وكان دخول بعضهم فى دعوة المهدى قبل فتح مراكش ولم يستكملوا الدخول فى الدعوة الا من بعده فلذلك لا يعدهم كثير من الناس فى الموحدين وان عدوا فليسوا من اهل السابقة فيهم لمخالفتهم الامام اول الامر وما كان من حروبهم معه ومع اوليائه وشيعته وكانوا ينادون بخلافهم وعداوتهم ويجهرون بلعنهم فيقول خطيبهم فى مجامع صلواتهم لعن الله هنتاتة وتينملل وشيخهم الضال المضل فلما استقاموا من بعد ذلك لم يكن لهم مزية السابقة كما كانت لهنتاتة وتينملل وهرغة وهزرجة فان استقامتهم على الدعوة كانت بعد فتح مراكش وبطون هسكورة هولاء متعددون فمنهم مصطاوة وغجدامه وفطواكة وزمراوة (1) واينتيفت واينولتال وبنو سكور الى اخرين لم يحضرنى اسماؤهم وكانت الرياسة عليهم اخر دولة الموحدين لعمر بن وقاريط المسمسب (2) وذكره فى اخبار المامون والرشيد من بنى عبد المومن خلفاء الموحدين بمراكش ثم كان من بعده مسعود بن كلداسن وهو القائم بامر ابى دبوس والمظاهر له على شانه واظنه جد بنى مسعود بن كلداسن الروساء عليهم لهذا العهد من فطواكة المعروفين ببنى خطاب لاتصال الرياسة فى هذا البيت ولما انقرض امر الموحدين استعصوا على بنى مرين مدة واختلفت حالهم معهم فى الاستقامة والنفرة وكانوا ملجا للنازعين عن الطاعة من عرب جشم ومأوى للثائرين منهم ثم استقاموا واذعنوا لاداء الضرائب والمغارم وجبايتها من قومهم والخفوف الى العسكرة مع السلطان متى دعوا اليها شان غيرهم من سائر المصامدة

(1) Le ms. D porte وزمرزاوه — (2) Telle est la leçon de trois mss. Dans le ms. E ce mot est omis.

واما اينتيفت فكانت رياستهم فى اولاد هنّو وكان يوسف بن مكنول (1) منهم اتخذ لنفسه حصن تافيّوت (2) وامتنع به ولم يزل ولده على ومخلوف يشيدانه من بعده وهلك يوسف وقام بامره ابنه مخلوف وجاهر بالنفاق سنة ثنتين وسبعماية ثم راجع الطاعة وهو الذى تقبض على يوسف بن ابى عياد المنتزى على مراكش ايام ابى ثابت سنة سبع وسبعماية كما نذكر فى اخباره ففر اليه لما احيط به فتقبض عليه مخلوف وامكن منه وكانت وسيلته من الطاعة وكان من بعده ابنه هلال بن مخلوف والرياسة فيهم متصلة لهذا العهد واما اينولتال فكانت رياستهم لاولاد ترميت وكان منهم لعهد السلطان ابى سعيد وابنه ابى الحسن كبيرهم على بن محمد وكان له فى الخلاف والامتناع ذكر واستنزله السلطان ابو الحسن من جبله لاول ولايته بعد حصاره بمكانه واصاره فى جملته تحت عناية وجراية الى ان هلك بتونس بعد واقعة القيروان فى الطاعون الجارف وولى بنوه من بعده امر قومهم الى ان انقرضوا والرياسة لهذا العهد فى اهل بيتهم ولاهل عمومتهم واما فطواكة وهم اوسع بطونهم واعظمها رياسة فيهم واقربهم اختصاصا بصاحب الملك واستعمالا فى خدمته وكان بنو خطاب منذ انقراض امر الموحدين قد جنحوا الى بنى عبد الحق واعطوهم المقادة واختصوا شيوخهم بنى خطاب بالولاية عليهم وكان شيخهم لعهد السلطان يوسف بن يعقوب محمد بن مسعود وابنه عمر من بعده وهلك عمر سنة اربع وسبعماية بمكانه من جبله وولى بعده عمه موسى بن مسعود وسخطه السلطان لتوقع خلافه فاعتقله وكان خلاصه من الاعتقال سنة ست وسبعماية وقام بامر هسكورة من بعده محمد بن عمر بن محمد بن مسعود ولما استفحل ملك بنى مرين

(1) Les mss. A, C et D portent منكون — (2) La ponctuation de ce nom varie dans les mss. On lit تاقيوت dans les mss. A et E.

وذهب اثر الملك من المصامدة وبعد به عهدهم صار بنو مرين الى استعمال روسائهم فى جباية مغارمهم لكونهم من جلدتهم ولم يكن فيهم اكبر رياسة من اولاد يونس فى هنتاتة وبنى خطاب هولاء فى هسكورة فداولوا بينهم ولاية الاعمال المراكشية ووليها محمد بن عمر هذا من بعد موسى بن على واخيه محمد شيوخ هنتاتة فلم يزل واليا بها الى ان هلك قبيل نكبة السلطان ابى الحسن بالقيروان ولحق ابنه ابراهيم بتلمسان ذاهبا الى السلطان ابى الحسن فلما دعا ابو عنان لنفسه رجع عنه الى جبله وتمسك بما كان عليه من طاعة ابيه ورماه ابو عنان بعمه عبد الحق وقلده الاعمال المراكشية فلم يغن فى مقارعته الى ان لحق السلطان ابو الحسن بمراكش فكان من اعظم دعاته وابلى فى مظاهرته فلما هلك السلطان ابو الحسن اعتقله ابو عنان واودعه السجن ثم قتله بين يدى نهوضه الى تلمسان سنة ثلاث وخمسين وقام بامره من بعده اخوه منصور بن محمد الى ان ملك الامير عبد الرحمن من ابى يفلوسن مراكش سنة ست وسبعين فاستقدمه وتقبض عليه واعتقله بدار ابن عمه يجو بن العلام بن مسرى من مسعود بن خطاب كان فى جملته وكان هو وابوه نازعا الى بنى مرين خوفا على انفسهم من اولاد محمد بن عمر لترشحهم للامر فلما استمكن منه بداره معتقلا وثب عليه فقتله واستلحم بنيه معه وسخطه السلطان لها فاعتقله قليلا ثم اطلقه واستقل برياسة هسكورة لهذا العهد والله قادر على ما يشاء

الطبقة الثالثة من صنهاجة

وهذه الطبقة ليس فيها ملك وهم لهذا العهد اوفر قبائل المغرب فمنهم

الموطنون بالجانب الشرقى من جبال درن ما بين تازى وتادلا ومعدن بنى فازاز حيث الثنية المفضية الى اكرسلوين من بلاد النخل وتفصل تلك الثنية بين بلادهم وبلاد المصامدة فى الغرب من جبال درن قد اعتمروا قنن تلك الجبال وشواهقها وتنعطف مواطنهم من تلك الثنية الى ناحية القبلة الى ان تنتهى الى اكرسلوين ثم ترجع مغربا من اكرسلوين الى درعة الى ضواحى السوس الاقصى وامصاره من تارودانت وايفرى ان فونان وغيرهما ويعرف هولاء كلهم باسم صناكة حذفت الهاء من اسم صنهاجة واشموا صاده زايا وابدلوا الجيم بالكاف المتوسطة المخرج عند العرب لهذا العهد بين الكاف والقاف او بين الكاف والجيم وهى معروفة النطق ولصناكة هولاء بين قبائل المغرب وفور عدد وشدة باس ومنعة واعزهم جانبا اهل الجبال المطلة على تادلا ورياستهم لهذا العهد فى ولد عمران الصناكى ولهم اعتزاز على الدولة ومنعة عن الهضيمة والانقياد للمغرم وتتصل بهم قبائل جاناتة منهم ظواعن يسكنون بيوت الخص وينتجعون مواقع القطر فى نواحى بلادهم ما بين تيغانيمين من قبلة مكناسة الى وادى ام ربيع من تامسنا فى الجانب الشمالى من جانبى جبال درن ورياستهم فى ولد هيرى من مشاهيرهم ولهم اعتياد بالمغرم ورومر على الذل ويتصل بهم قبائل دكالة فى بسيط المغرب من عدوة ام ربيع الى مراكش ويتصل بهم من جهة المغرب على ساحل البحر المحيط قبيلة بناحية ازمور وافرة العدد مندرجة فى عداد المصامدة وطنا ونحلة وجباية وعمالة ورياستهم لهذا العهد فى ولد عزيز بن يبورك رئيسهم لاول دولة زناتة وياتى ذكره ويعرف عقبه الان ببنى بطان ومن قبائل صنهاجة بطون اخرى بجبال تازى وما اليها مثل بطوية ومجاصة وبنى وازتين (1) الى جبال لكائى من جبال المغرب المعروف ببنى لكائى احد قبائلهم

(1) Le ms. D porte وارتين

يعطون المغرم عن عزة ولبطوية منهم ثلاثة بطون بقوية على تازى وبنو ورياغل على بلد المزمة واولاد محلى بتافرسيت وكان لاولاد محلى ذمة صهر مع بنى عبد الحق ملوك بنى مرين وكانت ام يعقوب بن عبد الحق منهم فاستوزرهم وكان منهم طلحة بن محلى واخوه عمر على ما سياتى ذكره فى دولتهم وتتصل ببسيط المغرب ما بين جبال درن وجبال الريف من ساحل البحر الرومى حيث مساكن غمارة الاتى ذكرهم قبائل اخرى من صنهاجة موطنون فى هضاب واودية وبسائط يسكنون بيوت الحجارة والطين مثل فشتالة ومشطة وبنو ورياكل وبنو حميد وبنو مزكلدة وبنو عمران وبنو دركول وبنو ورتزّر وملوانة وبنو وامود ومواطن هولاء كلهم بورغة وامركو يحترفون بالحياكة والحراثة ويعرفون لذلك صنهاجة البز وهم فى عداد القبائل الغارمة ولغتهم فى الاكثر عربية لهذا العهد وهم مجاورون لجبال غمارة ويتصل بجبال غمارة من ناحيتهم جبل سريف موطن بنى وزروال من صنهاجة وبنى معان لا يحترفون بمعاش ويسمون صنهاجة العز لما اقتضته منعة جبالهم ويقولون لصنهاجة ازمور الذين قدمنا ذكرهم صنهاجة الزز (1) لما هم عليه من الذل والمغرم والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وقد يقال فى بعض مزاعم البربر ان بنى ورنيد من صنهاجة وبنو يزناسن وبطوية وهما اخوان واصل يزناسن اجناسن ومعناه بلغة العرب اجلس للارض

(1) Le ms. B porte الزر

الخبر عن المصامدة من قبائل البربر وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب ومبادى ذلك وتصاريفه

واما المصامدة وهم من ولد مصمود بن برنس بن بربر فهم اكثر قبائل البربر واوفرهم ومن بطونهم برغواطة وغمارة واهل جبال درن ولم تزل مواطنهم بالمغرب الاقصى منذ الاحقاب المتطاولة وكان التقدم فيهم قبيل الاسلام وصدره لبرغواطة ثم صار التقدم من بعد ذلك لمصامدة جبال درن الى هذا العهد وكان لبرغواطة فى عصرهم دولة ولاهل درن منهم دولة اخرى او دول حسبما نذكر فلنذكر هذه الشعوب وما كان فيها من الدول بحسب ما تادى الينا من ذلك

الخبر عن برغواطة من بطون المصامدة ودولتهم ومبدا امرهم وتصاريف احوالهم

وهم الجيل الاول منهم كان لهم فى صدر الاسلام التقدم والكثرة وكانوا شعوبا كثيرة مفترقين وكانت مواطنهم خصوصا من بين المصامدة فى بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وازمور وانفى واسفى وكان كبيرهم لاول المائة الثانية من الهجرة طريف ابو صالح وكان من قواد ميسرة الحفير المطغرى القائم بدعوة الصفرية ومعهما معزوز بن طالوت ثم انقرض امر ميسرة والصفرية وبقى طريف قائما بامرهم بتامسنا ويقال انه تنبا ايضا وشرع لهم الشرائع ثم هلك وولى مكانه ابنه صالح وقد كان حضر مع ابيه حروب

ميسرة وكان من اهل العلم والخير فيهم ثم انسلخ من ايات الله وانتحل دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التى كانوا عليها من بعده وهى معروفة فى كتب المورخين وادعى انه نزل عليه قرءان كان يتلو عليهم سورا منه يسمى منها سورة الديك وسورة الجمل وسورة الفيل وسورة ادم وسورة نوح وكثير من الانبياء وسورة هاروت وماروت وابليس وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم حرم فيها وحلل وشرع وقص وكانوا يقرءون بها فى صلواتهم وكان قومه يسمونه صالح المومنين كما حكاه البكرى عن زمور بن صالح بن هاشم بن وراد الوافد منهم على الحكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم ابى عيسى بن ابى الانصار سنة ثنتين وخمسين وثلاثماية وكان يترجم عنه بجميع خبره داورد (1) بن عمر المسطاسى قال كان ظهور صالح هذا فى خلافة هشام بن عبد الملك سنة سبع وعشرين من الماية الثانية للهجرة وقد قيل ان ظهوره كان لاول الهجرة وانه انما انتحل ذلك عنادا ومحاكاة لما بلغه شان النبى صلى الله عليه وسلم والاول اصح ثم زعم انه المهدى الاكبر الذى يخرج فى اخر الزمان وان عيسى يكون صاحبه ويصلى خلفه وان اسمه فى العربى صالح وفى السريانى مالك وفى الاعجمى عالم وفى العبرانى روبيا وفى البربرى وريا (2) ومعناه الذى ليس بعده نبى وخرج الى المشرق بعد ان ملك امرهم سبعا واربعين سنة ووعدهم انه يرجع اليهم فى دولة السابع منهم واوصى بدينه الى ابنه الياس وعهد اليه بموالاة صاحب الاندلس من بنى امية وباظهار دينه اذا قوى امرهم وقام بامره بعده ابنه الياس ولم يزل مظهرا للاسلام مسرا لما اوصاه به ابوه من كلمة

(1) Dans le ms A on lit ذلواد, le ms. E porte داود — (2) Tout ce récit est tiré de la géographie d'Abou Obeïd-el-Bekri. Dans le ms. de cet ouvrage que possède la Bib. du Roi, on lit ici ورياورى Voyez ms. n° 580, fol. 196.

كفرهم وكان طاهرا عفيفا زاهدا فى الدنيا وهلك لخمسين سنة من ملكه وولى امرهم من بعده ابنه يونس فاظهر دينهم ودعا الى كفرهم وقتل من لم يدخل فى دينه حتى خرب مدائن تامسنا وما اليها يقال انه خرب ثلاثماية وثمانين مدينة واستلحم اهلها بالسيف لمخالفتهم اياه وقتل منهم بموضع يقال له تامَلوكاف وهو حجر عال نابت وسط الطريق (1) فقتل سبعة الاف وسبعماية وسبعين قال زمور ورحل يونس الى المشرق وحج ولم يحج احد من اهل بيته قبله ولا بعده وهلك لاربع واربعين سنة من ملكه وانتقل الامر عن بنيه وولى امرهم ابو غفير محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف فاستولى على مسلك برغواطة واخذ بدين ابائه واشتدت شوكته وعظم اثره وكانت له فى البربر وقائعُ مشهورة وايام مذكورة اشار اليها سعيد بن هشام المصمودى فى قوله

قفى قبل التفرق واخبرينا	وقولى واخبرى خبرا يقينا
وهذى امة هلكوا وضلوا	وخابوا لا سقوا ماء معينا
يقولون النبى ابو غفير	فاخزى الله ام الكاذبينا
الم تسمع ولم تر يوم بيت (2)	على اثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات فبين ثكلى	وعاوية ومسقطة جنينا
سيعلم اهل تامسنا اذا ما	اتوا يوم القيامة مهطعينا
هنالك يونس وبنو ابيه	يقودون البرابر حائرينا
اذا وَرْياوَرَى رمت عليهم (3)	جهنم قائد المستكبرينا
فليس اليوم يومكم ولاكن	ليالى كنتم متيسرينا (4)

(1) Le ms. d'El-Bekri porte السوق — (2) Ce mot est écrit بهت dans le ms. d'El-Bekri. — (3) عليه, selon El-Bekri. — (4) Le ms. d'El-Bekri nous offre ici la leçon متيسرينا sans points diacritiques.

واتخذ ابو غفير من الزوجات اربعا واربعين وكان له من الولد مثلها واكثر وهلك اخريات المائة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه وولى بعده ابنه ابو الانصار عبد الله فاقتفى سننه وكان كثير الدعة مهابا عند ملوك عصره يهادونه ويدافعونه بالمواصلة وكان يلبس الملحفة والسراويل ولا يلبس المخيط ولا يعتم ولا يعتم احد فى بلده الا الغرباء وكان حافظا للجار وفيا بالعهد وهلك سنة احدى واربعين من المائة الرابعة لاربع واربعين سنة من ملكه ودفن بامسلاخت وبها قبره وولى بعده ابنه ابو منصور عيسى ابن اثنين وعشرين سنة فسار بسيرة ابائه وادعا النبوة والكهانة واشتد امره وعلا سلطانه ودانت له قبائل المغرب قال زمور وكان فيما اوصاه به ابوه يا بنى انت سابع الامراء من اهل بيتك وارجو ان ياتيك صالح بن طريف قال زمور وكان عسكره يناهز الثلاثة الالاف من برغواطة وعشرة الاف من سواهم مثل جراوة وزواغة والبرانس ومجكصة (1) ومطغرة ودمر ومطماطة وبنو وارزكيت وكان ايضا بنو يفرن واصادة وركانة وايزمن ورصافة ورغمصزارة (2) على دينهم ولم يتخذ ملوكهم الالة منذ كانوا انتهى كلام زمور وكان لملوك العدوتين فى غزو برغواطة هولاء وجهادهم اثناء هذا وبعده اثار عظيمة من الادارسة والاموية والشيعة ولما اجاز جعفر بن على من الاندلس الى المغرب وقلده المنصور بن ابى عامر عمله سنة ست وستين وثلاثمائة فنزل البصرة ثم اختلف ذات بينه وبين اخيه يحيى واستمال عليه اخوه الجند وامراء زناتة فتجافى له جعفر عن العمل وصرف وجهه الى جهاد برغواطة يعتده من صالح عمله وزحف اليهم فى اهل المغرب وكافة الجند الاندلسيين فلقوه وسط بلادهم وكانت عليه الدبرة ونجا بنفسه فى فل من جنده ولحق باخيه بالبصرة ثم اجاز بعدها الى المنصور باستدعائه

(1) Le ms. B. porte مجاصة — (2) Le ms. A. porte ورغمضرارة et le ms. E ويمصراره

وترك اخاه يحيى على عمل المغرب ثم حاربتهم ايضا صنهاجة لما غزا بلكين بن زيرى المغرب سنة ثمان وستين بعدها واجفلت زناتة امامه وارزوا الى حائط سبتة وامتنعوا منه باوعارها وانصرف عنهم الى جهاد برغواطة وزحف اليهم فلقيه ابو منصور عيسى بن ابى الانصار فى قومه وكانت عليهم الهزيمة وقتل ابو منصور واثخن فيهم بلكين بالقتل وبعث سبيهم الى القيروان واقام بالمغرب يردد الغزو فيهم الى سنة اثنتين وسبعين وانصرف من المغرب فهلك فى طريقه الى القيروان ولم افق على من ملك امرهم بعد ابى منصور ثم حاربتهم ايضا جنود المنصور بن ابى عامر لما عقد عبد الملك بن المنصور لمولاه واضح على المغرب عند قفوله من غزاة زيرى بن عطية سنة تسع وثمانين وثلاثماية فافتتح واضح امره بغزو برغواطة هولاء فيمن قبله من الاجناد وامراء النواحى واهل الولاية فعظم الاثر فيهم بالقتل والسبى ثم حاربتهم ايضا بنو يفرن لما استقل بنو يعلى ابن محمد اليفرنى من بعد ذلك بناحية سلا من بلاد المغرب واقتطعوه من عمل ابناء زيرى بن عطية المغراوى بعد ما كان بينهما من الحروب وانساق امر اولاد يعلى هولاء الى تميم بن زيرى بن يعلى فى اول المابة الخامسة وكان موطنا بمدينة سلا مجاورا لبرغواطة فكان له اثر كثير فى جهادهم وذلك فى سنى عشرين واربعماية فغلبهم على تامسنا وولى عليها من قبله بعد ان اثخن فيهم سبيا وقتلا ثم تراجعوا من بعده الى ان جاءت دولة لمتونة وخرجوا من مراطنهم بالصحراء الى بلاد المغرب واقتحموا الكثير من معاقل السوس الاقصى وجبال المصامدة ثم بدا لهم جهاد برغواطة بتامسنا وما اليها من الريف الغربى فزحف اليهم ابو بكر بن عمر امير لمتونة فى المرابطين من قومه وكانت له فيهم وقائع استشهد فى بعضها صاحب الدعوة عبد الله من ياسين الكزولى سنة خمسين واربعماية واستمر ابو بكر وقومه

من بعده على جهادهم حتى استاصلوا شافتهم ومحوا من الارض اثارهم وكان صاحب امرهم لعهد انقراض دولتهم ابو حفص عبد الله من اعقاب ابى منصور عيسى بن ابى الانصار عبد الله بن ابى غفير محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف فهلك فى حروبهم وعليه كان انقراض امرهم وقطع دابرهم على يد هولاء المرابطين والحمد لله رب العالمين وقد يغلط بعض الناس فى نسب برغواطة هولاء فيعدهم فى قبائل زناتة واخرون يقولون فى صالح انه يهودى من ولد شمعون بن يعقوب نشا ببرباط ورحل الى المشرق وقرا على عبد الله المعتزلى واشتغل بالسحر وجمع فنونا وقدم المغرب ونزل تامسنا فوجد فيها قبائل جهالا من البربر فاظهر لهم الزهد وسحرهم بلسانه وموه عليهم فقصدوه واتبعوه فادعى النبوة وقيل له برباطى نسبة الى الموطن الذى نشا به وهو برباط واد بفحص شريش من بلاد الاندلس فعربت العرب هذا الاسم وقالوا برغواط ذكر ذلك كله صاحب كتاب نظم الجوهر وغيره من النسابين للبربر وهو من الاغاليط البينة وليس القوم من زناتة ويشهد لذلك كله موطنهم وجوارهم لاخوانهم المصامدة واما صالح ابن طريف فمعروف منهم وليس من غيرهم ولا يتم الملك والتغلب على النواحى والقبائل لمنقطع جذمة دخيل فى نسبه سنة الله فى عباده وانما نسب الرجل فى برغواطة وهم شعب من شعوب المصامدة معروف كما ذكرناه والله ولى التوفيق

الخبر عن غمارة من بطون المصامدة وما كان فيهم من الدول وتصاريف احوالهم

هذه القبيل من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود وقيل غمار بن

مسطاى بن مليل بن مصمود وقيل غمار بن اصاد بن مصمود ويقول بعض العامة انهم عرب غمروا فى تلك الجبال فسموا غمارة وهو مذهب عامى وهم شعوب وقبائل اكثر من ان تحصر والبطون المشهورة منهم بنو حميد ومتيوة وبنو نال واغصاوة وبنو وزروال ومجكسة وهم اخر مواطنهم يعتمرون جبال الريف بساحل البحر الرومى من عن يمين بسائط المغرب من لدن غساسة فنكور فبادس فتيكيساس فتيطّاوين فسبتة فالقصر الى طنجة خمس مراحل او ازيد اوطنوا منها جبالا شاهقة اتصل بعضها ببعض سياجا بعد سياج خمس مراحل اخرى فى العرض الى ان ينحط الى بسائط قصر كتامة ووادى ورغة من بسائط المغرب ترتد عنها الابصار وتزل فى حافاتها الطيور لا بل الاوهام وتنفسح فى رءوسها وبين قننها الفجاج سبل السفر ومراتع السائمة وفدن الزراعة وادواح الرياض ويتبين لك انهم من المصامدة بقاء هذا النسب المحيط سمة فيهم لبعض شعوبهم يعرفون بمصمودة ساكنين ما بين سبتة وطنجة واليهم ينسب قصر المجاز الذى يعبر منه الخليج البحرى الى بلد طريف ويعضده ايضا اتصال مواطنهم بمواطن برغواطة من شعوب المصامدة بريف البحر الغربى وهو المحيط اذ كان بنو حسان منهم موطنين بذلك الساحل من لدن ازغار واصيلا الى انفى ومن هنالك تتصل بهم مواطن برغواطة ودكالة الى قبائل درن من المصامدة فما وراءها من بلاد القبلة فالمصامدة هم اهل الجبال بالمغرب الاقصى الا قليلا منها وغيرهم فى البسائط ولم تزل غمارة هولاء بمواطنهم هذه من لدن الفتح ولم يعلم ما قبل ذلك وللمسلمين فيهم ازمان الفتح وقائع الملاحم واعظمها لموسى بن نصير وهو الذى حملهم على الاسلام واسترهن ابناءهم وانزل منهم عسكرا مع طارق بطنجة وكان اميرهم لذلك العهد يليان وهو الذى وفد عليه موسى بن نصير ورغبه فى غزو الاندلس وكان منزله سبتة كما نذكره وذلك قبل استحداث نكور وكانت فى غمارة هولاء بعد الاسلام

دول قاموا بها لغيرهم وكان فيهم متنبئون ولم تزل الخوارج تقصد جبالهم للمنعة فيها والاعتصام كما نذكره

الخبر عن سبتة ودولة بنى عصام بها

كان سبتة هذه من الامصار القديمة قبل الاسلام كانت يومئذ منزل يليان ملك غمارة ولما زحف اليه موسى بن نصير صانعه بالهدايا واذعن للجزية فامره عليها واسترهن ابنه وابناء قومه وانزل طارق بن زياد بطنجة وضرب عليهم العسكر للنزول معه ثم كانت اجازة طارق الى الاندلس فضرب عليهم البعوث وكان الفتح الذى لا كفاء له كما مر فى موضعه ولما هلك يليان استولى العرب على مدينة سبتة صلحا من ايدى قومه فعمروها ثم كانت فتنة ميسرة الحقير وما دعى اليه من ضلالة الخارجية واخذ بها الكثير من البرابر من غمارة وغيرهم فزحف برابرة طنجة الى سبتة واخرجوا العرب منها وسبوها وخربوها فبقيت خلاء ثم نزل بها ماجكس من رجالاتهم ووجوه قبائلهم وبه سميت مجكسة فنباها ورجع اليها الناس واسلم وسمع من اهل العلم الى ان مات فقام بامره ابنه عصام ووليها دهرا ولما هلك قام بامره ابنه مجير فلم يزل واليا عليها الى ان هلك ووليها اخوه الرضى ويقال انه ابنه وكانوا يعطون لبنى ادريس طاعة مضعفة كما نذكره ولما سما للناصر امل فى ملك المغرب وتناول حبله من ايدى بنى ادريس المالكين ببلاد الهبط وغمارة حين اجهضتهم مكناسة وزناتة عن ملكهم بفاس وقاموا بدعوة الناصر وبثوها فى اعمالهم نزلوا حينئذ للناصر عن سبتة واشاروا له الى تناولها من بنى عصام فسرح اليها عساكره

واساطيله مع قائده نجاح بن غفير فكان فتحها سنة تسع عشرة وثلاثماية ونزل له الرضى بن عصام عنها واتاه طاعته وانقرض امر بنى عصام وصارت سبتة الى الناصر حتى استولى عليها بعد حين بنو حماد واستحدثوا بها دولة اخرى كما نذكره

الخبر عن بنى صالح بن منصور ملوك نكور ودولتهم فى غمارة وتصاريف احوالهم

لما استولى المسلمون ايام الفتح على بلاد المغرب وعمالاته واقتسموه وامدهم الخلفاء بالبعوث الى جهاد البربر وكان فيهم من كل القبائل من العرب وكان صالح ابن منصور الحميرى من عرب اليمن فى البعث الاول وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه واقطعه اياها الوليد بن عبد الملك فى اعوام احدى وتسعين للهجرة قاله صاحب المقياس حد بلد نكور ينتهى من المشرق الى زواغة وجراوة ابن ابى العيص مسافة خمسة ايام وتجاوره من هنالك مطماطة واهل كبدانة ومرنيسة وغساسة اهل جبل هرك وقلوع جارة التى لبنى ورتندى وينتهى من الغرب الى بنى مروان من غمارة وبنى حميد والى مسطاسة وصنهاجة ومن ورائهم اوربة حزب فرحون وبنى وليد وزناتة وبنى يرنيان وبنى واسن حزب قاسم صاحب صا والبحر جوفى نكور على خمسة اميال فاقام صالح هنالك لما اقتطع ارضها وكثر نسله واجتمع اليه قبائل غمارة وصنهاجة مفتاح واسلموا على يده وقاموا بامره وملك تمسامان وانتشر الاسلام فيهم ثم ثقلت عليهم الشرائع والتكاليف وارتدوا واخرجوا صالحا وولوا عليهم رجلا من نفزة يعرف بالرندى ثم تابوا وراجعوا الاسلام ورجعوا صالحا فاقام فيهم الى ان

هلك بتمسامان سنة ثنتين وثلاثين ومابة وولى امرهم من بعده ابنه المعتصم ابن صالح وكان شهما شريف النفس كثير العبادة وكان يلى الصلاة والخطبة لهم بنفسه ثم هلك لايام يسيرة وولى من بعده اخوه ادريس فاختط مدينة نكور فى عدوة الوادى ولم يكملها وهلك سنى ثلاث واربعين وولى من بعده ابنه سعيد واستفحل امره وكان ينزل مدينة تمسامان ثم اختط مدينة نكور لاول ولايته ونزلها وهى التى تسمى لهذا العهد المزمة بين نهرين احدهما نكور ومخرجه من بلاد كزناية (1) ومخرجه ومخرج وادى ورغة واحد والثانى عيس (2) ومخرجه من بلاد بنى ورياغل يجتمع النهران فى اكدال ثم يفترقان الى البحر وتقابل نكور من عدوة الاندلس بزليانة وغزا المجوس نكور هذه فى اساطيلهم سنة اربع واربعين فتغلبوا عليها واستباحوها ثمانيا ثم اجتمع الى سعيد البرانس واخرجوهم عنها وانتقضت غمارة بعدها على سعيد فخلعوه وولوا عليهم رجلا منهم اسمه سكن وتزاحفوا فاظهره الله عليهم وفرق جماعتهم وقتل مقدمهم واستوسق امره الى ان هلك سنة ثمان وثمانين لسبع وثلاثين من ملكه وقام بامره ابنه صالح بن سعيد فتقبل مذاهب سلفه فى الاستقامة والاقتداء وكانت له مع البربر حروب ووقائع الى ان ملك سنة خمسين ومايتين لثنتين وستين سنة من ملكه وقام من بعده ابنه سعيد بن صالح وكان اصغر ولده فخرج عليه اخوه عبيد الله وعمه الرضى وظفر بهما بعد حروب كثيرة فغرب اخاه الى المشرق ومات بمكة وابقى على عمه الرضى لذمة صهر بينهما وقتل سائر من ظفر به من عمومته وقرابته وامتعض لهما (3) سعادة الله بن هارون منهم ولحق ببنى يصلتن اهل جبل ابى الحسين ودلهم على عورته وبيتوا معسكره واستولوا عليه واخذوا التّه وقتلوا الافا من مواليه وحاصروا بنكور ثم كانت له الكرة عليهم وقتل منهم خلقا

(1) Le ms. D porte كزيانه — (2) Le ms. d'El-Bekri porte عيش — (3) Il faut sans doute lire لهم

ونجا سعادة الله الى تمسامان وتقبض على اخيه ميمون فضرب عنقه ثم صار سعادة الله الى طلب الصلح فاسعفه وانزله معه مدينة نكور ثم غزا سعيد بقومه واهل ايالته من غمارة بلاد بطوية ومرنيصة وقلوع جارة وبنى ورتندى واصهر باخته (1) الى احمد بن ادريس بن محمد بن سليمان صاحب [بياض] وانزله مدينة نكور معه وتوطد الامر لسعيد فى تلك النواحى الى ان خاطبه عبيد الله المهدى يدعوه الى امره وفى اسفل كتابه

فان تستقيموا استقم لصلاحكم ... وان تعدلوا عنى ارى قتلكم عدلا
واعلوا بسيفى قاهرا لسيوفكم ... وادخلها عفوا واملاها قتلا

فكتب اليه شاعره الاخمس الطليطلى بامر يوسف بن صالح اخى الامير سعيد

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ... ولا علم الرحمن من قولك الفضلا
وما انت الا جاهل ومنافق ... تمثل للجهّال فى السنة المثلى
وهمتنا العليا لدين محمد ... وقد جعل الرحمن همتك السفلى

فكتب عبيد الله الى مصالة بن حبوس صاحب تاهرت واوعز اليه بغزوه فغزاه سنة اربع وثلاثماية لاربع وخمسين من دولته فحاربه سعيد وقومه اياما ثم غلبهم مصالة وقتلهم وبعث برءوسهم الى رقادة فطيف بها وركب بقيتهم البحر الى مالقة فتوسع الناصر فى انزالهم واجارتهم واستبلغ فى تكريمهم واقام مصالة بمدينة نكور ستة اشهر ثم قفل الى تاهرت وولى عليها دلول من كتامة فانقبض العسكر من حوله وبلغ الخبر الى بنى سعيد بن صالح وقومهم بمالقة وهم ادريس المعتصم وصالح فركبوا السفن اليها وسبق صالح منهم فاجتمع اليه البربر بمرسى تمسامان وبايعوه سنة خمس وثلاثماية ولقبوه اليتيم لصغره وزحفوا الى دلول فظفروا به وبمن معه وقتلوهم وكتب صالح بالفتح الى الناصر واقام دعوته باعماله وبعث اليه الناصر بالهدايا والتحف

(1) Les mss. portent باخيه ; j'adopte la leçon d'El-Bekri. Voyez fol. 150.

والالة ووصل اليه اخوته وسائر قومه واتوه طاعته ولم يزل على هدى اوليه من الاقتداء الى ان هلك سنة خمس عشرة وثلاثماية وولى بعده ابنه عبد البديع ولقب المؤيد وزحف اليه موسى بن ابى العافية القائم بدعوة العبيديين بالمغرب فحاصره وتغلب عليه فقتله واستباح المدينة وخربها سنة سبع عشرة ثم تراجع اليها فلهم وقام بامرهم ابو ايوب اسماعيل بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور واعاد المدينة التى بناها صالح بن منصور وعمرها وسكنها ثلاثا ثم اغزاه ميسور مولى ابى القاسم بن عبيد الله صندلا مولاه عند ما اناخ على فاس فبعث عسكرا مع صندل هذا فحاصر جراوة ثم عطف على نكور وتحصن منه اسماعيل ابن عبد الملك بقلعة اكدى وبعث اليه صندل رسله من طريقه فقتلهم فاغذّ اليه السير وقاتله ثمانية ايام ثم ظفر به فقتله واستباح القلعة وسباها واستخلف عليها من كتامة رجلا اسمه مرمازوا ورحل صندل الى فاس فتراجع اهل نكور وبايعوا لموسى بن المعتصم بن محمد بن قرة بن المعتصم بن صالح بن منصور وكان بجبل ابى الحسين عند بنى يصليتن وكان يعرف بابن رومى وقال صاحب المقياس هو موسى بن رومى بن عبد السميع ابن ادريس بن صالح بن ادريس بن صالح بن منصور فاخذ مرمازوا ومن معه وضرب اعناقهم وبعث برءوسهم الى الناصر ثم ثار عليه من اعياص بيته عبد السميع بن جرثم بن ادريس بن صالح بن منصور فخلعه واخرجه عن نكور سنة تسع وعشرين ولحق موسى بالاندلس ومعه اهله وولده واخوه هارون بن رومى وكثير من عمومته واهل بيته فمنهم من نزل معه المرية ومنهم من نزل مالقة ثم انتقض اهل نكور على عبد السميع وقتلوه واستدعوا من مالقة جرثم بن احمد بن زيادة الله بن سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور فبادر اليهم وبايعوه سنة ست وثلاثين فاستقامت له الامور

وكان [على] مذهب سلفه فى الاقتداء والعمل بمذهب ملك الى ان مات اخر سنة ستين لخمس وعشرين سنة من ملكه واتصلت الولاية فى بيته الى ان غلب عليهم ازداجة المتغلبون على وهران وزحف اميرهم يعلى بن فتوح الازداجى سنة ست واربعماية وقيل سنة عشر فغلبهم على نكور وخربها وانقرض ملكهم بعد ثلاثماية سنة واربع عشرة سنة من لدن ولاية صالح وبقيت فى بنى يعلى بن فتوح وازداجة الى اعوام ستين واربعماية والله مالك الامور لا اله الا هو

الخبر عن حاميم المتنبى من غمارة

كان غمارة هولاء غريقين فى الجهالة والبعد عن الشرائع بالبداوة والانتباذ عن مواطن الخير وتنبا فيهم من مجكسة حاميم بن منّ الله بن حريز بن عمرو بن رَحفو (1) بن ازرْوال بن مجكسة يكنى ابا محمد وابوه ابو خلف تنبا سنة ثلاث عشرة وثلاثماية بجبل حاميم المشتهر به قريبا من تيطاوين واجتمع اليه كثير منهم واقروا بنبوته وشرع لهم الشرائع والديانات من العبادات والاحكام وصنع لهم قرءانا كان يتلوه عليهم بلسانهم من كلامه يا من يخلى البصر ينظر فى الدنيا خلنى من الذنوب يا من اخرج موسى من البحر امنت بحاميم وبابيه ابى خلف من الله وامن راسى وعقلى وما يكنه صدرى واحاط به دمى ولحمى وامنت بتابعيت (2) عمة حاميم اخت ابى خلف من الله وكانت كاهنة ساحرة الى غير هذا وكان يلقب المفترى وكانت اخته دبو ساحرة كاهنة وكانوا يستغيثون بها فى الحروب والقحوط وقتل فى حروب

(1) Le ms. d'El-Bekri, qui reproduit l'histoire de Hamîm, porte ici et plus bas وحفوال — (2) Le ms. D porte بتايفيت et le ms. A بتانعنت

مصمودة باحواز طنجة سنة خمس عشرة وثلاثماية وكان لابنه عيسى من
بعده قدر جليل فى غمارة ووفد على الناصر ورهطهم بنو رحفو موطنون بوادى لاو
ووادى راس قرب تيطاوين وكذلك تنبا منهم بعد ذلك عاصم بن جميل اليزدجومى
وله اخبار ماثورة وما زالوا ينتحلون السحر لهذا العهد واخبرنى المشيخة من
اهل المغرب ان اكثر منتحلى السحر منهم النساء العواتق قال ولهن قوة على
استجلاب روحانية ما يشاونه من الكواكب فاذا استولوا عليه وتكيفوا
بتلك الروحانية تصرفوا منها فى الاكوان بما شاءوا والله اعلم

الخبر عن دولة الادارسة فى غمارة وتصاريف احوالهم

كان عمر بن ادريس عند قسم محمد بن ادريس اعمال المغرب بين اخوته
براى جدته كنزة ام ادريس اختص منها بتيكيساس وترغة وبلاد صنهاجة
وغمارة واختص القاسم بطنجة وسبتة والبصرة وما الى ذلك من بلاد غمارة
ثم غلب عمر عليها عند ما تنكر له اخوه محمد واستضافها الى عمله كما
ذكرنا فى اخبارهم ثم تراجع بنو محمد بن القاسم من بعد ذلك الى عملهم الاول فملكوه
واختط منهم محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم قلعة حجر النسر الدانية
من سبتة معقلا لهم وثغرا لعملهم وبقيت الامارة بفاس واعمال المغرب فى
ولد محمد بن ادريس ثم ادالوا منهم بولد عمر بن ادريس وكان اخرهم يحيى
ابن ادريس بن عمر وهو الذى بايع لعبيد الله الشيعى على يد مصالة بن
حبوس قائده وعقد له على فاس ثم نكبه سنة تسع وخرج عليه سنة
ثلاث عشرة من بنى القاسم الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس ويلقب
بالحجام لطعنه فى المحاجم وكان قدما شجاعا وثار اهل فاس بريحان وملكوا الحسن
وزحف اليه موسى ففله ومات واستولى ابن ابى العافية على فاس واعمال

المغرب واجلى الادارسة واجحرهم بحصنهم حجر النسر وتحيزوا الى جبال غمارة وبلاد الريف وكان لغمارة فى التمسك بدعوتهم اثار ومقامات واستجدوا بتلك الناحية ملكا توزعوه قطعا كان اعظمها لبنى محمد هولاء ولبنى عمر بتيكيساز ونكور وبلاد الريف ثم سما الناصر عبد الرحمن الى ملك العدوة ومدافعة الشيعة فنزل له بنو محمد عن سبتة سنة تسع عشرة وتناولها من يد الرضى بن عصام رئيس مجكسة كان يقيم فيها دعوة الادارسة فافرجوا له عنها ودانوا بطاعته واخذها من يده ولما اغزا ابو القاسم ميسورا الى المغرب لمحاربة ابن ابى العافية حين نقض طاعتهم ودعى للمروانية وجد بنو محمد السبيل الى النيل منه بمظاهرة ميسور عليه ومالاهم على ذلك بنو عمر صاحب نكور ولما استقل ابن ابى العافية من نكبته ورجع من الصحراء سنة خمس وعشرين منصرف ميسور من المغرب نازل بنى محمد وبنى عمر وهلك بعد ذلك واجاز الناصر وزيره القاسم بن محمد بن طملس سنة ثلاث وثلاثين لحربهم وكتب الى ملوك مغراوة محمد بن خزر وابنه الخير بمظاهرة عساكره مع ابن ابى العافية عليهم فسارع ابو العيش بن ادريس بن عمر المعروف بابن مثالة الى الطاعة واوفد رسله الى الناصر فعقد له الامان واوفد ابنه محمد بن ابى العيش موكدا للطاعة فاحتفل لقدومه واكد له العقد وتقبل سائر الادارسة من بنى محمد مذهبهم وسالوا مثل سوالهم فعقد لجميع بنى محمد ايضا وكان وفد منهم محمد بن عيسى بن احمد بن محمد والحسن بن القاسم بن ابرهيم بن محمد وكان بنو ادريس يرجعون فى رياستهم الى بنى محمد هولاء منذ استبد بها اخوهم الحسن بن محمد الملقب بالحجام فى ثورته على ابن ابى العافية فقدموا على انفسهم القاسم ابن محمد الملقب بكنون بعد فرار موسى بن ابى العافية وملك بلاد المغرب ما عدا فاس مقيما لدعوة الشيعة الى ان هلك بقلعة حجر النسر سنة سبع

وثلاثين وقام بامرهم من بعده ابو العيش احمد بن القاسم كنون وكان فقيها عالما بالايام والاخبار شجاعا كريما ويعرف باحمد الفاضل وكان منه ميل للمروانية فدعا للناصر وخطب له على منابر عمله ونقض طاعة الشيعة وبايعه اهل المغرب كافة الى سجلماسة ولما بايعه اهل فاس استعمل عليهم محمد بن الحسن ووفد محمد بن ابى العيش بن ادريس بن عمر بن مثالة على الناصر عن ابيه سنة ثمان وثلاثين فاتصلت به وفاة ابيه وهو بالحضرة فعقد له الناصر على عمله وسرحه وهجم عيسى ابن عمه ابى العيش احمد بن القاسم كنون على عمله بتيكيساس فى غيبة محمد فملكها واحتوى على مال ابن مثالة ولما اقبل محمد من الحضرة زحف برابرة غمارة الى عيسى المذكور ابن كنون فقطعوا به واثخنوه جراحة وقتلوا اصحابه ببلد غمارة واجاز الناصر قواده الى المغرب وكان اول من اجاز الى بنى محمد هولاء سنة ثمان وثلاثين احمد بن يعلى من طبقة القواد اجازه اليهم فى العساكر ودعاهم الى هدم تيطاوين فامتنعوا ثم انقادوا وتنصلوا واجابوا الى هدمها ورجع عنهم فانتقضوا فسرح اليهم حميد بن يصل (1) المكناسى فى العساكر سنة تسع وثلاثين وزحفوا اليه بوادى لاو فاوقع بهم فاذعنوا من بعدها وتغلب الناصر على طنجة من يد ابى العيش امير بنى محمد وبقى باصيلا على بيعة الناصر ثم تخطت عساكر الناصر الى بسائط المغرب فاذعن له اهله واخذ بدعوته فيه امراء زناتة من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة كما ذكرناه فضعف امر بنى محمد واستاذنه اميرهم ابو العيش فى الجهاد فاذن له وامر ببناء القصور له فى كل مرحلة من الجزيرة الى الثغر فكانت ثلاثين مرحلة فاجاز ابو العيش واستخلف على عمله اخاه الحسن ابن كنون وتلقاه الناصر بالمبرة واجرى له الف دينار فى كل يوم وهلك شهيدا فى مواقف الجهاد سنة ثلاث واربعين ولما اغزا معد قائده جوهرا الكاتب

(1) On lit نصل dans le ms. A, مصل dans le ms. B, et دصل dans le ms. D.

الى المغرب واستنزل عماله تحصن الحسن بن كنون منه بقلعة النسر معقلهم وبعث اليه بطاعته فلم يعرض له جوهر ولما قفل من المغرب راجع الحسن طاعة الناصر الى ان هلك سنة خمسين فاستجد الحكم عزمه فى سد ثغور المغرب واحكام دعوتهم فيه وتحذ لها عزائم اوليائهم من ملوك زناتة فكان بينهم وبين زيرى وبلكين ما ذكرناه ثم اغزا معد بلكين بن زيرى المغرب سنة ثنتين وستين اولى غزواته فاثخن فى زناتة واوغل فى ديار المغرب وقام الحسن بن كنون بدعوة الشيعة ونقض طاعة المروانية فلما انصرف بلكين اجاز الحكم عساكره الى العدوة مع وزيره محمد بن قاسم بن طملس سنة ثنتين وستين لقتال الحسن بن كنون وبنى محمد فكان الظهور والفلج للحسن على عسكر الحكم وقتل قائده محمد بن طملس وخلقا كثيرا من عسكره واوليائه ودخل فلهم الى سبتة واستصرخوا الحكم فبعث غالبا مولاه البعيد الصيت المعروف الشهامة وامده بكفاء ذلك من الاموال والجنود وامره باستنزال الادارسة واجازتهم اليه وقال له سر يا غالب مسير من لا اذن له فى الرجوع الا حيا منصورا اوميتا معذورا واتصل خبره بالحسن بن كنون فافرج عن مدينة البصرة واحتمل منها امواله وحرمه وذخيرته الى حجر النسر معقلهم القريب من سبتة ونازله غالب بقصر مصمودة فاتصلت الحرب بينهم اياما ثم بث غالب المال فى روساء البربر من غمارة ومن معه من الجنود ففروا واسلموه وانحجز بقلعة حجر (1) النسر ونازله غالب وامده الحكم بعرب الدولة ورجال الثغور واجازهم مع وزيره صاحب الثغر الاعلى يحيى بن محمد بن هاشم التجيبى فيمن معه من اهل بيته وحشمه سنة ثلاث وستين فاجتمع مع غالب على القلعة واشتد الحصار على الحسن وطلب من غالب الامان فعقد له وتسلم الحصن من يده ثم عطف على من بقى من الادارسة ببلاد الريف فازعجهم وصيرهم اسوة ابن

(1) Les mss. A et E portent جبل

عمم واستنزل جميع الادارسة من معاقلهم وسار الى فاس فملكها واستعمل
عليها محمد بن على بن قشوش فى عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة
الجذامى فى عدوة الاندلس وانصرف غالب الى قرطبة ومعه الحسن بن كنون
وسائر ملوك الادارسة وقد مهد المغرب وفرق عماله فى جهاته وقطع دعوة
الشيعة وذلك سنة اربع وستين وتلقاهم الحكم واركب الناس للقائهم وكان يوم
دخولهم الى قرطبة احفل ايام الدولة وعفا عن الحسن بن كنون ووفى له
بالعهد واجزل له ولرجاله العطا والخلع والحملان واوسع عليهم الجراية واسنى
لهم الارزاق ورتب من حاشيتهم فى الديوان سبعماية من انجاد المغاربة وتجنا
عليه بعد ثلاث سنين بسواله من الحسن قطعة عنبر عظيمة تادت اليه من
بعض سواحل عمله بالمغرب ايام ملكه فاتخذ منها اريكة يرتفقها ويتوسدها
فساله حملها اليه على ان يحكمه فى رضاه فابى عليه مع سعاية بنى عمه
فيه عند الخليفة وسوء خلق الحسن ولجاجه فنكبه واستصفى ما لديه من
قطعة العنبر وسواها واستقام امر المغرب للحكم وتظافر امراؤه على مدافعة
بلكين وعقد الوزير المصحفى لجعفر بن على على المغرب واسترجع يحيى بن محمد
ابن هاشم وغرّب الحسن بن كنون والادارسة جميعا الى المشرق استثقالا
لنفقاتهم وشرط عليهم الا يعودوا فعبروا البحر من المرية سنة خمس وستين
ونزلوا من جوار العزيز بن معد بالقاهرة خير نزل وبالغ فى الكرامة ووعد
بالنصرة والترة ثم بعث الحسن بن كنون الى المغرب وكتب له الى ال زيرى
ابن مناد بالقيروان بالمظاهره فلحق بالمغرب ودعا لنفسه وبعث المنصور بن
ابى عامر العساكر لمدافعته فغلبوه وتقبضوا عليه واشخصوه الى الاندلس
فقتل فى طريقه سنة [بياض] كما ذكرناه فى اخبارهم وانقرض ملك الادارسة
من المغرب اجمع الى ان كان رجوع الامر لبنى حمود منهم ببلاد غمارة وسبتة
وطنجة كما نذكره

الخبر عن دولة بنى حمود ومواليهم بسبتة وطنجة وتصاريف احوالهم واحوال غمارة من بعدهم

كان الادارسة لما اجلاهم الحكم المستنصر عن العدوة الى الشرق ومحا اثرهم من سائر بلاد المغرب واستقامت غمارة على طاعة المروانية واذعنوا لجند الاندلسيين ورجع الحسن بن كنون لطلب امرهم فهلك على يد المنصور بن ابى عامر فانقرض امرهم وافترق الادارسة فى القبائل وانتشروا فى الارض ولاذوا بالاختفاء الى ان خلعوا شارة ذلك النسب واستحالت صبغتهم منه الى البداوة ولحق بالاندلس فى جملة البرابرة من ولد عمر بن ادريس رجلان منهم وهما على والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن احمد بن على بن عبيد الله بن عمر بن ادريس فطار لهم ذكر فى الشجاعة والاقدام ولما كانت الفتنة البربرية بالاندلس بعد انقراض الدولة العامرية ونصب البرابرة سليمان ابن الحكم ولقبوه المستعين اختص به ابنا حمود هذان واحسنوا الغناء فى ولايته حتى اذا استولى على ملكه بقرطبة وعقد للمغاربة الولايات عقد لعلى بن حمّود هذا على طنجة واعمال غمارة فنزلها وراجع عهده معهم فيها ثم انتقض ودعا لنفسه واجاز الى الاندلس وولى الخلافة بقرطبة كما ذكرناه فعقد على عمله بطنجة لابنه يحيى ثم اجاز يحيى الى الاندلس بعد مهلك ابيه على منازعا لعمه القاسم واستقل اخوه ادريس من بعده بولاية طنجة وسائر اعمال ابيه بالعدوة من مواطن غمارة ثم اجاز بعد مهلك اخيه يحيى بمالقة فاستدعى رجال دولتهم وعقد لحسن ابن اخيه يحيى على عملهم بسبتة وطنجة وانفذ نجا الخادم معه ليكون تحت نظره واستبداده ولما هلك ادريس واعتزم ابن بقنة (1) على الاستبداد بمالقة اجاز نجا الخادم بحسن بن

(1) Les mss. portent بقية

يحيى من طنجة فملك مالقة ورتب امره فى خلافته ورجع الى سبتة وعقد له حسن على عملهم فى مواطن غمارة حتى اذا هلك حسن اجاز نجا الى الاندلس يروم الاستبداد واستخلف على العمل من وثق به من موالى الصقالبة فلم يزل الى نظرهم واحدا بعد اخر الى ان استقل بسبتة وطنجة من موالى بنى حمود هولاء الحاجب سكوت البرغواطى كان عبدا للشيخ حداد من مواليهم اشتراه من سبى برغواطة فى بعض ايام جهادهم ثم صار الى على ابن حمود فاخذت النجابة بضبعه الى ان استقل بامرهم واقتعد كرسى عملهم بسبتة وطنجة واطاعته قبائل غمارة واتصلت ايامه الى ان كانت دولة المرابطين وتغلب يوسف بن تاشفين على مغراوة بفاس ونجا فلهم الى بلد الدمنة من اخر بسيط المغرب مما يلى بلاد غمارة ونازلهم يوسف بن تاشفين سنة احدى وسبعين ودعا الحاجب سكوت الى مظاهرته عليهم فهم بالانحياش ومظاهرته على عدوه ثم ثناه عن ذلك ابنه القائل الراى فلما فرغ يوسف بن تاشفين من اهل الدمنة واوقع بهم وافتتح حصن علودان من حصون غمارة من ورائه وانقاد المغرب لحكمه صرف وجهه الى سكوت فجهز اليه العساكر وعقد عليها للقائد صالح بن عمران من رجالات لمتونة فتباشرت الرعايا بمقدمهم وانثالوا عليهم وبلغ الخبر الى الحاجب سلوت فاقسم ان لا يسمع احدا من رعيته هدير طبولهم ولحق هو بمدينة طنجة ثغر عمله وقد كان عليها من قبله ابنه ضياء الدولة العز وبرز للقائهم فالتقى الجمعان بظاهر طنجة وانكشفت عساكر سكوت وطحنت رحا الرابطين وسالت نفسه على ظبائهم ودخلوا طنجة واستولوا عليها ولحق ضياء الدولة بسبتة ولما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس وبعث ابن عباد صريخه الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين مستنجزا وعده فى جهاد الطاغية والذب عن المسلمين وكاتبه اهل الاندلس كافة اهتز الى الجهاد وبعث ابنه المعز سنة

ست وسبعين فى عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز فنازلها برا واحاطت بها اساطيل ابن عباد بحرا واقتحموها عنوة وتقبض على ضياء الدولة وقيد الى المعز فطالبه بالمال فاساء ايجابه فقتله لوقته وعثر على ذخائره وفيها خاتم يحيى بن على بن حمود وكتب الى ابيه بالفتح وانقرضت دولة ال حمود وانمحا اثر سلطانهم من بلاد غمارة واقاموا فى طاعة لمتونة سائر ايامهم ولما نجم المهدى بالمغرب واستفحل امر الموحدين بعد مهلكه تنقل خليفته عبد المومن فى بلادهم فى غزاته الكبرى لفتح المغرب سنى سبع وثلاثين وما بعدها قبل استيلائه على مراكش كما نذكره فى اخبارهم فوحدوا واتبعوا امره ونازلوا سبتة فى عساكره وامتنعت عليهم وتولى كبر امتناعها قاضيهم عياض الطائر الذكر رئيسهم لذلك العهد بدينه وابوته وعلمه ومنصبه ثم افتتحت (1) بعد فتح مراكش سنة احدى واربعين فكانت لغمارة هولاء السابقة التى رعيت لهم سائر ايام الدولة ولما فشل امر بنى عبد المومن وذهبت ريحهم وكثر الثوار بالقاصية ثار فيهم محمد بن محمد الكتامى سنة خمس وعشرين كان ابوه من قصر كتامة منقبضا عن الناس وكان ينتحل السيميا ولقنه عنه ابنه محمد هذا وكان يلقب ابا الطواجن فارتحل الى سبتة ونزل على بنى سعيد وادعى صناعة الكيميا فاتبعه الغوغا ثم ادعى النبوة وشرع شرائع واظهر انواعا من الشعوذة فكثر تابعه ثم اطلعوا على خبثه ونبذوا اليه عهده وزحفت عساكر سبتة اليه ففر عنها وقتله بعض البرابرة غيلة ثم غلب بنو مرين [على بسائط المغرب وامصاره سنى اربعين وستماية واستولوا على كرسى الامر بمراكش سنة ثمان وستين فامتنع قبائل غمارة من طاعتهم واستعصوا عليهم واقاموا بمنجاة من الطاعة وعلى ثبج من الخلاف وامتنعت سبتة من ورائهم على ملوك بنى مرين بسبب

(1) Les mss. B et D portent اصحت On lit اصحبت dans le ms. E.

امتناعهم وصار امرها الى الشورى واستبد بها الفقيه ابو القاسم العزفى من مشيختهم كما نذكر ذلك كله الى ان وقع بين قبائل غمارة وروسائهم فتن وحروب ونزعت احدى الطائفتين الى طاعة السلطان بالمغرب من بنى مرين فاتوها طواعية ودخل الاخرون فى الطاعة تلوهم طوعا اوكرها فملك بنو مرين امرهم واستعملوا عليهم وتخطوا الى سبتة من ورائهم فملكوها من ايدى العزفيين سنة تسع وعشرين وسبعماية على ما نذكره بعد عند ذكر دولتهم وهم الان على احسن احوالهم من الاعتزاز والكثرة يوتون طاعتهم وجبايتهم عند استقلال الدولة ويمرضون فيها عند التياثها بفشل او شغل بخارج فيجهز البعوث اليهم من الحضرة حتى يستقيموا على الطاعة ولهم بوعورة جبالهم عز ومنعة وجوار لمن لحق بهم من اعياص الملك ومستامنى للخوارج الى هذا العهد ولبنى يكم من بينهم الحظ الوافر من ذلك لاشراف جبلهم على سائرها وسمو بقاعه الى مجارى السحب دونها وتوعر مسالكه بهبوب الرياح فيها وهذا الجبل مطل على سبتة من غربيها ورئيسه منهم وصاحب امره يوسف بن عمر وبنوه ولهم فيه عزة وثروة وقد اتخذوا به المصانع والعروس وفرض لهم السلطان بديوان سبتة العطاء واقطعهم ببسيط طنجة الضياع والفدن استئلافا بهم وحسما لزبون سائر غمارة بايناس طاعتهم ولله الخلق والامر بيده ملك السموات والارض

الخبر عن اهل جبال دَرَن بالمغرب الاقصى من بطون المصامدة وما كان لهم من الظهور والاحوال ومبادى امورهم وتصاريفها

هذه الجبال بقاصية المغرب من اعظم جبال المعمور رسا فى الثرى اصلها وذهبت فى السماء فروعها وملات الجو هياكلها ومثلت سياجا على ريف

المغرب سطورها تبتدى من ساحل البحر المحيط عند اسفى وما اليها وتذهب فى الشرق الى غير نهاية ويقال انها تنتهى الى قبلة برنيق من ارض برقة وهى فى الجانب مما يلى مراكش قد ركب بعضها بعضا متتالية على نسق من الصحراء الى التل يسير الراكب فيها معترضا من تامسنا وسواحل مراكش الى بلاد السوس ودرعة من القبلة ثمانى مراحل وازيد تفجرت فيها الانهار وجلل الارض خمر الشعراء وتكاثفت بينها ظلال الادواج وزكت فيها مواد الزرع والضرع وانفسحت مسارح الحيوان ومراتع الصيد وطابت منابت الشجر ودرت افاويق الجباية يعمرها من قبائل المصامدة امم لا يحصيهم الا خالقهم قد اتخذوا المعاقل والحصون وشيدوا المبانى والقصور واستغنوا بقطرهم منها عن اقطار العالم فرحل اليهم التجر من الافاق واختلفت اليهم اهل النواحى والامصار ولم يزالوا مذ اول الاسلام وما قبله معتمرين بتلك الجبال قد اوطنوا منها اقطارا بل اقاليم تعددت فيها الممالك والعمالات بتعدد شعوبهم وقبائلهم وافترقت اسماؤها بافتراق احيائهم تنتهى ديارهم من هذه الجبال الى ثنية المعدن المعروفة (1) ببنى فازاز حيث تبتدى مواطن صناكة ويحفون بهم كذلك من ناحية القبلة الى بلاد السوس وقبائل هولاء المصامدة بهذه المواطن كثير فمنهم هرغة وهنتاتة وتينملل وكدميوة وكنفيسة ووريكة وركراكة وهزميرة ودكالة وحاحة واصّادن (2) وبنو وازكيت (3) وبنو ماكر وايلانة ويقال هيلانة بالهاء ويقال ايضا ان ايلان هو ابن بر اصهر المصامدة فكانوا خلفاءهم ومن بطون اصادن مسفاوة وماغوس ومن مسفاوة دُغاغة ويوطانان (4) ويقال ان غمارة ورهون وامول من اصادن والله اعلم ويقال ان من بطون حاحة زكن ولخص الظواعن الان بارض السوس احلافا لذوى

(1) Les mss. B et D portent المعرفة — (2) Dans les tables généalogiques, ce nom est écrit اصادر — (3) On lit واركيت dans les mss. A et D. — (4) Le ms. D porte بوطانان

حسان المتغلبين عليها من عرب المعقل ومن بطون كنفيسة ايضا قبيلة سكسيوة الموطنون بامنع المعاقل من هذه الجبال يطل جبلهم على بسيط السوس من القبلة وعلى ساحل البحر المحيط من الغرب ولهم بمنعة معقلهم ذلك اعتزاز على اهل جلدتهم حسبما نذكره بعد وكان لهولاء المصامدة صدر الاسلام بهذه الجبال عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لاخوانهم برغواطة فى نحلة كفرهم وكان من مشاهيرهم كسير (1) بن وسلاس بن شملال من اصادة وهو جد يحيى بن يحيى راوى الموطا عن مالك دخل الاندلس وشهد الفتح مع طارق فى اخرين من مشاهيرهم استقروا بالاندلس وكان لاعقابهم بها ذكر فى دولة الاموية وكذلك كان منهم قبل الاسلام ملوك وامراء ولهم مع لمتونة ملوك المغرب حروب وفتن سائر ايامهم حتى كان اجتماعهم على المهدى وقيامهم بدعوته فكانت لهم دولة عظيمة ادالت من لمتونة بالعدوتين ومن صنهاجة بافريقية حسبما هو مشهور وناتى الان بذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن مبدا امر المهدى ودعوته وما كان للموحدين القائمين بها على يد بنى عبد المومن من السلطان والدولة بالعدوتين وافريقية وبداية ذلك وتصاريفه

لم يزل امر هولاء المصامدة بجبال درن عظيما وجماعتهم موفورة وباسهم قويا وفى اخبار الفتح من حروبهم مع عقبة بن نافع وموسى بن نصير حتى استقاموا على الاسلام ما هو معروف مذكور الى ان اظلتهم دولة لمتونة فكان امرهم فيها مستفحلا وشانهم على اهل السلطان والدولة مهما حتى لقد اختطوا مدينة

(1) Le ms. B porte كير

مراكش لنزلهم جوار مواطنهم من درن ليتمرسوا بهم ويذللوا من صعابهم وفي عنفوان تلك الدولة على عهد على بن يوسف منها نجم امامهم العالم الشهير محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدى اصله من هرغة من بطون المصامدة الذين عددناهم يسمى ابوه عبد الله وتومرت وكان يلقب فى صغره ايضا امغار وهو محمد بن عبد الله بن وُجَلِّيد بن يامصال (١) ابن حمزة بن عيسى فيما ذكره ابن رشيق وحققه ابن القطان وذكر بعض مورخى المغرب انه محمد بن تومرت بن تيطاوين بن سافلا بن مسيغون بن ايكلديس ابن خالد ورغم كثير من المورخين ان نسبه فى اهل البيت وانه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن ابى طالب اخى ادريس الاكبر الواقع نسب الكثير من بنيه فى المصامدة واهل السوس كذا ذكر ابن نخيل فى سليمان هذا وانه لحق بالمغرب اثر اخيه ادريس ونزل تلمسان وافترق ولده فى المغرب قال فمن ولده كل طالبى بالسوس وقيل بل هو من قرابة ادريس اللاحقين به الى المغرب وان رباحا الذى فى عمود هذا النسب انما هو ابن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن وعلى الامرين فان نسبه الطالبى وقع فى هرغة من قبائل المصامدة ووشجت عروقه فيهم والتحم بعصبيتهم فلبس جلدتهم وانتسب بنسبتهم وصار فى عدادهم وكان اهل بيته اهل نسك ورباط وشب محمد هذا قاريا محبا للعلم وكان يسمى اسافو ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج من القناديل بالمساجد لملازمتها وارتحل فى طلب العلم الى المشرق على راس المائة الخامسة ومر بالاندلس ودخل قرطبة وهى اذ ذاك دار علم ثم اجاز الى الاسكندرية وحج ودخل العراق ولقى جلة العلماء يومئذ وفحول النظار وافاد علما واسعا

(1) Le ms. D. porte تامصال

وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده لما كان الكهان والحزى يتحينون
ظهور دولة يومئذ بالمغرب ولقى فيما زعموا ابا حامد الغزالى وفاوضه بذات
صدره فى ذلك فاراده عليه لما كان فيه الاسلام يومئذ باقطار المغرب من
اختلال الدولة وتقويض اركان السلطان الجامع للامة المقيم للملة بعد ان
سائله عمن له من العصابة والقبائل التى تكون بها الاعتزاز والمنعة وبشانها
يتم امر الله فى درك البغية وظهور الدعوة وانطلق هذا الامام راجعا الى المغرب
بحرا منفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين وكان قد لقى بالمشرق ائمة
الاشعرية من اهل السنة واخذ عنهم واستحسن طريقهم فى الانتصار للعقائد
السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة فى صدور اهل البدعة وذهب
الى رائهم فى تاويل المتشابه من الاى والاحاديث بعد ان كان اهل المغرب
بمعزل عن اتباعهم فى التاويل والاخذ برائهم فيه اقتداء بالسلف فى ترك
التاويل وامرار المتشابهات كما جاءت فطعن على اهل المغرب فى ذلك وحملهم
على القول بالتاويل والاخذ بمذاهب الاشعرية فى كافة العقائد واعلن بامامتهم
ووجوب تقليدهم والف العقائد على رائهم مثل المرشدة والتوحيد وكان من
رايه القول بعصمة الامام على راى الامامية من الشيعة والف فى ذلك كتابه
فى امامة الذى افتتحه بقوله اعز ما يطلب وصار هذا المفتتح لقبا على ذلك
الكتاب واحتل بطرابلس اول بلاد المغرب مفتيا بمذهبه ذلك مظهرا
النكير على علماء المغرب فى عدولهم عنه. واخذ نفسه بتدريس العلم والامر
بالمعروف والنهى عن المنكر ما استطاع حتى لقد لقى بسبب ذلك اذايات
فى نفسه احتسبها من صالح اعماله ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز بن
المنصور بن الناصر بن علنّاس بن حماد من امراء صنهاجة وكان من المترفين
فاغلظ له ولاتباعه بالنكير وتعرض يوما لتغيير بعض المنكرات فى الطرق
فوقعت بسببها هيعة نكرها السلطان والخاصة وائتمروا به فخرج منها خائفا

ولحق بملالة على فرسخ منها وبها يومئذ بنو وورياكل من قبائل صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فاووه واجاروه وطالبهم السلطان صاحب بجاية باسلامه اليه فابوا واسخطوه واقام بينهم يدرس العلم اياما وكان يجلس اذا فرغ على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة وهى لهذا العهد معروفة وهنالك لقيه كبير صحابته عبد المومن بن على حاجا مع عمه فاعجب بعلمه واثنى عزمه عن وجهه ذلك واختص به وشمر للاخذ عنه وارتحل المهدى الى المغرب وهو فى جملته ولحق بوانشريس وصحبه منها البشير من جلة اصحابه ثم لحق بتلمسان وقد تسامع الناس بخبره فاحضره القاضى بها ابن صاحب الصلاة ووبخه على منتحله ذلك وخلافه لاهل قطره وظن ان العذل يزعه عن ذلك فصم عن قبوله واستمر على طريقه الى فاس ثم الى مكناسة ونهى بها عن بعض المناكير فاوقع به الشرار من الغوغا واوجعوه ضربا ولحق بمراكش واقام بها اخذا فى شانه ولقى على بن يوسف بالمسجد الجامع فى صلاة الجمعة فوعظه واغلظ له القول ولقى ذات يوم الصورة اخت على بن يوسف حاسرة قناعها على عادة قومها الملثمين فى زى نسائهم فوبخها ودخلت على اخيها باكية لما نالها من تقريعه ففاوض الفقهاء فى شانه بما وصل اليه من شهرته وكانوا ملئوا منه حسدا وحفيظة لما كان ينتحل مذهب الاشعرية فى تاويل المتشابه وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف فى امراره كما جاء ويرى ان الجمهور لقنوه تجسيما ويذهب الى تكفيرهم بذلك احد قولى الاشعرية فى التكفير بمال الراى فاغروا الامير به واحضره لمناظرة معهم فكان له الفتح والظهور عليهم وخرج من مجلسه ونذر بالشر منهم فلحق من يومه باغمات وغير المناكير على عادته واغرى به اهلها على بن يوسف وطيروا اليه بخبره فخرج عنها هو وتلميذه الذين كانوا فى صحابته ودعا اسماعيل بن ايكيك من اصحابه مايتين من انجاد قومه وخرج به الى منجاة

من جبال المصامدة لحق اولا بمسفيوة ثم بهنتاتة ولقيه من اشياخهم عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن على وهو الشيخ ابو حفص ويعرف بيته بين هنتاتة ببنى فاصكات وتقول نسابتهم ان فاصكات هو جد وانودين ويقال لهنتاتة بلسانهم ينتى فلذلك كان يعرف عمر بينتى وسياتى الكلام فى تحقيق نسبه عند ذكر دولتهم ثم ارتحل المهدى عنهم الى ايكيليين من بلاد هرغة فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسماية وبنى رابطة للعبادة واجتمعت اليه الطلبة والقبائل فاعلمهم المرشدة والتوحيد باللسان البربرى وشاع امره فى محبته واستدرك رئيس الفيئة العلمية بمجلس الامير على بن يوسف وهو مالك بن وهيب اغراه به وكان حزّاء ينظر فى النجوم وكان الكهان يتحدثون بان ملكا كائن بالمغرب لامة من البربر ويتغير فيه شكل السكة لقران بين الكوكبين العلويين من السيارة يقتضى ذلك فى احكامهم وكان الامير يتوقعها فقال له احتفظ بالدولة من الرجل فانه صاحب القران والدرهم المربع فى كلام سفساق بسجع سوقى يتناقل الناس نصه وهو ۞ اجعل على رجله كبلا ۞ ليلا يسمعك طبلا ۞ واظنه صاحب الدرهم المربع فطلبه على بن يوسف فتفقده وسرح الخيالة فى طلبه ففاتهم وداخل عامل السوس وهو ابو بكر بن محمد اللمتونى بعض هرغة فى قتله ونذر بهم اخوانهم فنقلوا الامام الى معقل امتناعهم وقتلوا من داخل فى امره ثم دعا المصامدة الى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين دونه سنة خمس عشرة وخمسماية فتقدم اليها رجالاتهم من العشرة وغيرهم وكان فيهم من هنتاتة ابو حفص عمر بن يحيى وابو يحيى بن يكيت ويوسف بن وانودين وابن يغمور ومن تينملل ابو حفص عمر بن على اصناك ومحمد بن سليمان وعمر بن تافراكين وعبد الله ابن ملويات واوعب قبيلة هرغة فدخلوا فى امره كلهم ثم دخل معهم كدميوة وكنفيسة ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدى وكان لقبه قبلها الامام وكان

يسمى اصحابه الطلبة واهل دعوته الموحدين ولما تم له خمسون من اصحابه سماهم ايت الخمسين وزحف اليهم عامل السوس ابو بكر بن محمد اللمتونى بمكانهم من هرغة فاستجاشوا باخوانهم من هنتاته وتينملل فاجتمعوا اليهم واوقعوا بعسكر لمتونة فكانت مقدمة الفتح وكان الامام يعدهم بذلك فاستبصروا فى امره وتسابق كافتهم الى الدخول فى دعوته وترددت عساكر لمتونة اليهم مدة بعض اخرى ففضوهم وانتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تينملل فاوطنه وبنى داره ومسجده بينهم وحوالى منبع وادى نفيس وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا فقاتل اولا هزرجة واوقع بهم مرارا ودانوا بالطاعة ثم قاتل هسكورة ومعهم ابو درقة اللمتونى فغلبهم وقفل فاتبعه بنو وازكيت فاوقع بهم الموحدون واثخنوا فيهم قتلا واسرا ثم غزا بلد عجدامة (1) وكان قد افتتحه وترك به الشيخ ابا محمد عطية من اصحابه فغدروا به وقتلوه فغزاهم واستباحهم ورجع الى تينملل واقام بها الى ان كان شان البشير وميز الموحد من المنافق وكانوا يسمون لمتونة الحشم فاعتزم على غزوهم وجمع كافة اهل دعوته من المصامدة وزحف اليهم فلقوه بكيك وهزمهم الموحدون واتبعوهم الى اغمات فلقيهم هنالك زحوف لمتونة مع بكو (2) بن على ابن يوسف وابراهيم بن تاعبّاست فهزمهم الموحدون وقتل ابراهيم واتبعوهم الى مراكش فنزلوا البحيرة فى زها اربعين الفا كلهم رجلى الا اربعماية فارس واحتفل على بن يوسف فى الاحتشاد وبرز اليهم لاربعين من نزولهم عليه من باب ايلان فهزمهم واثخن فيهم قتلا وسبيا وفقد البشير من اصحابه واستحر القتل فى هيلانة وابلى عبد المومن فى ذلك اليوم احسن البلاء وكانت وفاة المهدى لاربعة اسهر بعدها وكان يسمى اتباعه بالموحدين تعريضا بلمتونة فى اخذهم بالعدول عن التاويل ومـاله الى التجسيم وكان حصورا لا ياتى النساء

(1) Le ms. D porte غجدامة et le ms. A عجزامه — (2) Le ms. B porte بكو et le ms. A مكر

وكان يلبس العباة المرقعة وله قدم فى التقشف والعبادة ولم يحفظ عنه فلتة فى البدعة الا ما كان من وفاقه الامامية من الشيعة فى القول بالامام المعصوم

الخبر عن دولة عبد المومن خليفة المهدى والخلفاء الاربعة من بيته ووصف احوالهم ومصائر امورهم

لما هلك المهدى سنة ثنتين وعشرين كما ذكرناه وقد عهد بامره من بعده لكبير صحابته عبد المومن بن على الكومى المقدم ذكره ونسبه عند ذكر قومه فقبر بمسجده لصق داره من تينملل وخشى اصحابه من افتراق الكلمة وما يتوقع من سخط المصامدة ولاية عبد المومن لكونه من غير جلدتهم فارجوا الامر الى ان تخالط بشاشة الدعوة قلوبهم وكتموا موتة زعموا ثلاث سنين يموهون بمرضه ويقيمون سنته فى الصلاة والحزب الراتب ويدخل صحابته الى البيت كانه اختصهم بعبادته فيجلسون حفافى قبره ويتفاوضون فى شونهم بمحضر اخته زينب ثم يخرجون لانفاذ ما ابرموه ويتولاه عبد المومن بتسليمهم حتى اذا استحكم امرهم وتمكنت الدعوة من نفوس كافتهم كشفوا حينئذ القناع عن حالهم وتمالا من بقى من العشرة على تقديم عبد المومن وتولى كبر ذلك الشيخ ابو حفص واراد هنتاتة وسائر المصامدة عليه فاظهروا للناس موت المهدى وعهده لصاحبه وانقياد بقية اصحابه لذلك وروى يحيى بن يغمور عن الامام انه يقول فى دعائه اثر صلواته اللهم بارك لى فى الصاحب الافضل فرضى الكافة وانقادوا واجمعوا على بيعته بمدينة تينملل سنة اربع وعشرين فقام بامر الموحدين وابعد فى الغزوات فصبح تادلا واصاب

منهم ثم غزا درعة واستولى عليها سنة ست وعشرين ثم غزا تاشعبوت (1) وافتتحها وقتل واليها ابا بكر بن مَزَرْوال ومن كان معه من قومه غمارة بنى ونام (2) وبنى مزردع ثم تسابق الناس الى دعوتهم افواجا وانتقض البرابر فى سائر اقطار المغرب على لمتونة وسرح على بن يوسف ابنه تاشفين لقتالهم سنة ثلاث وثلثين فجاءهم من ناحية ارض السوس واحتشد معه قبائل كزولة وجعلهم فى مقدمته فلقيهم الموحدون باوائل جبلهم وهزموهم ورجع تاشفين ولم يلق حربا ودخل كزولة من بعدها فى دعوة الموحدين واجمع عبد المومن على غزو بلاد المغرب فغزا غزاته الطويلة منذ سنة اربع وثلاثين الى سنة احدى واربعين ولما يراجع فيها تينملل حتى انقضت بالفتح والاستيلاء على المغربين خرج اليها من تينملل وخرج تاشفين بعساكره يحاذيه فى البسيط والناس يفرون منه الى عبد المومن وهو ينتقل فى الجبال فى سعة من الفواكه للاكل والحطب للدفء الى ان وصل الى جبال غمارة واشتعلت نار الفتنة والغلا بالمغرب وامتنعت الرعايا من المغرم والح الطاغية على المسلمين بالعدوة وهلك خلال ذلك على بن يوسف امير لمتونة وملك العدوتين سنة سبع وثلاثين وخمسماية وولى امرهم تاشفين ابنه وهو فى غزاته هذا وقد احيط به وحدث بعد موت ابيه على فتنة بين لمتونة ومسوفة ففزع امراء مسوفة مثل برّاز (3) بن محمد ويحيى بن تاكغت ويحيى بن اسحاق المعروف بانكمار وكان والى تلمسان ولحقوا بعبد المومن فيمن اليهم من الجملة ودخلوا فى دعوته ونبذ اليهم لمتونة العهد والى سائر مسوفة واستمر عبد المومن على حاله فنازل سبتة وامتنعت عليه وتولى كبر دفاعه عنها القاضى عياض الشهير الذكر كان رئيسها

(1) Le ms. B porte تاسغيموت — (2) Le ms. A porte وارنتى et le ms. E ونار — (3) Variante بران

يومئذ بدينه وابوته ومنصبه ولذلك تخطته الدولة اخر الايام حتى مات مغربا عن سبتة بتادلا مستعملا فى خطة القضاء بالبادية وتمادى عبد المومن فى غزاته الى جبال غياثة وبطوية فافتتحها ثم نزل ملوية فافتتح حصونها ثم تخطى الى بلاد زناتة فاطاعته قبائل مديونة وكان بعث اليهم عسكرا من الموحدين لنظر يوسف بن وانودين وابن يرمور (1) فخرج اليهم محمد بن يحيى ابن فانوا عامل تلمسان فيمن معه من عساكر لمتونة وزناتة فهزمهم الموحدون وقتل ابن فانوا وانفض عسكر زناتة ورجعوا الى بلادهم وولى ابن (2) تاشفين على تلمسان ابا بكر بن مزدلى ووصل الى عبد المومن بمكانه من الريف ابو بكر ابن ماخوخ ويوسف بن يدّر امراء بنى ومانوا فبعث معهم ابن يخمور وابن وانودين فى عسكرهم من الموحدين فاثخنوا فى بلاد بنى عبد الواد وبنى يلومى سبيا واسرا وامدتهم عساكر لمتونة ومعهم الزبرتير قائد الروم فنزلوا منداس واجتمعت عليهم زناتة فى بنى يلومى وبنى عبد الواد وشيخهم حمامة ابن مطهر وبنى ينكاسن وبنى ورسيفان وبنى توجين فاوقعوا ببنى ومانّوا واستنقذوا غنائمهم من ايديهم وقتلوا ابا بكر بن ماخوخ فى ستماية من قومه وتحصن الموحدون وابن وانودين بجبال سيرات ولحق تاشفين بن ماخوخ بعبد المومن صريخا على لمتونة وزناتة فارتحل معه الى تلمسان ثم اجاز الى سيرات وقصد محلة لمتونة وزناتة فاوقع بهم ورجع الى تلمسان فنزل ما بين الصخرتين من جبل بنى ورنيد ونزل تاشفين باصْطَفْصِف ووصل مدده صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب بجاية لنظر طاهر بن كباب من قوادد امدوا به تاشفين وقومه لعصبية الصنهاجية وفى يوم وصوله اشرف على معسكر الموحدين وكان يدل باقدام وباس فزرا بلمتونة واميرهم لقعودهم عن مناجزة الموحدين وقال

(1) Le ms. B porte مومور et le ms. A يرمون — (2) Ce mot ابن me paraît devoir être supprimé.

انما جئتكم لامكنكم من صاحبكم عبد المومن هذا وارجع الى قومى فامتعض تاشفين لكلمته واذن له فى المناجزة فحمل على القوم فركبوا وصمموا للقائه فكان اخر العهد به وبعسكره وكان تاشفين بعث من قبل ذلك قائده على الروم الزبرتير فى عسكر ضخم كما قلناه فاغار على بنى سنوس وزناتة الذين كانوا فى بسيطهم ورجع بالغنائم فاعترضه الموحدون من معسكر عبد المومن فقتلوهم وقتل الزبرتير وصلب ثم بعث بعثا اخر الى بلاد بنى ومانوا فلقيهم تاشفين بن ماخوخ ومن كان معه من الموحدين واوقعوا بهم واعترضوا عسكر بجاية عند رجوعهم فنالوا منهم اعظم النيل وتوالت هذه الوقائع على تاشفين فاجمع الرحلة الى وهران وبعث ابنه ابراهيم ولى عهده الى مراكش فى جماعة من لمتونة وبعث كاتبا معه احمد بن عطية ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين واقام عليها شهرا ينتظر قائد اسطوله محمد بن ميمون الى ان وصله من المرية بعشرة اساطيل فارساها قريبا من معسكره وزحف عبد المومن من تلمسان وبعث فى مقدمته الشيخ ابا حفض عمر بن يحيى وبنى ومانوا من زناتة فتقدموا الى بلاد بنى يلومى وبنى عبد الواد وبنى ورسيفن وبنى توجين واثخنوا فيهم حتى دخلوا فى دعوتهم ووفد على عبد المومن برؤسائهم وكان منهم سيد الناس ابن امير الناس شيخ بنى يلومى فتلقاهم بالقبول وسار فى جموع الموحدين الى وهران ففجعوا لمتونة بمعسكرهم ففضوهم ولجا تاشفين الى رابطة هنالك فاحدقوا بها واضرموا النيران حولها حتى غشيهم الليل فخرج تاشفين من الحصن راكبا على فرسه فتردا من بعض حافات الجبل وهلك لسبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسماية وبعث براسه الى تينملل ولجا فل العسكر الى وهران فانحصروا مع اهلها حتى جهدهم العطش ونزلوا جميعا على حكم عبد المومن يوم الفطر من تلك السنة وبلغ خبر مقتل تاشفين الى تلمسان مع فل لمتونة وفيهم ابو بكر بن

ويحى (1) وسير بن الحاج وعلى بن فيلو فى اخرين من اعيانهم ففر معهم من كان
بها من لمتونة وقدم عبد المومن فقتل من وجد بتاكرارت بعد ان كانوا
بعثوا ستين من وجوههم فلقيهم يصليتن من مشيخة بنى عبد الواد فقتلهم
جميعا ولما وصل عبد المومن الى تلمسان استباح اهل تاكرارت لما كان
اكثرهم من الجشم وعفا عن اهل تلمسان ورحل عنها لسبعة اشهر من
فتحها بعد ان ولى عليها سليمان بن محمد بن وانودين وقيل يوسف بن وانودين
وفيما نقل بعض المورخين انه لم يزل محاصرا لتلمسان والفتوح ترد عليه
وهناك وصلته بيعة سجلماسة ثم اعتزم على الرحيل الى المغرب وترك ابراهيم
ابن جامع محاصرا لتلمسان فقصد فاس سنة اربعين وقد تحصن بها يحيى
الصحراوى ولحق بها من فل تاشفين من تلمسان فنازلها عبد المومن وبعث
عسكرا لحصار مكناسة ثم رحل فى اتباعه وترك عسكرا من الموحدين على
فاس وعليهم الشيخ ابو حفص وابو ابراهيم من صحابة المهدى العشرة فحاصروها
سبعة اشهر ثم داخلهم ابن الجيانى مشرف البلد وادخل الموحدين ليلا
وفر الصحراوى الى طنجة واجاز منها الى ابن غانية بالاندلس وبلغ خبر فاس
الى عبد المومن وهو بمكانه من حصار مكناسة فرجع اليها وولى عليها
ابراهيم بن جامع وولى على حصار مكناسة يحيى بن يغمور ورحل الى مراكش
وكان ابراهيم بن جامع لما افتتح تلمسان ارتحل الى عبد المومن وهو محاصر
لفاس فاعترضه فى طريقه المخضب بن عسكر امير بنى مرين باكرسيف
ونالوا منه ومن رفقته فكتب عبد المومن الى يوسف بن وانودين بن (2) عامل
تلمسان ان يجهز اليهم العساكر فبعثها صحبة عبد الحق بن مَنْغْفاد شيخ
بنى عبد الواد فاوقعوا ببنى مرين وقتل المخضب اميرهم ولما ارتحل عبد
المومن من فاس الى مراكش وصلته فى طريقه بيعة اهل سبتة فولى

(1) Le ms. A porte نجى — (2) Ce mot بن paraît être ici de trop.

عليهم يوسف بن مخلوف من مشيخة هنتاتة ومر بسلا فافتتحها بعد مواقفة قليلة ونزل منها بدار ابن عشرة ثم تمادى الى مراكش وسرح الشيخ ابا حفص لغزو برغواطة فاثخن فيهم ورجع ولقيه فى طريقه ووصلوا جميعا الى مراكش وقد ضووا اليها جموع لمطة فاوقع بهم الموحدون واثخنوا فيهم قتلا واكتسحوا اموالهم وظعائنهم واقاموا على مراكش سبعة اشهر واميرهم اسحاق ابن على بن يوسف بايعوه صبيا صغيرا عند بلوغ خبر ابيه ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى مدافعة الموحدين فانهزموا وتتبعهم الموحدون بالقتل واقتحموا عليهم المدينة فى اخريات شوال سنة احدى واربعين وقتل عامة الملثمين ونجا اسحاق فى جملته واعيان قومه الى القصبة حتى نزلوا على حكم الموحدين واحضر اسحاق بين يدى عبد المومن فقتله الموحدون بايديهم وتولى كبر ذلك ابو حفص بن واكاك منهم وانمحا اثر الملثمين واستولى الموحدون على جميع بلاد المغرب ثم خرج عليهم بناحية السوس ثائر من سوقة سلا يعرف محمد بن عبد الله بن هود وتلقب بالهادى وظهر فى رباط ماسة فاقبل اليه الشرار من كل جانب وانصرفت اليه وجوه الاغمار من اهل الافاق واخذ بدعوته اهل سجلماسة ودرعة وقبائل دكالة وركراكة وقبائل تامسنا وهوارة وفشت ضلالته فى جميع المغرب فسرح اليه عبد المومن عسكرا من الموحدين لنظر يحيى انكمار المسوفى النازع اليه من ايالة تاشفين بن على ولقى هذا الثائر الماسى ورجع منهزما الى عبد المومن فسرح الشيخ ابا حفص عمر بن يحيى واشياخ الموحدين واحتفل فى الاستعداد فنهضوا الى رابطة ماسّة وبرز اليهم الثائر فى نحو ستين الفا من الرجال وسبعماية من الفرسان فهزمهم الموحدون وقتل داعيتهم فى المعركة مع اكثر اتباعه وذلك فى ذى الحجة سنة احدى واربعين وكتب الشيخ ابو حفص بالفتح الى عبد المومن من انشاء ابى جعفر بن عطية الشهير الذكر

كان ابوه ابو احمد كاتبا لعلى بن يوسف وابنه تاشفين وتحصل فى قبضة الموحدين فعفا عنه عبد المومن ولما نـزل على فاس اعتزم ابو احمد هـذا على الفرار فتقبض عليه فى طريقه واعتذر فلم يقبل عذره وقتل وكان ابنه احمد كاتبا لاسحاق بن على بمراكش فشمله عفو السلطان فيمن شمـله من ذلك الفل وخرج فى جملة الشيخ ابى حفص فى وجهته هذه وطلبه للكتاب فى ذلك فاجاد واستحسن كتابه عبد المومن لما وقف عليه فاستكتبه اولا ثم ارتفع عنده بخلاله فاستوزره وبعد فى الدولة صيته وقاد العساكر وجمع الامـوال وبذلها ونال من الرتبة عند السلطان ما لم ينله احد فى دولتهم الى ان دبـت عقارب السعاية الى مهاده الوثير فكان فيها حتفه ونكبه الخليفة سنـة ثلاث وخمسين وقتله بمحبسه حسبما هو مشهور ولما انصرف الشيخ ابـو حفص من غزاة ماسة اراح بمراكش اياما ثم خرج غازيا الى القائمين بدعوة الماسى بجبال درن فاوقع باهل نفيس وهيلانة واثخن فيهم بالقتـل والسبى حتى اذعنوا بالطاعة ورجع ثم خرج الى هسكورة واوقع بهم وافتتح معـاقلهم وحصونهم ثم نهض الى سجلماسة فاستولى عليها ورجع الى مـراكش ثم خرج ثالثة الى برغواطة فحاربوه مدة ثم هزموه واضطرمت نار الفتنة بالمغرب وانتقض اهل سبتة واخرجوا يوسف بن مخلوف التينملى وقتلوه ومن كـان معه من الموحدين واجاز القاضى عياض البحر الى يحيى بن على بن غانية المسوفى الوالى بالاندلس فلقيه بالخضراء وطلب منه واليا على سبتة فبعث معه يحيى بن ابى بكر الصحراوى الذى كان بفاس منذ منازلة عبد المومن لها وذكرنا انه لحق بطنجة فاجاز البحر الى الاندلس ولحق بابن غانية بقرطبة وصار فى جملته وبعثه ابن غانية الى سبتة مع القاضى عياض كما ذكرناه وقام بامرها ووصل يده بالقبائل الناكثة لطاعة الموحدين من برغواطـة ودكالة على حين هزيمتهم للموحدين كما ذكرناه ولحق بهم من مكانه بسبتة

وخرج اليهم عبد المومن بن على سنة ثنتين واربعين فدوخ بلادهم واستاصل شافتهم حتى انقادوا للطاعة وتبرءوا من يحيى الصحراوى ولمتونة ورجع الى مراكش لستة اشهر من خروجه ووصلته الرغبة من مشيخة القبائل فى يحيى الصحراوى فعفا عنه وصلحت احوال المغرب وراجع اهل سبتة طاعتهم فتقبل منهم وكذلك اهل سلا فصفح لهم وامر بهدم سورهم

فتح الاندلس وشئونها

ثم صرف عبد المومن نظره الى الاندلس وكان من خبرها انه اتصل بالملثمين مقتل تاشفين بن على ومنازلة الموحدين مدينة فاس وكان على بن عيسى بن ميمون قائد اسطولهم قد نزع طاعة لمتونة وانتزى بجزيرة قادس فلحق بعبد المومن بمكانه من حصار فاس ودخل فى دعوته وخطب له بجامع قادس اول خطبة خطبت لهم بالاندلس عام اربعين وخمسماية وبعث احمد بن قسى صاحب مُرْتُلّة ومقيم الدعوة بالاندلس ابا بكر بن حُبيس (1) رسولا الى عبد المومن فلقيه على تلمسان وادى كتاب صاحبه فانكر ما تضمنه من النعت بالمهدى ولم يجاوب وكان سدّراى بن وزير صاحب بطليوس وباجة وغرب الاندلس قد تغلب على احمد بن قسى هذا وغلبه على مرتلة فاجاز احمد بن قسى البحر الى عبد المومن بعد فتح مراكش لمداخلة على بن عيسى بن ميمون ونزل بسبتة فجهزه يوسف بن مخلوف ولحق بعبد المومن ورغبه فى ملك الاندلس واغراه بالملثمين فبعث معه عساكر الموحدين لنظر براز بن محمد المسوفى النازع الى عبد المومن من جملة تاشفين وعقد له على حرب من بها من لمتونة والثوار

(1) Le ms. A porte حبيش et le ms. E حميسن

وامده بعسكر اخر لنظر موسى بن سعيد وبعده بعسكر اخر لنظر عمر بن صالح الصنهاجى ولما اجازوا الى الاندلس نازلوا ابا الغمر بن عزون من الثوار بشريش وكانت له مع رندة ثم قصدوا لبلة وبها من الثوار يوسف بن احمد البطروجى (1) فاعطاهم الطاعة ثم قصدوا مرتلة وهى تحت الطاعة لتوحيد صاحبها احمد بن قسى ثم قصدوا شلب فافتتحوها وامكنوا منها ابن قسى ثم نهضوا الى باجة وبطليوس فاطاعهم صاحبها سدراى بن وزير ثم رجع براز فى عسكر الموحدين الى مرتلة حتى انصرم فصل الشتاء فخرج الى منازلة اشبيلية فاطاعه اهل طلياطة (2) وحصن القصر واجتمع اليه سائر الثوار وحاصروا اشبيلية برا وبحرا الى ان اقتحموها فى شعبان سنة احدى واربعين وفر الملثمون بها الى قرمونة وقتل من ادرك منهم واتى القتل على عبد الله ابن القاضى ابى بكر ابن العربى فى هيعة تلك الدخلة من غير قصد وكتبوا بالفتح الى عبد المومن ابن على وقدم عليه وفدهم بمراكش يقدمهم القاضى ابو بكر فتقبل طاعتهم وانصرفوا بالجوائز والاقطاعات لجميع الوفد سنة ثنتين واربعين وخمسماية وهلك القاضى ابو بكر فى طريقه ودفن بمقبرة فاس وكان عبد العزيز وعيسى اخوا المهدى من مشيخة العسكر باشبيلية فساء اثرهما فى البلد واستطالت ايديهما على اهله واستباحو الدماء والاموال ثم اعتزما على الفتك بيوسف البطروجى صاحب لبلة فلحق ببلده واخرج الموحدين الذين بها وحول الدعوة عنهم وبعث الى طلياطة وحصن القصر ووصل يده بالملثمين كانوا بالعدوة وارتد ابن قسى فى مدينة شلب وعلى بن عيسى بن ميمون بجزيرة قادس ومحمد بن على بن الحجام بمدينة بطليوس وثبت ابو الغمر بن عزون على طاعة الموحدين بشريش ورندة وجهاتهما وتغلب ابن غانية على الجزيرة الخضراء وانتقض اهل سبتة كما ذكرناه وضاقت احوال الموحدين باشبيلية فخرج

(1) Les mss. A et E portent البطروجى — (2) Le ms. A porte طليلطة et le ms. E طليطلة

منها عيسى وعبد العزيز اخوا (1) المهدى وابن عمهما يصليتن بمن كان معهم ولحقوا بجبل بيستر (2) جاءهم ابو الغمر بن عزون واتصلت يديهم على حصار الجزيرة حتى افتتحوها وقتلوا من كان بها من لمتونة ولحق اخوا المهدى بمراكش وبعث عبد المومن على اشبيلية يوسف بن سليمان فى عسكر من الموحدين وابقى براز بن محمد على الجباية فخرج يوسف ودوخ اعمال البطروجى بلبلة وطلياطة (3) وعمل ابن قسى بشلب ثم اغار على طبيرة (4) واطاعه عسى بن ميمون صاحب شنتمرية وغزا معهم وارسل محمد بن على بن الحجام صاحب بطليوس بهداياه فتقبلت ورعيت له ورجع يوسف الى اشبيلية وفى اثناء ذلك استغلظ الطاغية على يحيى بن على بن غانية بقرطبة ولح على جهاته حتى نزل له عن بياسة وابّدة وتغلب على الاشبونة وطرطوشة ولاردة وافراغة وشنتمرية وغيرها من حصون الاندلس وطالب ابن غانية بالزيادة فى ضريبته او الافراج له عن قرطبة فراسل ابن غانية براز بن محمد واجتمعا باسجة وضمن له براز امداد الخليفة على ان يتخلى عن قرطبة وقرمونة ويدال منها بجيان فرضى بذلك وتم العقد ووصل خطاب عبد المومن بامضائه فارتحل ابن غانية الى جيان ونازله الطاغية بها فغدر باقماطه واعتقلهم بقلعة ابن سعيد وافرج الطاغية عن جيان ولحق هو بغرناطة وبها ميمون بن يدر (5) اللمتونى فى جماعة من المرابطين قصده ابن غانية ليحمله على مثل حاله مع الموحدين فكان مهلكه بها بشعبان سنة ثلاث واربعين وقبره بها معروف لهذا العهد وانتهز الطاغية فرصته فى

(1) Ici, et quelques lignes plus haut, les mss. portent أخو — (2) Le ms. A porte بتستر le ms B بُبُشْتر et le ms. D بمستر — (3) Les mss. B et D portent طلطايه et le ms. E طلطانه — (4) Les mss. A et D portent صنبره et le ms. B صبيره — (5) Les mss. A et D portent بدر

قرطبة فزحف اليها ودفع الموحدون باشبيلية ابا الغمر بن عزون لحمايتها ووصل اليه مدد يوسف البطروجى من لبلة وبلغ الخبر عبد المومن فبعث اليها عسكرا من الموحدين لنظر يحيى بن يغمور ولما دخلها افرج عنها الطاغية لايام من مدخله وبادر الثوار الى يحيى بن يغمور فى طلب الامان من عبد المومن ثم تلاحقوا به بمراكش فتقبلهم وصفح لهم ونهض الى مدينة سلا سنة خمس واربعين واستدعا منها اهل الاندلس فوفدوا عليه وبايعوه جميعا وبايعه الروساء من الثوار على الانخلاع من الامر مثل سدراى بن وزير صاحب باجة ويابورة والبطروجى صاحب لبلة وابن عزون صاحب شريش ورندة وابن الحجام صاحب بطليوس وعامل بن منيب (1) صاحب طابيرة (2) وتخلف ابن قسى واهل شلب عن هذا الجمع فكان سببا لقتله من بعد ورجع عبد المومن الى مراكش وانصرف اهل الاندلس الى بلادهم واستصحب الثوار فلم يزالوا بحضرته

فتح افريقية وشؤونها

ثم بلغ عبد المومن ما هى افريقية عليه من اختلاف الامراء واستطالة العرب عليها بالعيث والفساد وانهم حاصروا مدينة القيروان وان موسى بن يحيى الرياحى المرداسى دخل مدينة باجة وملكها فاجمع الرحلة الى غزو افريقية بعد ان شاور الشيخ ابا حفص وابا ابراهيم وغيرهما من المشيخة فوافقوه وخرج من مراكش فى اواخر سنة ست واربعين موريا بالجهاد حتى انتهى الى سبتة واستوضح احوال اهل الاندلس ثم رحل عن سبتة موريا بمراكش واغذ السير الى بجاية فدخل الجزائر على حين غفلة وخرج اليه الحسن بن

(1) On lit dans le ms. D. مهيب le ms. A porte سيب — (2) Le ms. B porte طلبيرة

على صاحب المهدية فصحبه واعترضته جيوش صنهاجة بامر العلو فهزمهم وصبح بجاية من الغد فدخلها وركب يحيى بن العزيز البحر فى اسطولين كان اعدهما لذلك واحتمل فيها ذخائره وامواله ولحق بقسنطينة الى ان نزل بعد ذلك عنها على امان عبد المومن واستقر بمراكش تحت الجراية والعناية الى ان هلك رحمه الله ثم سرح عبد المومن عساكر الموحدين وعليهم ابنه عبد الله الى القلعة وبها جوشن بن العزيز فى جموع صنهاجة فاقتحمها واستلحم من كان بها منهم واضرم النار فى مساكنها وقتل جوشن ويقال ان القتلى بها كانوا ثمانية عشر الفا وامتلات ايدى الموحدين من الغنائم والسبى وبلغ الخبر الى العرب بافريقية من الاثبج وزغبة ورياح وقسرة فعسكروا بظاهر باجة وتدامروا على الدفاع عن ملكهم يحيى بن العزيز وارتحلوا الى سطيف وزحف اليهم عبد الله بن عبد المومن فى الموحدين الذين معه وكان عبد المومن قد قفل الى المغرب ونزل متيجة فلما بلغه الخبر بعث المدد لابنه عبد الله والتقى الفريقان بسطيف واقتتلوا ثلاثا ثم انفضت جموع العرب واستلحموا وسبيت نساؤهم واكتسحت اموالهم واسر انباؤهم ورجع عبد المومن الى مراكش سنة سبع واربعين ووفد عليه كبراء العرب من اهل افريقية طائعين فوصلهم ورجعهم الى قومهم وعقد على فاس لابنه السيد ابى الحسن واستوزر له يوسف بن سليمان وعقد على تلمسان لابنه السيد ابى حفص واستوزر له ابا محمد بن وانودين وعلى سبتة للسيد ابى سعيد واستوزر له محمد بن سليمان وعلى بجاية للسيد ابى محمد عبد الله واستوزر له يخلف بن الحسين واختص ابنه ابا عبد الله بولاية عهده وتقلب بذلك كله ضمائر عبد العزيز ويحيى اخوى المهدى فلحقا بمراكش مضمرين للغدر وادخلوا بعض الاوغاد فى شانهم فوثبوا بعمر بن تافراكين وقتلوه بمكانه من القصبة ووصل على اثرهما الوزير ابو جعفر

ابن عطية وعبد المومن على اثره فطفا نار تلك الثورة وقتل اخوا المهدى ومن داخلهم فيها

بقية فتح الاندلس

وبلغه بمراكش سنة تسع واربعين ان يحيى بن يغمور صاحب اشبيلية قتل اهل لبلة بما كان من غدر الوهبى لها ولم يقبل معذرتهم فى ذلك فسخط يحيى بن يغمور وعزله عن اشبيلية بابى محمد عبد الله بن ابى حفص ابن على التينمللى وعن قرطبة بابى زيد بن بكيت وبعث عبد الله بن سليمان فجاء بابن يغمور معتقلا الى الحضرة والزمه منزله الى ان بعثه مع ابنه السيد ابى حفص الى تلمسان واستقام امر الاندلس وخرج ميمون بن يدر اللمتونى عن غرناطة للموحدين فملكوها واجاز اليها السيد ابو سعيد صاحب سبتة بعهد ابيه عبد المومن اليه بذلك ولحق الملثمون بمراكش ونازل السيد ابو سعيد مدينة المرية حتى نزل من كان بها من النصارى على الامان وحضر لذلك الوزير ابو جعفر بن عطية بعد ان امدهم ابن مردنيش الثائر بشرق الاندلس والطاغية معه وعجزوا جميعا عن المدافعة ثم وفد اشياخ اشبيلية سنة احدى وخمسين ورغبوا من عبد المومن ولاية بعض ابنائه عليهم فعقد لابنه السيد ابى يعقوب عليها وافتتح امره بمنازلة على الوهبى الثائر بطبيرة ومعه الوزير ابو جعفر بن عطية حتى استقام على الطاعة ثم استولى على عمل ابن وزير وابن قسى واستنزل تاشفين اللمتونى من مرتلة سنة ثنتين وخمسين وكان الذى امكن الملثمين منها ابن قسى واستتم الفتح ورجع السيد الى اشبيلية وانصرف ابو جعفر بن

عطية الى مراكش فكانت نكبته ومقتله واستوزر عبد المومن بعده عبد السلام الكومى كان يمت اليه بذمة صهر فلم يزل على وزارته

بقية فتح افريقية

لما بلغ عبد المومن سنة ثلاث وخمسين ما كان من ايقاع الطاغية بابنه السيد ابى يعقوب بظاهر اشبيلية ومن استشهد من اشياخ الموحدين وحفاظهم ومن الثوار مثل ابن عزون وابن الحجام نهض يريد الجهاد واحتل سلا فبلغه انتقاض افريقية واهمه شان النصارى بالمهدية فلما توافت العساكر بسلا استخلف الشيخ ابا حفص على المغرب وعقد ليوسف بن سليمان على مدينة فاس ونهض يغذ السير حتى نازل المهدية ومن بها من نصارى اهل صقلية فافتتحها صلحا سنة خمس وخمسين واستنقذ جميع البلاد الساحلية مثل صفاقس وطرابلس من ايدى العدو وبعث ابنه عبد الله من مكان حصاره للمهدية الى قابس فاستخلصها من يد بنى كامل المتغلبين عليها من دهمان بعض بطون رياح واستخلص قفصة من يد بنى الورد وزرعة من يد بنى بروكسن وطبرقة من يد ابى علال (1) وجبل زغوان من يد بنى حماد بن خليفة (2) وشقبنارية من يد بنى عياد (3) ابن نصر الله ومدينة الاربص من يد ملكها من العرب حسبما ذلك مذكور فى اخبار هولاء الثوار فى دولة صنهاجة ولما استكمل الفتح وثنى عنانه الى المغرب سنة ست وخمسين بلغه ان الاعراب بافريقية انتقضوا عليه فرجع اليهم عسكرا من الموحدين فنهضوا الى القيروان واوقعوا بالعرب وقتل كبيرهم محرز من زياد الفارغى من بنى على احدى بطون رياح

(1) Les mss. A et B portent غلال — (2) On lit خلفة dans les mss. A et B. — (3) Les mss. B et E ainsi que celui d'El-Kharoubi portent عباد

اخبار ابن مردنيش الثائر بشرق الاندلس

كان بلغ عبد المومن وهو بافريقية ان محمد بن مردنيش الثائر بشرق الاندلس خرج من مرسية ونازل جيان واطاعه واليها محمد بن على الكومى ثم نازل بعدها قرطبة ورحل عنها وغدر بقرمونة وملكها ثم رجع الى قرطبة وخرج ابن بكيت لحربه فهزمه وقتله فكتب الى عماله بالاندلس بفتح افريقية وانه واصل اليهم وعبر البحر الى جبل الفتح واجتمع اليه اهل الاندلس ومن بها من الموحدين ثم رجع الى مراكش وبعث عساكره الى الجهاد ولقيهم الطاغية فهزموه وتغلب السيد ابو يعقوب على قرمونة من يد ابن هُمُشْك صهر ابن مردنيش وكان السيدان ابو يعقوب صاحب اشبيلية وابو سعيد صاحب غرناطة ارتحلا لزيارة الخليفة بمراكش فخالف ابن همشك الى مدينة غرناطة وغدر بها ليلا بمداخلة من بعض اهلها واستولى عليها وانحصر الموحدون بقصبتها وخرج عبد المومن من مراكش لاستنقاذها فوصل الى سلا وقدم السيد ابا سعيد فاجاز البحر ولقيه عامل اشبيلية عبد الله بن ابى حفص بن على ونهضوا جميعا الى غرناطة فنهض اليهم ابن همشك وهزمهم ورجع السيد ابو سعيد الى مالقة وردفه عبد المومن باخيه السيد ابى يعقوب فى عساكر الموحدين ونهضوا الى غرناطة وكان قد وصلها ابن مردنيش فى جموع من النصارى مددا لابن همشك فلقيهم الموحدون بفحص غرناطة وهزموهم وفر ابن مردنيش الى مكانه من المشرق ولحق ابن همشك بجيان فنازله الموحدون وارتحل السيدان الى قرطبة فاقاما بها الى ان استدعى السيد ابو يعقوب الى مراكش سنة ثمان وخمسين لولاية العهد والادالة به من اخيه محمد فلحق بمراكش وخرج فى ركاب ابيه

الخليفة عبد المومن لما نهض للجهاد وادركته المنية بسلا فى جمادى الاخر من هذه السنة وقبر بتينملل الى جانب المهدى

دولة الخليفة يوسف بن عبد المومن

لما هلك عبد المومن اخذ البيعة على الناس السيد ابو حفص لاخيه ابى يعقوب باصفاق من الموحدين كافة ورضى من الشيخ ابى حفص خاصة واستقل فى رتبة وزارته ورجعوا الى مراكش وكان السيد ابو حفص هذا وزيرا لابيه عبد المومن استوزره عند نكبة عبد السلام الكومى فرجعه من افريقية سنة خمس وخمسين وكان ابو العلى بن جامع متصرفا بين يديه فى رسم الوزارة الى ان هلك عبد المومن فاخذ ابو حفص البيعة لاخيه ابى يعقوب ثم هلك اثر وفاة عبد المومن ابنه السيد ابو الحسن صاحب فاس والسيد ابو محمد صاحب بجاية فى طريقه الى الحضرة ثم استقدم ابو يعقوب السيد ابا سعيد من غرناطة سنة ستين فقدم ولقيه السيد ابو حفص بسبتة ثم سرح الخليفة ابو يعقوب معه اخاه السيد ابا حفص الى الاندلس فى عساكر الموحدين لما بلغه من الحاح ابن مردنيش على قرطبة بعد ان احتشد معه قبائل العرب من زغبة ورياح والاثبج فاجاز البحر وقصد ابن مردنيش وقد جمع جموعه واولياءه من النصارى ولقيتهم عساكر الموحدين بفحص مرسية فانهزم ابن مردنيش واصحابه وفر الى مرسية ونازله الموحدون بها ودوخوا نواحيه وانصرف السيد ابو حفص واخوه ابو سعيد سنة احدى وستين الى مراكش وخمدت نار الفتنة من ابن مردنيش وعقد الخليفة على بجاية لاخيه السيد ابى زكرياء وعلى

اشبيلية للشيخ ابى عبد الله بن ابراهيم ثم ادال منه باخيه السيد ابى ابراهيم واقر الشيخ ابا عبد الله على وزارته وعقد على قرطبة للسيد ابى اسحاق واقر السيد ابا سعيد على غرناطة ثم نظر الموحدون فى وضع العلامة فى المكتوبات بخط الخليفة فاختاروا الحمد لله وحده لما وقفوا عليها بخط الامام المهدى فى بعض مخاطباته فكانت علامتهم الى اخر دولتهم

فتنة غمارة

وفى سنة ثنتين وستين تحرك الامير ابو يعقوب الى جبال غمارة لما كان ظهر بها من الفتنة التى تولى كبرها سبع بن منغفاد منهم وناغاهم فى الفتنة صنهاجة جيرانهم فبعث الامير ابو يعقوب عساكر الموحدين لنظر الشيخ ابى حفص ثم تعاظمت فتن غمارة وصنهاجة فخرج اليهم بنفسه واوقع بهم واستاصلهم وقتل سبع بن منغفاد وانحسم داؤهم وعقد لاخيه السيد ابى على الحسن على سبتة وسائر بلادهم وفى سنة ثلاث وستين اجتمع الموحدون على تجديد البيعة واللقب بامير المومنين وخاطب العرب بافريقية يستدعيهم الى الغزو ويحرضهم وكتب اليهم فى ذلك قصيدة ورسالة مشهورة بين الناس وكان من اجابتهم ووفودهم عليه ما هو معروف

اخبار الاندلس

لما استوسق الامر للخليفة ابى يعقوب بالعدوة وصرف نظره الى الاندلس والجهاد واتصل به ما كان من غدر العدو دمره الله بمدينة تُرْجالة ثم

مدينة يابرة ثم حصن شبرينة ثم حصن جلمانية ازاء بطليوس ثم مدينة بطليوس فسرح الشيخ ابا حفص فى عساكر من الموحدين احتفل فى انتقائهم وخرج سنة اربع وستين لاستنقاذ بطليوس من هوة الحصار فلما وصل الى اشبيلية بلغه ان الموحدين ببطليوس هزموا ابن الرنك (1) الذى كان يحاصرهم باعانة ابن إذفونش وان ابن الرنك تحصل فى قبضتهم اسيرا وفر جراندة الجليقى الى حصنه فقصد الشيخ ابو حفص مدينة قرطبة وبعث اليه ابراهيم بن همشك من جيان بطاعته وتوحيده ومفارقته صاحبه ابن مردنيش لما حدث بينهما من الشحناء والفتنة فالح عليه ابن مردنيش بالحرب وردد اليه الغزو فبعث الى الشيخ ابى حفص بطاعته وكتب الشيخ ابو حفص بذلك الى الخليفة وبما كان من عيث النصارى بجوانب الاندلس فسرح اخاه ووزيره ابا حفص فى عساكر الموحدين فنهض من مراكش سنة خمس وستين وفى جملته السيد ابو سعيد اخوه فوصل اشبيلية وبعث اخاه ابا سعيد الى بطليوس فعقد الصلح مع الطاغية وانصرف ونهضوا جميعا الى مرسية ومعهم ابن همشك فحاصروا ابن مردنيش وثار اهل لورقة بدعوة الموحدين فملكها السيد ابو حفص ثم افتتح مدينة بسطة وطاع ابن عمه (2) محمد بن مردنيش صاحب المرية فحص بذلك جناحه واتصل الخبر بالخليفة بمراكش وقد توافت عنده جموع العرب من افريقية بصحبة السيد ابى زكريا صاحب بجاية والسيد ابى عمران صاحب تلمسان وكان يوم قدومهم عليه يوما مشهودا فاعترضهم وسائر عساكره ونهض الى الاندلس واستخلف على مراكش السيد ابا عمران اخاه فاحتل بقرطبة سنة سبع وستين ثم ارتحل بعدها الى اشبيلية ولقيه السيد ابو حفص هنالك

(1) Le ms. A porte الزيك le ms. B. الرتك et le ms. D الزنك — (2) Il faut certainement lire ici ابن عم ou ابن عمة

منصرفا من غزاته وكان ابن مردنيش لما طال عليه الحصار ارتاب ففتك بهم وبادر اخوه ابو الحجاج الى الطاعة وهلك هو فى رجب من هذه السنة ودخل ابنه هلال فى الطاعة وبادر السيد ابو حفص الى مرسية فدخلها وخرج هلال فى جملته وبعثه الى الخليفة باشبيلية ثم ارتحل الخليفة غازيا الى بلاد العدو فنازل وبدة اياما وارتحل عنها الى مرسية ثم رجع الى اشبيلية سنة ثمان وستين واستصحب هلال بن مردنيش واصهر اليه فى ابنته وولى عمه يوسف على بلنسية وعقد لاخيه السيد ابى سعيد على غرناطة ثم بلغه خروج العدو الى ارض المسلمين مع القومس الاحدب فخرج للقائهم واوقع بهم بناحية قلعة رباح واثخن فيهم ورجع الى اشبيلية وامر ببناء حصن بالقلعة ليحصن جهاتها وقد كان خرابا منذ فتنة ابن حجاج فيه مع كريب بن خلدون بمورة ازمان المنذر بن محمد واخيه عبد الله من امراء بنى امية ثم انتقض ابن اذفونش واغار على بلاد المسلمين فاحتشد الخليفة وسرح السيد ابا حفص اليه فغزاه بعقر داره وافتتح قنطرة السيف وهزم جموعه فى كل جهة ثم ارتحل الخليفة من اشبيلية راجعا الى مراكش سنة احدى وسبعين لخمس سنين من اجازته الى الاندلس وعقد على قرطبة لاخيه الحسن وعلى اشبيلية لاخيه على واصاب مراكش الطاعون فهلك من السادة ابو عمران وابو سعيد وابو زكرياء وقدم الشيخ ابو حفص من قرطبة فهلك فى طريقه ودفن بسلا واستدعى الخليفة اخويه السيدين ابا على وابا الحسن فعقد لابى على على سجلماسة ورجع ابو الحسن الى قرطبة وعقد لابنى اخيه السيد ابى حفص لابى زيد منهما على غرناطة ولابى محمد عبد الله على مالقة وفى سنة ثلاث وسبعين سطا بوزرائه بنى جامع وغربهم الى ماردة وفى سنة خمس وسبعين عقد لغانم بن محمد بن مردنيش على اسطوله واغزاه مدينة الاشبونة فغنم ورجع وفيها كانت وفاة اخيه

السيد الوزير ابى حفص بعد ما ابلى فى الجهاد وابلغ فى نكاية العدو وقدم ابناه من الاندلس واخبرا الخليفة بانتقاض الطاغية واعتزم على الجهاد واخذ فى استدعاء العرب من افريقية

الخبر عن انتقاض قفصة واسترجاعها

كان على بن العز ويعرف بالطويل من اعقاب بنى الرند ملوك قفصة قد ثار سنة خمس وسبعين (1) كما ذكرناه فى اخبارهم وبلغ الخليفة خبره فنهض اليه من مراكش وصار الى بجاية وسعى عنده بعلى بن المنتصر الذى كان عبد المومن استنزله من قفصة انه يواصل قريبه الثائر بها ويخاطب العرب فتقبض عليه ووجدت المخاطبات عنده شاهدة بتلك السعاية واستصفى ما كان بيده وارتحل الى قفصة ونازلها ووفدت عليه مشيخة العرب من رياح بالطاعة فتقبلهم (2) ولم يزل محاصرا لقفصة الى ان نزل على ابن العز وانكفا راجعا الى تونس وانفذ عساكر العرب الى المغرب وعقد على افريقية والزاب للسيد ابى على اخيه وعلى بجاية للسيد ابى موسى فقفل الى الحضرة

معاودة الجهاد

لما قفل من فتح قفصة سنة سبع وسبعين وفد عليه اخوه السيد ابو اسحق من اشبيلية والسيد ابو عبد الرحمن يعقوب من مرسية وكافة الموحدين

(1) Le ms. B porte سبع وخمسين — (2) Le mss. A et B portent فقتلهم

وروساء الاندلس يهنونه بالاياب فاكرم موصلهم وانصرفوا الى بلادهم واتصل به ان محمد بن يوسف بن وانودين غزا بالموحدين من اشبيلية الى ارض العدو فنازل مدينة يابرة وغنم ما حولها وافتتح بعض حصونها ورجع الى اشبيلية وان عبد الله بن اسحق بن جامع قائد الاسطول باشبيلية التقى باسطول اهل اشبونة فى البحر فهزمهم واخذوا عشرين من قطائعهم مع السبى والغنائم ثم بلغ الخبر بان اذفونس بن شانجة نازل قرطبة وشن الغارات على جهة مالقة ورندة وغرناطة ثم نازل استجة وتغلب على حصن شنغيلة وسكن بها النصارى وانصرف فاستنفر السيد ابو اسحق سائر الناس للغزو ونازل الحصن نحو اربعين يوما ثم بلغه خروج اذفونش من طليطلة لمدده فانكفا راجعا وخرج محمد بن يوسف بن وانودين من اشبيلية فى جموع الموحدين ونازل طلبيرة وبرز اليه اهلها فاوقع بهم وانصرف بالغنائم فاعتزم الخليفة ابو يوسف على معاودة الجهاد وولى على الاندلس ابناءه وقدمهم للاحتشاد فعقد لابنه السيد ابى اسحق على اشبيلية كما كان ولابنه السيد ابى يحيى على قرطبة ولابنه السيد ابى زيد الحرضانى على غرناطة ولابنه السيد ابى عبد الله على مرسية ونهض سنة تسع وسبعين الى سلا ووافاه بها ابو محمد بن ابى اسحق بن جامع من افريقية بحشود العرب وسار الى فاس وبعث فى مقدمته هنتاتة وتينملل وحشود العرب واجاز البحر من سبتة فى صفر من سنة ثمانين فاحتل بجبل الفتح وسار الى اشبيلية فوافته بها حشود الاندلس وسخط محمد بن وانودين وغربه الى حصن غافق ورحل غازيا الى شنترين فحاصرها اياما ثم اقلع عنها واسحر الناس يوم اقلاعه وخرج النصارى من الحصن فوجدوا الخليفة فى غير اهبة ولا استعداد فابلى فى الجهاد هو ومن حضره وانصرفوا بعد جولة شديدة وهلك فى ذلك اليوم الخليفة يقال من سهم اصابه فى حومة القتال وقيل من مرض طرقه عفا الله عنه

دولة ابنه يعقوب المنصور

لما هلك الخليفة ابو يعقوب على حصن شنترين سنة ثمانين بويع ابنه يعقوب ورجع بالناس الى اشبيلية واستكمل البيعة واستوزر الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابى حفص واستنفر الناس للغزو مع اخيه السيد ابى يحيى فاخذ بعض الحصون واثخن فى بلاد الكفار ثم اجاز البحر الى الحضرة ولقيه بقصر مصمودة السيد ابو زكرياء بن السيد ابى حفص قادما من تلمسان مع مشيخة زغبة ومضى الى مراكش فقطع المناكر وبسط العدل وباشر الاحكام وكان من اول الاحداث فى دولته شان ابن غانية

الخبر عن شان ابن غانية

كان على بن يوسف بن تاشفين لما تغلب العدو على جزيرة ميورقة وهلك واليها من موالى مجاهد وهو مبشر وبقى اهلها فوضى وقد كان مبشر بعث اليه بالصريخ والعدو محاصر له فلما اخذها العدو وغنم واحرق واقلع وبعث على بن يوسف واليا عليها وانور بن ابى بكر من رجالات لمتونة وبعث معه خمسماية فارس من عسكره فارهف لهم حده وارادهم على بناء مدينة اخرى بعيدة من البحر فامتنعوا وقتل مقدمهم فثاروا به وحبسوه ومضوا الى على بن يوسف فاعفاهم منه وولى عليهم محمد بن على بن يحيى المسوفى المعروف بابن غانية وكان اخوه يحيى على غرب الاندلس وكان نزله باشبيلية واستعمل محمد اخاه على قرطبة فكتب اليه على بن يوسف يامره بصرف

اخيه محمد الى ولاية ميورقة فارتحل اليها من قرطبة ومعه اولاده عبد الله وعلى واسحاق والزبير وابراهيم وطلحة وكان عبد الله واسحاق فى تربية عمهما يحيى وكفالته فتبناهما ولما وصل محمد بن على بن غانية الى ميورقة قبض على وانور وبعثه مصفدا الى مراكش واقام على ذلك عشرا وهلك يحيى بن غانية وقد ولى عبد الله ابن اخيه محمد على غرناطة واخاه اسحاق ابن محمد على قرمونة ثم هلك على بن يوسف وضعف امر لمتونة وظهر عليهم الموحدون فبعث محمد عن ابنيه عبد الله واسحاق فوصلا اليه فى الاسطول وانقض ملك لمتونة ثم عهد محمد الى ابنه عبد الله فنافسه اخوه اسحاق وداخل جماعة من لمتونة فى قتله فقتلوه وقتلوا اباه محمد ثم اجمعوا الفتك به فارتاب بهم وداخل لب بن ميمون قائد البحر فى امرهم فكبسهم فى منازلهم وقتلهم وتمت بيعته سنة ست واربعين وخمسماية وبقى اميرا لميورقة واشتغل اول امره بالبناء والغراسة وضجر منه الناس لسوء ملكته وفر عنه لب بن ميمون الى الموحدين ثم رجع اخرا الى الغزو وكان يبعث بالاسرى والعلوج للخليفة ابى يعقوب الى ان هلك قبيل مهلكه سنة ثمانين وخلف من الولد محمدا وعليا ويحيى وعبد الله والغازى وسير والمنصور وحيارة وتاشفين وطلحة وعمر ويوسف والحسن فولى ابنه محمد وبعث الى الخليفة ابى يعقوب بطاعته فبعث هو على بن الزبرتير لاختبار ذلك منه واحس بذلك اخوته فنكروه وتقبضوا عليه وقدموا عليا منهم وبلغهم مهلك الخليفة وولاية ابنه المنصور فاعتقلوا ابن الزبرتير وركبوا البحر فى اسطولهم الى بجاية وولى على ميورقة اخاه طلحة وطرق بجاية فى اسطوله على حين غفلة وعليها السيد ابو الربيع بن عبد الله بن عبد المومن وكان خارجها فى بعض مذاهبه فاستولوا عليها سنة احدى وثمانين وتقبضوا على السيد ابى الربيع والسيد ابى موسى عمران بن عبد المومن صاحب افريقية كان

بها مجتازا واستعمل اخاه يحيى على بجاية ومضى الى الجزائر فافتتحها وولى
عليها يحيى ابن اخيه طلحة ثم الى مليانة فولى عليها يدر بن عائشة
ونهض الى القلعة ثم الى قسنطينة فنازلها واتصل الخبر بالمنصور وهو
بسبتة مرجعه من الغزو فسرح السيد ابا زيد ابن عمه السيد ابى حفص
وعقد له على حرب ابن غانية وعقد لمحمد بن ابى اسحاق بن جامع على
الاساطيل والى نظره ابو محمد بن عطوش واحمد الصقلى وانتهى السيد
ابو زيد الى تلمسان واخوه يومئذ السيد ابو الحسن واليها وقد انعم النظر
فى تحصينها ثم ارتحل بعساكره من تلمسان ونادى بالعفو فى الرعية
فثار اهل مليانة على ابن غانية فاخرجوه وسبقت الاساطيل الى الجزائر
فملكوها وقبضوا على يحيى بن طلحة وسيق يدر ابن عائشة من ام
العلو فقتلوا جميعا بشلف وتقدم القائد احمد الصقلى باسطوله الى بجاية
فملكها ولحق يحيى بن غانية باخيه على بمكانه من حصار قسنطينة
فاقلع عنها ونزل السيد ابو زيد بتكلات (1) وخرج السيد ابو موسى من
اعتقاله فلقيه هنالك ثم ارتحل فى طلب العدو فافرج عن قسنطينة وخرج
الى الصحراء واتبعه الموحدون الى مقرة ونقاوس ثم قفلوا الى بجاية واستقر
السيد ابو زيد بها وقصد على بن غانية قفصة فملكها ونازل توزر
فامتنعت عليه ولحق بطرابلس وخرج غزى الصنهاجى من جموع ابن غانية
فى بعض احياء العرب فتغلب على اشير وسرح اليهم السيد ابو زيد ابنه
ابا حفص عمر ومعه غانم بن مردنيش فاوقعوا بهم واستولوا على حللهم وقتل
غزى وسيق راسه الى بجاية ونصب بها ولحق به عند الله اخوه وغرب
بنو حمدون من بجاية الى سلا لاتهامهم بالدخول فى امر ابن غانية واستقدم
الخليفة السيد ابا زيد من مكانه ببجاية وقدم مكانه اخاه السيد ابا

(1) Le mss. B et D portent سكلات on lit dans le ms. A سلات

عبد الله وانصرف الى الحضرة وبلغ الخبر اثناء ذلك باستيلاء على بن الزبرتير على ميورقة وكان من خبره ان الامير يوسف بن عبد المومن بعثه الى ميورقة لدعاء بنى غانية الى امره لما كان اخوهم محمد خاطبه بذلك فلما وصل ابن الزبرتير اليهم نكروا شانه على اخيهم واجتمعوا دونه وتقبضوا عليه وعلى ابن الزبرتير وقدموا عليهم اخاه عليا وركبوا الاساطيل الى بجاية فلما خلا الجوّ منهم دبر ابن الزبرتير فى امره وداخل مواليهم من العلوج (1) فى تخليية سبيله من معتقله على ان يخلى سبيلهم باهليهم وولدهم الى ارضهم فتم له مراده منهم وثار بالقصبة واستنقذ محمد بن اسحاق من مكان اعتقاله ولحقوا جميعا بالحضرة وبلغ الخبر على بن غانية بمكانه من طرابلس فبعث اخاه عبد الله الى صقلية وركب منها الى ميورقة ونزل فى بعض قراها وعمل الحيلة فى تملك البلد فاستولى عليه واضطرم نار الفتنة بافريقية ونازل على بن غانية بلاد الجريد وتغلب على الكثير منها وبلغ الخبر باستيلائه على قفصة فخرج المنصور اليه من مراكش سنة ثنتين وثمانين ووصل فاس فاراح بها وسار الى رباط تازى ثم سار على التعبية الى تونس وجمع ابن غانية من اليه من الملثمين والاعراب وجاء معه قراقش الغزى صاحب طرابلس فسرح اليهم المنصور عساكره لنظر السيد ابى يوسف بن السيد ابى حفص ولقيهم بغمرة فانفضت جموع الموحدين واجلت المعركة عن قتل على بن الزبرتير وابى على بن يغمور وفقد الوزير عمر بن ابى زيد ولحقهم فلهم بقفصة فاثخنوا فيهم قتلا ونجا الباقون الى تونس وخرج المنصور متلافيا جبر الحال فى هذه الوقائع ونزل القيروان واغذ السير الى الحامّة فتثاور الفريقان وتزاحفوا فكانت الدبرة على ابن غانية واحزابه وافلت من المعركة بذماء نفسه ومعه

(1) Les mss. A et B portent العلوجى

خليله قراقش واتى القتل على كثيرهم وصبح المنصور قابس. فافتتحها ونقل من كان بها من حرم ابن غانية وذويه فى البحر الى تونس وثنى العنان الى توزر فافتتحها وقتل من وجد بها ثم الى قفصة فنازلها اياما حتى نزلوا على حكمه وامن اهل البلد والاغزاز اصحاب قراقش وقتل سائر الملثمين ومن كان معهم من الحشود وهدم اسوارها وانكفا راجعا الى تونس فعقد على افريقية للسيد ابى زيد وفصل الى المغرب سنة اربع وثمانين ومر بالمهدية واصحر على (1) طريق تاهرت والعباس بن عطية امير بنى توجين دليله الى تلمسان فنكب بها عمه السيد ابا اسحاق لشىء بلغه عنه واحفظه ثم ارتحل الى مراكش ورفع اليه ان اخاه السيد ابا حفص والى مرسية الملقب بالرشيد وعمه السيد ابا الربيع والى تادلا عند ما بلغهم خبر الوقيعة بغمرة حدثوا انفسهم بالتوثب على الخلافة فلما قدموا عليه للتهنية امر باعتقالهما [برباط الفتح خلال ما استجلى امرهما ثم قتلهما وعقد للسيد ابى الحسن بن السيد ابى حفص على بجاية وقصد يحيى ابن غانية قسنطينة فزحف اليه السيد ابو الحسن من بجاية فهزمه ودخل قسنطينة وارتحل ابن غانية الى بسكرة فقطع نخلها وافتتحها عنوة ثم حاصر قسنطينة وامتنعت عليه فارتحل الى بجاية وحاصرها وكثر عيثه الى ان كان من خبره ما نذكره

اخباره فى الجهاد

لما بلغه تغلب العدو على قاعدة شلب وانه اوقع بعسكر اشبيلية وترددت سراياهم على نواحيها وافتتح كثيرا من حصونها وخاطبه السيد ابو يوسف

(1) Le ms. D porte عن

بن ابي حفص صاحب اشبيلية بذلك استنفر الناس للجهاد وخرج سنة ست وثمانين الى قصر مصمودة فاراح به ثم اجاز الى طريف واغذ السير منها الى شلب ووافته بها حشود الاندلس فتركهم لحصارها وخف الى حصن طُرَّش فافتتحه ورجع الى اشبيلية ثم رجع الى منازلة شلب سنة سبع وثمانين فافتتحه وقدم عليه ابن وزير بعد ان كان افتتح فى طريقه اليه حصونا اخرى ثم قفل الى حضرته بعد استكمال غزاته وكتب بعهده لابنه الناصر وقدم عليه سنة ثمان وثمانين السيد ابو زيد صاحب افريقية ومعه مشيخة العرب من هلال وسليم فلقاهم مبرة وتكريما وانقلب وفدهم الى بلادهم ثم بلغه سنة تسعين استفحال ابن غانية بافريقية وكثرة العيث والفساد بها فاعتزم على النهوض اليها ووصل الى مكناسة فبلغه من امر الاندلس ما اهمه فصرف وجهه اليها ووصل قرطبة سنة احدى وتسعين فاراح بها ثلاثا وامداد الحشود تتلاحق به من كل ناحية ثم ارتحل للقاء العدو ونزل بالارك من نواحى بطليوس وزحف اليه العدو من النصارى وامراؤهم يومئذ ثلاثة ابن اذفونش وابن الرنك والببّوج وكان اللقاء يوم كذا سنة احدى وتسعين وابو محمد بن ابى حفص يومئذ على المطوعة واخوه ابو يحيى على العساكر والموحدين فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى واستلحم منهم ثلاثون الفا بالسيف واعتصم فلهم بحصن الارك وكانوا خمسة الاف من زعمائهم فاستنزلهم المنصور على حكمه وفودى بهم عددهم من المسلمين واستشهد فى هذا اليوم ابو يحيى بن الشيخ ابى حفص بعد ان ابلى بلاء حسنا وعرف بنوه بعدها ببنى الشهيد وانكفا المنصور راجعا الى اشبيلية ثم خرج منها سنة ثنتين وتسعين غازيا الى بلاد الجوف فافتتح حصونا ومدنا وخربها كان منها ترجالة وطلبيرة واطل على نواحى طليطلة فخرب بسائطها واكتسح مسارحها وقفل الى

اشبيلية سنة ثلاث وتسعين فرفع اليه فى القاضى ابى الوليد بن رشد مقالات نسب فيها الى المرض فى دينه وعقده وربما الفى بعضها فى خطه فحبس ثم اطلق واشخص الى الحضرة وبها كانت وفاته ثم خرج المنصور من اشبيلية غازيا الى بلاد ابن اذفونش حتى احتل بساحة طليطلة وبلغه ان صاحب برشلونة امد ابن اذفونش بعساكره وانهم جميعا بحصن مجريط فنهض اليهم ولما اطل عليهم انفضت جموع ابن اذفونش من قبل القتال وانكفا المنصور راجعا الى اشبيلية ثم رغب اليه الملوك النصرانية فى السلم فبذله لهم وعقد على اشبيلية للسيد ابى زيد ابن الخليفة وعلى مدينة بطليوس للسيد ابى الربيع بن السيد ابى حفص وعلى المغرب للسيد ابى عبد الله بن السيد ابى حفص واجاز الى حضرته سنة اربع وتسعين فطرقه المرض الذى كان منه حمامه واوصى وصيته التى تناقلها الناس وحضر لوصيته عيسى ابن الشيخ ابى حفص وهلك رحمه الله سنة خمس وتسعين اخر ربيعها

الخبر عن وصول ابن منقذ بالمهدية من قبل صاحب الديار المصرية

كان الفرنج قد ملكوا سواحل الشام فى اخر الدولة العبيدية منذ تسعين سنة وملكوا بيت المقدس فلما استولى صلاح الدين بن ايوب على ديار مصر والشام اعتزم على جهادهم وكان يفتتح حصونها واحدا بعد واحد حتى اتى على جميعها وافتتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وهدم الكنيسة التى بنوها عليها وامتعضت امم النصرانية من كل جهة واعترضوا اسطول صلاح الدين فى البحر فبعث صريخه الى المنصور سنة خمس

وثمانين يطلب اعانته بالاساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس ووفد عليه ابو الحارث عبد الرحمن بن منقذ بقية امراء شيزر من حصون الشام كانوا استبدوا به عند اختلال الدولة العبيدية فلما استقام الامر على يد صلاح الدين وانتظم ملك مصر والشام واستنزل بنى منقذ هولاء ورعا لهم سابقتهم وبعثه فى هذه الى المنصور بالمغرب بهدية تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين ووزن مابة درهم من دهن البلسان وعشرين رطلا من العود وستماية مثقال من المسك والعنبر وخمسين قوسا اعرابية باوتارها وعشرين من النصول الهندية وسروج عدة ثقيلة ووصل الى المغرب ووجد المنصور بالاندلس فانتظره بفاس الى حين وصوله فلقيه وادى اليه الرسالة فاعتذر له عن الاسطول وانصرف ويقال انه جهز له بعد ذلك ماية وثمانين اسطولا ومنع النصارى من سواحل الشام

دولة الناصر بن المنصور

لما هلك المنصور قام بامره ابنه محمد ولى عهده وتلقب الناصر لدين الله واستوزر ابا زيد بن يوجان وهو ابن اخى الشيخ ابى حفص ثم استوزر ابا محمد بن الشيخ ابى حفص وعقد للسيد ابى الحسن بن السيد ابى حفص على بجاية وفوض اليه فى شونها وبلغه سنة ست وتسعين اجحاف العدو بافريقية وفساد الاعراب فى نواحيها ورجوع السيد ابى الحسن من قسنطينة منهزما امام ابن غانية فانفذ السيد ابا زيد بن ابى حفص الى تونس فى عسكر من الموحدين لسد ثغورها وانفذ ابا سعيد بن الشيخ ابى حفص رديفا له وتغلب ابن غانية خلال ذلك على حصن

المهدية وثار بالسوس سنة ثمان وتسعين ثائر من كزولة يعرف بابى قفصة فسرح الناصر اليه عساكر الموحدين فقصدوا جموعه وقتل وفى ايامه كان فتح ميورقة على ما نتلو من خبرها

فتح ميورقــة

وكان من خبرها ان محمد بن اسحاق لما فصل اخوانه على ويحيى الى افريقية وولوا على ميورقة اخاهم طلحة داخل محمد بعض الحاشية وخرج من الاعتقال هو وابن الزبرتير وقام بدعوة المنصور وبعث بها مع ابن الزبرتير فبعث المنصور اسطوله مع ابى العلى بن جامع ليملك ميورقة فابى محمد عن ذلك وراسل طاغية برشلونة فى المدد بجند من النصارى يستخدمهم فاجابه وانتقض عليه اهل ميورقة لذلك وخشوا عادية المنصور فطردوا محمد بن اسحاق وولوا عليهم اخاه تاشفين وبلغ ذلك عليا وهو على قسنطينة فبعث اخويه عبد الله والغزى فداخلوا بعض اهل البلد وعزلوا تاشفين وولى عبد الله وبعث المنصور اسطوله مرارا مع ابى العلى بن جامع ثم مع يحيى ابن الشيخ ابى ابراهيم الهزرجى فامتنعوا منهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وقوى امره وذلك سنة ثلاث وثمانين ثم لما هلك المنصور بعث الناصر اسطوله مع عمه السيد ابى العلى والشيخ ابى سعيد بن ابى حفص فنازلوه وانخزل عنه اخوه تاشفين بالناس ودخل البلد عنوة واستفتحت وقتل وانصرف السيد الى مراكش وولى عبد الله بن طاع الله الكومى ثم ولى الناصر عليها السيد ابا زيد وجعل ابن طاع الله على قيادة البحر وبعد السيد ابى زيد وليها السيد ابو عبد الله بن ابى حفص بن عبد المومن ثم ابو يحيى

ابن على بن ابى عمران التينملى ومن يده اخذها النصارى لسنة سبع وعشرين وستماية

خبر افريقية وتغلب ابن غانية عليها وولاية ابى محمد بن الشيخ ابى حفص

لما هلك المنصور قوى امر ابن غانية بافريقية وولى الناصر السيد ابا زيد والشيخ ابا سعيد بن ابى حفص ويقال ان المنصور ولاهما وكثر الهرج بافريقية وثار بالمهدية محمد بن عبد الكريم الركراكى ودعا لنفسه ونازع ابن غانية والموحدين الامر وتسمى صاحب قبة الاديم محمد بن عبد الكريم ونازل تونس وعاث فى قراها سنة ست وتسعين ونازل ابن غانية بقابس فامتنع عليه وكان محمد بن مسعود البلط شيخ رياح من اشياعه فانتقض عليه وراجع ابن غانية فاتيح له الظهور على محمد بن عبد الكريم وقصده وهو على قفصة فهزمه واتبعه الى المهدية فنازله بها وبعث الى صاحب تونس فى المدد باسطوله فامده فضاقت حال ابن عبد الكريم فسال الامان من ابن غانية فامنه وخرج اليه فتقبض عليه واستولى على المهدية سنة تسع وتسعين وقتله وبعث الناصر اسطوله فى البحر مع عمه ابى العلى وعساكر الموحدين مع السيد ابى الحسن بن ابى حفص بن عبد المومن ونازلوا ابن عبد الكريم قبل استيلاء ابن غانية عليها فاعتذر ابن عبد الكريم بانه حافظ للحصن من العدو ولا يمكنه الا لثقة للخليفة وانصرف السيد ابو الحسن الى بجاية موضع عمله وقسم العسكر بينه وبين اخيه السيد ابى زيد صاحب تونس وصلحت الاحوال ثم ان ابن غانية لما تغلب على

المهدية وعلى قراقش الغزى صاحب عمل طرابلس وقد مرت اخباره فى اخبار ابن غانية ثم تغلب على بلاد الجريد ثم نازل تونس سنة تسع وتسعين وافتتحها عنوة وتقبض على السيد ابى زيد وطالب اهل تونس بالنفقة التى انفق وبسط عليهم العذاب وتولى ذلك فيهم كاتبه ابن عصفور حتى هلك فى الامتحان كثير من بيوتاتهم ثم دخل فى دعوته اهل بونة وبنزرت وشقبنارية والاربص والقيروان وتبسة وصفاقس وقابس وطرابلس وانتظمت له اعمال افريقية وفرق العمال وخطب للعباسى كما ذكرناه فى اخباره ثم ولى على تونس اخاه الغازى ونهض الى جبال طرابلس فاغرمهم الف الف دينار مكررة مرتين؛ ورجع الى تونس واتصل بالناصر كثرة الهرج بافريقية واستيلاء ابن غانية عليها وحصول السيد ابى زيد فى قبضته فشاور الموحدين فى امره فاشروا بمسالمة ابن غانية واشار ابو محمد بن الشيخ ابى حفص بالنهوض اليها والمدافعة عنها فعمل على رايه ونهض من مراكش سنة حدى وستماية وبعث الاسطول فى البحر لنظر ابى يحيى بن ابى زكرياء الهزرجى فبعث ابن غانية ذخيرته وحرمه الى المهدية مع على بن الغازى ابن محمد بن على وانتقض اهل طرابلس على ابن غانية واخرجوا عاملهم تاشفين بن الغازى بن محمد بن على بن غانية وقصدهم ابن غانية فاقتحمها وخربها ووصل اسطول الناصر الى تونس فدخلوها وقتلوا من كان بها من اشياع ابن غانية ونهض الناصر فى اتباع ابن غانية فاعجزه ونازل المهدية وبعث ابا محمد بن الشيخ ابى حفص للقاء ابن غانية فلقيه بتاجرا فاوقع به وقتل اخاه حيارة وكاتبه ابن اللطى وعامله الفتح بن محمد قال ابن نخيل وكانت الغنائم من عسكره يومئذ ثمانية عشر الفا من احمال المال والمتاع والخرثى والالة ونجا باهله وولده واطلق السيد ابو زيد الاعتقال بعد ان هم حرسه بقتله عند الهزيمة ثم تسلم الناصر المهدية من يد

على بن الغازى المعروف بالحاج الكافى على ان يلحق بابن عمه فقبل شرطه
ومضى لوجهه ثم رجع من طريقه واختار التوحيد فقبل وناله من الكرامة
والتقريب ما لا فوقه وهلك فى يوم العقاب الاتى ذكره ثم قوض الناصر عن
المهدية واستعمل عليها محمد بن يغمور الهرغى وعلى طرابلس عبد الله
ابن ابراهيم بن جامع ورجع الى تونس فاقام الى سنة ثلاث وستماية وسرح اخاه
السيد ابى اسحاق فى عسكر من الموحدين لاتباع العدو فدوخوا ما وراء
طرابلس واستاصلوا بنى دمر ومطماطة وجبال نفوسة وتجاوزوها الى سويقة
بنى مذكور وقفل السيد ابو اسحاق بهم الى اخيه الناصر بتونس وقد كمل
الفتح ثم اعتزم على الرحيل الى المغرب واجمع رايه على تولية ابى محمد
بن الشيخ ابى حفص وكان شيخ دولته وصاحب رايه فامتنع الى ان بعث
اليه الناصر فى ذلك بابنه يوسف فاكبر مجيه واناب لذلك على ان يقيم
بافريقية ثلاث سنين خاصة خلال ما يستحكم صلاحها وان يحكم فيمن
يقيم معه من العسكر فتقبل شرطه ورجع الناصر الى مراكش فدخلها
فى ربيع سنة اربع وستماية وقدم عبد العزيز ابن ابى زيد الهنتاتى على الاشغال
بالعدوتين وكان على الوزارة ابو سعيد بن جامع وكان صديقا لابن عبد
العزيز وعند مرجعه من افريقية توفى السيد ابو الربيع بن عبد الله بن
عبد المومن صاحب تلمسان وسجلماسة والسيد ابو الحسن بن ابى حفص
ابن عبد المومن صاحب بجاية وقد كان ابو الربيع هذا ولى بجاية من قبل
وهو الذى جدد الرفيع والبديع من رياضها وكان بنو حماد شيدوها من
قبل فاصابهما الخراب وجددهما السيد ابو الربيع وفى سنة خمس بعدها
عقد للسيد ابى عمران بن يوسف بن عبد المومن على تلمسان ادال به
من السيد ابى الحسن فوصل الى تلمسان فى عساكر الموحدين وتطوف
باقطارها وزحف اليه ابن غانية هنالك فانفض الموحدون وقتل السيد

ابو عمران وارتاع اهل تلمسان واسرع السيد ابو زكرياء من فاس اليها فسكن نفوسهم خلال ما عقد الناصر لابى زيد بن يوجان على تلمسان وسرحه فى العساكر فنزل بها وفر ابن غانية الى مكانه من قاصية افريقية ومعه محمد بن مسعود البلط شيخ الدواودة من رياح وغيره من اعراب رياح وسليم واعترضهم ابو محمد بن ابى حفص فانكشفوا واستولى الموحدون على محلاتهم وما بايديهم ولحقوا بجهات طرابلس ورجع عنهم سير بن اسحاق اخذا بدعوة الموحدين وفى هذه السنة عقد الناصر على جزيرة ميورقة لابى يحيى بن ابى الحسن بن ابى عمران ادال به من السيد ابى عبد الله بن ابى حفص وعقد له على بلنسية وعقد على مرسية لابى عمران ابن ياسين الهنتاتى ادال به من ابى الحسن بن واكاك وعقد للسيد ابى زيد على كورة جيان ادال به من ابى موسى بن ابى حفص وعقد للسيد ابى ابراهيم بن يوسف على اشبيلية ولابى عبد الله بن ابى يحيى ابن الشيخ ابى حفص على غرناطة الى ان كان ما نذكر

اخباره فى الجهاد

لما بلغ الناصر تغلب العدو على كثير من حصون بلنسية اهمه ذلك واقلقه وكتب الى الشيخ ابى محمد بن ابى حفص يستشيره فى الغزو فابى عليه فخالفه وخرج من مراكش سنة تسع (1) ووصل اشبيلية واستقر بها واستعد للغزو ثم خرج من اشبيلية وقصد بلاد ابن اذفونش فافتتح قلعة شلبطرة واثلج (2) فى طريقه ونازل الطاغية قلعة رباح وبها يوسف بن قادس

(1) La bonne leçon me paraît être سبع — (2) Le ms. A porte الج le ms. B اسلج et le ms. E اللج

واخذ بخنقه فصالحه على النزول ووصل الى الناصر فقتله وسار على التعبية الى الموضع المعروف بالعقاب وقد استعد له الطاغية وجاءه طاغية برشلونة مددا بنفسه فكانت الدبرة على المسلمين وانكشفوا فى يوم بلاء وتمحيص اواخر صفر سنة تسع وستماية وانكفا راجعا الى مراكش فهلك فى شعبان من السنة بعدها وكان ابن اذفونش قد باطن ابن عمه البيبوج صاحب ليون فى ان يوالى للناصر ويجر الهزيمة على المسلمين ففعل ذلك ثم رجعوا الى الاندلس بعد الكائنة للاغارة على بلاد المسلمين فلقيهم السيد ابو زكرياء بن ابى حفص بن عبد المومن قريبا من اشبيلية فهزمهم وانتعش المسلمون بها واتصلت الحال على ذلك

ثورة ابن الفرس

كان عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من طبقة العلماء بالاندلس ويعرف بالمهر وحضر مجلس المنصور فى بعض الايام وتكلم بها حتى خشى عاقبته فى عقده وخرج من المجلس فاختفى مدة ثم بعد مهلك المنصور ظهر فى بلاد كزولة وانتحل الامامة وادعى انه القحطانى المراد فى قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس بعصاه يملاها عدلا كما مليت جورا الى اخر الحديث وكان مما ينسب له من الشعر

قولوا لابناء عبد المومن بن على — تاهبوا لوقوع الحادث الجلل
قد جاء سيد قحطان وعاملها — ومنتهى القول والغلاب للدول
والناس طوعا عصاه وهو سائقهم — بالامر والنهى بحر العلم والعمل
تبادروا امره فالله ناصره — والله خاذل اهل الزيغ والميل

فبعث الناصر اليه الجيوش فهزموه وقتل وسيق راسه الى مراكش فنصب بها

دولة المستنصر بن الناصر

لما هلك محمد الناصر بويع ابنه يوسف سنة احدى عشرة وهو ابن ست عشرة سنة ولقب المستنصر بالله وغلب عليه ابن جامع ومشيخة الموحدين فقاموا بامره وتاخرت بيعة ابى محمد بن الشيخ ابى حفص من افريقية لصغر سن المستنصر ثم وقعت المحاولة من الوزير ابن جامع وصاحب الاشغال عبد العزيز بن ابى زيد فوصلت بيعته واشتغل المستنصر عن التدبير بما يقتضيه الشباب وعقد للسادة على عمالات ملكه فعقد للسيد ابى ابراهيم اخى المنصور وتلقب بالظاهر على فاس وهو ابو المرتضى وعقد على اشبيلية لعمه السيد ابى اسحاق الاحول واستولى الفنش على المعاقل التى اخذها الموحدون وهزم حامية الاندلس ووفد رسوله ابن الفخار فحاوله ابن جامع فى السلم فعقده ثم صرف ابن جامع عن الوزارة بعد مهلك ابن ابى زيد بسعاية ابى زيد بن يوجان واستوزر ابا يحيى الهزرجى وولى على الاشغال ابا على بن اشرفى ثم رضى عن ابن جامع واعاده وعزل ابا زيد بن يوجان من ولاية تلمسان بابى سعيد ابن المنصور وبعثه الى مرسية فاعتقل بها واستمرت ايام المستنصر فى هدنة وموادعة الى ان ظهر بنو مرين بجهات فاس سنة ثلاث عشرة فخرج اليهم واليها السيد ابو ابراهيم فى جموع الموحدين فهزموه واسروه ثم عرفوه واطلقوه ثم وصل الخبر بمهلك ابى محمد بن ابى حفص صاحب افريقية فولى عليها السيد ابا العلى اخا المنصور وكان واليا

باشبيلية فعزل وولى على افريقية بسعاية ابن مثنى خاصة السلطان فتوجه اليها كما نذكر فى اخبار بنى ابى حفص وخرج بناحية فاس رجل من العبيديين انتسب للعاضد وتسمى بالمهدى فبعث السيد ابو ابراهيم اخو المنصور والى فاس الى شيعته وبذل لهم المال فتقبضوا عليه وساقوه اليه فقتل وفى سنة تسع عشرة عقد المستنصر لعمه ابى محمد المعروف بالعادل على مرسية وعزله عن غرناطة وهلك سنة عشرين وقد التاثت الامور فكان ما نذكر

الخبر عن دولة المخلوع اخى المنصور

لما هلك المستنصر فى الاضحى من سنة عشرين اجتمع ابن جامع والموحدون وبايعوا للسيد ابى محمد عبد الواحد اخى المنصور فقام بالامر وامر بمطالبة ابن اشرفى بالمال وكتب لاخيه ابى العلى بتجديد الولاية على افريقية بعد ان كان المستنصر اوعز بعزله فادركته الولاية ميتا فاستبد بها ابنه ابو زيد المشمّر كما نذكره فى اخبار افريقية وانفذ المخلوع امره باطلاق ابن يوجان فاطلق ثم صده ابن جامع عن ذلك وانفذ اخاه ابا اسحاق فى الاسطول ليغربه الى ميورقة كما كان المستنصر انفذ قبل وفاته وكان الوالى بمرسية ابو محمد عبد الله بن المنصور فاغراه ابن يوجان بالتوثب على الامر وشهد له انه سمع من المنصور العهد له بالخلافة من بعد الناصر وكان الناس على كره ابن جامع وولاة الاندلس كلهم بنو المنصور فاصغى اليه وكان مترددا فى بيعة عمه فدعا لنفسه وتسمى بالعادل وكان اخوته ابو العلى صاحب قرطبة وابو الحسن صاحب غرناطة وابو موسى صاحب مالقة فبايعوه

سرا وكان ابو محمد بن ابى عبد الله محمد بن ابى حفص بن عبد المومن المعروف بالبياسى صاحب جيان وعزله المخلوع بعمه ابى الربيع بن ابى حفص فانتقض وبايع للعادل وزحف مع ابى العلى صاحب قرطبة وهو اخو العادل الى اشبيلية وبها عبد العزيز اخو المنصور والمخلوع فدخل فى دعوتهم وامتنع السيد ابو زيد بن ابى عبد الله اخى البياسى عن بيعة العادل وتمسك بطاعة المخلوع وخرج العادل من مرسية الى اشبيلية فدخلها مع ابى زيد ابن يوجان وبلغ الخبر الى مراكش فاختلف الموحدون على المخلوع وبادروا بعزل ابن جامع وتغريبه الى هسكورة وقام بامر هنتاتة ابو زكرياء يحيى بن ابى يحيى الشهيد بن ابى حفص وبامر تينملل يوسف بن على وبعث على اسطول البحر ابا اسحاق بن جامع وانفذه لمنع الجواز من الزقاق وكان اسر الى ابن جامع حين خرج الى هسكورة ان يحاول عليه من هنالك فلم يتم امره وقتل بمكان خفى ربيع سنة احدى وعشرين وبعث الموحدون بيعتهم الى العادل

الخبر عن دولة العادل بن المنصور

لما بلغت بيعة الموحدين للعادل وكتاب ابن (1) زكرياء بن الشهيد بقصة المخلوع قارن ذلك تغييره للبياسى فانتقض عليه ودعا لنفسه ببياسة وتلقب الظافر وشغل بشانه وبعث اخاه ابا العلى لحصاره فامتنع عليه وبعث بعده ابا سعيد بن الشيخ ابى حفص فامتنع عليه ايضا واختلفت الاحوال بالاندلس على العادل وكثرت اغارة النصارى على اشبيلية ومرسية

(1) Je lis أبى

وهو مقيم بها وانهزمت جيوش الموحدين على طلياطة واغراه خاصته بابن يوجان فاخذ الى سبتة وعظم امر البياسى بالاندلس وظاهره النصارى على شانه فاجاز العادل الى العدوة وولى اخاه ابا العلى على الاندلس ولما كان بقصر المجاز دخل عليه عبّو بن ابى محمد ابن الشيخ ابى حفص فقال له كيف حالك فانشد

حال متى علم ابن منصور بها　　جاء الزمان اليه منها تايبا

فاستحسن ذلك وولاه افريقية وكتب للسيد ابى زيد ابن عمه بالقدوم ووصل الى سلا واقام بها وبعث عن شيوخ جشم وكان لابن يوجان عناية واختصاص بهلال بن حميدان بن مقدم امير الخلط فتثاقل ابن جرمون امير سفيان عن الوصول واقتتل الخلط وسفيان وبادر العادل الى مراكش فدخلها واستوزر ابا زيد بن ابى محمد ابن الشيخ ابى حفص وتغير لابن يوجان ففسد باطنه وتغلب على الدولة ابن الشهيد ويوسف بن على شيخا هنتاتة وتينملك ثم خالفت هسكورة والخلط وعاثوا فى نواحى مراكش وخرج اليهم ابن يوجان فلم يغن شيًا فخربوا بلاد دكالة فانفذ اليهم العادل عسكرا من الموحدين لنظر ابراهيم بن اسماعيل ابن الشيخ ابى حفص وهو الذى كان نازع اولاد الشيخ ابى محمد بافريقية كما نذكره فانهزم وقتل وخرج ابن الشهيد ويوسف بن على الى قبائلهما للحشد ومدافعة هسكورة فاتفقا على خلع العادل والبيعة ليحيى بن الناصر وقصدوا مراكش فاقتحموا عليه القصر ونهبوه وقتل العادل خنقا ايام الفطر سنة اربع وعشرين

الخبر عن دولة المامون بن المنصور ومزاحمة يحيى بن الناصر له

كان المامون لما بلغه انتقاض الموحدين والعرب على اخيه وتلاشى امره دعا لنفسه باشبيلية فبويع واجابه اكثر اهل الاندلس وبايع له السيد ابو زيد صاحب بلنسية وشرق الاندلس ثم كان ما قدمناه من انتقاض الموحدين على العادل وقتله بالقصر وبيعتهم ليحيى ابن اخيه الناصر فكاتب ابن يوجان سرا وعمل على افساد الدولة فداخل هسكورة والعرب فى الغارة على مراكش وهزموا عساكر الموحدين وفطن ابن الشهيد لتدبير ابن يوجان فقتله بداره وخرج يحيى بن الناصر الى معتصمه كما ذكرناه فخلع الموحدون العادل (1) وبعثوا ببيعتهم الى المامون وتولى كبر ذلك الحسن ابو عبد الله الغريغر والسيد ابو حفص بن ابى حفص فبلغ خبرهم الى يحيى بن الناصر وابن الشهيد فنزلوا الى مراكش سنة ست وعشرين وقتلوهم وبايع للمامون صاحب فاس وصاحب تلمسان محمد بن ابى زيد بن يوجان وصاحب سبتة ابو موسى بن المنصور وصاحب بجاية ابن اخيه ابن الاطاس وامتنع صاحب افريقية وكان ذلك سببا لاستبداد الامير ابى زكرياء على ما نذكر ولم يبق على دعوة يحيى بن الناصر الا افريقية وسجلماسة وزحف البياسى الى قرطبة فملكها ثم زحف الى اشبيلية فنازل بها المامون والطاغية معه بعد ان نزل له عن قجاطة وغيرها من حصون المسلمين فهزمهم المامون بنواحى اشبيلية ولحق البياسى بقرطبة فثاروا به ونجا الى حصن المدور فغدر به وزيره ابو يبورك (2) وجاء براسه الى المامون باشبيلية ثم ثار محمد بن يوسف بن هود وملك مرسية واستولى على الكثير من

(1) Je crois qu'il faut lire يحيى بن الناصر — (2) On lit dans le ms. B ميورك

شرق الاندلس كما ذكرناه فى اخباره وزحف اليه المامون وحاصره فامتنع عليه فرجع الى اشبيلية ثم خرج سنة ست وعشرين الى مراكش لما استدعاه اهل المغرب وبعثوا اليه ببيعاتهم وبعث اليه هلال بن حميدان امير الخلط يستدعيه واستمد الطاغية عسكرا من النصارى فامده على شروط تقبلها منه المامون واجاز الى العدوة وبادر اهل اشبيلية بالبيعة لابن هود واعترضه يحيى بن الناصر فهزمه المامون واستلحم من كان معه من الموحدين والعرب ولحق يحيى بجبل هنتاتة ثم دخل المامون الحضرة واحضر مشيخة الموحدين وعدد عليهم فعلاتهم وتقبض على مماية من اعيانهم فقتلهم واصدر كتابه الى البلدان بمحو اسم المهدى من السكة والخطبة والنعي عليه فى النداء للصلاة باللغة البربرية وزيادة النداء لطلوع الفجر وهو اصبح ولله الحمد وغير ذلك من السنن التى اختص بها المهدى وعبد المومن وجرى على سننها ابناوُه فاوعز بالنهى عن ذلك كله وشنع عليهم فى وصفهم الامام المهدى بالمعصوم واعاد فى ذلك وابدى واذن للنصارى القادمين معه فى بناء الكنيسة بمراكش على شرطهم فضربوا بها نواقيسهم واستولى ابن هود بعده على الاندلس واخرج منها سائر الموحدين وقتلهم العامة فى كل قطر وقتل السيد ابو الربيع ابن اخى المنصور كان المامون تركه واليا بقرطبة واستبد الامير ابو زكرياء ابن ابى محمد بن الشيخ ابى حفص بافريقية وخلع طاعته سنة سبع وعشرين فعقد للسيد ابى عمران ابن عمه محمد الحرضانى (١) على بجاية مع ابى عبد الله اللحيانى اخى الامير ابى زكرياء وزحف اليه يحيى بن الناصر فانهزم ثم ثانية كذلك واستلحم من كان معه ونصبت رؤسهم باسوار الحضرة ولحق يحيى بن الناصر ببلاد درعة وسجلماسة ثم انتقض على

(1) On lit dans le ms. B الخرصانى

المامون اخوه ابو موسى ودعا لنفسه بسبتة وتسمى بالمويد فخرج المامون من مراكش وبلغه فى طريقه ان قبائل بنى فازاز ومكلاتة حاصروا مكناسة وعاثوا فى نواحيها فسار اليها وحسم عاملها (1) واستمر الى سبتة فحاصرها ثلاثة اشهر واستمد اخوه ابو موسى صاحب الاندلس ابن هود فامده باساطيله وخالف يحيى بن الناصر المامون الى الحضرة فاقتحمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى ومعهم ابو سعيد بن وانودين شيخ هنتاتة وعاثوا فيها فاقلع المامون عن سبتة يريد الحضرة وهلك فى طريقه بوادى ام ربيع مفتتح سنة ثلاثين ولحين اقلاعه دخل اخوه السيد ابو موسى فى طاعة ابن هود وامكنه من سبتة فاداله منها

الخبر عن دولة الرشيد بن المامون

لما هلك المامون بويع ابنه عبد الواحد ولقب بالرشيد وكتموا موت ابيه واغذوا السير الى مراكش ولقيهم يحيى بن الناصر فى طريقهم بعد ان استخلف بمراكش ابا سعيد بن وانودين فهزموه وقتل اكثر من معه وصبح الرشيد مراكش فامتنعوا عليه ساعة ثم خرجوا اليه واستقاموا على بيعته وكان وصل فى صحبته عمه السيد ابو محمد سعد فحل من الدولة بمكان وكان اليه التدبير والحل والعقد وبعد استقرار الرشيد بالحضرة وصل اليه عمر بن وقاريط كبير الهساكرة بمن كان عنده من اولاد المامون السيد واخوته جاءوا من اشبيلية عند ثورة اهلها بهم واستقروا بسبتة عند عمهم ابى موسى ومنها الى الحضرة عند استيلاء ابن هود على سبتة

(1) Il faut sans doute lire علها

ومروا بهسكورة وكان ابن وقاريط حذرا من المامون ومعتقدا ان لا يعود اليه فتذمم بصحابة هولاء الولد وقدم على الرشيد فتقبله واعتلق بوصلة من السيد ابى محمد سعد وصحابة لمسعود بن حميدان كبير الخلط ولما هلك السيد ابو محمد لحق ابن وقاريط بقومه ومعتصمه وكشف وجه الخلاف واخذ بدعوة يحيى بن الناصر واستنفر له قبائل الموحدين ونهض اليهم الرشيد سنة احدى وثلاثين واستخلف على الحضرة صهره ابا العلى ادريس وصعد اليهم الجبل فاوقع بيحيى وجموعه بمكانهم من هزرجة واستولى على معسكرهم ولحق يحيى بسجلماسة وانكفا الرشيد راجعا الى حضرته واستامن له كثير من الموحدين الذين كانوا مع يحيى بن الناصر فامنهم ولحقوا بحضرته وكان كبيرهم ابو عثمان سعيد بن زكرياء الكدميوى وجاء الباقون على اثره وبسعيه بعد ان شرطوا عليه اعادة ما كان ازاله المامون من رسوم المهدى فاعيدت وقدم فيهم ابو بكر بن يعزى التينمللى رسولا عن يوسف بن على بن يوسف شيخ تينملل ومحمد بن يرزيكن الهنتاتى رسولا عن ابى على بن عزوز ورجعا الى مرسليهما بالقبول فقدما على الحضرة وقدم معهم موسى بن الناصر اخو يحيى وكبيره وجاء على اثرهم ابو محمد بن ابى زكرياء وانسوا لاعادة رسوم الدعوة المهدية وكان مسعود بن حميدان الخلطى قد اغراه عمر بن وقاريط بالخلاف لصحبة بينهما وكان مدلا ببأسه وكثرة جموعه يقال ان الخلط كانوا يومئذ يناهزون اثنى عشر الفا سوى الرجل والاتباع والحشود فمرض فى الطاعة وتثاقل عن الوفادة ولما علم بمقدم الموحدين اجمع اعتراضهم وقتلهم تمكينا للفرقة والشتات فى الدولة فاعمل الرشيد الحيلة فى استدعائه وصرف عساكره الى حاحة لنظر وزيره السيد ابى محمد حتى خلا لابن حميدان الجو وذهب عنه الريب واستقدمه فاسرع اللحاق بالحضرة وقدم معه معوية عم عمر بن وقاريط فتقبض عليه وقتل لحينه واستدعى مسعود بن حميدان

الى المجلس الخلافى للحديث فتقبض عليه وعلى اصحابه وقتلوا ساعتئذ بعد
جولة وهيعة وقضى الرشيد حاجة نفسه فيهم واستقدم وزيره وعساكره
من حاحة فقدموا ولما بلغ خبر مقتلهم الى قومهم قدموا عليهم يحيى بن
هلال بن حميدان واجلبوا على سائر النواحى واخذوا بدعوة يحيى واستقدموه
من مكانه بقاصية الصحراء وداخلهم فى ذلك عمر بن وقاريط وزحفوا لحصار
الحضرة وخرجت العساكر لقتالهم ومعهم عبد الصمد بن يلولان فرمع ابن
وقاريط فى جموعه من العساكر فانهزموا واحيط بجند النصارى فقتلوا وتفاقم
الامر بالحضرة وعدمت الاقوات واعتزم الرشيد على الخروج الى جبال الموحدين
فخرج اليها وسار منها الى سجلماسة فملكها واشتد الحصار على مراكش
وافتتحها يحيى بن الناصر وقومه من هسكورة والخلط وساء اثرهم فيها
وتغيرت احوال الخلافة وتغلب على السلطان السيد ابو ابراهيم بن ابى حفص
الملقب بابى حافة وفى سنة ثلاث ثلاثين خرج الرشيد من سجلماسة بقصد
مراكش وخاطب جرمون بن عيسى وقومه من سفيان فاجاز وادى ام
ربيع وبرز اليه يحيى فى جموعه والتقى الفريقان فانهزمت جموع يحيى
واستحر القتل فيهم ودخل الرشيد الى الحضرة ظافرا واشار يحيى بن وقاريط
على الخلط بالاستصراخ بابن هود صاحب الاندلس والاخذ بدعوته فنكثوا
بيعة يحيى وبعثوا وفدهم الى ابن هود صحبة عمر بن وقاريط فاستقر هنالك
وخرج الرشيد من مراكش وفر الخلط امامه وسار الى فاس وسرح وزيره السيد
ابا محمد الى غمارة وفازاز لجباية اموالهم وكان يحيى بن الناصر لما نكث
الخلط بيعته لحق بعرب المعقل فاجاروه ووعدوه النصرة واشتطوا عليه فى
المطالب واسف بعضهم بالمنع فاغتاله فى جهات تازى وسيق راسه الى الرشيد
بفاس فبعثه الى مراكش واوعز الى نائبه بها ابى على بن عبد العزيز
بقتل العرب الذين كانوا فى اعتقاله وهم حسن بن زيد شيخ العاصم وقائد

وفاند ابنا عامر شيخا بنى جابر فقتلهم وانكفا راجعا الى حضرته سنة اربع وثلاثين وبلغه استيلاء صاحب درعة ابى محمد بن وانـودين على سجلماسة وذلك ان الرشيد لما فصل من سجلماسة استخلف عليها يوسف ابن على بن يوسف التبنملى فاستعمل ابن خالته من بنى مردنيـش وهـو يحيى بن ارقم بن محمد بن مردنيش فثار عليه ثائر من صنهاجة وقتله فى خبائه وقام ابنه ارقم يطلب الثار وبلغ منـه ما اراد ثم حـدثتـه نفسه بالانتقاض خوفا من عزلة الرشيد اياه فانتقض ونهض اليه الرشيـد سنة ثنتين ثلاثين فلم يزل ابو محمد بن وانودين يعمل الحيلة فى استخلاصها حتى تمكن منها وعـفى عـن ارقم وكان ابن وقاريط لما فصـل الى ابن هود سنة اربع وثلاثين ركب البحر فى اسطول ابن هود وقصد سلا وبها السيد ابو العلى صهر الرشيد فكاد ان يغلب عليها وفى سنـة خمـس وثلاثين بايع اهل اشبيلية للرشيد ونقضوا طاعة ابن هود وتـولى كبـر ذلك ابو عمر بن الجد واخص بنى حجاج الى سبتة ووصل وفدهم الى الحضرة ومروا فى طريقهم بسبتة فاقتدى اهلها بهم فى بيعة الرشيد وخلعوا اميرهم اليانشتى (1) الثائر بها على ابن هود وقدموا على الحضرة وولى عليهم الرشيد ابا على بن خلاص منهم ولايام من مقدمهم وصل عمر بن وقاريط معتقلا من اشبيلية اغراهم بالقبض عليه القاضى ابو عبد الله المومنانى كان توجـه رسولا الى ابن هود عن الرشيد فامكنهم من ابن وقاريط وبعثه الى الرشيـد فى وفد من رسله فاعتقله بازمور وقتل وصلب برباط هسكورة بـعـد ان طيف به على جمل وانصرف وفد اشبيلية وسبتة واستقدم الرشيد روساء الخلط فتقبض عليهم وبعث عساكره فاستباحوا حللهم واحياءهم ثم امر بقتل مشيختهم وقتل معهم ابن وقاريط وقطع دابرهم وفى سنة ست وثلاثين وصلت

(1) Le ms. B porte البانشتى

بيعة محمد بن يوسف بن نصر بن الاحمر الثائر بالاندلس على ابن هود وفى سنة سبع وثلاثين اشتدت الفتنة بالمغرب وانتشر بنو مرين فى بسائطه وقاتلهم رياح بازغار وشيخهم عثمان بن نصر فهزمهم بنو مرين وقتلوهم قتلا ذريعا وكان الرشيد استقدم ابا محمد بن وانودين من سجلماسة سنة خمس وثلاثين وعقد له على فاس وسجلماسة وغمارة ونواحيها من ارض المغرب فكان هنالك ولما انتشر بنو مرين بالمغرب زحف اليهم فهزموه ثم زحف ثانية وثالثة فهزموه واقام فى محاربتهم سنتين ورجع الى الحضرة واشتد عدوان بنى مرين بالمغرب والحوا على مكناسة حتى اعطوا الاتاوة لبنى حمامة منهم فاسفوا بنى عسكر بذلك واتصل عيثهم فى نواحيها وفى سنة تسع وثلاثين قتل الرشيد كاتبه ابن المومنانى (1) لمداخلة له مع بعض السادة وهو عمر ابن عبد العزيز اخى المنصور وقف على كتابه اليه بخطه وغلط الرسول بها فدفعها بدار الخليفة وفى ستة اربعين بعدها كانت وفاة الرشيد غريقا زعموا فى بعض حوائز (2) القصر ويقال انه اخرج من الماء وحم لوقته وكان فيها مهلكه

الخبر عن دولة السعيد بن المامون

لما هلك الرشيد بويع اخوه ابو الحسن السعيد بتعيين ابى محمد بن وانودين وتلقب المعتضد بالله واستوزر السيد ابا اسحاق بن السيد ابى ابراهيم ويحيى ابن عطوش وتقبض على جملة من مشيخة الموحدين واستصفى اموالهم واستخلص لنفسه روساء العرب من جشم واستظهر بجموعهم على امره وكان

(1) Le ms. B porte المامونى — (2) Le ms. A porte جزائر le ms. B حواير et le ms. D حواس

شيخ سفيان كانون بن جرمون كبير مجلسه ولاول بيعته انتقض عليه
ابو على بن خلاص البلنسى صاحب سبتة وكذلك اهل اشبيلية وبايعوا
جميعا للامير ابى زكرياء صاحب افريقية ثم انتقض عليه بسجلماسة عبد الله
ابن زكرياء الهزرجى لمقالة كانت منه يوم بيعة الرشيد اسرها له فبايع
للامير ابى زكرياء ثم وصلته فى هذه السنة هدية يغمراسن بن زيان
صاحب تلمسان فنهض الامير ابو زكرياء صاحب افريقية بسبب ذلك الى
تلمسان واستولى عليها ثم عقد عليها ليغمراسن حسبما نذكر فى اخباره
وخرج السعيد من مراكش لتمهيد بلاد المغرب سنة ثنتين واربعين
وتغير لسعيد بن زكرياء الكدميوى فتقبض عليه فى معسكره بتانسفت
وفر اخوه ابو زيد ومعه ابو سعيد العود الرطب ولحقوا بسجلماسة فاستصفى
اموالهم بمراكش وارتحل بقصد سجلماسة واخذ واليها عبد الله الهزرجى
فى اسباب الامتناع فغدر به ابو زيد بن زكرياء الكدميوى وداخل اهل
سجلماسة فى الثورة عليه وملك البلد واستدعى السعيد لها فوصل وقتل
الهزرجى وفر ابو سعيد العود الرطب الى تونس ثم رجع السعيد الى المغرب
وقتل سعيد بن زكرياء ونزل المقرمدة من احواز فاس وعقد المهادنة مع بنى
مرين وقفل الى مراكش فتقبض على ابى محمد بن وانودين واعتقله بازمور
واعتقل معه يحيى بن مزاحم ويحيى بن عطوش لنظر ابن ماكسن فاعمل الحيلة فى
الفرار من معتقله وخلص ليلا الى كانون بن جرمون فاركبه وبعث معه
من عرب سفيان من اوصله الى قومه هنتاتة وراسله السعيد على اثرها
وسكنه واعتذر له واسعفه بسكنى تافيتوت من حصون جبله باهله وولده
ثم انتقض على السعيد كانون بن جرمون وسفيان وخالفهم اليه بنو جابر والخلط
وخرج من مراكش واستوزر السيد ابا اسحاق بن السيد ابى ابراهيم اسحاق اخى
المنصور واستخلف اخاه ابا زيد على مراكش واخاهما ابا حفص عمر على سلا

وفصل من مراكش سنة [هنا بياض فى النسخ] وجمع له ابو يحيى بن عبد الحق جموع بنى راشد وبنى ورا وسفيان حتى اذا تراءى الفريقان للقاء خالف كانون ابن جرمون الموحدين الى ازمور واستولى عليها ورجع السعيد ادراجه فى اتباعه ففر كانون واعترضه السعيد فاوقع به واستلحم كثيرا من سفيان قومه واستولى على ما له من مال وماشية ولحق كانون فى فله ببنى مرين ورجع السعيد الى الحضرة وفى سنة ثلاث واربعين ثارت العامة بمكناسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه وحذر مشيختها من سطوته فحولوا الدعوة الى الامير ابى زكرياء بن ابى حفص صاحب افريقية وبعثوا اليه ببيعتهم وكانت من انشاء ابى المطرف بن عميرة وذلك بمداخلة ابى يحيى بن عبد الحق امير بنى مرين ووفاقه لهم على ذلك وشارطوا ابا يحيى بن عبد الحق بمال دفعوه اليه على الحماية ثم راجعوا رايهم واوفدوا صلحاءهم ببيعتهم فرضى عنهم السعيد ورضوا عنه وفى هذه السنة بعث اهل اشبيلية واهل سبتة بطاعتهم للامير ابى زكرياء صاحب افريقية وبعث ابن خلاص بهديته مع ابنه فى اسطول انشاه لذلك فغرق عند اقلاعه من المرسى وفى سنة ست واربعين كان استيلاء الطاغية على اشبيلية لسبع وعشرين من رمضان ولما بلغ السعيد بيعة اهل اسبيلية وسبتة للامير ابى زكرياء الى ما كان من تغلبه على تلمسان واخذ يغمراسن بدعوته ثم ما كان من بيعة اهل مكناسة واهل سجلماسة له اعمل نظره فى الحركة الى تلمسان ثم الى افريقية وخرج من مراكش فى ذى الحجة من سنة خمس واربعين ووافاه كانون بن جرمون فعاود الطاعة واستحشد سفيان وجاء فى جملة السعيد مع سائر القبائل من جشم ولما احتل السعيد بتازى وافاه وفد بنى مرين عن اميرهم ابى يحيى بن عبد الحق فاعطوه الطاعة وبعثوا معه عسكرا من قومهم مددا له ثم سار السعيد الى تلمسان فكان مهلكه

بتامزردكت على يد بنى عبد الواد فى صفر سنة ست واربعين حسبما نشرح فى اخبارهم ويقال ان ذلك كان بمداخلة من الخلط فاستولوا على المحلة وقتلوا عدوهم كانون وانفض العسكر الى المغرب وقد اجتمعوا الى عبد الله ابن السعيد واعترضهم بنو مرين بجهات تازى فقتلوا عبد الله بن السعيد ولحق الفل بمراكش فبايعوا للمرتضى كما نذكره

الخبر عن دولة المرتضى ابن اخى المنصور

لما لحق فل العسكر بعد مهلك السعيد بمراكش اجتمع الموحدون على بيعة السيد ابى حفص عمر بن السيد ابى ابراهيم اسحاق اخى المنصور واستقدموه لها من سلا فلقيه وافدهم بتامسنا من طريقه ومعه اشياخ العرب فبايعوه وتلقب المرتضى وعقد ليعقوب بن كانون على بنى جابر ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان بعد ان كان قومه قدموه عليهم ودخل الحضرة فاستوزر ابا محمد بن يونس وتقبض على حاشية السعيد ثم وصل اخوه السيد ابو اسحاق من الفل اخذا على طريق سجلماسة فاستوزره واستبد عليه واستولى ابو يحيى بن عبد الحق وبنو مرين اثر مهلك السعيد على رباط تازى من يد السيد ابى على اخى ابى دبوس واخرجوه فلحق بمراكش ثم استولوا بعدها على مدينة فاس سنة سبع واربعين كما نذكره فى اخبارهم بعد وفى هذه السنة ثار بسبتة ابو القاسم العزفى واخرج ابن الشهيد الوالى على سبتة من قرابة الامير ابى زكرياء صاحب افريقية وحول الدعوة للمرتضى حسبما نذكر فى اخبار الدولة الحفصية واخبار بنى الغزى (1)

(1) La bonne leçon paraît être العزفي

وفى سنة تسع واربعين وفد على المرتضى موسى بن زيان الونكاسى واخوه على من قبائل بنى مرين واغروه بقتال بنى عبد الحق فخرج اليهم ولما انتهى الى امان يملولن اشاع يعقوب بن خرمون قضية الصلح بينهما فاصبحوا راحلين وقد استولى الجزع على قلوبهم فانفضوا ووقعت الهزيمة من غير قتال ووصل المرتضى الى الحضرة فعزل ابا محمد بن يونس عن الوزارة لشىء بلغه عنه واسكنه بجبله مع حاشيته وفر من جملته على بن يدر الى السوس سنة احدى وخمسين وجاهر بالعناد وسرح اليه السلطان عسكرا من الجند فرجعوا عنه ولم يظفروا به وتفاقم امره سنة ثنتين وخمسين وجمع اعراب الشبانات وبنى حسان وحمل اموال ونازل تارودنت فحاصر من كان بها وسرح المرتضى اليه عسكرا من الموحدين فافرج عنها ثم رجع بعد قفولهم الى حاله وعثر على خطابه لقريبة ابن يونس وكتاب ابن يونس اليه بخطه فاعتقل هو واولاده ثم قتل. وفى هذه السنة استدعا مشيخة الخلط الى الحضرة وقتلوا لما كان منهم فى مهلك السعيد وفيها خرج ابو الحسن بن يعلو فى عسكر من الموحدين الى تامسنا ليكشف احوال العرب ومعه يعقوب بن جرمون وعهد اليه المرتضى بالقبض على يعقوب بن محمد ابن قيطون شيخ بنى جابر فتقبض عليه وعلى وزيره ابن مسلم وطير بهما الى الحضرة معتقلين وفى سنة ثلاث وخمسين خرج المرتضى من مراكش لاسترجاع فاس ونواحيها من ايدى بنى مرين المتغلبين عليها فوصل الى بنى بهلول وزحف اليه بنو مرين واميرهم ابو يحيى فكانت الهزيمة على الموحدين بذلك الموضع ورجع المرتضى مفلولا الى مراكش وادع بنى مرين من بعد ذلك سائر ايامه واستبد العزفى بسبتة وابن الامير بطنجة كما نذكره فى اخبارهم وفى سنة خمس وخمسين بعث المرتضى الى السوس عسكرا من الموحدين لنظر ابى محمد بن اصناك فلقيهم على بن

يدر وهزمهم واستبد بامره فى السوس وفى هذه السنة استولى ابو يحيى بن عبد الحق على سجلماسة وتقبض على واليها عبد الحق بن اصكو بمداخلة من خديم له يعرف بمحمد القطرانى كان ابوه تاجرا فى القطران بنواحى سلا فصرف عبد الحق ابنه محمد هذا فى مهنه وقربه من بين اهل خدمته وحدثته نفسه بالثورة فاستمال عرب المعقل اولا بالمشاركة فى حاجتهم عند مخدومه والاحسان اليهم حتى اشتملوا عليه ثم داخل ابا يحيى بن عبد الحق فى تمكينه من البلد فجاء بجملته وقدم وفده الى البلد رسلا فى بعض الحديث فتقبض محمد القطرانى على عبد الحق بن اصكو واخرجه الى ابى يحيى ابن عبد الحق فقاده وسرحه الى مراكش وكان القطرانى شرط على ابى يحيى ان يكون والى سجلماسة فامضى له شرطه وانزل معه بها من رجالات بنى مرين حتى اذا هلك ابو يحيى بن عبد الحق اخرجهم محمد القطرانى واستبد بامر سجلماسة وراجع دعوة المرتضى واعتذر اليه واشترط عليه الاستبداد فامضى له شرطه الا فى الاحكام الشرعية وبعث ابا عمرو بن حجاج قاضيا من الحضرة وبعض السادات للسكنى فى القصبة وقائدا من النصارى بعسكر للحماية فعمل ابن حجاج الحيلة فى قتل القطرانى وتولاه قائد النصارى واستبد السيد بامر سجلماسة بدعوة المرتضى واستفحل امر بنى مرين اثناء ذلك ونزل يعقوب بن عبد الحق بسائط بامسنا فسرح اليهم المرتضى عسكر الموحدين لنظر يحيى بن وانودين فاجفلوا الى وادى ام ربيع واتبعهم الموحدون فرجعوا اليهم وغدر بهم بنو جابر فانهزم الموحدون بام الرجلين ولحق شيخ الخلط على بن ابى على ببنى مرين وارتحلوا الى اوطانهم وكان المرتضى قدم يعقوب بن جرمون على قبائل سفيان وكان يعقوب ابن اخيه كانون يناهضه فى رياسة قومه وغص به فقتله وثار به اخواه مسعود وعلى بعد حين فقتلاه وولى المرتضى مكانه ابنه عبد الرحمن فاستوزر يوسف بن

وارزك ويعقوب بن علوان (1) وشغل بلذاته وتصدى لقطع السابلة ثم نكث الطاعة ولحق ببنى مرين فولى مكانه عمه عبيد الله بن جرمون ويكنى بابى زمام وعقد له المرتضى ثم ادال منه باخيه مسعود لعجزه ووفد على المرتضى عواج بن هلال من امراء الخلط نازعا الى طاعته ومفارقا لبنى مرين فانزل مع اصحابه بمراكش وجاء على اثره عبد الرحمن بن يعقوب بن جرمون فتقبض على عواج ودفعه الى على بن ابى على فقتله وكان تقبض معه على عبد الرحمن بن يعقوب ووزيريه فقتلوا جميعا واستبد برياسة سفيان مسعود بن كانون وبرياسة بنى جابر اسماعيل بن يعقوب ابن قيطون وفى سنة ستين عند رجوع يحيى بن وانودين من واقعة ام الرجلين خرج عسكر من الموحدين الى السوس لنظر محمد بن على ازلماط ولقيه على بن يدر فهزم جموعه وقتله وعقد المرتضى من بعده على حرب على بن يدر للوزير ابى زيد بن بكيت وسرح معه عسكرا من الجند وكان فيهم دُنْلب من زعماء النصرانية فدارت الحرب بين الفريقين ولم يكن للموحدين فيها ظهور على كثرتهم وقوة جلدهم وحسن بلائهم قعد بهم عن ذلك تكاسل دُنْلب وخروجه عن طاعة الوزير وكتب بذلك للمرتضى فاستقدمه وامر ابا زيد بن يحيى الكدميوى باعتراضه فى طريقه وقتله وفى سنة ثنتين وستين اقبل يعقوب بن عبد الحق فى جموع بنى مرين فنازلوا مراكش واتصلت الحرب بينهم وبين الموحدين بطاهرها اياما هلك فيها عبد الله انجوب بن يعقوب فبعث المرتضى الى ابيه بالتعزية ولاطفه وضرب له اتاوة يبعث بها اليه فى كل عام فرضى وارتحل عنهم

(1) Le ms. B porte علنوان

الخبر عن انتقاض ابى دَبّوس وتغلبه على مراكش ومهلك المرتضى وما كان فى دولته من الاحداث

لما ارتحل بنو مرين عن مراكش بعد مهلك انجوب فر من الحضرة قائد حروبه السيد ابو العلى الملقب بابى دبوس بن السيد ابى عبد الله محمد ابن السيد ابى حفص بن عبد المومن لسعاية تمكنت فيه عند المرتضى وصحبه ابن عمه السيد ابو موسى عمران بن عبد الله بن الخليفة فلحقا بمسعود بن كلداسن كبير هسكورة فاجاره ثم لحق بيعقوب بن عبد الحق بفاس صريخا به على شانه واشترط له المقاسمة فى العمالة والذخيرة فامدد بالمال يقال خمسة الاف دينار عشرية واوعز الى على بن ابى على الخلطى بمظاهرته واعطاه الالة ورجع الى على بن ابى على الخلطى فامد بقومه ثم سار الى هسكورة ونزل على صاحبه مسعود بن كلداسن فاطاعه قبائل هسكورة وهزرجة وبعث اليه عزوز بن يبورك كبير صنهاجة فى ناحية ازمور وكان منحرفا عن طاعة المرتضى الى جملة يعقوب بن عبد الحق ووفد عليه جماعة من السادة والموحدين والجند والنصارى وارتاب المرتضى بمسعود بن كانون شيخ سفيان وباسماعيل بن قيطون شيخ بنى جابر فتقبض عليهما واعتقلهما وصار الكثير من قومهما الى ابى دبوس وقتل اسماعيل بن قيطون فى معتقله فانتقض اخوه ثائرا ولحق بهم وحذر علوش بن كانون مثلها على اخيه فاتبعهم وزحف ابو العلى الى مراكش ولما بلغ اغمات وجد بها الوزير ابا زيد بن بكيت فى عسكر لحمايتها فناجزه الحرب فانهزم ابن بكيت وقتل عامة اصحابه وسار ابو دبوس الى مراكش واغار علوش بن كانون على باب الشريعة والناس فى صلاة الجمعة وركز رمحه بمصراعه

ودخلب سنة خمس وستين والمرتضى بمراكش غافل عن شان ابى دبوس والاسوار خالية من الحراس والحامية فقصد ابو دبوس باب اغمات فتسور البلد من هنالك ودخلها على حين غفلة وقصد القصبة فدخلها من باب الطبول وفر المرتضى ومعه الوزيران ابو زيد بن يعلو الكومى وابو موسى بن عزوز الهنتاتى فلحقوا بهنتاتة والقوم قد بعثوا بطاعتهم فرحل الى كدميوة ومر فى طريقه بعلى بن زكداز الونكاسى كان نزع اليه عن قومه ولم يفد عليه بعد فنزل به المرتضى ورحل معه على بمن معه الى كدميوة وكان فيها وزيره ابو زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم فاراد النزول عليه فمنعه ابن سعد الله فسار الى شفشاوة ووجد بها عددا من الظهر فمنحها على بن زكداز وكتب الى ابن وانودين بمسكره من حاحة والى ابن عطّوش بمعسكره من ركراكة باللحاق به فاقلعا الى الحضرة وخاطب ابو دبوس على بن زكداز يرغبه فى القدوم عليه فارتاب المرتضى لذلك ولحق بازمور فتقبض عليه واليها ابن عطوش وكان اصهره (1) واعتقله وطير بالخبر الى ابى دبوس فامر وزيره السيد ابا موسى ان يكاتبه فى كشف اماكن الذخيرة فاجابه بانكار ان يكون ذخر سيًا عندهم والحلف على ذلك وسالهم بالرحم فعطف ابو دبوس عليه وجنح الى الابقاء وبعث وزيره السيد ابا موسى ومسعود بن كانون فى ازعاجه اليه ثم بدا له فى استحيائه باشارة بعض السادات فكتب خطه الى السيد ابى موسى بقتله واستقل ابو دبوس بالامر وتلقب الواثق بالله والمعتمد على الله واستوزر السيد ابا موسى واخاه السيد ابا زيد وبذل العطاء ونظر فى الولايات ورفع المكوس عن الرعية وحدث بينه وبين مسعود بن كلداسن وحشه فارتحل اليه لازالتها وقدم عبد العزيز بن عطوش سفيرا اليه فى ذلك وبلغه ان يعقوب بن عبد الحق

(1) Les mss. A et D portent ici وكذا صهره

نزل تامسنا فاوفد عليه حميدى بن مخلوف الهسكورى بهدية فقبلها واكد بينهما العهد وانكفا راجعا الى وطنه ورجع حميدى الى الواثق ووافق وصول عبد العزيز بن عطوش بطاعة مسعود بن كلداسن فرجع ابو دبوس الى مراكش بعد ان عقد لابى موسى بن عزوز على بلاد حاحة وبلغه فى طريقه عن عبد العزيز بن السعيد انه حدث نفسه بالملك وان ابن بكيت وابن كلداسن داخلوه فى ذلك وسائل عن ذلك السيد ابا زيد بن السيد ابى عمران خليفته واخبره بما سمع وامره بالقبض عليه وقتله فانفذ ذلك ثم ارتحل الى السوس لتمهيده وحسم علل ابن يدر فيه وقدم يحيى بن وانودين لاستنفار قبائل السوس من كزولة ولمطة وكنفيسة وصناكة وغيرهم وسار يتقرى المنازل ويستنفر القبائل ومر بتارودنت فوجدها قفرا خلاء الا قلائل من الدور بخارجها ونزل على حميدى صهر على بن يدر وقريبه بحصن تيمخت على وادى السوس كان لصنهاجة فغلبهم عليه ابن يدر وملكه فنازله ابو دبوس وحاصره اياما وهزم فيها جموعه وداخل حميدى على بن زكداز فى افراج ابى دبوس على سبعين الف دينار يوديها اليه فاعجله الفتح عن ذلك ونجا بدمائه الى بيته وطولب بالمال وبقى معتقلا عند ابن زكداز وامتنع ابن يدر بحصنه ثم اطاع ووصلت رسله بطاعته فانصرف الواثق الى حضرته ودخلها سنة خمس وستين وبلغه الخبر بانتقاض يعقوب بن عبد الحق وانه زاحف الى (1) فبعث بهديته الى تلمسان صحبة ابى الحسن بن قطرال وابن ابى عثمان رسول يغمراسن وخرج بهم من مراكش ابن ابى مديون السكاسنى (2) دليلا وسلك بهم على القفر الى سجلماسة وبها يحيى بن يغمراسن فبعثهم مع بعض

(1) Il y a ici un mot d'omis. — (2) Dans le ms. A on lit المساكنى et dans le ms. E الونكاسنى

المعقل الى ابيه فالفوه بجهة مليانة فاقام ابن قطرال بتلمسان ينتظره
وكان يعقوب بن عبد الحق لما بلغه ذلك نهض الى مراكش بجيوش بنى
مرين وعسكر المغرب ونزل بضواحى مراكش واطاعه اهل النواحى ونهض
اليه ابو دبوس فى عساكر الموحدين فاستجره يعقوب الى وادى اغفو ثم
ناجزه الحرب فاختل مصافه وفر عسكره وانهزم يريد مراكش والقوم فى
اتباعه فادرك وقتل وبادر يعقوب بن عبد الحق فدخل مراكش فى المحرم
فاتح سنة ثمان وستين وفر بقية المشيخة من الموحدين الى معاقلهم بعد ان
كانوا بايعوا عبد الواحد بن ابى دبوس وسموه المعتصم مدة من خمسة ايام
وخرج فى جملتهم وانقرض امر بنى عبد المومن والبقاء لله وحده

الخبر عن بقايا قبائل الموحدين من المصامدة بجبال درن
بعد انقراض دولتهم بمراكش وتصاريف احوالهم الهذا العهد

لما دعى المهدى الى امره فى قومه من المصامدة بجبال درن وكان اصل دعوته
نفى التجسيم الذى اليه مذهب اهل المغرب باعتمادهم ترك التاويل فى
المتشابه من الشريعة وصرح بتفكير من ابى ذلك اخذا بمذهب التكفير
بالمآل فسمى لذلك دعوة التوحيد واتباعه بالموحدين نعيا على الملثمين مآل
مذاهبهم الى اعتقاد الجسمية وخص بالمزية من دخل فى دعوته قبل تمكنها
وجعل علامة تمكنها فتح مراكش فكان انما اختص بهذا اللقب اهل
السابقة قبل ذلك الفتح وكان اهل تلك السابقة قبل فتح مراكش ثمانى
قبائل سبعة من المصامدة هرغة وهم قبيلة الامام المهدى وهنتاتة وتينملل
وهم الذين بايعوه مع هرغة على الاجارة والحماية وكنفيسة وهزرجة

وكدميوة [ووريكة] وثمانية قبائل الموحدين كومية قبيلة عبد المومن كبير صحابته دخلوا فى دعوته قبل الفتح فكانت لهم المزية بسابقة عبد المومن وسابقتهم فاختص هولاء القبائل بمزية هذه السابقة واسمها وقاموا بالامر وحملوا سريره وانفقوا فى مذاهبه وممالكه فى سائر الاقطار على نسبة قربهم من صاحب الامر وبعدهم وبقى من بقى منهم بجبالهم ومعاقلهم بقية حتوف وجرت عليهم ذيل زناتة من بعد الملك اذيال الغلب والقهر حتى القوم بالاتاوات وانتظموا فى عداد الغارمين من الرعايا وصاروا يولون عليهم من زناتة ومن رجالاتهم اخرى وفى ذلك عبرة وذكرى لاولى الالباب والملك لله يوتيه من يشاء ۞ هرغة فاما هرغة وهم قبيل الامام المهدى قد دثروا وتلاشوا وانتفقوا فى القاصية من كل وجه لما كانوا اشد القوم بلاء فى القيام بالدعوة واصلاهم لنارها بقرابتهم من صاحبها وتعصبهم على امره ولم يبق منهم الا اخلاط واوشاب امرهم الى غيرهم من رجالات المصامدة لا يملكون عليهم منه شيًا ۞ تينملل وكذا تينملل اخوانهم فى التعصب على دعوة المهدى والاشتمال عليه والقيام بامره حتى تهيز اليهم وبنى داره ومسجده بينهم فكان حظهم من الفناء بمقدار حظهم من الاستيلاء وابعدوا فى ممالك الدولة وعمالاتها فانقرض رجالاتهم وملك غيرهم من المصامدة امرهم عليهم وقبر الامام بينهم لهذا العهد على حاله من التجلة والتعظيم وقراءة القرءان عليه احزابا بالغدو والعشى وتعاهده بالزيارة وقيام الحجاب دون الزائرين من الغرباء لتسهيل الاذن واستشعار الابهة وتقديم الصدقات بين ايدى زيارته على الرسم المعروف فى احتفال الدولة وهم مصممون مع ذلك وكافة المصامدة ان الامر سيعود وان الدولة ستظهر على اهل المشرق والمغرب وتملا الارض كما وعدهم المهدى لا يشكون فى ذلك ولا يستريبون فيه ۞ هنتاتة واما هنتاتة وهم تلو القبيلتين فى الامر وكل من بعدهم فانما جاء على اثرهم وتبعا لهم بما كانوا عليه من الكثرة والباس

ومكان شيخهم ابى حفص عمر بن يحيى من صحابة الامام والاعتزاز على المصامدة وكانت لهم بافريقية دولة كما نذكره فانفقت الدولتان منهم عوالم فى سبيل الاستظهار بهم وبقى بموطنهم المعروف بهم من جبال درن وهو الجبل المتاخم لمراكش على توسط من الاستبداد والخضوع ولهم فى قومهم مكان بامتناع معقلهم واطلاله على مراكش ولما تغلب بنو مرين على المصامدة وقطعوا عنهم اسباب الدعوة كان لروسائهم اولاد يونس انحياش اليهم بما كانوا محخوطين فى اخر دولة بنى عبد المومن فاختصوهم بالاثرة والمخالصة وكان على بن محمد كبيرهم لعهد السلطان يوسف بن يعقوب ابن عبد الحق خالصة له من بين قومه وهلك سنة سبع وسبعين (1) على يد ابن الملياني الكاتب بكتاب لبس فيه وانقذه عن السلطان لابنه امير مراكش بقتل رهط من مشيخة المصامدة فى اعتقاله كان منهم على ابن محمد فقام السلطان لها فى ركائبه وندم على ما فرط من امره فى افلات ابن الملياني على ما نذكر من امر هذه الواقعة فى اخبار السلطان يوسف بن يعقوب ولما ولى السلطان ابو سعيد وانقطع عن المصامدة ما كان لهم من اثر الملك والسلطان وانقادوا للدولة رجع بنو مرين الى التولية عليهم من رجالاتهم وداولوا بينهم فى ذلك واختار السلطان بعد صدر من دولته موسى ابن على بن محمد للولاية على المصامدة وجبايتهم فعقد له وانزله مراكش فاضطلع بهذه الولاية سنين رسخت فيها قومه واورثها اهل بيته وصار لهم بها فى الدولة مكان انتظموا به فى الولاية وترشحوا للوزارة ولما هلك موسى عقد السلطان من بعده لاخيه محمد واجراه على سننه الى ان هلك فاستعمل السلطان بنيه فى وجوه خدمته وعقد لعامر منهم على قومه ولما ارتحل السلطان ابو الحسن الى افريقية صحبة عامر فيمن صحبه من امراء المصامدة

(1) Il faut lire تسع وتسعين

وكافة الوجوه حتى اذا كانت نكبة القيروان سنة تسع واربعين وسبعماية عقد له على الشرطة بتونس على رسم الموحدين من تنويه الخطة وسعة الرزق واستنام اليه فيها فكفاه مهمها ولما فصل من تونس ركب الكثير من حرمه وخطاياه السفن لنظر عامر هذا حتى اذا غرق الاسطول بالسلطان ابى الحسن بما اصابهم من عاصف الريح رمى الموج بالسفينة التى كانوا بها الى المرية من ثغور الاندلس فانزل بها كرائمُ السلطان لنظره وبعث عنهن ابنه ابو عنان المستبد على ابيه بملك المغرب فامتنع من اسلامهن اليه وفاء بامانته فى خدمتهم وخلص السلطان ابو الحسن بعد النكبة البحرية الى الجزائر سنة خمسين وزحف الى بنى عبد الواد ففلوه ونهض الى المغرب وسلك اليه القفر حتى نزل بسجلماسة فقصده ابو عنان فخرج عنها الى مراكش وقام بدعوته المصامدة وعرب جشم فاحتشد ولقى ابنه ابا عنان بجهات ام ربيع فكانت الدبرة عليه ونجا الى جبل هنتاتة وكان عبد العزيز ابن محمد شيخا عليهم منذ مغيب عامر وكان فى جملته وخلص معه فانزله عبد العزيز بداره وتدامر هو وقومه على اجارته والموت دونه فاعتصم بمعقلهم وجاء السلطان ابو عنان فى كافة بنى مرين الى مراكش فخيم بظاهرها واحتشد لحصارهم اشهرا حتى هلك السلطان ابو الحسن كما نذكره بعد فحملوه على الاعواد ونزلوا على حكم ابى عنان فكرمهم ورعا لهم وسيلة هذا الوفاء وعقد لعبد العزيز على امارته واستقدم عامرا كبيره من مكانه بالمرية فقدم بمن لامانته من خطايا السلطان وحرمه فلقاه السلطان مبرة وتكريما وأناله من اعتنائه حظا وتخلى له اخوه عبد العزيز عن الامر فاقره نائبا ثم عقد السلطان لعامر سنة اربع وخمسين على سائر المصامدة واستعمله لجبايتهم فقام بها مضطلعا وكفاه مهم الاعمال المراكشية حتى عرف غناؤه فيها وشكر له كفايته وهلك السلطان ابو عنان واستبد على

ابنه السعيد وزيره الحسن بن عمر الفودودى وكان ينفس عليه ما كان
له من الترشيح للرتبة وبينهما فى ذلك شحناء فخشى بادرته وخرج من مراكش
الى معقله من جبل هنتاتة وحمل معه ابن السلطان ابى عنان الملقب
بالمعتمد وكان ابوه عقد له يافعا قبيل وفاته على مراكش لنظر عامر فخلص
به الى الجبل حتى اذا استوت قدم السلطان ابى سالم فى الامر واستقل
بملك المغرب سنة ستين وفد عليه عامر بن محمد مع رسله اليه واوفد
ابن اخيه محمد المعتمد فتقبل السلطان وفادته وشكر وفاءه واقام ببابه
مدة ثم عقد له على قومه ثم استنفره معه الى تلمسان ولم يزل مقيما ببابه
الى قبيل وفاته فانفذه لمكان امارته ولما هلك السلطان ابو سالم واستبد
بالمغرب بعده عمر بن عبد الله بن على على ما نذكره وكانت بينه وبين
عامر بباب السلطان صداقة وملاطفة وصل يده بيده واكد العهد معه
على سد تلك الفرجة وعول عليه فى حوط البلاد المراكشية وان لا يوتى
من قبله وكان زعيما بذلك وعقد له على الاعمال المراكشية وما اليها الى
وادى ام ربيع وفوض اليه امر تلك الناحية واقتسما المغرب شق الابلمة (1)
وخلص اليه الاعياص من ولد السلطان ابى سعيد ابو الفضل بن السلطان
ابى سالم وعبد المومن بن السلطان ابى على فاعتقل عبد المومن وامكن
ابا الفضل من امارته على ما نذكر بعد وساءت الحال بينه وبين عمر
ونهض اليه من فاس بجموع بنى مرين وكافة العسكر واعتصم بجبله وقومه
واستبد على الاميرين عنده وحل عبد المومن من معتقله يحاجى به بنى
مرين لما كانوا يوملون من ولايته واستبداده لما اسفهم من حجر الوزراء لملوكهم
فلما راوا استبداد عامر عليه عرضوا عنه وانعقد السلم بينه وبين عمر بن
عبد الله على ما كان عليه من مقاسمته اياه فى اعمال المغرب ورجع واستقل

(1) Les mss portent الابلة

عامر بناحية مراكش واعمالها حتى اذا هلك عمر بن عبد الله بيد عبد العزيز
ابن السلطان ابى الحسن كما نذكره حدثت ابا الفضل بن السلطان ابى سالم
نفسه بالهتك بعامر بن محمد كما فتك عمه بعمر بن عبد الله ونذر بذلك
فاحتمل كرائمه وصعد الى داره بالجبل ففتك ابو الفضل بعبد المومن ابن
عمه كان معتقلا بمراكش واستحكمت لذلك النفرة بينه وبين عامر بن
محمد وبعث الى السلطان عبد العزيز فنهض من فاس فى جموعه سنة
تسع وستين وفر ابو الفضل فلحق بتادلا وتقبض عليه عمه السلطان
عبد العزيز وقتله كما نذكر فى اخباره وطلب عامرا فى الوفادة فخشيه على
نفسه واعتصم بمعقله فرجع الى حضرته واستجمع عزائمه وعقد على مراكش
واعمالها لعلى بن اجانا من صنائع دولتهم واوعز اليه بمنازلة عامر فدافعه
عامر وقومه عن معتصمه واوقع به وتقبض على طائفة من بنى مرين وصنائع
السلطان فى المعركة اودعهم سجنه فحرك بها عزائم السلطان ونهض اليه
فى قومه من بنى مرين وعساكر المغرب واحاط به ونازله حولا كريتا ثم
تغلب عليه سنة احدى وسبعين وانفضت جموعه وتقبض عليه عند
اقتحام الجبل فسيق اسيرا الى السلطان فقيده وقفل به الى الحضرة ولما قضى
نسك الفطر من سنته احضره ووبخه ثم امر به فتل الى مصرعه وامتحن
جلدا بالسياط وضربا بالمقارع حتى فاض عفى الله عنه وعقد السلطان على
قومه لفارس ابن اخيه عبد العزيز كان نزع اليه بين يدى مهلك عمه
وعفا عن ابنه ابى يحيى بسابقته الى الطاعة قبيل اقتحام الجبل عليهم
اشار عليه بدلك ابوه نظرا له فظفر من السلامة بحظ واصاره السلطان فى
جملته ثم هلك بعد ذلك فارس بن عبد العزيز واضطرم المغرب فتنة
بعد مهلك السلطان عبد العزيز سنة اربع وسبعين وصارت اعمال مراكش
فى ايالة السلطان عبد الرحمن بن على الملقب بابى يفلوسن بن السلطان

ابى على ونزع اليه ابو يحيى بن عامر فعقد له على قومه ثم اتهمه باحتجار الاموال منذ عهد ابيه وشره الى استصفائه ونذر به ابن عامر فلحق ببعض قبائل المصامدة جيرانهم باطراف السوس ونزل عليهم وكان مهلكه فيهم اعوام ثمانين وسبعماية والله وارث الارض ومن عليها ۞ كدميوة واما كدميوة وكانوا تبعا لهنتاتة وتينملل فى الامر وجبلهم لصق جبل هنتاتة وكان روساؤهم لعهد الموحدين بنو سعد الله ولما تغلب بنو مرين على المصامدة ووضعوا عليهم الضرائب امتنع يحيى بن سعد الله بعض الشىء بحصن تافركا وتيمخت من جبلهم وخالفه عبد الكريم بن عيسى وقومه الى طاعة بنى مرين واختلفت اليهم العساكر الى ان هلك يحيى بن سعد الله سنة اربع وتسعين وستماية وعساكر يوسف بن يعقوب مجهزة على حصاره فهدموا حصونه واذلوا من قومه واستخلص السلطان يوسف بن يعقوب عبد الكريم بن عيسى منذ عهد ابيه فعقد له عليهم ثم تقبض على امراء المصامدة واعتقله فيمن اعتقل منهم حتى اذا فعل ابن المليانى فعلته فى استهلاكهم لعداوة عمه بتلبيس الكتاب على لسان السلطان لابنه على امير مراكش فقتل عبد الكريم فيمن قتل منهم وقتل معه بنوه عيسى وعلى ومنصور وابن اخيه عبد العزيز بن محمد وامتعض السلطان لذلك وافلت ابن المليانى من عسكره لحصار تلمسان فدخلها ثم قام بامر كدميوة عبد الحق بن [بياض] من بيت بنى سعد الله ايام السلطان ابى الحسن وابنه ابى عنان وكانت بينه وبين عامر بن محمد فتنة جرها لصق العمالة شان المجتورين من القبائل وقديم العداوة بين السلف فلما استفحل امر عامر بالولاية على مراكش وسائر المصامدة نبذ الى عبد الحق العهد ونحله الخلاف والمداخلة للسكسيوى شيخ الفتنة المستعصى منذ اول الدولة فصمد اليه سنة سبع وخمسين وسبعماية فى قومه ومسالح السلطان التى كانت

بمراكش لنظره فافتتح عليه معقله عنوة وقتله واستولى على كدميوة ولحق بنو سعد الله بفاس فاقاموا بها حتى اذا خاض السلطان ابو سالم البحر الى ملكه بعد اخيه ابى عنان ونزل بغمارة نزع اليه يوسف بن سعد الله واعتقد منه ذمة بسابقته تلك فلما استولى على البلد الجديد واستقل بسلطانه عقد له على قومه رعيا لوسيلته فاقام فى ولايته مدة السلطان ابى سالم وكان عامل مراكش محمد بن ابى العلى من حاشية السلطان وبيوت الولاة بالمغرب معولا فيها على مظاهرته ولما هلك السلطان ابو سالم واستبد عمر بن عبد الله على الملوك بعده بادر لحين ثورته بالعقد لعامر على اعمال مراكش ليستظهر به وطير اليه الكتاب بذلك فنزل الى مراكش وقتل بها يوسف بن سعد الله ونكب بابى العلى ثم قتله ولحقه بابيه عبد الحق وذهبت الرياسة من كدميوة برهة من الدهر ثم رجعت اليهم فى بنى سعد الله والله قادر على ما يشاء وبيده تصاريف الامور ۞ وريكة واما وريكة فهم مجاورون لهنتاتة وبينهم فتنة قديمة وحروب متصلة ودماء مطلولة كانت بينهم سجالا وهلك فيها من الفريقين امم الى ان غلبهم هنتاتة باعتزازهم بالولاية فخضدوا منهم الشوكة واصاروهم فى الجملة والله وارث الارض ومن عليها ۞ سكسيوة واما كنفيسة وهم أكبر قبائل المصامدة وفيهم بطون كثيرة اوسعهم بطن سكسيوة واما سواهم من بطون كنفيسة فانفقتهم الدولة بما تولوا من مشايعتها وابرام عقدتها فهلك رجالاتهم فى انفاقها سبيل الامم قبلهم فى دولهم واما سكسيوة فكان لهم بين الموحدين مكان واعتزاز بكثرتهم وغلبهم (١) الا انهم كانوا اهل بدو ولم يخالطوهم فى ترفهم ولا انغمسوا فى نعيمهم وكان جبلهم التى اوطنوه من جبالة درن هو القبة منها والذروة اعتصموا منه بالابلق الفرد واليفاع الاشم والطود الشاهق قد لمس الافلاك

(1) Les mss. A et B portent علنهم

بيده ونظم النجوم فى مفرقه وتلفع بالسحاب فى مرطه واوى الرياح العواصف الى جوه والقى خبر السماء باذنه واطل على البحر الاخضر بشماريخه واستدبر القفر من بلاد السوس بظهره وانام سائر جبال درن فى حجره ولما انقرض امر الموحدين وتغلب بنو مرين على المصامدة اجمع وساموهم خطة الخسف فى وضع الضرائب والمغارم عليهم فاستكانوا لعزهم واعطوهم يد الطواعية واعتصم سكسيوة هولاء بمعقلهم واعتزوا فيه بمنعتهم فلم يغمسوا فى خدمتهم يدا ولا اعطوهم مقادا ولا رفعوا بدعوتهم راية انما هى منابذة لامرهم وامتناع عليهم سائر الايام فاذا زحفت الحشود وتمرست بهم العساكر دفعوهم بطاعة معروفة واتاوة غير ملتزمة ورئيسهم مع ذلك يستخلص جبايتهم لنفسه ويدفعهم فى المضائق لحمايته وربما تخطاهم الى بعض قبائل الجبل ومن قاربه من اهل بسيط السوس يعسكر لذلك بالرجل من قومه سكسيوة وكنفيسة وبالحشد من الاعراب الموطنين بارض السوس من سفيان وهم بطن الحارث ومن المعقل وهم بطن الشبانات وكان رئيسهم فى ذكرنا بعد انفراض عبد المومن حدو بن يوسف وحدّو بلسان الاعجميين هو عبد الواحد وكان له فى الاستبداد والصرامة ذكر وهلك سنة ثمانين وستماية ايام يعقوب بن عبد الحق وجاء ابنه عمر على اثره وكان يلقب اجليد ومعناه بلسانهم السلطان فغالب ملوك بنى مرين دون غيله وامتنع عليهم بمعقله ونازلته عساكر يوسف بن يعقوب واخيه ابى سعيد من بعده فامتنع وكان منتحلا للعلم واعية له جمّاعة لكتبه ودواوينه حافظا لفروع الفقه يقال ان المدونة كانت من محفوظاته محبا فى الفلسفة مطالعا لكتبها حريصا على نتائجها من علم الكيميا والسيميا والسحر الشعوذة مطلعا على الشرائع القديمة والكتب المنزلة بكتب التورية ويجالس احبار اليهود حتى لقد اتهم فى عقده ورمى بالرغبة عن دينه ثم ولى من بعده ابنه عبد الله وكان مقتفيا سنن ابيه فى

ذلك وخصوصا فى انتحال السحر والاستشراف الى صنعة الكيميا ولما فرغ السلطان ابو الحسن من شان اخيه عمر وسكن فتنة المغرب ودوخ اقطاره رماه فى معتصمه بالعساكر واوطا ساحاته الكتائب وحاله دون من يمده من اعراب السوس ورائه بما كان من تغلبه على بلادهم واقتضائه لطاعتهم وانزال عماله بالعساكر بينهم فلاذ منه عبد الله السكسيوى بطاعة معروفة رهن فيها ابنه واشترط الهدية والمتاحفة فتقبل منه ومنحه جانب الرضى ولما كانت نكبة السلطان بالقيروان واضطرب المغرب فتنة وخلا جو البلاد المراكشية من المشايخ اجتمع راى الملاء من المصامدة على النزول الى مراكش واحكموا عقد الوفاق بينهم واجمعوا تخريبها بما كانت دارا للامارة ولمقامة الكتائب المجمرة وزعم عبد الله السكسيوى هذا بانفاذ ذلك فيها وضمن هو تخريب المساجد لتجافيهم عنها فكانت مذكورة على الايام ثم انحل عزمهم وافترقت جماعتهم وكلمتهم بما كان من استقامة الدولة بفاس واجتماع بنى مرين على السلطان ابى عنان كما نذكر بعد فانحجز كل منهم بوجاره ولما فرغ ابو عنان من شان ابيه واستولى على المغرب الاوسط وغلب عليه بنى عبد الواد ولحق اخوه ابو الفضل من مطرح اغترابه فى الاندلس بالطاغية يروم الاجازة الى المغرب لطلب حقه فاركبه السفين الى سواحل السوس فنزل به ولحق بعبد الله السكسيوى فاواه وظاهره على امره فجرد ابو عنان الغزاة اليهم وعقد لوزيره فارس بن ميمون بن ودرار على حربهم واستجر جيوش المغرب اليه واناخ بساحته سنة اربع وخمسين واختط بسفح الجبل مدينة لحصاره سماها القاهرة واخذت بمخنقه وزاحمت بمناكبها اركان معقله حتى لاذ بالسلم واشترط ان ينبذ العهد الى ابى الفضل المنتزى عنده يذهب حيث شاء فتقبل منه وعقد له سلما على عادته وافرج عنه وخرج على عند الله السكسيوى لايام السلطان ابى سالم ابنه محمد

المعروف فى لغتهم بايزَمْ ومعناه الاسد فغلبه على امره ولحق عبد الله بعامر
ابن محمد الهنتاتى كبير المصامدة لعهده وعامل السلطان عليهم فاستجاش
به ووعده عامر النصرة وامهله عاما ونصفه حتى وفد على السلطان
واستوهب فى ذلك ثم اجمع على نصره من عدوه فجمع له الناس وخاطب اهل
ولايته ان يكونوا معه يدا وزحف عبد الله حتى نزل بالقاهرة واخذ بمخنق
ابنه واشياعه ثم داخله بعض بطانته ودلود على بعض العوراة اقتحم منها
الجبل وثاروا بابنه ايزم فصبحه عبد الله وقومه وفر محمد امامه فادرك
بتلاسف من نواحى الجبل وقتل واسترجع عبد الله ملكه واستقلت قدمه
الى ان مكر به ابن عمه يحيى بن سليمان بن حدو ايام استبداد الوزير
عمر بن عبد الله على سلطان المغرب واستبداد عامر بن محمد بولاية مراكش
وثار منه يحيى هذا بابيه سليمان وهو عم عبد الله كان قتله ايام امارته
الاولى واقام مملكا على سكسيوة الى سنى خمس وسبعين فثار عليه ابو
بكر بن عمر بن حدو فقتله باخيه عبد الله واستقل بامر سكسيوة ومن
اليهم ثم خرج عليه لاعوام من استقلاله ابن عم له من اهل بيته لم ينقل
لى من تعريفه الا ان اسمه عبد الرحمن لان ثورته كانت بعد رحلتى الثانية
من المغرب سنة ست وسبعين فاخبرنى الثقة بامره وانه ظفر بابى بكر بن
عمر وقتله واستبد بامر الجبل الى هذه العهد فيما زعم وهو سنة تسع وسبعين
ثم بلغنى سنة ثمان وثمانين ان عبد الرحمن هذا ويعرف بابى زيد بن
مخلوف بن عمر اجليد قتله يحيى بن عبد الله بن عمر واستبد بامر هذا الجبل
وهو الان مالكه وهو اخو ايزم بن عبد الله والله وارث الارض ومن عليها ۞
واما بقية قبائل المصامدة من سوى هولاء السبع مثل هيلانة وحاحة
ودكالة وغيرهم ممن اوطن هضاب الجبال وساحته فهم امم لا تحصر ودكالة منهم
فى ساحة الجبل من جانب الجوف مما يلى مراكش الى البحر من جانب الغرب

وهناك رباط اسفى المعروف ببنى ماكر من بطونهم وبين الناس خلاف فى انتسابهم فى المصامدة اوصنهاجة ويجاورهم من جانب الغرب فى بسيط منعطف ما بين ساحل البحر وجبل درن فى بسيط هناك يفضى الى السوس يعمره من حاحة هولاء خلق اكثرهم فى خمر الشعراء من الشجر المعروف باركان يتحصنون بملتفها وادواحها ويعتصرون الزيت لادامهم من ثمارها وهو زيت شريف طيب اللون والرائحة والطعم يبعث منه العمال الى دار الملك فى هداياهم فيطرفون به وحاحة هولاء من اكبر المصامدة واكثرهم فضلا ونجدة وعلما منعوتين بحفظ الفقه وتمهيد مسالكه واهل العلم عند روسائهم فى حظوة واحترام وجراية وباخر مواطنهم مما يلى ارض السوس وفى القبلة دون جبل درن بلد تاذنَسْت وبها معظم هذه الشعراء ينزلها روساؤهم ورياستهم فى بطن منهم يعرفون بمترارة (1) وفى اولاد ابراهيم بن صالح شياختهم ثم ولده حسين ثم محمد اخوه وكان شيخهم لعهد السلطان ابى عنان ابراهيم بن حسين بن ابراهيم بن صالح وبعده محمد بن ابراهيم بن حسين وبعدد ابن عمه عيسى بن خالد بن حماد واستمرت رياسته عليهم الى اعوام ست وسبعين وسبعماية ايام استيلاء السلطان عبد الرحمن بن بو يفلوسن (2) على مراكش فقتله شيخ بنى مرين على بن عمر الورتاجنى من بنى ويغلان منهم وما ادرى لمن صارت رياستهم من بعد محمد وهم ودكالة جميعا اهل مغرم واسع وجباية موفورة فيما علمنا ولله الخلق والامر وهو خير الوارثين

(1) Le ms. D porte بمترارد (2) Les mss. A et E portent يطوسن

الخبر عن بنى يدّر امراء السوس من الموحدين بعد انقراض بنى عبد المومن وتصاريف احوالهم

كان ابو محمد بن يونس من علية وزراء الموحدين من هنتاتة وكان المرتضى قد استوزره ثم سخطه وعزله سنة خمسين وستماية والزمه داره بتامصلحت وفر عنه قومه وحاشيته وقرابته وكان من اهل قرابته على بن يدر من بنى باداس ففر الى السوس وجاهر بالخلاف سنة احدى وخمسين ونزل بحصن تانصاصت سفح الجبل حيث يدفع وادى السوس من درن وشيده وحصنه وتغلب على حصن تيسخت من ايدى صنهاجة وشيده وانزل فيه ابن عمه حمدين ثم تغلب على بسيط السوس وجاجا ببنى حسان من اعراب المعقل من مواطنهم من نواحى ملوية الى بلاد الريف فارتحلوا اليه وعاث بهم فى نواحى السوس وطاع له كثير من قبائله فاستوفى جبايتهم واجلب على عامل الموحدين بتارودنت وضيق عليه المسالك وتفاقم امره واتهم الوزير ابو محمد بن يونس بمداخلته وعثر على كتابه الى على بن يدر فامر المرتضى باعتقاله وقتله سنة ثنتين وخمسين واغزا ابا محمد بن اصناك (1) الى بلاد السوس فى عسكر الموحدين والجند وعقد له عليها فنزل تارودنت وتحصن على بن يدر بتيونيوين (2) وزحف اليه ابن اصناك فى عسكره فهزمه ابن يدر وقتل كثيرا منهم ورجع الى مراكش مفلولا واقام على بن يدر على حاله من الخلاف واغزاه المرتضى محمد بن على ازلماط فى عسكر من الموحدين سنة ستين فهزمهم وقتل ابن ازلماط فعقد المرتضى من بعده على السوس

(1) Les mss. A et E portent اصال — (2) On lit dans le ms A بتنونيوين et dans le ms. B تينونيوين

لوزيره ابى زيد بن بكيت فزحف اليه ودارت الحرب بينهما مليا وانقلب من غير ظفر واستفحل امر ابن يدر ببلاد السوس واستخدم الاعراب من الشبانات وذوى حسان واطاعته القبائل من كزولة ولمطة وزكن ولخس من شعوب لمطة وصناكة وجبى الاموال واستخدم الرجال يقال كان جنده الف فارس وكان بينه وبين كزولة فتن وحروب يستظهر فى اكثرها بذوى حسان ولما استولى ابو دبوس على مراكش سنة خمس وستين وفرغ من تمهيد ملكه بها اعتزم على الحركة الى السوس ورحل من مراكش وقدم بين يديه يحيى بن وانودين لاحتشاد القبائل ومر بالجبل ثم اسهل من تامسكروط الى بسيط السوس ونزل على بنى باداس قبيلة ابن يدر على فرسخين من تيونيوين وقصد تيزخت ومر بتارودنت وعاين اثر الخراب الذى بها من عيث ابن يدر ولما بلغ حصن تيزخت خيم بساحته وحشر امما من القبائل لحصاره وكان به حمدين ابن عم على بن يدر فحاصره اياما ولما اشتد عليه الحصار داخل على بن زكداز من مشيخة بنى مرين كان فى جملة ابى دبوس فداخله فى الطاعة وتقبل السلطان طاعته على النزول عن حصنه ثم اعجلته الحرب واقتحم عليهم الجبل ولجوا الى الحصن وفر حمدين الى بيت على بن زكداز فامره السلطان باعتقاله واستولى السلطان على الحصن وانزل به بعض السادات لولايته وارتحل ابو دبوس الى محاصرة على ابن يدر فحاصره اياما ونصب عليه المجانيق ولما اشتد عليه الحصار رغب فى الاقالة ومعاودة الطاعة فتقبل واقلع السلطان عن حصاره وقفل الى حضرته ولما استولى بنو مرين على مراكش سنة ثمان وستين استبد على بن يدر بملك السوس واستولى على تارودنت وايفرى وسائر امصاره وقواعده ومعاقله وارهف حده للاعراب فزحفوا اليه وكانت عليه الدبرة وقتل سنة ثمان وستين وقام بامره على ابن اخيه عبد الرحمن بن الحسن مدة ثم هلك

وقام بامرهم اخوه على بن الحسن بن يدر ولما صار ابو على بن السلطان ابى سعيد الى ملك سجلماسة بصلح عقده مع ابيه كما نذكر فى اخبارهم فنزلها وشيد ملكه بها واستخدم كافة عرب المعقل فرغبوه فى ملك السوس واطمعوه فى اموال ابن يدر فغزاه من سجلماسة وفر ابن يدر امامه الى جبال نكيسة واستولى السلطان ابو على على حصنه تانصاصت وسائر امصار السوس واستصفى ذخيرته وامواله ورجع الى سجلماسة ثم استولى السلطان ابو الحسن من بعد ذلك عليه وانترض ملك بنى يدر ولحق به عبد الرحمن بن على بن الحسن وصار فى جملته وانزل السلطان بارض السوس مسعود بن ابراهيم بن عيسى اليرنيانى (1) من طبقة وزرائه وعقد له على تلك العمالة الى ان هلك وعقد لاخيه حسون من بعده الى ان كانت نكبة القيروان وهلك حسون وانفض العسكر من هنالك وتغلب عليه العرب من بنى حسان والشبانات ووضعوا على قبائله الاتاوات والضرائب ولما استبد ابو عنان بملك المغرب من بعد ابيه اغزا عساكره السوس لنظر وزيره فارس بن ودرار سنة ست وخمسين فملكه واستخدم القبائل والعرب من اهله ورتب المسالح بامصاره وقفل الى مكان وزارته فانفضت المسالح ولحقت به وبقى عمل السوس ضاحيا من ظل الملك لهذا العهد وهو وطن كبير فى مثل عرض البلاد الجريدية وهوائها المتصلة من لدن البحر المحيط الى نيل مصر الهابط من وراء خط الاستواء فى القبلة الى الاسكندرية وهذا الوطن قبلة جبال درن ذو عمائر وقرى ومزارع وفدن وامصار وجبال وحصون يخترقه وادى السوس ينصب من باطن الجبل الى ما بين كلاوة وسكسيوة ويدفع الى بسيطه ثم يمر مغربا الى ان ينصب فى البحر المحيط والعمائر متصلة حفافى هذا الوادى ذات الفدن والمزارع

(1) On lit dans le ms. B اليرتيانى

واهلها يتخذون فيها قصب السكر وعند مصب هذا الوادى من الجبل فى البسيط مدينة تارودنت وبين مصب هذا الوادى فى البحر ومصب وادى ماسة مرحلتان الى ناحية الجنوب على ساحل البحر وهنالك رباط ماسة الشهير المعروف بتردد الاولياء وعبادتهم وتزعم العامة ان خروج الفاطمى منه ومنه ايضا الى زوايا اولاد بو نعمان مرحلتان فى الجنوب كذلك على ساحل البحر وبعدها على مراحل مصب الساقية الحمراء وهى منتهى مجالات المعقل فى مشاتيهم وفى راس وادى السوس جبل زكندر قبلة جبل الكلاوى وفى قبلة جبال درن جبال نكيسة تنتهى الى جبال درعة ويعرف الاخر منها فى الشرق بابن حميدى ويصب من جبال نكيسة وادى نول ويمر مغربا الى ان يصب فى البحر وعلى هذا الوادى بلد تاكاوصت محط الرقاق والبضائع بالقبلة وبها سوق فى يوم واحد من السنة يقصده التجر من الافاق وهو من الشهرة لهذا العهد بمكان وبلد ايفرى بسفح جبل نكيسة بينها وبين تاكاوصت مرحلتان وارض السوس مجالات لكزولة ولمطة فلمطة منهم مما يلى درن وكزولة مما يلى الرمل والقفر ولما تغلب المعقل على بسائطه اقتسموها مواطن فكان الشبانات اقرب الى جبال درن وصارت قبائل لمطة من احلافهم وصارت كزولة من احلاف ذوى حسان والامر على ذلك لهذا العهد وبيد الله تصاريف الامور

الخبر عن دولة بنى ابى حفص ملوك افريقية من الموحدين ومبدا امرهم وتصاريف حوالهم

قد قدمنا ان قبائل المصامدة بجبل درن وما حوله كثير مثل هنتاتة

وتينملل وهرغة وكنفيسة وسكسيوة وكدميوة وهزرجة ووريكة وهزميرة
وركراكة وحاحة وبنى ماغوس وكلاوة وغيرهم ممن لا يحصى وكان منهم
قبل الاسلام وبعده روساء وملوك وهنتاتة هولاء من اعظم قبائلهم واكثرها
جمعا واشدها قوة وهم السابقون للقيام بدعوة الامام المهدى والممهدون لامره
وامر عبد المومن من بعده كما ذكرناه فى اخباره واسم هنتات جدهم بلسان
المصامدة ينتى وكان كبيرهم لعهد الامام المهدى الشيخ ابو حفص عمر ونقل
البيذق ان اسمه بلسانهم فاصكات وهنتاتة لهذا العهد يقولون انه اسم جده
وكان عظيما فيهم متبوع غير مدافع وهو اول من بايع للامام المهدى من
قومه فجاء يوسف بن وانودين وابو يحيى بن بكيت وابن يغمور وغيرهم منهم
على اثره واختص بصحابة المهدى فانتظم فى العشرة السابقين الى دعوته
وكان تلو عبد المومن فيهم ولم يكن مزية عبد المومن عليه الا من حيث
صحابة المهدى واما فى المصامدة فكان كبيرهم غير مدافع وكان يسمى بين
الموحدين بالشيخ كما كان المهدى يسمى بالامام وعبد المومن بالخليفة سمات
لهولاء الثلاثة من بين اهل الدعوة تدل على اشتراكهم فى الجلالة واما
نسبه فهو عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن على بن احمد بن والال
بن ادريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن
نحية بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب هكذا
نسبه ابن نخيل وغيره من الموحدين ويظهر منه ان هذا النسب القرشى
وقع فى المصامدة والتحم بهم واشتملت عليه عصبيتهم شان الانساب التى
تقع من قوم الى قوم وتلتحم بهم كما قلناه اول الكتاب ولما هلك الامام
وعهد بامره الى عبد المومن وكان بعيدا عن عصبية المصامدة الا ما كان
له من اثرة المهدى واختصاصه فكتم موت المهدى وعهد عبد المومن ابتلاء
لطاعة المصامدة وتوقف عبد المومن عن ذلك ثلاث سنين ثم قال له ابو

حفص نقدمك كما كان الامام يقدمك فاعلم ان امره منعقد ثم اعلن ببيعته وامضى عهد الامام بتقديمه وحمل المصامدة على طاعته فلم يختلف عليه اثنان وكان الحل والعقد فى المهمات اليه سائر ايام عبد المومن وابنه يوسف واستكفوا به نوائب الدعوة فكفاهم مهمها وكان عبد المومن يقدمه فى المواقف فيجلى فيهم وبعثه على مقدمته حين زحف الى المغرب الاوسط قبل فتح مراكش سنة سبع وثلاثين وزناتة كلهم مجتمعون بمنداس لحرب الموحدين مثل بنى ومانوا وبنى عبد الواد وبنى ورسيفان وبنى توجين وغيرهم فحمل زناتة على الدعوة بعد ان اثخن فيهم ولاول دخول عبد المومن لمراكش خرج عليه الثائر بماسة وانصرفت اليه وجوه الغوغاء وانتشرت ضلالته فى النواحى وتفاقم امره فدفع لحربه الشيخ ابا حفص فحسم داءه ومحا اثر غوايته ولما اعتزم عبد المومن على الرحلة الى افريقية حركته الاولى لم يقدم شيئا على استشارة ابى حفص ولما رجع منها وعهد الى ابنه محمد خالفه الموحدون ونكروا ولاية ابنه فاستدعا ابا حفص من مكانه بالاندلس وحمل الموحدين على البيعة له واشار بقتل يصلاتى الهرغى راس المخالفين فى شانه فقتله وتم امر العهد لابنه محمد ولما اعتزم عبد المومن على الرحلة الى افريقية سنة اربع وخمسين حركته الثانيه لفتح المهدية استخلف الشيخ ابا حفص على المغرب وينقل من وصاة عبد المومن لبنيه انه لم يبق من اصحاب الامام الا عمر بن يحيى ويوسف بن سليمان فاما عمر فانه من اوليائكم واما يوسف فجهزه بعسكرة الى الاندلس تستروح منه وكذلك فافعل بكل من تكرهه من المصامدة واما ابن مردنيش فاتركه ما تركك وتربص به ريب المنون واخل افريقية من العرب واجلهم الى بلاد المغرب واذخرهم لحرب ابن مردنيش ان احتجت الى ذلك ولما ولى يوصف بن عبد المومن تخلف الشيخ ابو حفص عن بيعته ووجم الوحدون لتخلفه حتى استنبل غرضه فى

حكم امضاه بمعقد سلطانه واعجب بفضله فاعطاه صفقة يمينه واعلن
بالرضى بخلافته فكانت عند يوسف وقومه من اعظم البشائر وتسمى لها
بامير المومنين سنة ثلاث وستين ولما ولى يوسف بن عبد المومن وتحركت
الفتنة بجبال غمارة وصنهاجة التى تولى كبرها سبع بن منغفاد سنة
ثنتين وستين عقد للشيخ ابى حفص على حربهم فجلى فى ذلك ثم خرج
بنفسه فاثخن فيهم وكمل الفتح كما ذكرناه ولما بلغه سنة اربع وستين
تكالب الطاغية على الاندلس وغدره بمدينة بطليوس واعتزم على
الاجازة لحمايتها قدم عساكر الموحدين اليها لنظر الشيخ ابى حفص ونزل
قرطبة وامر من كان بالاندلس من السادة ان يرجعوا الى رايه فاستنقذ
بطليوس من هوة الحصار وكانت له فى الجهاد هنالك مقامات مذكورة ولما
انصرف من قرطبة الى الحضرة سنة احدى وسبعين هلك عفا الله عنه فى
طريقه بسلا ودفن بها وكان ابناؤه من بعده يتداولون الامارة بالاندلس
والمغرب وافريقية مع السادة من بنى عبد المومن فولى المنصور ابنه ابا سعيد
على افريقية لاول ولايته وكان من خبره مع عبد الكريم المنتزى بالمهدية
ما ذكرناه واستوزر ابا يحيى بن ابى محمد بن عبد الواحد وكان فى مقدمته
يوم الاركة سنة احدى وتسعين فجلى عن المسلمين وكان له فى ذلك
الموقف من الصبر والثبات ما طار له به ذكر واستشهد فى ذلك الموقف وعرف
اعقابه ببنى الشهيد اخر الدهر وهم لهذا العهد بتونس ولما نهض الناصر
الى افريقية سنة احدى وستماية لما بلغه من تغلب ابن غانية على تونس
فاسترجعها ثم نازل المهدية فتعاوت عليه ذياب الاعراب وجمعهم ابن غانية
ونزل قابس فسرح الناصر اليهم ابا محمد عبد الواحد بن الشيخ ابى حفص
فى عسكر من الموحدين فاوقع بابن غانية بتاجرا من نواحى قابس سنة
ثنتين وستماية وقتل جبارة اخو ابن غانية واثخن فيهم قتلا وسبيا واستنقذ

منهم السيد ابا زيد بن يوسف بن عبد المومن الوالى كان بتونس واسره ابن غانية ورجع الى الناصر بمكانه من حصار المهدية فكانت سببا فى فتحها وكان ذلك مما حمل الناصر على ولاية الشيخ ابى محمد بافريقية حسبما نذكره ان شاء الله

الخبر عن امارة ابى محمد بن الشيخ ابى حفص بافريقية وهى اولية امرهم بها

لما تكالب ابن غانية واتباعه على افريقية واستولى على امصارها وحاصر تونس وملكها واسر السيد ابا زيد اميرها ونهض الناصر من المغرب سنة احدى وستماية كما ذكرناه فاسترجعها من ايديهم وشردهم عن نواحيها وخيم على المهدية يحاصرها وقد انزل ابن غانية ذخيرته وولده بها واجلب فى جموعه خلال ذلك على قابس فسرح الناصر اليه الشيخ ابا محمد هذا فى عساكر الموحدين وزحف اليهم بتاجرا من جهات قابس فهزمهم واستولى على معسكرهم وما كان بايديهم واثخن فيهم بالقتل والسبى واستنقذ السيد ابا زيد من اسرهم ورجع الى الناصر بعسكره من حصار المهدية ظافرا ظاهرا وعاين اهل المهدية يوم مقدمه بالغنائم والاسرى فبهتوا وسقط فى ايديهم وسالوا النزول على الامان وكمل فتح المهدية ورجع الناصر الى تونس فاقام بها حولا الى منتصف سنة ثلاث وستماية وسرح اثناء ذلك اخاه السيد ابا اسحاق لتتبع المفسدين ويمحو مواقع عيثهم فدوخ ما وراء طرابلس واثخن فى بنى دمر ومطماطة ونفوسة وشارف ارض سرت وبرقة وانتهى الى سويقة ابن مذكور وفر ابن غانية الى صحراء برقة وانقطع خبره وانكفا السيد راجعا الى

تونس واعتزم الناصر على الرحلة الى المغرب وقد افاء على افريقية ظل الامر وضرب عليهم سرادق الحماية وبدا له ان ابن غانية سيخالفه اليها وان مراكش بعيد عن الصريخ وانه لا بد من رجل يسد فيها مسد الخلافة ويقيم بها سوق الملك فوقف اختياره على ابى محمد بن الشيخ ابى حفص ولم يكن ليبعدوه لما كان عليه هو وابوه فى دولتهم من الجلالة وان امر بنى عبد المومن انما تم بوفاق الشيخ ابى حقص ومظاهرته وان اباد المنصور كان قد اوصى الشيخ ابا محمد به وباخوته وكان يوليه صلاة الصبح اذا حضر شغل وامثال ذلك وسرى الخبر بذلك الى ابى محمد (1) فامتنع وشافهه الناصر به فاعتذر فبعث اليه ابنه يوسف فاكرم موصله واجاب على شريطة اللحاق بالمغرب بعد قضاء مهمات افريقية فى ثلاث سنين وان يختار عليهم من رجالات الموحدين وان لا يتعقب عليه فى تولية ولا عزل فقبل شرطه فنودى فى الناس بولايته ورفعت بين الموحدين رايته وارتحل الناصر الى المغرب ورجع عنه الشيخ ابو محمد من باجة فقعد مقعد الامارة بقصبة تونس فى السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستماية وانفذ اوامره واستكتب ابا عبد الله محمد من احمد بن نخيل ورجع ابن غانية الى نواحى طرابلس فجمع احزابه واتباعه من العرب من سليم وهلال وكان فيهم محمد بن مسعود البلط فى قومه من الدواودة وعاودوا عيثهم وخرج اليهم ابو محمد سنة اربع وستماية فى عساكر الموحدين وتحيز اليه بنو عوف من سليم وهم مرداس وعلاق فلقيهم بشبرو ويتواقعوا واحتربوا عامة يومهم ونزل الصبر ثم انفض عسكر ابن غانية اخر النهار واتبعهم الموحدون والعرب واكتسحوا اموالهم وافلت ابن غانية جريحا الى اقصى مفره ورجع ابو محمد الى تونس بالظفر والغنيمة وخاطب الناصر بالفتح واستنجاز وعده

(1) Les mss. A et B portent ابي عمرو

فى التحول عن الولاية فخاطبه بالشكر والعذر بمهمات المغرب عن ادالته وانه يستانف النظر فى ذلك وبعث اليه بالمال والخيل والكساء للانفاق والعطا كان مبلغها مايتا الف دينار ثنتان والف وثمان ماية كسوة وثلاثماية سيف وماية فرس غير ما كان انفذ اليه من سبتة وبجاية ووعده بالزيادة وكان تاريخ الكتب سنة خمس فاستمر ابو محمد على شانه وترادفت الوقائع بينه وبين يحيى الميورقى كما نذكره

وقيعة تاهرت وما كان من ابى محمد فى تلافيها واستنقاذ غنائمها

كان يحيى بن غانية لما افلت من وقيعة شبرو بدا له ليقصدن بلاد زناتة بنواحى تلمسان وقارن ذلك وصول السيد ابى عمران بن موسى بن يوسف بن عبد المومن واليا عليها من مراكش وخروجه الى بلاد زناتة لتمهيد انحائهم وجباية مغارمهم وكتب اليه الشيخ ابو محمد نذيرا بشانه وان لا يعرض له وانه فى اتباعه فابى من ذلك وارتحل الى تاهرت وصبحه بها ابن غانية فانفض معسكره وفرت زناتة فى حصونها وقتل السيد ابو عمران واستبيحت تاهرت فكان اخر العهد بعمرانها وامتلات ايديهم من الغنائم والسبى وانقلبوا الى افريقية فاعترضهم الشيخ ابو محمد بموضع [بياض] فاوقع بهم واستنقذ الاسرى من ايديهم واكتسح سائر مغانمهم وقتل فيها كثير من الملثمين ولحق فلهم بناحية طرابلس الى ان كان من امرهم ما نذكره

واقعة نفوسة ومهلك العرب والملثمين بها

كان ابن غانية بعد واقعة شبرو واستفتاح ابى محمد تاهرت من يده

خلص الى جهات طرابلس وتلاحق به فل الملثمين واوليائه من العرب
وكان المجلى معه فى مواقفة الدواودة من رياح وكبيرهم محمد بن مسعود
فتدامروا واعتزموا على معاودة الحرب وتعاقدوا على الثبات والصبر وانطلقوا
يستالفون الاعراب من كل ناحية حتى اجتمع اليهم من ذلك امم كان فيهم
من رياح وزغب والشريد وعوف ودباب ونفات واختلفوا فى الاحتشاد واجمعوا
دخول افريقية فبادرهم ابو محمد قبل وصولهم اليها وخرج من تونس سنة
ست واغذ السير اليهم وتزاحفوا عند جبل نفوسة واشتدت الحرب ولما حمى
الوطيس ضرب ابو محمد ابنيته وفساطيطه وتحيز اليه بعض الفرق من
بنى عوف بن سليم واحتل مصاف ابن غانية واتبعه الموحدون الى ان
دخل فى غيابات الليل وامتلات ايديهم بالاسرى والغنائم وسيقت ظعائن
العرب وقد كانوا قدموها بين يديهم للحفيظة واللياذ فى الكر والفر فاصبحت
مغنما للموحدين وربات خدورهم سبيا وهلك فى المعركة خلق من الملثمين
وزناتة والعرب كان فيهم عبد الله بن محمد بن مسعود البلط بن سلطان شيخ
الدواودة وابن عمه حركات بن ابى شيخ بن عساكر بن سلطان و [بياض] شيخ
بنى قرة وجرار بن ويغزن كبير مغراوة ومحمد بن الغازى بن غانية فى
اخرين من امثالهم وانصرف ابن غانية فهيض الجناح مفلول الحد محفوفا
بالباس من جميع جهاته وانقلب ابو محمد والموحدون اعزة ظاهرين
واستفحل امر ابى محمد بافريقية وحسم علل الفساد منها واستوفى جبايتها
وطالت مواقف حروبه ولم تهزم له فيها راية وهلك الناصر وولى ابنه يوسف
المستنصر واستبد عليه المشيخة لمكان صغره وشغلوا بفتنة بنى مرين
وظهورهم بالمغرب باستكفى بالشيخ ابى محمد فى افريقية وعول على غنائه
فيها وضبطه لاحوالها وقيامه بملكها فابقاه على عملها وسرب اليه الاموال
لنفقاتها واعطياتها ولم يزل بها الى ان هلك سنة ثمان عشرة

الخبر عن مهلك الشيخ ابى محمد بن الشيخ ابى حفص وولاية ابنه عبد الرحمن

كانت وفاة الشيخ ابى محمد فاتح سنة ثمان عشرة ولما هلك ارتاع الناس لمهلكه وافترق الموحدون فى الشورى فريقين بين عبد الرحمن بن الشيخ ابى محمد وابرهيم ابن عمه اسمعيل ابن الشيخ ابى حفص فترددوا مليا ثم اتفقوا على الامير ابى زيد عبد الرحمن ابنه واعطوه صفقة ايمانهم واقعدوه بمجلس ابيه فى الامارة فسكن الثائر وشمر للقيام بالامر عزائمه وافاض العطا واجاز الشعراء واستكتب ابا عبد الله بن ابى الحسين وخاطب المستنصر بالشان وخرج فى عساكره لتمهيد النواحى وحماية الجوانب الى ان وصل كتاب المستنصر بعزله لثلاثة اشهر من ولايته حسبما نذكره فارتحل الى المغرب ومعه اخوانه وكاتبه ابن ابى الحسين ولحق بالحضرة

الخبر عن ولاية السيد ابي العُلا على افريقية وابنه ابى زيد من بعده واخبارهم فيها واعتراضهم فى الدولة الحفصية

لما بلغ الخبر الى مراكش بمهلك ابى محمد بن ابى حفص وقارن ذلك عزلة السيد ابى العلا من اشبيلية ووصوله الى الحضرة مسخوطا وهو ابو العلا ادريس بن يوسف بن عبد المومن اخو يعقوب المنصور وعبد الواحد المخلوع المبايع له بعد ذلك وعول على الوزير ابن المثنى فى جبر حاله فسعى له عند الخليفة وعقد له على افريقية ووصل الخطاب بولايته ونيابة

ابرهيم بن اسمعيل بن الشيخ ابى حفص عنه خلال ما يصل واستقدام ابناء الشيخ ابى محمد الى الحضرة وقرى الكتاب شهر ربيع الاول من سنة ثمانى عشرة فقام الشيخ بالنيابة فى امره واستعمل احمد المشطب فى وزارته وغلب عليه بطانته واساء فى الموالاة لقرابته واختص ابناء الشيخ ابى محمد بقبيحة وظن امتداد الدولة له ووصل السيد ابو العلا شهر ذى القعدة من السنة فنزل بالقصبة وانزل ابنه السيد ابا زيد بقصر ابن فاخر من البلد ورتّب الامور ونهج السنن ولشهر من وصوله تقبض على محمد بن نخيل كاتب الشيخ ابى محمد وعلى اخويه ابى بكر ويحيى واستصفى اموالهم واحتاز عقارهم وضياعهم وكان المستنصر عهد اليه بذلك لما كان اسفه بفلتات من القول والكتاب تنمى اليه ايام رياسته فى خدمة ابى محمد فاعتقلهم السيد ابو العلا ثم قتله واخاه يحيى لشهر من اعتقالهما بعد ان فر من سجنه وتقبض فقتل ونقل ابو بكر الى مطبق المهدية فاردع به وخرج السيد ابو العلا من تونس سنة تسع عشرة فى عساكر الموحدين الى نواحى قابس لقطع اسباب ابن غانية منها فنزل قصر العروسيين وسرح ولده السيد ابا زيد فى عسكر من الموحدين الى درج وغدامس من بلاد الصحراء لتمهيدها وجبايتها وقدم بين يده عسكرا اخر لمنازلة ابن غانية بودان وواعدهم هناك منصرفه من غدامس فارجف بهم العرب فى طريقهم بمداخلة ابن غانية ومال بذله فى ذلك فانفض العسكر وزحفوا الى قابس واهمل السيد ابو زيد فى غدامس اليهم فلقيه خبر مفرهم فلحق بابيه واخبره بالجلى فى امرهم فسخط قائد العسكر وهم بقتله وطرق السيد ابا العلا المرض فرجع الى تونس وبلغه ان ابن غانية نهض من ودان الى الزاب وان اهل بسكرة اطاعوه فسرح السيد ابا زيد فى عساكر الموحدين اليه ودخل ابن غانية الرمل فانهزم ورجع السيد ابو زيد الى بسكرة فانزل بهم عقابه من النهب

والتخريب ورجع الى تونس ثم بلغه ان ابن غانية قد رجع الى جوانب افريقية واجتمع اليه اخلاط من العرب والبربر فسرح السيد ابا زيد اليه فى العساكر ونزل بالقيروان وخالفه ابن غانية الى تونس فقصده السيد ابو زيد ومعه العرب وهوارة بظعائنهم ومواشيهم وتزاحفوا بمجدول فاتح احدى وعشرين واشتد القتال وعضت الموحدون الحرب وابلى هوارة وشيخهم بعرة ابن حناش بلاء جميلا وضرب ابنيته وتناغوا فى الثبات والصبر فانهزم الملثمون وانجلت المعركة عن حصيد من القتلى من اصحاب ابن غانية واستولى الموحدون على معسكرهم وكان بلغ السيد ابا زيد خبر مهلك ابيه السيد ابى العلا بتونس فى شعبان سنة عشرين فلما فرغ من مواقعة ابن غانية رجع الى تونس واقصر عن متابعته وخاطب المستنصر بمهلك ابيه وواقعة الملثمين وكان المستنصر قد عزله واستبدل منه بابى يحيى بن ابى عمران التينملى صاحب ميورقة ولم يصل اليه الخبر بعزلته بعد وهلك الملك المستنصر اثر ذلك سنة عشرين وولى عبد الواحد المخلوع ابن يوسف بن عبد المومن فنقض تلك العقدة وكتب الى السيد ابى زيد بالابقاء على عمله ونقض ما اصدر المستنصر من عزلته فارسل عنانه فى الولاية وبسط يده فى الناس بمكروهه وتنكرت له الوجوه وانحرف عنه الناس بما كانوا عليه من الصاغية لابى محمد بن ابى حفص وولده الى ان عزل واستبدل بهم كما نذكره وركب البحر بذخائره واهله فلحق بالحضرة

الخبر عن ولاية ابى محمد عبد الله بن ابى محمد بن الشيخ ابى حفص وما كان فيها من الاحداث

لما هلك المخلوع وولى العادل ولى على افريقية ابا محمد عبد الله بن ابى محمد

عبد الواحد وولى على بجاية يحيى بن الاطّاس التينملى وعزل عنها ابن يغمور وكتب الى السيد ابى زيد بالقدوم وكتب ابو محمد عبد الله الى ابن عمه موسى بن ابرهيم بن الشيخ ابى حفص بالنيابة عنه خلال ما يصل فخرج السيد ابو زيد فى ربيع الاخر سنة ثلاث وعشرين واستقل ابو عمران موسى بامر افريقية واستمرت نيابته عليها زهاء ثمانية اشهر وخرج ابو محمد عبد الله من مراكش الى افريقية ولما انتهى الى بجاية قدم بين يديه اخاه الامير ابا زكرياء ليعترضه طبقات الناس للقائه فوصل الى تونس فى شعبان من هذه السنة بعد ان اوقع فى طريقه بولهاصة وكان اولاد شداد روساؤهم قد جمعوا لاعتراضه بناحية بونة فسرح اخاه الامير ابا زكرياء لحسم دائهم ولخروج الطبقات من اهل الحضرة للقائه فكان كذلك وخرج فى رمضان من سنته وخرج معه الناس على طبقاتهم فلقوه بسطيف ووصل الى الحضرة فى ذى القعدة من اخر السنة وتزحزح ابو عمران عن النيابة ثم لحقه من المغرب اخوه ابو ابرهيم فى صفر سنة اربع وعشرين فعقد له على بلاد قسطيلية وعقد لاخيه الامير ابى زكرياء على قابس وما اليها وذلك فى جمادى من هذه السنة وبعد استقراره بتونس بلغه ان ابن غانية دخل بجاية عنوة ثم تخطا كذلك الى تدلس وانه عاث فى تلك الجهات فرحل من تونس وعقد لاخويه كما ذكرناه واغذ السير الى نحص ابة فصبح به هوارة وقد كان بلغه عنهم السعى فى الفساد فاطلق فيهم ايدى عسكره واعتقل مشايخهم وانفذهم الى المهدية ثم مر فى اتباع ابن غانية فانتهى الى بجاية وسكن احوالها ثم الى متيجة ومليانة فادركه الخبر ان ابن غانية قصد سجلماسة فانكفا راجعا الى تونس ودخلها فى رمضان سنة اربع وعشرين ولم يزل مستبدا بامارته الى ان ثار عليه اخوه الامير ابو زكرياء وغلبه على الامر كما نذكر

الخبر عن ولاية الامير ابى زكرياء ممهد الدولة لال ابى حفص بافريقية ورافع الراية لهم بالملك واولية ذلك وبدايته

لما قتل العادل بمراكش سنة اربع وعشرين وبويع المامون بالاندلس بعث الى ابى محمد عبد الله بتونس لياخذ له البيعة على من بها من الموحدين وكان المامون قد فتح امره بالخلاف ودعا لنفسه قبل موت اخيه العادل بايام فامتنع ابو محمد ورد رسله اليه فكتب بذلك لاخيه الامير ابى زكرياء وهو بمكانه من ولاية قابس وعقد له على افريقية فاخذ له البيعة على من اليه وداخله فى شانها ابن مكى كبير المشيخة بقابس واتصل ذلك بابى محمد فخرج من تونس اليهم ولما انتهى الى القيروان نكر عليه الموحدون نهوضه الى حرب اخيه وانتقضوا عليه وعزلوه وطير بالخبر الى اخيه فى وفد منهم فالفوه محملا فى الحاق برحاب بن محمد واعراب طرابلس فبايعوه ووصلوا به الى معسكرهم وخلع ابو محمد نفسه ثم ارتحل الامير ابو زكرياء الى تونس فدخلها فى رجب من سنة خمس وعشرين وانزل اخاه ابا محمد بقصر ابن فاخر وتقبض على كاتبه ابى عمرو طرا من الاندلس واستكتبه ابو محمد فغلب على هواه وكان يغريه باخيه فبسط الامير ابو زكرياء عليه العذاب الى ان هلك ثم بعث اخاه ابا محمد فى البحر الى المغرب فاستبد بملكه واستوزر ميمون بن موسى الهنتاتى واستقامت اموره

الخبر عن استبداد الامير ابى زكرياء بالامر لبنى عبد المومن

لما اتصل به ما اتاه المامون من قتل الموحدين بمراكش وخصوصا هنتاتة

وتينملل وكان منهم اخواه ابو محمد عبد الله المخلوع وابراهيم وانه اشاع النكير على المهدى فى العصمة وفى وضع العقائد والنداء للصلوات باللسان البربرى واحداث النداء للصبح وتربيع شكل الدرهم وغير ذلك من سننه وانه غمر رسوم الدعوة وبدل اصول الدولة واسقط اسم الامام من الخطبة والسكة واعلن بلعنه ووافق بلوغ الخبر بذلك وصول بعض العمال الى تونس بتولية المامون فصرفهم واعلن بخلعه سنة ست وعشرين وحول الدعوة الى يحيى ابن اخيه الناصر المنتزى عليه بجبال الهساكرة ثم اتصل به بعد ذلك عجز يحيى واستقلاله فاغفله واقتصر على ذكر الامام المهدى وتلقب بالامير ورسم علامته به فى صدور مكتوباته ثم جدد البيعة لنفسه سنة اربع وثلاثين وثبت ذكره فى الخطبة بعد ذكر الامام مقتصرا على لفظ الامير لم يجاوزه الى امير المومنين وخاض اولياء دولته فى ذلك حتى رفع اليه بعض شعرائه فى مفتتح كلمة مدحه بها

الا صل بالامير المومينا ۞ فانت بها احق العالمينا

فزجرهم عن ذلك وابى عنه ولم يزل على ذلك الى اخر دولته

الخبر عن فتح بجاية وقسنطينة

لما استقل الامير ابو زكرياء بالامر بتونس وخلع بنى عبد المومن نهض الى قسنطينة سنة ست وعشرين فنزل بساحتها وحاصرها اياما ثم داخله ابن علناس فى شانها وامكنه من غرتها فدخلها وتقبض على واليها السيد [بياض] ابن السيد ابى عبد الله الخرضانى (١) بن يوسف العشرى وولى عليها

(١) Le ms. B porte الخرصانى

ابن النعمان ورحل الى بجاية فافتتحها وتقبض على واليها السيد ابى عمران ابن السيد ابى عبد الله الحرضانى وصيرهما معتقلين فى البحر الى المهدية واجريت عليهما هنالك الارزاق وبعث باهلهما وولدهما مع ابن اوماز (١) الى الاندلس فنزلوا باشبيلية وبعث معهما الى المهدية فى الاعتقال محمد بن جامع وابنه وابن اخيه جابر بن عون بن جامع من شيوخ مرداس عوف وابن ابى الشيخ بن عساكر من شيوخ الدواودة فاعتقلوا بمطبق المهدية وكان اخوه ابو عبد الله اللحيانى صاحب اشغال بجاية فصار فى جملته وولاه بعدها الولايات الجليلة وكان يستخلفه بتونس فى مغيبه وفى هذه السنة تقبض على وزيره ميمون بن موسى واستصفى امواله واشخصه الى قابس فاعتقل بها مدة ثم غربه الى الاسكندرية واستوزر مكانه ابا يحيى بن ابى العلا بن جامع الى ان هلك فاستوزر بعده ابا زيد ابن اخيه الاخر محمد الى ان هلك

الخبر عن مهلك ابن غانية وحركة السلطان الى بجاية وولاية ابنه الامير ابى يحيى زكرياء عليها

لما استقل الامير ابو زكرياء بافريقية وخلع طاعة بنى عبد المومن صرف عزمه اولا الى مدافعة يحيى بن غانية عن نواحى اعماله فكانت له فى ذلك مقامات مذكورة وشرده عن جهات طرابلس والزاب وواركلا واختط بوركلا المسجد لما نزلها فى اتباعه وانزل بالاطراف عساكره وعماله لمنعها دونه ولم يزل ابن غانية واتباعه من العرب من افاريق سليم وهلال وغيرهم على حالهم

(١) Le ms. B porte اومازير

من التشريد والجلا الى ان هلك سنة احدى وثلاثين وسمااية وانقطع عقبه فانقطع ذكره ومحا الله اثار فتنته من الارض واستقام امر الدولة ونبضت منها عروق الاستيلاء واتساع نطاق الملك ونهضت عزائمه الى تدويخ ارض المغرب فخرج من تونس سنة ثنتين وثلاثين يوم بلاد زناتة بالمغرب الاوسط واغذ السير الى بجاية فتلوم بها ثم ارتحل الى الجزائر فافتتحها وولى عليها ثم نهض منها الى بلاد مغراوة فاطاعه بنو منديل بن عبد الرحمن وجاهر بنو توجين بخلافه فنزل البطحاء واوقع بهم وتقبض على رئيسهم عبد القوى بن العباس فاعتقله وبعث به الى تونس ودوخ المغرب الاوسط وقفل راجعا الى حضرته وعقد مرجعه من المغرب لابنه الامير ابى يحيى زكرياء على بجاية وانزله بها واستوزر له يحيى بن صالح بن ابراهيم الهنتاتى وجعل شواره لعبد الله بن ابى تهدى وجبايته لعبد الحق بن ياسين وكلهم من هنتاتة وكتب اليه بوصيته مشتملة على جوامع الخلال فى الدين والملك والسياسة يجب اثباتها لشرف معزاها وغرابة معناها ونصها

الخبر عن سطوة السلطان بهوارة

كان لهوارة هولاء بافريقية ظهور وعدد منذ عهد الفتح وكانت دولة العبيديين قد جرت عليهم بكلكلها لما كان منهم فى فتنة ابى يزيد كما نذكره فى اخبارهم وبقى منهم فل بجبل اوراس وما بعده من بلاد افريقية وبسائطها الى ابة ومرماجنة وسبيبة وتبرسق ولما انقرض ملك صنهاجة بالموحدين وتغلب الاعراب من هلال وسليم على سائر النواحى بافريقية وكثروا

ساكنها وتغلبوا عليهم اخذ هذا الفل بمذهب العرب وشعارهم وشارتهم فى اللبوس والزى والظعون وسائر العوائد وهجروا لغتهم العجمية الى لغتهم ثم نسوها كان لم تكن لهم شان المغلوب فى الاقتداء بغالبه ثم كان لهم انحياش اول الدولة الى الطاعة بغلب عبد المومن وقومه فلما استبد الامير ابو زكرياء وانقلبت الدولة الى بنى ابى حفص ظهر منهم التيات فى الطاعة وامتناع عن المغرم واضرار بالسابلة فاعمل السلطان فى امرهم وخرج من تونس سنة ست وثلاثين موريا بالغزو الى اهل اوراس وبعث فى احتشادهم فتوافدوا فى معسكره ثم صبحهم فى عسكره من الموحدين والعرب ففتك بهم قتلا وسبيا واكتسح اموالهم وقتل كبيرهم ابو الطيب بعرة بن حناش وافلت من افلت منهم ناجيا بنفسه عاريا من كسبه فالانت هذه البطشة من حدهم وخضدت من شوكتهم واستقاموا على الطاعة بعد

الخبر عن ثورة الهرغى بطرابلس ومآل امره

كان هذا الرجل من مشيخة الموحدين وهو يعقوب بن يوسف بن محمد الهرغى ويكنى بابى عبد الرحمن وكان الامير ابو زكرياء قد عقد له على طرابلس وجهاتها وسرح معه عسكرا من الموحدين لحمايتها من اعراب دباب من بنى سليم فقام بامرها واضطلع بجباية رعاياها واستخدم العرب والبربر الذين بضاحتها وكان بينه وبين الجواهرى مصدوقة ود فلما قتل الجواهرى سنة تسع وثلاثين كما قدمناه استوحش لها يعقوب الهرغى واستقدمه السلطان فتلكا وبعث عنه اخاه ابن ابى يعقوب فازداد نفاره وحدثته نفسه بالاستبداد لما كان اثرى من الجباية وشعر لها اهل البلد فانطلقوا وهم

يخافون ان يعاجلوه قبل مداخلته العرب فى امره فتقبضوا عليه وعلى اخيه وعلى اتباعهما ليلة اجمعوا الثورة فى صاحبها وطيروا بالخبر الى الحضرة فنفذ الامر بقتلهم فقتلوا وبعث برءوسهم الى باب السلطان ونصبت اشلاؤهم باسوار طرابلس واصبحوا عبرة للمعتبرين وانشد الشعراء فى التهنية بهم وقامت للبشائر سوق لكائنتهم وكان ممن قتل معه محمد ابن قاضى القضاة بمراكش ابى عمران بن عمران وصل علقا (1) الى تونس وقصد طرابلس فاتصل بهذا الهرغى ونمى عنه انه انشا خطبة ليوم البيعة فكانت سائقة حتفه وكان بالمهدية رجل من الدعاة يعرف بابى حمراء (2) اشتهر بالنجدة فى غزو البحر وقدم على الاسطول فردد الغزو حتى هابه الغزى من امم الكفر وامنت سواحل المسلمين من طروقهم وطار له فيها ذكر ونمى انه كان مداخلا للجواهرى والهرغى وان القاضى بالمهدية ابا زكرياء البرقى المطلع على دسيستهم فى ذلك فنفذ الامر السلطانى للوالى بها ابى على بن ابى موسى بن ابى حفص بقتل ابن ابى الاحمر واشخاص القاضى الى الحضرة معتقلا فامضى عهده ولما وصل البرقى الى تونس فحص السلطان عن شانه فبرئ من مداخلتهم فسرحه واعاده الى بلده وقتل بالحضرة رجل اخر من الجند اتهم بمداخلتهم وسعايته فى قيامهم وكان له تعلق برحاب بن محمود امير دباب فاوعز السلطان الى بعض الدغار من زناتة فقتله غيلة ثم اهدر دمه وتتبع اهل هذه الخائنة بالقتل حتى حسم الداء ومحا شوائب الفتنة

(1) Dans les mss. ce nom est écrit sans points diacritiques. — (2) Quelques lignes plus bas, cette même personne est nommée ابن ابى الاحمر

الخبر عن بيعة بلنسية ومرسية واهل شرق الاندلس ووفدهم

لما استقل ابو جميل زيان بن ابى الحملات مدافع بن ابى الحجاج بن سعد بن مردنيش بملك بلنسية وغلب عليها السيد ابا زيد بن السيد ابى حفص وذلك عند خمود ريح بنى عبد المومن بالاندلس وخروج ابن هود على المامون ثم فتنته هو مع ابن هود وثورة ابن الاحمر بارجونة واضطراب الاندلس بالفتنة واسف الطاغية الى ثغور الاندلس من كل جانب وزحف ملك ارغون الى بلنسية فحاصرها وكانت للعدو سنة ثلاث وثلاثين سبع محلات لحصار المسلمين اثنتان منها على بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومحلة بجيان ومحلة بطبيرة ومحلة بمرسية ومحلة بلبلة واهل جنوة من وراء ذلك على سبتة ثم تملك طاغية قشتالة مدينة قرطبة وظفر طاغية ارغون بالكثير من حصون بلنسية والجزيرة وبنى حصن انيشة لحصار بلنسية وانزل بها عسكره وانصرف فاعتزم زيان بن مردنيش على غزو من بقى بها من عسكره واستنفر اهل شاطبة وشقر وزحف اليهم فانكشف المسلمون واصيب اكثر منهم واستشهد ابو الربيع بن سالم شيخ المحدثين بالاندلس وكان يوما عظيما وعنوانا على اخذ بلنسية ظاهرا ثم ترددت عليها سرايا العدو ثم زحف اليها طاغية ارغون فى رمضان سنة خمس وثلاثين فحاصرها واستبلغ فى نكايتها وكان بنو عبد المومن بمراكش قد فشل ريحهم وظهر امر بنى ابى حفص بافريقية فامل ابن مردنيش واهل شرق الاندلس الامير ابا زكرياء للكرة وبعثوا اليه بيعتهم واوفد عليه ابن مردنيش كاتبه الفقيه ابا عبد الله ابن الابار صريخا فوفد وادى بيعتهم فى يوم مشهود بالحضرة وانشد فى ذلك المحفل قصيدته على روى السين يستصرخه فيها للمسلمين وهى هذه

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها فطال ما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة اضحى اهلها جزرا للنائبات وامسى جدها تعسا
فى كل شارقة المام بائقة يعود ماتمها عند العدى عرسا
وكل غاربة اجحاف نائبة تثنى الامان حذارا والسرور اسا
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم الا عقائلها المحجوبة الانسا
وفى بلنسية منها وقرطبة ما يذهب النفس اوما ينزف النفسا
مدائن حلها الاشراك مبتسما جذلانَ وارتحل الايمان منبئسا
وصيرتها العوادى عائثات بها يستوحش الطرف منها ضعف ما انسا
ما للمساجد عادت للعدى بيعا وللنداء يرى اثناءها جرسا
لهفا عليها الى استرجاع فائتها مدارسا للمثانى اصبحت دُرسا
واربُعا غنمت ايدى الربيع بها ما شئتَ من خلع موشية وكسا
كانت حدائق للاحداق مونقة فصوّح النضر من ادواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب يستوقف الركب اويستركب الجلسا
سرعان ما عاث جيش الكفر وَاْحربا عيث الدبا فى مغانيها التى كبسا
وابتزّ بزتها مما تحيّفها تحيّف الاسد الضارى لما افترسا
فاين عيش جنيناه بها خضرا واين غصن جنيناه بها سلسا
محا محاسنها طاغٍ اتيح لها ما نام عن هضمها حينا وما نعسا
ورجّ ارجاءها لما احاط بها فغادر الشمّ من اعلامها خنسا
خلا له الجوّ وامتدت يداه الى ادراك ما لم تنل رجلاه مختلسا
واكثر الزعم بالتثليث منفردا ولو راى راية التوحيد ما نبسا
صل حبلها ايها المولى الرحيم فما ابقى المراس لها حبلا ولا مرسا

وأَحْىِ ما طمست منها العداة كما ... احييت من دعوة المهدى ما طمسا
ايام صرت لنصر الحق مستبقا ... وبتّ من نور ذاك الهدى مقتبسا
وقمت فيها لامر الله منتصرا ... كالصارم اهتزّ اوكالعارض انبجسا
تمحو الذى كتب التجسيم من ظلم ... والصبح ماحية انوارُه الغلسا
هاذى رسائلها تدعوك من كثب ... وانت افضل مرجوّ لمن يئسا
وافتك جارية بالنجح راجية ... منك الامير الرضى والسيّد الندسا
خاضت خُضارةَ يعلوها ويخفضها ... عبابه فتعانى اللين والشرسا
وربما سمحت والريح عاتية ... كما طلبت باقصى شده الفرسا
تؤمّ يحيى بن عبد الواحد بن ابى ... حفص مقبّلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الاملاك طاعته ... دينا ودنيا فغشّاها الرضى لبسا
من كل غاد على يمناه مستلما ... وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مؤيّد لو رمى نجما لاثبته ... ولو دعى افقا لبىّ وما احتبسا
امارة تحمل المقدار رايتها ... ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدى النهار بها من ضوئه شنبا ... ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
كانه البدر والعلياء هالته ... تحف من حوله شهب القنا حرسا
له الثرى والثرياء خطتان فلا ... اعز من خطتيه ما سما ورسا
يايها الملك المنصور انت لها ... علياء توسع اعداء الهدى تعسا
وقد تواترت الانباء انك من ... يحيى بقتل ملوك الصفر اندلسا
طهّرْ بلادك منهم انهم نجس ... ولا طهارة ما لم تغسل النجسا
واوطئُ الفيلق الجرّار ارضهم ... حتى يطاطئ راسٌ كل من راسا
وانصر عبيدا باقصى شرقها شرقت ... عيونهم ادمعا تهمى زكا وخسا
هم شيعة الامر وهى الدار قد نهكت ... داء متى لم تباشر حسمه انتكسا

املا (1) هنيئًا لك التمكين ساحتها　　جردا سلاهب اوخطية دعسا
واضرب لها موعدا بالفتح ترقبه　　لعل يوم الاعادى قد اتى وعسا

فاجاب الامير ابو زكرياء داعيتهم وبعث اليهم اسطوله مشحونا بمدد الطعام والاسلحة والمال مع ابى يحيى بن يحيى بن الشهيد ابى اسحاق بن ابى حفص وكانت قيمة ذلك ماية الف دينار وجاءهم الاسطول بالمدد وهم فى هذا الحصار فنزل بمرسى دانية واستفرغ المدد بها ورجع بالناض اذ لم يخلص اليه من قبل ابن مردنيش من يتسلمه واشتد الحصار على اهل بلنسية وعدمت الاقوات وكثر الهلاك من الجوع فوقعت المراوضة على اسلام البلد فتسلمها جاقمة ملك ارغون فى صفر سنة ست وثلاثين وخرج عنها ابن مردنيش الى جزيرة شقر فاخذ البيعة على اهلها للامير ابى زكرياء ورجع ابن الابار الى تونس فنزل على السلطان وصار فى جملته والح العدو على حصار ابن مردنيش بجزيرة شقر وازعجه عنها الى دانية فدخلها فى رجب من سنته واخذ عليهم البيعة للامير ابى زكرياء ثم داخل اهل مرسية وقد كان بويع بها ابو بكر عزيز بن عبد الملك بن خطاب فى مفتتح السنة فافتتحها عليه فى رمضان من سنته وقتله وبعث ببيعتهم الى الامير ابى زكرياء وانتظمت البلاد الشرقية فى طاعته وانقلب وفد ابن مردنيش اليه من تونس بولايته على عمله سنة سبع وثلاثين ولم يزل بها الى ان غلبه ابن هود على مرسية وخرج عنها الى لقنت الحصون سنة ثمان وثلاثين الى ان اخذها طاغية برشلونة من يده سنة اربع واربعين واجاز الى تونس والبقاء لله

(1) Il faut probablement lire اهلا

الخبر عن الجوهرى واوليته ومآل امره

اسم هذا الرجل محمد بن محمد الجوهرى وكان مشتهرا بخدمة ابن اكمازير الهنتاتى والى سبتة وغمارة من اعمال المغرب وكان حسن الضبط متراميا الى الرياسة ولما ورد على تونس وتعلق باعمال السلطان نظر فيما يزلفه ويرفع من شانه فوجد جباية اهل الخيام بافريقية من البرابرة الموطنين مع الاعراب غير منضبطة ولا محصلة فى ديوان فنبه على انها ماكلة للعمال ونهبة للولاة فدفع اليها فانمى جبايتها وقرر ديوانها وصارت عملا منفردا يسمى عمل العمود وطار له بذلك بين العمال ذكر جذب له السلطان ابو زكرياء بضبعه وعول على نصيحته واثره باختصاصه ووافق ذلك موت ابى الربيع الكنفيتى المعروف بابن الغريغر صاحب الاشغال بالحضرة فاستعمل مكانه وكان لا يلى تلك الخطة الا كبير من مشيخة الموحدين فرشحه السلطان لها لكفايته وعنائه فظفر منها بحاجة نفسه واعتدها ذريعة الى امنيته فاتخذ شارة ارباب السيوف وارتبط الخيل واتخذ الالة فى حروبه مع اهل البادية اذا احتاج اليها واسف اثناء ذلك ابا على بن النعمان وابا عبيد الله بن ابى الحسن بعدم الخضوع لهما فنصبا له واغريا به السلطان وحذراه غائلة عصيانه وكان فيه اقدام اوجد به السبيل على نفسه ويحكى ان السلطان استشاره ذات يوم فى تقويم بعد اهل الخلاف والعصيان فقال له عندى ببابك الف من الجنود ارمى بها من تشاء من امثالهم فعرض عنه السلطان واعتدها عليه وجعلها مصداقا لما نمى عنه ولما قدم عنه عبد الحق بن يوسف بن ياسين على الاشغال ببجاية مع زكرياء ابن السلطان اظهر له الجوهرى ان ذلك بسعايته وعهد اليه بالوقوف عند امره والعمل بكتابه فالقى عبد الحق

ذلك الى الامير ابى زكرياء فقام لها وقعد واذف من استبداد الجوهرى عليه ولم تزل هذه وامثالها تعد عليه حتى حق عليه القول فسطا به الامير ابو زكرياء وتقبض عليه سنة تسع وثمانين ووكل امتحانه الى اعدائه ابن برعان (1) والندرومى فتجلد على العذاب واصبح فى بعض ايامه ميتا بمحبسه ويقال خنق نفسه والقى شلوه بقارعة الطريق فتفنن اهل الشمات فى العيث به والى الله المصير

الخبر عن فتح تلمسان ودخول بنى عبد الواد فى الدعوة الحفصية

كان الامير ابو زكريا منذ استقل بامر افريقية واقتطعها عن بنى عبد المومن كما ذكرناه متطاولا الى ملك الحضرة بمراكش والاستيلاء على كرسى الدعوة وكان يرى ان بمظاهرة زناتة له على شانه يتم له ما يسمو اليه من ذلك فكان يداخل امراء زناتة فيه ويرغبهم ويراسلهم بذلك على الاحيان من بنى مرين وبنى عبد الواد وتوجين ومغراوة وكان يغمراسن منذ تقلد طاعة ال عبد المومن اقام دعوتهم بعمله متحيزا اليهم سلما لوليهم وحربا على عدوهم وكان الرشيد منهم قد ضاعف له البر والخلوص وخطب منه مزيد الولاية والمصافاة وعاوده الاتحاف بانواع الالطاف والهدايا تغمنا (2) لمسراته وميلا اليه عن جانب اقتاله بنى مرين المجلبين على المغرب والدولة فاستكبر السلطان ابو زكرياء اتصال الرشيد هذا بيغمراسن واله وهم جواره بالمحل القريب وبينما هو على ذلك اذ وفد عليه عبد القوى امير بنى توجين

(1) Le ms. B porte نرمان et le ms A برتمار — (2) Le ms. D porte تضمنا

وبعض ولد منديل بن عبد الرحمن امراء مغراوة صريخا على يغمراسن فسهلوا له امره وسولوا له الاستبداد على تلمسان وجمع كلمة زناتة واعتداد ذلك ركابا لما يرومه من امتطاء ملك الموحدين بمراكش وانتظامه فى امره وسلما لارتقاء ما يسمو اليه من ملكه وبابا لولوج المغرب على اهله فحركه املاؤهم وهزه الى النعرة صريخهم واهاب بالموحدين وسائر الاولياء والعساكر الى الحركة على تلمسان واستنفر لذلك سائر البدو من الاعراب الذين فى طاعته من بنى سليم ورياح بظعنهم فاهطعوا لداعيه ونهض سنة تسع وثلاثين فى عساكر ضخمة وجيوش وافرة وسرح امام حركته عبد القوى بن العباس واولاد منديل بن محمد لحشد من باوطانهم من احياء زناتة وذوبان قبائلهم واحياء زغبة احلافهم من العرب وضرب معهم موعدا لموافاتهم فى تخوم بلادهم ولما نزل صحراء زاغز قبلة تيطرى منتهى مجالات رياح وبنى سليم من المغرب تثاقل العرب عن الرحلة بظعنهم فى ركاب السلطان وتلووا بالمعاذير فالطف الامير ابو زكرياء الحيلة زعموا فى استنهاضهم وتنبيه عزائمهم فارتحلوا معه حتى نازل تلمسان بجميع عساكر الموحدين وحشود زناتة وظعن العرب بعد ان كان قدم الى يغمراسن الرسل من مليانة بالاعذار والدعاء الى الطاعة فرجعهم بالخيبة ولما حلت عساكر الموحدين بساحة البلد وبرز يغمراسن وجموعه للقاء نضحتهم ناشبة السلطان بالنبل فانكشفوا ولاذوا بالجدارات وعجزوا عن حماية الاسوار فاستمكنت المقاتلة من الصعود ورأى يغمراسن ان قد احيط بالبلد فقصد باب العقبة من ابواب تلمسان ملتفا فى ذويه وخاصته واعترضه عساكر الموحدين فصمم نحوهم وجدل بعض ابطالهم فافرجوا له ولحق بالصحراء ونسلت الجيوش الى البلد من كل حدب فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان واكتساح الاموال ولما تجلى غشى تلك الهيعة وحسر تيار الصدمة وخمدت نار الحرب راجع الموحدون بصائرهم

وانعم الامير ابو زكرياء نظره فيمن يقلده امر تلمسان والمغرب الاوسط وينزله بثغرها لاقامة دعوته الدائلة من دعوة بنى عبد المومن والمدافعة عنها واستكبر ذلك اشرافهم وتدافعوه وتبرا امراء زناتة ضعفا عن مقاومة يغمراسن علما بانه الفحل الذى لا يقرع انفه ولا يطرق غيله ولا يصد عن فريسته وسرح يغمراسن الغارات فى نواحى المعسكر فاختطف الناس من حوله واطلعوا من المراقب عليه ثم بعث وفده متطارحين على السلطان فى الملامة والاتفاق واتصال اليد على صاحب مراكش طالب الوتر فى تلمسان وافريقية وان يفرده بالدعوة الموحدية فاجابه الى ذلك ووفدت امه سوط النساء للاشتراط والقبول فاكرم موصلها واسنى جائزتها واحسن وفادتها ومنقلبها وسوغ ليغمراسن فى شرطة بعض الاعمال بافريقية واطلق ايدى عماله على جبايته وارتحل الى حضرته لسبع عشرة ليلة من نزوله وفى اثناء طريقه وسوس اليه الموحدون باستبداد يغمراسن واشاروا باقامة منافسيه من زناتة وامراء المغرب الاوسط شجا فى صدره ومعترضا عن مرامه والباسهم ما لبس من شارة السلطان وزيه فاجابهم وقلد كل من عبد القوى بن عطية التوجينى والعباس بن منديل المغراوى ومنصور المليكشى امر قومه ووطنه وعهد اليهم بذلك واذن لهم فى اتخاذ الالة والمراسم السلطانية على سنن يغمراسن قريعهم فاتخذوه بحضرته وبمشهد من ملاء الموحدين واقاموا مراسمها ببابه واغذ السير الى تونس قرير العين بامتداد ملكه وبلوغ وطره والاشراف على اذعان المغرب لطاعته وانقياده لحكمه وادالة دعوة بنى عبد المومن فيه بدعوته فدخل الحضرة واقتعد اريكته وانشده الشعراء في الفتح واسنى جوائزهم وتطاولت اليه اعناق الافاق كما نذكره

الخبر عن دخول اهل الاندلس فى الدعوة الحفصية ووصول بيعة اشبيلية وكثير من امصارها

كان باشبيلية ابو مروان احمد الباجى من اعقاب ابى الوليد وابو عمرو بن الجد من اعقاب الحافظ ابى بكر الطائر الذكر وورثوا التجلة عن جده واجروهم الخلفاء على سننهم وكانا مسمتين وقورين متبوعين من اهل بلدهما مطاعين فى افقهما وكان السادة من بنى عبد المومن يعولون على شوراهما فى مصرهما وكان بعدوة الاندلس التيات فى الملك منذ وفاة المستنصر وانتزى بها السادة وافترقوا وثار بشرق الاندلس ابن هود وزيان بن مردنيش وبغربها ابن الاحمر وغلب ابن هود الموحدين واخرجهم عنها وملك ابن هود اشبيلية سنة ست وعشرين واعتقل من كان بها من الموحدين ثم انتقضوا عليه سنة تسع بعدها واخرجوا اخاه ابا النجاة سالما وبايعوا الباجى وتسمى بالمعتضد واستوزر ابا بكر بن صاحب الرد ودخلت فى بيعته قرمونة وحاصره ابن هود فوصل الباجى يده بمحمد بن الاحمر الثائر بارجونة وجيان بعد ان ملك قرطبة وزحف ابن هود اليهم فلقوه وهزموه ورجعوا ظاهرين فدخل الباجى الى اشبيلية وعسكر بخارجها ثم انتهز فرصته فى اشبيلية وبعث قريبه ابن اشقيلولة مع اهل ارجونة والنصارى الى فسطاط الباجى فتقبضوا عليه وعلى وزيره وقتلوهما سنة احدى وثلاثين ودخل ابن الاحمر اشبيلية ولشهر من دخوله اليها ثار عليه اهلها ورجعوا الى طاعة ابن هود وولى عليهم اخاه ابا النجاة سالما ولما هلك محمد بن هود سنة خمس وثلاثين صرف اهل اشبيلية طاعتهم الى الرشيد بمراكش وولوا على انفسهم محمد بن السيد ابى عمران الذى قدمنا انه كان واليا بقسنطينة وان الامير ابا

زكرياء غلبه عليها واعتقله وبعث ولده الى الاندلس فربى محمد هذا فى
كفالة امه باشبيلية ولما بايع اهل اشبيلية للرشيد قدموه على انفسهم
وتولى كبر ذلك ابو عمرو بن الجد وبعثوا وفدهم الى الحضرة فاقر السيد ابا عبد
الله على ولايتهم واستمرت فى دعوة الرشيد الى ان هلك سنة اربعين وقد ملك
الامير ابو زكرياء تلمسان واشرف على اعمال المغرب فاقتدوا بمن تقدم الى
بيعته من اهل شرق الاندلس ببلنسية ومرسية وبايعوا للامير ابى زكرياء بن
ابى محمد بن ابى حفص واقتدى بهم اهل شريش وطريف وبعثوا اليه وفدهم
ببيعته سنة احدى واربعين وسالوا منه ولاية بعض اهل قرابته فولى
عليهم ابا فارس ابن عمه يونس بن الشيخ ابى حفص فقدم اشبيلية وقام
بامرها وسلم له ابن الجد فى نقضها وابرامها ثم انتقض عليه سنة ثلاث
واربعين وطرده من البلد الى سبتة واستبد بامر اشبيلية ووصل يده
بالطاغية وعقد له السلم وضرب على ايدى اهل المغاورة من الجند واسقطهم
من ديوانه فقتلوه باملاء قائدهم شفاف (١) واستقل بامر اشبيلية ورجع ابا
فارس بن ابى حفص وولاه بدعوة الامير ابى زكرياء فسخطهم الطاغية لذلك
وانتقض عليهم وملك قرمونة ومرشانة ثم زحف الى حصرهم وسالوه الصلح
فامتنع وصار امر البلد شورى بين القائد شفاف وابن شعيب ويحيى بن
خلدون ومسعود بن خيار وابى بكر بن شريح ويرجعون فى امرهم اخرا الى الشيخ
ابى فارس بن ابى حفص واقاموا فى هذا الحصار سنتين ونازلهم ابن الاحمر فى
جملة الطاغية وبعث اليهم الامير ابو زكرياء المدد وجهز له الاسطول لنظر
ابى الربيع بن الغريغر التينمللى واوعز له الى سبتة بتجهيز اسطولهم معه
فوصل الى وادى اشبيلية وغلبهم اسطول الطاغية على مرسية فرجع واستولى
العدو عليها صلحا سنة ست واربعين بعد ان اعانهم ابن الاحمر بمدده

(١) Dans les mss. on trouve quelquefois ce nom écrit شقاف

وميرته وقدم الطاغية على اهل الدخن بها عبد الحق بن ابى محمد البياسى
من ال عبد المومن والامر لله

الخبر عن بيعة اهل سبتة وطنجة وقصر ابن عبد الكريم وتصاريف احوالهم ومآل امرهم

كان اهل سبتة بعد اقلاع المامون عنهم ونزول اخيه موسى عنها لابن هود
قد انتقضوا واخرجوا عنهم القشتيني (1) والى ابن هود وقدموا عليهم احمد
الينشتي وتسمى بالموفق ثم رجعوا الى طاعة الرشيد عند ما بايعه اهل اشبيلية
سنة خمس وثلاثين وتقبضوا على الينشتي وابنه وادخلوا السيد ابا العباس
ابن السيد ابى سعيد كان واليا بغمراة فولوه عليهم ثم عقد الرشيد على
ديوان سبتة لابى على بن خلاص كان من اهل بلنسية واتصل بخدمة
الرشيد فجلى فيها ودفعه الى الاعمال فضبطها فولاه سبتة فاستقل بها وولى
على طنجة يوسف ابن الامير قائدا على الرحل الاندلسى وضابطا لقصبتها
حتى اذا هلك الرشيد سنة اربعين وقد استفحل امر الامير ابى زكرياء
بافريقية واستولى على تلمسان وبايعه الكثير من امصار الاندلس فصرف
ابن خلاص وجهه اليه وكان قد اقتنى الاموال واصطنع الرجال فدخل فى
دعوته وبعث الوفد ببيعته واقتدى به فى ذلك اهل قصر ابن عبد الكريم
فبعثوا بيعتهم للامير ابى زكرياء وعقد لابن خلاص على سبتة وما اليها
فبعث بالهدية اليه فى اسطول انشاه لذلك سماه الميمون واركب ابنه ابا
القاسم فيه وافدا على السلطان ومعه الاديب ابراهيم بن سهل فعطب عند

(1) Le ms. D porte الفشتيني

اقلاعه ولما رجع الاسطول من اشبيلية كما قدمناه على تقية هذا العطف وحزن ابى على بن خلاص على ابنه رغب من قائده ابى الربيع بن الغريغر ان يحمله بجملته الى الحضرة فانتقل باهله واحتمل ذخيرته ولما مر الاسطول بمرسى وهران نزل بساحلها فاراح واحضر له تين فاكله فاصابه مغص فى معاه هلك منه فجاءة سنة ست واربعين وعقد السلطان على سبتة لابى يحيى بن زكرياء ابن عمه ابى يحيى الشهيد بن الشيخ ابى حفص وبعث معه على الجباية ابا عمر بن ابى خالد الاشبيلى كان صديقا لشفاف وعدوا لابن الجد ولما قتل شفاف لحق بالحضرة فولاه الامير ابو زكرياء اشغال سبتة واستمرت الحال الى ان كان من استبداد العزفى بسبتة ما نذكره

الخبر عن بيعة المرية

لما هلك محمد بن هود بالمرية سنة خمس وثلاثين كما ذكرناه واستبد وزيره ابو عبد الله محمد بن الرميمى بها وضبطها لنفسه وضايقه ابن الاحمر فبعث ببيعته سنة اربعين الى الامير ابى زكرياء حين اخذ اهل شرق الاندلس بطاعته ولم يزل ابن الاحمر يحاصره الى ان تغلب عليه سنة [ثلاث واربعين] كما ذكرناه فى اخباره وخرج منها الى سبتة باهله وذخيرته واحله ابو على بن خلاص محل البر والتكرمة وانزله خارج المدينة فى بساتين بنيونش واجمع الثورة بابى خلاص فنذر به وتغير له فلما رجع الاسطول من اشبيلية ركبه الرميمى ولحق بتونس فنزل على الامير ابى زكرياء وحل من حضرته محل التكرمة واستوطن تونس وتملك بها الضياع والقرى وشيد القصور الى ان هلك سنة [بياض] والبقاء لله وحده

الخبر عن بيعة ابن الاحمر

كان محمد بن الاحمر قد انتزى على ابن هود ببلده ارجونة وتملك جيان وقرطبة واشبيلية وغرب الاندلس وطالت فتنته مع ابن هود وراجع طاعته ثم انتقض عليه وبايع للرشيد سنة ست وثلاثين عند ما بايعه اهل اشبيلية وسبتة فلم يزل على ذلك الى ان هلك الرشيد على حين استفحال ملك الامير ابى زكرياء بافريقية وتاميله للنصرة والكرة فحول ابن الاحمر اليه الدعوة واوفد بها ابا بكر بن عياش من مشيخة مالقة فرجعهم الامير ابو زكرياء بالاموال للنفقات الجهادية ولم يزل يواصلها لهم من بعد ذلك الى ان هلك سنة سبع واربعين فاطلق ابن الاحمر نفسه من عقال الطاعة واستبد بسلطانه

الخبر عن بيعة سجلماسة وانتقاضها

كان عبد الله بن زكرياء الهزرجى من مشيخة الموحدين واليا بسجلماسة لبنى عبد المومن ولما هلك الرشيد وبويع اخوه السعيد سنة اربعين ونميت اليه عن الهزرجى عظيمة من القول خشن بها صدره وبعث اليه مستعتبا فلم يعتبه ومزق كتابه فخشيه الهزرجى على نفسه واتصل به ما كان من استيلاء الامير ابى زكرياء على تلمسان ونواحيها فخاطبه بطاعته واوفد عليه بيعته فعقد له الامير ابو زكرياء على سجلماسة وانحائها وفوض اليه فى امرها ووعده بالمدد من المال والعسكر لحمايتها وخطب له عبد الله بسجلماسة وفر اليه من مراكش ابو زيد الكدميوى ابن واكاك وابو سعيد

العود الرطب فلحق بتونس واقام ابو زيد معه بسجلماسة وزحف اليه السعيد سنة احدى واربعين وقيل سنة اربعين ومن معسكره كان مفر اولئك المشيخة وخاطب السعيد اهل سجلماسة وداخلهم ابو زيد الكدميوى فغدروا بالهزرجى وثاروا به فخرج من سجلماسة واسلمها وقام بامرها ابو زيد الكدميوى وطير بالخبر الى السعيد فشكر له فعلته وغفر له سالفته وتقبض على عبد الله الهزرجى بعض الاعراب وامكن منه السعيد فقتله وبعث براسه الى سجلماسة فنصب بها ورجع من طريقه الى مراكش واقامت سجلماسة على دعوة عبد المومن الى ان كان من خبرها ما نذكره في موضعه

الخبر عن بيعة مكناسه وما تقدمها من طاعة بنى مرين

كان بين بنى عبد الواد وبين بنى مرين منذ اوليتهم وتقلبهم فى القفار فتن وحروب ولكل منهما احلاف فى المناصرة واشياع فلما التاثت دولة بنى عبد المومن غلب كل منهما على موطنه وكانت السابقة فى ذلك لبنى عبد الواد لبعدهم عن حضرة مراكش حيث محشر العساكر ويعسوب القبائل ولما استبد الامير ابو زكرياء بامر افريقية ودوخ المغرب الاوسط وافتتح تلمسان واطاعه بنو عبد الواد حذر بنو مرين حينئذ غائلتهم وخافوا ان يظاهرهم الامير ابو زكرياء عليهم فالانوا له فى القول ولاطفوه على البعد بالطاعة وخاطبوه بالتمويل واوجبوا له حق الخلافة ووعدوه ان يكونوا انصارا لدعوته واعوانا فى امره ومقدمة فى عسكره الى مراكش وزحفه وحملوا من تحت ايديهم من قبائل المغرب وامصاره على طاعتهم والاعتصام ببيعتهم

ولم تزل المخاطبات بينهم وبين الامير ابى زكرياء فى ذلك من اميرهم عثمان بن عبد الحق واخيه محمد من بعده ورسلهم تفد عليه بذلك مرة بعد اخرى الى ان هلك الرشيد وقد استولى الامير ابو زكرياء على تلمسان ودخل فى دعوته قبائل زناتة بالمغرب الاوسط واستشرف اهل الامصار من العدوتين الى ايالته وكان اهل مكناسة قد اعتصموا بوصلة الامير ابى يحيى بن عبد الحق وجاءهم وال من مراكش واساء فيهم السيرة فتوثبوا به وقتلوه وبعثوا الى الامير ابى يحيى بن عبد الحق فحملهم على بيعة الامير ابى زكرياء فانفذوها من انشاء قاضيهم ابى المطرف بن عميرة سنة ثلاث واربعين وضمن ابو يحيى بن عبد الحق حمايتهم خلال ما ياتيهم امر السلطان من تونس ومدده وبلغ الخبر الى السعيد فارهف حده واعتزم على النهوض اليهم فخامهم الرعب وراجعوا طاعته واوفدوا صلحاءهم وعلماءهم فى الاقالة واغتفار الجريرة فتقبل ذلك الى ان كان من حركته بعد ذلك ومهلكه ما هو معروف

الخبر عن مهلك الامير ابى يحيى زكرياء ولى العهد بمكان امارته من بجاية وتصيير العهد الى اخيه محمد

كان الامير ابو زكرياء قد عقد لابنه ابى يحيى زكرياء على ثغر بجاية قاعدة ملك بنى حماد وجعل اليه النظر فى سائر اعمالها من الجزائر وقسنطينة وبونة والزاب سنة ثلاث وثلاثين كما ذكرناه فاستقل بذلك وكان بمكان من الترشيح للخلافة بنفسه وجلاله وانتظامه فى سلك اهل العلم والدين وايناس العدل فولاه الامير ابو زكرياء عهده سنة ثمان وثلاثين واحضر الملاء لذلك واشهدهم فى كتابه واوعز بذكره فى الخطبة على المنابر مع ذكره وكتب

اليه بالوصية التى تـداولها الناس من كلامه ونصها ۞ اعلم سددك الله وارشدك ۞ وهداك لما يرضيه واسعدك ۞ وجعلك محمود السيرة ۞ مامـون السريرة ۞ ان اول ما يجب على من استرعاه الله فى خلقه ۞ وجعله مسؤلا عن رعيته فى جل امرهم ودقه ۞ ان يقدّم رضى الله عز وجل فى كل امر يحاوله ۞ وان يكل امره وحوله وقوته لله ۞ ويكون عمله وسعيـه وذبه عن المسلمين ۞ وحربه وجهاده للمومنين ۞ بعد التوكل عليه ۞ والبراءة من الحول والقوة اليه ۞ ومتى نجاك امر مقلق ۞ اوورد عليك نبا مرهق ۞ فريض لبك ۞ وسكن جاشك ۞ وارع عواقب امر تاتيه ۞ وحاوله قبل ان ترد عليه وتغشيه ۞ ولا تقدم اقدام الجاهل ۞ ولا تحجم احجام الاخرق المتكاسل ۞ واعلم ان الامر اذا اضاق مجاله ۞ وقصر عن مقاومته رجاله ۞ فمفتاحـه الصبر والحزامة والاخذ مع عقلاء الجيش وروسائهم ۞ وذى التجارب من نبهائهم ۞ ثم الاقدام عليه ۞ والتوكل على الله فيما لديه ۞ والاحسان لكبيـر جيشك وصغيره الكثير على قدره ۞ والصغير على قدره ۞ ولا تلحق الحقير بالكبير فتجرى الحقير على نفسك وتغلطه فى نفسه وتفسد نية الكبير وتوثره (1) عليك فيكون احسانك اليه مفسدة فى كلا الوجهين ويضيع احسانك وتشتت نفوس من معك واتخذ كبيرهم ابا وصغيرهم ابنا وخفض لهم جناح الذل من الرحمة وشاورهم فى الامـر فاذا عزمـت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين واتخذ نفسك صغيرة ۞ وذاتك حقيرة ۞ وحقر امورك ولا تسمع اقوال الغـالطين ۞ المغلطين ۞ بانك اعظم الناس قـدرا ۞ واكثرهم بذلا واحسنهم سيرة واجملهم صبرا ۞ فذاك غرر وبهتان وزور واعلم ان من تواضع لله رفعه الله وعليك بتفقد احوال رعيتك والبحث عن عمالهم والسوال عن سير قضاتهم فيهم ولا تنم عن مصالحهم ولاتسامح احدا فيهم ومهما دعيت لكشف

(1) Le ms D porte تومرد

مظلمة فاكشفها عنهم ولا تراع فيهم كبيرا ولا صغيرا اذا عدل عن الحق ولا تراع فى فاجر ولا متصرف الا ولا ذمة ولا تقتصر على شخص واحد فى رفع مسائل الرعية والمتظلمين ولا تقف عند مراده فى احوالهم واتخذ لنفسك ثقاة صادقين مصدقين لهم فى جانب الله اوفر نصيب وفى رفع مسائل خلقه اليك اسرع مجيب وليكن سوالك لهم افذاذ فانك متى اقتصرت على شخص واحد فى نقله ونصحه حمله الهوى على الميل ودعته الحمية الى تجنب الحق وترك قول الصدق واذا رفع اليك احد مظلمة وانت على طريق فادعه اليك وسله حتى يوضح قصته لك وجاوبه جواب مشفق مصغ الى قوله مصيخ الى نازلته ونقله ففى اصاختك له وحنوك عليه اكبر تانيس وللسياسة والرياسة فى نفوس الخاصة والعامة والجمهور اعظم تاسيس واعلم ان دماء المسلمين واموالهم حرام على كل مومن بالله واليوم الاخر الا فى حق اوجبه الكتاب والسنة وعضدته اقاويل الشرعية والحجة او فى مفسد عايث فى طرقات المسلمين واموالهم جار على غيه فى فساد صلاحهم واحوالهم فليس الا السيف فان اثره عفاء ووقعه لداء الادمغة الفاسدة دواء ولا تقل عثرة حسود على النعم عاجز عن السعى فان اقالته تحمله على القول والقول يحمله على الفعل ووبال عمله عائد عليك فاحسم داءه قبل انتشاره وتدارك امره قبل اظهاره واجعل الموت نصب عينيك ولا تغتر بالدنيا وان كانت فى يديك لا تنقلب الى ربك الا بما قدمته من عمل صالح ومتجر فى مرضاته رابح واعلم ان الايثار اربح المكاسب وانجح المطالب والقناعة مال لا ينفد وقد قال بعض المفسرين فى قوله عز من قائل وتركنا عليه فى الاخرين انه النبا الحسن فى الدنيا على ما خلد فيها من الاعمال المشكورة والفعلات الصالحة المذكورة فليكفيك من دنياك ثوب تلبسه وفرس تذب به عن عباده وارجو بك متى جعلت وصيتى هذه نصب عينيك لم تعدم من ربك فتحا ييسره على

يديك وتاييدا ملازما لا يبرح عنك الا اليك بمن الله وحوله وطوله والله يجعلك ممن سمع فوعى ولبى داعى الرشد اذ دعى انه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ۞ تمت الوصية المباركة فعظم ترشيح الامير ابى يحيى لذلك وعلا فى الدولة كعبه وقوى عبد الكافة تاميله وهو بحالة من النظر فى العلم والجنوح للدين الى ان هلك سنة ست واربعين فاسى له السلطان واحتفل الشعراء فى رثائه وتابينه فكانوا يثيرون بذلك شجو السلطان ويبعثون حزنه وعقد العهد من بعده لاخيه الامير ابى عبد الله محمد بحضور الملاء وايداع الخاصة كتابهم بذلك فى السجل الى ان كان من خلافته ما نذكره بعد

الخبر عن مهلك السلطان ابى زكرياء وما كان عقبه من الاحداث

كان السلطان ابو زكرياء قد خرج من تونس الى جهة قسنطينة للاشراف على احوالها ووصل الى باغاية فعرض العساكر بها ووافته هنالك الدواودة وشيخهم موسى بن محمد وكان منه اضطراب فى الطاعة فاستقام واصاب السلطان هنالك المرض فرجع الى قسنطينة ثم ابل من مرضه ووصل منها الى بونة فراجعه المرض ولما نزل بظاهر بونة اشتد به مرضه وهلك لسبع بقين من جمادى الاخرة سنة سبع واربعين لثنتين وعشرين سنة من ولايته ودفن بجامع بونة ثم نقل شلوه بعد ذلك الى قسنطينة سنة ست وستين بين يدى حصار النصارى تونس وبويع اثر مهلكه ابنه ولى عهده ابو عبد الله محمد كما نذكره وطار خبر مهلكه فى الافاق فانتقض

كثير من اهل القاصية ونبذوا الدعوة الحفصية وعطل ابن الاحمر منابره
من الدعوة الحفصية وتمسك بها يغمراسن بن زيان صاحب المغرب الاوسط
فلم يزالوا عليها حينا من الدهر الى ان انقطعت فى حصار تلمسان كما
نذكره ولما بلغ الخبر بهلكه الى سبتة وكان بها ابو يحيى بن الشهيد
من قبل الامير ابى زكرياء كما نذكره وابو عمرو بن ابى خالد والقائد شفاف
فثارت العامة وقتل ابن ابى خالد وشفاف وطردوا ابن الشهيد فلحق
بتونس وتولى كبر هذه الثورة حجبون الرنداحى بمداخلة ابى القاسم العزفى
واتفق الملاء على ولاية العزفى وحولوا الدعوة للمرتضى وذلك سنة سبع
واربعين وتبعهم اهل طنجة فى الدعوة واستبد بها ابن الامير وهو يوسف بن
محمد بن عبد الله بن احمد الهمدانى كان واليا عليها من قبل ابى على
ابن خلاص فلما صار الامر للعزفى والقائد حجبون الرنداحى خالفهم هو الى
الدعوة الحفصية واستبد عليهم ثم خطب للعباسى واشرك نفسه معه فى
الدعاء الى ان قتله بنو مرين غدرا كما نذكره وانتقل بنوه الى تونس ومعهم
صهرهم القاضى ابو الغنم عبد الرحمن بن يعقوب من جالية شاطبة انتقل
هو وقومه الى طنجة ايام الجلاء فنزلوا بها واصهر اليهم بنو الامير وارتحلوا
معهم الى تونس وعرف دين القاضى ابى القاسم وفضله ومعرفته بالاحكام
والوثائق واستعمل فى خطة القضاء بالحضرة ايام السلطان وكان له فيها ذكر
ولما بلغ الخبر بمهلك الامير ابى زكرياء الى صقلية ايضا وكان المسلمون
بها فى مدينة بلرم قد عقد لهم السلطان مع صاحب الجزيرة على الاشراك
فى البلد والضاحية فتساكنوا حتى اذا بلغهم مهلك السلطان بادر النصارى
الى العيث فيهم فلجوا الى الحصون والاوعار ونصبوا عليهم ثائرا من بنى عبس
وحاصرهم طاغية صقلية بمعقلهم من الجبل واحاط بهم حتى استنزلهم واجازهم
البحر الى عدوته وانزلهم لوجاره من عمائرها ثم تعدى الى جزيرة مالطة

فاخرج المسلمين الذين كانوا بها والحقهم باخوانهم واستولى الطاغية على صقلية وجزائرها ومحا منها كلمة الاسلام بكلمة كفره والله غالب على امره

الخبر عن بيعة السلطان ابى عبد الله المستنصر وما كان فى ايامه من الحوادث

لما هلك الامير ابو زكرياء بظاهر بونة سنة سبع واربعين كما قدمناه اجتمع الناس على ابنه الامير ابى عبد الله واخذ له البيعة عمه محمد اللحيانى على الخاصة وسائر اهل المعسكر وارتحل الى تونس فدخل الحضرة ثالث رجب من السنة فجدد بيعته يوم وصوله وتلقب المستنصر بالله ثم جدد البيعة بعد حين واختار لوضع علامته الحمد لله والشكر لله وقام باعباء ملكه وتقبض على خاصة ابيه الخصى كافور كان قهرمان داره فاشخصه الى المهدية واوعز الى الجهات باخذ البيعة على اهل العمالات فتدارفت (1) من كل جانب واستوزر ابو عبد الله ابن ابى مهدى واستعمل على القضاء ابا زيد التوزرى وكان يعلم ولد عمه محمد اللحياني الثائر عليه كما نذكره

الخبر عن ثورة ابن عمه محمد اللحيانى ومقتله ومقتل ابيه

كان للامير ابى زكرياء من الاخوة اثنان محمد وكان امس منه ويعرف باللحيانى لطول لحيته والاخر ابو ابراهيم وكان بينهم من المخالصة والمصافاة ما لا يعبر عنه ولما هلك الامير ابو زكرياء وقام بالامر ابنه ابو عبد الله

(1) Il faut probablement lire فترادفت

المستنصر واستوزر محمد بن ابى مهدى الهنتاتى وكان عظيما فى قومه فامل ان يستبد عليه لمكان صغره اذ كان فى سن العشرين ونحوها واستصعب عليه حجر السلطان بما كان له من الموالى العلوجيين والصنائع من بيوت الاندلس فقد كان ابوه اصطنع منهم رجالا ورتب جندا كثروا الموحدين وزاحموهم فى مراكزهم من الدولة فدخل ابن ابى مهدى اخوى السلطان وبعث عندهما الاسف على ما فاتهما من الامر فلم يجد عندهما ما امل من ذلك فرجع الى ابن محمد اللحيانى فاجابه الى ذلك وبايعه ابن ابى مهدى سرا ووعده المظاهرة ونمى الخبر بذلك الى السلطان من عمه محمد اللحيانى وحذره من غائلة ابنه وابلغه ذلك ايضا القاضى ابو زيد التوزرى منتصحا وباكر ابن ابى مهدى مقعده للوزارة بباب السلطان لعشرين من جمادى سنة ثمان واربعين وتقبض على الوزير ابى زيد بن جامع وخرج ومشيخة الموحدين معه فبايعوا لابن محمد اللحيانى بداره واستركب السلطان اولياءه وعقد للقائد ظافر على حربهم فخرج فى الجند والاولياء ولقى الموحدين بالمصلى خارج البلد ففض جمعهم وقتل ابن ابى مهدى وابن وازكلدن وسار ظافر مولى السلطان الى دار اللحيانى عم السلطان فقتله وابنه صاحب البيعة وحمل رءوسهما الى السلطان وقتل فى طريقه اخاه ابا ابراهيم وابنه وانتهب منازل الموحدين وخربت ثم سكنت الهيعة وهدات الثائرة وعطف السلطان على الجند والاولياء واهل الاصطناع فادر ارزاقهم ووصل تفقدهم واعاد عبد الله بن ابى الحسين الى مكانه بعد ان كان هجر اول الدولة وتزحزح لابن ابى مهدى عن رتبته وتضاءل لاستطالته فرجع الى حاله واستقامت الامور على ذلك ثم سعى عند السلطان بمولاه الظافر وقبحوا عنده ما اتاه من الافتيات فى قتل عميه من غير جرم ونذر بذلك فخشى البادرة

ولحق بالدواودة وكان المتولى لكبر هذه السعاية هلال مولاه فقعد له مكانه واستغفر ظافر فى جوار العرب طريدا الى ان كان من امره ما كان

الخبر عن الاثار التى اظهرها السلطان فى ايامه

فمنها شروعه فى اختطاط المصانع الملوكية واولها المصيد بناحية بنزرت اتخذه للصيد سنة خمسين فادار سياجا على بسيط من الارض قد خرج نطاقه عن التحديد بحيث لا يراع فيه سرب الوحش فاذا ركب للصيد تخطا ذلك السياج الى قوره فى لمة من مواليه المختصين واصحاب بيزرته بما معهم من الجوارح بزاة وصقورا وكلابا سلوقية وفهودا فيرسلونها على الوحش فى تلك القوراء وقد وثقوا باعتراض البنا لها من امام فيقضى وطرا من ذلك القنيص سائر يومه فكان ذلك من الفخم ما عمل فى مثلها ثم وصل ما بين قصوره ورياض راس الطابُبة (1) بحائطين ممتدين يحوزان عرض العشرة اذرع اونحوها طريقا سالكا ما بينهما وعلى ارتفاع عشرة اذرع يحتجب به الحرم فى خروجهن الى تلك البساتين عن ارتفاع العيون عليهن فكان ذلك مصنعا فخما واثرا على ايام الدولة خالدا ثم بنا بعد ذلك الصرح العالى بفناء داره ويعرف بقبة اساراك واساراك باللسان المصمودى هو القوراء الفسيحة وهذا الصرح هو ايوان مرتفع السمك متباعد الاقطار متسع الارجاء يشرع منه الى الغرب وجانبيه ثلاثة ابواب لكل باب منها مصرعان من خشب مولف الصنعة ينوء كل مصراع منها فى فتحه وغلقه بالعصبة اولى القوة ويفضى بابها الاعظم المقابل لسمت الغرب

(1) Le ms. A porte الطابية

الى معارج قد نصبت للظهور عليها عريضة ما بين الجوف الى القبلة بعرض الايوان يناهز عددها الخمسين اونحوها وتفضى البابان عن جانبيه الى طريقين ينتهيان الى حايط القوراء ثم ينعطفان الى ساحة القوراء يجلس السلطان فيها على اريكته مقابل الداخل ايام العرض والفود (١) ومشاهد الاعياد فجاءت من افخم الاواوين واحفل المصانع التى تشهد بابهة الملك وجلالة الدولة واتخذ ايضا بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف بابى فهر يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات اغترس فيها من شجرة كل فاكهة من اصناف التين والزيتون والرمان والنخيل والاعناب وسائر الفواكه واصناف الشجر ونضد كل صنف منها فى دوحة حتى لقد اغترس من السدر والطلح والشجر البرى وسمى دوح هذه بالشعراء واتخذ وسطها البساتين والرياضات بالمصانع والحوائز (2) وشجر النور والنزه من الليم والنارنج والسرو والريحان وشجر الياسمين والخيرى والنيلوفر وامثاله وجعل وسط هذه الرياض روضا فسيح الساحة وصنع فيه للماء حائزا من عداد البحور جلب اليه الماء فى القناة القديمة كانت ما بين عيون زغوان وقرطجنة تسلك بطن الارض فى اماكن وتركب البناء العادى ذا الهياكل الماثلة والقسى القائمة على الارجل الضخمة فى اخرى فعطف هذه القناء من اقرب السموت الى هذا البستان وامطاها حائطا وصل ما بينهما حتى ينبعث من فوهة عظيمة الى جب عميق المهوى رصيف البناء متباعد الاقطار مربع القنا مجلل بالكلس الى ان يقمعه الماء فيرسله فى قناة اخرى قريبة الغاية فتنبعث فى الصهريج الى ان يفهق حوضه وتضطرب امواجه تترفه الحظايا عن السعى بشاطيه لبعد مداه فيركبن فى الجوارى المنشئات ثجة فيتبارى بهن تبارى الفتح ومثلت بطرفى هذا الصهريج قبتان متقابلتان كبرا وصغرا على

(1) Il faut peut-être lire القود — (2) Le ms. D porte الحدائق et le ms A et B الحواسر

اعمدة المرمر مشيدة جوانبها بالرخام المجد ورفعت سقفها من الخشب المقدر بالصنائع المحكمة والاشكال المنمقة الى ما اشتمل عليه هذه الرياض من المقاصير والاواوين والحوائز والقصور غرفا من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار وتانق فى مبانيه هذه واستبلغ وعدل عن مصانع سلفه ورياضهم الى متنزهاته من هذه فبلغ فيها الغاية فى الاحتفال وطار لها ذكر فى الافاق

الخبر عن فرار اخيه ابى اسحاق وبيعة رياح له وما قارن ذلك من الاحداث

كان الامير ابو اسحاق فى ايالة اخيه المستنصر وكان يعانى من خلقه وملكته عليه شدة وكان السلطان يخافه على امره وخرج سنة احدى وخمسين لبعض الوجوه السلطانية ففر الامير ابو اسحاق من معسكره ولحق بالدواودة من رياح فبايعوه برواية من نواحى نقاوس واجتمعوا على امره وبايع له ظافر مولى ابيه النازع اليهم واعتقد منه الذمة والرتبة وقصدوا بسكرة وحاصروها ونادى بشعار طاعتهم فضل بن على بن الحسن بن مزنى من مشيختها وائتمر به الملاء ليقتلوه ففر اليه وصار فى جملته ثم بايع له اهل بسكرة ودخلوا فى طاعته ثم ارتحلوا الى قابس فنازلوها واجتمعت عليه الاعراب من كل اوب واهم السلطان شانه وتقبض على ولده فحبسهم بالقصبة جميعا ووكل بهم من يحوطهم والطف ابن ابى الحسين الحيلة فى فساد ما بين الامير ابى اسحاق ومولاه ظافر بتحذير القاه الى اخته بالحضرة تنصحا فبعثت به الى اخيها فتنكر لظافر وفارقه وسار الى المغرب ثم لحق بالاندلس وافترق جموع الامير ابى اسحاق

فلحق بتلمسان واجاز منها الى الاندلس ونزل على السلطان محمد بن الاحمر فرعى له عهد ابيه واسنى له الجراية وشهد هنالك الوقائع وابلى فى الجهاد ولم يزل السلطان المستنصر يتاحف ابن الاحمر ويهاديه ويوفد عليه مشيخة الموحدين مصانعة فى شان اخيه واستجلاء لحاله الى ان هلك وكان من ولاية اخيه ابى اسحاق ما نذكر ولحين مهلكه اجاز ظافر من الاندلس الى بجاية واوفد ولده على الواثق مستعتبا وراغبا فى السبيل الى الحج وقلق المستولى على الدولة بمكانه وراسل شيخ الموحدين ابا هلال عياد (1) بن محمد الهنتاتى صاحب بجاية فى اغتياله عن قصده فذهب دمه هدرا وبقى ولده عند بنى توجين حتى جاءوا فى جملة السلطان ابى اسحاق وبيد الله تصاريف الامور

الخبر عن بنى النعمان ونكبتهم والخروج اثرها الى الزاب

كان بنو النعمان هولاء من مشيخة هنتاتة وروسائهم وكان لهم فى دولة الامير ابى زكرياء ظهور ومكان وخلصت ولاية قسنطينة لهم يستعملون عليها من قرابتهم واتصل لهم ذلك اول دولة المستنصر وكان كبيرهم ابو على وتلوه ميمون وعبد الواحد وكان لهم فى مداخلة اللحيانى اثر [فلما] استوسق للسلطان امره وتمهدت دولته نكبهم وتقبض عليهم سنة احدى وخمسين فاشخص ابا على الى الاسكندرية وقتل ميمون وانقرض امرهم وظهر اثر ذلك بالزاب خارج تسمى بابي حمارة فخرج السلطان من تونس وقصده بالزاب فاوقع به وبجموعه وتقبض عليه وسيق الى السلطان فقتله وبعث براسه لى تونس فنصب بها وقفل السلطان الى مقرة فنزل بها وسخط وجوها من سليم من مرداس

(1) Les mss. A et D portent عباد

ودباب كان فيهم رحاب بن محمود وابنه فاعتقلهم واشخصهم الى المهدية فاودعهم بمطبقها ورجع الى تونس ظافرا غانما

الخبر عن دعوة مكة ودخول اهلها فى الدعوة الحفصية

كان صاحب مكة ومتولى امرها من سادة الخلق وشرفائهم ولد فاطمة ثم من ولد ابنها الحسن صلوات الله عليهم اجمعين ابو نمى واخوه ادريس وكانوا قائمين بالدعوة العباسية منذ حولها اليهم بمصر والشام والحجاز صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردى وامر الموسم وولايته راجعة اليه والى بنيه ومواليه من بعده الى هذا العهد وجرت بينهم وبين الشريف صاحب مكة مغاضبة وافقها استيلاء الططر على بغداد ومحوهم رسم الخلافة بها وظهور الدعوة الحفصية بافريقية وتاميل اهل الافاق فيها وامتداد الايدى اليها بالطاعة وكان ابو محمد بن سبعين الصوفى نزيلا بمكة بعد ان رحل من بلده مرسية الى تونس وكان حافظا للعلوم الشرعية والعقلية وسالكا مرتاضا بزعمه على طريقة الصوفية ويتكلم بمذاهب غريبة منها ويقول برای الوحدة كما ذكرناه فى ذكر المتصوفة الغلات ويزعم بالتصوف فى الاكوان على الجملة فارهق فى عقده ورمى بالكفر اوالفسق فى كلماته واعلن بالنكير عليه والمطالبة له شيخ المتكلمين باشبيلية ثم بتونس ابو بكر بن خليل السكونى فتمر له المشيخة من اهل الفتيا وحملة السنة وسخطوا حالته وخشى ان تاسره البينات فلحق بالمشرق ونزل مكة وتذمم بجوار الحرم الامين ووصل يده بالشريف صاحبها فلما اجمع الشريف امره على البيعة للمستنصر صاحب افريقية داخله فى ذلك عبد الحق بن سبعين وحرضه عليه واملى رسالة بيعتهم وكتبها بخطه

تنويها بذكره عند السلطان والكافة وتاميلا للكرة ونصها بسم الله الرحمن
الرحيم صلى الله على الاسوة المختار سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما انا
فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك
ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذى انزل السكينة
فى قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السماوات والارض وكان
الله عليما حكيما هذا النوع من الفتح اعنى المبين هو من كل الجهات داخل
الذهن وخارجه وهو الذى خصت به مكة وهو اعظم فتح ندر فى ايام الدهر
والزمان الفرد منه خير من ايام الشهر وبه تتم النعمة ويستقيم صراط
الهداية وتحفظ النهاية وتغفر ذنوب البداية ويحصل النصر العزيز ونور
السكينة ويتمكن قواعد مكة والمدينة وكلمة الله عاملة فى الموجودات بحسب
قسمة الزمان ثم لا يقال انها متوقفة على شىء ولا فى مكان دون مكان
وهذا الفتح قد كان بالقصد الاول والقدر الاكمل للمتبوع الذى
افاد الكمال الثانى كالسبع المثانى فانه هو الاسوة صلى الله عليه وسلم
وكل نعمة تظهر على سعيد ترجع اليه مثل التى (١) ظهرت على خليقته
وعلى يديه وان كانت نصبة مولده صلى الله عليه وسلم ورسالته تقتضى
ختم الانبياء بهذا القرن الذى نحن فيه وامامنا فيه هو ختم الاولياء فمن
فتح عليه بفتح مكة تمت له النعمة ورفعت له الدرجة وضفت عليه الرحمة
ومن وصل سلطانه اليها فقد هدى الرشد والى صراطه ورجح ميزان
ترجيحه على اقرانه وارهاطه ومن حرم هذا فقد حرم ذلك والامر هكذا
وسنة الله كذلك وصلى الله على رسوله الذى اطلع المجد من مدينته بعد ما
اطلعه من بلده ورضى الله عن خليفته المنتخب من عنصر خليفة عمر
صاحب نبيه ثم من عمر صاحبه ووليه والحمد لله على نعمه بسم الله الرحمن

(1) Les mss. A et B portent الذى

الرحيم وصلى الله على سيد ولد ادم محمد حم والكتاب المبين انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم قد صح ان هذه الليلة فيها تنزل الايات وترتقب البينات وفيها تخصيص القضايا الممكنة واحكام الاكوان ويفرق الامر ويفسر (1) الملك الموكل بقبض الارواح بحمل (2) الاجال فى الازمان وفيها تقرر خطة الامامة والملك وتقيض الامانة بالهلك وهى فى القول الاظهر فى افضل الشهور وفى السابع والعشرين منه كما ورد فى الحديث المشهور ثم هى فى ام القرى وفى حرمها تقدر بقدر زائد ويعم فضلها الا للحائد عن الفائد وانما قلت هذا ورسمته ليعلم من وقف على الخطبة التى اقتضبتها والليلة التى فيها قراتها انها من افضل المطالب التى قصدت وان القرائن التى اجتمعت فيها ولها زادت على الفضائل التى لاجلها رصدت وايضا تاخر فيها مجد امام عن امام وبعد مجد امامه وراء امام هو وراء الامام ورحمت فيها نفس خليفة عبرت وتلقب وعظمت فيها ذات خليفة تحى التى سلفت فهذه نعمة بركة ينبغى ان يقرر حدها ويتحقق مجدها ولا يقدر قدرها فانها ليلة قدر ليلة قدرها والحمد لله حمد واصل بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على واحد الله فى عنايته سيدنا محمد طسم تلك ايات الكتاب المبين الى قوله منهم ما كانوا يحذرون الحق الشاهد لنفسه المتفق من جميع جهاته وفى سنة الله التى لا تحول ولا تبدل والمتعارف من عادته التى ربطها بحكمته التى تعدل ولا تعدل ان لكل هداية نبوية ضلالة فرعونية وكذا الحال فى الاولياء ومع كل مصيبة فرج ولا ينعكس الامر فى الاتقياء ولكل ظلم ظالم متجبر قهر قاهر متكبر وعند ظهور ظفر المبطل يظهر قصد المحق المفضل وفى عقب كل فترة

(1) Le ms. D porte ونفس — (2) On lit نحمل dans les mss. A et B.

او فيها كلمة قائم بحق يغلب لا يغلب وفي كل دور او قرن امامة تطلب بتخصصها ولا تطلب وكواكب الكفر اذا طلعت على افق الايمان فيه نكب افلة وكلمة الله اذا عورضت تكر معارضتها قافلة وانما ذكرت ذلك بعد الذكر المحفوظ ليتذكر بالايات الظاهرة الى الايات القاهرة وليعلم كل مومن ان كلمة الله متصلة الاستصحاب والسبب وعاملة في الاشياء مع الازمان والحقب وان رجال (1) الملة الحنفية اعلى المنازل والرتب ولذلك يقول فى نوع فرعون الاذل ونوع موسى الاجل اشخاصها متعددة واكوانها متحدة والله غالب على امره وقد قيل ان الملة الحنفية المضرية (2) تنصرها السيرة العمرية المحمدية المستنصرية ولعل الذى اقام الدين واطلعه من المشرق واتلفه منه يجبره من المغرب ولا ينقله عنه فينبغى لمن امن بالله وملائكته وكتبه ورسوله وبما يجب كما يجب ان لا يتغير قصده ولا يتوقف عند سماع المهلكات حمده فقد قيدت اقدام قوم بشرك الشرك وحملهم الضجر الى الهلك بطاعة الترك وكع (3) كيد الكنود هلك كنعان وكل بصر بصيرته ولبس لهم ثوب الذل بالعرض وجعل مصيبة الدين تفتته مع جحوده لسلطان السنة والفرض واما هامان (4) المرتدين فقد هم بالمومنين وعلا فرعون الشر فى الارض والله يمن على المستضعفين فى الارض بنصر من عنده ويهلك المفسدين بجند من رفده وينبغى او يجب ان نضرب عن ذكر كائنة مدينة السلام فانها تزلزل الطبع وتحمل الروح الى ساحة الشام او تفزع فى صلاة كسوف شمس سرورها الى التسليم بالاستسلام ونكبر (5) اربع تكبيرات على الانس ويودع بعد وعد وسلام وينتظر (6) قيامه بقيام امر محيي الدين والاسلام والحمد لله على كل حال بسم الله الرحمن

(1) Le ms. B porte رحال — (2) Les mss. A et B portent المصرية (3) Le ms. A porte وكم — (4) Ici tous les mss. portent ماهان — (5) Le ms. A porte ويكبر et le ms D تكبر — (6) On lit dans le ms. A وتنتظر

الرحيم وصلى الله على الذى اعجزت خصاله العد والحد مسلم والطبقة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى اخر امتى خليفة يحثى المال حثيا لا يعده عدا وقال صلى الله عليه وسلم يكون فى اخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعد زاد ابو العباس الهمدانى واشار بيده الى المغرب وذكر بهاء الدين التبريزى فى ملحمته التى زعم انه لايثبت فيها من الاخبار الا ما صححته روايته ولا يذكر من الاحكام المنسوبة الى الصنائع العملية الا ما ابرزته درايته ولا يعتبر من الاعلام الدينية الى ما ادركته هدايته قال فى الترجمة الاولى اذا خرجت نار الحجاز يقتل خليفة بغداد ويستقيم ملك المغرب وتبسط كلمته فى الاقطار ويخطب له على منابر خلفاء بنى العباس ويكثر الدر بالمعبر من بلاد الهند ذكرت هذا ليعلم المقام ايده الله انه هو المشار اليه وانه الذى يعول فى اصلاح ما فسد بحول الله عليه ومن تامل قوله صلى الله عليه وسلم يكون فى اخر الزمان الحديث تبين له ما اردناه وذلك يظهر من وجوه منها ان الخليفة المذكور لم يسمع به فيما تقدم ولا ذكر فى الدول الماضية ولو ذكر لرددنا القول به واهملناه (١) لاجل تقييده باخر الزمان والثانى ان اخر الزمان الذى يراد به ظهور الشروط المتوسطة واكثر العلامات المنذرة بالساعة هو هذا بعينه الثالث لا خليفة لاهل الملة فى وقتنا هذا غير الذى قصدناه وهذه اقطار الملة محصرة ومعلومة لنا من كل الجهات والذى يشاركه فى الاسم ويقاسمه فى الطلاقه فقط لا يصدق عليه اذ هو اضعف من ذرة فى كرة ومن نملة فى رملة وافقر من قصد طالب السراب ويده مع هذا ايبس من التراب فصح بالسبر والتقسيم وبتصفح الموجودات والازمان والدول والمراتب والنعوت انه هو لا شريك له فيها والمصحح لذلك كله والذى يصدق وينطبق عليه مدلول

(١) Le ms. B porte واهلناه

الحديث كرمه الذى يعجز عنه الحد ولا يتوقف فيه العد وهذا خليفة الملة
كذلك وهذه دلائله هى اوضح من نار على علم وهذه خصاله شاهدة له
بفضائل السيف والقلم وهذه خزائنه تغلب الطالب وتعجز
عن الدافع وهذه سعوده فى صعوده وهذه متاجر تعويله على الله رابحة
وهذه احواله بالكلية صالحة وهذه سعايته ناجحة ثم هذه موازين ترجيحه
راجحة والحمد لله كما يجب وما النصر الا من عند الله وصلى الله على عبده
محمد بن عبد الله انه من بكة وانه للحق وانه بسم الله الرحمن الرحيم وانه
الى خضر لا تحصر لحصر ويحدر فيها الندر (1) ويحافظ على سنة الرءوف الرحيم
صلى الله عليه وسلم اما بعد فبهداهم اقتده الحمد لله الذى احسن بمقام
الاحسان وتمم النعمة وبين لمن تبين علم البيان وحكم لمن احكم الحكمة
وسبقت فى صفات افعاله صفة الرحمة وذكر الهداية فى كتابه بعد ذكر
النعمة هو الرءوف بالبرية وهو الرحيم والحفى بالحنفية وهو القاهر الماضى
المشيئة الذى يقبض ويبسط ويمضى المشيية شهد له بالكمال الممكن الذى
ابرزه وخصصه وعرّفه بالجلال من يسره لذلك وخلصه هو الذى استعمل
عليها من اختاره لاقامة النافلة والفرض واعى من اهلها من توسل له (2)
بنية العرض واعتق العقاب وسر العقاب واهمل العقاب بطاعة من يستعمر به
الربع المعمور وانعم على المستضعفين فى الارض بامام بحر المجد فى بحر خصاله
يعد بعض البعض سنته محمدية وسيرته بكرية وسريرته علوية وسلالته
عمرية فهذه ذرية وانواع مجد بعضها من بعض بل هذه خطوط فصل
الطول فيها مثل العرض عرف بالرياسة العالية ووصف بالنفاسة
السالية وشهد له بذلك الخاص والعام ونزه من النقائص النزيه النفس ومن
نزهه فى سلطانه علمه العام صلى الله على الاسوة الرءوف بالمومنين سيدنا

(1) Le ms. A porte النذر — (2) Le ms. D porte اليه

محمد الذى انزل عليه التنزيل وكتب اسمه فى صحيح القصص والنصوص ونبى الله به وبائمة امته الذين شبههم بالبنيان المرصوص وعلى اله وصحبه الكرم البررة الذين اصطفاهم وطهرهم ثم ايدهم فطهروا الارض من الكفرة الفجرة واخرج من ظهورهم ذرياتهم بالدين اظهرهم ويسر بهم السبيل ثم السبيل يسرهم ومنهم الخليفة المستنجد بالله المفضل على الناس ولاكن اكثرهم ورضى الله عنهم وعنه وضاعف للمحب الثواب الدائم (1) منهم ومنه وبعد. خدمه يتقدم (2) فيها بعد الحمد والتصلية والدعاء للدولة الدالة على قبول الدعوة اصلية تحية بعضها مكية وكلها ملكوتية وروضة ريحها حضرة القدس ونشرها يدرك فيه صحبة النفث روح القدس وتكبر عن ان تشتبه بالعنبر والند والورد وازهار الربى والرياض لان المفارق للمادة مفارق لغير المفارق لها مفارقة السواد للبياض ثم هى مع هذا واجبة القصد عذبة الورد تذكر الذاكر الذكى بعرفها الذكى لمدركات جنة الخلد والنعيم وفى مثل هذه فليتنافس المتنافسون وتدرك النفس النفيسة لذة النعيم لانها ظاهرة طيبة وكريمة صيبة واقفة على حضرة الملك والسلطان ومدار فلك النسك ومستقر الامامة والجلالة ومعقل الهداية والدلالة واصل الاصالة ودار المتقين وبيت العدالة وحزب اليقين وانسانها الاعظم معلى الموحدين على الملحدين وقائم الدين وقيمه ومقر الاسلام ومقدمه القائم بالدعوة العامة بعد ابيه امام المجد والفخر ثم الامة الذى اذا عزم اوهم بتخصيص مهمل اتخذ فى خلده ما هو بالفعل مع ما هو بالقوة وان يعرض له فى طريق اعراضه الممكن العسير يسره سعده وساعده ساعد القوة وان سمع بالحمد فى جهة حديه (3) بخاصة خصاله بعد مجد الابوة وفخر النبوة لا يذكر معه

(1) Les mss. B et D portent الدادر — (2) Le ms. A porte خدمة تتقدم — (3) On lit dans le ms. A حداله

ولا عنده صعب الامور الا بالضد فانه مظهر العناية الالاهية ومرءاة المجد
والجد هو علم العلم ثم هو محل الحلم اسمه متوحد فى مدلوله كالاسم العلم وعهده
لا يتوقف على اللسان ولا على رسوم القلم كتب فى السماء وسمع به فى الكرسى
وكذلك العرش وما هنا انما هو مما هنالك فهو الاعلى وان كان فى الفرش هو
شامخ القدر ظاهر الفضل شديد البطش ثم هو مما ظهر عليه عُلم ان
الشجاعة لم تتنفل من الانسان الى الاسد ولا يقال هذا بحر العلم فينقل من
الطبيعة الى بحر الخلد لان ذلك كله فيه بوجه اكمل وبه وعليه وفى
يديه بنوع افضل بلغ ذروة النهاية المخصوصة بالمطالب العالية وحصل
فى الزمان الفرد ما حصله الفرد فى الايام الخالية وبلغ فى تبليغ حمده
بصفاته ما بلغ الاشد عمره ونال غاية الانسان ويتعجب منه فى القيامة
عمره ويسره امره طلعت سعوده على مولده ومطالعه كلمة مجده لاحكام
الفلك وطالعه ان حرر القول فيه وفهم شانه قيل هو من فوق الاطلس
والمكوكب وان قيس سعده بالكمالات الثلاثة كان كالبسيط مع المركب
اين غاية تطلب بعد طاعته واين تجارة تنظر مع بضاعته له الحمد بيده
الملك والامانة بل له الكل بفضل الله وفيه المقصد والسلامة لا بل
له الفتح المبين وتميم النعمة والهداية ونور السكينة وفيه الامارة والعلامة
منير مكة بازاء بيت بكة خطب بخطبته والذى ذهب بالمدينة يطلب
فلعله يسعفه فى خطبته افدة (1) السر تطير اذا سمعت بذكره والمهندات
البتر تلين لباس ساعده ويقول طباع اربابها بشكره دولة التوحيد توحدت
له اذ هو واحدها الاوحد وسياسة التسديد تحكمت له فهو مدبرها الارشد
ومع هذا كتابته اهملت صيت الصادين وكورت شمس الفتح ثم الفتح والصادين
وكذلك الثلاثة الذين من قبلهم لا نذكر (2) معه الاديب حبيب فى رد الاعجاز

(1) Le ms. A porte أفيدة — (2) On lit يذكر dans le ms. A.

على الصدور فانه الذى يعتبر فى ذلك والـــذى يصدر عنه هو واقع فى الصدور وافعل فى طباع المهرة وفى نفوس الصدور يتاخر عن شعره شعر الرجلين وبعده نذكر الطبقة ثم شعـراء نجد والخبب (1) والجبلى والولد بعده والهذلى والموكد هو تقديمه فى المغرب من ذلك والهذلى علـوم الادب الخمسة تممها وسادسها وسابعها زاده من عند نفسه وخليل النحو لو حضر عنده كان خليله فى تحصيل نوعه وجنسه والفارسى تلميذه ثم الاخر بعده والاخفش الكبير ثم الصغير ما ضرب لهم من قبل فى مثله بنصيب واقام ائمة النحو تنحو نحوه بنحو ينحوه نحو نحوه ثم لا يكون كالمصيب وكل كوفى بل كل بصرى يحب الظهور اذا سمع به اختفى والمنصف منهم هو الذى بنحوه اكتفى اقيسة الفقه الثلاثة هذبها وحصلها واصوله كما يجب علمها وفصلها والمسائل الطبولية تكلم على مفصلها ومجملها وسهل الصعب من مخصصها ومهملها وان فسر كتاب الله المعجز عجز ارباب البلاغة باعجاز بعد اعجازه وان تعرض لعوارض الفاظه اظهر العجب فى اختصاره (2) وايجازه وان شرع فى شرح قصصه وجد له وفى تفسير ترغيبه وترهيبه ومثـــله يبصر الناظر فيه والمستمع لما لم يسمع وما لم يبصر فانه سلك بقدم كماله وتكميله على قنطرة بعد لم تعبر ويضطر الزعيم به بتحصيله الى تجديد فطرة اخرى وبعد هذا يفتقر فى بيانه اليه فى الاولى والى الله فى الاخـــرى وان تكلم على متشابهه ومحكمه علم الاصطلاح ثم بيان النوع للخبير به وبمحكمه وكذلك القول على الناسخ والمنسوخ والوعد والوعيد وان يشاء طـــول فى مطولاتهم واختصر من مختصراتهم فبيده الزيادة وضد المزيد واما تحرير امره ونهيه واسراره ورقائقه وفواتح سوره وحقائقه والذى يقال انه لا من جنس الذى يكتسب والذى هو اعظم من الذى يرد واليه الاحوال تنتسب فهو الشارح لها والخبير بها

(1) Le ms D porte الجنب — (2) Le ms. B porte اختياره

وان تاخر وينوع فى ذلك ويريد (1) غير الاول وان تكرر واما علوم الحديث وانواعها السبعة فهو بعلمها وصناعته بجملتها للعلماء يعلمها والوراقة والضبط والخط وقفت عليه مهنه غايتها وجمله الامر علوم الشريعة كلها عرفها ووعاها ورعاها حق رعايتها وكل العلوم العقلية والنقلية ورجالها على ذهنه الطاهر من دنس النسيان والمقامات السنية المستنزلات العلوية ادركها بعد التبيان (2) فمن اراد ان يمدحه ويعدل عن اطلاق القول فقد اقترف اعظم الذنب ومن ذكره ولم يتلذذ بذلك فقد جاء بما ينضح جمله الخبب ونعوت جمالها يمنع عن ادراكها نور المتصل وحضرة جلاله محفوظة بجدها وجدها وقاطعها المنفصل ذلك فضل الله يوتيه من يشاء قل اللهم مالك الملك الله اعلم حيث يجعل رسالاته هذه كلها اياته والرابعة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فانها هباته ان حدث المحدث بكرمه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى اخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعدده ونصر الله اذا جاء لا يرده وفتحه من ذا الذى عن السعيد يصدده والمورخ يتذكر بتذكره الكلمات الهذلى من حيث المطالب اذ قال وقد سئل عن الامام على ابن ابى طالب هو الامام وفيه اربعة وهو واحدها حتى فى رفع التشبيه وقطع السبب العلم والحلم والشجاعة وفضل الحسب يسر بحكمته ويغتبط بها متى يتبع جملته الباحث الحكيم ولا يشعر بشعره اذا تصفح نعوته الشاعر العليم وينشد طبعه فى الحين والوقت والحزة ويخرج الحروف من مخارج الهمزة

شهدت لقد اوتيت جامع فضله — وانت على علمى بذاك شهيد
ولو طلبت فى الغيب منك سجية — لقد فر (3) موجود وعز وجود

(1) Les mss. A et D portent وينزيد — (2) On lit البيان dans les mss. A et D. — (3) Le ms. D porte قر

ادام الله له المجد الذى يسلك به على النجدين وحفظ عليه مقامه الذى لا يحتقر فيه الا جوهر النقدين وبسط له فى العلم والقدرة وبارك له فى نصيب النصرة وجهز به العسرة ورد به على الشرك والفتن الكرة وعرفه فى كل ما يعتزمه صنعا جميلا ولطفا خفيا جليلا وكفاه الشر المحض وخير (1) الشرين كما كشف له عن الخير المحض وعلم السرين وايده بروح منه فى السر والسريرة وحفظه فى حركاته وسكناته من الصغيرة والكبيرة وجعل كلمته غالبة للضد والجند وبلغ صيته الجزائر والبربر ثم الى السند والهند وخلد ملكه وسلم فلكه ورفعه على اوج المجد بجده الطويل العريض واهبط عدوه من الشرف الاعلى الى الحضيض وفتح الله به باب الفتح فى المشرق والمغرب بعد فتح الثغور وشرح بنصره وفتحه اوساط الصدور وما استنبطته الضمائر من نفثات المصدور (2) وجبر به كسر الظفر ووصل به ما انقطع من الاسباب وعصم جنده من ضد الدنف الانف وردم الى ردم الابواب وقدس كلمته بعد الحرمين فى البيت المقدس وسلك به مسالك السبل فى المقيل والمعرس وبعد هذا فهذه ادعيتنا بل هذه اوديتنا وهذه مسائلنا بل هذه وسائلنا وهذه تحية حياها ذو الفطرة السليمة وهذه خدمة يفتخر بها طبيعة النفس (3) العليمة واستنبت فيها الكتاب واستثبت فيها الجواب والموجب لاصدارها محبة اصلها ثابت وفرعها فى العلى وحفز عليها حافزان (4) شوق قديم ورعاية الاخرة والاولى بل الامر الذى هو فى خير الامور من اوسطها واذا نظم فى عقد الاسباب الموجبة لهذه الخطابة يكون فى وسطها فانه يحكى احكام الشان والقصة ويعلم المقام ايده الله الذى حصل له فى حرم الله وحرم نبيه من النصيب والحصة وفيه ينبغى ان تذهب الالفاظ وتلحظ

(1) On lit dans le ms. D حيز — (2) Le ms. A porte الصدور — (3) Le ms. D porte اليقين — (4) On lit dans le ms. B وحفر عليها حافران

عيون الاغراض وينفخ المقاصد ويحمل (1) على جواهر الكمالات كالاعراض فمن ذلك ذكر الملة التى كملت وكبرت والاخرى التى كانــت ثم غمرت وصغرت والمنبر الذى صعد خطب خطبته على الخطيب وعرج الى سماء السمو وهو على درجه والاخر الذى درج عنه خطيبه وضاق صدره الامر حــرجه (2) وقرئت سورة الامام بحرف المستنجد المستبصر لا بحــرف المستعصم بن (3) المستنصر بسط القول واطلق ترجمة عبد الله بعد ما قبضه الــذى امات واحيا وقبض على مقامه ودفع للامام محمد بن يحيى وكان ذلك فى يوم وصول الخبر بمصيبة الاختبار ثم فى ليلة الايات والاعتبار ومن ذلك ايضــا بعمة الحمد والدعاء الظاهر القول والمقبول فى الحرم الشريف وانقياد الذى ظهر على طائفة الحق والسيد والشريف ومن ذلك صعود علم الاعــلام على جبل معظم الحج ومقر وفوق الحاج ووقف به المتكلم فى مقام من كانت له سقاية الحاج وذكر كما يجب بما يجب فى موقف الامام مالك وعرف هنالك انه الامام والمالك لكل مالك وتعرفت نكرة دعوة التوحيد بتخصيص خصوصية المخصوص بعرفه وتعارف بها من تعارف معه هناك ونعم التعارف والمعرفة ثم ذكر عند المشعر الحرام وفى جهات حدود حرم المسجد الحرام وعظم اسمه بعد ذكر الله وذكر الوالدين وطلع الذاكر بالتركيب الى الجدين الساكنين فى الخلد والخالدين فلما وصل الحجيج الى عقبة الجمرات ذكر مع السبع الاولى سبع مرات وكذلك عند الركوع فى مسجد الخيف وكل كلمات تمجيده بالكم والكيف وعند التوجه من هناك ويوم النفر قررت اياته المذكورة فى كتاب الجفر ثم جدد الذكر حول البيت العتيق بالحمد والشكر فلما وصل العلم بانتقال بيت الملك والسلطان من بغداد فى شهــــر رمضان اظهر الخفى

(1) Le ms. A porte تحمد — (2) On lit dans le ms. A الا من حرجه — (3) Le mot بن est omis dans le ms. B.

المكنون فكان ذلك مع التسبيح والقرءان وكان الخادم فى الزمان الاول وفى الذاهب يتنظر الخطفة من نحو عراق والمغرب والان وجد نفسها من نحو اليمن اقليم الاعراب والعرب والذى حمل على هذا كله طاعة كاملة وغبطة عاملة والله تعالى بفضله يعصمه من كيد المعاند فانه فى اظهار دعوة التوحيد كالمجاهد والمكابد ومعاد التحية على المقام الارفع والمقر الانفع وعلى خدام حضرته العلية وارباب دعوته الجلية وانواع رحمته تعالى وبركاته والحمد لله كما يجب وصلى الله على نبيه محمد وعلى اله وسلم كتب تجاه الكعبة المعظمة فى الجانب الغربى من الحرم الشريف والحمد لله رب العالمين ولما وصلت هذه البيعة استحضر لها السلطان الملاء والكافة وقرئت بجمعهم وقام خطيبهم القاضى ابو البراء فى ذلك المحفل فاحتفل فى تعظيمها والاشادة بحسن موقعها واظهار رفعة السلطان ودولته بطاعة اهل البيت والحرم ودخولهم فى دعوته ثم جار بالدعاء للسلطان وانفض الجمع فكان من الايام المشهودة فى الدولة

الخبر عن الوفود من بنى مرين والسودان وغيرهم

كان بنو مرين كما قدمناه قد تمسكوا بطاعة الامير ابى زكرياء ودخلوا فى الدعوة الحفصية وحملوا عليها من تحت ايديهم من الرعايا مثل اهل مكناسة وتازى والقصر وخاطبوا السلطان بالتمويل (1) والخضوع ولما هلك السلطان وولى ابنه المستنصر وقارن ذلك ولاية المرتضى بمراكش ثم كان بينهم وبين المرتضى من الفتنة والحرب ما ذكرناه ونذكره فاتصل ذلك بينهم

(1) Le ms. B porte بالتهويل

وبعث الامير ابو يحيى بن عبد الحق ببيعة اهل فاس واوفد بها مشيخة بنى مرين على السلطان وذلك سنة ثنتين وخمسين فكان لها موقع من السلطان والدولة وقابلهم من الكرامة كل على قدره وانصرفوا محبورين الى مرسلهم ولما هلك ابو يحيى بن عبد الحق واستقل اخوه يعقوب بالامر اوفد اليه ثانية رسله وهديته وطلب الاعانة من السلطان على المرتضى وامر مراكش على ان يقيموا بها الدعوة له عند فتحها ولم يزل دابهم هذا الى ان كان الفتح وفى سنة خمس وخمسين وصلت هدية ملك كانم من ملوك السودان وهو صاحب بُرْنو مواطنه قبلة طرابلس وكان فيها الزرافة وهو الحيوان الغريب الخلق المنافر الحلى والشياه (١) فكان لها بتونس مشهد عظيم برز اليها الجفلى من اهل البلد حتى لغصّ بها الفضاء وطال اعجابهم بشكل هذا الحيوان وتباين نعوته واخذها من كل حيوان بشبه وفى سنة ثمان وخمسين وصل دون الرنك اخو ملك قشتالة مغاضبا لاخيه ووفد على السلطان بتونس فتلقاه من المبرة والحباء بما يلقى به كرام القوم وعظماء الملوك ونزل من دولته باعز مكان وكان تتابع هذه الوافدات مما شاد بذكر الدولة ورفع من قدرها

الخبر عن مقتل ابن الابار وسياقة اوليته

كان هذا الحافظ ابو عبد الله بن الابار من مشيخة اهل بلنسية وكان علامة فى الحديث ولسان العرب وبليغا فى الترسيل والشعر وكتب عن السيد ابى عبد الله بن ابى حفص بن عبد المومن ببلنسية ثم عن

(١) Il faut probablement lire الشيات

ابنه السيد ابي زيد ثم دخل معه دار الحرب حين نزع الى دين النصرانية ورجع عنه قبل ان ياخذ به ثم كتب عن ابن مردنيش ولما دلف الطاغية الى بلنسية ونازلها بعث زيان بوفد بلنسية وبيعتهم الى الامير ابى زكرياء وكان فيهم ابن الابار هذا الحافظ فحضر مجلس السلطان وانشد قصيدته على روى السين يستسرخه فبادر السلطان باغاثتهم وشحن الاساطيل بالمدد اليهم من المال والاقوات والكسى فوجدهم فى هوة الحصار الى ان تغلب الطاغية على بلنسية ورجع ابن الابار باهله الى تونس غبطة باقبال السلطان عليه فنزل منه بخير مكان ورشحه لكتب علامته فى صدور رسائله ومكتوباته فكتبها مدة ثم ان السلطان اراد صرفها لابى العباس الغسانى لما كان يحسن كتابتها بالخط المشرقى وكان اثر عنده من الخط المغربى فسخط ابن الابار انفة من ايثار غيره عليه وافتات على السلطان فى وضعها فى كتاب امر بانشائه لقصور الترسيل يومئذ فى الحضرة عليه وان يبقى مكان العلامة منه لواضعها فجاهر بالرد ووضعها استبدادا وانفة وعوتب على ذلك فاستشاط غضبا ورمى بالقلم وانشد متمثلا

واطلبِ العز فى لظى وَذرِ الذلَّ ولو كان فى جنان الخلود (1)

فنمى ذلك الى السلطان فامر بلزومه بيته ثم استعتب السلطان بتاليف رفعه اليه عد فيه من عوتب من الكتاب واعتب وسماه اعتاب الكتاب واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر السلطان له واقال اثرته واعاده الى الكتابة ولما هلك الامير ابو زكرياء رفعه المستنصر الى حضور مجلسه مع الطبقة الذين كانوا يحضرونه من اهل الاندلس واهل تونس وكان فى ابن

(1) Ce vers, qui est du mètre nommé KHAFÎF, est incorrectement donné dans plusieurs des manuscrits que j'avais consultés d'abord, pendant que je rédigeais le texte de cet ouvrage. Depuis lors, un manuscrit conservé dans une des bibliothèques publiques de Constantinople m'en a fourni la vraie leçon.

الابار انفة وباو وضيق خلـــق فكان يزرى على المستنصر فى مبـاحثه ويستقصره فى مداركه فخشن له صدره مع ما كان يحفظ بـه السلطان من تفضيل الاندلس وولايتها عليه وكانت لابن ابى الحسين فيه سعاية لحقد قديم سببه ان ابن الابار لما قـــدم فى الاسطول من بلنسية نزل ببنزرت وخاطب ابن ابى الحسين بغرض رسالته ووصـــف اباه فى عنوان مكتوبه بالمرحوم ونبه على ذلك فاستضحك وقال ان ابا لا تعرف حياته من موته لاب خامل ونميت الى ابن ابى الحسين فاسرها فى نفسه ونصب له الى ان حمل السلطان على اشخاصه من بجاية ثم رضى عنه واستقدمه ورجعه الى مكانه من المجلس وعاد هو الى مساءة السلطان بنزعاته الى ان جرى فى بعض الايام ذكر مولد الواثق وسائل عنه السلطان فاستبهم فعدا عليه ابن الابار بتاريخ الولادة وطالعها فاتهم بتوقع المكروه للدولة والتربص بها كما كان اعداؤه يشنعون عليه لما كان ينظر فى النجوم فتقبض عليه وبعث السلطان الى داره فرفعت اليه كتبه اجمع والقى اثناءها فيما زعموا رقعة بابيات اولها ۞ طغى بتونس خلف سموه ظلما خليفة ۞ فاستشاط لها السلطان وامر بامتحانه ثم بقتله فعصا بالرماح وسط محـــرم من سنة ثمان وخمسين ثم احرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه واوراق سماعه ودواوينه فاحرقت معـــه

الخبر عن مقتل اللياني واوليته وتصاريف احواله

اصل هذا الرجل من للبانة قرية من قرى المهدية مضمومة الـلام الاولى مكسورة الثانية وكان ابوه عاملا بالمهدية وبها نشا ابنه ابو العباس وكان

ينتحل القراءة والكتاب حتى حذق فى علوم اللسان وتفقه على ابى زكرياء البرقى ثم طالع مذاهب الفلاسفة ثم صار الى طلب المعاش من الامارة فولى اعمال الجباية ثم صودر فى ولايته على مال اعطاه وتخلص من نكبته فنهض فى الولايات حتى شارك كل عامل فى عمله بما اظهر من كفايته وتنميته للاموال حتى قصر بهم واديل منهم وكان الكثير منهم متعلقا من ابن ابى الحسين رئيس الدولة بذمة خدمة فاسفه بذلك واغرى به بطانة السلطان ومواليه حتى سعوا به عند السلطان وانه يروم الثورة بالمهدية حتى خشن له باطن السلطان فدخل عليه ذات يوم ابو العباس الغسانى فاستجازه السلطان فى قوله ۞ اليوم يوم المطر ۞ فقال الغسانى ۞ ويوم رفع الضرر ۞ فتنبه السلطان واستزاده فانشد ۞ والعام عام تسعة كمثل عام الجوهرى ۞ فكانت اغراء باللليانى فامر ان يتقبض عليه وعلى عدوه ابن العطار وكان عاملا وامر ابا زيد بن يغمور بامتحانهما فعذبهما حتى استصفى اموالهما والميل فى ذلك على اللليانى وكان فى ايام امتحانه يباكر موضع عمله. ثم نمى عنه انه يروم الفرار الى صقلية وبوحث بعض من داخله فى ذلك فاقر عليه فدفع الى هلال كبير الموالى من المعلوجى فضربه الى ان قتله ورمى بشلوه الى الغوغاء فعبثوا به وقطعوا راسه ثم تتبع اقاربه وذووه بالنكال الى ان استنفدوا

الخبر عن انقباض ابى على المليانى بمليانة على يد الامير ابى حفص

كان المغرب الاوسط من تلمسان واعمالها الى بجاية فى طاعة السلطان منذ تغلب ابوه الامير ابو زكرياء عليه وفتح تلمسان واطاعه يغمراسن وكان

بين زناتة بتلك الجهات فتن وحروب شان القبائل اليعاسيب (1) وكانت مليانة من قسمة مغراوة بنى ورسيفان وكانوا اهـل بادية وتقلص ظل الدولة عن تلك الجهات بعض الشىء وكان ابو العباس المليانى من مشيخة مليانة صاحب فقه ورواية وسمت ودين رحـل اليه الاعلام واخذ عنه العلماء وانتهت اليه رياسـة الشورى ببلده ونشا ابنه ابو على خلوا من الخلال متهامكا فى الرياسة متبعا غواية الشبيبة فلما راى تقلص ظل الدولة وفتن مغراوة مع يغمراسن ومزاحمته لـهم حدثته نفسه بالاستبداد فخلع طاعة ال ابى حفص ونبذ دعوتهم وانبرى بها داعيـا لنفسه وبلغ الخبر الى السلطان فسرح اليه اخاه الامير ابا حفص ومعه الامير ابو زيد ابن جامع ودن الرنك اخو الفنش وطبقات الجند فخـرج من تونس سنة تسع وخمسين واغذ السير الى مليانة فنازلها مدة وشد حصارهـا حتى اقتحموها غلابا وفر ابو على المليانى ولحق ببنى يعقوب من ال العطاف احد شعوب زغبة فاجاروه واجازوه الى المغرب الاقصى الى ان كان من خبره ما نذكره بعد ودخل الامير ابو حفص مليانة ومهد نواحيها وعقد عليها [بياض] ابن منديـل امير مغراوة فملكها مقيما فيها لدعوة السلطان شان غيرهـا من عمالات مغراوة وقفل الامير ابو حفص الى تونس ولقيه بطريقه كتاب السلطان بالعقد له على بجاية وامارتهـا فكره ذلك غبطة بجوار السلطان وترددت فى ذلك رغبته فاديل منهـا بالشيخ ابى هلال عياد بن سعيد الهنتاتى وعقد له على بجاية ولحق الامير ابو حفص بالحضرة الى ان كـان من خلافته ما نذكر بعد وهلك شقيقه ابـو بكر بن الامير ابى زكرياء ثانية مقدمه الى تونس سنة احدى وستيـن فتفجع له الخليفة والقرابة والناس وشهد السلطان جنازته والبقاء لله وحده

(1) Les mss. A et B portent اليعاست ; on lit dans le ms. D البغات

الخبر عن فرار ابى القاسم بن ابى زيد ابن الشيخ ابى محمد وخروجه فى رياح

كان ابو القاسم بن ابى زيد هذا فى جملة ابن عمه الخليفة وتحت جرايته وابوه ابو زيد هو القائم بالامر بعد ابيه الشيخ ابى محمد ولحق بالمغرب وجاء ابو القاسم فى جملة الامير ابى زكرياء واوصى به ابنه الى ان حدثته نفسه بالتثوب والخروج وخامره الرعب من اشاعة تناقلها الدهماء سببها ان السلطان استحدث سكة من النحاس مقدرة على قيمته من الفضة حاكى بها سكة الفلوس بالمشرق تسهيلا على الناس فى المعاملات باسرافها وتيسيرا لاقتضاء حاجاتهم ولما كان لحق سكة الفضة من غش اليهود المتناولين لصرفها وصوغها وسمى سكته التى استحدثها بالحندوس ثم افسدها الناس بالتدليس وضربها اهل الريب ناقصة عن الوزن وفشا فيها الفساد واشتد السلطان فى العقوبة عليها فقطعها وقتل وصارت ريبة لمن تناولها واعلن الناس بالنكير فى شانها وتنادوا بالسلطان فى قطعها وكثر الخوض فى ذلك وتوقعت الفتنة واشيع من طريق الحدثان الذى تكلف به العامة ان الخارج الذى يثير الفتنة هو قاسم بن ابى زيد فازال السلطان تلك السكة وعفا عليه واهمه شان ابى القاسم ابن عمه وبلغه الخبر فخامره الرعب الى ما كان يحدث نفسه من الخروج ففر من الحضرة سنة احدى وستين ولحق برياح ونزل على اميرهم شبل بن موسى بن محمد رئيس الدواودة فبايع له وقام بامره ثم بلغه اعتزام السلطان على النهوض اليه فخشى بادرته واضطرب امر العرب من قبيله ولما احس ابو القاسم باضطرابهم وخشى ان يسلموه اذا ارادهم السلطان عليها تحول عنهم ولحق بتلمسان

واجاز البحر منها الى الاندلس وصحب الامير ابا اسحاق ابن عمه فى مثوى اغترابهما بالاندلس ثم ساءت افعاله وعظم استهتاره وفشا النكير عليه من الدولة فلحق بالمغرب واقام بتينملل مدة ثم رجع الى تلمسان وبها مات وقام الامير ابو اسحاق بمكانه من جوار ابن الاحمر الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن خروج السلطان الى المسيلة

لما اتصل بالسلطان شان قاسم ابن عمه ابى زيد وفصاله عن رياح الى المغرب بعد عقدهم بيعته واجلابهم على البلاد معه خرج من تونس سنة اربع وستين فى عساكر الموحدين وطبقات الجند لتمهيد الوطن ومحو اثار الفساد منه وتقويم العرب على الطاعة وتنقل فى الجهات الى ان وصل بلاد رياح فدوخها ومهد ارجاءها وفر شبل بن موسى وقومه الدواودة الى القفر واحتل السلطان بالمسيلة اخر وطن رياح ووافاه هنالك محمد من عبد القوى امير بنى توجين من زناتة مجددا لطاعته ومتبركا بزيارته فتلقاه من البرور تلقى امثاله واثقل كاهله بالحباء والجوائز وجنب له الجياد المقربات بالمراكب المثقلة بالذهب واللجم المحلات وضرب له الفساطيط الفسيحة الارجاء من ثياب الكتان وجدل القطن الى ما يتبع ذلك من المال والظهر والكراع والاسلحة واقطع له مدينة مقرة وبلد اوماش من عمل الزاب وانقلب عنه الى وطنه ورجع السلطان الى تونس وفى نفسه من رياح ضغن الى ان صرف اليهم وجه تدبيره كما نذكره ولثانية احتلاله بالحضرة سنة خمس وستين كان مهلك مولاه هلال ويعرف بالقائد وكان له فى الدولة مكان

بما كان تلادا للسلطان وكان شجاعا جوادا خيرا محببا سهلا مقبلا على اهل العلم وذوى الحاجات وله فى سبيل الخير اثار منقولة طار له بها ذكر فارتمض السلطان لمهلكه

الخبر عن مقتل مشيخة الدواودة

كان شبل بن موسى وقومه من الدواودة قد فعلوا الافاعيل فى اضطراب الطاعة ونصب من لحق بهم من اهل هذا البيت للملك فبايعوا للامير ابى اسحق كما ذكرناه ثم بعده لابى القاسم ابن عمه ابى زيد وخرج اليهم السلطان سنة اربع وستين ودوخ اوطانهم ولحقوا بالصحراء ودافعوه على البعد بطاعة ممرضة فتقبلها وطوى لهم على النثا ورجع الى تونس فاوعز الى ابى هلال عياد عامل بجاية من مشيخة الموحدين باصطناعهم واستيلافهم لتكون وفادتهم عليه من غير عهد وجمع السلطان احلافه من كعوب بنى سليم ودباب وافاريق بنى هلال وخرج من تونس سنة ست وستين فى عساكر الموحدين وطبقات الجند ووافاه بنو عساكر بن سلطان اخوة بنى مسعود ابن سلطان من الدواودة فعقد لمهدى بن عساكر على امارة قومه وغيرهم من رياح وفر بنو مسعود بن سلطان مصحرين فى اثرهم حتى نزل نقاوس وعسكروا بثنايا الزاب ورسلهم تختلف الى ابى هلال ايناسا للمراجعة على يده للدخلة السابقة فاشار عليهم بالوفادة على السلطان وفاء بقصده من ذلك فتقبلوا اشارته ووفد اميرهم شبل بن موسى بن محمد بن مسعود واخوه يحيى وبنو عمهما اولاد زيد بن مسعود سباع بن يحيى بن دريد وابنه وطلحة بن ميمون بن دريد وحداد بن مولاهم بن خنفر بن مسعود

واخوه فتقبض عليهم لحينهم وعلى دريد بن تازير من شيوخ كرفة وانتهبت اسلابهم وضربت اعناقهم ونصبت اشلاؤهم بزرايا حيث كانت بيعتهم لابى القاسم ابن ابى زيد وبعث برؤسهم الى بسكرة فنصبت بها واغذ السير غازيا الى احيائهم وحللهم بمكانها من ثنايا الزاب وصبحهم هنالك فاجفلوا وتركوا الظهر والكراع والابنية فامتلات ايدى العساكر وسدويكش منها ونجوا بالعيال والولد على الاقتاب والعساكر فى اتباعهم الى ان اجازوا وادى شدى قبلة الزاب وهو الوادى الذى يخرج اصله من جبل راشد قبلة المغرب الاوسط ويمر الى ناحية الشرق مجتازا بالزاب الى ان يصب فى سبخة نفزاوة من بلاد الجريد فلما اجاز فلهم الوادى اصحروا الى المفازة المعطشة والارض الحرة السود المستحجرة المسماة بالحمادة فرجعت العساكر عنهم وانقلب السلطان من غزاته ظافرا ظاهرا وانشده الشعراء فى التهنية ولحق قل الدواودة بملوك زناتة فنزل بنو يحيى بن دريد على يغمراسن بن زيان وبنو محمد بن مسعود على يعقوب بن عبد الحق فاجاروهم واوسعوهم حباء وملئوا ايديهم بالصلات ومرابطهم بالخيل واحياءهم بالابل ورجعوا الى مواطنهم فتغلبوا على واركلا وقصور ريغة واقتطعوها من ايالة السلطان ثم زحفوا الى الزاب فجمع لهم عامله [بياض] ابن عتو وكان موطنا بمقرة ولقيهم على حدود ارض الزاب فهزموه واتبعوه الى قطاوة فقتلوه عندها واستطالوا على الزاب وجبل اوراس وبلاد الحضنة الى ان اقتطعتهم الدول اياها من بعد ذلك فصارت ملكا لهم

الخبر عن طاغية الافرنجة ومنازلته تونس فى اهل نصرانيته

هذه الامة المعروفة بالافرنجة وتسميها العامة بالافرانسى نسبة الى بلد من امهات اعمالهم تسمى افراسة ونسبهم الى يافث بن نوح وهم بالعدوة الشمالية من عدوتى هذا البحر الرومى الغربى ما بين جزيرة الاندلس وخليج القسطنطينية يجاورون الروم من جانب الشرق والجلالقة من جانب الغرب. وكانوا قد اخذوا بدين النصرانية مع الروم ومنهم لقنوا دينهم واستفحل ملكهم عند تراجع ملك الروم واجازوا البحر الى افريقية مع الروم فملكوها ونزلوا امصارها العظيمة مثل سبيطلة وجلولا وقرطاجنة ومرناق وباغاية ولميس وغيرها من الامصار وغلبوا على من كان بها من البربر حتى اتبعوهم فى دينهم واعطوهم طاعة الانقياد ثم جاء الاسلام وكان الفتح فانتزع العرب من ايديهم سائر امصار افريقية والعدوة الشرقية والجزر البحرية مثل اقريطش ومالطة وصقلية وميورقة ورجعوهم الى عدوتهم ثم اجازوا خليج طنجة وغلبوا القوط والجلالقة والبشكنس وملكوا جزيرة الاندلس وخرجوا من ثناياها ودورها الى بسائط هولاء الافرنجة فدوخوها وعاثوا فيها ولم تزل الطوائف تتردد اليها صدرا من دولة بنى امية بالاندلس وكان ولاة افريقية من الاغالبة ومن قبلهم ايضا يرددون عساكر المسلمين واساطيلهم من العدوة حتى غلبوهم على الجزر البحرية ونازلهم فى بسائط عدوتهم فلم تزل فى نفوسهم من ذلك ضغائن وترات يخالجها الطمع فى ارتجاع ما غلبوا عليه منها وكان الروم اقرب الى سواحل الشام واطمع فيها فلما وهن امر الروم بالقسطنطينية ورومة واستفحل ملك الفرنجة هولاء كان ذلك على تفيئة سقوط الخلافة بالمشرق فسموا حينئذ الى التغلب على معاقل

الشام وثغورها وزحفوا اليها وملكوا الكثير منها واستولوا على المسجد الاقصى وبنوا فيه الكنيسة العظمى بدل المسجد ونزلوا مصر والقاهرة مرارا حتى اتاح الله للاسلام من صلاح الدين بن ايوب الكردى صاحب مصر والشام فى اواسط المائة السادسة جنة واقية وعذابا على اهل الكفر مصبوبا فابلى فى جهادهم وارتجع ما ملكوه وطهر المسجد الاقصى من افكهم وكفرهم وهلك على خير عمل من الغزو والجهاد ثم عاودوا الكرة ونازلوا مصر فى المائة السابعة على عهد الملك الصالح صاحب مصر والشام وايام الامير ابى زكرياء بتونس فضربوا ابنيتهم بدمياط وافتتحوها وتنقلوا فى قرى مصر وهلك الملك الصالح خلال ذلك وولى ابنه المعظم وامكنت المسلمين فى الغزو فرصة ايام مفيض (1) النيل ففتحوا الفراض (2) وازالوا سدد الماء فاحاط بعسكرهم وهلك منهم عالم وقيد سلطانهم اسيرا من المعركة الى السلطان فاعتقله بالاسكندرية حتى من عليه بعد حين من الدهر واطلقه على ان يمكنوا المسلمين من دمياط فوفوا به ثم على شرط المسالمة فيما بعد فنقض لمدة قريبة واعتزم على الحركة الى تونس متجنيا عليهم فيما زعموا بمال ادعى تجار ارضهم انهم اقرضوه لليانى فلما نكبه السلطان طالبوه بذلك المال وهو ثلاثمائة الف دينار بغير موجب يستندون اليه فغضبوا لذلك وشكوا الى طاغيتهم فامتعض لهم ورغبوه فى غزو تونس لما كان فيها من المجاعة والموتان فارسل الافرنسيس طاغية الافرنج واسمه لويس بن لويس ويلقب بلغة الفرنج ريد افرنس ومعناه ملك افرنس فارسل الى ملوك النصارى يستنفرهم الى غزوها وارسل الى البابه خليفة المسيح بزعمهم فاوعز الى ملوك النصرانية بمظاهرته واطلق يده فى اموال الكنائس مددا له وشاع خبر استعداد النصارى للغزو فى سائر بلادهم وكان الذين اجابوه لغزو بلاد

(1) Les mss. B et D portent مقبض — (2) On lit dans les mss. B et D القراض

المسلمين من ملوك النصرانية ملك انكتار وملك اسكوسنا (١) وملك تورك وملك برشلونة واسمه ريد راكون وجماعة اخرون من ملوك الفرنج هكذا ذكر ابن الاثير واهم المسلمين بكل ثغر شانهم وامر السلطان فى سائر عمالاته بالاستكثار من العدة وارسل فى الثغور بذلك وباصلاح الاسوار واختزان الاحباب وانقبض تجار النصارى عن تعهد بلاد المسلمين واوفد السلطان رسله على الفرنسيس لاختبار حاله ومشارطته على ما يكف غربه وحملوا ثمانين الفا من الذهب لاستتمام شروطهم فيما زعموا فاخذ المال من ايديهم واخبرهم ان غزوه الى ارضهم فلما طلبوا المال تلوى عليهم بانه لم يباشر قبضه ووافق شانهم معه وصول رسول عن صاحب مصر فاحضر عند الفرنسيس واستجلس فابى وانشده قائمًا من قول ابن مطروح شاعر السلطان بمصر

قل للفرنسيس اذا جئته | مقال صدق من قؤل فصيح
اجرك الله على ما جرى | من قتل عباد نصارى المسيح
اتيت مصرا تبتغى ملكها | تحسب ان الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين الى ادهم | ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم | بسوء تدبيرك بطن الضريح
سبعون الفا لا يرى منهم | الا قتيل او اسير جريح
الهمك الله الى مثلها | لعل عيسى منكم يستريح
ان يكن البابا بذا راضيا | فرب غش قد اتى من نصيح
فاتخذوه كاهنا انه | انصح من شق لكم او سطيح
وقل لهم ان ازمعوا عودة | لاخذ ثار او لفعل قبيح
دار ابن لقمان على حالها | والقيد باق والطواشى صبيح

(١) Il faut lire اسكوسيا

يعنى بدار ابن لقمان موضع اعتقاله بالاسكندرية وبالطواشى صبيح الرجل الموكل كان به والطواشى فى عرف اهل مصر هو الخصى فلما استكمل انشاده لم يزد ذلك الطاغية الا عتوا واستكبارا واعتذر عن نقض العهد فى غزو تونس بما يسمعه عنهم من المخالفات عذرا دافعهم به وصرف سائر الرسل من شتى الافاق ليومه فوفد رسل السلطان منذرين بشانهم وجمع الطاغية حشده وركب اساطيله الى تونس اخر ذى القعدة سنة ثمان وستين فاجتمعوا بسردانية ويقال بصقلية ثم واعدهم بمرسى تونس واقلعوا ونادى السلطان فى الناس بالنذير بالعدو والاستعداد له والنفير الى اقرب المراقى وبعث الشوانى لاستطلاع الخبر واستبهم اياما ثم كان عمه فراره (١) ثم توافت الاساطيل بمرسى قرطاجنة وتفاوض السلطان مع اهل الشورى من الاندلس والموحدين فى تخليتهم وشانهم من النزول بالساحل اوصدهم عنه فاشار بعض بصدهم حتى تنفذ ذخيرتهم من الزاد والماء فيضطرون الى الاقلاع وقال اخرون اذا اقلعوا من مرسى الحضرة ذات الحامية والعدد صبحوا بعض الثغور سواها فملكوه واستباحوه واستصعبت مغالبتهم عليه فوافق السلطان على هذا وخلوا وشانهم من النزول فنزلوا بساحل قرطاجنة بعد ان ملئت سواحل رادس بالمرابطة من جند الاندلس والمطوعة زهاء اربعة الاف فارس لنظر محمد ابن ابى الحسين رئيس الدولة ولما نزل النصارى بالساحل وكانوا زهاء ستة الاف فارس وثلاثين الفا من الرجل فيما حدثنى ابى عن ابيه رحمه الله قال وكانت اساطيلهم ثلاثماية بين كبار وصغار وكانوا سبعة يعاسيب كان فيهم الفرنسيس واخوه جرون (٢) صاحب صقلية وصاحب الجزر والعلجة زوج

(1) Dans tous les mss. le mot عسه ou عسد (comme on peut aussi le lire), est écrit sans points diacritiques. Le ms B. porte قراره, et le ms. D omet le mot كان — (2) Il faut lire جرول et prononcer *Garol* ou *Karol.*

الطاغية وتسمى الرينة وصاحب البر الكبير وتسميهم العامة من اهل الاخبار ملوكا ويعنون انهم متباينون اذ ظاهروا على غزو تونس وليس كذلك وانما كان ملكا واحدا وهو طاغيــة الفرنجة واخوته وبطارقته عد كل واحد منهم ملكا لفضل قوته وشدة باسه فانزلوا عساكرهم بالمدينة القديمة من قرطاجنة وكانت ماثلة الجدران واضطربوا العسكر بداخلها ووصلوا ما فصله الخراب من اسوارها بالواح الخشب ونضدوا شرفاتها وادارو على السور خندقا بعيد المهوى وتحصنوا وندم السلطان على اضاعة الحزم فى تخريبها او دفاعهم عن نزلها واقام ملك الفرنجة وقومه متمرسين بتونــس ستة اشهر والمدد ياتيه فى اساطيله من البحر من صقلية والعدوة بالرجل والاسلحة والاقوات وسلك بعض المسلمين طريقا فى البحيرة واتبعهم العــرب فاصابوا غرة من العدو فظفروا وغنموا وشعروا بمكانهم فكلفوا بحراسة البحيــرة وبعثوا فيها شوانى بالرماة ومنعوا الطريق اليهم وبعث السلطان فى ممالكه حاشرا فوافته الامداد من كل ناحية ووصل ابو هلال صاحب بجاية وجاءت جموع العــرب وسـدويكش وولهاصة وهوارة حتى امده ملوك المغرب من زناتة وسرح اليهم محمد بن عبد القوى عسكر بنى توجين لنظر ابنه زيان واخرج السلطان ابنيته وعقد لسبعة من الموحدين على سائر الجند من المرتزقة والمطــوعة وهم اسمعيل بن ابى كلداســن وعيسى بن داود ويحيى بن ابى بكر ويحيى ابن صالح وابو هلال عياد صاحب بجاية ومحمد بن ابى الحسين ومحمد بن عبّو وامرهم كله راجع ليحيى بن صالح ويحيى بن ابى بكر منهم واجتمع من المسلمين عدد لا يحصى وخرج الفقهاء والصلحاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بانفسهم والتزم السلطان القعود بايوانه مع بطانته واهل اختصاصه وهم الشيخ ابو سعيد المعروف بالعود الرطب ومحمد بن ابى الحسين وقاضيه ابو القاسم ابن البر (1)

(1) Le ms. D porte البرا.

واخو الفنش واتصلت الحرب والتقوا فى منتصف محرم سنة تسع بالمنصف تزاحف يومئذ يحيى بن صالح وجرون فمات من الفريقين خلق وهجموا على المعسكر بغض العشايا وتدامر المسلمون عنده ثم غلبوا عليه بعد ان قتل من النصارى زهاء خمسماية فاصبحت ابنيته مضروبة كما كانت وامر بالخندق على المعسكر فتعاورته الايدى واحتفر فيه الشيخ ابو سعيد بنفسه وابتلى المسلمون بتونس وظنوا الظنون وهم السلطان بالتحول عن تونس الى القيروان ثم ان الله اهلك عدوهم واصبح ملك الفرنجة ميتا يقال حتف انفه ويقال اصابه سهم غرب فى بعض المواقف فاثبته ويقال اصابه مرض الوبا ويقال وهو بعيد ان السلطان بعث اليه مع سليمان بن جرام الدلاجى بسيف مسموم كان فيه مهلكه ولما هلك اجتمع النصارى على ابنه دمياط سمى بذلك لميلادده بها فبايعوه واعتزموا على الاقلاع وكان امرهم راجعا الى العلجة فراسلت المستنصر ان يبذل لها ما خسروه فى مؤنة حركتهم وترجع بقومها فاسعفها السلطان لما كان العرب اعتزموا على الانصراف الى مشاتيهم وبعث مشيخة الفقهاء لعقد الصلح فى ربيع الاول سنة تسع وستين فتولى عقده وكتابه القاضى ابن زيتون لخمسة عشر عاما وحضر ابو الحسن على بن ابى عمرو واحمد بن الغماز وزيان بن محمد بن عبد القوى امير بنى توجين واختص جرون صاحب صقلية بسلم عقده على جزيرته واقلع النصارى باساطيلهم واصابهم عاصف من الريح اشرفوا منه على العطف وهلك الكثير منهم واغرم السلطان الرعايا ما اعطا العدو من المال فاعطوه طواعية يقال انه عشرة احمال من المال وترك النصارى بقرطاجنة تسعين منجنيقا وخاطب السلطان صاحب المغرب وملوك النواحى بالخبر ودفاعه عن المسلمين وما عقده من الصلح واوعز بتخريب قرطاجنة وان يوتى بنيانها من القواعد فصيرها يبابا طامسة ورجع الفرنج الى عدوتهم فكان اخر عهدهم بالظهور

والاستفحال ولم يزالوا فى تناقص وضعف الى ان افترق ملكهم عمالات واستبد صاحب صقلية لنفسه وكذا صاحب نابل وجنوة وسردانيـة وبقى بيت ملكهم الاقدم لهذا العهد على غاية من الفشل والوهـن والله وارث الارض ومن عليه وهو خير الوارثين

الخبر عن مهلك رئيس الـدولة ابى عبد الله بن ابى الحسين وابى سعيد العُود الرطب

اصل هذا الرجل من بنى سعيد روساء القلعة المجاورة لغرناطة وكان كثير منهم قد استعملوا ايام الموحدين بالعدوتين وكان جده ابو الحسن سعيد صاحب الاشغال بالقيروان ونشا حافده محمد هذا فى كفالته ولما عزل وقفل الى المغرب هلك ببونة سنة اربع وستماية ورجع حافده محمد الى تونس والشيخ ابو محمد بن ابى حفص صاحب افريقية لذلك العهد فاعتلق بخدمة ابنه ابى زيد ولما ولى الامر بعد وفاة ابيه غلب محمد هذا على هواه ثم جاء السيد ابو على من مراكش على افريقية وارتحل ابو زيد الى مراكش ومحمد بن ابى الحسين الى تونس واتصل بالامير ابى زكرياء لاول استبداده فغلب على هواه وكان مجتا فى صحابة الملوك ولما ولى المستنصر اجراه على سننه برهة ثم تنكر له اثر كائنة اللحيانى وعظمت سعاية اعدائه من البطانة واشاعوا بمداخلته لابى القاسم ابن مخدومه ابى زيد بن الشيخ ابى محمد فنكبه السلطان واعتقله بداره تسعة اشهر ثم سرحه واعاده الى مكانه وثار من اعدائه واستولى على امور السلطان الى ان هلك سنة احدى وسبعين وكان ابن عمه سعيد بن يوسف بن ابى الحسن صاحب اشغال

لحضرة وكان قد افنى مالا جسيما ونال من الحضرة منالا وكان الرئيس ابو عبد الله متفننا فى العلوم مجيدا فى اللغة يقرض الشعر فيحسن ويرسل فيجيد وله من التواليف كتاب ترتيب المحكم لابن سيدة على نسق الصحاح للجوهرى واختصاره وسماه الخلاصة وكان فى رياسته صليب الراى قوى الشكيمة عالى الهمة شديد المراقبة والحزم فى الخدمة وله شعر نقل منه التجانى وغيره ومن اشهر ما نقل عنه من شعره يخاطب عنان بن جابر عن الامير ابى زكرياء لما خالف واتبع ابن غانية وهى على روى الراء كان قبلها اخرى على روى الدال وكان له ولد اسمه سعيد وترقى فى حياة ابيه المراتب السلطانية ثم اعتبط دون غايته وفى ثالثة مهلكه كان مهلك الشيخ ابى سعيد عثمان بن محمد الهنتاتى المعروف بالعود الرطب ويعرف اهل بيته بالمغرب ببنى ابى زيد وكان منهم عبد العزيز المعروف بصاحب الاشغال كان فر من المغرب ايام السعيد لجفوة نالته ولحق بسجلماسة سنة احدى واربعين وقد كان انتزى بها عبد الله الهزرجى وبايع للامير ابى زكرياء فاجازه عبد الله الى تونس ونزل على الامير ابى زكرياء ونظمه فى طبقات مشيخة الموحدين واهل مجلسه ثم حظى عند ابنه المستنصر بعد نكبة بنى النعمان حظوة لا كفاء لها واستولى على الراى والتدبير الى ان هلك سنة ثلاث وسبعين فشيع طيب الذكر ملحفا بالرضوان من الخاصة والكافة والله مالك الامور

الخبر عن انتقاض اهل الجزائر وفتحها

كان اهل الجزائر لما راوا تقلص ظل الدولة عن زناتة واهل المغرب الاوسط حدثوا انفسهم بالاستبداد والقيام على امرهم وخلع ربقة الطاعة من اعناقهم

فجاهروا بالخلعان وسرح السلطان اليهم العساكر سنة تسع وستين واوعز الى صاحب ثغر بجاية وهو ابو هلال عياد بن سعيد الهنتاتى فزحف اليها فى عساكر الموحدين سنة احدى وسبعين ونازلها مدة حول وامتنعت عليه فاقلع عنها ورجع الى بجاية وهلك بمعسكره ببنى ورا سنة ثلاث وسبعين ثم ان السلطان صرف عزمه الى منازلتهم سنة اربع وسبعين وسرح اليهم العساكر فى البر وانفذ الاساطيل فى البحر وعقد على عسكر تونس لابى الحسن بن ياسين واوعز الى عامل بجاية بانفاذ عسكر اخر فانفذه لنظر ابى العباس ابن ابى الاعلام ونهضت هذه العساكر برا وبحرا الى ان نازلتها واحاطت بها من كل جانب واشتد حصارها ثم اقتحمت عنوة واستحر فيهم القتل وانتهبت المنازل وافتضّ الكرائمُ فى ابكارهن وتقبض على مشيخة البلد فنقلوا الى تونس مصفدين واعتقلوا بالقصبة الى ان سرحهم الواثق بعد مهلك السلطان

الخبر عن مهلك السلطان المستنصر ووصف شىء من احواله

كان السلطان بعد فتح الجزائر قد خرج من تونس للصيد وتفقد العمالات فاصابه فى سفره مرض ورجع الى داره واشتدت علته وكثر الارجاف بموته وخرج يوم الاضحى سنة خمس وسبعين ينهادى بين رجلين ورجلاه لا يخطان الارض وجلس للناس فى منبر متجلدا ثم دخل بيته وهلك لليلته رضوان الله عليه وكان شان هذا المستنصر فى ملوك ال ابى حفص عظيما وشهرته طائرة الذكر بما انفسح امد سلطانه ومدت اليه ثغور القاصية من العدوتين يد الاعتصام به وما اجتمع بحضرته من اعلام الناس الوافدين

على ابيه وخصوصا الاندلس من شاعر مفلق وكاتب بليغ وعالم نحرير وملك اروع وشجاع اهيس متفيّئين ظل ملكه متناغين فى اللياذ به لطموس معالم الخلافة شرقا وغربا على عهده وخفوت صوت الملك الا فى ايوانه فقد كان الطاغيةَ التهم قواعد الملك بشرق الاندلس وغربها فاخذت قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وبلنسية سنة ست بعدها واشبيلية سنة ست واربعين واستولى الططر على بغداد دار خلافة العرب بالمشرق وحاضرة الاسلام سنة ست وخمسين وانتزع بنو مرين ملك بنى عبد المومن واستولوا على حضرة مراكش دار خلافة الموحدين سنة ثمان وستين كل ذلك على عهده وعهد ابيه ودولتهم اشد ما كانت قوة واعظم رفاهية وجباية واوفر قبيلا وعصابة واكثر عساكر وجندا فامله اهل العالم للكرة واجفلوا الى الامساك بحقويه وكانت له فى الابهة والجلال اخبار وفى الحروب والفتوح اثار مشهورة وفى ايامه عظمت حضارة تونس وكثر ترف ساكنها وتانق الناس فى الملابس والمراكب والمبانى والماعون والابنية فاستجادوها وتناغوا فى اتخاذها وانتقائها الى ان بلغت غايتها ثم رجعت من بعده ادراجها والله مالك الامور ومصرفها

الخبر عن بيعة الواثق يحيى بن المستنصر وهو المشهور بالمخلوع وذكر احواله

لما هلك السلطان المستنصر سنة خمس وسبعين كما قدمناه اجتمع الموحدون وسائر الناس على طبقاتهم الى ابنه يحيى فبايعوه ليلة مهلك ابيه وفى غدها وتلقب الواثق وافتتح امره برفع المظالم وتسريح اهل السجون وافاضة العطا فى الجند واهل الديوان واصلاح المساجد وازالة كثير من الوظائف

عن الناس وامتدحه الشعراء فاسنى جوائزهم واطلق عيسى بن داود من اعتقاله ورده الى حاله وكان المتولى لاخذ البيعة على الناس والقيام بامره سعيد بن يوسف بن ابى الحسين لمكانه من الدولة ورسوخه فى الشهرة فقام بالامر ولا يزل على ذلك الى ان نكبه وادال منه بالحببّر

الخبر عن نكبة ابن ابى الحسين واستبداد ابن الحببر على الدولة

كان هذا الرجل واسمه يحيى بن عبد الملك الغافقى وكنيته ابو الحسن اندلسيا من اعمال مرسية وفد مع الجالية من شرق الاندلس ايام استيلاء العدو وكان يحسن الكتاب ولم يكن له من الخلال سواها فصرف فى الاعمال ثم ارتقى الى خدمة ابن ابى الحسين فاستكتبه ثم رقاه الى ولاية الديوان فعظمت حاله وكانت له اثناء ذلك مداخلة للواثق ابن السلطان اعتدها له سابقة فلما استوسق الامر للواثق رفع منزلته واختصه بالشورى وقلده كتاب علامته وكان سعيد بن ابى الحسين مزاحما له منافسا لما كان اشفى منه بقديمه فاغرى به السلطان ورغبه فى ماله فتقبض على سعيد بن ابى الحسين لستة اشهر من الدولة سنة ست وسبعين واعتقل بالقصبة وتقبض على نقله ابن ياسين وابن صياد الرجالة وغيرهم وقدم على الاشغال مدافع من الموالى العلوجى ووكل ابو زيد بن ابى الاعلام من الموحدين بمصادرة ابن ابى الحسين على المال وامتحانه ولم يزل يستخرج منه حتى ادعى الاملاق واستحلف فحلف ثم ضرب فادعى موتمنا من ماله عند قوم استكشفوا عنه فادوه ثم دل بعض مواليه على ذخيرة بداره دفينة فاستخرج منها زهاء ستماية الف من الدنانير فلم يقبل بعدها مقاله وبسط عليه

العذاب الى ان هلك فى ذى الحجة من سنته ودفن شلوه بحيث لم يعرف مدفنه واستبد ابو الحسن الحببّر على الدولة والسلطان وبعث اخاه ابا العُلى واليا على بجاية واسف المشيخة والبطانة بعتوه واستبداده وما يتحشمونه من مباكرة بابه الى ان عاد وبال ذلك على الدولة كما نذكره

الخبر عن اجازة السلطان ابى اسحـاق من الاندلس ودخول اهل بجـاية فى طاعته

كان السلطان المستنصر قد عقد على بجاية سنة ستين الابى هلال عياد بن سعيد الهنتاتى وادال به من اخيه الاميـر ابى حفص فقام واليا عليها الى ان هلك ببنى ورا سنة ثلاث وسبعين كما ذكرناه وعقـد عليها من بعده لابنه محمد فكان له غناء فى ولايته واضطلع بامره الى ان هـلك المستنصر وولى ابنه الواثق فبادر الى ايتاء طاعته وبعث وفد بجاية ببعتهم ثم قلد ابو الحسن الحببر القائم بالدولة اخاه ادريس ولاية الاشغال بجاية فقام بها واقتنى الاموال وتحكم فى المشيخة وانف محمـد بن ابى هلال من استبداده عليه فهم ادريس بنكبته فخشى محمد بن ابى هلال بادرته ودخل بعض بطانته فى قتله وفاوض الملك فيه فعدوا عليه لاول ذى القعدة سنة سبع وسبعين بمقعده من باب السلطان فقتلوه ورموا براسه الى الغـوغاء والزعانف فعبثوا به ووافق ذلك حلول السلطان ابى اسحاق بتلمسان وكان عند بلوغ الخبر اليه بمهلك اخيه المستنصر اجمع امره على الاجازة لطلب حقه بعد ما تردد برهة ثم اعتزم واجاز الى تلمسان ونـزل على يغمراسن ابن زيان فقام لمورده واحتفل فى ميرته وفعل اهل بجاية وابن ابى هلال

فعلتهم وخشوا بوادر السلطان بالحضرة فخاطبوا السلطان ابا اسحاق واتوه بيعتهم وبعثوا وفدهم يستحثونه للملك فاجابهم ودخل اليها اخر ذى القعدة من سنته فبايعه الموحدون والملاء من اهل بجاية وقام بامره محمد بن ابى هلال ثم زحف فى عساكره الى قسنطينة فنازلها وبها عبد العزيز ابن عيسى بن داود فامتنعت عليه فاقلع عنها الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن خروج الامير ابى حفص بالعساكر للقاء السلطان ابى اسحاق ثم دخوله فى طاعته وخلع الواثق

لما بلغ الخبر الى الواثق ووزيره المستبد عليه ابن الحبير بدخول السلطان ابى اسحاق بجاية سرح العساكر الى حربه وعقد عليها لعمه ابى حفص واستوزر له ابا زيد بن جامع فخرج من تونس واضطرب معسكره ببجاية وعقد الواثق على قسنطينة لعبد العزيز بن عيسى بن داود لذمة صهر كانت له من ابن الحبير فتقدم الى قسنطينة ومانع عنها الامير ابا اسحاق كما ذكرناه ثم اضطرب راى ابن الحبير فى خروج الامير ابى حفص واراد انفضاض عسكره فكتب الواثق الى ابى حفص ووزيره ابن جامع يغرى كل واحد منهما بصاحبه فتفاوضا واتفقا على الدعاء للامير ابى اسحاق وبعثوا اليه بذلك واتصل الخبر بالواثق وهو بتونس منتبذا عن الحامية والبطانة فاستيقن ذهاب ملكه واشهد الملاء وانخلع عن الامر لعمه السلطان ابى اسحاق غرة ربيع الاول من سنة ثمان وسبعين وتحول عن قصور الملك بالقصبة الى دار الاقورى وانقرضت دولته وامره والبقاء لله وحده

الخبر عن استيلاء السلطان ابى اسحاق على الحضرة

لما بلغ السلطان ابا اسحاق كتاب اخيه الامير ابى حفص وابن جامع من باجة بادر مغذا اليهم ثم وافاه خبر انخلاع الواثق ابن اخيه بتونس فارتحلوا جميعا وتسايل اهل الحضرة على طبقاتهم الى لقائه واتوه طاعتهم ودخل الحضرة منتصف ربيع الاخر سنة ثمان وسبعين ومحمد بن ابى هلال شيخ دولته وعقد على حجابته لابى القاسم بن الشيخ كاتب ابن ابى الحسين وعلى خطة الاشغال لابن ابى بكر بن الحسن بن خلدون كان وفد مع ابيه الحسن على الامير ابى زكرياء من اشبيلية لذمة رعاها لهم بما كانت ام ولده ام الخلائف من هدايا ابن المحتسب ابى زكرياء محلهم ورحل الحسن الى المشرق ومات هنالك وبقى ابنه ابو بكر بالحضرة فاستعمله الامير ابو اسحاق لاول دخوله فى خطة الاشغال ولم يكن يليها الا الموحدون كما قلناه وعقد لفضل ابن على بن مزنى على الزاب ولم يكن ايضا يليها الا الموحدون لكن رعى لفضل بن مزنى ذمة اغترابه معه الى الاندلس فعقد له على الزاب ولاخيه عبد الواحد على بلاد قصطيلية ثم تقبض على ابن الحبير وامر باعتقاله ودفعه الى موسى بن محمد بن ياسين للمصادرة والامتحان ووجد مكان التمائم عليه طوابع وطلسمات مختلفة الاشكال والصور يسحر بها فيما زعموا مخدومه فحاق به وبالها وكان شانه فى الامتحان والاستخلاف والهلاك بالعذاب شان سعيد بن ابى الحسين منكوبه ايام دولته الى ان هلك شهر جمادى الاولى من سنته والله لا يظلم مثقال ذرة ولما اقتعد السلطان ابو اسحاق كرسى ملكه واستوثقت عرى خلافته تقبض على محمد بن ابى

هلال وقتله لحين نكبته سنة ست وسبعين لما كان يتوقع منه من المكروه فى الدولة وما عرف به من المساعى فى الفتنة

الخبر عن مقتل الواثق وولده

لما انخلع الواثق عن الامر وتحول الى دار الاقورى فاقام بها اياما وكان له ثلاثة من الولد اصاغر الفضل والطاهر والطيب فكانوا معه ثم نمى عنه للسلطان ابى اسحاق انه يروم الثورة وانه داخل فى ذلك بعض روساء النصارى الجند فاقلق السلطان مكان ترشيحه واعتقله بمكان اعتقال بنيه هو من القصبة ايام اخيه المستنصر ثم بعث اليهم لليلته فذبحوا جميعا شهر صفر سنة تسع وسبعين واستوسق له الامر واطلق من عنان الامارة لولده الى ان كان من شانهم ما يذكر

الخبر عن ولاية الامير ابى فارس بن السلطان ابى اسحاق على بجاية بعهد ابيه والسبب فى ذلك

كان للسلطان ابى اسحاق من الابناء خمسة ابو فارس عبد العزيز وكان اكبرهم وابو محمد عبد الواحد وابو زكرياء يحيى وخالد وعمر وكان السلطان المستنصر قد حبسهم عند فرار ابيهم الى رياح فى ايامه ببعض حجر القصر واجرى عليهم رزقا فنشئوا فى ظل كفالته وجميم رزقه الى ان استولى ابوهم السلطان ابو اسحاق على الملك فطلعوا بافاقه وطالت فروعهم فى دوحه واشتملوا

على العز واصطنعوا اهل السوابق من الرجال وارخى السلطان لهم طلقهم فى ذلك وكان المجلى فيها كبيرهم ابو فارس بما كان مرشحا لولاية العهد وكان ممن اصطنعه والقى عليه رداء محبته فى الناس وعنايته احمد بن ابى بكر بن سيد الناس اليعمرى واخوه ابو الحسين لسابقة رعاها لهما وذلك ان اباهما ابا بكر بن سيد الناس كان من بيوت اشبيلية حافظا بالحديث راوية له ظاهريا فى فقهه على مذهب داوود واصحابه وكانت لاهل اشبيلية خصوصا من بين الاندلس وصلة بالامير ابى زكرياء بن عبد الواحد بن ابى حفص وبنيه منذ ولايته غرب الاندلس فلما تكالب الطاغية على العدوة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها واسف الى قواعدها وامصارها اجاز الاعلام واهل البيوت الى ارض المغربين وافريقية وكان قصدهم الى تونس اكثر لاستفحال الدولة الحفصية بها فلما راى الحافظ ابو بكر اختلال احوال الاندلس وقبح مصائرها وخفة ساكنها اجمع الرحلة عنها الى ما كان بتونس من سابقته عند هولاء الخلفاء فاجاز البحر ونزل بتونس فلقاه السلطان تكرمة وجعل اليه تدريس العلم بالمدرسة عند حمام الهوا التى اسسها امه ام الخلائف ونشا بنوه احمد وابو الحسين فى جو الدولة وحجر كفالتها للاختصاص الذى كان لابيهم بها وعدلوا عن طلب العلم الى طلب الدنيا وتشوفوا الى مراتب السلطان واتصلوا بابناء السلطان ابى اسحاق بمكانهم من حجر القصر حيث انزلهم عمهم بعد مذهب ابيهم فخالطوهم واستخدموا لهم ولما استولى السلطان على الامر ورشح ابنه ابا فارس للعهد واجراه على سنن الوزارة فاصطنع احمد ابن سيد الناس ونوه باسمه وخلع عليه لبوس كرامته واختصه بلقب حجابته واخوه ابو الحسين يناهضه فى ذلك عنده ونفس ذلك عليهما البطانة فاغروا السلطان ابا اسحاق بابنه وخوفوه شانه وان احمد بن سيد الناس داخله فى التوثب بالدولة وتولى كبر هذه السعاية عبد الوهاب بن قائد

الكلاعى من علية الكتاب ووجوههم كان يكتب العلامة يومئذ فسطا السلطان بابن سيد الناس سنة تسع وستين اخر ربيع استدعى الى باب القصر فتعاورته السيوف هبرا وورى شلوه ببعض الحفر وبلغ الخبر الى الامير ابى فارس فركب الى ابيه فى لبوس الحزن فعزاه ابوه عن ذلك بانه ظهر لابن سيد الناس على المكر والخديعة بالدولة واماط سواده بيده ونجا ابو الحسين من هذه المهلكة واعتقل فى لمة من رجال الامير ابى فارس وبطانته بعد ان تورى اياما الى ان اطلق من محبسه وكان من امره ما نذكره بعد واستبلغ السلطان فى تانيس ابنه ومسح الضغينة عن صدره وعقد له على بجاية واعمالها وانفذه اليها اميرا مستقلا وانفذ معه فى رسم الحجابة جدى محمد ابن صاحب اشغاله ابى بكر بن الحسن بن خلدون فخرج اليها سنة تسع وستين وقام بامرها الى اخر دولته كما نذكره

الخبر عن ثورة ابن الوزير (1) بقسنطينة ومقتله

اسم هذا الرجال ابو بكر بن موسى بن عيسى ونسبته فى كومية من بيوت الموحدين كان مستخدما لابن كلداسن الوالى بقسنطينة بعد ابن النعمان من مشيخة الموحدين ايام المستنصر ووفد ابن كلداسن على الحضرة واقام ابن وزير نائبا عنه بقسنطينة فكان له غنا وصرامة وولاه السلطان حافظا على قسنطينة واتصلت ولايته وهلك المستنصر واضطربت الاحوال ثم ولاد الواثق ثم السلطان ابو اسحاق وكان ابن وزير هذا طموحا جموح الامل وعلم ان قسنطينة معقل ذلك القطر وحصنه فحدثته نفسه بالامتناع بها

(1) Partout ailleurs ce nom est écrit ابن وزير

والاستبداد على الدولة وساء اثره فى اهلها فرفعوا امرهم الى السلطان ابى اسحاق واستعدوه فلم يعدهم لما راى من مخايل انحرافه عن الطاعة وكتب هو بالاعتذار والنكير لما جاءوا به فتقبل واغضى له عن هناته ولما مر به الامير ابو فارس الى محل امارته من بجاية سنة تسع وسبعين قعد عن لقائه واوفد عليه جمعا من الصلحاء بالمعاذير والاستعطاف فمنحه من ذلك كفاء مرضاته حتى اذا ابعد الامير ابو فارس الى بجاية اعتزم هو على الانتزاء وكاتب ملك ارغون فى جيش النصارى يكون معه فى ثغره يردد بهم الغزو على ان يكون فيما زعموا داعية له فاجابه ووعده ببعث الاسطول اليه فجاهر بالخلعان وانتزى بثغر قسنطينة داعيا لنفسه اخر سنة ثمانين وزحف اليه الامير ابو فارس من بجاية فى عساكره واحتشد الاعراب وفرسان القبائل الى ان احتل بميلة ووفد عليه مشيخة من اهل قسنطينة بمكر من الرغبة والتوسل بعثهم بها ابن وزير فاعرض عنهم وصبح قسنطينة فى اول ربيع سنة احدى وثمانين فنازلها وجمع الايدى على حصارها ونصب المجانيق وقرب مقاعد الرماة وقاتلها يوما او بعض يوم وتسور عليهم المعقل من بعض جهاته وكان المتولى لتسوره حاجبه محمد بن ابى بكر بن خلدون وابلى ابن وزير عند الصدمة حتى احيط به وقتل هو واخوه واشياعهما ونصبت رءوسهم بسور البلد وتمشى الامير فى سكك البلد مسكنا ومونسا وامر برم ما تثلم من الاسوار وباصلاح القناطير ودخل الى القصر وبعث بالفتح الى ابيه بالحضرة وجاء استول النصارى الى مرسى القل فى مواعدة ابن وزير فاخفق مسعاهم وارتحل الامير ابو فارس ثالثة الفتح الى بجاية فدخلها اخر ربيع من سنته

الخبر عن قيادة ابناء السلطان العساكر الى الجهات

كان السلطان يوثر ابناءه بمراتب ملكه ويوليهم خطط سلطانه شغفا بهم وترشيحا لهم فعقد فى رجب سنة احدى وثمانين لابنه ابى زكرياء على عسكر من الموحدين والجند وبعثه الى قفصة للاشراف على جهاتها وضم مجابيها فخرج اليها وقضى شانه من حركته وانصرف الى تونس فى رمضان من سنته ثم عقد لابنه الاخر ابى محمد عبد الواحد على عسكره وانفذه الى وطن هوارة لاقتضاء مغارمهم وجباية ضرائبهم وفرائضهم وبعث معه عبد الوهاب ابن قائد الكلاعى مباشرا لذلك وواسطة بينه وبين الناس فانتهى الى القيروان وبلغه شان الدعى وظهوره فى دباب بنواحى طرابلس فطير بالخبر الى السلطان واقبل على شانه ثم انتشر امر الدعى فانكفا راجعا الى تونس

الخبر عن صهر السلطان مع عثمان بن يغمراسن

كان السلطان لما اجاز البحر من الاندلس لطلب ملكه ونزل على يغمراسن ابن زيان بتلمسان فاحتفل لقدومه واركب الناس للقائه واتاه بيعته على عادته من سلفه لما علم انه احق بالامر ووعد النصرة من عدوه والموازرة على امره واصهر اليه فى احدى بناته المقصورات فى خيام الخلافة بابنه عثمان تشريفا خطبه منه فولاه الاسعاف به ولما استولى السلطان على حضرته واستبد باحوال ملكه بعث يغمراسن ابنه ابراهيم المكنى بابى عامر فى وفد من قومه لاتمام ذلك العقد فاعتمد السلطان مبرتهم واسعف

طلبتهم واقاموا بالحضرة اياما وظهر من اقدامهم فى فتن الدعى مقامات وانصرفوا بظعينهم سنة احدى وثمانين محبوبن محبورين وابتنى بهـا عثمان لحين وصولها فكانت من عقائل قصورهم ومفاخر دولتهم وذكرا لهم ولقومهم اخر الايام

الخبر عن ظهور الدعى ابن ابى عمارة وما وقع من الغريب فى امره

هو احمد بن مرزوق بن ابى عمارة من بيوتات بجاية الطارين عليها من المسيلة ونشا بجاية وسيما محترفا بصناعة الخياطة غمرا غمرا وكان يحدث نفسه بالملك لما كان العارفون زعم يخبرونه بذلك وكان هو يخط فيريه خطه ذلك ثم اغترب عن بلده ولحق بصحراء سجلماسة واختلط بعرب المعقل وانتمى الى اهل البيت وادعى انه الفاطمى المنتظر عند الاغمار وانه يحيل المعادن الى الذهب بالصناعة فاشتملوا عليه وتحدثوا بشانه اياما اخبرنى طلحة بن مظفر من شيوخ العمارية احدى بطون المعقل انه راءه ايام ظهوره فى المعقل ملتبسا بتلك الدعوى حتى فضحه العجز ثم لما زهدوا فيه لعجز مدعاه ذهب يتقلب فى الارض حتى وصل الى جهات طرابلس ونزل على دباب وصحب بينهم الفتى نصير مولى الواثق بن المستنصر وتلقب نوبى ولما راءه تبين فيه شبها من الفضل ابن مولاه فطفق يبكى ويقبل قدميه فقال له ابن ابى عمارة ما شانك فقص عليه الخبر فقال له صدقنى فى هذه الدعوى وانا اثيرك من قاتلهم واقبل نصير على امراء العرب مناديا بالسرور بابن مولاه حتى خيل عليهم ثم لبس بما دس الى ابن عمارة من محاورات وقعت بين العرب وبين الواثق قصها عليهم ابن ابى عمارة نفيا للريب بامره فصدقوا واطمانوا واتوه ببيعتهم وقام بامره مرغم بن صابر بن عسكر امير

دباب وجمع له العرب ونازلوا طرابلس وبها يومئذ محمد بن عيسى الهنتاتى ويشهر بعنق الفضة فامتنعت عليهم ورحلوا الى مجريس الموطنين بزنزور وجهاتها من هوارة فاوقعوا بهم ثم سار فى تلك النواحى واستوفى جبايته لماية وزوارة وزواغة واغرم نفوسة وغريان ومقـر من بطون هوارة وضائع الزمهم اياها واستوفاها ثم زحف الى قابس فبايع له عبد الملك بن مكى فى رجب سنة احدى وثمانين واعطاه صفقته طواعية وفاه بحق ابائه فيما طوقوه ذريعة الى الاستقلال الذى كان يومله واعلن بخلافته ونادى فى قومه واستخدم له بنى كعب من سليم ورياستهم اذ ذاك فى بنى شيحة لعبد الرحمن بن بياض] بن شيحة فاجابوا داعيه وانابوا الى خدمته وتوافت اليه بيعة اهل جربة والحامة وقرى نفزاوة ثم زحف الى توزر وبلاد قسطيلية فاطاعوه ثم رجع الى قفصة فبايع له اهلها وعظم امره وعلا صيته فجهز اليه السلطان ابو اسحاق العساكر من تونس كما نذكره

الخبر عن انفضاض عساكر السلطان وتقويضه عن تونس

لما تفاقم امر الدعى بنواحى طرابلس ودخل الكثير من اهل الامصار فى طاعته جهز السلطان عساكره وعقد لابنه الامير ابى زكرياء على حربه فخرج من تونس ونزل القيروان واقتضى منها غرامات ووضائع واستاثر منها باموال ثم ارتحل الى لقاء الدعى وانتهى الى تمودة وبلغه هنالك ما كان من استيلاء الدعى على قفصة فارجف به المعسكر وانفضوا من حوله ورجع الى تونس فدخلها اخر يوم من رمضان من سنته وارتحل الدعى على اثره من قفصة واحتل بالقيروان فبايع له اهلها واقتدى بهم اهل المهدية وصفاقس وسوسة

فبايعوا له وكثر الارجاف بتونس فاضطرب السلطان معسكره بظاهر البلد وسط شوال وضرب الغزو على الناس واستكثر من العدد وخرج الى معسكره بالمهدية وتلوم بها لازاحة العلل وارتحل الدعى من القيروان زاحفا اليه فتسربت اليه طبقات الجنود ومشيخة الموحدين رضى بمكانه وصاغية الى بنى المستنصر خليفتهم الطويل امد الولاية عليهم ورحمة لما نال الواثق وابناءه من عمهم ثم انفض عن السلطان كبير الدولة موسى بن ياسين فى معظم الموحدين ولقى الدعى بطريقه فاختل امر السلطان وانتقضت عرى ملكه وفر الى بجاية كما نذكره

الخبر عن لحاق السلطان ابى اسحاق ببجاية ودخول الدعى بن ابى عمارة الى تونس وما كان امره بها

لما انفض معسكر السلطان ابى اسحاق اخر شوال من سنة احدى وثمانين ركب فى خاصته وبعض جنوده ذاهبا الى بجاية ومر بتونس فوقف عندها حتى احتمل اهله وولده وسار فى كلب البرد فكان يعانى من قلة الاقوات وتعاور المطر والثلج شدة وكان يصانع القبائل فى طريقه ببذل ماله ثم مر بقسنطينة فمنعه عاملها عبد الله بن يوقيان (1) الهرغى من دخولها وقرب اليه بعض القرى من الاقوات وارتحل الى بجاية فكان من امره ما يذكر ودخل الدعى ابن ابى عمارة الى الحضرة وقلد موسى بن ياسين وزارته وابا القاسم احمد بن الشيخ حجابته وتقبض على صاحب الاشغال ابى بكر ابن الحسن بن خلدون فاستصفاه وصادره على مال امتحنه عليه ثم قتله

(1) La ponctuation de ce nom varie dans les mss.

خنقا وصرف خطة الجباية الى عبد الملك بن مكى رئيس قابس واستكمل القاب الملك وقسم الخطط بين رجال الدولة وصرف همه الى غزو بجاية

الخبر عن استبداد الامير ابى فارس بالامر عند وصول ابيه اليه

لما وصل السلطان ابو اسحاق الى بجاية شهر ذى القعدة من سنته طريدا عن ملكه عاطلا عن حلى سلطانه انتقض عليه ابنه الامير ابو فارس ومنعه من الدخول الى قصره فنزل بروض الرفيع واراده على الخلع فانخلع له واشهد الملاء من الموحدين ومشيخة بجاية بذلك وانزله قصر الكوكب ودعا الناس الى بيعته اخر ذى القعدة فبايعوه وتلقب المعتمد على الله ونادى فى اوليائه من رياح وسدويكش وخرج من بجاية زاحفا الى الدعى واستخلف عليها اخاه الامير ابا زكرياء وخرج معه عمه الامير ابو حفص واخوته فكان من امرهم ما نذكر

الخبر عن زحف الامير ابى فارس للقاء الدعى ثم انهزامه امامه واستلحامه واخوته فى المعركة وما كان اثر ذلك من مهلك ابيهم السلطان ابى اسحاق وفرار اخيهم الامير ابى زكرياء الى تلمسان

لما بلغ الخبر الى الدعى باستبداد الامير ابى فارس على ابيه واستعداده للقائه تقبض على اهل البيت الحفصى فاعتقلهم بعد ان هم بقتلهم وخرج من تونس فى عساكره من الموحدين وطبقات الجند فى صفر سنة ثنتين وثمانين فانتهى الى مرماجنة وتراءى الجمعان ثالث ربيع الاول فاقتتلوا عامة يومهم

ثم اختل مصاف الامير ابى فارس وتخاذل انصاره فقتل فى المعركة وانتهب معسكره وقتل اخواته جميعا صبرا عبد الواحد قتله الدعى بيده وعمر وخالد ومحمد بن عبد الواحد وبعث برءوسهم الى تونس فطيف بها على الرماح ونصبت باسوار البلد وتخلص عمه الامير ابو حفص من الواقعة الى ان كان من امره ما نذكر وبلغ خبر الواقعة الى بجاية فاضطرب اهلها وماجوا بعضهم فى بعض وجمعهم قاضيهم ابو محمد عبد المنعم بن عتيق الجزائرى للحديث فى الشان فتكالبوا وزجرهم ابنه فقتلوه ثم اشخصوا القاضى الى بلده فى البحر وخرج السلطان ابو اسحاق وابنه الامير ابو زكرياء الى تلمسان فقدم اهل بجاية عليهم محمد بن اسرعين (1) قائما فيهم بطاعة الدعى وخرج فى اتباع السلطان فادركه بجبل بنى غبرين من زواوة فتقبض عليه ونجا الامير ابو زكرياء الى تلمسان وبقى السلطان ابو اسحاق ببجاية معتقلا ريثما بلغ الخبر الى تونس وارسل الدعى محمد بن عيسى بن داوود فقتله اخر ربيع الاول سنة ثنتين وثمانين وانقضى امره ولله عاقبة الامور

الخبر عن ظهور الامير ابى حفص وبيعته وما كان على اثر ذلك من الاحداث

قد ذكرنا ان الامير ابا حفص حضر واقعة بنى اخيه مع الدعى بمرماجنة فخلص من المعركة راجلا ونجا الى قلعة سنان معقل هوارة القريب من مكان الملحمة ولاذ به فى ذهابه الى منجاته ثلاثة من صنائعهم ابو الحسين ابن ابى بكر بن سيد الناس ومحمد بن القاسم بن ادريس (2) الفازازى ومحمد

(1) Le ms. B porte اسرغين

(2) Ces deux mots sont laissés en blanc dans les mss A et D.

ابن ابى بكر بن خلدون وهو جد المولف الاقرب وربما كانوا يتناقلونه على ظهورهم اذا اصابه الكلال ولما نجا الى قلعة سنان تحدث به الناس وشاع خبر منجاته اليها وكان الدعى قد اسف العرب وثقلت وطاته عليهم بما كان يسىء الملكة فيهم فليوم دخوله شكى اليه الناس عيثهم فتقبض على ثلاثة منهم وقتلهم وصلبهم ثم سرح شيخ الموحدين عبد الحق بن تافراكين لحسم عللهم واوعز اليه بالاثخان فيهم فاستلحم من لقى منهم ثم تقبض على مشايخ بنى علاق واودع سجونه منهم نيفا على ثمانين فساء اثره فيهم وتطلبوا اعياص البيت وتسامعوا بخبر الامير ابى حفص بمكانه من قلعه سنان فدخلوا اليه واتوه بيعتهم فى ربيع سنة ثلاث وثمانين وجمعوا له شيئا من الالة والاخبية وقام بامره ابو الليل (1) بن احمد اميرهم وبلغ الخبر الى الدعى فداخلته الظنة فى اهل دولته وتقبض على ابى عمران بن ياسين شيخ دولته وعلى ابى الحسن بن ياسين وابن وانودين وعلى الحسين بن عبد الرحمن يعسوب زناتة فامتحنهم واستصفى اموالهم ثم قتلهم اخرا وتوجع لهم الناس واضطرب امر الدعى الى ان كان ما نذكره

الخبر عن خروج الدعى ورجوعه واستيلاء السلطان ابى حفص على ملكه وغلبه ومهلكه

لما ظهر السلطان ابو حفص وبايعوه العرب تسامع اهل الحضرة واجتمع اليه الناس واوقع الدعى باهل الدولة فمقتوه وخرج من تونس يريد قتاله فارجف به اهل معسكره ورجع منهزما ودخلت البلاد فى طاعة السلطان ابى

(1) On trouve quelquefois ce nom écrit ابو اليل

حفص ونهض الى تونس فنزل بمحوم قريبا منها وعسكر الدعى بظاهر البلد تجاهه وطالت بينهما الحرب اياما والناس فى كل يوم يستوضحون خبء الدعى ومكره الى ان تبرءوا منه واسلموه ودخل من مكان معسكره ولاذ بالاختفاء ودخل السلطان البلد فى ربيع الاخر سنه ثلاث وثمانين واستولى على سرير ملكه وطهره من دنس فاضحه ودعيه واختفى الدعى بتونس وغاص فى لجة ساكنها واحاط به البحث فعثر عليه لليال من مدخل السلطان بدور بعض السوقة يعرف بابى القاسم القرمادى فهدمت لحينها وتل الى السلطان فاحضر له الملاء ووبخه وسائله فاعترف بادعائه فى بيتهم فامر بامتحانه وقتله وذهب فى غير سبيل مرحمة وطيف بشلوه ونصب راسه وكان عبد الله بن يغمور المباشر لقتله وكان خبرد من المثلات واستبد السلطان بملكه وتلقب المستنصر بالله وبرز الناس الى الدخول فى طاعته وبعث اهل القاصية بيعتهم من طرابلس وتلمسان وما بينهما وعقد للشيخ ابى عبد الله الفازازى على عسكره وعلى الحروب والضاحية واقطع البلاد والمغارم للعرب رعيا لذمة قيامهم بامره ولم يكن لهم قبلها اقطاع وكان الخلفاء قبله يتحامون عن ذلك ولا يفتحون فيه على انفسهم بابا واقام متمليا ملكه وادعا فى حضرته الى ان كان ما نذكر

الخبر عن استيلاء العدو على جزيرة جربة وميورقة ومنازلته المهدية واجلابه على السواحل

كان من اعظم الحوادث فى ايام هذا السلطان تكالب العدو على الجزر البحرية فاستولت عساطيلهم على جزيرة جربة فى رجب من سنة ثلاث وثمانين

ورياستها يومئذ من محمد بن سمّون (1) شيخ الوهبية ويخلف بن امغار (2) شيخ النكارة. وهما فرقتا الخوارج وزحف اليها المراكية صاحب صقلية نائبا عن الفدريك بن الريداكون ملك برشلونة فى اساطيله البحرية وكانوا فيما قيل سبعين اسطولا من غربان وشوانى وضايقهم مرارا ثم تغلبوا عليها فانتهبوا اموالها واحتملوا اهلها اسرى وسبيا يقال انهم بلغوا ثيانية الاف بعد ان رموا بالرضع فى الجبوب فكانت هذه الواقعة من اشجى الوقائع للمسلمين ثم بنوا بساحلها حصنا واعمروه وشحنوه حامية وسلاحا وفرض عليهم المغرم ماية الف دينار فى سنة واقاموا على ذلك وهلك المراكيا على راس المابة وبقيت الجزيرة فى ملكة النصارى الى ان اعادها الله فى اواخر الاربعين والسبعماية كما نذكر وفى سنة خمس وثمانين ظفر العدو بجزيرة ميورقة ركب اليها طاغية برشلونة فى اساطيله فى عشرين الفا من الرجال المقاتلة ومروا بميورقة كانهم سفر من التجار وطلبوا من ابى عمر بن حكم رئيسها النزول للاستقاء فاذن لهم فلما تساحلوا اذنوا اهلها بالحرب فتزاحفوا ثلاثا يثخن فيهم المسلمون فى كلها قتلا وجراحة بما يناهزوا الالاف والطاغية فى بطارقته قاعد عن الزحف فلما كان فى اليوم الثالث واستولت الهزيمة على قومه زحف الطاغية فى العسكر فانهزم المسلمون ولحق الى قلعتهم فانحصروا بها وعقدوا لابن حكم ذمة فى اهله وحاشيته فخرجوا الى سبتة ونزل الباقون على حكم العدو فاجازهم الى جارتهم منورقة (3) واستولى على ما فيها من الدخيرة والعدد والامر بيد الله وفى سنة ست وثمانين بعدها غدر النصارى بمرسى الخرز فاقتحموها بعد ان ثلموا اسوارها واكتسحوا ما فيها واحتملوا اهلها اسرى واضرموا بيوتها نارا ثم مروا بمرسى تونس وانصرفوا الى بلادهم وفيها

(1) Le ms A porte سمو et le ms. B سموم — (2) Plus loin ce nom est écrit اومغار —
(3) Tous nos mss. portent ميورقة

او فى سنة تسع بعدها نازل اسطول العدو مدينة المهدية وكان فيهم الفرسان لقتالها فزحفوا اليها ثلاثا ظفر بهم المسلمون فى كلها ثم جاء مدد اهل الاجم فانهزم العدو حتى اقتحموا عليهم الاسطول وانقلبوا خائبين وتمت النعمة

الخبر عن استيلاء الامير ابى زكرياء على الثغر الغربى بجاية والجزائر وقسنطينة واولية ذلك ومصائره

كان للامير ابى زكرياء ابن السلطان ابى اسحاق من الترشيح للامر بهديه وشرف همته وحسن ملكته ومخالطته اهل العلم ما شهد له بمغبة حاله وهو الذى اختط المدرسة للعلم بازاء دار الاقورى حيث كان سكناه بتونس ولما لحق بتلمسان بعد منجاته من مهلك ابيه ببجاية نزل على صهره عثمان بن يغمراسن بتلمسان وجاء فى اثره ابو الحسين بن ابى بكر بن سيد الناس صنيعة ابيه واخيه بعد ان خلص مع السلطان ابى حفص من الواقعة الى مرماجنة فلما بايع له العرب وبدت مخائل الملك راى ابو الحسين ايثار السلطان للفازازى عليهم فنكب عنه ولحق بالامير ابى زكرياء بتلمسان واستحثه لطلب ملكه واستقرض من تجار بجاية هنالك مالا انفقه فى اقامة ابهة الملك له وجمع الرجال واصطنع الاولياء وفشا الخبر بما يرومه من ذلك فصده عثمان بن يغمراسن عنه لما كان تقلد من طاعة السلطان ابى حفص على سننهم مع الخلفاء بالحضرة قبله فاعتزم الامير ابو زكرياء على شانه وخرج من تلمسان موريا بالصيد الذى كان ينتحله ايام مقامه بينهم ولحق بداوود ابن هلال بن عطاف امير بنى يعقوب وكافة بنى عامر من زغبة واوعز عثمان ابن يغمراسن الى داوود برده اليه فابى من اخفار ذمته وارتحل معه بقومه

الى اخر بلاد زغبة ونزلوا على عطية بن سليمان بن سباع من روساء الدواودة فتلقاه بالطاعة وارتحلوا جميعا الى ضراحى قسنطينة فدخل العرب وسدويكش فى طاعته ونزل البلد سنة ثلاث وثمانين وعاملها يومئذ ابن يوقيان من مشيخة الموحدين وكان صاحب الجباية بها ابو الحسن بن طفيل كان له من العامل فداخل الامير ابا زكرياء فى شان البلد وشرط لنفسه وصهره فامضى السلطان شرطهم وامكنوه من البلد واقاموا بها دعوته وارتحل الى بجاية وكانت قد حدث فيها اضطراب بين اهلها ادى الى الخلاف والتباين واستحثوا الامير ابا زكرياء فاغذ السير اليهم ودخلها سنة اربع وثمانين ويقال ان ملكه لبجاية كان سابقا على ملكه لقسنطينة وهو الاصح فيما سمعناه من شيوخنا وبعث اليه اهل الجزائر وتدلس بطاعتهم فاستولى على هذه الثغور الغربية وتلقب المنتخب لاحياء دين الله واغفل ذكر امير المومنين ادبا مع عمه الخليفة بالحضرة حيث ملاء الموحدين اهل الحل والعقد من الجماعة ونصب للحجابة ابا الحسين بن سيد الناس فقام بها ورشح ملكه وملك بنيه بهذه الناحية الغربية وانقسمت به الدولة الى ان خلص الامر للملوك من عقبه واستولوا على الحضرة كما نذكر

الخبر عن حركة الامير ابى زكرياء الى ناحية طرابلس ومنازلة عثمان بن يغمراسن بجاية فى مغيبه

لما استولى الامير ابو زكرياء على الناحية الغربية واقتطعها من اعمال الحضرة اعتمل فى الحركة على تونس فنهض اليها فى عساكره سنة خمس وثمانين ووفد عليه عبد الله بن رحاب بن محمود من مشيخة دباب ومانعه الفازازى

عن احواز تونس فنازل قابس وحاصرها وكان له فى قتالها اثر واستوت الهزيمة على مقاتلها ذات يوم فاثخن فيهم قتلا واسرا وهدم ربضها واحرق المنازل فى غابتها والنخل وارتحل الى مسراتة وانتهى الى الابيض واطاعه الجوارى والمحاميد وال سالم وعرب برقة وبلغه بمكانه من مسراتة ان عثمان ابن يغمراسن اسف الى منازلة بجاية وكان من خبره ان الامير ابا زكرياء لما فصل من تلمسان لطلب ملكه على كره منه وامتنع جاره داوود بن عطاف من رده امتلا له عداوة وانحرافا وجدد البيعة لصاحب تونس واوفد بها على ابن محمد الخراسانى من صنائعه وكان له اثناء ذلك ظهور على بنى توجين ومغراوة بالمغرب الاوسط وصاق ذرع اهل الحضرة بمكان الامير ابى زكرياء من مطالبتهم وتدويخه لقاصيتهم فداخلوا عثمان بن يغمراسن فى منازلة معقله ثغر بجاية ليردوه الى عقبه عنهم فزحف الى بجاية سنة ست وثمانين ونازلها اياما وامتنع عليه سائر ضواحيها ولم يظفر باكثر من الاطلال عليها وانكفا الامير ابو زكرياء راجعا الى بجاية سنة ست وثمانين الى ان كان من امره ما نذكر

الخبر عن فاتحة استبداد اهل الجريد

كان فى بعض الايام بين سدّادة وكنّومة من عمل تقيوس فتنة قتل فيها ابن لشيخ سدادة واقسم ليثارن فيه بشيخ كنومة نفسه وكان عامل توزر محمد بن يحيى بن ابى بكر التينملى من مشيخة الموحدين فتذمم شيخ كنومة به وبذل له مالا على نصره من عدوه فكاتب الحضرة واعلن بخلاف اهل سدادة واحتشد لهم اهل نفطة وتقيوس وخرج هو فى حشد اهل توزر غزاهم

فى بلدهم ولاذ باعطاء الرهن وبذل المال فلم يقبل فامدهم اهل نفزاوة وزحفوا اليه فانهزمت جموعه واثخنوا فيهم قتلا واسرا الى توزر وذلك سنة ست وثمانين ثم عاود غزوهم عقب ذلك فبلجوا (1) عليه ثم عقد لهم سلما على الوفاء بمغارمهم واشترطوا ان لا حكم عليهم فى سواهم وان روساء نفزاوة منهم فامضى شرطهم وكانت اول استبداد الجريد كما نذكر

الخبر عن خروج عثمان ابن السلطان ابى دبوس داعيا لنفسه بجهات طرابلس

كان ابو دبوس اخر خلفاء بنى عبد المومن بمراكش لما قتل سنة ثمان وستين وستماية وافترق بنوه وتقلبوا فى الارض لحق منهم عثمان بشرق الاندلس ونزل على طاغية برشلونة فاحسن تكريمه ووجد هنالك اعقاب عمه السيد ابى زيد المنتصر اخى ابى دبوس فى مثواهم من ايالة العدو وكان لهم هنالك مكان وجاه لنزوع ابيهم السيد ابى زيد عن دينه الى دينهم فاستبلغوا فى مساهمة قريبهم هذا الوافد وخطبوا له من الطاغية خطا ووافق ذلك حصول مرغم ابن صابر بن عسكر شيخ الجوارى من بنى دباب فى قبضة اسره وكان قد اسره العدى (2) من اهل صقلية بنواحى طرابلس سنة ثنتين وثمانين وباعوه من اهل برشلونة فاشتراه الطاغية واقام عنده اسيرا الى ان نزع اليه عثمان بن ابى دبوس هذا كما ذكرناه وشمر لطلب حقه فى الدعوة الموحدية حيث كانت وامل الظفر فى القاصية لبعدها عن الحامية فعبر البحر الى

(1) Ce mot est écrit d'une manière différente dans chaque manuscrit. — (2) Les mss. A et D portent المغرى

طرابلس وكان من حظوظ كرامته عند الطاغية ان اطلق له مرغم بن صابر وعقد له حلفا معه على مظاهرته وجهز لهما الاساطيل وشحنها بالمدد من المقاتلة والاقوات على مال شرطوه له فنزلوا على طرابلس سنة ثمان وثمانين واحتشد مرغم قومه وحملهم على طاعة ابن ابى دبوس ونازلوا البلد معه ومع جنده من النصرانية فحاصروها ثلاثا وساء اثرهم فيها ثم دخل النصارى باسطولهم وارسوا باقرب السواحل الى البلد وتنقل ابن ابى دبوس ومرغم فى نواحى طرابلس بعد ان انزلوا عليها عسكرا للحصار فاستوفوا من جباية المغارم والوضائع مالا دفعوه للنصارى فى شرطهم وانقلبوا باسطولهم واقام ابن ابى دبوس يتقلب مع العرب واستدعاه ابن مكى من بعد ذلك لانه (1) يشبه به فى استبداده فلم يتم امره الى ان هلك بجربة سنة [بياض] والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن مهلك ابى الحسين بن سيد الناس صاحب بجاية
وولاية ابن ابى جَبِّى (2) مكانه

قد قدمنا سلف هذا الرجل واوليته وانه لحق بالامير ابى زكرياء بتلمسان وابلى فى خدمته فلما استولى الامير ابو زكرياء على الثغر الغربى واقتطعه عن اعمال الحضرة ونزل بجاية وضاهى بها تونس عقد لابى الحسين بن سيد الناس على حجابته وفوض اليه فيما وراء بابه واجراه فى رياسته على سنن ابن ابى الحسين الرئيس قبله فى دولة المستنصر الذى كانوا

(1) Les mss. B et D portent لان — (2) Dans les mss., ce nom est écrit tantôt حبى et tantôt جبى

يتقلبون طرقه وينزعون الى مراميه بل كانت رياسة هذا فى مجابته ابلغ من رياسة ابن ابى الحسين لخلاء جو الدولة بجايــة من مشيخة الموحدين الذين يزاحمونه كما كان ابن ابى الحسين مزاحما بهم فاستولى ابو الحسين بن سيد الناس على الدولة بجاية وقام بامر مخدومه احسن قيام وصار الى الحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وتمكن فى يده الــزمام الى ان هلك سنة تسبعين اعظم ما كان رياسة واقرب من صاحبه مكانا وســرا فاقام الامير ابو زكرياء مكانه كاتبه ابا القاسم ابن ابى جبى لا ادرى من اوليتـه اكثر من انه من جالية الاندلس ورد على الــدولة وتصــرف فى اعمالها واتصل بابى الحسين بن سيد النـاس فاستكتبه ثم رقاه وخلطـه بنفسه واجرّه رسنه وتناول زمام الدولة من يد ابن سيد الناس فقادها فى يد مطهر (1) خدمته حتى عنت اليه الوجوه واملـه الخاصة واضطلع السلطان على اضطلاعه وكفايته فى امور مخدومه وهلك ابو الحسين بن سيد الناس فرشحه السلطان بخطته فقام بها سائر ايام ابنه الامير ابى البقاء حتى كـان من امره ما نذكره بعد

الخبر عن خروج الزاب عن طاعة الامير ابى حفص الى طاعة الامير ابى زكرياء صاحب بجاية وانتظام بسكرة فى عمله

كان السلطان ابو اسحاق قد عقد على الزاب لفضل بن على بن مزنى من مشيخة بسكرة كما قدمناه فقام بامره ولما هلك السلطان عدا عليـه بعض افاريق العرب الموطنين قرى الزاب بمداخلة قوم من اعدائه وقتلــوه سنة

(1) Le ms. A porte مظهر

ثلاث وثمانين كما نذكره واملوا الاستبداد بالبلد فدفعهم عنها المشيخة من بنى رمان واستقلوا بامر بلدهم وبايعوا للامير ابى حفص صاحب الحضرة ودانوا بطاعته على السنن وتوقعوا عادية منصور بن فضل بن مزنى وكان لحق بالحضرة عند هلك ابيه فخاطبوا فيه السلطان ابا حفص ورموه بالدواهى فامر باعتقاله واودع السجن سبع سنين الى ان فر منه ولحق بكرفة من احياء هلال بن عامر وهم العرب المتولون امر جبل اوراس ونزل على الشبه من افاريقهم فاركبوه وكسبوه ولحق ببجاية سنة ثنتين وتسعين فنزل بباب السلطان ورغبه فى ملك الزاب وصانع الحاجب ابن ابى جبى بانواع التحف وضمن له تحويل الدعوة بالزاب لسلطانه الامير ابى زكرياء وتسريب جبايته اليه فاستماله بذلك وعقد له على الزاب وامده بالعسكر ونازل بسكرة فامتنعت عليه وراى مشيختها بنو رمان بعدهم عن صريخ تونس والحاح عدوهم منصور ابن فضل عليهم فاعلنوا بطاعة الامير ابى زكرياء وبعثوا اليه بيعتهم ووفدهم ورفع عادية ابن مزنى عنهم وفرجعهم بما املوه من القبول وان تكون احكامهم الى قائد عسكره ونظر ابن مزنى مصروفا الى الجباية فقط ولما وصل الوفد الى بسكرة خرجوا الى القائد ومنصور بن مزنى فادخلوهما البلد ودانوا بالطاعة وتصرفت الامور على ذلك الى ان كان من امر منصور بن مزنى ما نذكره فى اخباره ولم يزل الزاب فى دعوة الامير ابى زكرياء وبنيه الى ان استولى على الحضرة وبعده لهذا العهد كما تراه فى الاخبار بعد ان شاء الله تعالى

الخبر عن مهلك ابى عبد الله الفازازى شيخ الموحدين والحاجب ابى القاسم بن الشيخ روساء الدولة بالحضرة

كان ابو عبد الله الفازازى من مشيخة الموحدين وكان خالصة للسلطان ابى حفص وعقد له على العساكر كما قدمناه ودفعه الى الحروب وتمهيد النواحى فقام فى ذلك المقام المحمود ودوخ الجهات واستنزل الثوار ودفعهم وجبا الخراج وكانت له فى ذلك اثار مذكورة وفى بلاد الجريد ومشيختها تصاريف واحوال وهو الذى امتحن احمد بن يملول بسعاية المشيخة من اهل توزر وكبح عنانه عن مراميه الى الرياسة عليهم وهلك اخر حركاته الى بلاد الجريد على مرحلتين من تونس سنة ثلاث وتسعين ولسنة منها كان مهلك الحاجب ابى القاسم بن الشيخ وكان من خبر اوليته انه قدم من بلده دانية الى بجاية سنة ست وعشرين واتصل بعاملها محمد بن ياسين فاستكتبه وغلب عليه واستدعى ابن ياسين الى الحضرة وابن الشيخ فى جملته والتمس السلطان من يرشحه لكتابته ويخف عليه فاطنب ابن ياسين فى وصف كاتبه ابى القاسم بن الشيخ وحلاه وابتلاه السلطان فلم يرضه وصرفه ثم راجع رايه فيه واستحسنه ورسمه فى خدمته وامر ابن ابى الحسين بتلقينه الاداب وتصريفه فى وجوه الخدمة ومذاهبها فكان له فى ذلك غناء وخفة على مخدومه الى ان هلك ابن ابى الحسين وكان الخرج بدار السلطان موقوفا على نظره من جملة ما اليه وكان قلمه عاملا فيه فافرد ابن الشيخ بذلك بعد مهلكه الى اخر ايام السلطان المستنصر ولما ولى الواثق استبد ابن الحببر عليه كما قلناه فابقاه على خطته واختصه لنفسه ودرجه فى جملته

ثم جاءت دولة السلطان ابى اسحاق فاقامه فى رسمه وزاحمه بابى بكر بن خلدون صاحب اشغاله وكانت الرياسة الكبرى على عهده لبنيه ابى فارس ثم ابى زكرياء وابى محمد عبد الواحد من بعده ثم كانت مضلة الدعى واستولى على ملكهم فاستخلص ابا القاسم بن الشيخ واستضاف له الى خطة التنفيذ كتاب العلامة فى فواتح السجلات فلما ارتجع السلطان ابو حفص ملكه وقتل الدعى خافه ابن الشيخ لما كان من رتبته عند الدعى فلاذ بالصلحاء لاثارة من الخير والعبادة وصلت بينهم وبينه فشفعوا له وتقبلها السلطان واظهر لهم ذات نفسه فى الحاجة الى استعماله وقلده حجابته مجموعة الى تنفيذ الخرج وصرف العلامة الى غير من طبقة الدولة فلم يزل على ذلك الى ان هلك سنة اربع وتسعين وبقى اسم الحجابة من بعده فى هذه الخطط الثلاث وامر التدبير والحرب ورياستهما راجع الى مشيخة الموحدين الى ان تصرفت الاحوال واديل بعضها من بعض كما ياتيك اثناء الاخبار وقلد السلطان من بعد ابن الشيخ حجابته لابى عبد الله المحى (1) من طبقة الجند فقام بها الى اخر الدولة والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن مهلك السلطان ابى حفص وعهده بالامر من بعده

لم يزل السلطان ابو حفص على اكمل حالات الظهور والدعة الى ان استوفى مدته واصابه وجعه اول ذى الحجة من سنة اربع وتسعين ثم اشتد به الوجع واهمه امر المسلمين وما قلدوه من عهدتهم فعهد لابنه عبد الله بالخلافة ثانى ايام التشريق ونكره الموحدون لتخلفه عن المراتب بصغره وانه

(1) Dans tous les mss., ce nom est écrit sans points diacritiques On lit ci après الشخشى

لم يغتلم وتحدثوا فى ذلك وافضى الخبر الى السلطان فاتخطه وعدل عنهم الى الشورى مع الولى ابى محمد المرجانى وكان رايه فيه جميلا وظنه به صالحا وكان الواثق بن المستنصر لما قتل هو بنوه بمحبسهم فرت احدى جواريه وقد اشتملت على حمل منه الى رباط هذا الولى فوضعته فى بيته فسماه الشيخ محمدا وعق عليه واطعم الفقراء يومئذ عصيدة الحنطة فلقب بابى عصيدة اخر الدهر ثم صار بعد الاختفاء ودواعيه الى قصورهم ونشاء فى ظل الخلفاء من قومه حتى شب وبقيت له مع الولى ابى محمد ذمة يتابر كل منهما على الوفاء بها فلما فاوضه السلطان ابو حفص فى شان العهد وقص عليه نكير الموحدين لولده اشار عليه الشيخ بصرف العهد الى محمد بن الواثق فتقبل اشارته وعلم ترشيحه وانفذ بذلك عهده بمحضر الملاء ومشيخة الموحدين وهلك اخر ذى الحجة سنة اربع وتسعين والى الله المصير

الخبر عن بيعة السلطان ابى عصيدة وما كان اثرها من الاحوال

لما هلك السلطان ابو حفص اجتمع الملاء من الموحدين والاولياء والجند والكافة الى القصبة فبايعوا بيعة عامة لولى عهده السلطان ابى عبد الله محمد ويلقب كما ذكرناه بابى عصيدة ابن السلطان الواثق فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة اربع وتسعين فانشرحت لبيعته الصدور ورضيته الكافة وتلقب المستنصر بالله وافتتح امره بقتل عبد الله ابن السلطان ابى حفص لمكان ترشيحه وقلد وزارته محمد بن برزيكن من مشيخة الموحدين وابقى محمد الشخشى على خطة الحجابة وصرف التدبير والعساكر ورياسة الموحدين الى ابى يحيى زكرياء بن احمد بن محمد اللحيانى قتميل السلطان المستنصر عند تعرض

ابنه للبيعة واستنامه الخلافة فقام بما دفع اليه من ذلك وضايقه فيه عبد الحق بن سليمان رئيس الموحدين قبله حتى اذا نكب وهلك استبد هو على الدولة واستقل الشخشى بحجابته وكان محمد بن ابراهيم بن الدباغ رديفا له فيها وكان من خبر ابن الدباغ هذا ان ابراهيم اباه وفد على تونس فى جالية اشبيلية سنة ست واربعين فولد هو بتونس ونشا بها وافاد صناعة الديوان وحسبانه من المبرزين كانا فيه ابى الحسن وابى الحكم ابنى مجاهد واصهر اليهما فى ابنه ابى الحسن فانكحاه ورشحاه للامانة على ديوان الاعمال ولما استقل ابو عبد الله الفازازى بالرياسة استكتبه وكان طياشا مستضعفا على الخليفة فكان كاتبه محمد بن الدباغ يروضه لاغراض الخليفة اذا دسها اليه الحاجب ابن الشيخ فيقع ذلك من الخليفة احسن المواقع ولما ولى السلطان ابو عصيدة وكانت له عنده سابقة رعاها وكان حاجبه الشخشى بهمه غفلا من ادوات الكتاب فاستكتب السلطان ابن الدباغ ثم رقاه الى كتاب علامته سنة خمس وتسعين وكان يتصرف فيها فاصبح رديفا للشخشى فى حجابته وجرت امور الدولة على ذلك الى ان هلك الشخشى سنة سبع وتسعين وقلده السلطان حجابته فاستقل بها على ما قدمنا من ان التدبير والحرب مصروف الى مشيخة الموحدين

الخبر عن نكبة عبد الحق بن سليمان وخبر بنيه من بعده

كان ابو محمد عبد الحق بن سليمان رئيس الموحدين لعهد السلطان ابى حفص واصله من تينملل الموطنين بتبرسق مذ اول الدولة كانت له ولسلفه الرياسة عليهم وصارت اليه رياسة الموحدين كافة بالحضرة ايام هذا السلطان

وكان له خالصة وشيعة وكان حريصا على ولاية ابنه عبد الله للعهد وكان يدافع نكير الموحدين فى ذلك فاسرها له السلطان ابو عصيدة ولما استوسق له الامر وقتل عبد الله بحبسه تقبض على ابى محمد بن سليمان واعتقله فى صفر سنة خمس وتسعين ولم يزل معتقلا الى ان قتل بمحبسه على راس المایة السابعة وفر عند نكبته ابناه محمد وعبد الله فاما عبد الله فلحق بالامير ابى زكرياء وصار فى جملته الى ان دخل تونس مع ابنه السلطان ابى البقاء خالد واما محمد فابعد المفر ولحق بالمغرب الاقصى ونزل على يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين بمعسكره من حصار تلمسان فاستبلغ فى تكريمه واقام عنده مدة ثم عاود وطنه ونزع عن طريقه الى النسك ولبس الصوف وصحب الصالحين وقضى فريضة الحج واستمد عمره وحسنت فيه ظنون الكافة واعتقدوا فيه وفى دعائه وكثرت غاشيته لالتماس البركة منه واوجب له الخلفاء ازاء ذلك تجلة اخرى واوفدوه على ملوك زناتة مرة بعد مرة فى مذاهب الود وقصود الخير وحضر فى بعضها الجهاد بجبل الفتح عند ما نازلته عساكر السلطان ابى الحسن ولم يزل هذا دابه الى ان هلك فى الطاعون الجارف فى منتصف المایة الثامنة

الخبر عن مراسلة يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين ومهاداته

كان السلطان ابو عصيدة لما استفحل امره واستوسق ملكه حدث نفسه بغزو الناحية الغربية وارتجاع ثغورها من يد الامير ابى زكرياء وكان الامير ابو زكرياء قد انتقض عليه اهل الجزائر بعد مهلك عامله عليها من الموحدين من بنى الكمازير وانبرى بها بعده محمد بن علان من مشيختها

واستفحل امر عثمان بن يغمراسن وبنى عبد الواد من ورائه وتغلبوا على توجين ومغراوة ومليكش وكان شيعة لصاحب الحضرة بما كان متمسكا بدعوتهم ومتقبلا مذهب ابيه فى بيعتهم فقويت عزائم السلطان ابى عصيدة لذلك ونهض من الحضرة سنة خمس وتسعين وتجاوز تخوم عمله الى اعمال قسنطينة واجفلت امامه الرعايا والقبائل وانتهى الى ميلة ومنها كان منقلبه الى حضرته فى رمضان من سنته ولما ضايق عمل بجاية بغزوه اعمل الامير ابو زكرياء نظره في تسكين الناحية الغربية ليفرغ عنها الى مدافعة السلطان صاحب الحضرة فوصل يده بعثمان بن يغمراسن واكد معه قديم الصهر بحادث الود والمواصلة وفى خلال ذلك زحف يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين الى تلمسان والقى عليها بكلكله واستجاش عثمان بن يغراسن بالامير ابى زكرياء فامده بعسكر من الموحدين لقيهم عسكر من بنى مرين بناحية تدلس فهزموهم واثخنوا فيهم قتلا ورجع فلهم الى بجاية وسرح يوسف بن يعقوب عساكر بنى مرين الى بجاية وعقد عليها لاخيه ابى يحيى بعد ان كان عثمان بن سباع وفد عليها نازعا عن صاحب بجاية اليه ومرغبا له فى ملكها فاوسع له فى الحبا والكرامة ما شاء وبعث معه هذا العسكر فانتهى الى بجاية وضايقوها ثم جاوزوها الى تاكرارت وبلاد سدويكش وعاثوا فى تلك الجهات ودوخوها وانقلبوا راجعين الى السلطان يوسف بن يعقوب بمعسكره من تلمسان وكان السلطان ابو عصيدة صاحب الحضرة لما علم بامداد الامير ابى زكرياء لعثمان بن يغمراسن بعث الى يوسف بن يعقوب عدوهم وحرضه على بجاية ونواحيها وسفر بينهما فى ذلك رئيس الموحدين ابو عبد الله بن اكمازير اولى سفاراته ثم سفر ثانية سنة ثلاث وسبعماية بهدية فخمة اغرب فيها بسرج وسيف ومهامز من الذهب مرصعة الحلى بالفاخر من حصباء الياقوت والجوهر ووافقه فى هذه السفارة الثانية وزير الدولة ابو عبد الله بن

برزيكن ورجعا بهدية فخمة من يوسف بن يعقوب كان من جملتها ثلاثماية من البغال واتصلت المخاطبات والسفارات والهدايا والملاطفات وكان يوسف ابن يعقوب يكاتب السلطان فى تلك الشوءن تعريضا ويكاتب رءيس الموحدين ابا يحيى بن اللحيانى تصريحا وترددت عساكر بنى مرين الى نواحى بجاية الى ان هلك يوسف بن يعقوب كما ياتى فى اخباره

الخبر عن مقتل هدّاج وفتنة الكعوب وبيعتهم لابى دبوس وما كان بعد ذلك من نكبتهم

كان هولاء الكعوب قد اثرتهم الدولة واصطنعتهم منذ قيامهم بامر الامير ابى حفص فاعتزوا ونموا وبطروا النعمة وكثر عيثهم وفسادهم وطال اضرارهم بالسابلة وحطمهم للجنات وانتهابهم للزرع فاضطغن لهم العامة وحقدوا عليهم سوء اثارهم ودخل رءيسهم هداج بن عبيد سنة خمس وسبعماية الى البلد فخزرته العيون وهمت به العامة وحضر المسجد لصلاة الجمعة فتجنوا عليه بانه وطئ المسجد بخفه وقال لمن نكر عليه ذلك انى ادخل به مجلس السلطان فثاروا به عقب الصلاة وقتلوه وجروا شلوه فى سكك المدينة فزاد عيثهم واجلابهم على السلطان واستقدم احمد بن ابى الليل شيخ الكعوب لذلك العهد عثمان ابن ابى دبوس من مكانه بنواحى طرابلس ونصبه للامر واجلب به على الحضرة ونازلها وخرج اليهم الوزير ابو عبد الله بن برزيكن فى العساكر فهزمهم وسار بالعسكر لتمهيد الجهات وتسكين ثائر العرب فوفد عليه احمد ابن ابى الليل ومعه سليمان بن جامع من رجالات هوارة بعد ان راجع الطاعة وصرف ابن ابى دبوس الى مكانه فتقبض عليهما وبعث بهما الى الحضرة

فلم يزالا معتقلين الى ان هلك احمد بمحبسه سنة ثمان وقام بامر الكعوب محمد بن ابى الليل ومعه حمزة ومولاهم ابناء اخيه عمر رديفين له ثم خرج الوزير بالعساكر ثانية سنة سبع واستوفد مولاهم بن عمر وتقبض عليه وبعث به الى الحضرة فاعتقل مع عمه احمد وجاهر اخوه حمزة بالنفاق واتبعه عليه قومه فكثر عيثهم واضروا بالرعايا وكثرت الشكاية من العامة ولغطوا بها فى الاسواق وتصايحوا ثم نفروا الى باب القصبة يريدون الثورة فسد الباب دونهم فرموا بالحجارة وهم فى ذلك يعتدون ما نزل بهم من الحاجب ابن الدباغ ويطلبون شفاء صدورهم بقتله ورفع امرهم الى [بياض] واستلحامهم جميعا فابى من ذلك السلطان وامر بملاطفتهم الى ان سكنت هيعتهم ثم تتبع العقاب من تولى كبر ذلك منهم وانحسم الداء وكان ذلك فى رمضان من سنة ثمان واستمر العرب فى غلوائهم الى ان هلك السلطان فكان ما ياتى ذكره

الخبر عن انتقاض اهل الجزائر واستبداد ابن علان بها

قد قدمنا ما كان من انتقاض اهل الجزائر ايام المستنصر ودخول عساكر الموحدين عليهم عنوة واعتقال مشيختهم بتونس حتى اطلقوا بعد مهلكه ولما استقل الامير ابو زكرياء الاوسط بملك الثغور الغربية من بجاية وقسنطينة وكان الوالى على الجزائر ابن اكمازير (1) من مشيخة الموحدين فبادر الى طاعته باتفاق من مشيخة الجزائر ووفدوا عليه وكتب لابن اكمازير بولايتها فلم يزل واليا عليهم الى ان كان شان بنى مرين وزحفهم الى بجاية وكان ابن

(1) Les mss. portent ici اكمار

اكمازير قد اسن وهرم فادركته الوفاة خلال ذلك وكان ابن علان من مشيخة الجزائر مختصا به ومتصرفا فى اوامره ونواهيه ومصدرا لامارته حصلت له بذلك الرياسة على اهل الجزائر سائر ايامه ويقال كان له معه صهر فلما هلك ابن اكمازير حدثته نفسه بالاستبداد والانتزاء بالجزائر فبعث عن اهل الشوكة من نظرائه ليلة هلاك اميره وضرب اعناقهم واصبح مناديا بالاستبداد وشغل الامير ابو زكرياء عنه بما كان من منازلة بنى مرين ببجاية الى ان هلك وبقيت فى انتقاضها على الموحدين اخر الدهر الى ان تملكها بنو عبد الواد كما نذكره

الخبر عن مهلك الامير ابى زكرياء صاحب بجاية وبيعة ابنه ابى البقاء خالد

كان الامير ابو زكرياء قد استولى على الثغور الغربية كما قلناه واقتطعها من اعمال الحضرة وقسم الدعوة الحفصية بدولتين وكان على غاية من الحزم والتيقظ والصرامة لم يبلغها سواه وكان كثير الاشراف على وطنه والمباشرة لاعماله بنفسه وسد خلله ولم يزل على ذلك الى ان هلك على راس المائة السابعة وكان قد عهد بالامر لابنه الامير ابى البقاء خالد سنة ثمان وتسعين قبلها وعهد له على قسنطينة وانزله بها فلما هلك الامير ابو زكرياء جمع الحاجب ابو القاسم ابن ابى جبى مشيخة الموحدين وطبقات الجند واخذ بيعتهم للامير ابى البقاء وطير له بالخبر واستقدمه فقدم وبويع البيعة العامة وابقى ابن ابى جبى على حجابته واستوزر يحيى بن ابى الاعلام وقدم على صنهاجة ابا عبد الرحمن يعقوب بن خلوف منهم وتسمى المزوار وقلد

رياسة الموحدين ابا زكرياء يحيى بن زكرياء من اهل البيت الحفصى واستمر الامر على ذلك الى ان كان ما نذكره

الخبر عن سفارة القاضى الغبرينى ومقتله

قد قدمنا ما كان من زحف بنى مرين الى بجاية بمداخلة صاحب تونس ولما ولى السلطان ابو البقاء اعتزم على المواصلة مع صاحب تونس قطعا للزبون عنه وعين للسفارة فى ذلك شيخ القرابة ببابه ابا زكرياء الحفصى ليحكم شان المواصلة بينه وبينه وبعث معه القاضى ابا العباس الغبرينى كبير بجاية وصاحب شوراها فادوا رسالتهم وانقلبوا الى بجاية ووجد بطانة السلطان السبيل فى الغبرينى فاغروه به واشاعوا انه داخل صاحب الحضرة فى التوثب بالسلطان وتولى كبر ذلك ظافر الكبير وذكره بجرائره وما كان منه فى شان السلطان ابى اسحاق وانه الذى اغرى بنى غبرين به فاستوحش منه السلطان وتقبض عليه سنة اربع وسبعماية ثم اغروه بقتله فقتل بمحبسه سنته تلك وتولى قتله منصور التركى والله غالب على امره

الخبر عن سفارة الحاجب ابن ابى جبى الى تونس وتنكر السلطان له بعدها وعزله

لما ولى السلطان ابو البقاء كانت عساكر بنى مرين مترددة الى اعمال بجاية بمداخلة صاحب تونس كما ذكرناه فدوخوا نواحيها وكان ابن ابى جبى

مستبدا على الدولة فى حجابته فضاق ذرعه بشانهم واهمته حال الدولة معهم وراى ان اتصال اليد بصاحب الحضرة مما يكف عن غربهم فعزم على مباشرة ذلك بنفسه لوثوقه من سلطانه فخرج من بجاية سنة خمس وسبعماية وقدم على الحضرة رسولا عن سلطانه فاهتزت له الدولة وتلقى بما يجب له ولمرسله من البر وانزله شيخ الموحدين ومدبر الدولة ابو يحيى زكرياء بن اللحيانى بداره استبلاغا فى تكريمه وقضى من امر تلك الرسالة حاجة صدره وكان بطانة الامير ابى البقاء خالد لما خلا لهم وجه سلطانهم منه تهافتوا على التنصح اليه والسعاية بابن ابى جبى عنده وشمر لذلك يعقوب بن غمر وجلا فيه وتابعه عليه عبد الله الرخامى كاتب ابن ابى جبى وصديقه بما كان ابن طفيل قريبه يسخط عليه الناس ويوغر له صدورهم بباوه وتحقيره بهم فالح له العداوة فى كل جانحة واسخطه على عبد الله الرخامى وكان صديقه ومداخله فتولى من السعاية فيه مع يعقوب بن غمر كبرها والقوا الى السلطان ان ابن ابى جبى داخل صاحب الحضرة فى تمكينه من ثغر قسنطينة وبجاية بما كان على بن الامين العامل بقسنطينة صهرا لابن ابى جبى وهو الذى ولاه عليها فاستراب السلطان به وتنكر له بعد عوده من تونس وخشى كل واحد منهما بادرة صاحبه ثم رغب ابن ابى جبى فى قضاء فرضه وتخلية سبيله اليه فاسعف وخرج من بجاية ذاهبا الى الحج ولحق بالقبائل من ضواحى قسنطينة وبجاية فنزل عليهم واقام بينهم مدة ثم لحق بتونس واقام بها الى حين مهلك السلطان ابى عصيدة وبيعة ابى بكر الشهيد وحضر دخول الامير ابى البقاء عليه بتونس وخلص من ثيار تلك الصدمة فلحق بالمشرق وقضى فرضه ثم عاد الى المغرب ومر بافريقية ولحق بتلمسان وغرى ابا حمو بالحركة على بجاية فكان ما نذكره

الخبر عن حجابة ابى عبد الرحمن بن عمر ومصائر اموره

هو يعقوب بن ابى بكر بن محمد بن عمر السلمى وكنيته ابو عبد الرحمن كان جده محمد فيما حدثنى اهل بيتهم قاضيا بشاطبة وخرج مع الجالية ايام العدو الى تونس ونزل بالربض الجوفى ايام السلطان ابى عصيدة وانتقل ابناؤه ابو بكر ومحمد الى قسنطينة ونزلا على ابن اوقيان العامل عليها من مشيخة الموحدين لعهد الامير ابى زكرياء الاوسط فاوسعهما عناية وتكريمة وولى ابا بكر على الديوان بالقل واستخلصه لنفسه وكان يتـــردد الى الحضرة بجاية فى شؤنه فاتصل بمرجان الخصى من موالى الامير ابى زكرياء وخواص داره واستخدم على يده للامير خالد وامه من كرائم السلطان فحظى عندهم وتزوج ابنه يعقوب من ربيات القصر وخوله ونشا فى جو تلك العناية واعلنوا بصحبة الحاج فضل قهرمان دار السلطان وخاصته فاستخدم له سائر ايامه الى ان هلك وكان الحاج فضل كثيرا ما يتردد الى الاندلس لاستجلاب الثياب الحريرية من هنالك وانتقاء اصنافها وكذلك الى تونس لاستجادة الثياب منها وبعثه السلطان اخر امره الى الاندلس فاستصحب ابن عمر وهلك الحاج فضل هنالك فعدل السلطان عن خطاب ابنه محمد الى خطاب ابن عمـــر فامره باتمام ذلك العمل والقدوم به فقدم هو وابن الحاج فضل وسائلهما عن عملهما فكان ابن عمر اوعى من صاحبه فحلى بعينه وخف عليه واعتلق بذمة من خدمته احظته عند السلطان ورقته فاستعمل فى الجباية ثم قلد اعمـــال الاشغال وزاحم ابن ابى جبى وعبد الله الرخامى وغصوا به فاغروا السلطان بنكبته واشخصه الى الاندلس فاقام هنالك واستعطف السلطان ابا البقاء

بعد مهلك ابيه وتشفع بوسائل خدمته فاستقدمه وقدم مع على وحسين ابنى الرنداحى ركب معهما البحر الى بجاية فى مغيب ابن ابى جبى عن الحضرة فصادف من السلطان قبولا وشمر فى السعاية بابن ابى جبى مع مرجان الى ان تم له ما اراد من ذلك وصرف ابن ابى جبى كما ذكرناه فقلد السلطان حجابته ليعقوب بن غمر وقدم على الاشغال عبد الله الرخامى وكان ناهضا فى امور الحجابة لمباشرتها مع مخدومه فاصبح رديفا لابن غمر وخص بمكانه فاغرى به السلطان ودله على مكامن ثورته وعداوته فنكب وصودر وامتحن وغرب الى ميورقة حتى افتداه يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين من اسره واستقدمه ليقلده اشغاله عند تنكرد لعبد الله بن ابى مدين كما نذكره فى اخباره فهلك يوسف بن يعقوب دون ما امل من ذلك واقام الرخامى بتلمسان وبها كان مهلكه واستقل يعقوب بن غمر باعباء خطته واضطلع بها وفوض اليه السلطان فى الابرام والنقض فخول المراتب بنظره واجرى الامور على غرضه وكان اول ما اتاه صرعته لمرجان مصطنعه ملا صدر السلطان عليه وحذره مغبته فتقبض عليه والقى فى البحر يلتقمه الحوت فخلا وجه السلطان لابن غمر وتفرد بالعقد والحل الى ان استولى السلطان ابو البقاء على الحضرة وكان من امره ما نذكره

الخبر عن ثورة ابن الامين بقسنطينة وبيعة السلطان ابى عصيدة ثم فتح السلطان ابى البقاء خالد لها وقتله

كان يوسف بن الامين الهمدانى بعد ان قتله بطنجة ابناء ابى يحيى بن عبد الحق من بنى مرين كما ياتى فى اخبارهم انتقل بنوه الى تونس ايام المستنصر

ورعا لهم السلطان وسيلة قيامهم بالدعوة الحفصية ايام ابى على بن خلاص بسبتة وبعدها الى ان غلبهم عليها العزفى كما نذكر فى اخباره فلقاهم مبرة وتكريما ونزلوا من الحضرة خير نزل تحت جراية ونعمة وعناية وكان كبيرهم متحمقا متعاظما فربما لقى من الدولة لذلك عسفا الا ان الابقاء عليهم كان مانعا من اضطهادهم ونشا بنوهم فى ظل ذلك النعيم ثم هلك السلطان واضطربت الامور وضرب الدهر ضربانه ولحق على منهم بالثغر الغربى وتاكدت له مع ابن ابى جبى لحمة نسب وذمة صهر وتجت بينهما عروقها فلما استقل ابن ابى جبى بحجابة الامير ابى زكرياء لم يال جهدا فى مشاركة على بن الامين وترقيته المنازل الى ان ولاه ثغر قسنطينة مستقلا بها وحاجبا للسلطان ابى بكر ابن الامير ابى زكرياء وانزله معه فقام بحجابته واظهر فيها غناءه وحزمه حتى اذا سخط السلطان ابن ابى جبى وصرفه عن حجابته تنكر ابو الحسن بن الامين وخشى بوادر السلطان فحول الدعوة الى صاحب الحضرة وطير اليه بالبيعة واستدعى المدد والنائب فوصله رئيس الموحدين والدولة ابو يحيى زكرياء ابن احمد ابن محمد اللحيانى وعقد البيعة لسلطانه سنة اربع وسبعماية وبلغ الخبر الى السلطان ابى البقاء بجاية فنهض اليه بالعساكر اخر سنة اربع وسبعماية ونازله اياما فامتنع عليه وهم بالافراج عنه ثم داخل رجل من بطانة ابن الامين يعرف بابن موزة ابا الحسن بن عثمان من مشيخة الموحدين وكان معسكره بباب الوادى فناجزهم الحرب من هنالك حتى انتهى الى السور فتسنمه المقاتلة باغضاء ابن موزة لهم عنه وركب السلطان فى العساكر عند الصدمة ووقف على باب البلد وقد استمكن اولياؤه منه فخرج اليه بنو الغنفل (1) وبنو باديس ومشيخة البلد فاقتحم البلد عنوة ومضى ابو محمد الرخامى فى رجال السلطان الى دار ابن الامين فغشيه بها

(1) Le ms. A porte الغنفذى

وقد انفض عنه الناس واستحصن بغرفة من غرف داره واستمات فلاطفه الرخامى واستنزله ثم حمله على برذون مستدبرا واحضره بين يدى السلطان فقتل ونصب شلوه واصبح اية للمعتبرين

الخبر عن حركة السلطان ابى البقاء الى الجزائر

قد قدمنا ما كان من خبر انتقاض الجزائر على الامير ابى زكرياء واستبداد ابن علان بها فلما استولى السلطان ابو البقاء على الامر وتمهدت له الاحوال واقلع بنو مرين بعد مهلك يوسف بن يعقوب عن تلمسان اعمل السلطان نظره فى الحركة اليها فخرج اليها سنة سبع اوست وانتهى الى متيجة ودخل فى طاعته منصور بن محمد شيخ مليكش وجميع قومه ولجا اليه راشد بن محمد بن ثابت بن منديل امير مغراوة هاربا امام بنى عبد الواد فاواه الى ظله والقى عليه جناح حمايته واحتشد جميع من فى تلك النواحى من القبائل وزحف الى الجزائر واقام عليها اياما فامتنعت عليه وانكفا راجعا الى حضرته بجاية واقام مليكش على طاعته ومطاولته الجزائر بالقتال الى ان كان من امرها وتغلب بنى عبد الواد عليها ما نذكره فى اخبارهم وجاء معه راشد بن محمد الى بجاية متذمما بخدمته الى ان قتله عبد الرحمن بن خلوف كما يذكر فى موضعه

الخبر عن السلم وشروطه بين صاحب تونس وصاحب بجاية

لما افتتح السلطان ابو البقاء خالد قسنطينة وقتل ابن الامين وفرغ

من ذلك الشان ادرك اهل الحضرة الندم على ما استدبروا من مهادنة صاحب الثغر وقارن ذلك مهلك يوسف بن يعقوب الذى كانوا يرجونه شاغلا له فجنحوا الى السلم وبعثوا وفدهم فى ذلك اليه فاسدوا والحموا وشرط عليهم السلطان ابو البقاء ان من هلك منهما قبل صاحبه فالامر من بعده للاخر والبيعة له فتقبلوا الشرط وحضر الملاء والمشيخة من الموحدين ببجاية ثم بتونس فاشهدوا بها على انفسهم وربط ذلك العقد واحكمت اواخيه الى ان نقضه اهل الحضرة عند مهلك السلطان ابى عصيدة كما نذكره

الخبر عن سفر شيخ الدولة بتونس ابى يحيى اللحيانى لحصار جربة ومضيه منها الى الحج

لما انعقد امر هذا الصلح واستتم راجع رئيس الدولة ابو يحيى زكرياء بن اللحيانى نظره لنفسه واعمل فكره فى الخلاص من انشوطته وكان يومل رجوع الوفد المغربيين بالمهدية من امراء الديار المصرية الى يوسف بن يعقوب فيصحبهم لقضاء فرضه وابطا عليه شانهم فاعتزم على قصده وورى بحركته الى جزيرة جربة لاسترجاعها من ايدى النصارى والرجوع عنها من بعد ذلك الى الجريد لتمهيد احواله وتناول الراى فى الظاهر من امره مع السلطان فاذن له وسرح معه العساكر فخرج من تونس فى جمادى سنة ست غازيا الى جربة ولم يزل يغذ السير حتى انتهى الى مجازها ثم عبر منه الى الجزيرة وكان النصارى لما تغلبوا عليها سنة ثمان وثمانين شيدوا بها حصنا لاعتصام الحامية سموه بالقشتيل فنزل فى العساكر عليه وانفذ الشيخ ابو يحيى عماله للجباية واقام فى منازلته شهرين ثم انقطعت الاقوات واستعصى الحصن الا بالمطاولة

فرجع الى قابس ثم ارتحل الى بلاد الجريد وانتهى الى توزر ونزلها واعنى فى خدمته احمد بن محمد بن يملول من مشيختها فاستوفى جباية الجريد وعاد الى قابس وانزله عبد الملك بن عثمان بن مكى بداره وصرح بما ورى عنه من حجه وصرف العساكر الى الحضرة وولى بعده رياسة الموحدين وتدبير الدولة ابو يعقوب بن يزدوتن وتحول عن قابس الى بعض جبالها تجافيا عن هوائها الوخم واقام فى انتظار الركب الحجازى وكان مريضا الى ان ابل فتحول عنه الى طرابلس واقام بها عاما ونصفه الى ان وصل وفد الترك من المغرب الاقصى اخر سنة ثمان فخرج معهم حاجا حتى قضى فرضه وعاد فكان من شانه واستيلائه على منصب الخلافة ما ياتى ذكره ووصل مدد النصرانية الى قشتيل جربة سنة ثمان بعد منصرف العساكر عنهم وفيهم فدريك بن الطاغية صاحب صقلية فقاتلهم اهل الجزيرة من النكارين لنظر ابى عبد الله بن الحسن من مشيخة الموحدين ومعه ابن اومغار فى قومه من اهل جربة فاظفرهم الله بهم ولم يزل شان هذه الجزيرة مع العدو كذلك منذ التاثت دولة صنهاجة وربما وقعت الفتنة بين اهلها من النكارة فتصل احدى الطائفتين يدها بالنصارى الى ان كان ارتجاعها فى هذه النوبة سنة [بياض] واربعين لعهد مولانا السلطان ابى يحيى كما نذكره فى اخباره

الخبر عن مهلك السلطان ابى عصيدة وبيعة ابى بكر الشهيد

كان السلطان ابو عصيدة بعد تملى سلطانه وتمهيد ملكه طرقه مرض الاستسقاء فازمن منه ثم مات على فراشه فى ربيع الاخر سنة تسع ولم يخلف

ابنا وكان بقصرهم سبط من اعقاب الامير ابى زكرياء جدهم ثم من ولد ابى بكر ابنه الذى ذكرنا وفاته فى خبر شقيقه ابى حفص فى فتح مليانة ايام السلطان المستنصر فلم يزل بنوه بقصورهم وفى ظل ملكهم ونشا منهم ابو بكر بن عبد الرحمن بن ابى بكر فى ايالة السلطان ابى عصيدة وربى فى جميم نعمته فلما هلك السلطان ابو عصيدة ولم يعقب وكان السلطان ابو البقاء خالد قد نزع اليه حمزة بن عمر عند اياسه من خروج اخيه من محبسه فرغبه فى ملك الحضرة واستحثه عليها ثم وصل ابو على بن كبير فنعى السلطان ابا عصيدة واستنهض السلطان ابا البقاء لملك تونس فنهض كما نذكره واستراب الموحدون بتونس بشان حركته وخافوه على انفسهم فبايعوا لهذا الامير ابى زكرياء الذى عرف بالشهيد بما كان من قتله لسبع عشرة ليلة من بيعته وابقى ابا عبد الله بن يرزيكن على وزارته وزحزح محمد بن الدباغ عن رتبة الحجابة وتوعده لما كان يحقد عليه من التقصير به ايام سلطانه فكان عونا عليه الى ان هلك عند استيلاء السلطان ابى البقاء كما نذكره

الخبر عن استيلاء السلطان ابى البقاء على الحضرة وانفراده بالدعوة الحفصية

لما بلغ السلطان ابا البقاء بمكانه من بجاية واعمالها الخبر بمرض السلطان ابى عصيدة مع ما كان من العقد بينهما بان من مات من قبل صاحبه جمع الامر من بعده للاخر داخلته الظنة ان ينقض اهل الحضرة هذا الشرط فاعتزم على النهوض لمشارفة الحضرة ووصل اليه حمزة بن عمر نازعا عنهم فرغبه واستحثه وخرج من بجاية فى عساكره وورى بالحركة الى الجزائر لما كان من انتقاضهم على ابيه واستبداد ابن علان بها ثم ارتحل الى قصر جابر وعند

بلوغه اليه ورد الخبر بمهلك السلطان ابى عصيدة وبيعة الموحدين بعده لابى بكر بن عبد الرحمن بن ابى بكر بن الامير ابى زكرياء فاضطغنها على الموحدين واغذ السير وانحاش اليه كافة اولاد ابى الليل واجتمع اقتالهم اولاد مهلهل الى صاحب تونس وخرج معهم شيخ الدولة ابو يعقوب ابن يزدوتن والوزير ابو عبد الله بن يرزيكن فى العساكر للقاء ووقوا سلطانهم بانفسهم فلما زحف اليهم السلطان ابو البقاء اختل مصافهم وانهزموا وانتهب المعسكر وقتل الوزير ابن يرزيكن واجفلت احياء العرب الى القفر ودخل العسكر الى البلد واضطرب الامر وخرج الامير ابو بكر بن عبد الرحمن فوقف بساحة البلد قليلا ثم تفرق عنه العسكر وتسايلوا الى السلطان ابى البقاء وفر ابو بكر ثم ادرك ببعض الجنات فتل الى السلطان واعتقله فى بعض الفازات وغدا على السلطان اهل الحضرة من مشيخة الموحدين والفقهاء والكافة فعقدوا بيعته وقتل الامير ابو بكر فسمى الشهيد اخر الدهر وباشر قتله ابن عمه ابو زكرياء يحيى بن زكرياء شيخ الموحدين ودخل السلطان من الغد الى الحضرة واستقل بالخلافة وتلقب الناصر لدين الله المنصور ثم استضاف الى لقبه المتوكل وابقا ابا يعقوب بن يزدوتن فى رياسته على الموحدين مشاركا لابى زكرياء يحيى بن ابى الاعلام الذى كان رئيسا عنده قبلها واستمر على حظة الحجابة ابو عبد الرحمن يعقوب بن عمر وولى على الاشغال بالحضرة منصور بن فضل بن مزنى وجرت الحال على ذلك الى ان كان ما نذكره

الخبر عن بيعة ابن مزنى ليحيى بن خالد ومصائر اموره

كان يحيى بن خالد ابن السلطان ابى اسحاق فى جملة السلطان ابى البقاء

خالد وتنكرت له الدولة لبعض النزعات نخشى البادرة وفر ولحق بمنصور بن مزنى وكان منصور قد استوحش من ابن غمر فدعاه الى القيام بامره فاجاب وعقد له على مجابته وجمع له العرب واجلب على قسنطينة اياما وبها يومئذ ابن طفيل وكان قد اجتمعت ليحيى بن خالد زعنفة من الاوغاد واشتملوا عليه واشتمل عليهم واغروه بابن مزنى فوعدهم الى حين ظفره واطلع ابن مزنى على سوء دخلته ودخلتهم فقبض يده من طاعته وانصرف عنه الى بلده وانفضت جموعه وراجع ابن مزنى طاعة السلطان ابى البقاء ومخالصة بطانته وحاجبه فتقبلوه ولحق يحيى بن خالد بتلمسان مستجيشا ونزل على اميرها ابى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن فهلك لايام من مقدمه وولى بعده اخوه ابو حمو موسى بن عثمان فامده وزحف الى محاربة قسنطينة فامتنعت عليه ثم استدعاه ابن مزنى الى بسكرة فاقام عنده واسنى له الجراية ورتب عليه الحرس وكان السلطان ابن اللحيانى يبعث اليه من تونس بالجائزة مصانعة له فى شانه حتى لقد اقطع له بتونس من قرى الضاحية فلم يزل فى اسهام بنيه من بعده الى ان هلك يحيى بن خالد بمكانه عنده سنة احدى وعشرين

الخبر عن بيعة السلطان ابى بكر بقسنطينة على يد الحاجب ابن غمر واولية ذلك

لما نهض السلطان ابو البقاء الى الحضرة عقد على بجاية لعبد الرحمن بن يعقوب بن الخلوف (1) مضافا الى رياسته على قومه كما كانوا يستخلفون اباه

(1) Plus loin on trouve ce nom écrit sans article.

عليها عند سفرهم عنها وكان يلقب المزوار وجعله حاجبا لاخيه الامير ابى بكر على قسنطينة فانتقل اليها وعكف السلطان ابو البقاء بتونس على لذاته وارهف حده وعظم بطشه فقتل عدوان بن المهدى بن رجالات سدويكش ودعار بن حريز (1) من رجالات الاثابج فتفاوض رجال الدولة فى شانه وخشوا بادرته واعمل الحاجب ابن غمر وصاحبه منصور بن فضل عامل الزاب الحيلة فى التخلص من ايالته واستغضب (2) راشد بن محمد امير مغراوة كان نزع اليهم عند استيلاء بنى عبد الواد على وطنه فتلقوه من الكرامة بما يناسبه واستقر فى جملتهم وعليه وعلى قومه كانت تدور رحا حروبهم واستصحبه السلطان ابو البقاء خالد الى الحضرة اميرا على زناتة فرفع بعض حشمه الى الحاجب فى مقعد حكمه وقد استعدى عليه بعض الخدم فامر بقتله لحينه واحفظ ذلك الامير راشد بن محمد فركب لها عزائمه وقوض خيامه لحينه مغاضبا فوجد الحاجب بذلك سبيلا الى قصده وتمت حيلته وحيلة صاحبه واهم السلطان شان بجاية ونواحيها وخشى عليها من راشد بما كان صديقا ملاطفا لعبد الرحمن ابن الخلوف وفاوضهما فيمن يدفعه اليها فاشار عليه الحاجب بمنصور بن مزنى واشار منصور بالحاجب وتدافعها اياما حتى دفعهما جميعا اليها وطلب ابن غمر من السلطان العقد لاخيه ابى بكر على قسنطينة فعقد له وولى عليا ابن عمه على الحجابة بتونس نائبا عنه وفصل من الحضرة ولحق بقسنطينة وصرف منصور بن فضل الى عمله بالزاب فكان من خلافه ما يذكر وقام ابن غمر بخدمة السلطان ابى بكر فتصرف فى حجابته ثم داخله فى الانتقاض على اخيه وبدت مخايل ذلك عليهم فارتاب لهم السلطان ابو البقاء واحس على بن غمر بارتيابه فلحق بقسنطينة وجهز السلطان ابو البقاء عسكرا وعقد عليها لظافر مولاه المعروف بالكبير وسرحه الى قسنطينة فانتهى

(1) Les mss. A et D portent جرير — (2) Le ms. A porte استصعب

الى باجة واراح بها الى ان كان من امره ما نذكره وبادر ابن غمر الى المجاهرة بالخلعان ودعا مولانا السلطان ابا بكر اليه فاجابه واخذ له البيعة على الناس فتمت سنة احدى عشرة وسبعماية وتلقب بالمتوكل وعسكر بظاهر قسنطينة الى ان بلغه مجاهرة ابن الخلوف بخلافهم فكان ما نذكره

الخبر عن استيلاء السلطان على بجاية ومقتل ابن خلوف (1) وما كان من الادارة فى ذلك

كان يعقوب بن الخلوف ويكنى ابا عبد الرحمن كبير صنهاجة جند السلطان الموطنين بنواحى بجاية وكان له مكان فى الدولة وغناء فى حروبهم ودفاع عدوهم ولما نزلت عساكر بنى مرين على بجاية مع ابى يحيى بن يعقوب ابن عبد الحق سنة ثلاث وسبعماية كان له فى حروبهم مقامات مذكورة واثار معروفة وكان الامير ابو زكرياء وابنه يستخلفونه ببجاية ازمان سفرهم عنها وكان يلقب بالمزوار ولما هلك خلفه فى سبيله تلك ابنه عبد الرحمن واستخلفه السلطان ابو البقاء خالد على بجاية عند ما نهض الى تونس سنة تسع وانزله بها وكان طموحا لجوجا مدلا بباسه وقومه ومكانه من الدولة فلما دعا السلطان ابو بكر لنفسه وخلع طاعة اخيه واخذ له ابو عبد الرحمن بن غمر البيعة على الناس وخاطبوه باخذ البيعة له على من يليه ببجاية واعمالها فابى منها وتمسك بدعوة صاحبه ونفس على ابن غمر ما تحصل له بذلك من الحظ فجاهر بخلافهم وجمع واحتشد وتقبض على صاحب الاشغال عبد الواحد ابن القاضى ابى العباس الغمارى وعلى صاحب الديوان محمد

(1) On a déjà vu ce nom écrit avec l'article.

ابن يحيى القالون مصطنع الحاجب ابن غمر من اهل المرية كان اسدى اليه عند اجتيازه به معروفا ورحل اليه عند ما استولى على الرتبة بجاية فكافاه عن معروفه واصطنعه والقى اليه محبته ورقاه الى الرتب وصرفه فى اعمال الجباية وقلده ديوان بجاية فتقبض عبد الرحمن بن الخلوف عليه وعلى صاحبه وجمع الناس واعلن بالدعوة للسلطان ابى البقاء خالد وارتحل السلطان ابو بكر من معسكره بظاهر قسنطينة واغذ السير الى بجاية ونزل مطلا عليها واقتتل الناس عامة يومهم وشرط ابن الخلوف على السلطان عزلة ابن غمر وترددت الرسل بينهم فى ذلك وكان الوزير ابو زكرياء بن ابى الاعلام من الساعين فى هذا الاصلاح بما كان له من الصهر مع ابن الخلوف وحين رجع اليه بامتناع السلطان عن شرطه منعه من الرجوع اليهم وحبسه عنده وارجف اهل المعسكر بالسلطان وخاموا عن لقاء صنهاجة ومن معهم من مغراوة اهل الشوكة والعصبية والعديد والقوة واجفل السلطان من معسكره فانتهب واخذت التته وسلب من كان فى المعسكر من اخلاط الناس ودخل السلطان الى قسنطينة فى فل من عسكره وبعث ابن خلوف عسكرا فى اتباعه فوصلوا الى ميلة فدخلوها عنوة ثم وصلوا الى قسنطينة فقاتلوها اياما ورجعوا الى بجاية واقام السلطان واضطرب امره وتوقع زحف ظافر اليه من باجة واتصل به ان ابا يحيى زكرياء بن احمد اللحيانى قفل من المشرق وانه لما انتهى الى طرابلس دعا لنفسه لما وجد بافريقية من الاضطراب فبويع وتوافت اليه العرب من كل جهة فراى السلطان من مذاهب الحزم ان يبعث اليه بالحاجب ابن ابى عبد الرحمن بن غمر ليشيد من سلطانه ويشغل اهل الحضرة عنه فورى بالفرار عن السلطان وتوطا معه على المكر بابن خلوف فى ذلك ولحق ابن غمر باللحيانى واستحثه لملك تونس وهون عليه الامر وغدا السلطان عند فصول ابن غمر على منازله فكبسها وسطا بحاشيته وولى حجابته

حسن بن ابراهيم بن ابى بكر بن ثابت رئيس اهل الجبل المطل على قسنطينة والفل من كتامة ويعرف قومه ببنى نليلان (1) وكان قد اصطنعه من قبل وارتحل بالعسكر الى بجاية سنة ثنتى عشرة واستخلف على قسنطينة عبد الله بن ثابت اخا الحاجب واشيع بالجهات ان السلطان تنكر لابن غمر وسخطه وانه ذهب الى ابن اللحيانى واستحاشه على الحضرة وبلغ ذلك ابن خلوف واستيقن اضطراب حال السلطان خالد بتونس فطمع فى مجابة السلطان ابى بكر وتوثق لنفسه منه بالعهد بمداخلة عثمان بن شبل وعثمان بن سباع ابن يحيى من رجالات الدواودة والولى يعقوب الملارى من نواحى قسنطينة واغذ السير من بجاية ولقى السلطان بفرجيوه من بلاد سدويكش فلقاه مبرة ورحبا ثم استدعاه من جوف الليل الى رواقه فى سرب من مواليه المعلوجى فعاقرهم الخمر الى ان ثمل واستغضبوه ببعض النزعات فغضب واقذع فتناولوه طعنا بالخناجر الى ان قتلوه وجروا شلوه فطرحوه بين الفساطيط وتقبض على سائر قومه وحاشيته وفر كاتبه عبد الله بن هلال فلحق بالمغرب وارتحل السلطان مغذا الى بجاية فدخلها على حين غفلة واستولى على ملك ابنه بالناحية الغربية واستوسق له امرها واقام فى انتظار حاجبه ابن غمر الى ان كان من الامر ما نذكره

الخبر عن مهلك السلطان ابى البقاء خالد واستيلاء السلطان ابى يحيى بن اللحيانى على الحضرة

كان السلطان ابو البقاء خالد بعد بيعة السلطان ابى بكر بقسنطينة

(1) Le ms. A porte ضيلان , et le ms. D تيلان

قد اضطرب احواله وجهز اليه العساكر لمنازلة قسنطينة وعقد عليها لمولاه ظافر المعروف بالكبير فعسكر بباجة واراح ينتظر امر السلطان وكان ابو يحيى زكرياء بن احمد بن محمد اللحيانى بن ابى محمد عبد الواحد بن الشيخ ابى حفص قد بويع بطرابلس لما قفل من المشرق وراى اضطراب الاحوال ووفد عليه الحاجب ابو عبد الرحمن بن غمر بهدية من السلطان ابى بكر وانه ممده ومظاهره على شانه فاحكم ذلك من عقدته وشد من امره وتوافت اليه رجالات الكعوب اولاد ابى الليل وغيرهم فبايعوه واستحثوه للحضرة فارتحل اليها وبعث فى مقدمته اولاد ابى الليل ومعهم شيخ دولته ابو عبد الله محمد بن محمد المزدورى فاغذوا السير الى الحضرة وبعث السلطان الى مولاه ظافر بمكانه من باجة مستجيشا فاعترضوه قبل وصوله واوقعوا به واعتقلوا ظافرا وصبحوا تونس ثامن جمادى سنة احدى عشرة ووقفوا بساحتها فكانت هيعة بالبلد قتل فيها شيخ الدولة ابو زكرياء الحفصى وعدا القاضى ابو اسحاق بن عبد الرفيع على السلطان وكان متبوعا صارما قوى الشكيمة فاغراه بمدافعة العدو فخام عن لقائه واعتذر بالمرض واشهد بالانخلاع عن الامر وحل البيعة ودخل ابو عبد الله المزدورى القصر فاستمكن من اعتقاله ثم جاء السلطان ابو يحيى زكرياء بن اللحيانى على اثره ثانى رجب فبويع البيعة العامة بظاهرها ودخل الى البلد واستولى عليها وولى على حجابته كاتبه ابا زكرياء يحيى بن على بن يعقوب وعلى الاشغال بالحضرة ابن عمه محمد بن يعقوب وبنو يعقوب هولاء اهل بيت بشاطبة من بيوت العلم والقضاء قدموا الى الحضرة مع الجالية وكان منهم ابو القاسم عبد الرحمن بن يعقوب وفد مع ابن الامين صاحب طنجة كما قدمناه وتصرف فى القضاء بافريقية وولاه السلطان المستنصر قضاء الحضرة وسفر عنه الى ملوك مصر وكان بنو على هولاء عبد الواحد ويحيى

ومحمد من اقاربه وكان لهم ظهور فى دولة السلطان ابى حفص وبعدها وكان عبد الواحد منهم صاحب جباية الجريد وهلك بتوزر سنة ثنتين وسبعماية وكان السلطان ابو يحيى بن اللحيانى قد استكتب اخاه ابا زكرياء يحيى ايام رياسته على الموحدين فحظى عنده واختصه ولازمه وحج معه فلما ولى الخلافة احظاه وولاه حجابته ولما استقر بتونس واستوسق له الامـــر اعاد الحاجب ابا عبد الرحمن بن غمر الى مرسله السلطان ابى يحيى بعد ان وثق العهد معه على المهادنة وضمن له ابن غمر من ذلك ما رضيه وتمسك بابن عمه على ابن غمر فاقام عنده مكرما متسع الجراية والاسهام الى ان كان من الامر ما نذكر

الخبر عن قدوم ابن غمر على السلطان بجاية ونكبة ابن ثابـــت وظافر الكبير

لما قدم ابن غمر على بجاية استبد بحجابته وكفالته كما كان وليــوم وصوله فر عبد الله بن هلال كاتب ابن خلوف ولحق بتلمسان وشمر ابن غمر عزائمه للاضطلاع بامره ودفع حسن بن ابراهيم بن ثابت عن الرتبة فلم يتزحزح له وخرج لجباية الوطن ثم اغرى به السلطان وحذره من استبداده بقسنطينة لمكان معقله المجاور لها وسعايات تنصح بها حتى صادفت القبول لمكـــانه والوثوق بنصائحه وخرج السلطان فى العساكر من بجاية الى قسنطينة سنة ثلاث عشرة لنظر احوالها فلما انتهى الى فرجيوه لقيه عبد الله بن ثابت فتقبض عليه وعلى اخيه حسن ابن الحاجب سنة ثلاث عشـرة وقتلهما بعد ان استصفى اموالهما ويقال انه بعد خروج حسن بن ثابت الى اعمال قسنطينة بعث فى اثره بعض مواليه واوعز معهم الى عبد الكريم بن منديل

ورجالات سدويكش فقتلوه بوادى القطن وان السلطان لم يباشر نكبته وكان ظافر الكبير بعد انهزامه وحصوله فى اسر العرب كما قدمناه امتنعوا عليه واطلقوه ولحق بالسلطان ابى بكر فاثره واستخلصه كما كان لاخيه وولاه على قسنطينة عند نكبة ابن ثابت واستكتب له ابا القاسم بن عبد العزيز لخلوه من الادوات فاقام ظافرا واليا بقسنطينة ثم استقدمه السلطان الى بجاية وقد غص ابن غمر بمكانه فاغرى به السلطان فتقبض عليه واشخصه فى السفين الى الاندلس

الخبر عن منازلة عساكر بنى عبد الواد بجاية وما كان فى ذلك من الاحداث

كان السلطان ابو يحيى بعد انهزامه عن بجاية سنة عشر وبعث سعيد بن يخلف من مواليه الى ابى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن وكان قد اتيح له فى زناتة المغرب الاوسط ظفر واعتزاز وتملك امصاره من ايدى بنى مرين بعد مهلك يوسف بن يعقوب على تلمسان ودوخ جهاته واستولى على اعمال مغراوة وتوجين وملك الجزائر واستنزل منها ابن علان الثائر بها وملك تدلس من يد ابن خلوف فبعث اليه السلطان فى المواصلة والمظافرة وان تكون يدهما على ابن خلوف واحدة فطمع لذلك موسى بن عثمان فى ملك بجاية ثم بلغه مهلك ابن خلوف واستيلاء السلطان على ثغره فاستمر على المطالبة وادعا ان بجاية له فى شرطه وقارن ذلك لحاق صنهاجة اليه عند مهلك صاحبهم فرغبوه فى ملك بجاية وضمنوا له امرها ثم قدم عثمان بن سباع بن يحيى مغاضبا للسلطان لما كان من افتياته عليه فى ابن خلوف

واخفار ذمته وعهده فيه واستقر عنده ابن ابى جبى منذ منصرفه عن الحجابة ورجوعه من الحج فرغبوه فى ذلك واستحثوه لطلب بجاية فسرح العساكر اليها لنظر محمد ابن عمه يوسف بن يغمراسن ومسعود ابن عمه ابى عامر ابراهيم ومولاه مسامح وبعث معهما ابا القاسم بن ابى جبى الحاجب ففصلوا عنه من دار مقامته بشلف فاغذوا السير وهلك ابن ابى جبى بجبل الزان ونازلوا البلد ثم جاوزوها الى الجهات الشرقية فاثخنوا فيها ودخلوا جبل ابن ثابت واستولوا عليه واستباحوه سنة ثلاث عشرة ونالت منهم الحامية فى المدافعة بالقتل والجراحة اعظم النيل وقفلوا راجعين فشيدوا حصنا باصفون وشحنوه بالاقوات ولما وصل محمد بن يوسف ومسامح وبخهما وطوقهما ذنب القصور والعجز وعزلهما وبعث السلطان عسكرا فى البر واسطولا فى البحر بعد رجوعه من قسنطينة سنة اربع عشرة لهدم حصن بنى عبد الواد باصفون فخرب وانتهبت اقواته وعدده وسرح ابو حمو عسكرا لحصار بجاية عقد عليه لمسعود ابن عمه ابى عامر ابراهيم بن يغمراسن فنازلوها سنة خمس عشرة واتصل بهم خروج محمد بن يوسف بن يغمراسن وبنى توجين معه على ابى حمو وانهم اوقعوا به وهزموه واستولوا على معسكره فاجفل مسعود بن ابى عامر وعسكره وافرجوا عن بجاية ووصل على اثرها خطاب محمد بن يوسف بالطاعة والانحياش فبعث السلطان اليه صنيعته محمد بن الحاج فضل بالهدية والالة ووعده بالمظاهرة وتسويغ الاسهام التى كانت ليغمراسن فافريقية وشغل بنو عبد الواد عن بجاية وخرج السلطان فى عساكر الاشراف على وطنه الى ان كان ما نذكره

الخبر عن استبداد ابن غمر بجاية

لم يزل ابن غمر مستبدا على السلطان فى حجابته يرى ان زمامه بيده وامره متوقف على انفاذه وصار يغريه ببطانته فيقتلهم ويغربهم وربما كان السلطان يانف من استبداده عليه وداخله بعض اهل قسنطينة سنة ثلاث عشرة فى اغتياله ابن غمر فهموا بذلك ولم يتم ففطن لها ابن غمر فاوقع بهم وقسمهم بين النكال والعذاب فرقا ثم رجع السلطان الى بجاية سنة ثلاث عشرة لما اهمهم حصاره واتصلت حاله معه على ذلك النحو من الاستبداد الى ان بلغ السلطان اشده وارهف حده وسطا بمحمد بن فضل فقتله فى خلوة معاقرته من غير موامرة الحاجب وباكر ابن غمر مقعده بباب السلطان فوجد شلوه ملقا فى الطريق مضرجا فى ثيابه واخبر ان السلطان سطا به فداخله الريب من استبداد السلطان وارهاف حده وخشى بوادره وتوقع سعاية البطانة ونجى الخلوة وتحيل فى بعده عنه واستبداده بالثغر دونه فاغراه بطلب افريقية من يد ابن اللحيانى وجهزه بما يصلحه من الالة والفساطيط والعساكر والخدام ورتب له المراتب وارتحل السلطان الى قسنطينة سنة خمس عشرة ثم تقدم غازيا الى بلاد هوارة واجفل عنها ظافرا بمن (1) تعاطى قائدها من مواليهم فاستوفى جباية هوارة وقفل الى قسنطينة سنة ست عشرة واستبد ابن غمر ببجاية ومدافعة العدو من زناتة عنها واستخلف على حجابته السلطان محمد بن القالون وقرت عينه بما كان يومل من استبداده الى ان كان من امره ما نذكر

(1) Le ms. D porte ثم

الخبر عن سفـــــر السلطان ابى يحيى اللحيانى الى قابس وتجافيه عن الخلافة

كان هذا السلطان ابو يحيى بن اللحيانى قد طعن فى السن ودان بصيرا بالسياسة مجربا للامور وكان يرى من نفسه العجز عن حمل الخلافة واستحقاقها مع ابناء الامير ابى زكرياء الاكبر وعلم مع ذلك استفحال صاحب الثغور الغربية الامير ابى بكر واستغلاظ امره بمن انتظم فى ملكه (1) وارتسم فى ديوان جنده من اعياص زناتة وفحول شولهم من توجين ومغراوة وبنى عبد الواد وبنى مرين كانوا ينتزعون اليه مع الايام عن ملوكهم خشية على انفسهم لما قاسموهم فى النسب وساهموهم فى يعسوبية القبيل وفحولية الشـــول ومنهم من غلبوا على مواطنهم وملكوها عليهم مثل مغراوة وبنى توجين ومليكش فاستكثف بذلك جند السلطان وكثرت جموعه وهابه الملوك ونهض سنة ست عشرة الى افريقية وجال فى بلاد هوارة واخـذ جبايتها كما ذكرناه فتوقع السلطان ابن اللحيانى زحفه اليه بتونس وكانت افريقية مضطربة عليه وكان تعويله فى الحماية والمدافعة على اوليائه من العرب تـولى منهم حمزة بن على عمر بن ابى الليل فحكمه فى امره واشركه فى سلطانه وافرده برياسة العرب واجره الرسن وسرب اليه الاموال وكثر بذلك زبون العـرب واختلافهم عليه فاعتزم على التقويض عن افريقية ونفض اليد من الخلافة فجمع الاموال والذخيرة وباع ما كان بمودعاتهم من الانية والفـــرش والخرثى والماعون والمتاع حتى الكتب التى كان الامير ابو زكرياء الاكبر جمعها

(1) Dans le ms. A on lit جملته

واستجاد اصولها ودواوينها اخرجت للوراقين فبيعت بدكاكينهم فجمع من ذلك زعموا قناطير من الذهب تجاوز العشرين وجوالبقين من حصا الدر والياقوت وخرج من تونس الى قابس موريا بمشارفة عملها فاتح سبع عشرة بعد ان رتب الحامية بالحضرة وباجة والحمامات واستخلف بالحضرة ابا الحسن ابن وانوديين وانتهى الى قابس فقام بها وصرف العمال فى جهاتها الى ان كان من بيعة ولده بتونس ما نذكره

الخبر عن نهوض السلطان ابى بكر الى الحضرة ورجوعه الى قسنطينة

لما خرج السلطان من هوارة الى قسنطينة سنة ست عشرة كما قدمناه استبلغ فى جهاز حركة اخرى الى تونس فاحتشد وقسم العطا وازاح العلل واعترض الجنود عن طبقاتهم من زناتة والعرب وسدويكش واستخلف على قسنطينة الحاجب محمد بن القالون وبعث الى حاجبه الاعظم ابى عبد الرحمن بن غمر بمكانه من امارة بجاية فى مدد المال فى النفقات والاعطيات فبعث اليه منصور بن فضل بن مزنى عامل الزاب وكان ابن غمر لما راى من كفايته وانه جماعة للمال استضافى له عمل جبل اوراس والحضنة وسدويكش وعياض وشائر اعمال الضاحية فكانت اعمال الجباية كلها لنظره واموالها فى حسبان دخله وخرجه فبعث ابن غمر ليقيم انفاق السلطان واستخلفه على خطة حجابته وارتحل السلطان من قسنطينة فى جمادى سنة سبع عشرة يطوى المراحل ولقيه فى طريقه وفود العرب وانتهى الى باجة فانفضت حاميتها الى تونس وكان السلطان ابو يحيى اللحيانى قد خرج عنها الى قابس كما قدمناه واستخلف عليها ابا الحسن بن وانوديين وبعث اليه بنهوض السلطان ابى

بكر الى تونس وانه محتاج الى المدافعة فاعتذر لهم اللحيانى بما قبله من الاموال واطلق يدهم فى الجيش والمال فاركبوا واستلحقوا ورتبوا الديوان واخرجوا ابنه محمد ويكنى ابا ضربة فاطلقوه من اعتقاله وبغتهم الخبر باشراف السلطان ابى بكر على باجة فخرجوا جميعا من تونس وخالفهم الى السلطان مولاه ابن عمر بن ابى الليل كان مضطغنا على الدولة متربصا بها لما كان اللحيانى يوثر عليه اخاه حمزة فلقى السلطان دوين باجة فاعطاه صفقته واستحثه ووصل الى تونس فنزل روض السناجرة من رياض السلطان فى شعبان من سنة سبع عشرة وخرج اليه الملاء وترددوا فى البيعة بعض الشىء انتظارا لشان ابى ضربة واصحابه وكان من خبرهم ان السلطان لما اغذ السير من باجة بادر حمزة بن عمر الى بطانة اللحيانى واوليائه بتونس فلقيهم وقد خرجوا عنها فاشار عليهم ببيعة ابى ضربة ابن السلطان اللحيانى ومزاحمة القوم به فبايعوه وزحفوا الى لقاء السلطان ودس حمزة الى اخيه مولاهم ان يزحف بالمعسكر فاجفل السلطان من مقامته من روض السناجرة لسبعة ايام من احتلاله قبل ان يستكمل البيعة وارتحل الى قسنطينة ورجع عنه مولاهم من تخوم وطنه وسرح منصور بن مزنى الى ابن عمر ببجاية ودخل ابو ضربة بن اللحيانى والموحدون الى تونس منتصف شعبان من سنته وبويع بالحضرة البيعة العامة وتلقب بالمستنصر واراد اهل تونس على ادارة سور بالارباض يكون سياجا عليها فاجابوه الى ذلك وشرع فيه وارهقه العرب فى مطالبهم واستطوا عليه فى شروطهم الى ان عاود مولانا السلطان حركته كما نذكر

الخبر عن استيلاء السلطان ابى بكر على الحضرة وايقاعه بابى ضربة وفرار ابيه من طرابلس الى المشرق

لما قفل السلطان من تونس الى قسنطينة بعث قائده محمد بن سيد الناس بين يديه الى بجاية فارتاب عمر بوصوله وتنكر له وشعر بذلك السلطان واغضى له عنها وطلبه فى المدد فاحتفل فى الحشد والالة والابنية وبعث اليه سبعة من رجال الدولة بسبعة عساكر وهم محمد بن سيد الناس ومحمد بن الحكم وظافر السنان واخوى من موالى الامير ابى زكرياء الاوسط ومحمد المديونى ومحمد المجرسى ومحمد البطونى وبعث له من فحول زناتة وعظمائهم عبد الحق بن عثمان من اعياص بنى مرين كان ارتحل اليه من الاندلس كما نذكر فى خبره وابا رشيد بن محمد بن يوسف من اعياص بنى عبد الواد فى من كان معهم من قومهم وحاشيتهم وتوافوا بعساكرهم عند السلطان بقسنطينة فاعتزم على معاودة الزحف الى تونس وكان قد اختبر احوال افريقية واحسن فى ارتيادها فخرج فى صفر من سنة ثمان عشرة واستعمل على حجابته ابا عبد الله بن القالون ومرادفه ابو الحسن بن عمر ووافاه بالاربس وفد هوارة وكبيرهم سليمن ابن جامع واخبروه بان ابا ضربة بن اللحيانى اجفل من باجة بعد ان نزلها معتزما على اللقاء فارتحل مولانا السلطان مغذا ولقيه مولاهم بن عمر فراجع الطاعة وارتحلوا فى اتباع ابى ضربة وجموعه حتى شارفوا القيروان فخرج اليه عاملها ومشيختها فالقوا اليه باليد واعطوا الطاعة وارتحل السلطان راجعا عن اتباع عدوه الى الحضرة وقد ترك بها ابو ضربة بن اللحيانى من بطانته محمد بن الفلاق ليمانع دونها فاخرج الرماة الى ساحتها وقاتل العساكر ساعة

من النهار ثم اقتحموها عليه واستبيح عامة ارباضها وقتل ابن الغلاق ودخل السلطان الى الحضرة فى ربيع من سنته فاقام خلال ما انعقدت العامة وقدم على الشرطة ميمون بن ابى زيد واستخلفه على البلد ورحل فى اتباع ابى ضربة بن اللحيانى وجموعه فاوقع بهم بمصوح (1) من جهات بلاد هوارة وقتل من مشيخة الموحدين ابو عبد الله بن الشهيد من اهل البيت الحفصى وابو عبد الله بن ياسين ومن طبقات الكتاب ابو الفضل المجانى (2) وتقبض على شيخ الدولة ابى محمد عبد الله بن يغمور وقيد الى السلطان فعفا عنه ونوهه ليومه ثم اعاده الى خطته بعد ذلك ورجع السلطان الى تونس فى رجب من سنته وكان السلطان ابو عيسى بن اللحيانى لما بلغه الخبر بنهوض السلطان الى تونس حركته الثانية سنة سبع عشرة وما كان من بيعة الموحدين والعرب لابنه ابى ضربة ارتحل من مقامته بقابس الى نواحى طرابلس ثم بلغه رجوع السلطان الى قسنطينة فاوطن طرابلس فبنى مقعدا لملكه بسور البلد مما يلى البحر سماه الطارمة وبعث العمال فى الجهات لجباية الاموال وبعث على جبال طرابلس ابا عبد الله بن يعقوب قريب حاجبه ومعه محرس بن مرغم كبير الجوارى من دباب فدوخ البلاد وفتح المعاقل وجبى الاموال وانتهى الى برقة واستخدم ال سالم وال سليمان من عرب دباب ورجع الى سلطانه بطرابلس ووافاه الخبر بانهزام ابى ضربة ابنه فبعث حاجبه ابا زكرياء بن يعقوب ووزيره ابا عبد الله بن ياسين بالاموال لاحتشاد العرب ففرقوها فى علاق ودباب وزحف ابو ضربة الى القيروان وبلغ الخبر الى السلطان ابى بكر فخرج من تونس اخر شعبان سنة ثمان عشرة فاجفلوا عن القيروان ثم تدامروا وعقلوا رواحلهم مستميتين بزعمهم حتى اطلت

(1) On lit بمصرح dans le ms. A. Le ms. B porte بمصبوح — (2) Le ms. D porte التجانى et le ms. A التجامى

عليهم العساكر بمكان فج النعام فانفضت جموعهم وشردت رواحلهم وارتحلوا منهزمين والقتل والنهب ياخذ منهم ماخذه ونجا ابو ضربة فى فله الى المهدية وكانوا مقيمين على دعوة ابيه فامتنع بها الى ان كان من شانه ما سنذكره وبلغ الخبر الى ابيه بمكانه من طرابلس فاضطرب معسكره وبعث الى النصارى فى اسطول يحمله الى الاسكندرية فوافوه بستة اساطيل فاحتمل اهله وولده وركب البحر ومعه حاجبه ابو زكرياء بن يعقوب الى الاسكندرية واستخلف على طرابلس ابا عبد الله بن ابى عمران من ذوى قرابته وصهره فلم يزل بها الى ان استدعاه الكعوب ونصبوه للامر واجلبوا به على السلطان مرارا كما نذكره بعد وركب السلطان ابو يحيى بن اللحيانى البحر الى الاسكندرية فنزل بها على السلطان محمد بن قلاون من ملوك الترك بمصر والشام واستقدمه الى مصر فعظم من مقدمه واهتز للقائه ونوه من مجلسه واسنى من جرايته واقطاعه الى ان هلك سنة ثمان وعشرين ورجع السلطان ابو بكر الى تونس بعد الواقعة على ابى ضربة وقومه بفج النعام فدخلها فى شوال من سنته واستقامت افريقية على طاعته وانتظمت امصارها وثغورها فى دعوتها الا المهدية وطرابلس كما ذكرناه الى ان كان ما ياتى ذكره

الخبر عن مهلك الحاجب ابن غمر بجاية وولاية الحاجب محمد بن القالون عليها ثم الادالة منه بابن سيد الناس

كان الحاجب ابن غمر لما استبد بجاية سنة خمس عشرة وانتقل السلطان الى قسنطينة ولم يراجعها بعد ثم لما رجع من تونس ثانية حركاته سنة سبع عشرة صرف اليه منصور بن فضل وبعث فى اثره قائده ابا عبد الله

محمد ابن حاجب ابيه ابى الحسن بن سيد الناس يهيئ قصوره بجاية للتحول اليها فرده ابن غمر وتنكر وطالبه السلطان فى المدد فبادر به فاقطعه جانب الرضى وعقد له على بجاية وقسنطينة كما ذكرنا ذلك كله قبل فاستبد ابن غمر بالثغر وما اليه من الاعمال مقتصرا على ذكر السلطان فى الخطبة واسمه فى السكة واقام على ذلك الى ان ملك السلطان تونس واستولى على جهاتها وبعث اليه بابن عمه محمد بن غمر فعقد ابو عبد الرحمن الحاجب على قسنطينة فمضى اليها وهو فى خلال ذلك كله يدافع عساكر زناتة عن بجاية وقد كان ابو حمو صاحب تلمسان بعد ظهوره على محمد بن يوسف واسترجاعه بلاد مغراوة وتوجين من يده كما قدمناه يسرب العساكر لحصارها وابتنى بالوادى على مرحلتين منها قلعة تكر ليجمر بها الكتائب لحصارها ثم هلك ابو حمو وولى ابنه ابو تاشفين من بعده سنة ثمان عشرة فتنفس مختنق الحصار عن بجاية ريثما كانت حركة السلطان الى تونس وفتحها ثم خرج ابو تاشفين من تلمسان لتمهيد اعماله وقتل محمد بن يوسف بمعقله من جبل وانشريس كما ذكرناه فى اخبارهم فارتحل من هنالك غازيا الى بجاية فاطل عليها فى سنة تسع عشرة وبدا له من حصنها وكثرة مقاتلتها وامتناعها ما لم يحتسب فانكفا راجعا الى تلمسان واصاب ابن غمر المرض فبعث عن على ابن عمه من مكان عمله بقسنطينة وعهد اليه بامره والقيام بولاية بجاية الى ان يصل امر السلطان وهلك لايام على فراشه فى شوال من سنة تسع عشرة وقام على بن غمر بامر بجاية واتصل الخبر بالسلطان فاهمه شان الثغر وطير ابن سيد الناس اليه مع قهرمانة دارد لتحصيل تراثه والبحث عن ذخيرته فاستوفى من ذلك فوق الكثرة من الصامت والذخيرة وقدم به على السلطان واستقدم معه على بن غمر فاولاه السلطان من رضاه ما احسب امله واقام بالحضرة

الى ان كان منه خلاف مع ابن عمران ثم راجع الطاعة وقد احفظ السلطان بولاية عدوه فلما عاد الى تونس اوعز الى مولاه نجاح وهلال بقتله فاغتالوه خارجا من بستانه فاشووه وهلك من جراحته

الخبر عن امارة الامير ابى عبد الله على قسنطينة واخيه الامير ابى زكرياء على بجاية وتولية القالون على حجابته

لما هلك ابن غمر اهم السلطان شان بجاية بما كانت عليه من شان الحصار ومطالبة بنى عبد الواد لها فراى ان يكثف الحامية بالثغور الغربية وينزل بها ابناءه للمدافعة والحماية فعقد على قسنطينة لابنه الامير ابى عبد الله وعقد على بجاية لابنه الاخر الامير ابى زكرياء وجعل حجابتها لابى عبد الله بن القالون مستبدا عليهما لمكان صغرهما واكثف له الجند وامره بالمقام بجاية لممانعتها من العدو الملح على حصارها وارتحلوا من تونس فاتح سنة عشرين فى احتفال من العسكر والصحاب والابهة وابقى خطة الحجابة خلوا ممن يقوم بها وابقى على بن القالون وبقى للتصرف فى الامور من رجالات السلطان ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز الكردى الملقب بالمزوار وكان مقدما على بطانة السلطان المعروفين بالدخلة وعلى الاشغال الكاتب ابو القاسم بن عبد العزيز وسنذكر اوليتهما بعد وانصرف الى بجاية رافلا فى حلل العز والتنويه الى ان كان من امره ما نذكر

الخبر عن استقدام ابن القالون والادالة منه بابن سيد الناس فى بجاية وبظافر الكبير فى قسنطينة

لما انصرف ابو عبد الله بن يحيى بن القالون الى بجاية وخلا وجه السلطان فيه لبطانته عند ولايته بجاية بثوا فيه السعايات ونصبوا له الغوائل وتولى كبر ذلك المزوار ابن عبد العزيز بمداخلة ابى القاسم بن عبد العزيز صاحب الاشغال وعظمت السعاية فيه عند السلطان حتى داخلت فيه المظنة وعقد لمحمد بن سيد الناس على بجاية نقله اليها من عمله باجة وكتب له عهده بخطه واستقدم صاحبه محمد بن القالون فقدم وقد تغير السلطان له ودخل ابن سيد الناس بجاية وقام بامر حصارها وحجابة اميرها الى ان استقدم للحجابة وكان من امره ما نذكره ومر ابن القالون بقسنطينة فى طريقه الى الحضرة فحدثته نفسه بالامتناع بها وداخل مشيختها فى ذلك فابوا عليه فاشخصهم الى الحضرة نكالا بهم ونمى الخبر بذلك الى السلطان فاسرها لابن القالون وعزم (1) على استضافة الحجابة بقسنطينة لابن سيد الناس فاستعفى مشيختها من ذلك واروه ان ابن الامين قريبه وابن اخيه وذكروه ثورة ابيه فاقصر عن ذلك وصرف اعتزامه الى مولاه ظافر الكبير وذلك عند قدومه من المغرب وكان من خبره انه كان من موالى الامير ابى زكرياء وكان له فى دولة ابنه السلطان ابى البقاء ظهور وهو الذى زحف بالعسكر عند ما استراب السلطان ابو البقاء باخيه السلطان ابى بكر فاقام بباجة وجاء المزدورى والعرب الى تونس فى مقدمة ابن اللحيانى فزحف اليهم

(1) Les mss. A et B portent واعزم

ففضوه وتقبضوا عليه كما ذكرنا ذلك كله ثم لحق بعدها بمولانا السلطان ابى يحيى واعاده الى مكانه من الدولة وولاه قسنطينة عند مهلك ابن ثابت سنة ثلاث عشرة ثم غص به ابن غمر واغراى به السلطان فاشخصه فى سفين الى الاندلس واجاز الى المغرب ونزل على السلطان ابى سعيد الى ان بلغه الخبر بمهلك ابن غمر فكر راجعا الى تونس ولقاه السلطان مبرة وتكريما ووافق ذلك وصول الحاجب ابن القالون من بجاية فعقد السلطان لظافر هذا على حجابة ابنه بقسنطينة الامير ابى عبد الله فقدمها وقام بامرها واستعمل ذويه وحاشيته فى وجود خدمتها وصرف من كان هنالك من الخدام اهل الحضرة الى بلدهم وكان بها ابو العباس ابن ياسين متصرفا بين يدى الامير ابى عبد الله والكاتب ابو زكرياء بن الدباغ على اشغال الجباية وكانا قدما من الحضرة فى ركاب الامير ابى عبد الله فصرفهما القائد ظافر لحين وصوله واستقل بامره الى ان كان ما نذكره

الخبر عن ظهور ابن ابى عمران وفرار ابن القالون اليه

كان محمد بن ابى عمران هذا من عقب ابى عمران موسى بن ابراهيم بن الشيخ ابى حفص وهو الذى ولى افريقية نائبا عن ابى محمد عبد الله ابن عمه الشيخ ابى محمد عبد الواحد كتب له بها من مراكش لاول ولايته فاقام واليا عليها ثمانية اشهر الى ان قدم اخر سنة ثلاث وعشرين وستماية واقام ابو عمران هذا فى جملتهم الى ان هلك ونشا بنوه فى ظل دولتهم الى ان كان من عقبه ابو بكر والد محمد هذا فكان له صيت وذكر وكان السلطان ابو يحيى زكرياء ابن اللحيانى قد رعا له ذمة قرابته ووصله بصهر عقده لابنه محمد على ابنته

واستخلفه على تونس عند خروجه عنها ثم استخلفه على طرابلس عند ركوبه السفين الى الاسكندرية وكان ابو ضربة بعد انهزامه وافتراق جموعه اعتصم بالمهدية ونازله بها السلطان ابو بكر فامتنعت عليه فاقلع عنها على سلم عقده لابى ضربة واقام حمزة بن عمر فى سبيل خلافه على السلطان ويتقلب فى نواحى افريقية حتى عظم زبونه على السلطان ونزع اليه الكثير من الاعراب وكثرت جموعه فاستقدم محمد بن ابى عمران من مكان ولايته بثغر طرابلس وزحف الى تونس معارضا للسلطان قبل اجتماع عساكره وكمال تعبيته فخرج السلطان ابو بكر من تونس فى رمضان سنة احدى وعشرين ولحق بقسنطينة وصحبه اليها مولاهم بن عمر وكان الحاجب محمد بن يحيى ابن القالون قد غصته البطانة والحاشية بالسعاية فيه عند السلطان وتبين له انحرافه عنه وكان معز بن مطاعن الفزارى وزيره حمزة بن عمر وصاحب شوراه صديقا للقالون ومخالصا فداخله فى الاجلاب بابن عمران فلما خرج السلطان امام زحفه تخلف القالون بتونس وركب من الغد فى البلد مناديا بدعوة ابن ابى عمران ودخل محمد بن ابى عمران ثانية خروج السلطان واستولى على الحضرة واقام بها بقية سنته وصدر من الاخرى ولحق السلطان بقسنطينة فجمع عساكره واحتشد جموعه وازاح العلل واستكمل التعبية وزحف منها فى صفر سنة ثنتين وعشرين وخرج ابن ابى عمران للقائه مع حمزة بن عمر فى جموع العرب فلقيهم السلطان اولى وثانية بالرجلة (1) واوقع بهم وقتل شيخ الموحدين ابا عبد الله بن ابى بكر وكان على مقدمتهم محمد بن منصور بن مزنى وغيرهم واثخنت العساكر فيهم قتلا واسرا وكان للسلطان فيها ظهور لا كفاء له ثم تقبض على مولاهم بن عمر فكان من خبره ما نذكره

(1) Il faut peut-être lire بالدخلة

الخبر عن مقتل مولاهم بن عمر واصحابه من الكعوب

لما اتيح للسلطان من الظهور على ابن عمران واتباعه والظفر بهم ما اتيح وصنع له فيهم رغم انف مولاهم بن عمر وظهرت من اصحابه كلمات انبات بفساد دخلتهم ثم نمى للسلطان ان مولاهم داخل فى الفتك به ابنه منصور وربيبيه زعدان ومعدان ابنى عبد الله بن احمد بن كعب وسليمان بن جامع من شيوخ هوارة وشى بذلك عنهم ابن عمهم عون بن عبد الله بن احمد بعد ان داخلوه فيها فتنصح بها للسلطان فلما عدوا على السلطان تقبض عليهم وبعثهم الى تونس فاعتقلوا بها ورجع هو الى الحضرة فدخلها فى جمادى من سنته وجدد البيعة على الناس وزحفت العرب فى اتباعه حتى نزلوا بظاهر البلد وشرطوا عليه اطلاق مولاهم واصحابه فانفذ السلطان قتلهم فقتلوا بمحبسهم وبعث باشلائهم الى حمزة فعظم عنده موقع هذا الحزن وصرخ فى قومه وتدامروا ان يثيروا بصاحبهم واغدوا السير الى الحضرة وابن ابى عمران معهم على حين افتراق العساكر واراحة السلطان وظنوا انهم ينتهزون الفرصة فخرج السلطان عن تونس لاربعين يوما من دخوله ولحق بقسنطينة ودخل ابن ابى عمران الى تونس فاقام بها ستة اشهر خلال ما احتشد السلطان جموعه واستكمل تعبيته ونهض من قسنطينة وزحف اليه ابن ابى عمران وحمزة بن عمر فى جموعهم فاوقع السلطان بهم واثخن فيهم وشردهم فى النواحى وعاد الى تونس فدخلها فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومضى حمزة لوجهه الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن واقعة رغيس مع ابن اللحيانى وزناتة وواقعة الشقة مع ابن ابى عمران

لما انهزم حمزة بن عمر وابن ابى عمران عن تونس مرة بعد اخرى ورای حمزة ان ابن ابى عمران غير مغن عنه فصرفه الى مكان عمله بطرابلس وبعث الى ابى ضربة ابن السلطان اللحيانى بمكانه من المهدية فداخله فى الصريخ بزناتة والوفود على سلطان بنى عبد الواد فرحل معه ابو ضربة ووفدوا على ابى تاشفين صاحب تلمسان ورغبوه فى الظفر بجاية وان يشغل صاحب تونس عن مددها بترديد البعوث وتجهيز العساكر اليه فسرح معهم السلطان الافا من العساكر عقد عليها لموسى بن على الكردى صاحب الثغر بتيمزدكت وكثير الحاشية والرجالات وارتحلوا من تلمسان يغذون السير وبلغ السلطان خبر فصولهم من تلمسان فبرز للقائهم من تونس فى عساكره حتى انتهى الى رغيس بين بونة وقسنطينة ولما اطلت عساكر زناتة والعرب اختل مصاف السلطان وانهزمت المجنبات وثبت فى القلب وصدق العزيمة واللقاء فاختل مصافهم وانهزموا فى شعبان سنة ثلاث وعشرين وامتلات ايدى العساكر من اسلابهم من نساء زناتة ومن عليهن السلطان واطلقهن ورجع ابو ضربة وموسى بن على الكردى فى فلهم الى تلمسان وعاد السلطان الى حضرته لايام من هزيمتهم ولقيه الخبر فى طريقه باجتماع العرب وابن ابى عمران بنواحى القيروان فتخطى الحضرة اليهم ولقيهم بالشقة واوقع بهم ورجع الى تونس فى شوال من سنة اربع وعشرين فاتبعه حمزة ومن معه الى تونس عند ما افترقت العساكر ومعه ابراهيم بن الشهيد من البيت

الحفصى وسبق اليهم بخبرهم عامر بن بو على بن كثير ويحيم بن [بياض] فخرج للقائهم من يومه فى خف من الجنود بعد ان بعث عن عساكر باجة وقائدها عبد الله العاقل مولاه فصبحه العرب بنواحى شادلة فقاتلوه صدرها وحمى الوطيس ووصل عبد الله العاقل والناس متواقفون واشتد الحرب ثم كانت الهزيمة على العرب واستبيحت حرماتهم وافترقت جموعهم ورجع السلطان الى البلد واستقر بالحضرة

الخبر عن اجلاب حمزة بابراهيم بن الشهيد وتغلبه على الحضرة

لما انهزم ابو ضربة بن اللحيانى وحمزة بن عمر وعساكر بنى عبد الواد لحق ابو ضربة بتلمسان فهلك بها ولقى حمزة بعده من الحروب مع السلطان ما لقى ويئس الكعوب من غلابه وتدامروا لفتنته والاجلاب عليه فوفد حمزة بن عمر على ابى تاشفين صريخا ومعه طالب بن مهلهل قرنه فى قومه ومحمد بن مسكين شيخ بنى حكيم من اولاد القوس وكلهم من سليم ومعهم الحاجب ابن القالون فاستحثوا عساكره لصريخهم فكتب لهم السلطان كتيبة عقد عليها لموسى بن على الكردى واعاده معهم ونصب لهم لملك تونس من اعياص ابى حفص ابراهيم بن الشهيد منهم وابوه الشهيد هو ابو بكر بن ابى الخطاب عبد الرحمن الذى نصب للامر عند مهلك السلطان ابى عصيدة وقتله السلطان ابو البقاء خالد كما ذكرناه وكان ابراهيم هذا قد لحق بالعرب ونصبوه للامر واجلبوا به على تونس اثر واقعة رغيس وبرزت اليهم العساكر فانهزموا كما ذكرناه ولحق بتلمسان وجاء هذا الوفد على اثره فنصبه السلطان ابو تاشفين لهم واستعمل على حجابته محمد بن يحيى بن القالون وبعث

معهم العساكر لنظر موسى بن على الكردى وزحفوا الى افريقيـــة وخرج
السلطان ابو بكر من تونس لمدافعتهم ذا القعدة من سنة اربع وعشرين
وانتهى الى قسنطينة وعاجلوه قبل استكمال التعبية فنازلـــوا بساحتها
واقام موسى بن على على منازلتها بعساكر بنى عبد الواد وتقـــدم ابراهيم
ابن الشهيد وحمزة بن عمر الى تونس فدخلها فى رجب سنة خمس وعشرين
واستمكن منها وعقد على باجة لمحمد بن داوود من مشيخة الموحدين وثار
عليه بعض ليالى رمضان بعض بطانة السلطان كانوا بالبلـــد فى غيابات
الاختفاء وكان منهم يوسف بن عامر بن عثمان وهو ابن اخى عبد الحق بن
عثمان من اعياص بنى مرين وفيهم القائد بلاط من وجوه الترك المرتـــزقة
بالحضرة وابن جسار نقيب الشرفاء فاعتدوا واجتمعوا من جوف الليل وهتفوا
بدعوة السلطان وطافوا بالقصبة فامتنعت عليهم فعمدوا الى دار كشلى من
الترك المرتزقة وكان بطانة لابن القالون فقاتلوها وامتنعت عليهم ثم اعجلهم
الصباح عن مرامهم وتتبعوا بالقتل وفرغ من شانهم وكان مـــوسى بن على
ومن معه من العساكر لما تخلفوا عن ابن الشهيد لحصار قسنطينة اقام
عليها اياما ثم اقلع عنها لخمس عشرة ليلة من منازلته ورجع الى صاحبه
بتلمسان وخرج السلطان من قسنطينة فاستكمل الحشد والتعبية ونهض
الى تونس فاجفل منها ابن الشهيد وابن القالون ودخلهـــا السلطان فى
شوال سنة خمس وعشرين واستولى على دار ملكه واقام بها الى ان كان من
امره ما نذكره

الخبر عن حصار بجاية وبناء تيمزردكت وانهزام عساكر السلطان عليها

كان ابو تاشفين منذ خلا له الجو وتمكنت فى الامر منه القدم يلح على بجاية بترديد البعوث ومطاولة الحصار والسلطان ابو بكر يدفع لحمايتها من رجالات دولته وعظماء وزرائه الاول فالاول من اهل الكفاية والاضطلاع بما يدفع اليه من ذلك وسرب اليهم المدد من الاموال والاصلحة والجنود وتعهد اليهم بالصبر والثبات فى المواطن ونظره من وراء ذلك وكان ابو تاشفين كلما احس من السلطان ابى بكر بنهوض الى المدافعة عنها او عزم على غزو كتائبه المجمرة عليها رماه بشاغل يوهن عن عزمه ويمسك عنان بطشه وكانت فتنة حمزة بن عمر من ادهى الشواغل فى ذلك بما كان يخبب العرب عن الطاعة ويجمع الاحزاب للاجلاب على الحضرة وينصب الاعياص يطمعهم فيما ليس لهم من نيل الخلافة وكان ذلك ديدنا متصلا ازمان تلك المدة ولما سرح ابو تاشفين العساكر سنة خمس وعشرين مع ابراهيم بن الشهيد وحمزة بن عمر واوليائهم من اهل افريقية وعقد عليها لموسى بن على من رجالاته فنازل قسنطينة ثم اقلع عنها وعاود حصارها سنة ثمان وعشرين وشن الغارة فى نواحيها واكتسح الاموال ورجع الى وادى بجاية فاختط مدينة بتيكلات على مرحلة منها وعلى قارعة الطريق الشارع من الغرب الى الشرق وبما كانت بجاية زائغة عنه الى البحر فاختطوا تلك المدينة وشيدوها وجمعوا الايدى عليها وقسموها مسافات على جيوشهم فاستتمت لاربعين يوما وسموها تيمزردكت باسم حصنهم الاقدم بالجبل قبالة وجدة حيث امتنع يغمراسن

على السعيد ونازله وهلك عليه كما ذكرناه فى اخباره وتحنـــوا هذه المدينة بالاقوات والمدد وعمروها بالمقاتلة من الرجل والفرسان والقبائل واخذت بمخنق البلد وقلق السلطان بمكانها فاوعز الى قواد عساكره واصحاب عمالاته من مواليه وصنائعه ان ينفروا بعساكرهم الى صاحب الثغر محمـد بن سيد الناس ويزحفوا معه الى هذا البلد المخروب ويستميتوا دون تخريبه فنهض ظافر الكبير من قسنطينة وعبد الله العاقل من هوارة وظافر السنان من بونة وتوافوا بجاية سنة سبع وعشرين وبلغ موسى بن على خبرهم فاستنفر من وراءه من عساكر بنى عبد الواد وخرجت العساكر جميعا من بجاية تحت لواء ابن سيد الناس وزحف الى العدو بمخيمهم من تيكلات فكـانت الدبرة عليه وعلى اصحابه فقتل ظافر الكبير ورجع فلهم الى بجاية وداخلت ابن سيد الناس فيهم الظنة بما كان يداخل موسى بن عيسى فى الزبون كل واحد منهما لصاحبه على سلطانه فمنعهم من دخول البلد ليلتمذ واصحروا قافلين الى اعمالهم وعقد السلطان على قسنطينة لابى القاسم بن عبد العزيز اياما ثم استقدمه الى الحضرة ليستعين به محمد بن عبد العزيز المزوار فى خطة حجابته بما كان غفلا من الادوات التى تحتاج اليها الحجابة وعقد على حجابة ابنه الامير ابى عبد الله بقسنطينة لمولاه ظافر السنان الى ان كان من تحويل بنائه ما نذكره

الخبر عـــن مهلك الحاجـــب المزوار وولاية
ابن سيد الناس مكانه ومقتل ابن القالون

هذا الرجل محمد بن القالون المعروف بالمزوار لا ادرى من اوليته اكثر من

انه كردى من الاكراد الذين وفد روساؤهم على ملوك المغرب ايام اجلاهم الططر عن اوطانهم بشهرزور عند تغلبهم على بغداد سنة ست وخمسين وستماية فمنهم من اقام بتونس ومنهم من تقدم الى المغرب فنزلوا على المرتضى بمراكش فاحسن جوارهم وصار قوم منهم الى بنى مرين واخرون الى بنى عبد الواد حسبما نذكر فى اخبارهم ومن المقيمين بالحضرة كان سلف ابن عبد العزيز هذا الى ان نشا هو فى دولة الامير ابى زكرياء الاوسط صاحب الثغور الغربية وتحت كنف من اصطناعه واختلط بابنائه وقدم فى جملة ابنه السلطان ابى بكر الى تونس مقدما فى بطانته ورءيسا على الحاشية المسمين بالدخلة وكان يعرف لذلك بالمزوار وكان شهما وقورا متدينا وله فى الدولة حظ من الظهور وهو الذى تولى كبر السعاية فى الحاجب ابن القالون حتى ارتاب بمكانه وفر الى ابن ابى عمران سنة احدى وعشرين كما قدمناه وولاه السلطان الحجابة مكانه فقام بها مستعينا بالكاتب ابى القاسم بن عبد العزيز لخلوه هو من الادوات وانما كان شجاعا بهمة ولم يزل على ذلك الى ان هلك فى شعبان سنة سبع وعشرين واراد السلطان على الحجابة محمد بن خلدون جدنا الاقرب فابى ورغب فى الاقالة فاجنح جنوحا لما كان بسبيله منذ سنين من الصاغية الى الدين والرغبة فى السكون والفرار من الرتب واشار على السلطان بصاحب الثغر محمد بن ابى الحسين بن سيد الناس لتقديمه سلفه مع سلف السلطان وكثرة تابعه وحاشيته وقوة شكيمته فى الاضطلاع بما يدفع اليه اخبرنى بهذا الخبر ابى رحمه الله وصاحبنا محمد بن منصور ابن مزنى قال لى حضرت لاستدعاء جدكم الى معسكر السلطان بباجة يوم مهلك المزوار وادخله السلطان الى رواقه وغاب مليًّا ثم خرج وقد استفاض بين البطانة والحاشية انه دعى الى الخطة فاستنكرها واقام السلطان يومئذ فى خطة الحجابة الكاتب ابا القاسم بن عبد العزيز يقيم الرسم واستقدم

خالصته محمد ابن حاجب ابيه ابى الحسين بن سيد الناس فقدم فى محرم فاتح ثمان وعشرين وولاه حجابته فاضطلع بها وجدد له العقد على بجاية وحجابة ابنه بها فدفع اليها للنيابة عنه فى الحجابة صنيعته محمد بن فرحون ومعه كاتبه ابو القاسم بن المريد وجرى الحال على ذلك ببجاية وعساكر زناتة تجوس خلالها ومعاقلهم تاخذ بمخنقها وقدم القالون دوين مقدم ابن سيد الناس بشفاعة من نزيله على بن احمد سيد الدواودة وطمع فى عوده الى الخطة وكان من خبره انه لما تخلف عن السلطان بتونس فى خدمة ابن ابى عمران اراد ركوب السفين الى الاندلس فاعجلهم السلطان عن ذلك وخرج مع ابن ابى عمران فاجلب معه على الحضرة مرارا ولحق بتلمسان ثم جاء مع ابن الشهيد وفعل الافاعيل ثم انحل امر ابن الشهيد ولحق هو بالدواودة من رياح ونزل على على بن احمد رئيسهم لذلك العهد فاجاره وانزله بطولقة من بلاد الزاب وخاطب السلطان فى شانه واقتضى له الامان حتى اسعف ووفد على الحضرة مع اخيه موسى بن احمد وفى نفس القالون طمع فى الخطة وسبقه ابن سيد الناس الى السلطان فاستقل بها وجاء القالون من بعد فاوصله السلطان الى نفسه واعتذر اليه ووعده وعقد له على قفصة فسار اليها وصحب موالى السلطان من المعلوجى بشير وفارح واوعز ابن سيد الناس الى مشيخة قفصة ان يتقبضوا على حاميته ليتمكن الموالى منه فلما نزل بساحة البلد دخل كشلى من جند الترك المرترقة كان فى جملته منذ ايام حجابته وكان يستظهر بمكانه فلما دخل الى البلد قتل فى سككها فكانت لمقتله هيعة تسامع الناس لغطها من خارج البلد وبرز القالون من فسطاطه وقد جث للرعب فتقدم اليه الموالى الذين جاءوا معه وتناولوه طعنا بالخناجر الى ان هلك والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن ولاية الفضل على بونة

كان السلطان قد عقد على بونة منذ اول دولته لمولاه مسرور من المعلوجى فقام بامرها واضطلع بولايتها وكان من الغلظة ومراس الحروب بمكان وكان لذلك غشوما جبارا وخرج الى ولهاصة سنة [بياض] فاضطهدهم وذهبوا الى مدافعته عن اموالهم فحاربهم وبلغ خبر مهلكه الى السلطان فعقد على بونة لابنه ابي العباس الفضل وبعثه اليها وولى على حجابته وقيادة عسكره ظافرا السنان من مواليه المعلوجى فقام بما دفع اليه من ذلك احسن قيام الى ان كان من امرهم ما نذكره

الخبر عن واقعة الرياس وما كان قبلها من مهلك الامير ابى فارس اخى السلطان

كان السلطان ابو بكر لما قدم الى تونس قدم معه اخوته الثلاثة محمد وعبد العزيز وعبد الرحمن وهلك عبد الرحمن منهم وبقى الاخران وكانا فى ظل ظليل من النعمة وحظ كبير من المساهمة فى الجاه وكان فى نفس الامير ابى فارس تشوق الى نيل المرتبة وتربص بالدولة وكان عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من فحول بنى مرين واعياص ملكهم قدم على الحضرة نازعا اليها من الاندلس فنزل على ابن عمر ببجاية قبيل مهلكه سنة ثمان عشرة ثم لحق بالسلطان فلقاه مبرة ورحبا ووفر حظه وحظ حاشيته من

الجرايات والاقطاع وجعل له ان يستركب ويستلحق وكان يستظهر به فى مواقف حروبه ويتجمل فى المشاهد بمكانه من سريره بما كان سيدا فى قومه وكان قد انعقدت له بيعة على اهل وطنه وكانت فيه غلظة وانفة واباء وغدا فى بعض ايامه على الحاجب ابن سيد الناس فتلقاه الاذن بالغدر فذهب مغاضبا ومر بدار الامير ابى فارس فحمله على ذات صدره من الخروج والثورة وخرجا من يومهما فى ربيع سنة تسع وعشرين ومروا ببعض احياء العرب فاعترضهما امير الحى فعرض عليهما النزول فاما عبد الحق فابى وذهب لوجهه الى ان لحق بتلمسان واما الامير ابو فارس فاجاب ونزل وطير بالخبر الى السلطان فسرح لوقته محمد بن الحكيم من صنائعه وقواد دولته فى طائفة من العسكر والنصارى وصبحوه فى الحى واحاطوا ببيت نزله فامتنع من الالقاء باليد ودافع عن نفسه مستميتا فقتلوه قعصا بالرماح وجاءوا بشلوه الى الحضرة فدفن بها ونزل عبد الحق بن عثمان على ابى تاشفين خير نزل ورغبه فيما كان بسبيله من مطالبة الدولة الحفصية وتدويخ ممالكها ووفد على اثره حمزة بن عمر ورجالات سليم صريخا على عادتهم فاجاب ابو تاشفين صريخهم ونصب لهم محمد بن ابى عمران وكان من خبره انه تركه السلطان اللحيانى عاملا على طرابلس فلما انهزم ابو ضربة وانحل امره استقدمه العرب واجلبوا به على الحضرة سنة احدى وعشرين فملكها ستة اشهر ثم اجفل عنها عند رجوع السلطان اليها ولحق بطرابلس الى ان انتقض عليه اهلها سنة اربع وعشرين وثاروا به واخرجوه فلحق بالعرب واجلبوا به على السلطان مرارا ينهزمون عنه فى كلها ثم لحق بتلمسان واستقر بها عند ابى تاسفين فى خير جواره كرامة وجراية الى ان وصل هذا الوفد اليه سنة تسع والعشرين فنصبه للامر بافريقية وامدهم بالعساكر من زناتة عقد عليهم ليحيى بن موسى من بطانته وصنائع ابيه

ورجع معهم عبد الحق بن عثمان بمن فى جملته من بنيه وعشيرته ومواليه وحاشيته وكانوا احلاس حرب وفتيان كريهة فنهضوا جميعا الى تونس فزحف السلطان للقائهم وتراءى الجمعان بالرياس من نواحى بلاد هوارة اخر سنة سبع وعشرين فدارت الحرب واختل مصاف السلطان وفلت جموعه واحيط به فافلت بعد عصب الريق واصابته فى حومة الحرب جراحة وهن لها وقتل كثير من بطانته وحاشيته وكان من اشهرهم محمد المديونى وانتهب المعسكر وتقبض على احمد وعمر ابنى السلطان فاحتملا الى تلمسان حتى اطلقهما ابو تاشفين بعد ذلك فى مراسلة وقعت بينه وبين السلطان فاتحه فيها ابو تاشفين وجنح الى السلم واطلق الابنين ولم يتم شان الصلح من بعد ذلك وتقدم ابن ابى عمران بعد الواقعة الى تونس فدخلها فى صفر سنة ثلاثين واستبد عليه يحيى بن موسى قائد بنى عبد الواد وحجر عليه التصرف فى شىء من امره ثم عاد يحيى بن موسى الى سلطانه ونهض السلطان ابو بكر من قسنطينة الى تونس بعد ان استكمل الحشد والتعبية فاجفل ابن ابى عمران عنها ودخل اليها السلطان فى رجب من سنته الى ان كان ما نذكره

الخبر عن مراسلة ملك المغرب فى الاستجاشة على بنى عبد الواد وما تبع ذلك من المصاهرة

كان السلطان ابو بكر لما خلص من واقعة الرياس نجا الى بونة وركب منها البحر الى بجاية وقد ضاق درعة بالحاح عبد الواد على ممالكه وتجهيز الكتائب على ثغره وترديد البعوث الى وطنه فاعمل نظره فى الوفادة على ملك المغرب السلطان ابى سعيد ليذكره ما بين سلفه وسلفهم من السابقة مع ما

لهم عند بنى عبد الواد من الاوتار والاحن ليبعث بذلك دواعيهم على مطالبة
بنى عبد الواد فياخذ بحجزتهم عنه ثم عين للوفادة عليه ابنـــه الامير ابا
زكرياء وبعث معه ابا محمد عبد الله بن تافراكين من مشيخة الموحدين
لسانا لخطابه ونجيا لشوراه وركب البحر من بجاية فنزلوا بمرسى غساســة
واهتز صاحب المغرب لقدومه وكرم وفادته واستبلغ فى القرى والاجارة واجاب
دعاءهم الى محاربة عدوهم وعدوه على شريطة اجتماع اليد عليهـــا وموافاة
السلطان ابى سعيد والسلطان ابى يحيى بعساكرهما تلمسان لموعد ضربوه
لذلك وكان السلطان ابو سعيد بعث سنة احدى وعشرين يحيى الزنداجى (1)
قائد الاسطول بسبتة الى مولانا السلطان ابى بكر فى الاصهـــار على احدى
كرائمه وشغل عن ذلك بما وقع من شان ابن ابى عمران فلما وفد عليه
ابن السلطان واولياؤه اعاد الحديث فى ذلك وعين للنيابة عنه فى الخطبة
من السلطان ابراهيم بن ابى حاتم العزفى وصرفه مع الوفد فوافوا السلطان
بتونس اخر سنة ثلاثين وقد طرد عدوه وشفا نفسه فجاءوه بامنيته من
حركة صاحب المغرب على تلمسان وخطب منه ابراهيم للامير ابى الحسن
ابن السلطان ابى سعيد فعقد له على ابنته فاطمة شقيقـــة الامير ابى
زكرياء السفير اليهم وزفها اليه فى اساطيله سنة احدى وثلاثين وتقدم
لزفافها من مشيخة الموحدين ابو القاسم بن عتو ومحمد بن سليمان الناسك
وقد مر ذكره فنزلت على محل وثير من الغبطة والعز وكان الشان فى مهرها
وزفافها ومشاهد اعراسها وولائمها وجهازها كله من المـــفاخر للـــدولتين
ولم يزل مذكورا على الايام

(1) On trouve ailleurs ce nom écrit ainsi الرنداحى

الخبر عــن حــركة السلطــان الى المغرب وفرار بنى عبد الواد وتخريب تَامْزَزْدَكْت

كان مهلك السلطان ابى سعيد على تفيئة ما قدمناه من الاخبار اخر سنة احدى وثلاثين وولى السلطان ابو الحسن من بعده فبعث الى ابن تاشفين يخاطبه فى الغض عن عنان عيثه فى بلاد الموحدين وطغيانه عليها فلج واستكبر واساء الرد فنهد اليه فى سبيل الصريخ لهم سنة ثنتين وثلاثين وطوى البلاد طيا الى تلمسان وافرجت عساكرهم عن بجاية الى سلطانهم وتقدم السلطان عن تلمسان لمشارفة احوال بجاية والاخذ بحجــــرة العدو المحاصر لها وبعث عسكرا من قومه مددا لها عقد عليهم لمحمـد البطوى واركبهم اساطيله من سواحل وهران فدخلوها وقوبلوا بما يناسبهم من الكرامة والجراية واستنهض السلطان ابو الحسن السلطان ابا بكر لحصار تلمسان معه كما كان الشرط بين ابيه وبين ابنه الامير ابى زكرياء فشرع السلطان فى جهاز حركته وازاحة علله واقام السلطان ابو الحسن بتاسالة فى انتظاره شهرا حتى انصرم فصل الشتاء وبلغه بمعسكره من تاسالة ان اخاه السلطان ابا على صاحب سجلماسة انتقض وخرج الى درعة فقتل عامله بها بعد ان كان دامله وعقد له بعد ابيه (1) على المهادنة والتجافى عنه بمكانه من سجلماسة فلما بلغه هذا الخبر كر راجعا الى المغرب لاصلاح شانه وكان السلطان ابو بكر قد خرج من تونس واحتفل فى الحشد والتعبية فانتهى الى بجاية وبعث مقدماته الى ثغور بنى عبد الواد المحيطة ببجاية فهزموا كتائبها ثم زحف بجملته الى تيمززدكت وفرت عنها الكتائب المجمرة بها

(1) Les mss. portent ابيها

فاناخ عليها حتى خربها وانتهب اموالها واسلحتها ونسف اثارها وقفل عنها
الى بلد المسيلة اختها فى النخى وموطن اولاد سباع بن يحيى من الدواودة
كانت مشيختهم سليمان ويحيى ابنا على بن سباع وعثمان بن سباع عمهم
وابنه سعيد قد تمسكوا بطاعة ابى تاشفين وحملوا عليها قومهم ونهجوا
للعساكرة السبيل الى وطىء بلاد الموحدين والعيث فيها ومجاذبة حبلها
واقطعهم ابو تاشفين بلد المسيلة وجبل متنان ووانوغة وجبل عياض
فاصاروها من اعمالها فلما شرد السلطان عساكرهم عن بجاية وهدم ثغرهم
عليها واسترجع اعمال بجاية اليها سار فى جموعه الى هذا الوطن ليسترجع
اعماله ويجدد بها دعوته وزاد فى اغرائه بذلك على بن احمد كبير اولاد محمد
اقتال اولاد سباع هولاء ونظرائهم واهل اوتارهم ودخولهم فارتحل غازيا الى المسيلة
حتى نزلها واصطلم نعمها وخرب اسوارها وبلغه بمكانه منها شان عبد
الواحد ابن السلطان اللحيانى واجلابه على تونس وكان من خبره انه قدم من
المشرق بعد مهلك ابيه السلطان ابى يحيى زكرياء سنة تسع وعشرين فنزل
على دباب وبايع له عبد الملك بن مكى رئيس المشيخة بقابس وتسامع به
الناس وافريقية شاغرة من الحامية والعساكر لنهوضهم مع السلطان فاغتنم
حمزة بن عمر الفرصة واستقدمه فبايع له ورحل به الى الحضرة فنزل
بساحتها ودخل عبد الواحد بن اللحيانى وحاجبه ابن مكى الى البلد فاقاموا
بها ريثما ما بلغ الخبر الى السلطان فقفل الى الحضرة وبعث فى مقدمته
محمد البطوى من بطانته فى عسكر اختارهم لذلك فاجفل ابن اللحيانى وجموعه
من تونس لخمس عشرة ليلة من نزولهم ودخل البطوى اليها وجاء السلطان
على اثرد ايام عيد الفطر سنة ثنتين وثلاثين

الخبر عن نكبة الحاجب محمد بن سيد الناس وولاية ابن عبد العزيز وابن الحكيم من بعده

قد قدمنا اولية هذا الرجل وان اباه ابا الحسين كان حاجبا للامير ابى زكرياء ببجاية ولما هلك سنة تسعين وستماية خلف ابنه محمد هذا فى كفالة السلطان ومرعى نعمته فاشتمل قصرهم عليه واواه الى حجره وارضعه مع الكثير من بنيه ونشا فى كنفه وكان الحجاب للدولة من بعد ابيه مثل ابن ابى جبى والرخامى صنائع لابيه فكانوا يعرفون حقه ويوثرونه فى التجلة على انفسهم ولم يدرك فى سن الرجولية والسعى فى المجد الا ايام ابن غمر اخرهم فكان له منه مكان حتى اذا ارتحل السلطان ابو يحيى الى قسنطينة لطلب تونس وجهز له ابن غمر الالات والعساكر واقام له الحجاب والوزراء والقواد كان فيمن سرح معه محمد بن سيد الناس قائدا على عسكر من عساكره وكان ظئرا للسلطان فكانت له عنده اثرة واختصاص وعقد له من بعد مهلك ابن غمر على بجاية لما عزل عنها القالون كما قدمناه فاستبد بها على السلطان وحماها دون عساكر زناتة ودفع فى صدورهم عنها وكان له فى ذلك كله مقامات مذكورة وكانت بينه وبين قائد زناتة موسى بن على مداخلة فى زبون كل واحد منهما بمكان صاحبه على سلطانه وفطن لامرهما فاما ابو تاشفين فنكب موسى بن على كما نذكره فى اخباره واما السلطان ابو بكر فاغضى لابن سيد الناس عنها ثم استدعاه وقلده حجابته سنة سبع وعشرين كما قدمناه واستخلف على مكانه ببجاية محمد بن فرحون واحمد بن المزيد للقيام بما كان يتولاه من مدافعة العدو وكفالة الامير

ابى زكرياء ابن السلطان وقدم هو على السلطان واسكنه بقصور ملكه وفوض اليه امور سلطانه تفويض الاستقلال فجرى فى طلق الاستبداد عليه وارخى له السلطان طبل (1) الامهال واعتد عليه فلتات الدالة مع ما كانت الظنون ترجم فيه بالمداهنة فى شان العدو والزبون على مولاه باستغلاظهم وامهله السلطان لمكانه من حماية الثغر ببجاية والاستقلال به دونه حتى اذا تجلت غيابتهم واطل ابو الحسن عليهم من مرقبه ونهض السلطان ابو بكر الى بجاية وخرب تيمززدكت فاغراه البطانة حينئذ بالحاجب محمد بن سيد الناس وتنبه له السلطان فاحفظه له استبداده وتقبض عليه مرجعه من هذه الحركة فى ربيع سنة ثلاث وثلاثين واعتقله ثم امتحنه بانواع العذاب لاستخراج المال منه فلم يبس بقطرة فما زال يستغيث ويتوصل بسوابقه من الرضاع والمربى وسوابق ابيه عند سلفه حتى لذعه العذاب فافحش ونال من السلطان واقذع فقتل شدخا بالعصى وجر شلوه فاخرق خارج الحضرة وعفا رسمه كان لم يكن والى الله عاقبة الامور ولما تقبض السلطان على ابن سيد الناس ومحا اثر استبداده قلد حجابته الكاتب ابا القاسم بن عبد العزيز وقد كان قدم من الحمة عند مبايعة ابن مكى لعبد الواحد ابن اللحيانى فلحق بالسلطان فى طريقه الى تيمززدكت فلم يزل معه الى ان دخل حضرته وتقبض على ابن سيد الناس فولاه الحجابة وكان مضعفا لا يقوم بالحرب فعقد السلطان على الحرب والتدبير لصنيعته وكبير بطانته يومئذ محمد بن الحكيم وفوض له فيما وراء الحضرة وهو محمد بن على بن محمد ابن حمزة بن ابراهيم بن احمد اللخمى ونسبه فى بنى العزفى الرؤساء بسبتة وجده احمد هو ابو العباس المذكور بالعلم والدين والد ابى القاسم المستقل برياسة سبتة من بعد الموحدين وكان من خبر اوليته فيما حدثنى به محمد بن

(1) Il faut probablement lire حبل

يحيى بن ابى طالب العزفى اخر روساء العزفيين بسبتة والمنقضى امرهم
بها بانقضاء رياسته وحدثنى بها ايضا حسين ابن عمه عبد الرحمن بن
ابى طالب وحدثنى بها ايضا الثقة عن ابراهيم ابن عمهما ابى حاتم قالوا
جميعا ان ابا القاسم العزفى كان له اخ يسمى ابراهيم وكان مسرفا على نفسه
واصاب دما فى سبتة وحلف اخوه ابو القاسم ليقتدن منه ففر ولحق بديار
المشرق هذا اخر خبرهم وان محمد هذا من بنيه وبقية الخبر عن اهل هذا
البيت من سواهم ان ابراهيم انجب محمدا وانجب محمد حمزة ثم انجب حمزة
عليا فكلف بالقراءة واستظهر علم الطب واستقر فى ايالة السلطان ابى زكرياء
بالثغور الغربية واصاب السلطان وجع فى بعض ازمانه واعيا دواوه فجمع له
الاطباء وكان فيهم على هذا فحدس على المرض واحسن المداواة فوقع من
السلطان احسن المواقع واستخلصه لنفسه وخلطه بخاصته واهل خلوته
وصار له من الدولة مكان لا يجاريه احد فيه وكان يدعا فى الدولة بالحكيم
وبه عرف ابنه من بعده واصهر الى احدى بيوت قسنطينة فزوجوه (1) وخلط
اهله بحرم السلطان وولد له محمد ابنه بقصره ورضع مع الامير ابى بكر
ابنه ونشا فى حجر الدولة وكفالتها وعلى احسن الوجوه من ترتيبها ولما بلغ
اشده صرف اليه رئيس الدولة يعقوب بن غمر وجه اقباله واختصاصه فكان
له منه مكان اكسبه ترشيحا للرياسة فيما بعد من بين خواص السلطان
وخلصائه ولما نهض السلطان ابو يحيى الى افريقية قلده قيادة بعض
العساكر ثم عقد له بعد مهلك ابن غمر على عمل باجة حين رقى ابن
سيد الناس عنها الى بجاية وكان عمل باجة من اعظم الولايات فى الدولة فاضطلع
به ثم لما وامر السلطان بطانته فى نكبة ابن سيد الناس دفعه لذلك فولى
القبض عليه وكمن له فى عصبة من البطانة فى بعض الحجر من رياض راس

(1) Le ms. A porte فزجوده le ms. B فز جوده et le ms. D من وجوده

الطابية (1) واستدعى ابن سيد الناس الى السلطان ويمر بمكانهم فلما انتهى اليهم توثبوا به وشدوه كتافا وتلوه الى محبسه بالبرج المعد لقثاى مثله بالقصبة وتولى ابن الحكيم من امتحانه وعذابه ما ذكرناه الى ان هلك وعقد له السلطان مكانه على الحرب والتدبير من خططه وفوض اليه فيما وراء الحضرة كما قلناه وجعل تنفيذ الاموال والكتاب على الاوامر لابن عبد العزيز فكان عدله فى حمل الدولة الا ان ابن الحكيم كان اشف فيه لما كان اليه من التدبير والحرب الرئيسين على الكتابة لرياسة السيف على القلم فاضطلع برياسته واحسن الغنا والولاية الى ان كان من خبره وخبر الدولة ما نذكر

الخبر عن فتح قفصة وولاية الامير ابى العباس عليها

كان اهل الجريد منذ تقلص عنهم ظل الدولة عند انقسام الملك بين الثغور الغربية والحضرة وما اليها وصار امرهم الى الشورى بين المشيخة الا فى الاحايين يوملون الاستبداد كما كانوا عليه من قبل الموحدين فقد جاء عبد المومن الى افريقية وبنو الرند على قفصة وقسطيلية وابن واطاس على توزر وابن مطروح على طرابلس فاملوا مثلها وشغل مولانا السلطان ابا بكر عنهم بعد استقلاله بالامر وانفراده بالدعوة الحفصية شان الفتنة مع ال يغمراسن ابن زيان واجلاب عساكرهم مع حمزة بن عمر على اوطانه حتى اذا اخذ السلطان ابو الحسن بحجرتهم واطل عليهم من مراقبه فعادوا الى اوكارهم بعد ان اسفوا وتنفس مخنق الثغور الغربية من حصارهم وزال عن كاهل الدولة

(1) Les mss. A et D portent الطاغية

اصر معاناتهم وسكن اضطراب الخوارج على الدولة وخفتت اصوات المرجفين فى ممالكها وصرف السلطان نظره فى اعطائى ملكه ومحو الشقاق من سائر اعماله وسمت همته الى تدويخ القاصية من بلاد الجريد واستنقاذ اهلها من ايدى الذئاب العاوية والكلاب العادية زعماء امصارها واعراب فلاتها فنهض الى قفصة سنة خمس وثلاثين وقد كان استبد بشوراها يحيى بن محمد ابن على بن عبد الجليل بن العابد الشريدى من بيوتاتها فنازلها اياما والعساكر تلح عليها بانواع القتال ونصب عليها المجانيق فامتنعوا ثم جمع الايدى حتى قطع نخيلهم واقلاع شجرائهم فنادوا بالامان فامنهم وخرج اليه ابن عبد الجليل فى ربيع الاخر من سنته فاشخصه الى الحضرة وانزله بها ورجالات من قومه بنى العابد وفر سائرهم الى قابس فنزل فى جوار ابن مكى ودخل اهل البلد فى حكمه وتفيئوا بعد ان كانوا ضاحين من الملك كله فاحسن التجاوز عنهم وبسط المعدلة فيهم واحسن امل ذوى الحاجات منهم بالاسهام والاقطاع وتجديد ما بايديهم من المكتوبات السلطانية ثم اثرهم بسكنى ولده المخصوص بعدئذ بعهده الامير ابى العباس وانزله بين ظهرانهم واوصاه بهم وعقد له على قسطيلية وما اليها وجعل معه على حجابته ابا القاسم ابن عتو من مشيخة الموحدين وقفل الى حضرته فدخلها فى رمضان من سنته

الخبر عن ولاية الامير ابى فارس بن عزوز وابى البقاء خالد على سوسة ثم اضافة المهدية اليهما

لما نكب السلطان حاجبه ابن سيد الناس وولى محمد بن فرحون على حجابة

ابنه الامير ابى زكرياء وقارن ذلك ما نزل يغمراسن (1) من عدوهم تفرغ السلطان
للنظر فى ملكه وتمهيد احواله وان يرسى قواعد اعماله بنجباء ابنائه فعقد
على سوسة والبلاد الساحلية لولديه الاميرين عزوز وخالد شريكين فى
الامر وانزلهما بسوسة وانزل معهما محمد بن طاهر من صنائع الدولة ومن
بيوت اهل الاندلس القادمين فى الجالية ورياسة سلفهم بمرسية معروفة
فى اخبار الطوائف وكان اخوه ابو القاسم صاحب الاشغال بالحضرة فاقاما كذلك
ثم هلك محمد بن طاهر فاستقدم السلطان محمد بن فرحون من بجاية ثقة
باستبداد ابنه وان يولى من شاء على مجابته وانزل ابن فرحون مع هذين
الاميرين لصغرهما سنة خمس وثلاثين ثم استدعاه الامير ابو زكرياء فرجع
اليه واقام هذان الاميران بسوسة حتى اذا نكب السلطان قائده محمد بن
الحكيم واستنزل قريبه محمد بن الركراك من المهدية كان انزله بها ابن
الحكيم لما افتتحها من يد المتغلب عليها من اهل رجيس ويعرف بابن عبد
الغفار سنة [بياض] واتخذها حصنا لنفسه وانزل بها قريبه هذا واشحنها
بالعدد والاقوات فلم يغن عنه ولما هلك استنزل ابن الركراك وبعث السلطان
عليهما ابنه الامير ابا البقاء وافرد الامير ابا فارس بولاية سوسة فاقاما كذلك
الى ان كان من خبر مهلكهما ما نذكره

الخبر عن وفاة الامير ابى عبد الله صاحب قسنطينة
من الابناء وولاية بنيه من بعده

كان الامير ابو عبد الله مخصوصا من ابيه من بين ولده بالاثرة والعناية

(1) Il faut sans doute lire بيغمراسن

قد صرف اليه اقباله والقى عليه محبته لما كان يتوسم فى شواهده من الترشيح وما تحلى به من خلال الملك وكان الناس يعرفون له حق ذلك وذلك ابن عمر كان مستبدا بالثغور الغربية بجاية وقسنطينة ومدافعا عنها العدو ومن زناتة المطالبين لها فلما هلك ابن عمر سنة تسع عشرة كما قدمناه صرف السلطان نظره الى ثغوره فعقد على بجاية لابنه الامير ابى زكرياء وعقد على حجابته لابن القالون وسرحه معه لمدافعة العدو وعقد على قسنطينة لابنه الامير ابى عبد الله ومعه احمد بن ياسين وخرجوا جميعا من تونس سنة عشرين ونزل كل بعمله وقدم ظافر الكبير من الغرب فولاه السلطان حجابة ابنه بقسنطينة وانزله بها الى ان هلك سنة سبع وعشرين على تيمزردكت كما ذكرناه فجاء بحجابته من تونس ابو القاسم بن عبد العزيز الكاتب فاقام اربعين يوما ثم رجع الى الحضرة واضاف السلطان حجابة قسنطينة لابن سيد الناس الى حجابة بجاية وبعث اليها نائبا عنه مولاه هلال النازع اليه عن موسى بن على قائد بنى عبد الواد فقام بحضرة الامير ابى عبد الله الى ان كانت نكبة ابن سيد الناس عند ما بلغ الامير ابو عبد الله اشده وجرى فى طلق استبداده ففوض له فى عمله السلطان واطلق من عنانه وكان يوامره فى شانه ويناجيه فى خلوته وانزل معه بقسنطينة مولاه نبيلا من المعلوجى يقيم له رسم الحجابة ثم استدعى ظافر السنان من تونس سنة اربع وثلاثين لقيادة الاعنة والحرب فقدم لذلك وقام سنة ونصفها ثم رجع وقام نبيل بحجابته كما كان ودفع ليعيش بن [بياض] من صنائع الدولة لقيادة العساكر وحماية الاوطان فقاسمه لذلك مراسم الخدمة ورتب الدولة واستمرت حال الامير ابى عبد الله على ذلك والايام تزيده ظهورا ومساعيه الملوكية تكسبه خلالا وترشيحا الى ان اغتبط دون غايته واعتاقه الاجل عن مداه فهلك رضوان الله عليه اخر سبع وثلاثين وقام بامره من بعده

كبير بنيه الامير ابو زيد عبد الرحمن فعقد له السلطان ابو بكر على عمل ابيه لنظر نبيل مولاهم لمكان صغره واستمرت حالهم على ذلك الى اخر الدولة وكان من امرهم ما نذكره بعد

الخبر عن شان العرب ومهلك حمزة ثم اجلاب بنيه على الحضرة وانهزامهم ومقتل معز وزيرهم وما قارن ذلك من الاحداث

لما ملك السلطان ابو الحسن تلمسان واعمالها وقطع دابر ال زيان واجتث اصلهم وجمع كلمة زناتة على طاعته واستتبعهم عصبا تحت لوائه ودانت القبائل بالانقياد له وتخبت القلوب لرعبه ووفد عليه حمزة بن عمر يرغبه فى ممالك افريقية ويستحثه لها ديدنه مع ابي تاشفين من قبله فكفى بالباس من غلوائه وزجره عن خلافه على السلطان وشقاقه ونهج له بالشفاعة سبيلا الى معاودة طاعته والعمل بمرضاته فرجع حمزة الى السلطان عائذا بحلمه متوسلا بشفاعة صاحبه زعيما باذعانه وقطع مواد الخلاف من العرب باستقامته فتلقاه السلطان بالقبول واسعاف الرغبة والجزاء على المناصحة والمخالصة ولم يزل حمزة بن عمر من لدن رضى مولانا السلطان عنه واقباله عليه صحيح الطاعة خالص الطوية مناديا بمظاهرة محمد بن الحكيم قائد حربه وشهاب دولته على تدويخ افريقية وتمهيد اعمالها وحسم ادواء الفساد منها واخذ الصدقات من جميع ظواعن البدو الناجعة فى اقطارها وجمع الطوائف المتعاصين بالثغور على القاء اليد للطاعة والكف عن اموال الجباية فكانت لهذا القائد اثار فى ذلك مهدت من الدولة وارغمت انوف المتعاطين للاستبداد فى القاصية حتى استقام الامر وانمحا اثر الشقاق فاستولى على المهدية سنة

تسع وثلاثين وغلب عليها [بياض] بن عبد الغفار المنتزى بها من اهل رجيس (1) واستولى على تبسّة وتقبض على صاحبها محمد بن عبدون من مشيختها واودعه سجن المهدية الى ان اطلق بعد نكبته ونازل توزر من بعد ذلك حتى استقام ابن يملول على طاعته المضعفة واسترهن ولده ونازل بسكرة غير مرة يدافعه يوسف بن منصور بن مزنى بذمة يدعيها من السلطان ابى بكر وسلفه ويعطيه الجباية عن يد مع ما كان له من الاعتلاق بخدمة السلطان ابى الحسن فيتجافى عنه ابن الحكيم لذلك بعد استيفاء مغارمه وزحف الى بلاد ريغة فافتتح قاعدتها تُقّرْت واستولى على اموالها وذخيرتها وسار الى جبل اوراس فافتتح الكثير من معاقله وعصفت ريح الدولة باهل الخلاف من كل جانب وجاست عساكر السلطان خلال كل ارض وفى اثناء ذلك هلك حمزة بن عمر سنة ثنتين واربعين على يد ابى عون بن ابى على من بنى كبير احد بطون بنى كعب بطعنة طعنه بها غيلة فاشواه وقام بامره من بعده بنوه وكبيرهم يومئذ عمر وداخلتهم الظنة ان قتله باملاء الدولة فاعصوصبوا وتدامروا واستجاشوا باقتالهم اولاد مهلهل فجيشوا معهم وزحف اليهم ابن الحكيم فى عساكر السلطان من زناتة والجند ففلوه واستلحموا كثيرا من وجوههم ورجع الى الحضرة فتحصن بها واتبعوه فنزلوا بساحتها سنة ثلاثين وقاتلوا العساكر سبع ليال ثم اختلفوا ونزع طالب بن مهلهل فى قومه الى طاعة السلطان فاجفلوا وخرج السلطان على تفيئة ذلك فى جمادى من سنته فى عساكره واحزابه من العرب وهوارة فاوقع بهم برقادة من ضواحى القيروان ورجع الى حضرته اخر رمضان من سنته وذهبوا مفلولين الى القفر ومروا فى طريقهم بالامير ابى العباس بقفصة فرغبوه فى الخلاف على ابيه وان يجلبوا به على الحضرة فاملى لهم فى ذلك حتى

(1) Le ms. A porte رحيش

ظفر بمعز بن مطاعن وزير حمزة وكان راس النفاق والغواية فتقبض عليه وقتله وبعث براسه الى الحضرة فنصب بها ووقع ذلك من مولانا السلطان احسن المواقع ثم وفد بعدها على الحضرة فبايع له بالعهد فى اخر سنته فى محفل اشهده الملاء من الخاصة والكافة بايوان ملكه وكان يوما مشهودا قرى فيه سجل العهد على الكافة وانفضوا منه داعين للسلطان وراجع بنو حمزة الطاعة من بعدها واستقاموا عليها الى ان كان من امرهم ما نذكره

الخبر عن مهلك الحاجب ابن عبد العزيز وولاية ابي محمد بن تافراكين من بعده وما كان على تفيئة ذلك من نكبة ابن الحكيم

هذا الرجل اسمه احمد بن اسمعيل بن عبد العزيز الغسانى وكنيته ابو القاسم واصل سلفه من الاندلس انتقلوا الى مراكش واستخدموا بها للموحدين واستقر ابوه اسماعيل بتونس ونشا ابو القاسم بها واستكتبه الحاجب ابن الدباغ ولما دخل السلطان ابو البقاء خالد الى تونس ونكب ابن الدباغ لجا ابن عبد العزيز الى الحاجب ابن غمر وخرج معه من تونس الى قسنطينة واستقر ظافر الكبير هنالك فاستخدمه الى ان غرب الى الاندلس كما قدمناه ثم استعمله ابن غمر على الاشغال بقسنطينة سنة ثلاث عشرة فقام بها وتعلق بخدمة القالون بعد استبداد ابن غمر بجاية فلما وصل السلطان ابو بكر الى تونس سنة ثمان عشرة استقدمه القالون واستعمله على اشغال تونس ثم كانت سعايته فى القالون مع المزوار بن عبد العزيز الى ان فر القالون سنة احدى وعشرين وولى الحجابة المزوار بن عبد العزيز وكان ابو القاسم بن عبد العزيز هذا رديفا لضعف ادواته ولما هلك ابن عبد العزيز المزوار بقى

ابو القاسم بن عبد العزيز يقيم الرسم الى ان قدم ابن سيد النـــاس من
بجاية وتقلد الحجابة كما قدمناه فغص بمكان ابن عبد العزيز هذا واشخصه
عن الحضرة وولاه اعمال الحامة ثم استقدم منها عند ما ظهر عبد الواحد
ابن اللحيانى بجهات قابس فلحق بالسلطان فى حركته الى تيمزردكت واقام فى
جملة السلطان الى ان نكب ابن سيد الناس وولى الحجابة بالحضرة كما ذكرنا
ذلك كله من قبل الى ان هلك فاتح سنة اربع واربعين فعقد السلطان على
حجابته لشيخ الموحدين ابى محمد عبد الله بن تافراكين وكان بنو تافراكين
هولاء من بيوت الموحدين فى تينملل ومن ايت الخمسين وولى عبـــد المومن
كبيرهم عمر بن تافراكين على فاس اول ما ملكها الموحدون سنة اربعين
وخمساية الى ان فتحوا مراكش فكان عبد المومن يستخلفه عليهـــا ايام
مغيبه على الامارة والصلاة ولما ثار بمراكش عبد العزيز وعيسى ابنا اومغار
اخى الامام المهدى سنة احدى وخمسين كان اول ثورتهم ان اعترضوا عمر بن
تافراكين عند ندائه للصلاة فقتلوه وفضحهم الصبح واستلحمهم العامة ثم
كان ابنه عبد الله بن عمر من بعده من رجالات الموحدين ومشيختهم ولما
عقد الخليفة يوسف بن عبد المومن على قرطبة لاخيه السيد ابى اسحاق انزل
معه عبد الله بن عمر بن تافراكين للمشورة مع جماعة من الموحدين كان
منهم يوسف بن وانودين وكان عبد الله المقدم فيهم وجاء ابنـــه عمر من
بعده متقبلا مذهبه مرموقا تجلته ولما ولى السيد ابو سعيد بن عمر بن
عبد المومن على افريقية ولاه قابس واعمالها الى ان استنزله عنها يحيى بن
غانية سنة ثنتين وتسعين وخمساية ثم كان منهم بعد ذلك عظماء فى
الدولة وكبراء من المشيخة اخرهم عبد العزيز بن تافراكين خالف الموحدين
بمراكش لما نقضوا بيعة المامون فاغتالوه فى طريقه الى المسجد عند الاذان
بالصبح بما كان محافظا على شهود الجماعات ورعاه له المامون فى اخيه عبد

الحق وبنيه احمد ومحمد وعمر فلما استلحم الموحدون وعمهم الجزع ارتحل
عبد الحق موريا بالحج ونزل على السلطان المستنصر فانزله بمكانه من الحضرة
وسرحه بعض الاحايين الى الحامة لحسم الداء فيها وقد كان يوقع الخلاف
من مشيختها فحسن عناؤه فيها وقتل اهل الخلاف وحسم العلل وولاه السلطان
ابو اسحاق على بجاية بعد مقتل محمد بن ابى هلال فاضطلع بها ولما ولى
الدعى ابن ابى عمارة سرحه فى عسكر من الموحدين لقهر العرب وكف عدوانهم
فاثخن فيهم ما شاء ولم يزل معروفا بالرياسة مرموقا بالتجلة الى ان هلك وكان
بنو اخيه عبد العزيز وهم احمد ومحمد وعمر جاءوا على اثره من المغرب فنزلوا
بالحضرة خير منزل وغذوا بلبان النعمة والجاه فيها وكان احمد كبيرهم
وولاه السلطان ابو حفص على قفصة ثم على المهدية ثم استعفا
من الولاية فعوفى وكان السلطان ابو عصيدة يستخلفه على الحضرة
اذا خرج منها على ما كان لاوليه الى ان هلك لاول المائة الثامنة سنة
ثلاث ونشا ابناه ابو محمد عبد الله وابو العباس احمد فى حجر الدولة وجو
عنايتها واصهر عبد الله منهما الى ابى يعقوب بن يزدوتن شيخ الدولة فى
ابنته فعقد له عليها واصهر من بعده اخوه احمد الى ابى محمد بن يغمور
فى ابنته فعقد له ايضا عليها واستخلص ابو ضربة اللحيانى كبيرهما ابا محمد
عبد الله واثره بصحابته فلم يزل معه الى ان كانت الوقيعة عليه بمصوح
وتقبض على كثير من الموحدين فكان فى جملتهم ومن عليه السلطان ابو
بكر ورقاه فى رتب عنايته الى ان ولاه الوزارة بعد الشيخ ابى محمد بن
القاسم ثم قدمه شيخا على الموحدين بعد مهلك شيخهم ابى عمر بن
عثمان سنة ثنتين واربعين وبعثه الى ملك المغرب مع ابنه الامير ابى
زكرياء صاحب بجاية صريخا على بنى عبد الواد فجلى فى خدمة ابن السلطان
وعرض سفارته وتوجه لايثار بعدها اليه واختص بالسفارة الى ملك المغرب

سائر ايامه وغص الحاجب ابن سيد الناس بمكانه وهم بمكروهه فكبح السلطان عنانه عنه ويقال انه افضى اليه بذات صدره من نكبته ولما انقسمت خطط الدولة من الحرب والتدبير ومخالصة السلطان وتنفيذ اوامره بين ابن عبد العزيز الحاجب وابن الحكيم القائد كان له هو القدح المعلى فى المشورة والتدبير وكانوا يرجعون اليه ويعولون على رايه وكان ثالث اثافيهم ومصقلة ارائهم ولما هلك الحاجب ابن عبد العزيز وكان السلطان قد اضمر نكبة ابن الحكيم لما كان يتعاطاه من الاستبداد ويحتجنه من اموال السلطان واسر الحاجب ابن عبد العزيز الى السلطان زعموا بين يدى مهلكه بالتحذير من ابن الحكيم وسوء دخلته وانه فاوضه ايام نزول العرب عليه بساح تونس سنة ثنتين واربعين كما قدمناه فى الادالة من السلطان ببعض الاعياص من بنى ابى دبوس كانوا معتقلين بالحضرة القاها الغدر على لسانه ضجرا من قعود السلطان عن الخروج بنفسه الى العرب وسامة مما هو فيه من الحصار فاعتدها عليه ابن عبد العزيز حتى القاها الى السلطان عند موته وبرى منها اليه فاودعها اذنا واعية وكان حتف ابن الحكيم فيها فلما هلك وولى شيخ الموحدين ابو محمد بن تافراكين فاوضه فى نكبة ابن الحكيم وكان يتربص به لما كان بينهما من المنافسة وكان ابن الحكيم غائبا عن الحضرة فى تدويخ القاصية وقد نزل جبل اوراس واقتضى مغارمه وتوغل فى ارض الزاب واستوفى جبايته من عامله يوسف بن منصور وتقدم الى ريغ ونازل تُغُّرْت وافتتحها وامتلات ايدى عساكره من مكاسبهم وحليهم واتصل به خبر مهلك ابن عبد العزيز وولاية ابى محمد بن تافراكين الحجابة فنكر ذلك لما كان يظن ان السلطان لا يعدل بها عنه وكان يرشح لها كاتبه ابا (1) القاسم ابن واران ويرى ان ابن عبد العزيز قبله لم يتميز بها ايثارا عليه فبدا له ما

(1) Les mss A et B portent أبو

لم يحتسبه فظن الظنون ونعر ثم اصحب واغذ السير الى الحضرة وقد وامر السلطان ابا محمد بن تافراكين فى نكبته واعد البطانة للقبض عليه وقدم على الحضرة متنصف ربيع من سنة اربع واربعين وجلس له السلطان جاوسا فخما فعرض عليه هديته من المقربات والرقيق والانعام حتى اذا انفض المجلس وشيع السلطان وزراءه وانتهى الى بابه اشار الى البطانة فاحدقوا به وتلوه الى محبسه وبسط عليه العذاب لاستخراج الاموال فاخرجها من مكامن احتجانها وحصل منها فى مودع السلطان اربعماية الف من الذهب العين ومثلها اوما يقاربها من الجوهر والعقار الى ان استصفى ولما امتك عظمه ونفد ماله خنق بمحبسه فى رجب من سنته وذهب مثلا فى الايام وغرب ولدد مع امه الى المشرق وطرح بهم الاغتراب الى ان هلك منهم من هلك وراجع الحضرة على وعبيد منهم فى اخرين من اصاغرهم بعد ايام واحوال والله يحكم لا معقب لحكمه

الخبر عن شان الجريد واستكمال فتحه وولاية ابنه ابي العباس عليه وولاية صاحب قابس احمد بن مكى على جزيرة جربة

كان امر الجريد قد صار الى الشورى منذ شغلت الدولة بمطالبة زناتة بنى عبد الواد وما نالها لذلك من الاضطراب واستبد مشيخة كل بلد بامره ثم انفرد واحد منهم بالرياسة وكان محمد بن يملول من مشيخة توزر هو القائم فيها والمستبد بامرها كما سنذكره ولما فرغت الدولة الى الاستبداد وارهف السلطان حده للثوار وعفا على اثار المشيخة بقفصة وعقد لابنه الامير ابى العباس على بلاد قسطيلية ونزل بقفصة فاقام بها ممهدا لامارته مرددا

بعوثه الى البلاد اختبارا لما يظهرون من طاعته وزحف حاجبه ابو القاسم ابن عتو سنة [بياض] بالعساكر الى نفطة ابتلاء لطاعة روسائها بنى مدافع المعروفين ببنى الخلف وكانوا اخوة اربعة استبدوا فى رياستها فى شغل الدولة عنهم فسامهم سوء العذاب ولازوا بجدران الحصون التى ظنوا انها مانعتهم وتبرات منهم الرعايا فادركهم الدهش وسالوا النزول على حكم السلطان فجنبوا الى مصارعهم وصلبوا على جذوعهم اية للمعتبرين وافلت السيف عليا صغيرهم لنزوعه الى العسكر قبل الحادثة فكانت له ذمة واقية من الهلكة وانتظم الامير ابو العباس بلد نفطة فى ملكته وجدد له العقد عليه ابوه وتملك الكثير من نفزاوة ولما استبجت نفطة ونفزاوة سمت همته الى ملك توزر جرثومة الشقاق وعش الخلاف والنفاق وخشى مقدمها محمد بن يملول مغبة حاله وذهب الى مصانعة قائد الدولة محمد بن الحكيم بذات صدره فتجافى عنه الى ان كان مهلكهما فى سنة واحدة واضطرب امر توزر وتواثب بنوه واخوته وقتل بعضهم بعض وكان اخوه ابو بكر معتقلا بالحضرة فاطلقه السلطان من محبسه بعد ان اخذ عليه المواثيق بالطاعة والجباية ومضى الى توزر فملكها وطالبه الامير ابو العباس صاحب قفصة وبلاد قسطيلية بالانقياد الذى عاهد عليه فنازعه ما كان فى نفسه من الاستبداد وصارت توزر لذلك شجا معترضا فى صدر امارته فخاطب اباه السلطان ابا بكر واغراه به فنهض اليه سنة خمس واربعين وانتهى الى قفصة وطار الخبر الى ابى بكر بن يملول رئيسها يومئذ فادركه الدهش وانفض من حوله الاولياء وجاهر بطاعة السلطان ولقائه ففر عنه كاتبه وكاتب ابيه المستولى على امره على بن محمد التمودى المعروف الشهرة ولحق ببسكرة فى جوار يوسف ابن مزنى واتخذ السلطان السير الى توزر فخرج اليه ابو بكر بن يملول والقى اليه بيده وخلط نفسه بجملته ثم ندم على ما فرط من امره واحس بالنكراء

من الدولة ونذر بالمهلكة فلحق بالزاب ونزل على يوسف بن منصور ببسكرة فتلقاه من الترحيب والقرى بما يحدث به الناس ولما استولى السلطان على توزر وانتظمها فى اعماله عقد عليها لابنه الامير ابى العباس وانـــزله بها وامكنه من رمتها ورجع السلطان الى الحضرة ظاهرا عزيزا وتملا ايام ملكه الى ان هلك على فراشه كما نذكر واتصلت ممالك الامير ابى العباس فى بلاد الجريد وساور ابو بكر بن يملول توزر مرارا يفلت فى كلها من المهلكة الى ان مات ببسكرة سنة سبع واربعين قبل مهلك السلطان كما نذكر واقام الامير ابو العباس بمحل امارته ولم يزل يمهد الاحوال ويستنزل الثوار وكان ابن مكى قد امتنع عليه بقابس وكان من خبره انه لما رجع عبد الملك من تونس مع عبد الواحد بن اللحيانى الذى كان حاجبا له ذهب ابن اللحيانى الى المغرب واقام هو بقابس ثم استراب بمآل امره مع السلطان حين ذهب ملك ال زيان واوفد اخاه احمد بن مكى على السلطان ابى الحسن متنصلا من ذنوبه متذمما بشفاعة منه الى السلطان ابى بكر فشفع له واعاده السلطان الى مكان رياسته واستقام هو على الطاعة ونكب عن سنن العصيان والفتنة وكان لاحمد بن مكى خط من الخلال والادوات ونفس مشغوفة بالرياسة والسرو وكان يقرض الشعر فيجيد ويرسل فيحسن وكان خط كتابه انيفا ينحو به منحى الخط الشرقى شان اهل الجريد فيمتع ما شاء فكانت لذلك كله فى نفس الامير ابى العباس صاغية اليه وكان هو مستريبا بالمخالطـــة لما شاء من اثارة السالفة ولم يزل الامير ابو العباس يفتل له فى الذروة والغـارب الى ان جمعهما مجلس السيدة امة الواحدة (1) اخت مولانا السلطـان قافلة من حجها فمسح ما كان فى صدره واحكم له عقد مخالصته واصطنعه لنفسه فحل من امارته بمكان غبطة واعتزاز وعقد له السلطان على جزيرة جربة واستضافها

(1) Il est probable qu'il faut lire الواحد

الى عمله وانزل عنها مخلوف بن الكماد من صنائعه كان افتتحها سنة ثمان وثمانين وعقد له السلطان عليها ونزلها احمد بن مكى واستقل اخوه عبد الملك برياسة قابس واقاما على ذلك وجردا عزائمهما فى ولاية ابى العباس صاحب اعمال الجريد فلم يزالوا كذلك الى ان كان من امر الجميع ما نذكره

الخبر عن مهلك الوزير ابى العباس بن تافراكين

كان السلطان ابو بكر عند نكبته لقائده ابن الحكيم استعمل على حجابته شيخ الموحدين ابا محمد بن تافراكين كما ذكرناه وفوض اليه فيما وراء بابه وعقد على الوزارة لاخيه ابي العباس احمد وكان ابو محمد جلس الباب لمكان الحجابة فدفع الى الحرب وقود العساكر وامارة الضاحية اخاه ابا العباس فقام بما دفع اليه من ذلك وكان بنو سليم بعد مهلك حمزة بن عمر نقموا ما كان عليه من الاذعان وسموا الى الخلاف والعناد فكان من ابناء حمزة فى ذلك من الاجلاب على الحضرة ما ذكرناه وكان سحيم بن [بياض] من اولاد القوس من حكيم بهمة غوار ومارد خلاف وعناد وكان السلطان قد ولى على حجابة ابنه الامير ابي العباس فى اعمال الجريد ابا القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وكان يناهض بنى تافراكين بزعمه فى الشرف وينفس عليهم ما اتاهم الله من الرتبة والحظ فلما ولى ابو محمد الحجابة ملىء منه حسدا وحفيظة وداخل فيما زعموا سحيما هذا الغوى فى النيل من ابى العباس ابن تافراكين صاحب العساكر وشارطه على ذلك بما اداه اليه وتكاتموا امرهم وخرج ابو العباس بن تافراكين فاتح سنة سبع فى العساكر لجباية هوارة فوفد عليه سحيم هذا وقومه وضايقوه فى الطلب ثم انتهزوا الفرصة

بعض الايام واجلبوا عليه فانفض معسكره وكبا به فرسه فقتل وحمل شلوه الى الحضرة فدفن بها وجاهر سحيم بالخلاف وخرج الى الرمال فلم يزل كذلك الى حين مهلك السلطان كما نذكره

الخبر عن مهلك الامير ابى زكرياء صاحب بجاية من الابناء وما كان بعد ذلك من ثورة اهل بجاية باخيه الامير ابى حفص وولاية ابنه الامير ابى عبد الله

كان السلطان ابو بكر لما هلك الحاجب ابن عمر عقد على بجاية لابنه الامير ابى زكرياء كبير ولده وانفذه اليها مع حاجبه محمد بن القالون كما ذكرناه وجعل اموره تحت نظره ثم رجع القالون الى تونس فانزل معه ابن سيد الناس كذلك فلما استبد بحجابة الحضرة جعل على حجابته ابا عبد الله بن فرحون ثم لما تقبض على ابن سيد الناس وعلى ابن فرحون وقد استبد الامير ابو زكرياء بامره وقام على نفسه فوض السلطان اليه الامر فى بجاية وبعث اليه ظافر السنان مولى ابيه الامير ابى زكرياء الاوسط قائدا على عسكره والكاتب ابا اسحاق بن غلان متصرفا فى حجابته فاقام ببابه مدة ثم صرفهما الى الحضرة وقدم لحجابته ابا العباس احمد بن ابى زكرياء الزندى كان ابوه من اهل العلم وكان ينتحل مذهب الصوفية الغلاة ويطالع كتب عبد الحق بن سبعين ونشا احمد هذا ببجاية واتصل بخدمة السلطان وترقى فى الرتب الى ان استعمله الامير ابو زكرياء كما قلناه ثم هلك وقد انف السلطان ابو بكر من انتزاء هولاء السوق على حجابة ابنه فانفذ لهم من حضرته كبير الموحدين يومئذ وصاحب السفارة ابا محمد بن تافراكين

سنى اربعين وسبعماية فاقام احوال ملكه وعظم ابهـــة سلطانه وجهز العساكر لسفره واخرجه الى اعماله فطاف عليها وتفقدها وانتهى الى تخومها من المسيلة ومقرة ولم يستكمل الحـــول حـــتى سخطه مشيخة من اهل بجاية لما نكروا من الابهة والحجاب حتى استغلظ عليهم باب السلطـــان وتولى كبر ذلك القاضى ابن ابى يوسف تعنتا وملالا واستعفى هو من ذلك فاعفى وعاد الى مكانه بالحضرة ثم استقدم الامير ابو زكرياء حاجبه الاول لعهد ابن سيد الناس وهو ابو عبد الله محمد بن فرحون وقد كان السلطان بعثه فى غرض الرسالة الى ملك المغرب فى الاسطول الـــذى بعثه مددا للمسلمين عند اجازة السلطان ابى الحسن الى طريف وكان اخوه زيد بن فرحون قائد ذلك الاسطول بما كان قائد البحر ببجاية فلما رجع ابو عبد الله بن فرحون من سفارته تلك اذن له فى المقام عند الامير ابى زكرياء واستعمله على حجابته الى ان هلك فولى من بعده فى تلك الخطة [بياض] ابن القشاش من صنائع دولته ثم عزله وولى عليها ابا القاسم بن علناس من طبقة الكتب اتصل بدار هذا الامير وترقى فى ديوانه الى ان ولاه خطة الحجابة ثم عزله بعلى بن محمد بن المفت الحضرمى كان ابوه وعمه قدما مـع جاليـــة الاندلس وكانا ينتحلان القراءات واخذ اهل بجاية عن عمه ابى الحسن على القراءات وكان خطيبا بجامع السلطان ونشا على ابن اخيه واستعمل فى الـــديوان وكان طموحا للرياسة واتصل بحظية كانت لمولى ابى زكريـــاء تسمى ام الحكم قد غلبت على هواه فرشحت على بن المفت هذا لخطة الحجابة واستعمله فيها فقام بها واصلح مونات السلطان واحوال مقامته فى سفره وجهز له العساكر وجال فى نواحى اعماله وهلك هذا الامير فى احدى سفارته وهـو على حجابته بتاكرارت من اعمال بجاية من مرض كان ازمن به فى ربيع الاول سنة سبع واربعين وكان ابنه الامير ابو عبد الله فى حجر مولاه فارح من معلوجى ابن

سيد الناس وكانوا اصطنعوه فالفوه قابلا للترشيح فاقام مع ابن مولاه ينتظر امر الخليفة وبادر حاجبه الاول ابو القاسم بن علناس الى الحضرة وانهى الخبر الى الخليفة فعقد على بجاية لابنه الامير ابى حفص كان معه بالحضرة وهو من اصاغر ولده وانفذه اليها مع رجاله واولى اختصاصه وخرج معه ابو القاسم بن علناس فوصل الى بجاية ودخلها على حين غفلة وحمله الاوغاد من البطانة على ارهاف الحد واظهار السطو فخشى الناس البوادر وايتمروا ثم كانت فى بعض الايام هيعة تمالا فيها الكافة على التوثب بالامير القادم فطافوا بالقصبة فى سلاحهم ونادوا بامارة ابن مولاهم ثم تسوروا جدرانها واقتحموا داره وملكوا عليه امره واخرجوه برمته بعد ان انتهبوا جميع موجوده وتسايلوا الى دار الامير ابى عبد الله محمد ابن اميرهم ومولاهم بعد ان كان معتزما على التقويض عنهم واللحاق بالخليفة جده واذن له فى ذلك عمه الامير القادم فبايعوه بداره من البلد ثم نقلوه من الغد الى قصره بالقصبة وملكوه امرهم وقام بامره مولاه فارح ولقبه باسم الحجابة واستمر حالهم على ذلك ولحق الامير ابو حفص بالحضرة اخر جمادى الاولى من سنته لشهر من يوم ولايته الى ان كان من شانه بعد مهلك مولانا السلطان ما نذكره وتدارك السلطان امر بجاية وبعث اليهم ابا عبد الله بن سليمان من كبراء الصالحين من مشيخة الموحدين يسكنهم ويونسهم وبعث معهم كتاب العقد عليها لحافده الامير ابى عبد الله محمد بن الامير ابى زكرياء ذهابا مع مرضاتهم فسكنت نفوسهم وانسوا بولاية ابن مولاهم وجرت الامور الى مصايرها كما نذكره

الخبر عن مهلك مولانا السلطان ابى بكر وولاية ابنه الامير ابى حفص

بينما الناس فى غفلة من الدهر وظل ظليل من العيش وامن من الخطوب تحت سرادق من العز ودمة واقية من العدل اذ ريع السرب وتكدر الشرب وتقلصت ظلال العز والامن وتعطل فناء الملك ونعى السلطان ابو بكر بتونس فجاءة من جوف الليل ليلة الاربعاء ثانى رجب سنة سبع واربعين وسبعماية فهب الناس من مضاجعهم متسايلين الى القصر يستمعون نباة النعى واطافوا به سائر ليلتهم تراهم سكارى وما هم بسكارى وبادر الامير ابو حفص عمر ابن السلطان من داره الى القصر فملكه وضبط ابوابه واستدعا الحاجب ابا محمد بن تافراكين من داره ودعوا المشيخة من الموحدين والموالى وطبقات الجند واخذ الحاجب عليهم البيعة للامير ابى حفص ثم جلس من الغداة جلوسا فخما على الترتيب المعروف فى الدولة احكمه الحاجب ابو محمد لمعرفته بعوائدها وقوانين ترتيبها لقنه عن اشياخه اهل الدولة من الموحدين وغدا عليه الكافة فى طبقاتهم فبايعوا له واعطوه صفقة ايمانهم وانفض المجلس وقد انعقدت بيعته واحكمت خلافته وكان الامير خالد بن مولانا السلطان مقيما بالحضرة قدمها زائرا منذ اشهر واقام متمليا من الزيارة فلما سمع النعى فر من ليلته وتقبض عليه اولاد منديل من الكعوب وردوه الى الحضرة فاعتقل بها وقام ابو محمد بن تافراكين بخطة الحجابة كما كان وزيادة تفويض واستبداد الا ان بطانة السلطان كانوا يكثرون السعاية فيه ويوغرون صدره عليه بذكر منافسات ومناقشات سابقة بين الحاجب والامير ايام ابيه واتصل ذلك منهم غصا بمكانه ونذر الحاجب بذلك منهم فاعمل الحيلة فى الخلاص من صحابتهم كما نذكر بعد

الخبر عن زحف الامير ابى العباس ولى العهد من مكان امارته بالجريد الى الحضرة وما كان من مقتله ومقتل اخويه الاميرين ابى فارس عـــزوز وابى البقـــاء خالد

كان السلطان ابو بكر قد عهد الى ابنه الامير ابي العباس صاحب اعمال الجريد كما ذكرناه سنة ثلاث واربعين فلما بلغه مهلك ابيه وما كان من بيعة اخيه نعى على اهل الحضرة ما جاءوا به من نقض عهده ودعا العرب الى مظاهرته على امره فاجابوه ونزعوا جميعا الى طاعته عن طاعـــة اخيه بما كان مرهفا لحده فى الاستبداد والضرب على ايدى اهل الدولة من العرب وسوامهم وزحف الى الحضرة ولقيه اخوه ابو فارس صاحب عمل سوسة لقيه بالقيروان فاتاه طاعته وصار فى جملته وجمع السلطان ابو حفص عمر جموعه واستركب واستلحق وازاح العلل واخرج غرة شعبان وارتحل عـــن تونس وحاجبه ابو محمد بن تافراكين قد نذر منه بالهلكة واعمل فى اسباب النجاة حتى اذا تراءى الجمعان رجع الحاجب الى تونس فى بعض الشغل وركب الليل ناجيا الى المغرب وبلغ خبر مفره الى السلطان فاجفل واختل مصافه وتحيز الى باجة فتلوم بها وتخلف عنه اهل المعسكر فلحقوا بالامير ابى العباس وملك الحضرة ثامن رمضان ونزل برياض راس الطابية واطلق اخاه ابا البقاء من معتقله ثم دخل الى قصره سبع ليال من ملكه وصبحه الامير ابو حفص ثامنها فاقتحم عليه البلد لصاغية كانت له فى قلوب الغوغاء من غشيانه اسمارهم وطروقه منازلهم ايام جنون شبابه وقضاء لذاته فى مرباه وفتك باخيه الامير ابى العباس ولسرعان ما نصب راسه على القناة وداست شلوه سنابك

العسكر واصبح اية للمعتبرين وثارت العامة بمن كانت بالبلد من وجوه العرب ورجالاتهم فقتلوا فى تلك الهيعة من كتب عليه القتل وتلوا كثيرا منهم الى السلطان فاعتقلهم وقتل ابا الهول بن حمزة بن عمر من بينهم وتقبض على اخوته خالد وعزوز وامر بقطعهم من خلاف فقطعوا وكان فيه مهلكهم واستوسق ملكه بالحضرة واستعمل على حجابته ابا العباس احمد بن على بن رزين من طبقة الكتاب كان كاتبا للتحشى الحاجب وبعده للقائد ظافر الكبير واتصل بالسلطان ابى بكر لاول ملكه بالحضرة فاسف على بن عمر بولاية ابن القالون الحاجب فخاطب السلطان فيه ونكبه ثم اطلق من محبسه ومضى الى المغرب ونزل على السلطان ابى سعيد فاحمد نزله ثم رجع الى الحضرة ولم يزل مشنوءا ايام السلطان كلها واستكتب الامير ابو حفص ولده محمدا وكانت له به وصلة فلما استوسق له الملك بعد مفر ابى محمد بن تافراكين كما ذكرناه ولى اباه ابا العباس هذا على حجابته وعقد على حربه وعساكره لظافر مولى ابيه وجده المعروف بالسنان واستخلص لنجواه وسرة مكتبه ابو عبد الله محمد بن الفضل بن نزار من طبقة الفقهاء ومن اهل البيوت النابهة بتونس كان له بها سلف مذكور واتصل بدار السلطان وارتسم بها مكتبا لولده وقرا عليه هذا الامير ابو حفص فيمن قرا عليه منهم فكانت له من اجل ذلك خصوصية به ومزيد عناية عنده ولما استبد بامره كان هو مستبدا بشوراه وجرت الحال على ذلك الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن استيلاء السلطان ابى الحسن على افريقية ومهلك الامير ابى حفص وانتقال الابناء من بجاية وقسنطينة الى المغرب وما تخلل ذلك من الاحداث

كان السلطان ابو الحسن يحدث نفسه منذ ملك تلمسان وقبلها بملك افريقية ويتربص بالسلطان ابى بكر ويسر له حسوا فى ارتغاء فلما لحق به حاجبه ابو محمد بن تافراكين بعد مهلكه رغبه فى سلطانها واستحثه للقدوم عليها وحرك له الحوار فتنبهت لذلك عزائمه ثم وصل الخبر بمهلك ولى العهد واخويه وخبر الواقعة فاحفظه ذلك بما كان من رضاه بعهده وخطه الوفاق على ذلك بيده فى سجله وذلك ان حاجب الامير ابى العباس وهو ابو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين كان سفر عن السلطان لاخر ايامه الى السلطان ابى الحسن بمهدية وحمل سجل العهد فوقف عليه السلطان ابو الحسن وسال منه امضاه لمولاه وكتاب ذلك بخطه فى سجله فخطه بيمينه واحكم له عقده فلما بلغه مهلك ولى العهد تعلل بان النقض اتى على ما احكمه فاجمع غزو افريقية ومن بها فعسكر ظاهر تلمسان وفرق الاعطيات وازاح العلل ثم رحل فى صفر من سنة ثمان واربعين يجر الدنيا بما حملت واوفد عليه ابناء حمزة بن عمر امراء البدو بافريقية ورجالات الكعوب اخاهم خالدا يستصرخه لثار اخيه ابى الهول الهالك يوم الواقعة فاجابهم ونزع اليهم ايضا اهل القاصية بافريقية بطاعتهم فجاءوا فى وفد واحد ابن مكى صاحب قابس وابن يملول صاحب توزر وابن العابد صاحب قفصة ومولاهم ابن ابى عنان صاحب الحامة وابن الخلف صاحب نفطة فلقوه بوهران واتوه

بيعتهم رغبة ورهبة وادوا بيعة ابن ثابت صاحب طرابلس ولم يتخلف عنهم
الا لبعد داره ثم جاء من بعدهم وعلى اثرهم صاحب الزاب يوسف بن منصور
ابن مزنى ومعه مشيخة الموحدين الدواودة وكبيرهم يعقوب بن على فلقوه
ببنى (1) حسن من اعمال بجاية فاوسع الكل حباء وكرامة واسنى الصلاة
والجوائز وعقد لكل منهم على بلده وعمله وبعث مع اهل الجزائر الولاة لجباية
لنظر مسعود بن ابراهيم اليرنيانى من طبقة وزرائه واغذ السير الى بجاية
فلما اطلت عساكره عليها توامر اهلها فى الامتناع ثم انابوا وخرج اميرها
ابو عبد الله محمد ابن الامير ابى زكرياء فاتاه طاعته وصرفه الى المغرب مع
اخوانه وانزله ببلد ندرومة واقطع له الكفاف من جبايتها وبعث على بجاية
عماله وخلفاءه وسار الى قسنطينة فخرج اليه ابناء الامير ابى عبد الله يقدمهم
كبيرهم الامير ابو زيد فاتوه طاعتهم واقبل عليهم وصرفهم الى المغرب وانزلهم
بوجدة واقطعهم جبايتها وانزل بقسنطينة خلفاءه وعماله واطلق القرابة من
سكان اعتقالهم بها وفيهم ابو عبد الله محمد اخو السلطان ابى بكر وبنوه
ومحمد ابن الامير خالد واخوانه وبنوه واصارهم فى جملته حتى صرفهم الى
المغرب من الحضرة من بعد ذلك ووفد عليه هنالك بنو حمزة بن عمر
ومشايخ قومهم الكعوب فاخبروه باجفال المولى ابى حفص من تونس مع ظواعن
اولاد مهلهل واستحثوه باعتراضهم قبل لحاقهم بالقفر وسرح معهم العساكر
فى طلبه لنظر حمو العشرى من مواليه وسرح عسكرا اخر الى تونس لنظر
يحيى بن سليمان من بنى عسكر ومعه ابو العباس بن مكى وسارت العساكر
لطلب الامير ابى حفص فادركوه بارض الحامة من جهات قابس وصبحوهم فدافعوا
عن انفسهم بعض الشىء ثم انفضوا وكبا بالامير ابى حفص جواده فى بعض

(1) On lit dans le ms. A بنو ; les mss. B et D portent بنى

نافقاء الجرابيع (1) وانجلت الغيابة عنه وعن مولاه ظافر راجلين فتقبض عليهما واوثقهما قائد الكتائب فى قيده حتى اذا جن الليل وتوقع ان يفلتهما العرب من اساره قبل ان يصل بهما الى مولاه فذبحهما وبعث برءوسهما الى السلطان ابى الحسن فوصلا اليه بباجة وخلص الفل من الواقعة الى قابس فتقبض عبد الملك بن مكى على رجالات من اهل الدولة كان فيهم ابو القاسم ابن عتو من مشيخة الموحدين وصخر بن موسى من رجالات سدويكش وغيرهما من اعيان الدولة فبعث بهم ابن مكى الى السلطان فاما ابن عتو وصخر بن موسى وعلى بن منصور فقطعهم من خلاف واعتقل الباقين وسيقت العساكر الى تونس ثم جاء السلطان على اثرهم ودخل الحضرة فى الزى والاحتفال فى جمادى الاخره من سنته وخفيت الاصوات وسكنت الدهماء وانقبضت ايدى اهل الفساد وانقرض امر الموحدين الا ذبالا فى بونة فانه عقد عليها للمولى الفضل ابن مولانا ابي بكر لمكان صهره ووفادته عليه بين بدى مهلك ابيه ثم ارتحل السلطان الى القيروان ثم الى سوسة والمهدية وتطوف على المعالم التى بها ووقف على اثار ملوك الشيعة وصنهاجة فى مصانعها ومبانيها والتمس البركة فى زيارة القبور التى تذكر للصحابة والسلف من التابعين والاولياء وقفل الى تونس ودخلها اخر شعبان من سنته

الخبر عن ولاية الامير ابى العباس الفضل على بونة واولية ذلك ومصائره

كان السلطان ابو الحسن قد اصهر الى السلطان ابى بكر قبيل مهلكه فى احدى كرائمه واوفد عليه فى ذلك عريف بن يحيى كبير بنى سويد من

(1) La vraie orthographe de ce mot est اليرابيع

زغبة وصاحب شوراه وخالصة سره مع وفد من رجالات دولته من طبقات الفقهاء والكتاب والموالى كان فيهم صاحب الفتيا بمجلسه ابو عبد الله السطى وكاتب دولته ابو الفضل بن عبد الله بن ابى مدين واميز الحرم عنبر الخصى فاسعف السلطان وعقد له على حظيته عزونة شقة ابنه الفضل وزفها اليه بين يدى مهلكه مع اخيها الفضل ومعه ابو محمد عبد الواحد بن اكماز (1) من مشيخة الموحدين وادركهم الخبر بمهلك السلطان فى طريقهم فلما قدموا على السلطان ابى الحسن تقبلهم بقبول حسن ورفع مجلس الفضل واستتب له ملكها اعرض له عن ذكر ذلك الا انه رعى له ذمة الصهر وسابقة الوعد فاقنعه بالعقد على بونه مكان عمله منذ ايام ابيه وانزله بها عند ما رحل عنها الى تونس واضطغن المولى الفضل من ذلك حقدا لما كان يرجوه من تجافيه له عن ملك ابائه ولحق وفادته وصهره واقام بمكان عمله منها يومل الكرة الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن بيعة العرب لابن ابى دبوس وواقعتهم مع السلطان ابى الحسن بالقيروان وما قارن ذلك كله من الاحداث

كان السلطان ابو الحسن لما استوسق له ملك افريقية اسف العرب بمنعهم من الامصار التى ملكوها بالاقطاعات والضرب على ايديهم فى الاتاوات فوجموا لذلك واستكانوا لغلبته وتربصوا الدوائر وربما كان بعض البادية منهم يشن الغارات فى الاطراف فيعتدها السلطان من كبرائهم واغاروا بعض الايام فى ضواحى تونس فاستاقوا الظهر الذى كان للسلطان فى مراعيها واظلم الجو

(1) Il faut probablement lire اكمازير

بينهم وبينه وخشوا عاديته وتوقعوا باسه ووفد عليه ايام الفطر من رجالاتهم
خالد بن حمزة واخوه احمد من بنى كعب وخليفة بن عبد الله من مسكين
وخليفة بن بوزيد من رجالات حكيم وساءت ظنونهم فى السلطان لسوء
افعالهم فداخلوا عبد الواحد بن اللحيانى فى الخروج على السلطان وكان من
خبر عبد الواحد هذا انه بعد اجفاله من تونس سنة ثنتين وثلاثين
كما ذكرناه لحق بابى تاشفين فاقام عنده فى مبرة وتكرمة ولما اخذ السلطان
ابو الحسن بمخنق تلمسان واشتد حصارها سال عبد الواحد من ابى تاشفين
تخليته للخروج فودعه وخرج للسلطان ابى الحسن فنزل عليه ولم يزل فى
جملته الى ان احتل بافريقية فلما خشن ما بينه وبين الكعوب والتمسوا
الاعياص من بنى ابى حفص ينصبونهم للامر رجوا ان يظفروا من عبد
الواحد بالبغية فداخلوه وارتاب لذلك وخشى بادرة السلطان فرفع اليه
الخبر فتقبض السلطان عليهم اربعتهم بعد ان احضرهم معه فانكروا وبهتوا
ثم وبخهم واعتقلهم وعسكر بساحة الحضرة لغزوهم وتلوم لبعث الاعطيات
وازاحة العلل وبلغ الخبر الى احيائهم فقطع الياس اسباب رجائهم وانطلقوا
يحزبون الاحزاب ويلتمسون للملك الاعياص وكان اولاد مهلهل اقتالهم وعديلة
حملهم قد اياسهم السلطان من القبول والرضى بما بلغوا فى نصيحة المولى
ابى حفص ومظاهرته فلحقوا بالقفر ودخلوا الرمال فركب اليهم فتيتة
ابن حمزة وامه ومعهم ظواعن ابنائهما متذممين لاولاد مهلهل بالعصيبة
والقرابة فاجابوهم واجتمعوا بقسطيلية وتواهبوا الترات والدماء وتدامروا بما
شملهم من رهب السلطان وتوقع باسه وتفقدوا من اعياص الموحدين من
ينصبونه للامر وكان بتوزر احمد بن عثمان بن ابى دبوس اخر خلفاء بنى
عبد المومن بمراكش وقد ذكرنا خبره وخروجه بجهات طرابلس واجلابه
مع العرب على تونس ايام السلطان ابى عصيدة ثم انفضوا وبقى عثمان

بجهات قابس وطرابلس الى ان هلك بجزيرة جربة واستقر بنو ابنه عبد السلام بالحضرة بعد حين فاعتقلوا بها ايام السلطان ابى بكر ثم غربهم الى الاسكندرية مع اولاد ابن الحكيم عند نكبته كما ذكرنا ذلك كله فنزلوا بالاسكندرية واقبلوا على الحرف لمعاشهم ورجع احمد هذا من بينهم الى المغرب واستقر بتوزر واحترف بالخياطة ولما تفقد العرب الاعياص دلهم على نكرته بعض اهل عرفانه فانطلقوا اليه وجاءوا به وجمعوا له الالة ونصبوه للامر وتبايعوا على الاستماتة وزحف اليهم السلطان فى عساكره من تونس ايام الحج من سنة ثمان ولقيهم بالثنية دون القيروان فغلبهم واجفلوا امامه الى القيروان ثم تدامروا ورجعوا مستميتين ثانى محرم سنة تسع فاختل مصافه ودخل القيروان وانتهبوا معسكره بما يشتمل عليه واخذوا بمخنقه الى ان اختلفوا وافرجوا عنه وخلص الى تونس كما نذكر

الخبر عن حصار القصبة بتونس ثم الافراج عن القيروان وعنها وما تخلل ذلك

كان الشيخ ابو محمد بن تافراكين ايام حجابته للسلطان ابى بكر مستبدا بامره مفوضا اليه فى سائر شؤنه فلما استوزره السلطان ابو الحسن لم يجره على مالوفه لما كان قائما على امره وليس التفويض للوزراء من شانه وكان يظن ان السلطان ابا الحسن سيكل اليه امر افريقية وينصب معه الفضل للملك وربما زعموا انه عاهده على ذلك فكان فى قلبه من الدولة مرض وكان العرب يفاوضونه بذات صدورهم من الخلاف والاجلاب فلما حصلوا على البغية من الظهور على السلطان ابى الحسن وعساكره واحاطوا به فى

القيروان تحيل ابن تافراكين فى الخروج عن السلطان لما تبين فيه من
النكراء منه ومن قومه وبعث العرب فى لقائه وان يحملوه حديث فيئهم الى
الطاعة فاذن له وخرج اليهم وقلدوه حجابة سلطانهم ثم سرحوه الى حصار
القصبة وكان السلطان عند رحيله من تونس خلف بها الكثير من حرمه
وابنائه ووجوه قومه واستخلف عليها يحيى بن سليمان العسكرى من كبار
بطانته واهل مجلسه ووجوه قومه فلما كانت واقعة القيروان واتصل الخبر
بتونس كانت لنباته هيعة خشى عليها عسكر السلطان على انفسهم
فلجا من كان معهم بتونس الى قصبتها واحاط بهم الغوغاء فامتنعت عليهم
واتخذوا الالة للحصار وفرقوا الاموال فى الرجال وعظم فيها غناء بشير من المعلوجى
الموالى فطار له ذكر وكان الامير ابو سالم ابن السلطان ابى الحسن قد جاء من
المغرب فوافاه الخبر دوين القيروان فانفض معسكره ورجع الى تونس فكان
معهم بالقصبة ولما خرج ابن تافراكين من هوة الحصار بالقيروان اليهم طمعوا
فى الاستيلاء على قصبة تونس وفض ختامها فدفعوه الى ذلك ثم لحق به
سلطانهم ابن ابى دبوس وعانا من ذلك ابن تافراكين صعبا لكثرة الرجل الذين
كانوا بها ونصبوا المجانيق عليها فلم يغن شيًا وهو اثناء ذلك يحاول النجاة لنفسه
لاضطراب الامور واختلال الرسوم الى ان بلغه خلوص السلطان من القيروان
الى سوسة وكان من خبره ان العرب بعد ايقاعهم بعساكره احاطوا بالقيروان
واشتدوا فى حصارها وداخل السلطان اولاد مهلهل من الكعوب وحكيما من
بنى سليم فى الافراجا عنه واشترط لهم على ذلك الاموال واختلف راى العرب
لذلك ودخل عليه فتيتة بن حمزة بمكانه من القيروان زعيما للطاعة فتقبله
واطلق اخوانه خالدا واحمد ولم يثق اليهم ثم دخل اليه محمد بن طالب من
اولاد مهلهل وخليفة بن بو زيد وابو الهول بن يعقوب من اولاد القوس
واسرى معهم بعسكرد الى سوسة فصبحها وركب منها فى اساطيله الى تونس

وسبق الخبر الى ابن تافراكين بتونس فتسلسل من اصحابه وركب السفين الى الاسكندرية فى ربيع سنة تشع واربعين واصبحوا وقد تفقدوه فاضطربوا واجفلوا عن تونس وخرج اهل القصبة من اولياء السلطان فملكوها وخربوا منازل الحاشية فيها ونزل السلطان بها من اسطوله فى ربيع الاخر فاستقلت قدمه من العثار ورجا الكرة لولا ما قطع اسبابها عنه مما كان من انتزاء ابنائه بالمغرب على ما نذكره فى اخبارهم واجلب العرب وابن ابى دبــوس معهم على الحضرة ونازلوا بها السلطان فامتنعت عليهم فرجعوا الى مهادنته فعقد لهم السلم ودخل حمزة بن عمر اليه وافدا فحبسه الى ان تقبض على ابن ابى دبوس وامكنه منه فلم يزل فى محبسه الى ان رحل الى المغرب ولحق هو بالاندلس كما نذكره فى اخباره واقام السلطان بتونس ووفد عليه احمد بن مكى فعقد لعبد الواحد بن اللحيانى على الثغور الشرقية طرابلس وقابس وصفاقس وجربة وسرحه مع ابن مكى فهلك عند وصوله اليها فى الطاعون الجارف وعقد لابى القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وهو الذى كان قطعه باغراء ابى محمد بن تافراكين فلما ظهر خلافه اعاد ابن عتو الى مكانه وعقد له على بلاد قسطيلية وسرحه اليها واقام هو بتونس الى ان كان ما نذكره

الخبر عن استيلاء الامير الفضل على قسنطينة وبجاية
ثم استيلاء امرائهما عليهما

كان سنن السلطان ابو الحسن فى دولته بالمغرب وفود العمال عليه اخر كل سنة لايراد جباياتهم والمحاسبة على اعمالهم فوفدوا عليه عامهم ذلك من قاصية المغرب ووافاهم خبر الواقعة بقسنطينة وكان معهم ابن مزنى عامل الزاب وفد

ايضا بجبايته وهديته وكان معهم ابو عمر تاشفين ابن السلطان ابى الحسن كان اسيرا من يوم واقعة طريف ووقعت المهادنة بين الطاغية وبين ابيه فاطلقه واوفد معه جمعا من بطارقته وقدموا معه على ابيه ووفد معه اخوه عبد الله من المغرب وكان ايضا معهم وفد السودان من اهل مالى فى غرض السفارة واجتمعوا كلهم بقسنطينة فلما اتصل بهم خبر الواقعة على السلطان كثر الاضطراب وتجلبت السفاه من الغوغاء الى ما بايديهم وخشى الملاء من اهل البلد على انفسهم فاستدعوا ابا العباس الفضل من عمله ببونة ولما اطل على قسنطينة ثارت العامة بمن كان هنالك من الوفود والعمال وانتهبوا اموالهم واستلحموا منهم وخلص ابناء السلطان مع وفود السودان والجلالقة الى بسكرة مع ابن مزنى وفى خفارة يعقوب بن على امير الدواودة فاوسعهم ابن مزنى قرى وتكرمة الى ان لحقوا بالسلطان ابى الحسن بتونس فى رجب من سنة تسع ودخل المولى الفضل الى قسنطينة واعاد ما ذهب من سلطان قومه وشمل الناس بعدله واحسانه وسوغ الاقطاع والجوائز ورحل الى بجاية لما انس من صاغية اهلها الى الدعوة الحفصية فلما اطل عليها ثار اهلها بالعمال الذين كان السلطان انزلهم بها استباحوهم وافلتوا من ايدى نكبتهم بجريعة الذقن ودخل المولى الفضل الى بجاية واستولى على كرسى ملكها ونظمها مع قسنطينة وبونة فى ملكه واعاد القاب الخلافة ورسومها وشياتها كما كانت واعتزم على الرحيل الى الحضرة وبينما هو يحدث نفسه بذلك اذ وصل الخبر بقدوم امراء بجاية وقسنطينة من المغرب وكان من خبرهم ان الامير ابا عنان لما بلغه خبر الواقعة بابيه وانتزاء منصور ابن اخيه ابى مالك بالبلد الجديد دار ملكهم واحس بخلاص ابيه من هوة الحصار بالقيروان فوثب على الامر ودعا لنفسه ورحل الى المغرب كما نذكره فى اخباره وسرح الامير ابا عبد الله محمد ابن الامير ابى زكرياء صاحب بجاية

من الابناء الى عمله وامده بالاموال واخذ عليه المواثيق ليكونن له رداء دون ابيه وليحول بينه وبين الخلوص اليه متى مر به وانطلق ابو عبد الله الى بجاية وقد سبقه اليها عمه الفضل واستولى عليها فنازله بها وطال حصارها ولحق به بمكانه من منازلتها نبيل المولى من المعلوجى مع ابناء الامير ابى عبد الله وكافل بنيه من بعده وتقدم الى قسنطينة وبها عامل من قبل الفضل فثار به الناس لحينه ودخل نبيل وملك البلد واقام فيها دعوة ابى زيد ابن الامير ابى عبد الله وكان الامير ابو عنان استصحبه واخوانه الى المغرب وبعد احتلاله بفاس سرحهم الى مكان امارتهم بقسنطينة بعد ان اخذ عليهم الموثق فى شان ابيه بمثل موثق ابن عمهم فجاءوا على اثر نبيل مولاهم ودخلوا البلد واحتل ابو زيد منها بمكان امارته وسلطان قومه كما كان قبل رحلتهم الى المغرب ولم يزل الامير ابو عبد الله ينازل بجاية الى ان بيتها بعض ليالى رمضان من سنته بمداخلة بعض الاشياع من زعانفتها داخلهم مولاه وكافله فارح فى ذلك فسرب فيهم الاموال وواعدوه للبيات وفتحوا له باب البر من ابوابها فاقتحمها ونجاهم هدير الطبول فهب السلطان من نومه وخرج من قصره فتسنم الجبل المطل عليها متسربا فى شعابه الى ان وضح الصباح وظهر عليه فجىء به الى ابن اخيه فمن عليه واستبقاه واركبه السفين الى بلده بونة فى شوال من سنة تسع واربعين ووجد بعض الاعياص من قرابته قد ثاروا بها وهو محمد بن عبد الواحد من ولد ابى بكر ابن الامير ابى زكرياء الاكبر كان هو واخوه عمر بالحضرة وكان لعمر منهما النظر على القرابة فلما كان هذا الاضطراب لحقوا بالفضل وتركهم ببونة عند سفره الى بجاية فاحدثتهم انفسهم بالانتزاء فلم يتم لهم امر وثارت بهم الحاشية والعامة فقتلوا لوقتهم ووافا الفضل الى بونة وقد انجلت غيابتهم ومحيت اثارهم ودخل الى قصره والقى عصا تسياره واستقل الامير ابو عبد الله ابن الامير ابى

زكرياء بجاية محل امارة ابيه والامير ابو زيد ابن الامير ابى عبد الله بقسنطينة محل امارة ابيه والامير ابو العباس الفضل ببونة محل امارته منذ عهد الامرة (1) والسلطان ابو الحسن بتونس الى ان كان من امرهم ما نذكره

الخبر عن حركة الفضل الى تونس بعد رحيل السلطان ابى الحسن الى المغرب

كان العرب بعد ما قدمنا من طاعتهم واسلامهم السلطان ابن ابى دبوس قد انقبضوا عن السلطان ابى الحسن واجلبوا عليه ثانية وتولى كبر ذلك فتيتة بن حمزة وخالف الى السلطان اخوه خالد مع اولاد مهلهل وافترق امرهم وخرج كبيرهم عمر بن حمزة حاجا واستقدم فتيتة واصحابه الامير الفضل من مكان امارته ببونة لطلب حقه واسترجاع ملك ابائه فاجابهم ووصل الى احيائهم اخر سنة تسع فنازلوا تونس واجلبوا عليها ثم افرجوا عنها وعاودوا منازلتها اول سنة خمسين وافرجوا عنها اخر المصيف واستدعاهم ابو القاسم بن عتو صاحب الجريد من مكان عمله بتوزر فدخل فى طاعة الفضل وحمل اهل الجريد كلهم عليها واتبعه فى ذلك بنو مكى وانتقضت افريقية على السلطان ابى الحسن من اطرافها فركب اساطيله الى المغرب ايام الفطر من سنة خمسين ونهض المولى الفضل الى تونس وبها ابو الفضل ابن السلطان ابى الحسن كان ابوه قد عقد له عليها عند رحيله الى المغرب تفاديا من ثورات الغوغاء ومعرات هيعتهم وامن عليه بما كان عقد له من الصهر مع عمر بن حمزة فى ابنته فلما اطلت رايات المولى الفضل على تونس

(1) Le ms. A porte أبيه et le ms. B الامه

ايام الحج نبضت عروق التشيع للدعوة الحفصية واحاطت الغوغاء بالقصر ورجموه بالحجارة وارسل ابو الفضل الى بنى حمزة متذمما بصهرهم فدخل عليه ابو الليل واخرجه ومن معه من قومه الى الحى واستركب له من رجالات بنى كعب من ابلغه مامنه وهداه السبيل الى وطنه ودخل الفضل الى الحضرة وقعد بمجلس ابائه من الخلافة وجدد ما طمسه بنو مرين من معالم الدولة واستمر امره على ذلك الى ان كان ما نذكره

الخبر عن مهلك الفضل وبيعة اخيه المولى ابى اسحاق فى كفالة ابى محمد بن تافراكين وتحت استبداده

لما دخل ابو العباس الفضل الى الحضرة واستبد بملكها عقد على حجابته لاحمد بن محمد بن عتو نائبا عن عمه ابى القاسم ريثما يصل من الجريد وعقد على جيشه وحربه لمحمد بن [بياض] الشواش من بطانته وكان وليه المطارد به ابو الليل فتيتة بن حمزة مستبدا عليه فى سائر احواله مشتطا فى طلباته وانف له بطانته من ذلك فحملوه على التنكر له وان يديل منه بولاية خالد اخيه وبعث عن ابى القاسم بن عتو وقد قلده حجابته وفوض اليه فى امره وجعل مقاد الدولة بيده فركب اليه البحر من سوسة واستالف له خالد بن حمزة ظهيرا على اخيه بعد ان نبذ اليه عهده وفارضهم ابو الليل بن حمزة قبل استحكام امورهم فغلب على السلطان وحمله على عزله قائده محمد بن الشواش فدفعه الى بونة على عساكرها واضطرمت نار الفتنة بين ابى الليل بن حمزة واخيه خالد وكاد شملهم ان ينصدع وبينماهم يحشون نار الحرب ويجمعون الجموع والاحزاب اذ قدم كبيرهم عمر وابو محمد عبد الله بن تافراكين

من حجهم وكان ابن تافراكين لما احتل بالاسكندرية بعث السلطان ابو الحسن فيه الى اهل المشرق وخاطب ملوك مصر فى التحكيم فيه فاجاره عليه الامير المستبد على الدولة حينئذ بيبغاروس وخرج من مصر لقضاء فرضه وخرج عامئذ عمر بن حمزة لقضاء فريضة الحج ايضا فاجتمعا فى مشاهد الحج اخر سنة خمسين وتعاقدوا على الرجوع الى افريقية والتظاهر على امرهما وقفلا فالفيا خالدا وفتيتة على الصقين فاشار عمر بردائه فاجتمعا وتواقفا ومسح الاحن من صدورهما وتواطئوا جميعا على المكر بالسلطان وبعث اليه وليه فتيتة بالمراجعة فقبله واتقفوا على ان يقلد حجابته ابا محمد بن تافراكين حاجب ابيه وكبير دولته ويديل به من ابن عتو فابى ثم اصحت ونزلت احياؤهم ظاهر البلد واستحثوا السلطان للخروج اليهم ليكملوا عقد ذلك معه فخرج ووقف بساحة البلد الى ان احاطوا به ثم اقتادوه الى بيوتهم واذنوا لابن تافراكين فى دخول البلد فدخلها لاحدى عشرة من جمادى الاولى سنة احدى وخمسين وعمد الى دار المولى ابى اسحاق ابراهيم ابن مولانا السلطان ابى بكر فاستخرجه بعد ان بذل لامه من العهود والمواثيق ما رضيته وجاء به الى القصر واقعده على كرسى الخلافة وبايع له الناس خاصة وعامة وهو يومئذ غلام مناهز فانعقدت بيعته ودخل بنو كعب فاتوه طاعتهم وسيق اليه اخوه الفضل ليلتئذ فاعتقله وغط من جوف الليل بمحبسه حتى فاض ولاذ حاجبه ابو القاسم بن عتو يومئذ بالاختفاء فى غيابات البلد وعثر عليه لليال فامتحن وهلك فى امتحانه وخوطب العمال فى الجهات باخذ البيعة على من قبلهم فبعثوا به واستقام ابن يملول صاحب توزر على الطاعة وبعث بالجباية والهدية واتبعه صاحب نفطة وصاحب قفصة وخالفهم ابن مكى وذهب الى الاجلاب على ابن فافراكين لما كان قد كفل السلطان وحجره عن التصرف فى امره واستبد عليه الى ان كان ما نذكر

الخبر عن حركة صاحب قسنطينة الى تونس وما كان من مجابة ابى العباس بن مكى وتصاريف ذلك

لما استولى ابو محمد بن تافراكين على تونس وبايع للمولى ابى اسحاق بالخلافة واستبد عليه نقم عليه الامراء شان استبداده وشمر ابن مكى للسعى عليه بمنافسة كانت بينهما قديمة من لدن ايام السلطان ابى بكر واستعان على ذلك باولاد مهلهل مقاسمى اولاد ابى الليل فى رياسة الكعوب ومجاذبيهم حبل الامارة فلما راوا صاغية ابن تافراكين الى اولاد ابى الليل اقتالهم اجمعوا له ولهم وحالفوا بنى حكيم من قبائل علاق واجلبوا على الضواحى وشنوا الغارة ثم وفدوا على الامير ابى زيد صاحب قسنطينة واعمالها يستحثونهم للنهوض الى افريقية واستخلاص ملك ابائه ممن استبد عليه واحتازه فسرح معهم عسكرين لنظر ميمون ومنصور الجاهل من مواليه وموالى ابيه وارتحلوا من قسنطينة وارتحل معهم يعقوب بن على كبير الدواودة بمن معه من قومه وسرح ابو محمد بن تافراكين من الحضرة للقائهم عسكرا مع ابى الليل بن حمزة لنظر مقاتل من موالى السلطان والتقى الجمعان ببلاد هوارة سنة ثنتين وخسين فكانت الدبرة على اولاد ابى الليل وقتل يومئذ ابو الليل فتيتة بن حمزة بيد يعقوب بن سحيم من اولاد القوس شيوخ بنى حكيم ورجع فلهم الى تونس فامتدت ايدى اولاد مهلهل وعساكر قسنطينة فى البلاد وجبوا الاموال من اوطان هوارة وانتهوا الى ابة ثم قفلوا راجعين الى قسنطينة وولى على اولاد ابى الليل مكان فتيتة اخوه خالد بن حمزة وقام بامرهم وكان ابو العباس بن مكى اثناء ذلك يكاتب المولى ابا زيد

صاحب قسنطينة من مكان ولايته بقابس ويعده من نفسه الوفادة والمدد بالمال والاحزاب والقيام باعطيات العرب حتى اذا انصرم فصل الشتاء وفد عليه مع اولاد مهلهل فلقاه مبرة وتكريما وعقد له على حجابته وجمع عساكره وجهز التّه وازاح علل تابعه ورحل من قسنطينة سنة ثلاث وخمسين فى صفر وجهز ابو محمد بن تافراكين سلطانه ابا اسحاق بما يحتاج اليه من العساكر والالة وجعل على حربه ابنه ابا عبد الله محمد بن نزار من طبقة الفقهاء ومشيخة الكتاب كان يعلم ابناء السلطان الكتاب ويقرئهم القرءان كما قدمناه وفصل من تونس فى التعبية حتى تراءى الجمعان بمرماجنة وتزاحفوا فاختل مصاف السلطان ابى اسحاق وافترقت جموعه وولوا منهزمين واتبعهم القوم عشية يومهم ولحق السلطان بحاجبه ابى محمد بن تافراكين بتونس وجاءوا على اثره فنازلوا تونس اياما وطالت عليها الحرب ثم امتنعت عليهم وارتحلوا الى القيروان ثم الى قفصة وبلغهم ان ملك المغرب الاقصى السلطان ابا عنان بعد استيلائه على المغرب الاوسط زحف الى التخوم الشرقية وانتهى الى المدية وكان صاحب بجاية ابو عبد الله قد خالفهم الى قسنطينة بمداخلة ابى محمد بن تافراكين واستجاشته ونازل جهات قسنطينة وانتسف زروعها وشن الغارات فى بسائطها فبلغه انه رجع الى بجاية منكمشا من زحف بنى مرين واعتزم الامير ابو زيد على مبادرة ثغره ودار امارته قسنطينة ورغب اليه ابو العباس بن مكى اولاد مهلهل ان يخلف بينهم من اخوانه من يجتمعون اليه ويزاحفون به فولى عليهم اخاه ابا العباس فبايعوه واقام فيهم هو وشقيقه ابو يحيى زكرياء الى ان كان من شانه ما نذكر وانصرف الامير ابو زيد عند ذلك من قفصة يغذ السير الى قسنطينة واحتل بها فى جمادى من سنته

الخبر عن وفادة صاحب بجاية على ابى عنان واستيلائه عليه وعلى بلده ومطالبته قسنطينة

كان بين الامير ابى عبد الله صاحب بجاية وبين الامير ابى عنان ايام امارته بتلمسان ونزول الاعياص الحفصيين بندرومة ووجدة ايام ابيه كما ذكرناه اتصال ومخالصة احكمها بينهما نسب الشباب والملك وسابقة الصهر فكان للامير ابى عبد الله من اجل ذلك صاغية الى بنى مرين اوجد بها السبيل على ملكه ولما مر به السلطان ابو الحسن فى اسطوله عند ارتحاله من تونس كما قدمناه امر اهل سواحله بمنعه الماء والاقوات من سائر جهاتها رعيا للذمة التى اعتقدها مع الامير ابى عنان فى شانه وجنوحا الى تشييد سلطانه ولما اوقع السلطان ابو عنان ببنى عبد الواد سنة ثلاث وخمسين واستولى على المغرب الاوسط ونجا فلهم الى بجايه اوعز الى الامير ابى عبد الله باعتراضهم فى جهاته والتقبض عليهم فاجابه الى ذلك وبعث العيون بالمراصد فعثروا فى ضواحى بجاية على محمد ابن سلطانهم ابى سعيد عثمان بن عبد الرحمن وعلى اخيه ابى ثابت الزعيم ابن عبد الرحمن وعلى وزيرهم يحيى ابن داوود بن مكن فاوثقوهم اعتقالا وبعث بهم الى السلطان ابى عنان ثم جاء على اثرهم فتلقاه بالقبول والتكرمة وانزله باحسن نزل ثم دس اليه من اغراه بالنزول له عن بجاية رغبة فيما عند السلطان ازاء ذلك من النجلة والادالة منها بمكناسة المغرب والراحة من زبون الجند والبطانة واخفاقا مما سواه ان لم يتعهده فاجاب اليه على الياس والكره وشهد مجلس السلطان فى بنى مرين بالرغبة فى ذلك فاسعف واسنيت جائزته واقطعت له مكناسة

من اعمال المغرب ثم انتزعها لايام قلائل ونقله فى جملته الى المغرب وبعث الامير ابو عبد الله مولاه فارحا المستبد كان عليه لياتيه باهله وولده وعقد ابو عنان على بجاية لعمر بن على بن الوزير من بنى واطّاس وهم ينتسبون بزعمهم الى على بن يوسف امير لمتونة فاختصه ابو عنان بولايتها لمتات هذا النسب الصنهاجى بينه وبين اهل وطنها منهم وانصرفوا جميعا من المدينة ولما احتلوا بجاية تؤامر اولياء الدعوة الحفصية بها من صنهاجة والموالى وتمشت رجالاتهم فى قتل عمر بن على الوزير واشياع بنى مرين وتصدى لذلك زعيم صنهاجة منصور بن ابراهيم بن الحاج فى رجالات من قومه باملاء فارح زعموا وغدوا عليه بداره من القصبة فاكب عليه منصور يناجيه فطعنه وطعن اخر منهم القاضى ابن فركان بما كان شيعة لبنى مرين ثم اجهزوا على عمر بن على ومضى القاضى الى داره فمات واتصلت الهيعة بفارح فركب اليها وهتف الهاتف بدعوة صاحب قسنطينة محمد بن ابى زيد وطيروا اليه بالخبر واستحثوه للقدوم واقاموا على ذلك اياما ثم تؤامر الملاء من اهل بجاية فى التمسك بدعوة صاحب المغرب خوفا من بوادره فثاروا بفارح وقتلوه ايام التشريق من سنة ثلاث وبعثوا براسه الى السلطان بتلمسان وتولى كبر ذلك هلال صاحبه من موالى ابن سيد الناس ومحمد ابن الحاجب ابى عبد الله بن سيد الناس ومشيخة البلد واستقدموا العامل بتدلس من بنى مرين وهو يحيى بن عمر بن عبد المومن من بنى ونكاسن فبادر اليهم وسرح السلطان ابو عنان اليها حاجبه ابا عبد الله محمد بن ابى عمرو فى الكتائب فدخلها فاتح سنة اربع وخمسين وذهبت صنهاجة فى كل وجه فلحق كبراؤهم وذوو الفعلة منهم بتونس وتقبض على هلال مولى ابن سيد الناس لما داخلته فيه من الظنة وعلى القاضى محمد بن عمر لما كان شيعة لفارح وعلى عرفاء الغوغاء من اهل المدينة واشخصهم معتقلين الى المغرب وصرف نظره الى تمهيد

لوطن واستدعى كبراء العرب واهل النواحى واعمال بجاية وقسنطينة ووفد عليه يوسف بن مزنى صاحب الزاب ومشيخة الدواودة فاسترهن ابناءهم على الطاعة وقفل بهم الى المغرب واستعمل ابو عنان على بجاية موسى بن ابراهيم اليرنيانى من طبقة الوزراء وبعثه اليها ولما وفدوا على السلطان جلس لهم جلوسا فخما ووصلوا اليه ولقاهم تكرمة ومبرة واوسعهم حباء واقطاعا وانفذ لهم الصكوك والسجلات واخذ على طاعتهم العهود والمواثيق والرهن وانقلبوا الى اهلهم وعقد لحاجبه ابى عمرو على بجاية واعمالها وعلى حرب قسنطينة من ورائها ورجعه اليها فدخلها فى رجب من سنته واوعز السلطان الى موسى بن ابراهيم بالولاية على سدويكش والنزول ببنى ياورار فى كتيبة جهزها هنالك لمضايقة قسنطينة وجباية وطنها وكل ذلك لنظر الحاجب ببجاية وكان بقسنطينة ابو عمر تاشفين ابن السلطان ابى الحسن معتقلا من لدن واقعة بنى مرين بها وكان موسوسا فى عقله معروفا بالجنون عند قومه وكان الامراء بقسنطينة قد اسنوا جرايته فى اعتقاله واولوه من المبرة والحفاية كفاء نفسه فلما زحف كتائب بنى مرين الى بنى ياورار اخر عمل بجاية واذنوا قسنطينة ومن بها بالحرب والحصار نصب المولى ابو زيد هذا الموسوس ابا (1) عمر ليجاجى به رجالات بنى مرين اهل العسكر ببجاية وبنى ياورار وجهز له الالة وتسامعوا بذلك فنزع اليهم الكثير منهم وخرج نبيل حاجب الامير ابى زيد الى اهل الضاحية من بونة ومن كان على دعوته من سدويكش والدواودة فجمعهم وزحفوا جميعا الى وطن بجاية واتصل الخبر بالحاجب ببجاية فبعث فى الدواودة من مشاتيهم بالصحراء فاقبلوا اليه حتى نزلوا التلول ووفد عليه ابو دينار بن على بن احمد واستحثه للحركة على قسنطينة فاعترض عساكره وازاح عللهم وخرج من بجاية فى ربيع من سنة خمسين فكر ابو

(1) Les mss. portent ابو

عمر ومن معه راجعين الى قسنطينة وزحف الحاجب فيمن معه من بنى مرين والدواودة وسدويكش ولقيهم نبيل الحاجب بمن معه فكانت عليه الدبرة واكتسحت اموال بونة ورجع ابن ابى عمرو بعساكره الى قسنطينة فاناخ عليها سبعا ثم ارتحل عنها الى ميلة وعقد يعقوب بن على بين الفريقين صلحا على ان يمكنوه من ابى عمر الموسوس فبعثوا به الى اخيه السلطان ابى عنان فانزله ببعض الحجر ورتب عليه الحرس وسار الحاجب فى نواحى اعماله وانتهى الى المسيلة واقتضى مغارمها ثم انكفا راجعا الى بجاية وهلك فاتح ست وخمسين وعقد السلطان على بجاية واعمالها بعده لوزيره عبد الله بن على بن سعيد من بنى يابان (1) وسرحه اليها فدخلها وزحف الى قسنطينة فحاصرها وامتنعت عليه فرجع الى بجاية ثم زحف من العام المقبل سنة سبع وخمسين كذلك ونصب عليها المجانيق فامتنعت عليه ورجف فى معسكره بموت السلطان فانفضوا واحرق مجانيقه ورجع الى بجاية وجهز الكتائب ببنى ياورار لنظر موسى بن ابراهيم اليرنيانى عامل سدويكش الى ان كان من الايقاع به وبعسكره ما نذكره

الخبر عن حادثة طرابلس واستيلاء النصارى عليها ثم رجوعها الى ابن مكى

كانت طرابلس هذه ثغرا منذ الدول القديمة وكانت لهم عناية بحمايتها لما كان وضعها فى البسيط وكانت ضواحيها قفرا من القبائل فكان النصارى اهل صقلية كثيرا ما يحدثون انفسهم بملكها وكان ميخائيل الانطاكى صاحب اسطول رجار قد تملكها من ايدى بنى خزرون من مغراوة اخر دولتهم

(1) On trouve ce nom quelquefois écrit بابان

ودولة صنهاجة كما ذكرنا ثم رجعها ابن مطروح ودخلت فى دعوة الموحدين ومرت عليها الايام الى ان استبد بها ابن ثابت ووليها من بعده ابنه فى اعوام خمسين وسبعماية منقطعا عن الحضرة مقيما رسم الدعوة وكان تجار الجنويين يترددون اليها فاطلعوا على عوراتها وايتمروا فى غزوها واتعدوا لمرساها فوافوه سنة خمس وخمسين وانتشروا بالبلد فى حاجاتهم ثم بيتوها ذات ليلة فصعدوا اسوارها وملكوها عليهم وهتف هاتفهم بالحرب وقد لبسوا السلاح فارتاعوا وهبوا من مضاجعهم فلما راوهم بالاسوار لم يكن همهم الا النجاة بانفسهم ونجا ثابت بن عمر مقدمهم الى حلة الجوارى اعراب وطنها من دباب احدى بطون بنى سليم فقتل لدم كان اصابه منهم ولحق اخوته بالاسكندرية واستباحها النصارى واحتملوا فى سفنهم ما وجدوا بها من الخرثى والمتاع والعقائل والاسرى واقاموا بها وداخلهم ابو العباس بن مكى صاحب قابس فى فدائها فاشترطوا عليه خمسين الفا من الذهب العين فبعث فيها لملك المغرب السلطان ابى عنان يطرفه بمثوبتها ثم تعجلوا عليه فجمع ما عنده واستوهب ما بقى من اهل قابس والحامة وبلاد الجريد فجمعوها له حسبة ورغبة فى الخبر وامكنه النصارى من طرابلس فملكها واستولى عليها وازال ما دنسها من وضر الكفر وبعث السلطان ابو عنان بالمال اليه وان يرد على الناس ما اعطوه وينفرد بمثوبتها وذكرها فامتنعوا الا قليلا منهم ووضع المال عند ابن مكى لذلك ولم يزل ابن مكى اميرا عليها الى ان هلك كما نذكره فى اخباره

الخبر عن بيعة السلطان ابى العباس امير المومنين ومفتتح امره السعيد بقسنطينة

كان الامير ابو زيد قد ولى الامر من بعد ابيه الامير ابى عبد الله بولاية جده الخليفة ابى بكر وكان اخوته جميعا فى جملته ومنهم السلطان ابو العباس امير المومنين لهذا العهد والمنفرد بالدعوة الحفصية وكان الناس من لدن مهلك ابيهم يرون ان الوراثة لهم وان الامر فيهم حتى لقد يحكى عن شيخ وقته الولى ابى هادى المشهور الذكر وكان من اهل المكاشفة انه قال ذات يوم وقد جاءوا لزيارته باجمعهم على طريقتهم وسنن اسلافهم فى التبرك بالاولياء فدعا لهم الشيخ ما شاء ثم قال البركة ان شاء الله فى هذه العشر واشار الى الاخوة مجتمعين وكان الحزى والمنجمون ايضا يخبرون بمثلها ويحومون بظنونهم على ابى العباس من بينهم لما يتفرسون فيه من الشواهد والمخايل فلما كان من منازلة اخيه ابى زيد لتونس سنة ثلاث وخمسين ما قدمناه ثم ارتحل عنها الى قفصة واراد الرجوع الى قسنطينة للارجاف بشان السلطان ابى عنان وانه زحف الى اخر عمله من تخوم بجاية رغب حينئذ اليه اولاد مهلهل اولياؤه من العرب وشيعته وحاجبه ابو العباس بن مكى صاحب عملى قابس وجربة ان استعمل عليهم من اخوته من يقيم معهم لمعاودة تونس بالحصار فسرح اخاه مولانا ابا العباس فتخلف معهم فى ذلك وفى جملته شقيقه ابو يحيى فاقاما بقابس وكان صاحب بطرابلس محمد بن ثابت قد بعث اسطوله لحصار جربة فدخل الامير ابو العباس بمن معه الى الجزيرة وخاضوا اليها البحر فاجفل عسكر ابن ثابت وافرجوا عن الحصن ثم رجع السلطان الى قابس وزحف العرب اولاد مهلهل معه الى تونس وحاصروها

ايام فامتنعت عليهم ورجع الى اعمال الجريد واوفد اخاه ابا يحيى زكرياء على السلطان صريخا سنة خمس وخمسين فلقاه مبرة ورحبا واسنى جائزته واحسن وعده وانكفا راجعا عنه الى وطنه ومر بالحاجب ابن ابى عمرو عند افراجه عن قسنطينة ولحق باخيه بمكانه من قاصيـــة افريقية واتصلت ايديهما على طلب حقهما وفى خلال ذلك فسد ما بين ابى محمد بن تافراكين صاحب الامر بتونس وبين خالد بن حمزة كبير اولاد ابى الليـل فعـــدل عنه الى اقتاله اولاد مهلهل واستدعاهم للمظاهرة فاقبلوا عليه وتحيز خالد الى السلطان ابى العباس وزحفوا الى تونس فنازلوها سنة ست وخمسين وامتنعت عليهم فافرجوا عنها واستقدمه اخوه ابو زيد اثر ذلك لينصره من عساكر بنى مرين عند ما تكاثفوا عليه وضاق به الحصار فاجابه وقـدم عليـه بخالد وقومه وخرج الامير ابو زيـــد مع خالـــد الى منازلة تونس واستخلف على قسنطينة اخاه ابا العباس فدخلها ونزل بقصور الملك منها واقام بها مدة وعساكر بنى مرين قد ملات عليه الضاحية فدعا الاولياء الى الاستبداد وانه ابلغ فى المدافعة والحماية لما كانوا يتوقعون من زحف العساكر اليهم من بجاية فاجاب وبويع شهر [بياض] من سنة خمس وخمسين وانعقد امره وزحف عبد الله بن على صاحب بجاية الى قسنطينة فى سنتـه وفى سنة سبع بعدها فحاصرها ونصب المجانيق ثم اجفل اخرا للارجاف كـما ذكرناه وتنفس مخنق الحصار عن قسنطينة وكان الامير ابو زيـد اخوه لما ذهب مع خالد الى تونس ونازلها امتنعت عليه ورجع وقد استبد اخوه بامر قسنطينة فعدل الى بونة وراسل ابا محمد بن تافراكين فى سكـــنى الحضرة والنزول لهم عن بونة فاجابه ونزل عنها الامير ابو زيد لعمه السلطان ابى اسحاق وتحول الى تونس فاوسعوا له المنازل واسنوا الجرايات والجوائز واقام فى كفالة عمه الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن واقعة موسى بن ابراهيم واستيلاء ابى عنان بعدها على قسنطينـــة وما تخلل ذلك من الاحداث

لما استبد السلطان ابو العباس بالامر وزحفــت اليه عساكر بجاية وبنى مرين فاحسن دفاعها عن بلده وتبين لاهل الضاحية مخايل الظهور فيه فداخــله رجالات من سديكش من اولاد المهدى بن يوسف فى غزو موسى بن ابراهيم وكتائبه المجمرة ببنى ياورار ودعوا ا ذلك ميـمون بن على بن احمد وكان منحرفا عن اخيه يعقوب ظهير بنى مـرين ومناصحهم فاجاب وسرح السلطان اخاه ابا يحيى زكرياء معهم بمن فى جملته من العساكر وصحبوهم فى غارة شعواء فلما شارفوهم ركبوا اليهم فتقـدمـــوا قليلا ثم احجموا واختل مصافهم واحيط بهم واثخن قائد العساكر موسى بن ابراهيم بالجراحة واستلحم بنوه زيان وابو القاسم ومن اليهم وكانوا اسود هياج وفرسان ملحمة فى اخرين من امثالهم وتتبعوا بالقتل والنهب الى ان استبيحوا ونجا فلهم الى بجايَة ولحقوا بالسلطان ابى عنان ولما بلغه الخبر قام فى رُكائبه وقعد وفتح ديوان العطا وبعث وزراءه للحشد فى الجهات واعترض الجنود وازاح العلل وشكى له موسى بن ابراهيم بقعود عبد الله بن على صاحب بجاية عن نصره فسخطه ونكبه وعقد مكانه ليحيى بن ميمون بن امصمود وتلوم بعده اشهرا فى تجهيز العساكر وبعث السلطان ابو العباس اخاه ابا يحيى الى تونس صريخــا لعمه السلطان ابى اسحاق فاعجله الامر عن الاياب اليه وارتحل ابو عنان فى عساكره ثم بعث فى مقدمته وزيره فارس بن ميمون بن ودرار وزحف على اثره فى ربيع سنة ثمان وخمسين واغذ السير الى قسنطينة وقد نازلهـا وزيره ابن ودرار قبله

فلما نزل بساحتها وقد طبق الارض الفضاء بجيوشه وعساكـــره وجم اهل البلد وادركهم الدهش فانفضوا وتسللوا اليه وتحيز السلطان ابو العباس الى القصبة فامتنع بها حتى توثق لنفسه بالعهد ثم نزل اليه فكفاه تكرمة ورحبا وبنا له الفساطيط فى جواره ثم بدا له فى ايام قلائل فنقض عهده واركبه السفن الى المغرب وانزله بسبتة ورتب عليه الحرس بعث خـــلال ذلك الى بونة فدخلت فى طاعته وفر عنها عمال الحضرة ولما استولى عقد على قسنطينة لمنصور بن خلوف شيخ بـــنى يابان من قبائـل بـــنى مرين ثم بعث رسله الى ابى محمد بن تافراكين فى الاخذ بطاعته والنزول عن تونس فردهم واخرج سلطانه المولى ابا اسحاق مع اولاد ابى الليـل ومن اليهم من العرب بعد ان جـهـــز له العساكر وما يصلحه من الالة والجند واقام هو بتونس واجمع ابو عنان النهوض اليه ووفد اليه اولاد مهلهل يستحثونه لذلك فسرح معهم عسكرا فى البر لنظر يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى كبير تيربيعين من قبائل بنى مرين وصاحب الشورى فى مجلسه وسرح عسكـرا اخر فى اسطول لنظر محمد بن يوسف المعروف بالابكم من بنى الاحمر من الملوك بالاندلس لهذا العهد فسبق الاسطول وصبحوا تونس وقاتلوها يوما او بعض يوم واتيح لهم الظهور فخرج عنها ابو محمد بن تافراكين ولحق بالمهدية واستولت عساكر بنى مرين على تونس فى رمضان سنة ثمان وخمسين ولحق يحيى بن رحو بعسكره فدخل البلد وامضى فيها اوامر السلطان ثم دعاه اولاد مهلهل الى الخروج لمباغتة اولاد ابى الليل وسلطانهم فخرج معهم لذلك واقام ابن الاحمر واهل الاسطول بالبلد وفى خلال ذلك جاهر يعقوب بن على بالخلاف لما تبين من نكراء السلطان ابى عنان وارهاف حده للعرب ومطالبتهم بالرهن وقبض ايديهم عن الاتاوات ومسح اعطافه بالمدارات فلم يقبلها فلحق يعقوب بالرمل واتبعه السلطان فاعجزه فعـــدا على قصوره ومنازله بالتل

والصحراء فخربها وانتسفها ثم رجع الى قسنطينة وارتحل منها يريد افريقية وقد نهض المولى ابو اسحاق بمن معه من العرب للقائه وانتهوا الى فحص سبتة ثم تمشت رجالات بنى مرين وائتمروا فى الرجوع عنه حذرا ان يصيبهم بافريقية ما اصابهم من قبل فانفضوا متسللين الى المغرب ولما خف المعسكر من اهله اقصر عن القدوم على افريقية فرجع الى المغرب بمن بقى معه واتبع العرب اثاره وبلغ الخبر الى ابى محمد بن تافراكين بمكان منجاته من المهدية فصار الى تونس ولما اطل عليها ثار اهل البلد بمن كان عندهم من عسكر بنى مرين وعاملهم فنجوا الى الاساطيل ودخل ابو محمد بن تافراكين الى الحضرة واعاد ما طمس من الدولة ولحق به السلطان ابو اسحاق بعد ان تقدم الامير ابو زيد فى عسكر الجنود والعرب لاتباع اثار بنى مرين ومنازلة قسنطينة فاتبعه الى تخوم عملهم ورجع ابو زيد الى قسنطينة وقاتلها اياما فامتنعت عليه فانكفا راجعا الى الحضرة ولم يزل مقيما بها الى ان هلك عفا الله عنه سنة [بياض] وكان اخوه ابو يحيى زكرياء قد لحق بتونس من قبل صريخا كما قلناه فلما بلغهم ان قسنطينة قد احيط بها تمسكوا به فلحق به الفل من مواليهم وصنائعهم فكانوا معه الى ان يسر الله اسباب الخير والسعادة للمسلمين واعاد السلطان ابا العباس الى الامر من بعد مهلك ابى عنان كما نذكر ومد ايالته على الخلق فطلع على الرعايا بالعدل والامان وشمول العافية والاحسان وكف ايدى العدوان ورتع الناس من دولته فى ظل ظليل ومرعى جميم كما نذكره بعد

الخبر عن انتقاض الامير ابى يحيى زكرياء بالمهدية ودخوله فى دعوة ابى عنان ثم نزوله عنها الى الطاعة وتصاريف ذلك

كان الحاجب ابو محمد عند رجوعه الى الحضرة صرف عنايته الى تحصين المهدية يعدها للدولة وزرا من حادث ما يتوقعه من المغرب واهله فشيد من اسوارها وشحن بالاقوات والاسلحة مخازنها ومودعاتها وعقد عليها للامير زكرياء اخى السلطان ابى اسحاق كان فى كفالته وانزله بها وبعث على حجابته احمد بن خلف من اوليائه وذويه مستبدا عليه فقام على ذلك حولا او بعضها ثم ضجر الامير ابو يحيى زكرياء من الاستبداد عليه واستنكف من حجره فى سلطانه فبيت احمد بن خلف فقتله وبعث عن ابى العباس احمد ابن مكى صاحب جربة وقابس ليقيم له رسم الحجابة بما كان مناوبا لابى محمد ابن تافراكين فوصل اليه وطيروا بالخبر الى السلطان ابى عنان صاحب المغرب وبعثوا اليه ببيعتهم واستحثوه لصريخهم واضطرب امرهم وسرح ابو محمد بن تافراكين اليها العسكر فاجفلوا امامه ولحق المولى ابو يحيى زكرياء بقابس واستولى عليها العسكر واستعمل عليها ابو محمد بن تافراكين محمد بن الجكجاك من قرابة ابن ثابت اصطنعه عند ما وقعت الحادثة على طرابلس ولحق به فاستعمله على المهدية ولما وصل الخبر الى ابى عنان بشان المهدية جهز اليها الاسطول وشحنه بالمقاتلة والرجل وعين الوالى والحصة فالفوها قد رجعت الى ايالة الحضرة ووصل اليها ابن الجكجاك وقام بها وحسن غناؤه فيها الى ان كان من امره ما نذكر واقام الامير زكرياء بقابس واجلب به ابو العباس بن مكى على تونس ثم بعثوه بالدواودة

ونزل على يعقوب بن على واصهر اليه فى ابنة اخيه سعيد فعقد له عليها
ولما استولى اخوه ابو اسحاق على بجاية استعمله على سدويكش بعض الاعوام
ولم يزل بين الدواودة الى ان هلك سنة ست وسبعين كما نذكره بعد

الخبر عن استيلاء السلطان ابى اسحاق على بجاية واعادة الدعوة الحفصية اليها

لما رجع السلطان ابو عنان من قسنطينة الى المغرب اراح سنته وسرح عساكره من العام المقبل الى افريقية لنظر وزيره سليمان بن داوود فسار فى نواحى قسنطينة ومعه ميمون بن على بن احمد اديل به من يعقوب على قومه من الدواودة وعثمان بن يوسف بن سليمان شيخ اولاد سباع منهم وحضر معه يوسف بن مزنى عامل الزاب اوعز اليه السلطان بذلك فدوخ الجهات وانتهى الى اخر وطن بونة واقتضى المغارم ثم انكفا راجعا الى المغرب وهلك السلطان ابو عنان اثر قفوله سنة تسع وخمسين واضطرب امر المغرب ثم استقام على طاعة اخيه السلطان ابى سالم كما نذكره وكان اهل بجاية قد نقموا على عاملهم يحيى بن ميمون من بطانة السلطان ابى عنان سوء ملكته وشدة سطوته وعسفه فداخلوا ابا محمد بن تافراكين على البعد فى التوثب به فجهز اليهم السلطان ابا اسحاق بما يحتاج اليه من العساكر والالة ونهض من تونس ومعه ابنه ابو عبد الله على العساكر وتلقاهم يعقوب بن على وظاهرهم على امرهم وسار اخوه ابو دينار فى جملتهم ولما اطلوا على بجاية ثارت الغوغاء بيحيى بن ميمون العامل كان عليهم منذ عهد السلطان ابى عنان فالقى بيده وتقبض عليه وعلى من كان من قومه واركبوا السفين الى الحضرة واودعهم

ابو محمد بن تافراكين سجونه تحت كرامة وجراية الى ان من عليهم من بعد ذلك واطلقهم الى المغرب ودخل السلطان ابو اسحاق الى بجاية سنة احدى وستين واستبد بها بعض الاستبداد وحاجبه وكافله ابو محمد يدبر امره من الحضرة ثم استقدم ابنه ونصب لوزارة السلطان ابا محمد عبد الواحد ابن محمد بن اكمازير من مشيخة الموحدين فكان يقيم لهم رسم الحجابة وقام بامر الرجل بالبلد من الغوغاء على بن صالح من زعانيفة بجاية واوغادها التف عليه الشرار والدعار واصحبت له بهم شوكة كان له بها تغلب على الدولة الى ان كان ما نذكره

الخبر عن فتح جربة ودخولها فى دعوة السلطان ابى اسحاق صاحب الحضرة

هذه الجزيرة جربة من جزر هذا البحر الذى (1) قريبا من قابس والى الشرق عنها قليلا طولها من المغرب الى المشرق ستون ميلا وعرضها من ناحية المغرب عشرون ميلا ومن ناحية الشرق خمسة عشر ميلا وبينها وبين قرقنة فى ناحية الغرب ستون ميلا وشجرها التين والنخل والزيتون والعنب واختصت بالتفاح وعمل الصوف للباسهم يتخذون منه الاكسية المعلمة للاشتمال وغير المعلمة للباس وتجلب منها الى الاقطار فيتنقيه الناس للباسهم واهلها من البربر من كتامة وفيهم الى الان سدويكش وصدغيان من بطونهم وفيهم ايضا من نفزة وهوارة وسائر شعوب البربر وكانوا قديما على راى الخوارج وبقى بها الان فرقتان منهم الوهبية وهم بالناحية الغربية ورياستهم ببنى

(1) Il faut sans doute lire ici الذى يمر

سمومن والنكارة وهم بالناحية الشرقية وجربة فاصلة بينهما والظهور والرياسة على الكل ببنى سمومن وكان فتحها اول الاسلام على يد رويفع بن ثابت ابن سكن بن عدى بن حارثة من بنى ملك بن النجار من الانصار من جند مصر ولاه معوية على طرابلس سنة ست واربعين فغزا افريقية وفتح جربة سنة سبع بعدها وشهد الفتح حنش بن عبد الله الصنعانى ورجع الى برقة فمات بها ولم تزل فى ملكة المسلمين الى ان دخل دين الخوارج الى البربر فاخذوا به ولما كان شان ابى يزيد سنة احدى وثلاثين وثلاثماية فاخذوا بدعوته بعد ان دخلوها عنوة وقتل مقدمها يومئذ ابن كلدين (1) وصلبه ثم استردها المنصور اسماعيل وقتل اصحاب ابى يزيد ولما غلبت العرب صنهاجة على الضواحى وصارت لهم اخذ اهل جربة فى انشاء الاساطيل وغزو السواحل ثم غزاهم على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس سنة تسع وخمساية باساطيله الى ان انقادوا وضمنوا قطع الفساد وصلح الحال ثم تغلب النصارى عليها سنة تسع وعشرين وخمساية عند تغلبهم على سواحل افريقية ثم ثار اهلها عليهم واخرجوهم سنة ثمان واربعين ثم تغلبوا عليها ثانية وسبوا اهلها واستعملوا على الرعية واهل الفلح ثم عادت للمسلمين ولم تزل مترددة بين المسلمين والنصارى الى ان غلب عليها الموحدون ايام عبد المومن واستقام امرها الى ان استبد بنو ابى حفص بافريقية ثم افترق امرهم بعد حين واستبد المولى ابو زكرياء ابن السلطان ابى اسحاق بالناحية الغربية وشغل صاحب الحضرة بشانه كما قدمناه فتغلب على هذه الجزيرة اهل صقلية سنة ثمان وثمانين وستماية وبنو بها حصن القشتيل مربع الشكل فى كل ركن منه برج وبين كل الركنين برج ويدور به حفير وسوران واهم المسلمين شانها ولم تزل عساكر الحضرة تتردد اليها كما تقدم

(1) On lit كلدبن dans le ms. B et ابن الدين dans le ms. A.

الى ان كان فتحها ايام السلطان ابى بكر على يد مخلوف بن الكماد من بطانته سنة ثمان وثلاثين واسضافها ابن مكى صاحب قابس الى عمله فاضافها اليه وعقد له عليها فصارت من عمله سائر ايام السلطان ومن بعده واتصلت الفتنة بين ابى محمد بن تافراكين وبين ابن مكى وبعث الحاجب ابو محمد بن تافراكين عن ابنه ابى عبد الله وكان فى جملة السلطان ببجاية كما قلناه ولما وصل اليه سرحه فى العساكر لحصار جربة وكان اهلها قد نقموا على ابن مكى سيرته فيهم ودسوا الى ابى محمد بن تافراكين بذلك فسرح اليه ابنه فى العساكر سنة ثلاث وستين وكان احمد بن مكى غائبا بطرابلس قد نزلها منذ ملكها من ايدى النصارى وجعلها دارا لامارته فنهض العسكر من الحضرة لنظر ابى عبد الله ابن الحاجب ابي محمد ونهض الاسطول فى البحر فنزلوا بالجزيرة وضايقوا القشتيل بالحصار الى ان غلبوا عليه وملكوه واقاموا به دعوة صاحب الحضرة واستعمل ابو عبد الله بن تافراكين كاتبه محمد بن ابى القاسم بن ابى العيون كان من صنائع الدولة منذ العهد الاول وكانت لابيه قرابة من ابن عبد العزيز الحاجب يرقى بها الى ولاية الاشغال بتونس مناهضا لابى القاسم بن طاهر الذى كان يتولاها يومئذ فكان رديفه عليها الى ان هلك ابن طاهر فاستبد هو بها منذ ايام الحاجب ابى محمد واتصل ابنه محمد هذا بخدمة ابن الحاجب واختص بكتابته الى ان استعمله على جربة عند استيلائه عليها هذه السنة وانكفا راجعا الى الحضرة فلم يزل محمد بن ابى العيون واليا عليها ثم استبد بها على السلطان بعد مهلك الحاجب وفرار ابنه من السلطان الى ان غلبه عليها السلطان ابو العباس سنة اربع وسبعين كما نذكره

الخبر عن عودة الامراء من المغرب واستيلاء السلطان ابي العباس على قسنطينة

لما هلك السلطان ابو عنان قام بامره من بعده وزيره الحسن بن عمر ونصب ابنه محمد السعيد للامر كما نذكره فى اخباره وكان يضطغن للامير ابي عبد الله صاحب بجاية فتقبض عليه لاول امره واعتقله حذرا من وثوبه على عمله فيما زعم وكان السلطان ابو العباس بسبتة منذ انزله السلطان ابو عنان بها ورتب عليه الحرس كما ذكرنا فلما انتزى على الملك منصور ابن سليمان من اعياص ملكهم ونازل البلد الجديد دار الملك ودخل فى طاعته سائر الممالك والاعمال بعث فى السلطان ابي العباس واستدعاه من سبتة فنهض اليه وانتهى فى طريقه الى طنجة ووافق ذلك اجازة السلطان ابى سالم من الاندلس لطلب ملكه وكان اول ما استولى عليه من اعمال المغرب طنجة وسبتة فاتصل به السلطان ابو العباس وظاهره على امره الى ان نزع اليه قبيله بنو مرين عن منصور بن سليمان المنتزى على ملكهم فاستوسق امره واستتب سلطانه به ودخل فاس وسرح الاميرابا عبد الله من اعتقال الحسن بن عمر كما قدمناه ورعا للسلطان ابي العباس ذمة سوابقه القديمة والحادثة فرفع مجلسه واسنى جرايته ووعده بالمظاهرة على امره واستقروا جميعا فى ايالته الى ان كان من تغلب السلطان ابى سالم على تلمسان والمغرب الاوسط ما نذكره فى اخبارهم واتصل به ثورة اهل بجاية بعاملهم يحيى بن ميمون وجالات قبيلهم فامتعض لذلك وحين قفل الى المغرب نفض يده من الاعمال الشرقية ونزل للسلطان ابى العباس عن قسنطينة دار

امارته ومثوى عزه ومنبت ملكه فاوعز الى عاملها منصور بن خلوف بالنزول له عنها وسرحه اليها وسرح معه الامير ابا عبد الله ابن عمه لطلب حقه فى بجاية والاجلاب على عمه السلطان ابى اسحاق جزاء بما نال من بنى مرين عند افتتاحها من المعرة وارتحلوا من تلمسان فى جمادى من سنة احدى وستين واغذوا السير الى مواطنهم فاما السلطان ابو العباس فوقف منصور بن خلوف عامل البلد على خطاب سلطانه بالنزول عن قسنطينة فنزل واسلمها اليه وامكنه منها فدخلها شهر رمضان سنة احدى وستين واقتعد سرير ملكه منها وتباشرت بعودته مقاصر قصورها فكانت مبدا لسلطانه ومظهرا لسعادته ومطلعا لدولته على ما نذكر بعد واما الامير ابو عبد الله صاحب بجاية فلحق باول وطنها واجتمع اليه اولاد سباع اهل ضاحيتها وقفرها من الدواودة ثم زحف اليها فنازلها اياما وامتنعت عليه فرحل عنها الى بنى ياورار واستخدم اولاد محمد بن يوسف والعزيزيين اهل ضاحيتها من سدويكش ثم نزعوا عنه الى خدمة عمه ببجاية فخرج الى القفر مع الدواودة الى ان كان من امره ما نذكره

الخبر عن وصول الاخ الامير ابى حيى زكرياء من تونس وافتتاحه بونة واستيلائه عليها

كان الامير ابو حيى زكرياء منذ بعثه اخوه ابو العباس الى عمهما السلطان ابى اسحاق صريخا لهم لم يزل مقيما بتونس وبلغه استيلاء السلطان ابى عنان على قسنطينة فخشى الحاجب ابو محمد بن تافراكين بادرته وتوقع زحفه اليه وغلبه اياه على الامر وراى ان حصر جناحه فى اخيه ويتوثق

به فاعتقله بالقصبة تحت كرامة وركى وبعث فيه السلطان ابو الحسن بعد مراوضة فى السلم فاطلقه وانعقدت بينهما السلم ولما وصل الامير ابو يحيى الى اخيه بقسنطينة عقد له على العساكر وزحف الى بونة فملكها سنة ثنتين وستين وعقد له عليها وانزله بها مع العساكر واصارها تخما لعمله واستمرت حالها على ذلك الى ان كان ما نذكره

الخبر عن استيلاء الامير ابى عبد الله على بجاية ثم على تدلس بعدها

لما قدم السلطان ابو عبد الله من المغرب ونازل بجايه فامتنعت عليه خرج الى احياء العرب كما قدمناه ولزم صحابته اولاد يحيى بن على بن سباع فغربوا فى الوفاء بها واقام بين ظهرانهم وفى حللهم متقلبا فى طلب بجاية برحلة الشتاء والصيف وتكفلوا نفقة عياله ومؤنة حشمه وانزلوه ببلد المسيلة من اوطانهم وتجافوا له عن جبايتهم واقام على ذلك سنين خمسا ينازل بجاية فى كل سنة منها مرارا وتحول فى السنة الخامسة عنهم الى اولاد على ابن احمد ونزل على يعقوب بن على فاسكنه بمقرة من بلاده الى ان بدا لعمه المولى الى ابى اسحاق رايه فى اللحاق بتونس لما توقع من مهلك حاجبه وكافله ابى محمد بن تافراكين اسره اليه بعض الحزى لحذر مغبتـه ووقع لذلك فى نفوس اهل بجاية انحراف عنه ومرج امره (1) وراسلوا اميرهم الاقدم ابا عبد الله من مكانه بمقرة وظاهره على ذلك يعقوب بن على واخذ له العهد على رجالات سدويكش اهل الضاحية وارتحلوا معه الى بجاية ونازلها اياما ثم استيقن الغوغاء اعتزام سلطانهم على التقويض عنهم وسيموا ملكة

(1) Le ms. A porte ici امرهم

على بن صالح الذى كان عريفا عليهم فثاروا به ونبذوا عهده وانفضوا من حوله الى الامير ابى عبد الله بالرسة من ساحة البلد ثم قادوا اليه عمه ابا اسحاق فمن عليه وخلى سبيله الى حضرته فلحق بها واستولى ابو عبد الله على بجاية محل امارته فى رمضان سنة خمس وستين على على بن صالح ومن معه من عرفاء الغوغاء اهل الفتنة فاستصفى اموالهم ثم امضى حكم الله فى قتلهم ثم نهض الى تدلس لشهرين من ملكه بجاية فغلب عليها عمر بن موسى عامل بنى عبد الواد ومن اعياص قبيلهم وتملكها فى اخر سنة خمس وبعث عنى من الاندلس كنت مقيما بها نزيلا عند السلطان ابى عبد الله بن ابى الحجاج بن الاحمر فى سبيل اغتراب ومطاوعة تقلب منذ مهلك السلطان ابى سالم الجاذب بضبعى الى تنويهه والراقى بى فى خطط كتابته من ترسيل وتوقيع ونظر فى المظالم وغيرها فلما استدعانى هذا الامير ابو عبد الله بادرت الى امتثاله ولو شاء الله ما فعلوه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير فاجزت البحر شهر جمادى من سنة ست وقلدنى حجابته ودفع الى امور مملكته وقمت فى ذلك المقام المحمود الى ان اذن الله بانقراض امره وانقطاع دولته ولله الخلق والامر وبيده تصاريف الامور

الخبر عن مهلك الحاجب ابى محمد بن تافراكين واستبداد سلطانه من بعده

كان السلطان ابو اسحاق اخر دولته ببجاية قد تحين مهلك حاجبه المستبد عليه ابى محمد بن تافراكين لما كان اهل صناعة التنجيم يحدثونه بذلك فاجمع الرحلة اليها وانفض عنه اهل بجاية الى ابن اخيه كما قدمناه واستولى عليه ثم اطلقه الى حضرته فلحق بها فى رمضان سنة

خمس وستين وتلقاه ابو محمد بن تافراكين وراءه مرهف الحد للاستبداد الذى لفه ببجاية فكايله بصاع الوفاق وصارفه نقد المصانعة وازدلف بانواع القربات وقاد اليه الجنائب ومنحه من الذخائر والاموال وتجافى له عن النظر فى الجباية ثم اصهر اليه السلطان فى كريمته فعقد له عليها واعرس السلطان بها ثم كان مهلكه عقب ذلك سنة ست وستين فوجم السلطان لنعيه وشهد جنازته حتى وضع بملحده من المدرسة التى اختطها لقراءة العلم ازاء داره جوفى المدينة وقام على قبره باكيا وحاشيته يتناولون التراب حثيا على جدثه فغرب فى الوفاء معه بما تحدث به الناس واستبد من بعده بامره واقام سلطانه لنفسه وكان ابو عبد الله الحاجب ابن ابى (1) محمد غائبًا عن الحضرة خرج منها بالعسكر للجباية والتمهيد فلما بلغه خبر مهلك ابيه داخلته الظنة واوجس الخيفة فصرف العسكر الى الحضرة وارتحل مع حكيم من بنى سليم وعرض نفسه على معاقل افريقية التى كان يتظنن انها خالصة لهم وقصده محمد بن ابى العيون كاتبه عن جربة ومحمد بن الحكجاك صنيعتهم وبطانتهم عن المهدية وبعث اليه السلطان بما رضيه من الامان فاصحب بعد النفور وبادر الى الحضرة فتلقاه السلطان بالبر والترحيب وقلده حجابته وانزله على مراتب العز والتنويه ونكر هو مباشرة السلطان للناس ورفعه للحجاب ولم يرضه لما الف من الاستبداد منذ عهد ابيه فاظلم الجو بينه وبين السلطان ودبت عقارب السعاية لمهاده الوثير فتنكر وخرج من تونس ولحق بقسنطينة ونزل بها على السلطان ابى العباس مرغبا له فى ملك تونس واستحثا فانزله خير نزل ووعده بالنهوض معه الى افريقية بعد الفراغ من امر بجاية لما كان بينه وبين ابن عمه صاحبها من الفتنة كما نذكره بعد واستبد السلطان ابو اسحاق بعد مفر ابن تافراكين عنه ونظر فى اعطاف

(1) Les mss. B et D portent الحاجب ابى et on lit dans le ms. A الحاجب لابى

ملكه وعقد على حجابته لاحمد بن ابراهيم اليالقى مصطنع الحاجب ابى محمد من طبقة العمال وعلى العساكر والحرب لمولاه منصور سريحه من المعلوجى ورفع الحجاب بينه وبين رجال دولته وصنائع ملكه حتى باشر جباة الخراج وعرفاء الحشم واوصلهم الى نفسه والغى الوسائط بينهم وبينه الى حين مهلكه كما نذكر

الخبر عن استيلاء السلطان ابى العباس على بجاية ومهلك صاحبها ابن عمه

لما ملك الامير ابو عبد الله بجاية واستقل بامارتها تنكر للرعية وساءت سيرته فيهم بارهاق الحد للكافة واتخاط الخاصة فنغلت الصدور ومرضت القلوب واستحكمت النفرة وتوجهت الصاغية الى ابن عمه السلطان ابى العباس بقسنطينة لما كان اسوس منه واغلب للذاته واقوم على سلطانه وكانت بينهم فتنة وحروب جر بها المنافسة فى تخوم العمالتين منذ عهد الاباء وكان السلطان ابو العباس ايام نزوله على السلطان ابى سالم محمود السيرة والخلال عنده مستقيم الطريقة فى مثوى اغترابه وربما كان ينقم على ابن عمه هذا بعض النزعات المعرضة لصاحبها للملامة فيستثقل نصيحته ونغل بذلك ضميره فلما استولى على بجاية عاد الى الفتنة فشبها وشمر عذائمه لها فكان مغلبا فيها واعتلق منه يعقوب بن على بذمة فى المظاهرة على السلطان ابى العباس فلم يغن عنه وراجع يعقوب سلطانه ثم جهز هو العساكر من بجاية لمزاحمة تخوم قسنطينة ففضها ابو العباس فنهض اليه ثانية بنفسه فى العساكر وتراجع العرب من اولاد سباع بن يحيى وجمع هو اولاد محمد وزحف فيهم وفى عسكر من زناتة والتقى الفريقان بناحية

سطيف فاختل مصاف اهل بجاية وانهزموا واتبعهم السلطان ابو العباس الى تاكرارت وجال فى عمله ووطئ نواحى وطنه وقفل الى بلده ودخل الامير ابو عبد الله الى بجاية وقد استحكمت النفرة بينه وبين اهل بلده فدسوا الى السلطان ابى العباس بقسنطينة بالقدوم عليهم فوعدهم من العام القابل وزحف سنة سبع وستين فى عساكره وشيعته من الدواودة اولاد محمد وانضوى اليه اولاد سباع شيعة بجاية بالجوار والسابقة القديمة لما نكروا من احوال سلطانهم وعسكر الامير ابو عبد الله بلبزو فى جمع قليل من الاولياء واقام بها يرجو مدافعة ابن عمه بالصلح فبيته السلطان بمعسكره من لبزو وصبحه فى غارة شعواء فانفض جمعه واحيط به وانتهب المعسكر ومر الى بجاية فادرك فى بعض الطريق وتقبض عليه وقتل قعصا بالرماح واغذ السلطان ابو العباس السير الى بجاية فادرك بها صلاة الجمعة تاسع عشر شعبان من سنة سبع وستين وكنت بالبلد مقيما فخرجت اليه فى الملاء وتلقانى بالمبرة والتنويه واشار الىّ بالاصطناع واستوسق له ملك جده الامير ابى زكرياء الاوسط فى الثغور الغربية واقمت فى خدمته بعض شهر ثم توجست الخيفة فى نفسى واذنته فى الانطلاق فاذن لى تكرما وفضلا وسعة صدر ورحمة ونزلت على يعقوب بن على ثم تحولت عنه الى بسكرة ونزلت على ابن مزنى الى ان صفا الجو واستقبلت من امرى ما استدبرت واستاذنته لثلاث عشرة سنة من انطلاقى عنه فى خبر طويل نقصه من شانى فاذن لى وقدمت عليه فقابلتنى وجوه عنايته واشرقت علىّ اشعة بخته كما نذكر ذلك من بعد

الخبر عن زحف ابى حمو وبنى عبد الواد الى بجاية ونكبتهم عليها وفتح تدلس من ايديهم بعدها

كان الامير ابو عبد الله صاحب بجاية لما اشتدت الفتنة بينه وبين ابن عمه السلطان ابى العباس مع ما كان بينه وبين بنى عبد الواد من الفتنة عند غلبه ايامهم على تدلس تكاءد عن حمل العداوة من الجانبين وصغى الى مهادنة بنى عبد الواد فنزل لهم عن تدلس وامكن منها قائد العسكر المحاصر لها واوفد رسله على سلطانهم ابى حمو بتلمسان واصهر اليه ابو حمو فى ابنته فعقد له عليها وزفها اليه بجهاز امثالها فلما غلبه السلطان ابو العباس على بجاية وهلك فى مجال حربه اشاع ابو حمو الامتعاض له لمكان الصهر وجعلها ذريعة الى الحركة على بجاية وزحف من تلمسان يجر الشوك والمدد فى الالف من قومه وطبقات العسكر والجند وتواجع العرب حتى انتهى الى وطن حمزة فاجفل امامه ابو الليل بن موسى ابن زغلى فى قومه بنى يزيد وتحصنوا فى جبال زواوة المطلة على وطا حمزة وبعث اليه رسله لاقتضاء طاعته فاوثقهم كتافا وكان فيهم يحيى حافد ابى محمد صالح نزع من السلطان ابى العباس الى ابى حمو وكان عينا على غرات ابى الليل هذا بما بينهما من المربى والجوار فى الوطن فجاء فى وفد الرسالة عن ابى حمو فتقبض عليهم وعليه فقتله وبعث براسه الى بجاية وامتنع على ابى حمو وعساكره فاجازوا الى بجاية ونزل معسكره بساحتها وقاتلها اياما وجمع الفعلة على الالات للحصار وكان السلطان ابو العباس بالبلد وعسكره مع مولاه بشير بتاكرارت ومعهم ابو زيان بن عثمان بن

عند الرحمن وهو ابن عم ابى حمو من اعياص بيتهم وكان من خبره انه كان خرج من المغرب كما نذكره فى اخباره ونزل على السلطان ابى اسحاق بالحضرة ورعا له ابو محمد الحاجب حق بيته فاوسع فى كرامته ولما غلب الامير ابو عبد الله على تدلس بعث اليه من تونس ليوليه عليها ويكون رداء بينه وبين بنى حمو ويتفرغ هو للاجلاب على وطن قسنطينة فبادر الى الاجابة وخرج من تونس ومر السلطان ابو العباس بمكانه من قسنطينة فصده عن سبيله واعتقله عنده مكرما فلما غلب على بجاية وبلغه الخبر بزحف ابى حمو اطلقه من اعتقاله ذلك واستبلغ فى تكرمته وحبائه ونصبه للملك وجهز له بعض الالة وخرج فى معسكر مولاه بشير ليجاجى به بنى عبد الواد عن ابن عمه ابى حمو لما سيموا من ملكته وعنفه وكان زغبة عرب المغرب الاوسط فى معسكر ابى حمو وكانوا حذرين مغبة امره معهم فراسلوا ابا زيان وائتمروا بينهم فى الارجاف بالمعسكر ثم تحينوا لذلك ان يشب الحرب بين اهل البلد واهل المعسكر فاجفلوا خامس ذى الحجة وانفض المعسكر وانتهوا الى مضائق الطرقات بساح البلد فكظت بزحامهم وتراكموا عليها فهلك الكثير منهم وخلفوا من الاثقال والعيال والصلاح والكراع ما لا يحيط به الوصف واسلم ابو حمو عياله وامواله فصارت نهبا واختفيت حظاياه الى السلطان فوهبها لابن عمه ونجا ابو حمو بنفسه بعد ان طاح فى كظيظ الزحام عن جواده فنزل له وزيره عمران بن موسى عن مركوبه فكان نجاؤه عليه ولحق بالجزائر فى الفل ثم لحق منها بتلمسان واتبع ابو زيان اثره واضطرب المغرب الاوسط كما نذكره فى اخباره وخرج السلطان ابو العباس من بجاية على اثر هذه الواقعة فنازل تدلس وافتتحها وغلب عليها من كان بها من عمال بنى عبد الواد وانتظمت الثغور الغربية كلها فى ملكه

كما كانت فى ملك جده الامير ابى زكرياء الاوسط حين قسم الدعوة الحفصية بها الى ان كان ما نذكره بعد

الخبر عن زحف العساكر الى تونس

كان ابو عبد الله ابن الحاجب ابى محمد بن تافراكين لما نزع عن السلطان ابى اسحاق صاحب الحضرة لحق بحلل اولاد مهلهل من العرب ووفدوا جميعا على السلطان ابى العباس فاتح سنة سبع وستين يستحثونه الى الحضرة ويرغبونه فى ملكها فاعتذر لهم بما كان عليه من الفتنة مع ابن عمه صاحب بجاية وزحف اليها فى حركة الفتح وصاروا فى جملته فلما استكمل فتح بجاية سرح معهم اخاه المولى ابا يحيى زكرياء فى العساكر فصاروا معه الى الحضرة وابن تافراكين فى جملته فنازلوها اياما وامتنعت عليهم فاقلعوا على سلم ومهادنة انعقدت بين صاحب الحضرة وبينهم وقفل المولى ابو يحيى بعسكره الى مكان عمله ولحق ابن تافراكين بالسلطان فلم يزل فى جملته الى ان كان من فتح تونس ما نذكر

الخبر عن مهلك السلطان ابى اسحاق صاحب الحضرة وولاية ابنه من بعده

لم تزل حال السلطان ابى اسحاق بالحضرة على ما ذكرناه ويختلف فى الفتنة والمهادنة مع السلطان ابى العباس طورا بطور واستخلص لدولته منصور

ابن حمزة امير بنى كعب يستظهر به على امره ويستدفع برايه وشوكته
تخلص له سائر ايامه وعقد سنة تسع وستين لابنه خالد على عسكر
لنظر محمد بن رافع من طبقات الجند من مغراوة مستبدا على ابنه
وسرحه مع منصور بن حمزة وقومه واوعز اليهم بتدويخ ضواحى بونة
واكتساح نعمها وجباية ضواحيها فساروا اليها وسرح الامير ابو يحيى
زكرياء صاحب بونة عسكره مع اهل الضاحية فاغنوا فى مدافعتهم
وانقلبوا على اعقابهم فكان اخر العهد بظهورهم ولما رجعوا الى الحضرة
تنكر السلطان لمحمد بن رافع قائد العسكر وخرج من الحضرة ولحق بقومه
بمكانهم من لحقة (1) من اعمال تونس واستقدمه السلطان بعد ان
استعتب له فلما قدم تقبض عليه واودعه السجن وعلى اثر ذلك كان
مهلك السلطان فجاءة ليلة [بياض] من سنة سبعين بعد ان قضى
وطرا من محادثة السمر وغلبه النوم اخر ليله فنام ولما ايقظه الخادم وجده
ميتا فاستحال السرور وعظم الاسف وغلب على البطانة الدهش ثم راجعوا
بصائرهم ودفعوا الدهش عن انفسهم وتلافوا امرهم بالبيعة لابنه الامير ابى
البقاء خالد فاخذها له على الناس مولاه منصور سريحه من المعلوجى
وحاجبه احمد بن ابراهيم البالقى (2) وحضر لها الموحدون والفقهاء والكافة
وانفض المجلس وقد انعقد امره الى جنازة ابيه حتى واروه التراب واستبد
منصور وابن البالقى على هذا الامير المنصوب للامر فلم يكن له تحكم
عليهما وكان اول ما افتتحا به امرهما ان تقبضا على القاضى محمد بن
خلف الله من طبقة الفقهاء كان نزع الى السلطان من بلده نفطة
مغاضبا لمقدمها عبد الله بن على بن خلف فرعا له نزوعه اليه

(1) Les mss. B et D portent لحقه — (2) La ponctuation de ce nom varie dans les mss.

واستعمله بخطة القضاء بتونس عند مهلك ابى على عمر بن عبد الرفيع ثم ولاه قود العساكر الى بلاد الجريد وحربهم فكان فيه غناء واستدفعوه مرات بجبايتهم يبعثون بهـا الى السلطان ومرات بمصانعة العرب على الارجاف بمعسكره وكان ابن البالقى يغص بمكانه من السلطان فلما استبد على ابنه اعظم فيه السعاية وتقبض عليه واودعه السجن مع محمد بن على بن رافع ثم بعث عليهما من داخلهما فى الفرار من الاعتقال حتى دبروه معه وظهر على امرهما فقتلهما فى محبسهما خنقا والله متولى الجزاء منه وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ثم اظهر ابن البالقى من سوء سيرته فى الناس وجوره عليهم وعسفه بهم وانتزاع اموالهم واهانة سبال الاشراف ببابه منهم ما نقموه وضرعوا الى الله فى انفاذهم من ملكته فكان ذلك على يد مولانا السلطان ابى العباس كما نذكر

الخبر عن فتح تونس واستيلاء السلطان عليها واستبداده بالدعوة الحفصية فى سائر عمالات افريقية وممالكها

لما هلك السلطان ابو اسحاق صاحب الحضرة سنة سبعين كما قدمناه وقام بالامر مولاه منصور سريحه وحاجبه البالقى ونصبوا ابنه الامير خالدا للامر صبيا لم يناهز الحلم غرا فلم يحسنوا تدبير امره ولا سياسة سلطانه واسخطوا لوقتهم منصور بن حمزة امير بنى كعب المتغلبين على الضاحية بما اطمعوه بسوء تدبيرهم فى شركته لهم فى الامر ثم قلبوا له ظهر المجن فسخطهم ولحق بالسلطان ابى العباس وهو مطل عليهم بمرقبة من الثغور الغربية مستجمع للتوثب فاستحثه لملكهم وحرضه على تلافى امرهم

ورم ما تثلم من سياج دولتهم وكان الاحق بالامر لشرف نفسه وجلاله
واستفحال ملكه وسلطانه وشياع الحديث عن عدله ورفقه وحميد سيرته
وامان اهل مملكته من نظر يعقب نظره فيهم او استبداد سواه عليهم فاجاب
صريخه وشحذ للنهوض عزمه وكان اهل قسنطينة قد بعثوا بمثل ذلك
فسرح اليهم ابا عبد الله ابن الحاجب ابى محمد بن تافراكين لاختبار طاعتهم
وابتلاء دخلتهم فسار اليهم واقتضى بيعاتهم وطاعتهم وسارع اليها يحيى
ابن يملول مقدم توزر والخلف بن الخلف مقدم نفطة فاتوها طواعية وانقلب
عنهم وقد اخذوا بدعوة السلطان واقاموها ثم خرج السلطان من بجاية فى
العسكر واغذ السير الى المسيلة وكان بها ابراهيم ابن عمه الامير ابى زكرياء
الاخير جاجا به اولاد سليمان بن على من الدواودة من مثوى اغترابه
بتلمسان ونصبوه لطلب حقه فى بجاية من بعد اخيه الامير ابى عبد الله
وكان ذلك بمداخلة ابى حمو صاحب تلمسان ومواعيد بالمظاهرة مخلفة
فلما انتهى السلطان الى المسيلة نبذوا الى ابراهيم عهده وتبرءوا منه
ورجعوه من حيث جاء وانكفا راجعا الى بجاية ثم نهض منها الى الحضرة
وتلقته وفود افريقية جميعا بالطاعة وانتهى الى البلد فخيم بساحتها اياما
يغاديها القتال ويراوحها ثم كشف عن مصدوقته وزحف الى اسوارها
وقد ترجل اخوه والكثير من بطانته واوليائه فلم يقم لهم شىء حتى
تسنموا الاسوار برياض راس الطابية فنزل عنها المقاتلة وفروا الى داخل
البلد وخامر الناس الدهش وتبرءوا بعضهم من بعض واهل الدولة فى
موكبهم وقوف بباب الغدر من ابواب القصبة فلما راوا انهم احيط بهم
ولوا الاعقاب وقصدوا باب الجزيرة فكسروا اقفاله وثار اهل البلد جميعا بهم
فخلصوا سلطانهم من البلد بعد عصب الريق ومضى الجند فى اتباعهم
فادرك احمد بن البالقى فقتل وسيق راسه الى السلطان وتقبض على

الامير خالد فاعتقل ونجا العلج منصور سريحه براس طمرة (1) ولجام وذهل عن القتال دون الاحبة ودخل السلطان القصر واقتعد اريكته وانطلقت ايدى العيث فى ديار اهل الدولة فاكتسحت بما كان الناس يضطغنون عليهم تحاملهم على الرعية واغتصاب اموالهم فاضطرمت نار العيث فى دورهم ومخلفهم فلم تكد ان تنطفى ولحق بعض اهل العافية معرات من ذلك لعموم النهب وشموله حتى اطفاه الله ببركة السلطان وجميل نيته وسعادة امره ولاذ الناس منه بالملك الرحيم والسلطان العادل وتهافتوا عليه تهافت الفراش على الذبال يلثمون اطرافه ويجارون بالدعاء له ويتنافسون فى التماح محياه الى ان غشيهم الليل ودخل السلطان قصوره وخلا بما ظفر من ملك ابائه وبعث بالامير خالد واخيه فى الاسطول الى قسنطينة فعصفت بهما الريح وانخرقت السفينة وتقاذفت الامواج الى ان هلكا واستبد السلطان بامره وعقد لاخيه الامير ابى يحيى زكرياء على حجابته ورعا لابن تافراكين حق انحياشه اليه ونزوعه فجعله رديفا لاخيه واستمر الامر على ذلك الى ان كان ما نذكر

الخبر عن انتقاض منصور بن حمزة واجلابه بالعم ابى يحيى زكرياء
على الحضرة وما كان عقب ذلك من نكبة ابن تافراكين

كان منصور بن حمزة هذا امير البدو من بنى سليم بما كان سيد بنى كعب وكان السلطان ابو اسحاق يوثره بمزيد العناية وجعل له

(1) Le ms A porte طرة et le ms D طره

على قومه المزية وكان بنو حمزة هولاء منذ غلبوا السلطان ابا الحسن على افريقية وازعجود منها قد استطالت ايديهم عليها وتقاسموها اوزاعا واقطعهم امراء الحضرة السهمان فى جبايتها زيادة لما غلبوا عليه من ضواحيها وامصارها استئلافا لهم على المظاهرة واقامة الدعوة والحماية من اهل الثغور الغربية فملكوا الاكثر منها وضعف سهمان السلطان بينهم فيها فلما استولى هذا السلطان ابو العباس على الحضرة واستبد بالدعوة الحفصية كبح اعنتهم عن التغلب والاستبداد وانتزع ما فى ايديهم من الامصار والعمالات التى كانت من قبل خالصة للسلطان وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبونه فاحفظهم ذلك واهمهم شانه وتنكر منصور بن حمزة وقلب ظهر المجن ونزع يده من الطاعة وغمسها فى الخلاف وتابعه على خروجه على السلطان ابو صعنونة احمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين شيخ حكيم وارتحل باحيائه الى الدواودة صريخا مستجيشا بالامير ابى يحيى ابن السلطان ابى بكر المقيم بين ظهرانهم من لدن فعلته بالمهدية وانتزائه بها على اخيه المولى ابى اسحاق كما ذكرنا فنصبوه للامر وبايعوه وارتحل معهم واغذوا السير الى تونس ولقيه منصور بن حمزة فى احيائه بنواحى تبسة فبايعوا له واوفدوا مشيختهم على يحيى بن يملول شيطان الغواية المارد على الخلاف يستحثونه للطاعة والمدد لمداخلة كانت بينهم فى ذلك سول لهم فيها بالمواعيد واملى لهم حتى اذا غمسوا ايديهم فى النفاق والاجلاب سوفهم عن مواعيده ضنانة بماله فاسرها منصور فى نفسه واعتزم من يومئذ على الرجوع الى الطاعة ثم رحلوا للاجلاب على الحضرة وسرح السلطان ابو العباس اخاه الامير ابا يحيى زكرياء للقيهم فى العساكر وتزاحفوا واتيح لمنصور وقومه ظهور على عساكر السلطان واوليائه لم يستكمله واجلبوا على

البلد اياما ونمى الى السلطان ان حاجبه ابا عبد الله بن تافراكين داخلهم فى تبييت البلد فتقبض عليه واشخصه فى البحر الى قسنطينة فلم يزل بها معتقلا الى ان هلك سنة ثمان وثمانين ثم سرب السلطان امواله فانتقض على منصور قومه وخشى مغبة حاله وسوغه السلطان جائزته فعود الطاعة ورهن ابنه ونبذ الى سلطانه زكرياء العم عقده ورجعه على عقبه الى الدواودة والتزم طاعة السلطان والاستقامة على المظاهرة الى ان هلك سنة ست وتسعين قتله محمد ابن اخيه فتيتة فى مشاجرة كانت بينهما طعنه لها فاشواه ورجع جريحا الى بيته وهلك دونها اخر يومه وقام بامر بنى كعب بعده صولة ابن اخيه خالد وعقد له مولانا السلطان على امرهم واستمرت الحال الى ان كان من امرهم ما نذكره

الخبر عن فتح سوسة والمهدية

كانت سوسة منذ واقعة بنى مرين بالقيروان وتغلب العرب على العمالات اقطعها السلطان ابو الحسن لخليفة بن عبد الله بن مسكين فيما سوغ للعرب من الامصار والاقطاعات مما لم يكن لهم فاستولى عليها خليفة هذا ونزلها واستقل بجبايتها واحكامها واستبد بها على السلطان ولم يزل كذلك الى ان هلك وقام بامره فى قومه عامر ابن عمه مسكين ايام استبداد ابى محمد بن تافراكين فسوغها له كذلك متقبلا مذهب من قبله ثم قتله بنو كعب وقام بامر حكيم من بعده احمد الملقب ابو صعنونه بن محمد اخى خليفة بن عبد الله بن مسكين فاستبد بسوسة على السلطان واقتعدها دار امارته وربما كان ينتقض على

صاحب الحضرة فيجلب عليها من سوسة ويشن الغارات فى نواحيها حتى لقد اوقع فى بعض ايامه بمنصور سريحه مولى السلطان ابى اسحاق وقائد عساكره فتقبض عليه واعتقله بسوسة اياما ثم من عليه واطلقه وعاود الطاعة معه ولم يزل هذا دابهم وكانت لهم فى الرعايا اثار قبيحة وملكات سيئة ولم يزالوا يضرعون الى الله فى انفاذهم من ايدى جورهم وعسفهم الى ان تاذن الله لاهل افريقية باقتبال الخير وفىء ظلال الامر واستبد مولانا السلطان ابو العباس بالحضرة وسائر عمالات افريقية وهبت ريح العز على العرب فى جميع النواحى فتنكر اهل سوسة لعاملهم ابى صعنونة هذا واحس بنكرانهم وخرج عنهم وتجافى للسلطان عن البلد وثارت عامتها بعماله فاجهضوهم ونزل عمال السلطان بها ثم كانت من بعد ذلك حركة المولى ابى يحيى الى نواحى طرابلس ودوخ جهاتها واستوفى جباية عمالها وكان بالمهدية محمد بن الجكجاك استعمله عليها الحاجب ابو محمد بن تافراكين ايام ارتجاعه اياها من يد ابى العباس بن مكى والامير ابى يحيى زكرياء المنتزى بها ابن مولانا السلطان ابى بكر كما مر واقام ابن الجكجاك اميرا عليها واستبد بها بعد موت الحاجب فلما وخزته شوكة الاستطالة من الدولة وطلع نحوه قتام العساكر فرق من الاستيلاء عليه وركب اسطوله الى طرابلس ونزل على صاحبها ابى بكر بن ثابت لذمة صهر قديم كانت بينهما وبادر مولانا السلطان الى تسلم المهدية وبعث عليها عماله وانتظمت فى ملكه واطردت احوال الظهور والنجح وكان بعد ذلك ما نذكره

الخبر عن فتح جربة وانتظامها فى ملك السلطان

كان محمد بن ابى القاسم بن ابى العيون منذ ولاه ابو عبد الله بن تافراكين على هذه الجريرة قد تقبل مذاهب جيرانها من اهل قابس وطرابلس وسائر الجريد فى الامتناع على السلطان ومصارفة الاستبداد وانتحال مذاهب الامارة وطرقها ولبوس شارتها وقد ذكرنا سلفه من قبل وان والده كان صاحب الاشغال بالحضرة ايام الحاجب ابى محمد بن تافراكين وانه اعتلق بمكاتبة ابنه ابى عبد الله فولاه على جربة عند افتتاحه اياها سنة [بياض] وانه قصده عند مفره عن المولى ابى اسحاق لينزل جربة معولا على قديم اصطناعه اياه فمنعه ثم داخل شيوخ الجزيرة من بنى سمومن فى الامتناع على السلطان والاستبداد بامرهم فاجابوه واقام ممتنعا سائر دولة المولى ابى اسحاق وابنه من بعده ولما استولى مولانا السلطان ابو العباس على تونس داخله الروع والدهش وصار الى مكاثر روساء الجريد فى التظافر على المدافعة بزعمهم فاجرى فى ذلك شاوا بعيدا مع تخلفه فى مضماره بقديمه وحديثه وصادق السلطان سوء الامتثال والتيات الطاعة ومنع الجباية فاحفظه ولما افتتح امصار الساحل وثغوره سرح ابنه الامير ابا بكر فى العساكر الى جربة ومعه خالصة الدوله محمد بن على بن ابرهيم من ولد ابى هلال شيخ الموحدين وصاحب بجاية لعهد المستنصر وقد تقدم ذكره وامده بالاسطول فى البحر لحصارها ونزل الامير بعسكره على مجازها ووصل الى مرسيها فاطاف بحصن القشتيل وقد لاذ ابن ابى العيون

بجدرانه وافترق عنه شيوخ الجزايرة من البربر وانحاش بطانته من الجند المستخدمين معه بها ولما راوا ما لا طاقة لهم به وان عساكر السلطان قد احاطت بهم برا وبحرا نزلوا الى قائد الاسطول وامكنوه من الحصن وبادروا الى معسكر الامير فاقبل معهم الخاصة ابو عبد الله بن ابى هلال فيمن معه من بطانة الامير وحاشيته فاقتحموا الحصن وتقبضوا على محمد بن ابى العيون ونقلوه من حينه الى الاسطول واستولوا على داره وولوا على الجزيرة وارتحلوا قافلين الى السلطان ووصل محمد بن ابى العيون الى الحضرة ونزل بالديوان فاركب الى القصبة على جمل وطيف به على اسواق البلد اظهارا لعقوبة الله النازلة به واحضره السلطان فوبخه على مرتكبه فى العناد ومداخلته اهل الغواية من امراء الجريد فى الانحراف عنه ثم تجافا عن دمه واودعه السجن الى ان هلك سنة تسع وسبعين

الخبر عن استقلال الامراء من الابناء بولاية الثغور الغربية

كان السلطان عند ما استجمع الرحلة الى افريقية باستحثاث اهلها لذلك ووفادة منصور بن حمزة شيخ الكعوب مرغبا فيها فاهمه عند ذلك شان الثغور الغربية واجال اختياره فى بنيه يسبر احوالهم ويفتش عن الاكفا لهذه الثغور منهم فوقع نظره اولا على كبير ولده المخصوص بعناية الله فى القاء محبته عليه الامير ابى عبد الله فعقد له على بجاية واعمالها وانزله بقصور الملك منها واطلق يده فى مال الجباية وديوان الجند واستعمل على قسنطينة وضواحيها لمولاه القائد بشير سيف دولته وعنان حربه ناشىء قصره وتلاد مرباه وكانت لهذا الرجل نجوة من الصرامة والباس ودالة بالقديم

والحادث وخلال لقنها ايام التقلب فى اواوين الملك وكان ملازما ركاب مولاه فى مطارح اغترابه وايام تحيصه وربما لقى عند الحاحه على قسنطينة من المحنة والاعتقال الطويل ما اعاضه الله عنه بجميل التنويه وعود العز والملك الى مولاه على احسن الاحوال وظفر من ذلك بالبغية وحصل من الرتبة على الامنية وكان السلطان يثق بنظره فى العساكر ويبعثه فى مقدمة الحروب وكان عند استيلائه على بجاية وصرف عنايته اليها ولاه امر قسنطينة وانزله بها وانزل معه ابنه الامير ابا اسحاق وجعل اليه كفالته لصغره ثم استنفره بالعسكر عند النهوض الى افريقية فنهض فى جملته وشهد معه الفتح ثم رجعه الى عمله بقسنطينة بمزيد التفويض والاستقلال فلم يزل بما دفع اليه من ذلك الى ان هلك وكان السلطان قد اوفد ابنه ابا اسحاق على ملك المغرب السلطان عبد العزيز عند ما استولى على تلمسان مهنيا بالظفر ملقحا غراس الود واوفد معه شيخ الموحدين ببابه ابا اسحاق بن ابى هلال وقد مر من قبل ذكره وذكر اخيه فتلقاهما ملك المغرب بوجوه المبرة والاحتفاء ورجعهما بالحديث الجميل عنه سنة ثلاث وسبعين ونزل الامير ابو اسحاق بقسنطينة دار امارته وعقد له السلطان عليها والقاب الملك ورسومه مصروفة اليه والقائد بشير مولى ابنه مستبد عليه لمكان صغره الى ان هلك بشير سنة ثمان وسبعين عند ما استكمل الامير ابو اسحاق الخلال واستجمع للامارة فجدد له السلطان عهده عليها وفوض اليه فى امارتها وقام بما دفع اليه من ذلك احسن مقام واكفاه مصدقا الظنون التى كانت تومى اليه وشهادة المخايل التى دلت عليه فاستقل هذان الاميران بثغر بجاية وقسنطينة واعمالها مفوضا اليهما فى الامارة ماذونا لهما فى اتخاذ الالة واقامة الرسوم الملوكية والشارة وكان الامير ابو يحيى زكرياء الاخ الكريم مستقلا ايضا ببونة وعملها منذ استيلائه عليها سنة [بياض] قد اضافها السلطان اليه واصارها فى سهمانه فلما ارتحلوا الى

افريقية عام الفتح وتيقن الاخ ابو يحيى طول مغيبه واغتباط السلطان اخيه بكونه معه عقد عليه لابنه الامير ابى عبد الله محمد وانـزله بقصره منها وفوض اليه فى امارتها لما استجمع من خلال الترشيح والذكر الصالح فى الدين واستمر الحال على ذلك لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين وسبعماية والله مدبـــر الامور

الخبر عن فتح قفصة وتوزر وانتظام اعمال قسطيلية فى طاعة السلطان

كان امر هذا الجريد قد صار شورى بـين روساء امصاره فيما قبل دولة السلطان ابى بكر لاعتلال الدولة حينئذ بانقسامها كما مر فلما استبد السلطان ابو بكر بالدعوة الحفصية وفرغ من الشواغل صرف اليهم نظره واوطام عساكره ثم نهض بنفسه فمحى اثر الشورى منها وعقد لابنه ابى العباس عليها كما قلناه فلما كان بعد مهلكه من اضطراب افريقية وتغلب الاعراب على نواحيها ما كان منـذ هزيمـة السلطان ابى الحسن وبنى مرين بالقيروان عاد اهل الشورى فى الجريد الى دينهم من التوثب على الامر والاستبداد على السلطان وتناغا روساؤهم بعد ان كانـوا سوقة فى انتحال مذاهب الملك وشاراته يقتعدون الارائك ويعقدون فى المشى بين السكك المواكب ويهيمنون فى ايوانهم سبال الاشراف ويتخذون الالة ايام المشاهد اية للمعتبرين فى تقلب الايام وضحكة لاهل الشمات حتى لقد حدثتهم انفسهم بالقاب الخلافة واقاموا على ذلك احوالا والدولة فى التياثها فلما استبد السلطان ابو العباس بافريقية وعمالاتها واتيح منه بالحضرة البازى المطل من مرقبه والاسد الخـادر فى عرينه واصبحوا فرائس له يتوقعون انصبابه اليهم وتوثبه بهم داخلوا حينئذ الاعراب

فى مدافعته عنهم باضرام نار الفتنة واقتعاد مطية الخلاف والنفاق يفتون بذلك فى عزائمه وارخى هو لهم طيل الامهال وفسح لهم مجال الايناس بالمقاربة والوعد رجاء الفيئة الى الطاعة المعروفة والاستقامة على الجادة فاصروا وازدادوا عنادا ونفاقا فشمر لهم عن عزائمه ونبذ اليهم عهدهم على سوا ونهض من الحضرة سنة سبع وسبعين فى عساكره من الموحدين وطبقات الجند والموالى وقبائل زناتة ومن استالف اليه من العرب اولاد مهلهل وحكيم واظاهر اولاد ابى الليل على المدافعة عن اهل الجريد وواقفوا السلطان اياما ثم اجفلوا امامه وغلبهم السلطان على رعاياهم مرنجيزة وكانوا من بقايا بنى يفرن عمروا ضواحى افريقية مع ظواعن هوارة ونفوسة ونفزاوة وكانت للسلطان عليهم مغارم وجبايات وافرة فلما تغلب العرب على بسائط افريقية وتنافسوا فى الاقطاعات كانت ظواعن مرنجيزة هولاء فى اقطاع اولاد حمزة فكانت جبايتهم موفورة ومالهم دثرا بما صاروا مددا لهم بالمال والكراع والزرع والادم وبالفرسان منهم يستظهرون فى حروبهم مع السلطان ومع قومهم فاستولى السلطان عليهم فى هذه السنة واكتسح اموالهم وبعث برجالهم اسرى الى سجون الحضرة وقطع بها عنهم اعظم مادة كانت تمدهم فخمد بذلك من عتوهم وقص من جناحهم اخر الدهر ووهنوا لها ثم عاد السلطان الى حضرته وافترق اشياعه ونزع عنهم ابو صعنونة فتالف مع اولاد ابى الليل ورجعوا الى الحضرة فاجلبوا بساحها اياما وشنوا الغارات عليها ثم انفضوا عنها وخرج على اثرهم لاول فصل الشتاء وتساحل الى سوسة والمهديه فاقتضى مغارم الاوطان التى كانت لابى صعنونة ثم رجع الى القيروان وارتحل منها يريد قفصة وجمع اولاد ابى الليل للمدافعة عنها وسرب فيهم صاحب توزر الاموال فلم تغن عنه وزحف السلطان الى قفصة فنازلها ثلاثا ولجوا فى عصيانهم وقاتلوه فجمع الايدى على قطع نخيلهم فتسايلت اليه الرعية من اماكنهم واسلموا احمد

ابن العابد مقدمهم وابنه محمد المستبد عليه لكبره وذهوله فخرج الى السلطان
واشترط له ما شاء من الطاعة والخراج ورجع الى البلد وقد ماج اهلها بعضهم فى
بعض وهموا بالخروج فسابقهم ابنه احمد المستبد على ابيه وكان السلطان سرح
اخاه ابا يحيى فى الخاصة والاولياء الى البلد فلقيه محمد هذا فى ساحتها فبعث
به الى السلطان ودخل هو الى القصبة وتملك البلد وتقبض السلطان على محمد
ابن العابد لوقته وسيق اليه ابوه من البلد فجعل معه واستولى على داره
وذخائره واجتمع الملاء والكافة من اهل البلد عند السلطان واتوه ببيعتهم
وعقد عليها لابنه ابى بكر وارتحل يغذ السير الى توزر وقد طار الخبر بفتح
قفصة الى ابن يملول فركب لحينه واحتمل اهله وما خف من ذخيرته ولحق
بالزاب وطير اهل توزر بالخبر الى السلطان فلقيه اثناء طريقه وتقدم الى
البلد فملكها واستولى على ذخيرة ابن يملول ونزل بقصوره فوجد بها من
الماعون والمتاع والسلاح وانية الذهب والفضة ما لا يعتد لاعظم ملك من
ملوك الارض واحضر بعض الناس ودائع كانت عندهم من نفيس الجواهر
والحلى والثياب وبرءوا منها الى السلطان وعقد السلطان على توزر لابنه
المنتصر وانزله قصور ابن يملول وجعل اليه امارتها واستقدم السلطان
الخلف بن الخلف صاحب نفطة فقدم عليه واتاه طاعته وعقد له على بلده
وولاية (1) حجابة ابنه بتوزر وانزله معه وقفل الى الحضرة وقد كان
اهل الخلاف من العرب عند تغلبه على امصار الجريد خالفوه الى التلول فلما
قصد حضرته اعترضوه دونها فاوقع بهم وفل من غربهم واجفلوا الى الجهات
الغربية يؤملون منها كرة لما كان ابن يملول قد جاجا بهم الى خدمة
صاحب تلمسان والاستجاشة به فوفد عليه بتلمسان منصور بن خالد
منهم ونصر ابن عمه منصور صريخين به على عادة صريخهم بابى تاشفين

(1) Les mss. A et B portent بلده ولاية

سلفه فدافعهم بالمواعد وتبينوا منها عجزه وانكفوا راجعين ووفد صولة على السلطان بعد ان توثق له لنفسه فاشترط له على قومه ما شاء ورجع اليهم فلم يرضوا بشرطه ونهض السلطان من الحضرة فى العساكر والاولياء من العرب واجفلوا امامه فاتبعهم واوقع بهم ثلاث مرات واقفوه فيها ثم اجفلوا ولحقوا بالقيروان وقدم وفدهم على السلطان بالطاعة والاشتراط له كما يشاء فتقبل ووسعهم عفوه وصاروا الى الانقياد والاعمال فى مذاهب السلطان ومرضاته وهم على ذلك لهذا العهد

الخبر عن ثورة اهل قفصة ومهلك ابن الخلف

لما استقل الخلف بن على بن الخلف بحجابة المنتصر ابن السلطان وعقد له مع ذلك على عمله بنفطة فاستخلف عليها عامله ونزل بتوزر مع المنتصر ثم سعى به انه يداخل ابن يملول ويراسله فبث عليه العيون والارصاد وعثر على كتابة بخط كاتبه المعروف الى ابن يملول والى يعقوب بن على امير الدواودة يحرضهما على الفتنة فتقبض عليه واودعه السجن وبعث عماله الى نفطة واستولى على امواله وذخائره وخاطب اباه فى شانه فامهله بعد ان تبين نقضه للطاعة وسعيه فى الخلاف وكان السلطان قبل فتح قفصة قد نزع اليه من بيوتاتها احمد بن ابى زيد وسار فى ركابه اليها فلما استولى على البلد رعا له ذمة نزوعه اليه واوصى به ابنه ابا بكر فاستولى على مشورته وحله وعقده وطوى على النث ثم حدثته نفسه بالاستبداد وتحين له المواقيت واتفق ان سار الامير ابو ذكرياء من قفصة لزيارة اخيه المنتصر بتوزر وخلف بالبلد عبد الله التريكى من مواليهم وكان السلطان انزله معه وولاه حجابته

فلما توارى الامير عن البلد داخل ابن ابى زيد زعنفة من الاوغاد وطاف فى سكك المدينة والهاتف معه ينادى بالثورة ونقض الطاعة وتقدم الى قفصة فاغلقها القائد عبد الله دونه وحاربها فامتنعت عليه وقرع عبد الله الطبل بالقصبة واجتمع عليه اهل القرى فادخلهم من باب كان بالقصبة يفضى الى الغابة فكثروا شيع ابن ابى زيد وتسلل عنه الناس فلاذ بالاختفاء وخرج القائد من القصبة فتقبض على كثير من اهل الثورة فاودعهم السجن واستولى على البلد وسكن الهيعة وطار الخبر الى المولى ابى بكر فاغذ السير منقلبا الى قفصة وحين دخوله ضرب اعناق المعتقلين من اهل الثورة وامر الهاتف فنادى فى الناس بالبراءة من ابن ابى زيد واخيه ولايام من دخوله عثر بهما الحرس فى مقاعدهم بالباب مستترين بزى النساء فتقبضوا عليهما وتلوهما الى الامير فضرب اعناقهما وصلبهما فى جذوع النخل وكانا من المترفين فاصبحا مثلا فى الايام وقد خسروا دينهما ودنياهما وذلك هو الخسران المبين وارتاب المنتصر صاحب توزر حينئذ بابن خلف وحذر مغبة حاله فقتله بمحبسه وذهب فى غير سبيل مرحمة وانتظم السلطان امصار الجريد كلها فى طاعته واتصل ظهوره الى ان كان ما نذكر

الخبر عن فتح قابس وانتظامها فى ملكة السلطان

هذا البلد لم يزل فى هذه الدولة الحفصية لبنى مكة المشهور ذكرهم فى هذه العصور وما اليها وسياتى ذكر اخبارهم ونسبهم واوليتهم فى فصل نفرده لهم فيما بعد وكان اصل رياستهم فيها اتصالهم بخدمة الامير ابى زكرياء الاول ايام ولايته قابس سنة ثلاث وعشرين وستماية فاختصوا به وداخلهم فى

الانتقاض على اخيه ابى محمد عبد الله عند ما استجمع لذلك فاجابوه وبايعوا له فرعا لهم هذه الوسائل عند ما استبد بافريقية وافردهم برياسة الشورى فى بلدهم ثم سموا الى الاستبداد عند ما فشل الدولة عن القاصية بما حدث من الفتن وانفراد الثغور الغربية بالملك ولم يزالوا جانحين الى هذا الاستبـداد سانحين اليه بثار الفتن والانتقاض على السلطان ومداخلة الثوار والاجلاب بهم على الحضرة والدولة اثناء ذلك فى شغل عنهم وعن سواهم من اهل الجريد منذ احقاب متطاولة بما كان من انقسام الدولة والحاح صاحب الثغور الغربية على مطالبة الحضرة ثم استبد مولانا السلطـــان بالدعوة الحفصية فى سائر عمالات افريقية وشغله عنهم شاغل الفتنة مع صاحب تلمسان فى الاجلاب على الحضرة مع جيوشه ومنازلتهم ثغر بجاية وتسريبه جيوش بنى عبد الواد مرة بعد اخرى مع الاعياص من منى ابى حفص والعرب الى افريقية وكان المتولى لرياسة قابس يومئذ عبد الملك بن مـــكى بن احمد بن عبد الملك ورديفه فيها اخوه احمد وكانا يداخـــلان ابا تاشفين صاحب تلمسان فى الاجلاب على الحضرة مع جيوشه والثوار القادمين معهم وربما خالفوا السلطان الى الحضرة ازمان مغيبه عنها كما وقع له مع عبد الواحد بن اللحيانى وقد مر ذكر ذلك فلما استولى السلطان ابو الحسن على تلمسان وانمحى اثر بنى زيان فرغ السلطان ابو بكر لهولاء الثوار الرؤساء بالجريد الدائنين بالانتقاض سائر ايامهم وزحف الى قفصة فملكها فدعروا ولحق احمد بن مكى بالسلطان ابى الحسن متذمما بشفاعته بعد ان كان الركب الحجازى من المغرب مر بقابس وبه بعض كرائم السلطان فاوسعوا حباءها وسائر الركب قرى وحباء وقدموا ذلك وسيلة بين يدى وفادته فتقبل السلطان وسيلته وكتب الى مـولانا السلطان ابى بكـر شافعا فيهم لذمـة السلطان والصهر فتقبل شفاعته وتجاوز عن الانتقام منهم بما اكتسبوا ثم هلك مولانا السلطان ابـو بكر

وهاج بحر الفتنة والخلاف وعادت الدولة الى حالها من الانقسام واستبدت على صاحب الحضرة وجوه الانتصاف منهم فعاد بنو مكى وسواهم من روساء الجريد الى حالهم من الاستبداد على الدولة وقطع اسباب الطاعة ومنع المغارم والجباية ومشايعة صاحب الغربية زبونا على صاحب الحضرة فلما استبد مولانا السلطان ابو العباس بالدعوة الحفصية وجمع الكلمة واستولى على كثير من الثغور المنتقضة تراسل اهل هذه القصور الجريدية وتحدثوا فيما دهمهم وطلبوا وجه الخلاص منه والامتناع عليه وكان عبد الملك بن مكى اقعدهم بذلك لطول مراسه الفتن وانحياشه الى الثوار وكان احمد اخوه ورديفه قد هلك سنة خمس وستين وانفرد هو برياسة قابس فراسلوه وراسلهم فى الشان واجمعوا جميعا على تخبيب العرب على السلطان وتسريب الاموال فيهم ومشايعة صاحب تلمسان بالترغيب فى ملك افريقية فانتدبوا لذلك من كل ناحية وبعثوا البريد الى صاحب تلمسان فاطمعهم من نفسه وعللهم بالمواعيد الكاذبة والسلطان ابو العباس مقبل على شانه يفتل لهم فى الذروة والغارب حتى غلب اولاد ابى الليل الذين كانوا يعدونهم بالمدافعة عنهم وافتتح قفصة وتوزر ونفطة وتبين لهم عجز صاحب تلمسان عن صريخهم فحينئذ بادر عبد الملك الى مراسلة السلطان يعده من نفسه الطاعة والوفاء بالجباية ويستدعى لاقتضاء ذلك منه بعض حاشيته فاجابه الى ذلك وبعث وافده اليه ورجع الى الحضرة فى انتظاره فطاوله ابن مكى فى الغرض ورده بالوعد ثم اضطرب امره وانتقض عليه اهل ضاحيته بنو احمد احدى بطون دباب وركبوا اليه فحاصروه وضيقوا عليه واستدعوا المدد لذلك من الامير ابى بكر صاحب قفصة وامدهم بعسكر وقائد فنازلوه واشتد الحصار واتهم ابن مكى بعض اهل البلد بمداخلتهم فكبسهم فى منازلهم وقتلهم وتنكرت له الرعية وساء حاله ودس الى بعض المفسدين من العرب من بنى على فى تبييت العسكر المحاصرين

له واشترط لهم على ذلك ما رضوه من المال فجمعوا لهم وبيتوهم فانفضوا ونالوا منهم وبلغ السلطان خبرهم فاحفظه واجمع الحركة على قابس وعسكر بظاهر الحضرة فى رجب سنة احدى وثمانين وتلوم اياما حتى استوفى العطاء واعترض العساكر وتوافت احياء اوليائه من اولاد مهلهل واحلافهم من سائر سليم ثم ارتحل الى القيروان وارتحل منها يريد قابس وقد استكمل التعبية وبادر الى لقيه والاخذ بطاعته مشيخة دباب اعراب قابس من بنى سليم ووفد منهم خالد بن سباع بن يعقوب شيخ المحاميد وابن عمه على بن راشد فيمن اليهم يستحثونه الى منازلة قابس فاغذ السير اليها وقدم رسله بين يديه بالانذار لابن مكى وانتهوا اليه فرجعهم بالانابة والانقياد الى الطاعة ثم احتمل رواحله وعبا ذخائره وخرج من البلد ونزل على احياء دباب هو وابنه يحيى وحافده عبد الوهاب ابن ابنه مكى الهالك منذ سنين من قبل واتصل الخبر الى السلطان فبادر الى البلد ودخلها فى ذى القعدة من سنته واستولى على منازل ابن مكى وقصوره ولاذ اهل البلد بطاعته وولى عليها من حاشيته وكان ابو بكر بن ثابت صاحب طرابلس قد بعث الى السلطان بالطاعة والانحياش ووافته رسله دوين قابس فلما استكمل فتحها بعث اليه من حاشيته لاقتضاء ذلك فرجعهم بالطاعة واقام عبد الملك بن مكى بعد خروجه من قابس بين احياء العرب لياليا قلائل ثم بغته الموت فهلك ولحق ابنه وحافده بطرابلس فمنعهم ابن ثابت الدخول اليها فنزلوا بزنزور من قراها فى كفالة الجوارى من بطون دباب ولما استكمل السلطان الفتح وشؤنه انكفا راجعا الى الحضرة فدخلها فاتح ثنتين وثمانين ولحقه رسله من طرابلس بهدية ابن ثابت من الرقيق والمتاع بما فيه الوفاء بمغارمه بزعمه ووفد عليه بعد استقراره بالحضرة رسل اولاد ابى الليل متطارحين فى العفو عنهم والقبول عليهم فاجابهم الى ذلك ووفد صولة بن خالد شيخهم

وقبله ابو صعنونة شيخ حكيم ورهنوا ابناءهم على الوفاء واستقاموا على الطاعة واتصل النجح والظهور والامر على ذلك لهذا العهد وهو فاتح ثلاث وثمانين وسبعماية والله مالك الامور لا رب غيره

الخبر عن استقامة ابن مزنى وانقياده وما اكتنف ذلك من الاحوال

كان هولاء الروساء المستبدون بالجريد والزاب منذ فرغ السلطان لهم من الشواغل واسترابوا بمغبة حالهم معه ومراوغتهم له بالطاعة يرومون استحداث الشواغل ويوملون لها سلطان تلمسان لعهدهم ابا حمو الاخير وانه ياخذ بحجزته عنهم ان وصلوا به ايديهم واستحثوه لذلك لائلافهم مثلها من سلف قومه وابن حمو وابى تاشفين من قبله قياسا متورطا فى الغلط بعيدا من الاصابة لما نزل بسلطان بنى عبد الواد فى هذه العصور من الضعف والزمانة وما اصاب قومهم من الهلاك والشتات بايديهم وايدى عدوهم وتقدمهم فى هذا الشان احمد بن مزنى صاحب بسكرة لقرب جواره واشتهار مثلها من سلفه فاتبعوه وقلدوه وغطا هواهم جميعا على بصيرتهم وقارن ذلك نزول الامير ابى زيان ابن السلطان ابى سعيد عم ابى حمو على ابن يملول بتوزر عند منابذة سالم بن ابراهيم الثعالبى اياه وكان طارد به اياما ثم راجع ابا حمو وصرفه سنة ثمان وسبعين فخرج من اعمال تلمسان وابعد المذهب عنهم ونزل على ابن يملول بتوزر وطير الخبر الى امامه فى تلك الفتنة احمد بن مزنى واغتبطوا بمكان ابى زيان وان تمسكهم به ذريعة الى اعتمال ابى حمو فى مرضاتهم واجابته الى داعيهم وركض بريدهم الى تلمسان فى ذلك ذاهبا وجائيا حتى اعيت الرسل واشتبهت المذاهب ولم يحصلوا على غير المقاربة والوعد لاكن على شريطة

التوثق من ابى زيان وبينماهم فى ذلك اذ هجم السلطان على الجريد وشرد عنه اولاد ابى الليل الذين تكفلوا لرؤسائه بالمدافعة وافتتح قفصة وتوزر ونفطة ولحق يحيى بن يملول ببسكرة واستصحب الامير ابا زيان فنزل على ابن مزنى وهلك لايام قلائل كما ذكرناه واستحكمت عندها استرابة يعقوب بن على شيخ رياح بامره مع السلطان لما سلف منه فى مداخلة هؤلاء الرهط وتمسكهم بحقويه والمبالغة فى العذر عنهم ثم غيرته بانظاره من مشيخة الدواودة الذين انحاشوا الى السلطان فافاض عليهم عطاءه واختصهم بولايته فحدثت لذلك منه نفرة واضطراب وارتحل الى السلطان ابى حمو صاحب تلمسان فاتح ثنتين وثمانين يستجيشه لهؤلاء الرهط ويهزه بها الى البدار بصريخهم ونزل على اولاد عريف اوليائه من سويد واوفد عليه ابنه فتعلل لهم بمنافرة حدثت فى الوقت بينه وبين صاحب المغرب وانه لهم بالمرصاد متى رابهم ريب من نهوض السلطان ابى العباس اليهم تمسك بذلك طرف التوثق من ابى زيان وربما دس اليهم بمشارطة اعتقاله والقائه فى غيابات السجون وفى مغيب يعقوب هذا طرق السلطان تمحيص من المرض ارجف له المفسدون بالجريد ودس شيع ال يملول بخبره الى صبى من ابناء يحيى مخلف ببسكرة فذهل ابن مزنى عن التثبت لها ذهابا مع صاغية الولد واوليائه وجهزهم لانتهاز الفرصة فى توزر مع العرب المشارطين فى مثلها بالمال واغذ السير الى توزر على حين غفلة من الدهر وخف من الجند لحلى المنتصر واولياؤه فى الامتناع وصدق الدفاع وتمحضت بهذا الابتلاء طاعة اهل توزر ومخالصتهم وانصرف ابن يملول باخفاق من السعى واليم من الندم وتوقع للمكاره ووافق ببسكرة قدوم يعقوب بن على مرجعه من الغرب فبالغ فى تعييبهم بالملامة على ما احدثوا بعده من هذا الخرق المتسع المعيى على الراقع وكان السلطان لاول بلوغ الخبر باجلابهم على توزر وممالاة ابن مزنى على ابنه واوليائه اجمع النهوض الى

بسكرة وعسكر بظاهر الحضرة وفتح ديوان العطا وجهز الات الحصار وسرى الخبر بذلك اليهم تخلصوا نجيا ونفضوا عيبة ارائهم فتمحض لهم اعتقال ابى زيان الكفيل لهم بصريخ ابى حمو على زعمه فتعللوا عليه ببعض النزعات وتورطوا فى اخفار ذمته وطيروا بالصريخ الى ابى حمو وانتظروا فما راعهم الا وافده بالعذر عن صريخهم والاعاضة بالمال فتبينوا عجزه ونبذوا عهده وبادروا لتخلية السبيل لابى زيان والعذر له لما كان السلطان نكر عليهم من امره فارتحل عنهم ولحق بقسنطينة وجملهم يعقوب بن على على اللياذ بالطاعة واوفد ابن عمه متطارحا وشافعا فتقبل السلطان فيئته ووسيلته واغضى لابن مزنى عن هناته واسعفهم بكبير دولته وخالصة سره ابى عبد الله بن ابى هلال ليتناول منه المخالصة ويمكن له الالفة وتمسح عن هواجس الارتياب والمخافة وكان لقيه اشهى اليهم من الحياة ففصل عن الحضرة وانتهى السلطان فى ذى القعدة اخر سنة ثنتين وثمانين لتفقد اعماله وابتلاء الطاعة من اهل اوطانه ولما وصل وافد السلطان الى ابن مزنى القى زمامه اليه وحكمه فى ذات يده وقبله ومحى اثر المراوغة واستجد لبوس الانحياش والطاعة وبادر الى استجادة المقربات وانتقى صنوف التحف وبعث بذلك فى ركاب الوافد مع الذى عليه من الضريبة المعروفة محملا اكتاد ثقاته وظهور مطاياه ووصلوا معسكر السلطان بساح تبسة فاتح ثلاث وثمانين فجلس لهم السلطان جلوسا فخما ولقاهم قبولا وكرامة فعرضوا الهدية واعربوا عن الانحياش والطاعة وحسن موقع ذلك من السلطان وشملهم احسان السلطان فى مقاماتهم وجوائزه على الطبقات فى انصرافهم وانقلبوا بما ملا صدورهم احسانا ونعمة وظفروا برضى السلطان وغبطة وحسبهم بها امنية وبيد الله تصاريف الامور ومظاهر الغيوب

الخبر عن انتقاض اولاد ابى الليل ثم مراجعتهم الطاعة

قد ذكرنا ما كان من رجوع اولاد ابى الليل هولاء الى طاعة السلطان اثر منصرفه من فتح قابس وانهم وفدوا عليه بالحضرة فتقبلهم وعفا عنهم كبائرهم واسترهن على الطاعة ابناءهم واقتضى بالوفاء على ذلك ايمانهم وخرج الاخ الكريم ابو يحيى زكرياء فى العساكر لاقتضاء المغارم من هوارة التى استاثروا بها فى فترة هذه الفتن وارتحل معه اولاد ابى الليل واحلافهم من حكيم حتى استوفى جبايته وجال فى اقطار عمله ثم انكفا راجعا الى الحضرة ووفدوا معه على السلطان يتوسلون به فى اسعافهم بالعسكر الى بلاد الجريد لاقتضاء مغارمهم على العادة واستيفاء اقطاعاتهم فسرح السلطان معهم لذلك ابا فارس وارتحلوا معه باحيائهم وكان ابن مزنى وابن يملول من قبله وابن يعقوب بن على كثيرا ما يراسلونهم ويستدعونهم لمثل ما كانوا فيه من الانحراف ومشايعة صاحب تلمسان ولما اعتقلوا ابا زيان ببسكرة كما ذكرناه وثوقا بصريخ ابى حمو ومظاهرته نبضت عروق الخلاف فى اولاد ابى الليل ونزعوا الى اللحاق بيعقوب بن على رجاء فيما توهموه من استغلاظ امرهم بصاحب تلمسان ويأسا من معاودة التغلب الذى كان لهم على ضواحى افريقية ففارقوا الامير ابا فارس بعد ان ابلغوه مامنه من قفصة وساروا باحيائهم الى الزاب فلم يقعوا على الغرض ولا ظفروا بالبغية ووافوا يعقوب وابن مزنى وقد جاءهم وافد ابى حمو بالقعود عن نصرتهم والامير ابو زيان قد انطلق لسبيله عنهم فسقط فى ايديهم وعاودهم الندم على ما استدبروا من امرهم وحملهم يعقوب على مراجعة السلطان واوفد ابنه محمدا فى ذلك مع وافد العزيز ابى عبد الله محمد بن ابى هلال

فتقبلهم واحسن التجاوز عنهم وبعث ابا يحيى اخاه لاستقدامهم امانا لهم وتانيسا وبذل لهم فوق ما املوه من مذاهب الرضى والقبول واتصال النجح والظهور والحمد لله وحده

تغلب ابن يملول على توزر وارتجاعها منه

قد كان تقدم لنا ان يحيى بن يملول لما هلك ببسكرة تخلف صبيا اسمه ابو يحيى وذكرنا كيف اجلب على توزر سنة ثنتين وثمانين مع لفيف اعراب رياح ومرداس فلما كان سنة ثلاث وثمانين بعدها وقعت مغاضبة بين السلطان وبين اولاد هلال من الكعوب وانحدروا الى مشاتيهم بالصحراء فبعث اميرهم يحيى بن طالب عن هذا الصبى ابى يحيى من بسكرة ونزل باحيائه بساح توزر ودفع الصبى الى حصارها واجتمع عليه شيعته من نواحى البلد واوشاب من اعراب الصحراء واجلبوا على البلد وناوشوا اهلها القتال وكان بها المنتصر ابن السلطان فقاتلهم اياما ثم تداعى شيعهم من جوانب المدينة وغلبوا عساكره واحجروهم بالبلد ثم دخلوا عليهم وخرج المنتصر ناجيا بنفسه الى بيت يحيى بن طالب واستذم به فاجاره وابلغه الى مامنه بقفصة وبها عاملها عبد الله التريكى واستولى ابن يملول على توزر واستنفد ما معه وما استخرجه من ذخائرهم بتوزر فى اعطيات العرب وزادهم جباية السنة من البلد بكمالها ولم يحصل على رضاهم وبلغ الخبر الى السلطان بتونس فشمر عزائمه وعسكر بظاهر البلد واعترض الجند وازاح عللهم وارتحل الى ناحية الاربص وهو يستالف الاعراب ويجمع لقتال اولاد مهلهل اقتالهم واعداءهم اولاد ابى الليل واولياءهم واحلافهم ليستكثر بهم حتى نزل

فحص تبسة فاراح بهم اياما حتى توافت امداده من كل ناحية ثم نهض يريد توزر ولما احتل بقفصة قدم اخاه الامير ابا يحيى وابنه الامير المنتصر فى العساكر ومعهما صولة بن خالد بقومه اولاد ابى الليل وسار على اثرهم فى التعبية ولما انتهى اخوه وابنه الى توزر حاصروها وضيقوا عليها اياما ثم وصل السلطان فزحف اليها العساكر من جوانبها وقاتلوها يوما الى المساء ثم باكروها بالقتال فخذل ابن يملول اصحابه وافردوه فذهب ناجيا بنفسه الى حلل العرب ودخل السلطان البلد واستولى عليه واعاد ابنه الى محل امارته منه وانكفا راجعا الى قفصة ثم الى تونس منتصف اربع وثمانين

ولاية الامير زكرياء ابن السلطان على توزر

ثم عاد ابن يملول الى الاجلاب على توزر من السنة القابلة وخرج السلطان فى عساكره فكر راجعا الى الزاب ونزل السلطان قفصة ووافاه هنالك ابنه المنتصر وتظلم اهل توزر من ابى القاسم الشهرزورى الذى كان حاجبا للمنتصر فسمع شكواهم وانهى اليه الخاصة سوء دخلته وقبيح افعاله فقبض عليه بقفصة واحتمله مقيدا الى تونس وغضب لذلك المنتصر واقسم لا يلى على توزر وسار معه السلطان الى تونس وولى على توزر الامير زكرياء من ولده الاصاغر لما كان يتوسم فيه من النجابة فصدقت فراسته فيه وقام بامرها واحسن المدافعة عنها وقام باستيلاف الشارد من احياء العرب وامرائهم حتى تم امره وحسنت ولايته والله متولى الامور بحكمته سبحانه

وفاة الامير ابى عبد الله صاحب بجاية

كان السلطان لما سار الى فتح تونس ولى على بجاية ابنه محمدا كما مر واقام له حاجبا واوصاه بالرجوع الى محمد بن ابى مهدى زعيم البلد وقائد الاسطول المتقدم على اهل الشطارة والرجولة من رجل البلد ورماتهم فقام هذا الامير ابو عبد الله فى منصب الملك ببجاية احسن قيام واصطنع ابن ابى مهدى احسن اصطناع فكان يجرى فى قصوره واغراضه ويكفيه مهمه فى سلطانه ويراقب مرضاة السلطان فى احواله والامير يعرف له بذلك ويوفيه حقه الى ان ادركته المنية اوائل خمس وثمانين فتوفى على فراشه انس ما كان سربا وامن روعا مشبعا من رضى ابيه ورعيته بما يفتح له ابواب الرضى من ربه وبلغ نعيه الى ابيه بتونس فبادر بانفاذ العهد لابنه ابى العباس احمد بولاية بجاية مكان ابيه وجعل كفالة امره لابن ابى مهدى مستبدا عليه واستقامت الامور على ذلك

حركة السلطان الى الزاب

كنت انتهى بتاليف الكتاب الى ارتجاع توزر من يد ابن يملول وانا يومئذ مقيم بتونس ثم ركبت البحر منتصف اربع وثمانين الى بلاد الشرق لقضاء الفرض ونزلت بالاسكندرية ثم بمصر وصارت اخبار المغرب تبلغنا على السنة الواردين فمن اول ما بلغنا وفاة هذا الامير ابن السلطان ببجاية سنة خمس

وثمانين ثم بلغنا بعدها حركة السلطان الى الزاب سنة ست وثمانين وذلك ان احمد بن مزنى صاحب بسكرة والزاب لعهده كان مضطرب الطاعة يجير على السلطان ويمنع فى اكثر السنين المغارم معولا على مدافعة العرب الذين ملكوا ضواحى الزاب والتلول دونه واكثر وثوقه فى ذلك بيعقوب ابن على وقومه الدواودة وقد مر طرف من اخباره فى ذلك مثبوتا فى اخبار الدولة وكان ابن يملول قد اوى الى بلده واتخذ وكرا فى جوه واجلب على توزر مرارا برايه ومعونته فاحفظ ذلك السلطان ونبه له عزائمه ثم نهض سنه ست وثمانين يريد الزاب بعد ان جمع الجموع واحتشد الجنود واستالف العرب من بنى سليم فصاروا معه واوعبوا ومر على فحص تبسة ثم خرج من طرف جبل اوراس الى بلد تهودا من اعمال الزاب واعصوصب الدواودة ومن تبعهم من قبائل رياح على المدافعة دون بسكرة والزاب غيرة من بنى سليم ان يطرقوا اوطانهم او يردوا مراعيهم الا بنى سباع بن شبل من الدواودة فانهم تحيزوا الى السلطان واستنفر ابن مزنى حماة وطنه ورجالة قومه من الاثبج فغصت بسكرة بجموعهم وتوافت الفريقان وناوشهم السلطان القتال اياما وهو يراسل يعقوب بن على ويستحثه لما كان يطمعه به من المظاهرة على ابن مزنى ويعقوب يخادعه بانحراف قومه عنه وائتلافهم على ابن مزنى ويرغبه فى قبول طاعته ووضع اوزار الحرب مع رياح حتى تتمكن له فرصة اخرى فتقبل السلطان نصيحته فى ذلك واغضا لابن مزنى ولرياح عنها وقبل طاعته وضريبته المعلومة وانكفا راجعا ومر بجبل اوراس ثم الى قسنطينة فاراح بها ثم ارتحل الى تونس فوصل اليها منتصف ست وثمانين

حركة السلطـــان الى قابـس

كان السلطان قد فتح مدينة قابس سنة احدى وثمـانين وانتظمها فى اعماله وشرد عنها بنى مكى فذهبوا الى نواحى طرابلس وهلك كبيرهم عبد الملك وعبد الرحمن ابن خيه احمد وذهب ابنه يحيى الى الحج واقام عبد الوهاب بزنزور ثم رجع الى جبال قابس يحاول على ملكها واستتـب له ذلك بوثوب جماعة من اهل البلد بعاملها يوسف بن الابار من صنائع السلطان لقـبح ايالته وسوء سيرته فداخلوا جماعة من شيعة بنى مكى فى ضواحى قابس وقراها وواعدوهم فجاءوا لميعادهم وعبد الوهاب معهم واقتحموا باب البلد وقتلوا البواب ثم قصدوا ابن الابار فقتلوه فى مسكنه سنة ثنتين وثمانين وملك عبد الوهاب البلد واستقل بها كما كان سلفه وجاء اخوه يحيى من المشرق فاجلب عليه مرارا يروم ملك البلد منه فلم يتهيا له ذلك ونزل على صاحب الحامة واقام عنده يحاول امر البلد منها فبعث عبد الوهـاب الى صاحب الحامة وبذل له المال على ان يمكنه منه فبعث اليه به فاعتقـله بقصر العروسيين واقام يراوغ السلطان عن الطاعة ويبذل ماله فى اعراب الضاحية من دباب وغيرهم للمدافعة عنه ومنع الضريبة التى كانوا يودونها للسلطان ايام طاعتهم والسلطان مشغول عنهم بمهمه فلما فرغ من شواغله بافريقيـة والزاب نهض اليه سنة تسع وثمانين بعد ان اعترض عساكره واستالف من العرب اولياءه وسرب فيهم عطاءه ونزل على قابس وقد استعد لها وجمع الالات لحصارها فاكتسح نواحيها وجثم عليها بعساكـره يقاتلها ويقطع نخيلها حتى اعاد الكثير من الفافها براحا وموج الهواء فى ساحتها فصح

بعد ان كانوا يستوخمونه لاختفائه بين الشجر وفى متكاثف الظلال وما يلحقه بذلك من التعفن فذهب عنها ما كان يعهد فيها من ذلك الوخم رحمة من الله اصابتهم من عذاب هذا السلطان وربما صحت الاجسام بالعلل ولما اشتد بهم الحصار وضاق المخنق وظن ابن مكى انه قد احيط به استعتب للسلطان واستامن فاعتبه وامنه ورهن ابنه على الطاعة واداء الضريبة وافرج عنه السلطان وانكفا راجعا الى تونس واستقام ابن مكى حتى كان من تغلب عمه يحيى عليه ما نذكره

رجوع المنتصر الى ولاية توزر وولاية اخيه زكرياء على نفطة ونفزاوة

كان العرب ايام ولاية المنتصر بتوزر قد حمدوا سيرته واصفقوا على محبته والتشيع له فلما رجع السلطان عن قابس رغبوا اليه فى طريقهم ان يولى المنتصر على بلاد الجريد كما كان ويرده على عمله بتوزر وتولى ذلك بنو مهلهل واركبوا نساءهم الظعن فى الهوادج واعترضوا بهن السلطان سافرات مولولات دخلاء عليه فى اعادة المنتصر الى توزر لما لهم فيه من المصالح فقبل السلطان وسيلتهن واعاده الى توزر ونقل ابنه زكرياء الى نفطة واضاف اليها عمل نفزاوة فسار اليها واستعمله واظهر من الكفاية والاضطلاع ما تحدث به الناس عنه وكان ولايته اول سنة تسعين

فتنة الامير ابراهيم صاحب قسنطينة مع الدواودة
ووفاة يعقوب بن على ثم وفاة الامير ابراهيم اثرها

كان للدواودة بقسنطينة عطاء معلوم مرتب على مراتبهم زيادة لما بايديهم من البلاد فى التلول والزاب باقطاع السلطان وضاق نطاق الدولة لهذه العصور فضاقت الجباية وصار العرب يزدرعون الاراضى فى بلادهم بالتلول ولا يحتسبون بمغارمها فيضيق الدخل ويمنعهم السلطان العطاء من اجل ذلك فتفسد طاعتهم وتنطلق بالعيث والنهب ايديهم ولما رجع الامير ابراهيم من حركته فى ركاب ابيه الى قابس وكان منذ اعوام ينقص من عطائهم لذلك ويعللهم بالمواعيد فلما قفل من قابس اجتمعوا اليه وطلبوا منه عطاهم فتعلل عليهم وجاءه يعقوب بن على مرجعه من الحج واشار عليه بانصاف العرب من مطالبهم فاعرض عنه وارتحل لبعض مذاهبه وتركه ونادى فى العرب بالفتنة معه يروم استئلاف اعدائه فاجابه الكثير من اولاد سباع بن شبل واولاد سباع بن يحيى وباديتهم من ذوبان رياح وخرج يعقوب من التل فنزل على نقاوس فاقام بها وانطلقت ايدى قومه على تلول قسنطينة بالنهب وانتساف الزروع حتى اكتسحوا عامتها ولحقوا به مالئ اليد مثقلى الظهر ثم طرقه المرض فهلك سنة تسعين ونقلوا شلوه الى بسكرة فدفنوه بها وقام مكانه فى قومه ابنه محمد واستمر على العصيان وصعد الى التل فى منتصف احدى وتسعين واستالف الامير ابراهيم اعداءه من الدواودة واحلافهم من البادية وجنح اليه ابو ستة بن عمر اخو يعقوب بن على بمن معه من اولاد عائشة ام عمر وخالفه اخوه صميت الى محمد بن يعقوب ثم تحاربوا مع الامير

ابراهيم فهزموه وقتل ابو ستة ثم جمع السلطان لحربهم ودفعهم عن التلول ومنعهم من المصيف عامهم ذلك وانحدروا الى مشاتيهم وعجـزوا بعدها عن الصعود الى التلول وقضوا مصيفهم عامهم ذلك بالزاب وانحـدروا منـه الى المشاتى فلما رجعوا من مشاتيهم وقد فقدوا الميرة انطلقت ايديهم على نواحى الزاب فانتسفوا زروعه وكاد ان يفسد ما بينهم وبين ابن مزنى مظاهرهم على تلك الفتنة ثم ارتحلوا صاعدين الى التلول وقد جمع الامير ابراهيم لدفاعهم عنه وبينما هو فى ذلك الم به طائف من المرض فتوفى سنه ثنتين وتسعين وافترقت جموعه واغذ محمد بن يوسف السير الى نواحى قسنطينة فاحتل بها مظاهرا للطاعة متبريا من الخلاف ونادى فى اهل البلاد بالامان والعمارة فصلحت احوال الرعايا والسابلة وبعثوا الى السلطان بتونس مستامنين مستعتبين فامنهم واعتبهم واقام بقسنطينة مكان ابنه ابنه ابراهيم ابنه [بياض] وبعث من حضرته محمد ابن مولاه بشير لكفالته والقيام بدولته فقـام بامرها وصلحت الاحوال

منازلة نصارى الفرنج للمهدية

كانت امة الفرنج وراء البحر الرومى فى الشمال قد صار لهم التغلب ودولة بعد انقراض دولة الروم فملكوا جزائره مثـل دانية وسردانية وميورقة وصقلية وملات اساطيلهم فضاءه ثم تخطوا الى سواحل الشام وبيت المقدس فملكوها وعادت لهم سورة التغلب فى هذا البحر بعد ان كان سورة المسلمين فيه لا يتقاوم الى اخر دولة الموحدين بكثرة اساطيله ومران راكبيه فغلبهم الفرنج وعادت السورة لهم وزاحمتهم اساطيل المغرب لعهد بنى مرين اياما ثم

فشل ريح الفرنجة واحتل مركز دولتهم بافرنسة وافترقت طوائف فى اهل برشلونة وجنوة والبنادقة وغيرهم من امم الفرنجة النصرانية واصبحوا دولا متعددة فتنبهت عزائم كثير من المسلمين بسواحل افريقية لغزو بلادهم وشرع فى ذلك اهل بجاية منذ ثلاثين سنة فيجمع الغفراء والطائفة من غزاة البحر ويصنعون الاصطول ويتخيرون له الابطال الرجال ثم يركبونه الى سواحل الفرنجة وجزائرهم على حين غفلة فيتخطفون منها ما قدروا عليه ويصادمون ما يلقون من اساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبى والاسرى حتى امتلات سواحل الثغور الغربية من بجاية باسرائهم تضج طرق البلد بصخب السلاسل والاغلال عند ما ينتشرون فى حاجاتهم ويغالون فى فدائهم بما يتعذر معه او يكاد فشق ذلك على امم الفرنجة وملا قلوبهم ذلا وحسرة وعجزوا عن الثار به وصرخوا على البعد بالشكوى الى السلطان بافرنجة فصم عن سماعها وتطارحوا بثهم وثكلهم فيما بينهم وتداعوا لنزال المسلمين والاخذ بالثار منهم وبلغ خبر استعدادهم الى السلطان فسرح ابنه ابا فارس يستنفر اهل النواحى ويكون رصدا للاصطول هنالك واجتمعت اساطيل جنوة وبرشلونة ومن وراءهم او مجاورهم من امم النصرانيه واقلعوا من جنوة فحطوا بمرسى المهدية منتصف ثنتين وتسعين وطرقوها على حين غفلة وهى على طرف من البر داخل فى البحر كانه لسان دالع فارسوا عندها وضربوا عند اول الطرف سورا من الخشب بينه وبين البر حتى اصاروا المعقل فى حكمهم وعالوا عليه بالابراج وشحنوها بالمقاتلة ليتمكنوا من قتال البلد ومن ياتيهم من مدد المسلمين وصنعوا برجا من الخشب من جهة البحر يشرف على اسوار المعقل لتعظم نكايتهم وتحصن اهل البلد وقاتلوهم صابرين محتسبين وتوافت اليهم الامداد من نواحى البلد فحال دونهم الفرنجة وبلغ الخبر الى السلطان فاهمه امرها وسرح العساكر تترى

الى مظاهرتهم ثم خرج اخوه الامير ابو يحيى زكرياء وسائر بنيه فيمن حضره من العساكر فانطلقوا لجهاد هذا العدو واستنفروا المقاتلة من الاعراب وغيرهم فاجتمعت بساحتها امم والحوا على الفرنجة بالقتال ونضح السهام حتى احجروهم فى سورهم وبرز الفرنجة للقتال فكان بينهم وبين المسلمين جولة جلى فيها ابناء السلطان وكاد الامير ابو فارس منهم ان يتورط لولا حماية الله التى وقته ثم تداركت عليهم الحجارة والسهام والنفط من سور البلد فاحترق البرج المطل عليها من جهة البحر فوجموا لحريقه ثم ركبوا من الغد اسطولهم واقلعوا الى بلادهم وخرج اهل المهدية يتباشرون بالنجاة ويتنادون بشكر الامراء على ما اعتمدوه فى نصرهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفا الله المومنين القتال وامر الامير ابو يحيى برم ما تثلم من اسوارها ولم ما تشعب منها وقفل الى تونس وقد انجح الله قصدهم واظهرهم على عدوهم

انتقاض قفصة وحصارها

كان السلطان ابو العباس قد ولى على قفصة عند ما ملكها ابنه الامير ابا بكر واقام فى خدمته من رجال دولتهم عبد الله التريكى من موالى جدهم السلطان ابى يحيى فانتظم به امره واقام بها حولا ثم تجافى عن امارتها ولحق بابيه بتونس سنة ثنتين وثمانين فجعل السلطان امر قفصة لعبد الله التريكى وولاه عليها ثقة بغنائه واضطلاعه ولم يزل واليا بها الى ان هلك سنة اربع وتسعين وولى السلطان مكانه ابنه محمدا وكان له اخوة اصاغر ابناء علات فنافسوه فى تلك الرتبة وحسدوه عليها واغرام به محمد الدنيدون من قرابة احمد بن العابد كان ينظر فى قسمة الماء بالبلد وكان

فيها عدلا معقلا فلم تطرقه النكبة كما طرقت قومه وابقاه السلطان بالبلد فاغرا هولاء الاخوة باخيهم ووثبوا به فاعتقلوه واظهروا العصيان ثم حمله اعيان البلد على البراءة من بنى عبد الله التريكى استرابة بهم ان يراجعوا طاعة السلطان فتوثب بهم واخرجهم واستصفاهم واستقل برياسة البلد كما كان قومه والسلطان فى خلال ذلك يرعد ويبرق ويواصل الاعذار والانذار وهم قد لجوا فى طغيانهم ثم جمع جنوده واحتشد واستالف الاعراب ووفر لهم الاعطيات ونهض اليها حتى نزل بساحتها منتصف خمس وتسعين وقد استعدوا وتحصنوا فالح عليهم القتال واذاقهم النكال وقطع عنهم الميرة فضيق مخنقهم ثم عدا على نخلهم فقطعها حتى صرع جذوعها وفسح المجال بين لفافها ولما اشتد بهم الحصار وضاق عليهم المخنق خرج شيخهم الدنيدن الى السلطان يعقد معه صلحا على بلده وقومه فغدر به وحبسه رجاء ان يملك بذلك البلد وكان بعض بنى العابد اسمه عمر بن الحسن قد انتبذ عن قفصة ايام نكبتهم وابعد فى المغرب ثم رجع ونزل باطراف الزاب ولما استقل الدنيدن بقفصة قدم عليه فاقام معه اياما ثم استراب به وتقبض عليه وحبسه فلما غدر به السلطان اجتمعت عليه المشيخة وعقدوا له الامرة وبعثوا الى العرب يسترحمونهم ويعطفونهم على ذخيرتهم فيهم وسربوا اليهم الاموال فتصدى للدفاع عنهم صولة بن خالد بن حمزة امير اولاد ابى الليل وزحف الى السلطان بمعسكره من ظاهر البلد وكان اولياؤه من العرب قد ابعدوا عنه فى الجهات لانتجاع ابلهم فما راعه الا اطلاق صولة براياته فى قومه فاجفل واتبعوه وما زال يكر عليهم فى بنيه وخواصه حتى ردهم على اعقابهم واغذ السير الى تونس وهم فى اتباعه ولم يظفروا منه بعقال الا ما كان من طعن القنا ووقع السيوف حتى وصل الى حضرته ثم ندم صولة على ما كان منه وراسل السلطان بطاعته فلم يقبله وانحدر الى مشاتيه سنة ست وتسعين واستدعى ابن

يملول من عش نفاقه ببسكرة فخف اليه ودفعه اليها تربه فى الغى احمد ابن مزنى صاحب الزاب ووصل ابن يملول الى صولة فاغراه بحصار توزر ونزل معه عليها بقومه فجلى الامير المنتصر فى دفاعهم والامتناع عليهم حتى يئسوا واضطربت اراؤهم وافرجوا عنها مفترقين وصعد صولة الى التل للمصيف به وعاود الرغبة من السلطان فى قبول طاعته وكان محمد الدنيدن لما اجفل السلطان عن قفصة تركه بتلك الناحية فلما وصل الى تونس راسل اهل قفصة فى الرجوع اليهم فاجابه بعض اشياعه ودخل البلد فنذر به عمر بن العابد وكبسه بمكانه الذى نزل به وقتله واستبد بمشيخة قفصة وخشى اهل قفصة من غائلة السلطان وسوء مغبة العصيان فبعثوا الى السلطان بطاعتهم وشرط عليهم نزول عامله عندهم وهذا اخر ما بلغنا عنهم ولم يبلغنا انه عقد لهم ولا لصولة امرا والله يصرف الامور بحكمته

ولاية عمر ابن السلطان على صفاقس واستيلائه منها على قابس وجزيرة جربة

هذا الامير عمر ابن السلطان هو شقيق ابراهيم الذى كان اميرا بقسنطينة وكان فى كفالة اخيه ابراهيم فلما توفى كما مر لحق بالسلطان ابيه واقام عنده ولما كان من وفاة ابى بكر بن ثابت شيخ طرابلس ما قدمناه واضطراب قومه من بعده ونزع قائدهم قاسم بن خلف الى السلطان فبعث معه ابنه عمر هذا سنة ثنتين وتسعين لحصار طرابلس واقام عليها حولا كريتا يحاصرها ويمنع الاقوات عنها حتى ضجروا وضجر من طول المقامة فدافعوه بالضريبة وانكفا راجعا الى ابيه سنه خمس وتسعين ووافاه جاثما على قفصة عند

ما انتقضوا عليه وقد كان مر فى طريقه على جربة واراد الدخول اليها فمنعه عامل ابيه بها من الموالى المعلوجى فانف من ذلك وشكاه الى ابيه فولاه على سفاقس ووعده بولاية جربة فسار هو الى سفاقس واجاز البحر الى جزيرة جربة وانضم اليه جميع من بها من القبائل وامتنع العلج منصور العامل بحصنها المسمى بالقشتيل بلسان الفرنج حتى كاتب السلطان وامره بتمكين ابنه من الحصن والافراج له عن الجزيرة اجمع فاستبد بها ثم ان الامير عمر سما الى ملك قابس فداخل اهل الحامة جارتها المجلبة عليها على الايام فى ذلك واجابوه وساروا معه بجموعه سنة ست وتسعين فبيتها وملكها وقبض على رئيسها يحيى بن عبد الملك بن مكى فضرب عنقه وانقرض امر بنى مكى من قابس واستقل بها الامير عمر مضافة الى ما كان بيده والله وارث الامور

وفاة السلطان ابى العباس وولاية ابنه ابى فارس عزوز

كان السلطان ابو العباس قد ازمن به وجع النقرس حتى كان فى غالب اسفاره يحمل على البغال فى المحفة ثم اشتد به اخر عمره واشرف فى سنة ست وتسعين على الهلكة وكان اخوه زكرياء رديفه فى الملك والمرشح بعده للامر وابنه محمد واليا فى بونة موضع امارته من قبل وكان للسلطان ولد كثيرون يتطاولون الى مكان ابيهم ويغصون بعمهم زكرياء ويخشون غائلته بعد ابيهم فلما قارب السلطان منيته اشتد جزعهم واشفاقهم من عمهم وبعث السلطان كبيرهم ابا بكر بعهده على قسنطينة فسار اليها بين ايدى موته واعصوصب الباقون على كبيرهم بعده ابى فارس عزوز فقبضوا على عمهم زكرياء وقد دخل يعود اخاه واودعوه فى بعض الحجر

ووكلوا به وهلك السلطان لثلاث بعدها فبايعوا اخاهم ابا فارس رابع شعبان سنة ست وتسعين وجاء اهل البلد الى بيعته افواجا من الاعيان والكافة فتمت بيعته وامر بنقل ما فى بيوت عمه من الاموال والذخيرة الى قصره حتى استوعبها وضيق عليه فى محبسه وقام بتدبير ملكه وسياسة سلطانه وولى بعض اخوانه على منابر عمله بافريقية فبعث [بياض] على سوسة [بياض] على المهدية وردف اخاه اسماعيل فى ملكه بتونس واحل الباقين محل الشورى والمفاوضة وبلغ الخبر الى اخيه المنتصر بتوزر فاضطرب امره ولحق بالحامة فاقام بها وكذلك اخوه زكرياء بنفطة فلحق بجبال نفزاوة وكان اخوه ابو بكر لما سار الى قسنطينة لولاية ابيه قبيل وفاته مر ببونة فلقيه صاحبها الامير محمد ابن عمه زكرياء بما شاء من انواع الكرامة والمبرة ووافا قسنطينة فطلب منه القائمون بها كتاب السلطان بعهده عليها فاقرام اياه وفتحوا له الابواب فدخل واستولى على امرها وكان خالصة السلطان محمد ابن ابى هلال قد بعثه السلطان قبيل موته الى السلطان ابى فارس عبد العزيز المتولى بالمغرب بعد وفاة ابيه السلطان ابى العباس بن ابى سالم فى صفر من شهور السنة وحمله من الهدايا والتحف ما يليق بامثالها فسار فلما انتهى الى ميلة بلغه الخبر بوفاة السلطان مرسله واوعز اليه الامير ابو بكر من قسنطينة بالرجوع اليه فرجع بهديته واستقر عنده هنالك هذا اخر ما بلغنا من الاخبار الصحيحة عنهم لهذه السنين وحالهم على ذلك لهذا العهد والملك بيد الله يوتيه لمن يشاء

الخبر عن بنى مزنى امراء بسكرة وما اليها من الزاب

هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد وحده من لدن قصر الدوسن بالغرب الى قصور تنومة وبادس فى الشرق يفصل بينه وبين البسيط الذى يسمونه الحضنة جبل جاثم من المغرب الى المشرق ذو ثنايا تفضى اليه من تلك الحضنة وهو جبل درن المتصل من اقصى المغرب الى قبلة برقة يعتمر بعض ذلك الجبل فى محاذاة الزاب من غربيه بقايا عمرت من زناتة ويتصل من شرقيه بجبل اوراس المطل على بسكرة المعترض فى ذلك البسيط من القبلة الى الجنوب وهو جبل مشهور الذكر ياتى الخبر عن بعض ساكنيه وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا يعرف كل واحد منها بالزاب واولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلى وزاب بسكرة وزاب تهودا وزاب بادس وبسكرة ام هذه القرى كلها وكانت مشيختها فى القديم بعد الاغالبة والشيعة لعهد صنهاجة ملوك القلعة فى بنى رمان من اهلها بما كثروا ساكنها وملكوا عامة ضياعها كان لجعفر بن ابى رمان منهم صيت وشهرة وربما نقضوا الطاعة لعهد بلكين بن محمد بن حماد صاحب القلعة فى سنى خمسين واربعماية وضبطوا البلد وامتنعوا وتولى كبر ذلك جعفر بن ابى رمّانة ونازلتهم جيوش صنهاجة الى نظر الوزير خلف بن ابى حيدرة من صنائع الدولة فاقتحمها عليهم واحتملهم الى القلعة فقتلهم بلكين جميعا وجعلهم عظة لمن بعدهم واصار امر الشورى لبنى سندى من اهلها وكان لعروس منهم بعد ذلك خلوص فى الطاعة وانحياش الى الدولة على حين تقلص ظلها وفشل ريحها والوى الهرم بشبابها وهو الذى فتك بالمنتصر بن خذرون الزناتى عند

وصوله من المشرق واجتلابه على السلطان بقومه من مغراوة واعراب الاثبج وبنى عدى من بنى هلال فمكر به السلطان واقطعه ضواحى الزاب وريغة طعمة ودس الى عروس فى الفتك به ففعل كما قدمنا ذكره فى اخبار ال حماد وانقرضت رياسة بنى سندى بانقراض امراء صنهاجة من افريقية وجاءت دولة الموحدين والكثرة والبيت لبنى رمان وكان بنو مزنى لفقا من لفائق الاعراب وصلوا الى افريقية احلافا لطوالع بنى هلال بن عامر فى المائة الخامسة كما قدمناه ونسبهم بزعمهم فى مازن من فزارة والصحيح انهم فى لطيف من الاثبج ثم من بنى جرى بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف واسم ابيهم مزنة بن ديفل بن محيا بن جُرَىَ هكذا تلقيته من بعض نسابة الهلاليين وشهد لذلك الوطن فان اهل الزاب كلهم من افاريق الاثبج عجزوا عن الظعن ونزلوا قراه على من كان بها قبلهم من زناتة وطوالع الفتح وانما يرعون عن هذا النسب الى فزارة لما صار اليه اهل الاثبج بالزاب من المغرم والوضائع فيستنكفون لذلك وينتسبون الى غرائب الانساب وكان اول نزلهم بقرية من قرى بسكرة كانت تعرف بقرية حياس ثم عفوا وتاثلوا واخذوا مع اهل بسكرة بحظ وافر فى تملك العقار والمياه ثم انتقلوا الى البلد واستمتعوا منها بالمنزل والظلال وقاسموا اهلها فى الحلو والمر وانتظم كبارهم فى ارباب الشورى من المشيخة ثم استنكف بنو رمان من انتظامهم معهم وحسدوهم ما اتاهم الله من فضله وحذروهم على انفسهم فاضطرمت بينهم نار العداوة والاحن كان اولها الكلام والترافع الى سدة السلطان بتونس على حين استقلال ابى حفص بافريقية ولعهد الامير ابى زكرياء وابنه السلطان المستنصر ثم تناجزوا الحرب وتواقعوا سكك المدينة وكانت صاغية الدولة مع بنى رمان لقديمهم فى البلد ولما خرج الامير ابو اسحاق على اخيه محمد المستنصر لاول بيعته ولحق بالدواودة من العرب وبايع له موسى بن محمد بن مسعود البلط

امير البدو يومئذ واعتمد به بسكرة وبلاد الزاب واناخ عليها بكلكله كما قدمناه قام يومئذ فضل بن على بن احمد بن الحسن بن على بن مزنى بدعوته واعلن بين اهل البلد بطاعته واتبعوه على كره ثم عاجلتهم عساكر السلطان واجهضتهم عن الزاب فاعتلق فضل بن على به واستمسك بذيله وصحبه فى طريقه الى الاندلس وبدار غربته منها الى ان هلك المستنصر اخوه وهيا الله له من امر الخلافة ما هيا حسبما ذكرناه ولما تم امره واقتعد بتونس كرسى خلافته عقد لفضل بن على على الزاب ولاخيه عبد الواحد على بلد الجريد رعيا لذمة خدمتهما وذكرا لائتلافهما فى المنزل الخشن وصحبتهما فقدم واليا على الزاب ودخل بسكرة واستكان بنو رمان لصولته وانقادوا فى مرضاة الدولة الى امره فلم ينشبوا بكلمة (1) فى شانه واضطلع بتلك الولاية ما شاء الله ثم كان شان الدعى ابن ابى عمارة وتلبيسه ومهلك السلطان ابى اسحاق على يده ثم ثار منه السلطان ابو حفص باخيه واسترجع ما ضاع من ملكهم وكل منهم يثق بغنائه ويعول فى امر الزاب على كفايته وسيم اعداؤه بنو رمان ايام ولايته فداخلوا اولاد حريز من لطيف احد بطون الاثابج كانوا نزلوا بقرية ماشاش لصق المدينة حين عجزوا عن الظعن وخالطوا اهل البلد فى احوالهم وامتزجوا معهم بالنسب والصهر فاغروهم بفضل ابن على ان يكون التقدم لهم فى الفتك به وتناول الامر من يده وان يخربوا بيوتهم من قرية ماشاش بايديهم ليسكنوا اليهم ويطمئنوا الى ولايتهم حلفا عقدوه على المكر بهم ولما اوقعوا به بظاهر البلد فى بعض ايام ركوبه سنة ثلاث وثمانين ونزلوا من امر الزاب ما كان يتولاه تنكر لهم بنو رمان لحولين من ذلك الحلف ونابذوهم العهد فخرجوا عن البلد وفقدوا الماوى للتمرس بها من قريب فتفرقوا فى بلد ريغة واستبد بنو رمان بشورى بسكرة والزاب

(1) Dans les mss. ces mots sont écrits sans points.

منتقضين عليهم وعلى السلطان والدواودة قد تغلبوا عليه وعلى بلاد
الحضنة من ورائه نقاوس ومقرة والمسيلة وكان منصور بن فضل بن على
عند مهلك ابيه بالحضرة فى بعد شؤنه فلما هلك ابوه واستبد بنو رمان
بعده بثوا السعايات فيه الى السلطان بالحضرة فانحجت وتقبض عليه واعتقل
ايام السلطان ابى حفص ولما تغلب المولى ابو زكرياء يحيى ابن الامير ابى اسحاق
على بجاية وقسنطينة وبونة واستقل بامرها وانقسمت دولة ال ابى حفص
بملكه ذلك منها تمسك اهل الزاب بدعوة صاحب الحضرة المولى ابى حفص
وفر منصور بن فضل بن على من محبسه بتونس ولحق ببجاية بعد مهلك
الحاجب القائم بالامر ابى الحسين بن سيد الناس وتولية السلطان ابى زكرياء
مكانه كاتبه ابا القاسم بن ابى يحيى سنة احدى وتسعين وستماية فلازم
خدمته وخف عليه وصانعه بوجوه التحف وضمن له تحويل الدعوة بالزاب
لسلطانه وتسريب امواله وجبايته اليه واستماله بذلك فعقد له على الزاب
وامده بعسكر فنازل بسكرة ووفد اهلها بنو رمان على السلطان ببجاية
ببيعتهم فرجعهم على الاعقاب الى عاملهم منصور وكتب اليه بقبول فيئتهم
فدخل البلد سنة ثلاث وتسعين وكادهم فى بناء القصر لشيعته وتحصن
العسكر بسوره ثم نابذهم العهد وثار بهم واجلاهم عن البلد واستمكن فيه
ورسخت قدم امارته واستدر جباية السلطان واتسع له نطاق العمالة فاستضاف
الى عمل الزاب جبل اوراس وقرى ريغة وبلاد واركلى وقرى الحضنة مقرة
ونقاوس والمسيلة فعقد له السلطان على جميعها ودفعه الى مزاحمة العرب
فى جبايتها وانتهاش لحومها اذ كانوا قد غلبوا على سائر الضواحى فساهمهم فى
جبايتها حتى كاد يغلبهم عليها ووفر اموال الدولة وانمى الخراج وصانع رجال
السلطان فالقوا عليه بالمحبة وجذبوا بضبعه الى اقصى مراتب الاصطناع
فاثرى واحتجن الاموال ووشجت عروق رياسته ببسكرة ورسخت منابت عزه

وهلك المولى ابو زكرياء الاوسط على راس المائة السابعة وولوا مكانه ابنه الامير ابا البقاء خالد كما قدمناه وقام بامره حاجبه ابو عبد الرحمن بن عمر وكان لمنصور بن فضل هذا اختصاص به واعتلاق بيد جاهه فاستنام اليه وعول فى سائر الضواحى من ممالك السلطان على نظره وعقد له على بلاد التل من ارض سدويكش وعياض فاستضافها الى عمله وجرد عن ساعد كفايته فى جبايتها فلقح عقيمها وتفجرت ينابعها ثم حدثت بينه وبين الدولة منافرة واجلب على قسنطينة بيحيى بن خالد ابن السلطان ابى اسحاق جاءا به من تلمسان وبايع له واستالف الدواودة لمشايعته ونازل به قسنطينة ثم اطلع على كامن صدره فيه وما طوى عليه من التربص به فحل عقدته ولحق بعسكره ببسكرة وراجع الطاعة ولحق به يحيى بن خالد فاعتقله الى ان هلك سنة عشرين وكانت بينه وبين المرابطين اهل السنة من العرب اتباع سعادة المشهور الذكر فتن وحروب طالبوه بترك المغارم والمكوس تخفيفا عن الرعية وعملا بالسنة التى كانوا ملتزمين لطريقها ونازلوه من اجل ذلك ببسكرة مرارا ثم هلك سعادة فى بعض حروبه على مليلى كما مر فى ذكره سنة خمسين وسبعماية وجمع منصور بن مزنى للمرابطين وبعث عسكره يقوده ابنه على بن منصور مع على بن احمد شيخ الدواودة وعلى المرابطين ابو يحيى بن احمد اخوه ومعه رجالات المرابطين مثل عيسى بن يحيى بن ادريس شيخ اولاد عساكر وعطية بن سليمان بن سباع وحسن بن سلامة شيخ اولاد طلحة فهزموا عسكر ابن مزنى وقتلوا ابنه عليا وتقبضوا على على بن احمد ثم منوا عليه واطلقوه ورجعوا الى بسكرة فنازلوها وقطعوا نخيلها ثم عاودوه ثانية وثالثة ولم يزل الحرب بينه وبين هولاء المرابطين سائر ايامه وكان الحاجب ابن عمر قد استخلصه لنفسه واحله محل الثقة بخلته والاستقامة الى صفائه ولما نهض السلطان ابو

البقاء الى تونس صحبه الحاجب فى جملته حتى اذا اعمل المكيدة فى الانصراف عن السلطان شاركه فى تدبيرها الى ان تمت كما قدمناه ورجع الحاجب الى قسنطينة وصرفه الى مكان عمله من الزاب وكان يتردد اليه ببجاية للزيارة والمطالعة فى اعماله الى ان عذر به العرب فى بعض طرقه اليها وتقبض عليه من امراء الدواودة على بن احمد بن عمر بن محمد بن مسعود وسليمان بن على بن سباع بن يحيى بن مسعود على حين اجتذبا حبل الامارة من يد عثمان بن سباع بن شبل بن موسى بن محمد واقتسما رياسة الدواودة قومهما فاستمكنا من هذا العامل منصور بن فضل فى مرجعه من عمله ببلاد سدويكش واوثقوه اعتقالا وهموا بقتله فافتدى منهم بخمسة قناطر من الذهب وارتاشوا بمكسوبهم وصرفوا فى وجوه رياستهم انفاقها وقبض منصور بن فضل عنانه عن السفر بعدها الا فى الاحايين وبعد اخذ الرهن من العرب الى ان كانت حركة مولانا السلطان ابى يحيى الى تونس سنة سبع عشرة اول حركاته اليها وطالب حاجبه يعقوب بن عمر وهو بثغر بجاية بالاموال للنفقات والاعطيات فبعث اليه بمنصور بن فضل واشار بعقده له على حجابته ليقوم بامره ويكفيه مهمات شؤنه واعتدها منصور على ابن عمر فساء ظنه وتنكر له ابن عمر وحالت صبغة وده وانكفا السلطان من حركته تلك مخفق السعى بعد ان نزل ظاهر تونس بعساكره كما قدمناه ولما احتل بقسنطينة بدت له من يعقوب بن عمر صاحب الثغر مخايل الامتناع فاقصر عن اللحاق به وترددت بينهما الرسل وبعث له ابن عمر فى منصور بن فضل ونذر منه بالشر فاجاب داعيه وصحب قائد السلطان يومئذ محمد بن ابى الحسين بن سيد الناس اليه حتى اذا كان ببعض الطريق عدل الى بلده وهم به القائد فاجاره اولياؤه من العرب عثمان بن الناصر شيخ اولاد حربى ويعقوب بن ادريس شيخ اولاد خنفر ومن معهم من ذويهم ولحق ببسكرة

وبلغ الخبر الى ابن غمر فقرع سن الندم عليه وشايع منصور بن مزنى عدوهم صاحب تلمسان ابا تاشفين ودخل فى دعوته واوفد ابنه يوسف عليه بالطاعة والهدية وملك السلطان خلال ذلك تونس وسائر بلاد افريقية وهلك ابن غمر سنة تسع عشرة ولم يزل منصور بن مزنى ممتنعا سائر ايامه على الدولة والعساكر من بجاية تتردد لمنازلته الى ان هلك سنة خمس وعشرين وسبعماية وقام بامره من بعده ابنه عبد الواحد فعقد له السلطان على عمل ابيه بالزاب واستضاف اليه ما وراءه من البلاد الصحراوية قرى ريغة وواركلى وكان السلطان قد عقد على الثغر بعد مهلك ابن غمر لمحمد بن ابى الحسين ابن سيد الناس وجعل له كفالة ابنه يحيى ودفعه اليه فتجددت الوحشة بين عبد الواحد هذا وبين صاحب الثغر فى سبيل المنافسة فى المرتبة عند السلطان لما كانوا جميعا صنائع وبطانة للحاجب ابن غمر وبعث العساكر لحربه ومنازلة حصنه وناول عبد الواحد هذا لال زيان مخانقى الدولة طرف من حبل طاعته تقبل فيها مذهب ابيه اخر عمره وطال تمرس الجيوش به الى ان استجن منه عبد الواحد بصهر عقد له على ابنته واشتراط المهادنة وتسليم الجباية وتودع امره الى ان اغتاله أخوه يوسف سنة تسع وعشرين بمداخلة بطانتهم من بنى سماط وبنى ابى كواية ولما احكم مداخلتهم اذنه عشاء للشورى معه فى بعض المهمات وطعنه بخنجره فاشواه وهلك لحينه واستقل يوسف بن منصور بامارة الزاب ووصله مرسوم السلطان بالتقليد والخلع على العادة واجرى الرسم فى الدعاء له على منابر عمله وكان السلطان قد استدعى محمد بن سيد الناس من الثغر لحجابته وفوض له امور ملكه فلججت نار العداوة والاحن القديمة ما بينه وبين يوسف بن منصور عامل الزاب وهم به لولا ما اخذ بحجرته من الشغل الشاغل للدولة بتخيف ال زيان وهلك الحاجب سنة ثنتين وثلاثين فى نكبة السلطان اياه

كما ذكرناه وعقد لمحمد بن الحكيم على القيادة وجعل بيده زمام العساكر وفوض له فى سائر القرى والضواحى فاجره رسنه وحكمه فى دولته وتغلب على امره حين فرغ السلطان من الشغل بمدافعة عدوه وحط ما كان من اصرهم على كاهل دولته ونهض السلطان ابو الحسن الى ال يغمراسن فقلم اظفار اعدائهم وفل شبا عزائمهم كما شرحناه قبل فاذكى القائد محمد بن الحكيم مع يوسف بن منصور نار العداوة واثار له من السلطان كامن الحفيظة وصرف وجوه العزائم الى حمله على الجادة وتقويمه عن المراوغة فى الطاعة وناهضه بالعساكر مرات ثلاثا يدافعه فى كلها بتسليم الجباية اليه ثم كانت بينه وبين على بن احمد كبير الدواودة فتن وحروب دعا اليها منافسة على فى استيثاره بمال الجباية دونه فواضعه الحرب ودعا العرب الى منازلته مموها بالدعاء الى السنة وحشد اهل ريغ لذلك ونازله وانحرف عنه ابنه يعقوب ودخل الى بسكرة فاصهر له ابن مزنى فى اخته بنت منصور بن فضل وعقد له عليها لحسن دفاعه عنه وبعث ابن مزنى عن سليمان بن على كبير اولاد سباع وقريع على بن احمد فى شوله فكان عنده ببسكرة يغاديه القتال ويراوحه الى ان امتنع ابن مزنى ورحل على بن احمد عن بسكرة وصار مع ابن مزنى الى الاتفاق والمهادنة اعوام الاربعين من المائة الثامنة ثم كانت غزاة القائد ابن الحكيم اليه نهض من افريقية بعد ان نازل بلاد الجريد واقتضى طاعتهم ومغارمهم واسترهن ولد ابن يملول ثم ارتحل الى الزاب فى جنوده ومعه العرب من سليم فاجفل بالزاب ونزل بلد اوماش من قراه وفرت العرب من الدواودة وسائر رياح امامه ودافعه يوسف ابن مزنى بهديته دفعها اليه وهو بمكانه من اوماش وارتحل عنه الى بلاد ريغ فافتتح تقرت معقلهم واستباحها ودوخ سائر اعمالها ورجع الى تونس ونكب السلطان قائده محمد بن الحكيم هذا سنة اربع واربعين وولى ابنه

ابا حفص عمر وخشى الحاجب ابو محمد بن تافراكين بادرته وسعاية بطانته فلحق بملك المغرب المرهوب الشبا المطل على الممالك يعسوب القبائل والعشائر ابى الحسن واغراه بملك افريقية واستحثه اليها فنهض فى الامم العريضة سنة ثمان واربعين كما ذكرنا ذلك كله من قبل ووفد عليه يوسف بن منصور امير الزاب بمعسكره من بنى حسن فلقاه برا وترحيبا واستتبعه فى جملته الى قسنطينة ثم عقد له على الزاب وما وراءه من قرى ريغة ووارگلى وصرفه الى عمالته واستقبل تونس وامره برفع الجباية اليه مع العمال القادمين من اقصى المغرب على راس الحول فاستعد لذلك حتى اذا سمع بوصولهم من المغرب لحقهم بقسنطينة ونجاهم هنالك جميعا الخبر بنكبة السلطان على القيروان كما ذكرناه فاعتزم على اللحاق ببلاده واعصوصب عليه يعقوب بن على بن احمد امير البدو بالناحية القريبة من افريقية لاذمة صهر كانت بينهما ومخالصة وتحيز اليهم من كان بقسنطينة من اوليـــاء السلطان وحاشيته وعماله ورسل الطاغية والسودان الوافدين مع ابنه عبد الله من اصاغر بنيه اواهم يوسف بن منصور جميعا اليه وانزلهم ببلده وكفاهم مهماتهم شهورا من الدهر حتى خلص السلطان من القيروان الى تونس ولحقوا به مع يعقوب بن على فكانت تلك يــــدا اتخذها يوسف بن يعقوب عند السلطان ابى الحسن وبنيه باقى الايام ثم اتبع ذلك بمخالفة روساء النواحى من افريقية جميعا فى الانتقاض عليه واقام متمسكا بطاعته يسرب الاموال اليه بتونس وبالجزائر عند خلوصه اليها من النكبة البحرية كما سنذكره ويدعو له على منابره بعد تقويضه عن الجزائر الى المغرب الاقصى لاسترجاع ملكه الى ان هلك السلطان ابو الحسن بجبل هنتاتة من اقـــصى المغرب سنة ثنتين وخمسين واستقام امر الدولة المرينية لابنه السلطان ابى عنان الحية الذكر ولما استضاف الى ملكه ملك تلمسان ومحا ما جدده بنو عبد

الواد من رسوم ملكهم وجمع كلمة زناتة واطل على البلاد الشرقية سنة ثلاث وخمسين بادر يوسف بن منصور بطاعته فاتاها طواعية واوفد على السلطان رسله بكتاب بيعته ثم اوفد عليه ثانيا مع حاجبه الكاتب ابى الله محمد ابن ابى عمر وبعثه بالعساكر لتدويخ افريقية وتمهيد ملكه بجاية كما سنذكره واوفد عليه امراء القبائل والبدو ورؤساء النواحى سنة اربع وخمسين ووفد فى جملتهم يوسف بن منصور امير الزاب ويعقوب بن على امير البدو وسائر الدواودة فلقاه السلطان تكرمة ورعيا لاذمة خلوصهم لابيه وقومه من بين اهل افريقية واسنى جوائزهم وعقد ليوسف بن مزنى على الزاب وما وراءه من بلاد ريغة ووارکلى على عادته وانقلب محبوا محبورا وقد ثبت له من ولاية السلطان ومخالطته حظ ورفع له ببساطه مجلس ولما نهض السلطان الى افريقية لافتتاح قسنطينة سنة ثمان وخمسين كما سنذكره تلقاه يوسف بن منصور على قسنطينة فخلطه باوليائه ونظمه فى طبقات وزرائه واستوحش يعقوب بن على يومئذ من مطالبته بالرهن له ولقومه وانتقض واجفلت احياؤه الى بلاد الزاب وخرب بلاد يعقوب بن على بالزاب والتل بقطع شجراها وبغور مياهها وبهدم بناها وبنسف اثارها ودخل يعقوب باحيائه الرمل واعجزوا السلطان فانكفا راجعا واحتل بظاهر بسكرة فتلوم بها ثلاثا لاراحة العساكر وازاحة عللهم من وعثاء السفر وشعث الصحراء فغرب يوسف بن منصور فى قرى عسكره ايام مقامه شملهم فيها من العلوفة والحنطة واللحمان والادم بما ارغد عيشهم وكفاهم مهمهم وتحدث بها الناس دهرا ورفع اليه جباية الزاب لعامه قناطيرا من الذهب دفعه ببيت المال فقبضه القهارمة من ثقاته واجزل السلطان مثوبته واسنى عطيته واختصه بكسوة ثيابه وعياله من كسى حرمه وثياب قصره وانكفا راجعا الى حضرته ثم اوفد يوسف بن منصور ابنه احمد على السلطان بسدته

من فاس عند منصرف وزيره سليمان بن داوود من حركة افريقية سنة تسع وخمسين واصحبه هدية من عتاق الخيل وفاره الرقيق واقام اياما فى نزل كريم ومحل من المجلس رفيع الى ان هلك السلطان خاتمة تسع وخمسين فارغد القائم بالدولة من بعده جائزته واسنى صلته وصرفه الى عمله واستوصى به امراء النواحى والثغور فى طريقه ولم ينشب ان شبت نار الفتنة وانتزى الخوارج بالجهات بعد مهلك السلطان فخلص الى ابيه بعد عناية وعلى ياس من النجاة بعد ان حصل فى قبضة ابى حمو سلطان بنى عبد الواد عند استيلائه على تلمسان وهو بها مع بنى مرين وقد مر بهم مجازا الى وطنه فاجاره عليه صغير بن عامر شيخ بنى عامر من رغبة رعيا لاذمة ابيه يوسف صاحب الزاب وتاميلا للعرب فيه وفى اعماله وبعد ان بذل له من ذات يده ومن طرف ما وصله به بنو مرين من ذخائرهم فبعث معه صغير ركابا من قومه ابلغوه مامنه فكانت احدى الغرائب فى نجاته واسترجع الموحدون ثغورهم بجاية وقسنطينة من يد بنى مرين وازعجوا عنها العساكر المجمرة بها من قبائلهم كما قدمناه فراجع يوسف بن منصور طاعته المعروفة لهم الى ان هلك سنة سبع وستين ليوم عاشوراء وقام بامره ابنه احمد وجرى على سننه وهو لهذا العهد امير على الزاب بمحل ابيه من امارته متقبل فى مذهبه وطريقه الا ان خلق ابيه كان سخية وخلق هذا تلهوقا لما فيه من التحذلق وربك يخلق ما يشاء ويختار وله ولد كبيرهم ابو يحيى من بنت محمد بن يملول اخت يحيى وهو لهذا العهد مرشح لمكانه ولما حلت باهل الجريد الفاقرة ونزل به يحيى بن يملول المشوم على وطنه توجس الخيفة من السلطان وتوقع المطالبة بطاعة غير طاعته المعروفة فسرب الاموال فى العرب ومد يده الى حبل صاحب تلمسان ليتمسك به فوجده قاصرا عنه واقام يقدم فى امره رجلا ويوخر اخرى ثم قذف الله نور الهداية فى قلبه واراه

سنن رشده وبادر الى الاستقامـة فى الطاعة والعدول عن المراوغـة ووصله وافد السلطان ابى العباس شيخ الموحدين ابو عبد الله بن ابى هلال وكشف له قناع المخالصة والانحياش وبعث معه وفده بهديته واستقامته وتقبله السلطان واعاده الى احسن الاحوال من الرضى عنه والله متولى الامور سبحانه

الخبر عن رياسة بنى يملول بتوزر وبنى الخلف بنفطة وبـنى ابى منيع بالحامة

زعيم هولاء الروساء ابن يملول صاحـب توزر لاتساع بلده وتمدن مصره واحتلاله منها بام القرى من قطره وهو يحيى بن محمد بن يملـول ونسبهم بزعمهم فى طوالع العرب من تنوخ استقر اولوه بهذا الصقع منذ اول الفتح فعفوا وتاثلوا ورشجت به عروقهم نسبا وصهرا حتى انتظموا فى بيوتات الشورى المتقدمين للوفادة على الملوك وتلقى العمال القادمين من دار الخلافة والنظر فى مصالح الكافة ايام ال حماد بالقلعة وال عبد المومن بمراكش وال ابى حفص بتونس مثل بنى واطاس وبنى فرقان وبـنى ماردة وبـنى عوض وكان التقدم فيهم ايام عبيد الله الشيعى لابن فرقان وهو الذى اخرج ابا يزيد حين شعر به انه يروم القيام على ابى القاسم القـائم وايام ال حماد ليحيى بن واطاس وهو النازع بطاعة اهل قسنطينة اليهم عن ال بلكين ملوك القيروان حين انقسمت دولة ال زيرى وافترق امرهم ثم عادت الرياسة لبنى فرقان لاول دولة الموحدين ومنهم كان الذى لقى عبد المومن واتاه الطاعة عن نفسه وعن اهل بلده توزر فتقبله ووصله وصار الامر للموحدين فمحوا منها اثار المشيخة والاستبداد ونشا احمد هذا الجد متراميا الى الرياسة بهذا

القطر يدافع عنه بالراح ويزاحم بالمناكب من وجوه البلد واشراف الوطن وسعى به الى شيخ الموحدين وقائد العسكر ايام السلطان ابى حفص محمد الفازازى فنكبه وصادره على مال امتحنه عليه كانت اول نكباته التى اورت من زناده واذكت من جمره تخلص الى الحضرة يومل اقتعاد مطيته وثبوت مركزه من دار الخلافة فاوطنها اياما يباكر ابواب الوزراء والخاصة ويلثم اطراف الاولياء والحاشية ويبذل كرائم ماله فيما يزلفه لديهم ويوثره بعنايتهم حتى استعمل بديوان البحر مقعد العمال بمرقا السفن لجباية الاعشار من تجار دار الحرب ثم استضاف بما كان من غنائه فيها واضطلاعه سائر اعمال الحضرة فتقلدها زعيما بامضاء الجرايات وادرار الجباية واستمرت على ذلك حاله وتضاعفت فائدته فاثرى واحتجن المال واستخلص الذخيرة قاطعا لالسنة السعاية بالمصانعة والاتحاف بطرف ما يجلبه الروم من بضائعهم حتى ابطره الغنى ودلت على مكامنه الثروة ورفع امره الى الحاجب فخرج التوقيع بالقبض عليه واستصفاء ماله لعهد السلطان ابى يحيى اللحيانى فنكب الثانية وصودر على مئين من الاف الدنانير وامتحن لها وباع فيها مكسوبه حتى من الكتب وخلص من النكبة مثلوب الامانة ممزق الاديم فقيد الرياش احوج ما كان الى ما يعوز من الكن والدفء وبلالة العيش ولحق ببلده ناجيا بالرمق ضارعا للدهر ودفعه الملأ الى ما يستنكفون عنه من خدمة العمال ومباكرة ابوابهم والامتهان فى ضروراتهم وانجده فى ذلك بخت جذب بضبعه وكان فى خلال ذلك شغل الحضرة شان الثغور الغربية وامرائها فتقلص ظل الدولة عن هولاء بعض الشىء وهملت الرعايا بالبلاد الجريدية وصار امرها الى الشورى التى كانت عليها قبل فلما ادرك احمد هذه الشورى التى كان يسمو لها سمو حباب الماء ثلج صدره وانجح سعيه واستبد بمشيخة توزر وهلك فى اعوام ثمان عشرة تخلفه من بعده

فى سبيله تلك ولده يحيى طموحا الى الرتبة منافسا فى الاستقلال وزاحم بيوتات المصر بمناكب استوصلها سائر عمره من الدعار والاوغاد بمعاقرة الخمر والمجاراة فى فنون الشباب ليستبد امره والاستيلاء على نظرائه حتى تطارحوا فى هوة المهلك بين قتيل ومغرب ومخيف العمران لم تعطفه عليهم عواطف الرحم ولا زجره وازع التقوى والسلطان حتى خلا له الجو واستوسق الامر واستقل من امر البلد والحل والعقد باوفى من استبداد ابيه وكان مهلكه قريبا من استبداده لخمس سنين فتلقف الكرة من يده اخوه محمد تربه فى الرياسة ومجاريه فى مضمارها فاجرى الى الغاية واقتعد كرسى الرياسة وعفا على اثار المشيخة واستظهر على امره بمصانعة امراء البدو واولاد ابى الليل والمتات اليهم بصهر كان عقده ابوه احمد لابى الليل جدهم على اخته او عمته فكانوا رداء له من الدولة فبعد صيته وعظم استيلاؤه وامتدت ايامه وعنى الملوك بخطابه واسناد الامور فى تلك البلاد اليه خلال ما تعود الكرة وتهب ريح الدولة وزحف اليه القائد محمد بن الحكيم سنى اربعين فلاذ منه بالطاعة والمصانعة بالمال ورهنه ولده يحيى فرجعه اليه ابن الحكيم وتقبل طاعته من غير رهن استقامة لما اتبلاه من خلوصه واقام على ذلك الى ان هلك اعوام اربعة واربعين من المائة الثامنة وتصدى ولده عبد الله للقيام بالامر فوثب عليه عمه ابو زيد بن احمد فقتله على جدث ابيه صبح مواراته بعد ان كان اظهر الرضى به والتسليم له فثارت به العامة لحينه وكان مصرعهما واحدا وقام بالامر اخوه يملول بن احمد اربعة اشهر كانت شر مدة واسوا ولاية لما اصاب الناس بسوء ملكته من سفك الدماء واستباحة الحرم واغتصاب الاموال حتى كان ينسب الى الجنون مرة والى الكفر اخرى فمرج امرهم واستولى الضجر على نفوسهم وكان اخوه ابو بكر معتقلا بالحضرة فراسله اهل توزر سرا واطلقه السلطان من محبسه بعد ان اخذت عليه المواثيق بالطاعة

والوفاء بالجباية فصمد اليها بمن فى لفه من الاعراب وحشد نفزاوة المجاورين لها فى القرى الظاهرة المقدرة السير واجلب عليهم ثم بيتها فافتتحها وبادر الناس الى القبض على يملول اخيه وامكنه منه فاعتقله بداره وتبرا من دمه واصبح لثالثة اعتقاله ميتا بمحبسه وكانت قفصة من قبل ذلك لما صار امر الجريد الى الشورى قد استبد بها يحيى بن محمد بن على بن عبد الجليل من العابد من بيوتها ونسبهم فى زعمهم فى بلى ولهم حلف بزعمهم فى الشريد من بطون سليم والله اعلم باولية نزولهم بقفصة حتى التحموا باهلها وانتظموا فى بيوتاتها وكانت البيوت بها بيت بنى عبد الصمد وبيت بنى ابى زيد وكانت رياسته لبعض بنى ابى زيد لعهد الامير ابى زكرياء الاعلى كان يستعمله على جباية اموال الجريد ثم سعى به انه اصاب منها فنكبه وصودر على الالف من المال فاعطاها واقامت رياستهم متفرقة فى هذه البيوتات ولما حدثت العصبية بالبلد ايام صار امر الجريد الى الشورى كان بنو العابد هولاء اقوى عصبية من سائرهم واستبد بها كبيرهم يحيى بن على فلما فرغ السلطان من شغله بزناتة وجثم السلطان ابو الحسن على تلمسان يحاصرها واقبل السلطان على النظر فى تمهيد ملكه واصلاح ثغوره وافتتح امره بغزو قفصة ونهض اليها سنة خمس وثلاثين فى عساكره من الموحدين وطبقات الجند والاولياء من العرب فحاصرها شهرا او نحوها وقطع نخيلها وضاق عنقهم بالحصار وتلاوموا فى الطاعه واستبقوا بها الى السلطان وفر الكثير من بنى العابد فلحقوا بقابس فى جوار ابن مكى ونزل اهل البلد على حكم السلطان فتقبل طاعتهم واحسن التجاوز عنهم وبسط المعدلة فيهم واحسب امل ذوى الحاجات منهم وانكفا راجعا الى حضرته بعد ان اثرهم بسكنى ولده المخصوص بعدئذ بعهده الامير ابى العباس وانزله بين ظهرانهم (١) وعقد له على

(١) Quelques mss. portent ظهرانيهم

بلاد الجريد واحتمل مقدم قفصة يحيى بن على الى الحضرة فلم يزل بها الى
ان هلك سنه اربع واربعين واستبد الامير ابو العباس بامر الجريد واستولى
على نفطة كما قدمناه وقتل بنى خلف وهم مدافع وابو بكر وعبد الله ومحمد
وانبه احمد بن محمد اخـــوة اربعة وابن اخيهم الخلف بن على بن الخلف بن
مدافع ونسبهم فى غسان فى طوالع العرب وانتقل جدهم من بعض قرى نفزاوة
الى نفطة وتاثل بها وكان لبنيه بها بيت واستبد هولاء الاخوة الاربعة ازمان
الشورى كما قدمناه ولما استولى السلطان ابو بكر على الجريد وانزل ابنه ابا
العباس بقفصة وعقد له على سائر امصاره اقتضى طاعتهم فامتنعوا فسرح
اليهم وزيره ابا القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وجهزت له العساكر
من الحضرة ونازلها وقطع نخلها فلاذ اهلها بالطاعة واسلموا بنى مدافع
المتغلبين فضرب اعناقهم وصلبهم فى جذوع النخل اية للمعتبرين وافلت
السيف منهم عليا صغيرهم لذمة اعتقدها له ابو القاسم بن عتو لنزوعه
اليه قبل الحادثة فكانت واقيته من الهلكة واستولى الامير ابو العباس
على نفطة واستضافها الى عمله ثم مرض ابو بكر بن يملول فى طاعته
فنهض اليه السلطان ابو بكر من تونس سنة خمس واربعين وكان الفتح
كما قدمناه ولحق ابو بكر بن يملول ببسكرة فلم يزل بها الى ان اجلب
على توزر فنبذ اليه يوسف بن مزنى عهده وانتقل الى حصون وادى ابن
يملول المجاورة لتوزر وهلك سنة ست واربعين ثم كان مهلك السلطان
وابنه الامير ابى العباس صاحب الاعمال الجريدية اثر ذلك سنة سبع واربعين
ورجع الى كل مصر من الجريد مقدموه فرجع احمد بن العابد الى قفصة
من مكانه فى جوار ابن مكى واستولى على بلده فى مكان ابن عمه يحيى
ابن على ورجع على بن الخلف الى نفطة واستبد بها ورجع يحيى بن محمد
ابن احمد بن يملول الى توزر من مثوى اغترابه ببسكرة ارتحل اليها مع

عمه ابى بكر طفلا فلما خلا الجريد من الامارة درج يحيى هذا من عشه فى
جوار يوسف بن منصور بن مزنى واطلقه مع اولاد مهلهل من الكعوب
بعد ان وصلهم وشارطهم واسترهن فيه ابناءهم فاوصلوه الى محل رياسته بتوزر
ونصبه شيعته واولياء ابيه وقاموا بامره ورجع امر الجريد كله الى رياسة
مقدمه كما كان ثم وفدوا على السلطان ابى الحسن عند زحفه الى افريقية
ولقوه بوهران فلقاهم مبرة وتكرمة ورجع كلا الى بلده ومحل رياسته بعد
ان اسنى الجائزة ووفر الاسهام والاقطاع وانفذ الصكوك والكتب فرجع الى
توزر يحيى بن محمد بن احمد بن يملول صبيا مغتلما والى نفطة على بن
الخلف بن مدافع والى قفصة احمد بن عمر بن العابد وانزل بكل واحد
من هذه الامصار عاملا وحامية وعقد على الجريد كله لمسعود بن ابراهيم بن
عيسى اليرنيانى من طبقة وزرائه واستوصى لهولاء الروساء خيرا فى جواره
حتى اذا كانت نكبة السلطان بالقيروان سنة تسع واربعين وارتحل
عامل الجريد مسعود بن ابراهيم يريد المغرب بمن معه من العمال والحامية
ونمى خبره الى الاعراب من كرفة فصبحوه فى بعض مراحل سفره دون ارض
الزاب فاستلحموه ومن كان معه من الحامية واستولوا على ابنيتهم وذخيرتهم
وكراعهم واستبد روساؤ تلك البلاد بامصارهم وعادوا الى دينهم من التمريض
واذنوا بالدعاء لصاحب الحضرة منابرهم واستمروا على ذلك فاما يحيى بن
محمد بن يملول فنزع الى مناغاة الملوك فى الشارة والحجاب واتخاذ الالة والبيت
المقصور للصلاه واقتعاد الاريكة وخطاب التمويل وفسح للمجون والعكوف
على اللذات مجالا يرى ان جماع السياسة والملك فى ادارة الكاس وافتراس
الاش والحجبة عن الناس والتاله على الندمان والجلاس وفتح مع ذلك على رعيته
واهل ايالته باب العسف والجور وربما بيت مشاهيرهم غيلة فاتلف نفوسهم
وامتد امده فى ذلك الى ان استولى السلطان ابو العباس على افريقية وكان

من امره ما نذكر واما جاره الجنب على بن الخلف فلم يلبث لما استبد برياسته ان حج سنة اربع وستين والتزم مذاهب الخير وطرق الرضى والعدالة وهلك سنة خمس بعدها وولى مكانه ابنه محمد جاريا على سننه ثم هلك لسنة من ولايته وقام بامره اخوه عبد الله بن على فاذكى سياسته وايقظ حزمه وارهف للناس حده فنقموا عليه سيرته وسيموا عنفه واستمكن مناهضهم فى الشرف ومحاذيهم فى رياسة البلد القاضى محمد بن خلف الله من صاحب الحضرة بذمة كانت له فى خدمة قديمة استعمله لرعيها فى خطة القضاء بحضرته واثره بالمكان منه والصحبة فسعى بعبد الله هذا عند الخليفة ودله على مكامن هلكته وبصره بعورات بلده واقتاد عساكر السلطان اليه فى زمامه ولما احتل بظاهر البلد وعبد الله رئيسها اشد ما كان قوة واكثر جمعا وامضى عزما استالف اخوه الخلف بن على بن الخلف جماعة المشيخة دونه وحرضهم عليه وداخل القاضى فى تبييت البلد وانه بالمرصاد فى اقتحامها حتى اذا كانت الهيعة دس الى بعض الاوغاد فى قتل اخيه عبد الله ومكر بالقاضى والعسكر وامتنع عليهم واعتصم دونهم واستقل برياسة بلده واقام على ذلك يناغى ابن يملول فى سيره ويطارحه الكثير من مذاهبه ويجرى فى الشاو الذى بلغ الى غايته واوفى على ثنيته واما احمد بن عمر بن العابد فلم يزل من لدن استبداده ببلده قفصة سالكا مسالك الخمول منحطا عن رتب التكبر منتحلا مذاهب اهل الخير والعدالة فى شارته وزيه ومركبه جانحا الى التقلل فلما اوفى على شرف من العمر استبد عليه ابنه محمد وترفع عن حال ابيه بعض الشىء الى مناغاة هولاء الرؤساء المترفين فبينما هولاء المتقدمون فى هذا الحال من الاستبداد على السلطان والتخلق باخلاق الملوك والتثاقل على الرعايا بالتعسف والجور واستحداث المكوس والضرائب اذ اطل على مفاحصهم السلطان ابو العباس بالحضرة مستبدا

بدعوته صارفا الى فتحها عزائمه فوجموا وتوجسوا الخيفة منه وائتمروا فى المظاهرة واتصال اليد بعد ان كانوا يستحثونه الى الحضرة ويبعثون اليه بالانحياش على البعد زبونا على صاحب الحضرة وتراوغا عن مصدوقة الطاعة فلما استبد السلطان ابو العباس بالدعوة استرابوا فى امرهم وسربوا اموالهم فى الاعراب المخالفين على السلطان من الكعوب يوملون مدافعتهم عنهم فشمر لها اولاد ابى الليل بما كان وقع بينهم وبين السلطان من النفرة ونهض اليهم السلطان فغلبهم على ضواحى افريقية وعلى الظواعن التى كانت جبايتها لهم من مرنجيزة كما قلناه واكتسحهم فاوهن بذلك من قوتهم ثم زحف الثانية الى امصار الجريد فلاذوا بالامتناع فاناخ السلطان بعساكره واوليائه من العرب اولاد مهلهل على قفصة فقاتلوها يوما او بعض يوم وغدا فى ثانيه على نخيلهم يقطعها فكانما يقطع بذلك امعاءهم فتبرؤا من مقدمهم وشعر بذلك فبادر الى السلطان ونزل على حكمه فتقبض عليه وعلى ابنه شهر ذى القعدة من سنة ثمانين وتملك البلد واستولى على ديار ابن العابد بما فيها وكان شيا لا يعبر عنه لطول ايامه فى الولاية وكثرة احتجانه للاموال وعقد السلطان على قفصة لابنه ابى بكر وارتحل يريد توزر وطار الخبر لابن يملول فى توزر فقوض عنها باهله ونزل على احياء مرداس وسرب فيهم المال فرحلوا معه الى الزاب ولحق ببسكره ماوى نكباته ومنتهى مفره فنزل بها على احمد بن يوسف بن مزنى واقام هنالك على قلعة من توقع مطالبة السلطان له ولجاره ابن مزنى وخسارة اموالهم فى زبون العرب وسوء المغبة الى ان هلك لسنة او نحوها وائتمر اهل توزر بعد تقويضه عنهم وبعثوا الى السلطان ببيعتهم فلقيته اثناء طريقه وتقدم الى البلد فنزل بقصور ابن يملول واستولى على ذخيرته وتبرا اليه اهل البلد من ودائع كانت له عندهم من خالص الذخيرة فرفعوها الى السلطان

وعقد لابنه المنتصر على توزر واستقدم الخلف بن الخلف من نفطة وكان يخالف اصحابه الى الطاعة متى نقضوها زبونا على ابن يملول وسالفة من العداوة كان يتقبلها فلما احيط بهم ادركه الدهش وبادر الى السلطان بطاعته فاتاها وقدم عليه فتقبل السلطان ظاهره واغضى له عن غيرها طمعا فى استصلاحه وعقد له على جباية ابنه المنتصر وانزله معه بتوزر وامره بالاستخلاف على بلده نفطة وعقد له على ولايتها وانكفا راجعا الى الحضرة وقدم ابن الخلف على امره وراى انه قد تورط فى الهلكة فراسل ابن يملول بمكانه من توزر وعثر اولياء السلطان على كتابه الى يعقوب ابن على شيخ رياح ومدره حروبهم يحرضه على صريخ ابن يملول ومعونته فعلموا نكثه ومداجاته وبادروا الى القبض عليه وولوا على نفطة من قبلهم وخاطبوا السلطان بالشان واقام فى اعتقاله الى ان كانت حادثة قفصة فبادر الامير المنتصر الى قتله وكان من خبر قفصة ان ابن ابى زيد من مشيختها كان نزع الى السلطان قبل فتحها هو واخوه لمنافسة بينهما وبين ابن العابد وهما محمد واحمد ابنا عبد العزيز بن عبد الله بن احمد ابن على بن عبد الله بن على بن عمر بن ابى زيد وقد ذكرنا اوليتهم واستعمال سلفهم ايام الامير ابى زكرياء الاعلى فى جباية الجريد فلما استولى السلطان على البلد رعا لهما تشيعهما وبدارهما الى طاعته مع قديمهما فانزلهما مع ابنهما بقفصة وكبيرهما رديف لحاجبه عبد الله من الموالى الاتراك ومدبر لامور البلد فى طاعة السلطان ثم نزع الشيطان فى صدره وحدثته نفسه بالاستبداد واقام يتحين له وذهب الامير ابو بكر الى زيارة اخيه بتوزر فكاده فى التخلف عنه وجمع اوشابا من الغوغاء والزعانف وتقدم بهم الى القصبة للفتك بعبد الله التريكى ونذر بذلك فاغلق ابواب القصبة وبعث الصريخ فى اهل القرى وقاتلهم ساعة من نهار حتى وافى اليه المدد فلما استغلظ

بمدده ادركهم الدهش وانفض الاشرار من حولهم ولجوا الى الاختفاء فى بيوت البلد وتقبض على الكثير ممن داخلهم فى الثورة ووصل الخبر الى الامير ابى بكر بتوزر فبادر الى مكانه وقد سكنت الهيعة فاستلحم جميع من تقبض عليه حاجبه ونادى فى الناس بالبراءة من ابى زيد فتبرؤا منه وعثر الحرس عليه وعلى اخيه خارجين من ابواب البلد فى زى النساء فقادهما اليه فقتلهما بعد ان مثل بهما وبادر المولى المنتصر بتوزر لقتل الخلف بن الخلف ان يخوض فى مثلها فذهب فى غير سبيل مرحمة لم يعطف عليه رحم ولا تكنه سماء ولا ارض واستبد السلطان بالجريد ومحى منه اثار المشيخة وعفا عليها وانتظمه فى عمالات السلطان واما بلد الحامة وهى من عمالات قسطيلية وتعرف بحامة قابس وحامة مطماطة نسبة الى اهلها الموطنين كانوا بها من البربر وهم فيما يقال الذين اختطوها واما الان ففيها ثلاث قبائل من توجن وبنى ورياجن (1) وهم فى العصبية فرقتان اولاد يوسف ورياستهم فى اولاد ابى منيع واولاد مجاى (2) ورياستهم فى اولاد وشاح ولا ادرى كيف نسب لفرقتين فاما بنو ابى منيع فالحديث عن رياستهم فى قومهم ان جدهم رجا ابن يوسف كان له ثلاثة من الولد وهم بوساك ويحمد وملالت وان رياسته بعده كانت لابنه بوساك ثم ابنه ابى منيع من بعده ثم لابنه حسن بن ابى منيع ثم لابنه محمد بن حسن ثم لاخيه موسى بن حسن ثم لاخيهما ابى علان (3) الى ان كان ما نذكر واما اولاد مجاى فكانت اول رياستهم لمحمد ابن احمد بن وشاح وقبله خاله القاضى عمر بن كلى وكان العمال من الحضرة يتعاقبون فيهم الى ان اسقط السلطان عنهم الخراج والمغارم باسرها وكان مقدمهم لاول دولة السلطان ابى بكر من اولاد ابى منيع وهو موسى بن

(1) Les mss. A et B portent ورتاجن — (2) Ce nom se trouve aussi écrit مجاى — (3) Ce nom est écrit tantôt علان et tantôt عنان

حسن وكان المديونى قائد السلطان واليا عليهم وارتاب بهم بعض الايام واحبوا
الثورة به فدس بها الى السلطان فى بعض حركاته وغزاهم بنفسه ففروا
وادرك سبعة من اولاد يوسف هولاء وتقبض عليهم فقتلوا ثم رجع الامر وولى
موسى بن حسن ولما هلك ولى بعده اخوه ابو علان وطال امد ولايته عليهم
وكان منسوبا الى الخير والعفاف وهلك سنة ثنتين واربعين وولى بعده
ابنه عمر ثم ابنه الاخر ابو زيان ثم ولى بعدهما ابن عمهما مولاهم بن محمد
ووفد على السلطان ابى الحسن مع وفد اهل الجريد كما مر ثم هلك فولى
بعده من بنى عمهم حسان بن مجرس وثار به محمد بن احمد بن وشاح من
اولاد مجافى المذكور فعزله واقام فى ولايتها الى سنة ثمان وسبعين فثار به
اهل الحامة وقتلوا عمر بن كلى القاضى وولوا عليهم حسان بن مجرس واليهم
ثم ثار به يوسف واعتقله وهو يوسف بن عبد الملك بن حجاج بن يوسف بن
وشاح وهو الان مقدمها يعطى طاعة معروفة ويستدعى العامل للجباية
ويراوغ عن المصدوقة والغلب والاستيلاء وقد احاط به من كل جهة واملى
علىّ بعض نسابتهم ان مشيخة اهل الحامة فى بنى بوساك ثم فى بنى تامل
ابن بوساك وان تامل اول من راس عليهم وان وشاحا من ولد تامل وان بنى
وشاح على فرقتين بنو حسن وبنو يوسف فحسان بن مجرس ومولاهم وعمر
وابو علان كلهم من بنى حسن ومحمد بن احمد بن وشاح من بنى يوسف
وهذا مخالف للاول والله اعلم بالصحيح فى امرهم فاما نفزاوة واعمال قسطيلية
وتنسب لهذا العهد الى توزر وهى القرى العديدة المقدرة السير يعترض
بينها وبين توزر الى القبلة عنها السبخة المشهورة المانعة من الاعتساف
الا معالم قائمة من الخشب يهتدى بها السالك وربما يضل خائضها فتبتلعه
ويسكن هذه القرى قوم من بقايا نفزاوة من البرابرة البتر بقوا هنالك
بعد انقراض جمهورهم وتحيف العرب لسائر بطون البربر ومعهم معاهدون من

الفرنجة ينسبون الى سردانية نزلوا على الذمة والجزية وبها الان اعقابهم ثم نزل عليهم من عرب الشريد وزغب من بنى سليم كل من عجز عن الظعن وملكوا بها العقار والمياه وكثروا نفزاوة وهم لهذا العهد عامة اهلها وليس فى نفزاوة هذه رياسة لصغرها ورجوعها فى الغالب الى اعمال توزر ورياستها هذا حال للمتقدمين ببلاد الجريد فى الدولة الحفصية اوردنا اخبارهم فيها لانهم من صنائعها وفى عداد ولايتها ومواليها والله متولى الامور

الخبر عن بنى مكى روساء قابس واعمالها

كانت قابس هذه من ثغور افريقية ومنتظمة فى عمالاتها وكان ولاتها من القيروان ايام الاغالبة والعبيديين وصنهاجة من لدن الفتح ولما دخل الهلاليون افريقية واضطرب امورها واقتسمت دولة صنهاجة طوائف انتزى بقابس من صنهاجة المعز بن محمد الصنهاجى وادال منه مونس بن يحيى الصنبرى من مرداس رياح باخيه ابراهيم الى ان هلك وولى اخوه قاضى بن ابراهيم ثم نازله اهل قابس وقتلوه ايام تميم بن باديس وبايعوا لعمر بن المعز بن باديس كان مخالفا على اخيه وذلك سنة تسع وثمانين واربعماية ثم غلبه عليها اخوه تميم وكان مغلبا للعرب وكانت قابس وضواحيها فى قسم زغبة من عرب هلال ثم غلبتهم رياح عليها ونزل مكن بن كامل بن جامع من بنى دهمان اخوة فادغ وهما معا من بنى على احدى بطون رياح فاستحدث بها مكن ملكا لقومه بنى جامع واورثه بنيه الى ان استولى الموحدون على افريقية وبعث عبد المومن عساكره الى قابس ففر عنها مدافع بن رشيد اخرهم وانتظمها كما ذكرناه فى اخبارهم وملكها وانقرض ملك بنى

جامع وصارت قابس وعملها للموحدين وكانت ولاة افريقية من السادة يولون
عليها من الموحدين الى ان تغلب بنو غانية وقراقش على طرابلس وقابس
واعمالها وكان ما ذكرناه فى اخبارهم ثم غلب الموحدون يحيى بن غانية عليها
وانزلوا بها عمالهم ولما عاد بنو ابى حفص الى افريقية العودة الثانية بعد
مهلك الشيخ ابى محمد عبد الواحد وعقد العادل على افريقية لابنه ابى
محمد عبد الله عقد معه على قابس للامير ابى زكرياء اخيه فنزلها اميرا
ثم كان من شان استبداده وخلعه لاخيه ولطاعة بنى عبد المومن ما
ذكرناه وكان مشيخة قابس لذلك العهد فى بيوت من بيوتاتها وهم بنو مسلم
ولم يحضرنى فيمن هو نسبهم وبنو مكى ونسبهم فى لواتة وهو مكى بن فراج (1)
ابن زيادة الله بن ابى الحسن بن محمد بن زيادة الله بن ابى الحسين (2) اللواتى
وكان بنو مكى هولاء خالصة للامير ابى زكرياء ولما اعتزم على الاستبداد
داخل ابا القاسم عثمان بن ابى القاسم بن مكى وتولى له اخذ البيعة على
الناس فكان له ولقومه بذلك مكان من المولى ابى زكرياء رعا لهم ذمتها
ورفع من شانهم بسببها ورموا ببنى سليم نظرائهم فى رياسة البلد بصاغيتهم
الى ابن غانية فاخذوا ذبالهم واستقلوا بشورى بلدهم واقاموا على ذلك ايام
المولى ابى زكرياء الاول وابنه المستنصر ثم كان ما قدمناه من مهلك الواثق
ابن المستنصر وبنيه على يد عمهم السلطان ابى اسحاق وما كان من امر
الدعى بن ابى عمارة وكيف شبه على الناس بالفضل ابن المخلوع بحيلة من
مولاهم نصير رام ان يثار بها من قاتلهم فتمت مكيدته فى ذلك لما اراده الله
ولما اظهر نصير امره وتسايلت العرب الى بيعته خاطب لاول امره رئيس
قابس لذلك العهد من بنى مكى عبد الملك بن عثمان بن مكى فسارع الى
طاعته وحمل الناس عليها وكانت له بذلك قدم فى الدولة معروف رسوخه

(1) Les mss. A et D portent مراج — (2) Les mss A et E portent ici الحسن

ولما القى الداعى ابن ابى عمارة جسدا (٣) على كرسى الخلافـــة سنة احدى وثمانين قلده خطة الجباية بالحضرة مستقلا فيها بالولاية والعزل والفرض والتقدير والحسبان بعد ان اجزل من بيت المال عطاءه واسبى رزقه وجرايته واهـــدى الجوارى من القصر اليه ولما هـــلك الــــداعى واستقلت قدم الخلافة من عثارها كما قدمناه سنة ثلاث وثمانين لحق عبد الحق بن مكى ببلده وامتنع بها على حين رُكود ريح الدولة وفشلها ومـــرض فى طاعته ودافع اهل الدولة بالدعاء للخليفة على منابره ثم جاهر بالخلعان سنة ثلاث وتسعين وبعث بطاعته الى صاحب الثغور المولى ابى زكرياء الاوسـط وهلك ابنه احمد ولى عهده سنة سبع وتسعين ثم هلك هو من بعده على راس المائة السابعة وتخلف حافده مكيا فنصبوه للملك يفعة وكفله ابن عمه يوسف بن حسن وقام بالامر مستبدا عليه الى ان هـلك وخلفه فى كفالة احمد بن ليران من بيوت اهل قابس واصهار بنى مكى والتاث امرهم بمهلك يوسف فنقلهم السلطان ابن اللحيانى الى الحضرة واقاموا بها اياما ثم ردهم الى بلدهم ايام تجافيه عن تونس وخروجه الى ناحية قابس ثم هلك خلال ذلك مكى وتخلف صبيين يافعين عبد الملك واحمد فكفلهما احمد بن ليران الى ان شبا واكتهلا ولهما من الامتناع على الــــدولة والاستبداد بامر القطر والاقتصار على الدعاء للخليفة مثل ما كان لابيهما واكثر لتقلص ظل الملك عن قطرهم وشغل السلطان بمدافعة ال يغمراســـن وعساكرهم عن الثغور الغربية واجلابهم بالاعياص من اهل البيت على الحضرة ولمـــا هلك السلطان ابو يحيى اللحيانى قفل ابنه عبد الواحد الى المغرب يحاول اسباب الملك ونزل بساحتهم على ما كان من صنع ابيه اليهم فـذكروا العهد واوجبوا الحق واتوه بيعتهم وقام كبيرهم عبد المـــلك بامره ودعا الناس الى طاعته

(3) Un des mss. porte حسدا

وخالف السلطان ابا يحيى عند نهوضــه الى الثغر بجباية (1) سنة ثلاث وثلاثين كما قدمناه فدخل الحضرة ولبث بها اياما لم تبلغ نصــف شهر وبلغ خبرهم الى السلطان فانكفا راجعا وفروا الى مكانهم من قابس والدولة تنظر لهم الشزر وتربص بـهم الدوائر الى ان غلب السلطــان ابو الحسن على تلمسان ومحا دولة ال يغمراسن وفرغت الـــدولة من شانهم (2) الى تمهيد اعمالها وتقويم المنحرفين عن الطاعـــــة من ولاتها وقفل حمزة بن عمر بشفاعة من السلطان ابى الحسن الى السلطان ابى يحـيى فى شانه فتقبل وسيلته واستخلصه لنفسه من بعدها واستقام هو على الطاعـة التى لم تجد وليجة عنها وسلك سبيله تــلك اقتــاله من الدولة الطائحين فى هوة الشقاقة فاوفد عبد الملك هذا شقيقه احمد على السلطان ابى الحسن متنصلا من ذنوبه لائذا بشفاعته متوسلا بما قدمناه من خـــدمته حظاياه فى طريقهن الى الحج ذاهبا وجائيا فخاطب السلطان ابا يحيى فى شانه واعــاده الى مكانه من اصطناع سلفه واستقام على طاعته ولما انتظم السلطان ابو يحيى سائر البلاد الجريدية فى ملكه وعقد عليها لابنه ابى العبــاس ولى عهده وانزله دار امارتها مترددا ما بين توزر وقفصة الى ان قفلت عمته من الحج سنة ست واربعين وخرج للقائها مختفيا بين الظعــائن فجمعه مجلسها باحمد بن مكى كان قد اعتمد تلقيها والقيام بصحابتها فى مراحل سفرها من بلده الى اخر عمله فمسح الامير ابو العباس الاحن عن صــدره وادال له الامن والــرضى من توحشه واستخلصه لــــدولته ونجوى اسراره

(1) Telle est la leçon de tous les mss., mais il faut lire ببجايــة

(2) Ici se termine le chapitre dans les mss. A et D. En cet endroit, le ms. B offre une lacune considérable que le ms. E m'a permis de combler. Il est à regretter que ce dernier manuscrit soit rempli de fautes de toute nature. Dans le passage qui suit, j'en ai laissé subsister quelques uues que je me suis trouvé dans l'impossibilité de corriger.

واصطفاه لنفسه وجمله رديفا لحاجبه فحل من دولته بمكان غبطة فيه امتيازه من امراء تلك الطوائف وعقد له السلطان ابو يحيى على جزيرة جربة بوسيلة ابي العباس ابنه وقد كان افتتحها مخلوف بن الكماد من صنائعهم من يد العدو اهل صقلية كما ذكرناه فضمها اليه وصيرها فى اعماله ولم يزل هذا شانه معه الى ان هلك ابو العباس ولى العهد بتونس على يد اخيه ابى حفص عمر عند ما دخلها بعد مهلك ابيهما كما ذكرناه ولحق احمد بن مكى ببلده ثم سار فى وفد روساء الجريد الى تلقى السلطان ابي الحسن عند نهوضه الى افريقية سنة ثمان واربعين ولقيه معهم بوهران من اعمال تلمسان وكان قدمه عندد فوق قدمهم ورجع الوفد على اعقابهم مجبورين وتمسك باحمد بن مكى فى جملته الى الحضرة ووفد عليه اخوه عبد الملك موديا طاعة السلطان فكرم موصله واحسن متقلبهما جميعا الى بلدهما على ما كان بيدهما من عمل قابس وجربة ثم كانت نكبة السلطان ابى الحسن على القيروان فوفد عليه احمد بتونس بعد خلوصه من القيروان مجددا لعهد طاعته فارادهم السلطان على الامتنان لعبد الواحد اللحيانى سلطانهم الاقدم وعقد له على تلك الثغور الشرقية وانزله جربة وامرهما بالطاعة له ما دام فى طاعته وعقد لابى القاسم بن عتو شيخ الموحدين على توزر وقسطيلية بعد ان كان قطعه عند ما تقبض عليه فى واقعة السلطان ابى حفص عمر ثم استقبل رايه فى استخلاصه عند ما انتقض عليه ابو محمد بن تافراكين ولما رجع من القيروان الى تونس عقد له على توزر كما ذكرناه ولعبد الواحد بن اللحيانى على قابس وجربة فاسف بذلك بنى مكى هولاء وهلك ابن اللحيانى لحين نزوله بجربة بما اصابه من علة الطاعون الجارف سنة تسع واربعين فانتقض بنو مكى على السلطان ابى الحسن ودعوا الى الخروج عليه وبايعوا لافضل ابن السلطان ابى يحيى عند ما افرج عن حصار

تونس سنة خمسين وداخلوا ابا القاسم بن عتو وهو اذ ذاك لم يتوزر فاجابهم
وكانت من دواعى رحلة السلطان ابى الحسن من افريقية وتقويضه عنها
كما قدمنا ولما رجع الحاجب ابو محمد بن تافراكين من المشرق واستقل
بامر تونس ونصب الامام ابا اسحاق ابن السلطان ابى يحيى للخلافة بها فى
كفالة غصوا بمكانه من التغلب وانفوا من استبداده وانحرفوا الى دعوة
الامير ابى زيد صاحب ثغر قسنطينة ووفد عليه احمد بن مكى مع محمد
ابن طالب بن مهلهل كبير البدو بافريقية فيمن اليه فاستنهضوه وقلده
الامير ابو زيد حجابته وجعل امره اليه وابرز الحاجب ابو محمد بن تافراكين
سلطانه ابا اسحاق فى عساكره مع خالد بن حمزة وقومه فالتقى الجمعان
بمرمجنة وكانت الدابرة على السلطان ابى اسحاق سنة ثلاث وخمسين
وجاءوا على اثرهم فنازلوا تونس اياما وما افرجوا عنها الا للصائح بخبرهم باحتلال
عساكر بنى مرين بالمدية من اخر اعمال تلمسان وان السلطان ابا عنان
قد استلحم بنى عبد الواد وجمع كلمة زناتة واستقام له امر المغربين واطل
على الثغور الشرقية فافترق جمعهم ولحق الامير ابو زيد بقسنطينة واحمد بن
مكى بقابس وسال من الامير ابى زيد ان يقسم رسم الامارة بينهم فى قابس
وجربة باخيه السلطان ابى العباس فاذن له فى ذلك فكانت اول ولايته
السعيدة ومضى الى قابس فنزلها ثم اجاز البحر الى جربة ودفع عنها العسكر
الذى كان محاصرا للقشتيل من قبل ابن ثابت صاحب طرابلس ورجع
الى قابس حتى كان من امره ما ذكرناه واوفد السلطان ابو العباس اخاه
ابا يحيى زكرياء على ابى عنان ملك المغرب صريخا على شانه واوفد ابن مكى
رسله متذمما ومذكرا بوسائله فتقبل واغضى ثم كانت واقعة العدو دمره
الله بطرابلس سنة اربع وخمسين كما قدمناه فبعث الى السلطان ابى عنان
يساله فديتها والنظر لها من بين ثغور المسلمين فحمل اليه خمسة احمال

من الذهب العين من بيت المال اوفد بها من اعيان مجلسه الخطيب ابا عبد الله بن مرزوق وابا عبد الله محمد حافد المولى ابى على عمر بن سيد الناس وعقد لاحمد بن مكى على طرابلس فاستقل بها وعقد لاخيه عبد الملك على قابس وجربة واقاموا على دعوته (1) ومد احمد يده الى صفاقس فتناولها وتغلب عليها سنة سبع وخمسين وهلك السلطان ابو عنان وقد شرق صدر ابن تافراكين الغالب على الحضرة بعدا وتهمتا فردد عليهما البعوث برا وبحرا الى ان استخلص جزيرة جربة من ايديهما اعوام اربعة وستين وعقد عليها لولده محمد فاستخلف بها كاتبه محمد بن ابى القاسم ابن ابى العيون من صنائع الدولة كما ذكرناه وهلك احمد بن مكى سنة ست وستين على تفيئة مهلك الحاجب ابن فافراكين بالحضرة فكانما ضربا موعدا للهلكة وتوافياه وتخلف ابنه عبد الرحمن بطرابلس فى كفالة مولاه ظافر العلج وهلك ظافر اثر مهلكه فاستبد عبد الرحمن بطرابلس وساءت سيرته فيها الى ان نازله ابو بكر بن محمد بن ثابت فى اسطوله كما نذكره سنة ثنتين وسبعين واجلب عليه بالبرابر والعرب من اهل الوطن فانتقض عليه اهل البلد وثاروا به وبادر ابو بكر بن ثابت لاقتحامها عليه واسلموه ففر الى بيت [بياض] من امراء دباب فاجاره الى ان ابلغه مامنه من محلة قومه وايالة عمه عبد الملك بقابس الى ان هلك سنة تسع وسبعين ولم يزل عبد الملك لهذا العهد وهو سنة احدى وثمانين واليا على عمله بقابس وابنه يحيى مستبد بوزارته وحافده عبد الوهاب لابنه مكى رديف له وقد تراجعت احوالهم عما كانت وخرجت من ايديهم الاعمال التى كانت فى ايالتهم لعهد اخيه احمد مثل طرابلس وجزيرة جربة وصفاقس وما الى ذلك من العمالات حتى كان البخت (2) انما كان لاخيه واليمن انما اقترن بحياته وسيرتهما جميعا من العدالة وتحرى

(1) Le reste de ce chapitre se trouve dans les mss. B et E. — (2) Le ms. E porte النخت

مذاهب الخير والسمت والاتسام بسمات اهل الدين وحلية الفقه معروفة حتى كان كل واحد منهم انما يدعى بالفقيه علما بين اهل عصره حرصا على الانغماس فى مذاهب الخير وطرقه وكان لاحمد حظ من الادب وكان يقرض الابيات من الشعر فيجيد عفا الله عنه وله فى الترسيل حظ ووساع بلاغة وخط وينحو فى كتابه منحى اهل المشرق فى اوضاع حروفهم واشكال رسومها ولاخيه عبد الملك حظ من ذلك شارك به جهابذة اهل عصره وافقه ولما انتظم السلطان ابو العباس امصار افريقية فى ملكه واستبد بالدعوة الحفصية على قومه داخل اهل الجريد منه الروع وفزعوا اليه للمفاوضة فى الامتناع فداخلهم فى ذلك واشاروا الى صاحب تلمسان بالترغيب فى افريقية فعجز عنهم والحوا عليه فخام عن العداوة وزحف مولانا السلطان خلال ذلك الى الجريد فملك قفصة وتوزر ونفطة فبادر ابن مكى الى التلبيس بالاستقامة وبعث اليه بالطاعة ثم رجع السلطان الى الحضرة فرجع هو عن المصدوقة واتهم اهل البلد بالميل الى السلطان فتقبض على بعضهم وفر اخرون وانتقض بنو احمد اهل ضواحيه من دباب فنازلوه وبعثوا الى الامير ابى بكر بقفصة فى العسكر لمنازلته فبعثه اليهم واحاطوا به ثم انتهز الفرصة وداخل بعض العرب من بنى على فى تبييت المعسكر وبذل لهم فى ذلك المال فبيتوه وانفض وبلغ الخبر الى السلطان فخرج من حضرته سنة احدى وثمانين ونزل القيروان وتوافت اليه احاديات وبعث رسله للاعذار بين يديه فردهم ابن مكى بالطاعة ثم احتمل رواحله ونزل باحياء العرب واغذ السلطان السير الى البلد فدخلها واستولى على قصورها ولاذ اهل البلد بالبيعة فاتوها واستعمل عليهم من بطانته وانكفا راجعا الى تونس وهلك عبد الملك لايام قلائل بين احياء العرب وهلك بعده عبد الرحمن ابن اخيه احمد الذى كان صاحب طرابلس بعد ابيه ولحق ابنه يحيى وحافده عبد الوهاب بطرابلس فمنعهم ابن ثابت من النزول

ببلده لما كان متمسكا بطاعة السلطان فنزلوا بزنزور من بلاد دباب التى بضاحيتها واقاموا هنالك واستقامت النواحى الشرقية على طاعة السلطان وانتظمت فى دعوته والله مالك الملك ثم ذهب يحيى بن عبد الملك الى المشرق لقضاء فرضه واقام عبد الوهاب بين احياء البربر بالجبال هنالك وكان الوالى الذى تركه السلطان بقابس قد ساء اثره فى اهلها فدس شيعتهم الى عبد الوهاب بذلك وجاء الى البلد فبيتها وثاروا بالوالى فقتلوه سنة ثلاث وثمانين وملك عبد الوهاب قابس وجاء اخوه (١) يحيى من المشرق بعد قضاء فرضه فاجلب عليه مرارا يروم ملكها منه ولم يتهيا له ونزل على صاحب الحمة فداخله عبد الوهاب فى ان يمكنه منه ويشترط ما شاء وتم ذلك بينهما واوثقه كتافا وبعث به اليه فاعتقله بقصر العروسيين فمكث فى السجن أعواما ثم فر من محبسه ولحق بالحامة على مرحلة من قابس مستنجدا بابن وشاح صاحبها فانجده وما زال يجلب على نواحى قابس الى ان ملكها وتقبض على عبد الوهاب ابن اخيه مكى فقتله اعوام تسعين وسبعماية ولم يزل مستبدا ببلده الى سنة ست وتسعين وكان الامير عمر ابن السلطان ابى العباس قد بعثه ابوه لحصار طرابلس فحاصرها حولا كما نذكره حتى استقام اهلها على الطاعة واعطوا الضريبة فافرج عنها ورجع الى ابيه فولاه على صفاقس واعمالها فاستقل بها ثم داخل اهل الحامة فى ملك قابس فاجابوه وساروا معه فبيتها ودخلها وقبض على يحيى بن عبد الملك فضرب عنقه وانقرض امر بنى مكى من قابس ولله الامر من قبل ومن بعد وهو خير الوارثين

(١) Il faut lire عمه

الخبر عن بنى ثابت روساء مدينة طرابلس واعمالها

قد تقدم لنا شان هذا البلاد لاول الفتح الاسلامى وان عمرو بن العاصى هو الذى تولى فتحه وبقى بعد ذلك من جملة اعمال افريقية تنسحب عليه ولاية صاحبها فلم يزل ثغرا لهذه الاعمال من لدن امارة عقبة ومن بعده وفى دول الاغالبة وكان المعز لدين الله من خلفاء الشيعة لما ارتحل الى القاهرة وعقد على افريقية لبلكين بن زيرى بن مناد امير صنهاجة [عقد] على طرابلس لعبد الله ابن يخلف من رجالات كتامة ثم لما ولى نزار الخلافة سنة سبع وستين طلب منه بلكين ان يضيف عمل طرابلس الى عمله فاجاب وعهد له بها وولى عليها بلكين من رجالات صنهاجة ثم عقد عليها الحاكم بعد مهلك المنصور بن بلكين ليانس الصقلبى سنة تسعين وثلاثماية بمداخلة عاملها يمصول من صنهاجة واعانه على ذلك برجوان الصقلبى المتغلب على الدولة يوميذ لمنافسته ليانس فوصل اليها فى الف وخمسماية فارس فملكها فسرح باديس جعفر بن حبيب لحربه فى عسكر من صنهاجة وتزاحفا يومين بساحة زنزور ثم انفض عسكر يانس فى الثالث وقتل ولحق فله بطرابلس فاعتصموا بها ونازلهم جعفر بن حبيب القائد وزحف فلفول بن سعيد بن خزرون الثائر على بادبس وابنه بافريقية الى قابس فحاصرها ثم قصد جعفر بن حبيب بمكانه من حصار طرابلس فافرج عنها جعفر ولحق بنفوسة واميرهم يحيى بن محمد فامتنع عليهم ثم لحق بالقيروان ومضى فلفول بن سعيد الى طرابلس فخرج اليه فتوح بن على ومن معه من اصحاب يانس فملكوه وقام فيها بدعوة الحاكم من خلفاء الشيعة واوطنها وعقد الحاكم عليها ليحيى

ابن على بن حمدون اخى جعفر صاحب المسيلة النازع اليه من الاندلس فوصل اليها واستظهر بفلفول على بجاية ونازل قابس فامتنعت عليه ثم عجز عن الولاية وراى استبداد فلفول عليه بعصبته فرجع الى مصر واستبد فلفول بطرابلس وتداولها بنوه مع ملوك صنهاجة الى ان استبدوا بها اخرا ودخل العرب الهلاليون الى افريقية فخربوا اوطانها وطمسوا معالمها ولم تزل بايدى بنى خزرون هولاء الى ان غلبهم عليها جرجى بن ميخائل صاحب اصطول رجار ملك صقلية من الافرنج سنة اربعين وخمساية وابقى المسلمين بها واستعمل عليهم كما فعل فى سواحل افريقية فاقاموا فى ملكة النصارى اياما ثم ثار بهم المسلمون بمداخلة ابى يحيى بن مطروح من اعيانهم وفتكوا بهم ولما افتتح عبد المومن المهدية سنة خمس وخمسين وفد عليه ابن مطروح ووجوه اهل طرابلس فاوسعهم مكرمة وردهم الى بلدهم وولى عليهم ابن مطروح الى ان كبر سنه وعجز وارتحل الى المشرق سنة ست وثمانين باذن السيد ابى زيد بن عمر بن عبد المومن عامل افريقية من قبل عمه يوسف واستقر بالاسكندرية وتعاقبت عليها ولاة الموحدين ثم كان من امر ابن غانية وقراقش ما قدمناه وصارت طرابلس لقراقش ثم استبد بنو ابى حفص بافريقية على بنى عبد المومن وهلك قراقش وابن غانية وانتظم عمل طرابلس فى اعمال الامير ابى زكرياء وبنيه الى ان انقسمت دولتهم واقتطعت الثغور الغربية عن الحضرة وفشل ريح الدولة بعض الشىء وتقلص ظلها عن القاصية فصارت رياسة طرابلس الى الشورى ولم يزل العامل من الموحدين يجىء اليها من الحضرة الا ان رئيسها من اهلها مستبد عليها وحدثت العصبية فى البلد لحدوث الشورى والمنافسة فيها ثم نزلها السلطان ابو يحيى بن اللحيانى سنة سبع عشرة وسبعماية حين تجافى عن ملك الحضرة واحس بزحف السلطان ابى يحيى صاحب بجاية اليها فابعد عن تونس الى ثغر طرابلس واقام بها واقام احمد بن عربى من مشيختها بخدمته ولما

فارق ابن اللحيانى تونس ويئس الموحدون من عوده اخرجوا ابنه محمد المكنى
بابى ضربة من الاعتقال وبايعوا له وخرج للقاء السلطان ابى بكر ومدافعته فهزمه
السلطان ابو بكر الى ناحية [بياض] وحمله الاعراب الذين معه على قصد
طرابلس لانتزاع الاموال والذخائر الملوكية من يد ابيه ولما احس بذلك ابوه
ركب البحر من طرابلس الى الاسكندرية كما هو مذكور فى خبره واستخلف على
طرابلس صهره محمد بن ابى عمر بن ابراهيم بن ابى حفص فقام بامرها وولى
حجابته رجلا من اهله يشهر بالبطيسى فساء اثره فى اهل طرابلس وحجب عنهم
وجه الرضى من سلطانه وحمله على مصادرتهم واستخلاص اموالهم حتى اجمعوا
الثورة بالسلطان فركب السفين ناجيا منهم بعد ان تعرض بعضهم لوداعه فاطلعه
على سعايات البطيسى بهم فقتلوه لوقته وقتلوا قاضيا بطرابلس من اهل
تونس كان يمالى على ذلك وتولى كبر ذلك احمد بن عربى ثم هلك وقام بامر طرابلس
محمد بن كعبور فقتله سعيد بن طاهر المزوغى وملك امر البلد وكان معه
ابو البركات بن ابى الدنيا فمات حتف انفه واستقل ابن طاهر بامر طرابلس
ثنتى عشرة سنة ثم هلك وقام بامرها ثابت بن عمار الزكوجى من قبائل هوارة
وثار به لستة اشهر من ولايته احمد بن سعيد بن طاهر فقتله واستبد ثم ثار به
جماعة زكوجة وقتلوه فى مغتسله عند الاذان بالصبح وولوا محمدا ابن شيخهم
ثابت بن عمار اعوام سبعة وعشرين فاستبد بامر طرابلس نحوا من عشرين سنة
وظل الدولة متقلص عنه وهو يغالط عن الامارة بالتجارة والاحتراف بها ولبوس
شارتها والسعى راجلا فى سكك المدينة يتناول حاجاته وماعونه بيده ويخالط
السوقة فى معاملاته يذهب فى ذلك مذهب التخلق والتواضع يسر منه حسوا
فى ارتغاء ويطلب العامل من تونس فيبعثه السلطان على طرابلس يقيم عنده
معتملا فى تصريفه وهو يبرا اليه ظاهرا من الاحكام والنقض والابرام الى ان كان
تغلب بنى مرين على افريقية ووصل السلطان ابو الحسن الى الحضرة على ما

نذكره (1) فناوله طرف الحبل وهو ممسك بطرفه ونقل الى الاسكندرية ماله وذخيرته ثم اغتاله اثناء ذلك جماعة من محريش عند داره فقتلوه وثار منهم للحين بطانته وشيعه وولى بعده ابنه ثابت فتزيا بزى الامارة فى اللبوس والركوب بحلية الذهب واتخاذ الحجاب والبطانة واقام على ذلك الى ان اجتمع بها اسطول من تجار النصارى اغفلوا امرهم لكثرة طروقهم وترددهم فى سبيل التجارة وكثرة ما يغشاها من سفنهم فغدروا بها ليلا وثاروا فيها وكثروا اهلها فاسلم الحامية اليهم باليد وفر مقدمهم ثابت الى حـــلة اولاد مرغم امراء الجوارى فى انحائها (2) فقتلوه صبرا لدم كان اصابه منهم فى رياسته فكانت مدته ست سنين وقتلوا معه اخـــاه عمارا واكتسح النصارى جميع ماكان بالبلد من الذخيرة والمتاع والخرثى والماعـون وشحنوا السفن بها وبالاسرى من العقائل والحامية مصفدين واقاموا بالبلد اياما على قلقة ورهب من الكرة لوكان لها رجال ثم تحدثوا مع من جاورها من المسلمين فى فدائها فتصدى لذلك صاحب قابس ابو العباس احمد بن مكى وبدل لهم فيها خمسين الف من الذهب استوهب اكثرها من جماعة المسلمين بالبلاد الجريدية تزلفا الى الله باستخلاص الثغر من يد الكفر وذلك سنة [بياض] وخمسين ولحق ولد ابن ثابت بثغر الاسكندرية فاقاموا به يحترفون بالتجارة الى ان هلك احمد بن مكى سنة ست وستين وقام بامره ولده عبد الرحمن فسما ابو بكر بن محمد بن ثابت الى رياسة ابيه وذكر عهود الصبا فى معاهد قومه فاكترى من النصارى سفنا شحنها بصنائعه وموالى ابيه ونازلها سنة احدى وسبعين فى اسطول من اساطيلهم واجتمع اليه دوبان العرب ففرق فيهم الاموال واجلب عليها بمن فى قراها واريافها من الرجل فاقتحمها على عبد الرحمن ابن احمد بن مكى عنوة واجاره العرب من ادلاد مرغم بن صابر تولى ذلك

(1) La suite de ce chapitre ne se trouve que dans le ms. E, mais elle est malheureusement défigurée par des fautes de copiste ; nous en avons laissé subsister une grande partie, ne sachant pas comment les corriger et soupçonnant qu'il s'y trouvait quelques lacunes. — (2) Le ms. porte انحابها

منهم الى ان ابلغوه مامنه فى ايالة عمه عبد الملك بمكان امارتهم بقابس واستوسق امر طرابلس لابى بكر هذا واستقل بولايتها ودخل فى طاعة السلطان ابى العباس بتونس وخطب له على منابره وقام يصانعه بما للسلطان من الضريبة ويتحفه حينا بعد حين بالهدايا والظرف الى ان هلك سنة ثنتين وتسعين وولى مكانه على ابن اخيه عمار وقام بكفالته عمه وكان قائده قاسم بن خلف الله متهما بالتشيع للصبى المخلف عن ابى يحيى فارتاب ودفعوه لاقتضاء المغارم من مسرتة فتوحش الخليفة من على وانتقض ثم بعث اليه بامانه فرجع الى طرابلس ثم استوحش وطلب الحج مخلوا سبيله وركب البحر الى الاسكندرية ولقى بها خالصة السلطان محمد بن ابي هلال عام حج فاخذ منه ذمة وكر راجعا فى السفين الى تونس يستحث السلطان لملك طرابلس فلما مر بهم راسلوه ولاطفوه واستعادوه الى مكانه فعاد اليهم ثم جاءته النذر بالهلكة ففرق ولحق السلطان بتونس واستحثه لملك طرابلس وبلغ الخبر الى السلطان فبعث معه ابنه الامير ابا حفص عمر لحصار طرابلس فنزل بساحتها وافترق عرب دباب عليه وعلى ابن ثابت وقام ابن خلف الله فى خدمته المقام المحمود ووفر له جباية الوطن ومغارمه ونقولا العرب الى طاعته ويستالفهم به واقام عليها حولا كريتا يمنع عنهم الاقوات ويبترزون اليه فيقاتلهم بعض الاحيان ثم دفعوه بالضريبة التى عليهم لعدة اعوام نائطه وكان قد ضجر من طول المقامة فرضى بطاعتهم وانكفا راجعا الى ابيه سنة خمس وتسعين فولاه على صفاقس وافتتح منها قابس كما قدمناه واقام على بن عمار على امارته بطرابلس الى هذا العهد والله مدبر الامور بحكمته هذا اخر الكلام فى الدولة الحفصية من الوحدين وما تبعها من اخبار المقدمين المستبدين بامصار الجريد والزاب والثغور الشرقية فلنرجع الى اخبار زناتة ودولهم وبكمالها يكمل الكتاب ان شاء الله تعالى

تم الجزء الاول

Ce ne fut que par l'emploi d'une critique sévère, et de la connaissance que M. de Slane avait acquise, non-seulement de l'ouvrage, mais du style et des tournures particulières à l'auteur, qu'il a pu remplir cette partie de sa tâche. Les noms de tribus et de lieux qui n'appartiennent pas à la langue arabe, avaient été presque toujours estropiés par les copistes : pour les rétablir, on a eu recours à d'autres ouvrages historiques, aux cartes géographiques, tant arabes qu'européennes, et aux récits des voyageurs. Les dates, dont plusieurs avaient été altérées, ont été vérifiées avec le plus grand soin.

On remarque, dans tous les manuscrits de cet ouvrage, un grand nombre d'arbres généalogiques, représentant la descendance des tribus, la filiation des familles marquantes, et celle des dynasties. Plusieurs motifs ont porté à supprimer ces tables : d'abord, elles n'apprenaient rien qu'on ne connût déjà par le texte du livre, où ces mêmes généalogies sont toujours exposées avec soin. Ensuite, ces tables offraient plusieurs erreurs, et ne s'accordaient pas toujours avec le texte. Puis, il aurait été impossible de composer des tables semblables au moyen des caractères d'imprimerie ; il aurait fallu y employer la lithographie ou la gravure. D'après ces considérations, on a cru devoir les supprimer.

Malgré tous les soins apportés à la révision des épreuves, plusieurs fautes se sont cependant glissées dans l'impression. On en trouvera la liste à la fin du second volume.

Alger, le 1er août 1847.

Ms. A. Ce manuscrit, composé de deux volumes, fait partie de l'exemplaire du grand ouvrage d'Ibn-Khaldoun que M. Berbrugger rapporta de Constantine. D'après un ordre ministériel, l'exemplairc complet fut retiré de la bibliothèque d'Alger et donné à la bibliothèque du Roi. Il est assez bien écrit, mais il fourmille de fautes.

Ms. B. Ce manuscrit, en deux volumes, appartient à un bel exemplaire découvert à Tunis par M. Rousseau, et cédé par lui à la bibliothèque du Roi. Il est plus correct que les autres manuscrits, cependant les erreurs de copiste y sont fort nombreuses.

Ms. C. Ce manuscrit, composé aussi de deux volumes, fait partie de l'exemplaire complet que M. le Ministre de la Guerre fit copier à Constantinople, sur un manuscrit conservé dans une des bibliothèques publiques de cette ville. Bien qu'il soit écrit avec une précipitation extrême, le texte n'en est pas trop mauvais. Il a été d'une grande utilité.

Ms. D. Ce manuscrit est un volume détaché ; il est fort bien écrit. Une note sur le dernier feuillet indique qu'il fut transcrit à Timbektou, en l'année 1088 de l'hégire, par Mansour-Ibn-Mohammed-el-Aoudjeli. C'est à l'obligeance de M. Alix Desgranges, professeur au Collége de France, qu'on doit la communication de ce volume.

Ms. E. Volume détaché, appartenant à la bibliothèque du Roi ; très-fautif, mais offrant de bonnes leçons.

M. de Slane eut encore à sa disposition, pendant quelques semaines, un volume appartenant à El-Kharroubi, ancien secrétaire d'Abd-el-Kader, et, de plus, un assez grand nombre de fragments de l'ouvrage. Pour la révision du texte du second volume, il s'est servi des dernières parties des manuscrits A, B et C, ainsi que du manuscrit F.

Ms. F. Ce manuscrit, renfermant la dernière partie de l'histoire des Berbères, appartient à l'exemplaire cédé par M. Grœberg de Hemsœ à la bibliothèque de Leyde. Il est admirablement écrit, et en caractères africains, comme tous les autres exemplaires de l'ouvrage, excepté le manuscrit C. Il est à regretter que ce manuscrit n'ait jamais été collationné ; cette négligence de copiste a été la cause d'un grand nombre d'omissions et d'erreurs. Ce fut à la prière de M. de Slane, que S. M. le Roi de Hollande, ordonna que ce manuscrit lui fût envoyé.

Après un travail opiniâtre d'environ dix-huit mois, avec l'aide de ces manuscrits, le texte de l'ouvrage put être rétabli dans une pureté qui laisse peu à désirer ; mais pour atteindre ce résultat, on a dû surmonter les difficultés les plus graves. D'abord, il s'agissait de faire disparaître les fautes de copiste, fautes tellement nombreuses, tellement étranges, qu'à chaque instant le travail de transcription était suspendu, afin de démêler le vrai texte de l'auteur.

Bougie, les Beni-Khoraçan à Tunis, les Beni-er-Rend à Cafsa, les Beni-Djamé à Cabs, les Beni-Mozni à Biskra, les Beni-Ïemloul à Touzer, les Beni-Mekki à Cabs, et les Beni-Thabit à Tripoli.

La seconde partie renferme l'histoire des dynasties sorties de la grande tribu berbère de Zenata, et fournit les renseignements les plus détaillés sur les Zianides ou Beni-Abd-el-Ouad de Tlemsen, et sur les Mérinides du Maroc. Dans cette partie se trouve aussi l'histoire de plusieurs familles qui ont exercé l'autorité souveraine dans le nord du Maroc. Les Idrîcides, les Beni-Ziri-ben-Atïa, les Beni-Azéfi, princes de Ceuta, la généalogie de toutes ces tribus, la suite des chefs par lesquels chaque tribu a été gouvernée, révoltes, batailles, ambassades, mariages, rien n'est omis dans cette vaste composition.

L'histoire des Berbères embrasse toute la période de temps qui s'est écoulée depuis la conquête arabe jusqu'à la fin du quatorzième siècle de notre ère (1). Rédigée par un homme d'un grand génie et d'un savoir peu commun, un homme qui pendant de longues années avait rempli les fonctions de Ministre d'État, d'abord à Tunis sous les Hafsides, puis à Fez sous les Mérinides, et ensuite à Tlemsen sous les Beni-Abd-el-Ouad, elle décèle à chaque page une connaissance intime des évènements politiques qui ont agité ces pays; et aux notions si précises qu'elle nous offre sur les tribus arabes et berbères, sur leurs rapports avec les dynasties régnantes et sur les relations de ces dynasties entre elles, on reconnaît facilement qu'on a sous les yeux le travail, non-seulement d'un savant historien, mais d'un homme auquel toutes les sources étaient accessibles, et toutes les archives ouvertes.

Cet ouvrage, si intéressant en lui-même, ayant acquis une nouvelle importance par la conquête de l'Algérie, le Ministre de la Guerre en ordonna la publication, et confia ce travail à M. le baron de Slane, qui par d'utiles publications, avait prouvé la profonde connaissance qu'il avait de la langue arabe. D'après un arrêté ministériel, le texte arabe a dû être imprimé à l'Imprimerie du Gouvernement, à Alger, et la traduction française, à l'Imprimerie Royale de Paris. Plusieurs manuscrits dont on donne ici l'indication, furent mis à la disposition de M. de Slane.

(1) Si l'on n'y trouve que peu de détails sur la dynastie aghlebide, et sur les premiers émirs qui gouvernaient l'Afrique et l'Espagne au nom de Khalifes, on ne doit pas en faire un reproche à Ibn-Khaldoun : une autre partie de son grand ouvrage, partie consacrée à l'histoire de plusieurs dynasties de différens pays, renferme deux chapitres sur ce sujet. Comme le texte arabe de ces chapitres a déjà été publié avec une traduction française par M. Noël des Vergers, M. de Slane s'est abstenu de les faire entrer dans l'histoire des Berbères; mais, pour combler cette lacune, il donne, dans la traduction française de cet ouvrage, une histoire des premiers émirs et des Aghlebides, beaucoup plus étendue que celle de notre auteur.

PRÉFACE.

L'*Histoire des Berbères et des Dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale*, forme la dernière partie d'un grand ouvrage historique dans lequel Ibn-Khaldoun, cet auteur si justement célèbre, raconte l'origine et les vicissitudes de toutes les nations musulmanes. Elle se compose de deux parties, dont la première renferme des notices sur les tribus arabes établies en Afrique, et s'adonnant à la vie nomade; des renseignemens précieux sur les peuplades berbères (1), habitant le territoire qui s'étend depuis la Méditerranée jusqu'au pays des Noirs; des notions importantes sur la géographie de toute cette région, et une histoire très-détaillée de plusieurs empires que les Musulmans y avaient fondés. On y remarque, parmi d'autres dynasties moins importantes, celles des Obeidites ou Fatimides, des Zirides, leurs successeurs, puis celles des Almoravides, et des Almohades, avec le récit de leurs conquêtes en Afrique et en Espagne. Cette première partie renferme une histoire détaillée de la dynastie hafside et plusieurs chapitres spéciaux sur les invasions de l'Afrique par les Chrétiens; c'est avec un vif intérêt que le lecteur parcourt le récit des conquêtes effectuées par les Normands, dans les provinces de Tunis et de Tripoli, ainsi que l'histoire du siége de Tunis par saint Louis.

De petites principautés trouvent aussi leur place dans ce grand tableau; principautés dont l'histoire et quelquefois même les noms nous étaient presqu'inconnus : indiquons ici les Ibn-Ghanïa, dans la province de Tunis, les Bereghouata en Maroc, les Beni-Essam à Ceuta, les Beni-Salah à Nokour, les Beni-Abi-el-Afïa à Tessoul, les Beni-Ouassoul ou Médrarides, à Sedjelmessa, les Beni-Hammoud à Tanger, les Beni-Hammad à El-Mecila et à

(1) Les Berbères, peuple autochtone de l'Afrique septentrionale, sont la même race qu'on désigne maintenant par le nom de *Kabiles*. Ce mot, qui signifie *tribu* en arabe, n'a été employé pour désigner les *Berbères*, que depuis environ trois siècles. L'introduction de cette signification détournée doit être probablement attribuée aux Turcs

HISTOIRE DES BERBÈRES

ET

DES DYNASTIES MUSULMANES

DE L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

PAR

ABOU-ZEID ABD-ER-RAHMAN IBN-MOHAMMED

IBN-KHALDOUN.

TEXTE ARABE : TOME PREMIER,

PUBLIÉ PAR ORDRE DE M. LE MINISTRE DE LA GUERRE.

COLLATIONNÉ SUR PLUSIEURS MANUSCRITS

Par M. le Bon de Slane,

Interprète principal de l'Armée d'Afrique.



ALGER,

IMPRIMERIE DU GOUVERNEMENT.

1847.



HISTOIRE DES BERBÈRES.

D'IBN-KHALDOUN.

Z

MINISTÈRE DE LA GUERRE.

HISTOIRE

DES

BERBERS

PAR

IBN KHALDOUN.



A

IMPRIME